الإشراف على تأريخ الأشراف تـأليف عَاتق بن غَيث البَلادي دار النفائس

افتتاح عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ، يقول: (إنما الأعمال بالنيات) [رواه الشيخان]. نسأل الله أن يجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يدرجه تحت آمنّا فصدقنا فعملنا، اللهم تقبل عملنا.

المقدمة الحمد لله المتفضل المنان، ولي النعم له الشكر والامتنان. والصلاة والسلام على الرحمة المهداة للبشرية جمعاء، سيدنا محمد وعلى آله، وسلّم تسليماً كثيراً. أما بعد: فهذا كتاب «الإشراف على تأريخ الأشراف» كان مبدأ أمره بحوثاً كتبت لمجلة الجزيرة الكويتية، ثم بعد نشر حلقتين منه توقفت المجلة، فرأيت أن أكمله كتاباً، خدمة للتأريخ وبراً لمن ينتسب إليه هذا العنصر الكريم، سيدنا وسيد ولد آدم. وعند التعمق في البحث وجدت أن المادة ضخمة ضخامة تلك الهامات التي تتضمنها، فعمدت إلى أمرين: جعلته عن أشراف الحجاز، منذ قيام أول دولة لهم في سنة **358** إلى سنة **1344** هـ/**968–1925**، وهو التأريخ الذي زالت فيه دولة الأشراف من الحجاز. جعلته في ثلاثة أجزاء، هي: (أ) الجزء الأول: من سنة **358** هـ إلى استيلاء العثمانيين على بلاد العرب. (ب) الجزء الثاني: من بعد ذلك إلى استيلاء محمد علي باشا على جزيرة العرب. (ج) الجزء الثالث: دول الأشراف العبادية، من منتصف القرن الثالث عشر الهجري تقريباً إلى التأريخ المذكور أعلاه. وقد مهدت في أوله بما يصل هذه الأرومة العريقة بأصلها المبارك. أسأل الله أن ينفع به، ويجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. المؤلف

تمهيد أنزل الله جل وعلا على نبيه الرسالة والكتاب، وجعله رحمة للناس رسولاً لكل البشر، هادياً مهدياً، بشيراً ونذيراً. فأسس المجتمع المسلم على منهج لم يسبق للبشرية مثله، دقةً ونظاماً، فلم يغادر هذه الدار الفانية حتى بيَّن لهذه الأمة سبيل الرشاد وتركهم على محجة بيضاء ليلها كنهارها. وكان، كبشر، لا بد أن يقضي ما شاء الله فيبلِّغ رسالة ربه ثم يسير كما سار البشر، عليه صلاة الله وسلامه. ولما أن كل مجتمع لا بد له ممن يحكمه، سنة الله في خلقه، فقد تتابع خلفاؤه كما هو مشهور معلوم لكل دارس وباحث، حتى جاء دور علي كرم الله وجهه، فثارت الفتنة واختلط الحابل بالنابل، فقتل المجرم ابن ملجم علياً في مسجد الكوفة، فخلفه ابنه الحسن بن علي بن أبي طالب، ثم لم يلبث أن تنازل لمعاوية وعاد إلى مدينة الرسول **r**. ذرية رسول الله : في الحديث، قوله : (ذريتي من فاطمة). وكما هو معلوم كانت فاطمة بنت محمد، زوج

علي بن أبي طالب، وانحصرت ذريتهما في رجلين هما: الحسن والحسين، ومنهما تناسلت الذرية المحمدية المباركة. فأما الحسن فمات في المدينة سنة (50هـ/670 م) قيل: مسموم، وقيل غير ذلك، والله أعلم بالحقائق. ثم نهض أخوه الحسين بن علي وفاطمة، وكاتبه أهل العراق، فتوجه إليهم، ثم حدث ما هو معلوم (يوم كربلاء) سنة (61 هـ/680 م) فلم يبق له من الذرية ابنه علي زين العابدين، فاخلد إلى العبادة، وتابعته ذريته في ذلك، ما عدا ما ليس معنا هنا. أما الحسن فقد أعقب ذرية مباركة كما سيأتي. الأشراف: عندما تكاثرت ذرية الحسن، والحسين رضي الله عنهما، كانت تدعى الأشراف بلا تفريق بين حَسَني وحُسيني، إلاّ أنه فيما بعد –وفي الحجز خاصة– كانت الشرافة علماً على أولاد الحسن بن علي، ودعي أبناء الحسين السادة، على أن هذا ما كان مطرداً، فتجد مؤرخي مكة، يقولون: السيد الحسن بن عجلان، والسيد بركات بن الحسن، وهما حسنيان. فمن هم الأشراف مدار موضوعنا؟ هم أولاً: ذرية الحسن بن علي بن أبي طالب، من أبناء فاطمة الزهراء بنت محمد . وهم ثانياً: الذين حكموا الحجاز خلال مدة تقرب من ألف سنة، من (358–1344 هـ) كما قدمنا، ثم حكموا فيما بعد أقاليم أخر، وكانت دولتهم تمتد حتى تصل إلى نجران وجيزان جنوباً، وجبلي طيء شمالاً، وإلى الأحساء شرقاً، ومع هذا كان أحدهم يتشرف بأن يقال له: (شريف مكة)، شرفها الله. وبعد أن عرفت مضمون ما بين يديك، فهذا تأريخهم تأريخاً موثقاً إن شاء الله، ولم نترك أحداً استصغاراً أو تقليلاً لشأنه، ولكن القوم طرح الله فيهم البركة حتى صاروا يعدون بمئات الألوف، فقدمنا من أعطاه الله الحكم منهم، مع محاولة جادة لذكر ذرياتهم، وأحوالهم في أيامنا الحاضرة. فإلى الكتاب، بارك الله لك في قراءته، وبارك الله له في قراءتك .

أولاً :ذكر دولة الأشراف الموسويين

نسبة إلى جدهم موسى، المذكور في أول ترجمة بعد هذا.

وهذه الأسرة حكمت الحجاز وأجزاء من الشام ودامت نحو خمس وتسعين سنة فقط – 358)
453هـ 1061 – 698/م (وإليك ذكر أمرائهم.

* * *

-1الشريف جعفر بن محمد

قام سنة 358) هـ968/م:(

هو جعفر بن محمد بن الحسين، وقيل :جعفر بن الحسين بن محمد الثائر ابن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجَوْن بن عبد الله المَحْض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما.

كذا ذكره الدحلان في) خلاصة الكلام([1])(، ثم قال :تغلب جعفر المذكور على مكة زمن الإخشيد، قبل أن يملك العُبيديون) الفاطميون (مصر، بعد موت كافور، وكان موت كافور سنة ثلاثمائة وست وخمسين، وتغلب جعفر سنة358) هـ(، وقيل سنة ست وخمسين، وقيل ثلاثمائة وستين، ثم ذكر أسباباً، ولم يذكر نهاية ولايته، إنما قال :ولما توفي جعفر المذكور تلوى ابنه) عيسى بن جعفر (ودامت ولايته إلى سنة ثلاثمائة وأربع وثمانين384) هـ .(ولم يذكر بداية ولاية عيسى ليستدل بها على نهاية ولاية أبيه، ولم يذكر ولادة أحد منهما ولا وفاة جعفر، كما ألمحنا.

وذكره تقي الدين الفاسي، فقال :جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد، وبقية النسب كما تقدم، إلاّ أن الفاسي حذف الألقاب، كالثائر والثاني والجَوْن، الخ...

ثم قال :أمير مكة، كذا نسبه ابن حزم في الجمهرة([2])، وقال– أي ابن حزم :–إنه غلب على مكة في أيام الإخشيدية، وولده إلى اليوم – في عهد ابن حزم –ولاة مكة، منهم عيسى ابن جعفر المذكور، لا عقب له، وأبو الفتوح الحسن بن جعفر المذكور، وشكر بن أبي الفتوح، وقد انقرض عقب جعفر المذكور، لأن أبا الفتوح لم يكن له ولد إلاّ شكر، ومات شُكر ولم يولد له قط.

وذكر شيخنا ابن خلدون– الكلام للفاسي –في تأريخه، في نسب جعفر والد عيسى وأبي الفتوح، ما يخالف ما ذكره ابن حزم، لأنه لما نسبه قال :هو جعفر بن أبي هاشم الحسن بن محمد بن سليمان بن داود، وذكر أن محمد بن سليمان، جد جعفر، قام بمكة سنة إحدى وثلاثمائة([3])، وخطب في موسمهما لنفسه بالإمامة ودعا لنفسه، وخلع المقتدر العباسي.

وذكر أن محمد بن سليمان هذا من ولد محمد ابن سليمان الذي دعا لنفسه بالمدينة، أيام المأمون ([4])وتسمى بالناهض، وذكر أن سليمان والد محمد بن سليمان الذي تسمى بالناهض هو سليمان بن داود بن عبد الله بن الحسن ([5])بن علي بن أبي طالب .آخر ما روى الفاسي.([6])

ولم يذكره ابن فهد، تلميذ الفاسي، لم يذكره باسمه، إنما قال :سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة فيها خُطب بالحرمين واليمن للمعزِّ أبي تميم معد بن المنصور العبيدي) الفاطمي (صاحب مصر، وبطلت الخطبة لبني العباس.([7])

وهذا وإن لم يكن تصريحاً بقيام جعفر إلاّ أنه تلميحاً لذلك، وابن فهد هو تلميذ الفاسي، ويستغرب أن يسكت عن من ذكره شيخه.

ولكن ابنه، العز بن فهد، ذكره نقلاً عن العقد الثمين، فقال :جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد، كما تقدم عند الفاسي، ثم قال عن الفاسي أيضاً :وذكر شيخنا ابن خلدون أن جعفر والد عيسى وأبي الفتوح سار إلى المدينة فملكها، وخطب للمعز العُبيدي لما سمع تملكه بمصر، فأرسل إليه) العُبَيدي (بالولاية.([8])

أما العصامي صاحب) سمط النجوم العوالي (فقد قال ...:فمذ ملك مصر– أي المعز –بادر جعفر بن الحسن بن محمد بن سليمان بن داود، وكان بالمدينة، فملك مكة ودعا للمعز، فكتب له بالولاية .([9])ولعل في هذا وهماً من العصامي يرحمه الله.

إلاّ أنه لم يختلف عمن سبقه في أن عيسى ولي الأمر بعد أبيه إلى أن توفي سنة384) هـ (ثم ولي الأمر بعده أخوه أبو الفتوح بن جعفر.

ونرى أن المرجح في نسبه هو :جعفر بن محمد بن الحسن، وبقية النسب كما تقدم في أول البحث .وهو أول مؤسس للشرافة في مكة كما قدمنا، وليس هو من كبار الأشراف المصنف هذا البحث من أجلهم ولكن له شرف الريادة والتأسيس، ولذا كان الافتتاح به أليق، وقد بقيت الشرافة بعده في ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما نحو من ألف سنة إلا قليلاً . فهو من الأشراف الحسنيين كأبي العباس في العباسيين.

وبالإجمال فأخباره قليلة، ومؤرخوه ينقل بعضهم عن بعض، وشذ فيه العصامي، كما رأيت، بما لم يأت به غيره.

وقد خلف ولدين هما :عيسى وأبا الفتوح، الذي سيأتي بعد ها، إن شاء الله .ويلاحظ أن جعفر هذا هو مؤسس الطبقة الموسوية، نسبة إلى جده موسى، كذا قال الدحلان في خلاصة الكلام، ثم قال :وهم أول من ملكها من الأشراف الحسنيين، أي أنها الطبقة الأولى.

بينما عده العصامي من السليمانيين، والصواب ما قاله الدحلان، إذ أن طبقة السليمانيين جاءت بعد طبقة الموسويين كما سترى في البحوث المقبلة، إن شاء الله، بعد أن نذكر انقراض هذه الطبقة الموسوية بوفاة الشريف شكر.

–2الشريف عيسى بن جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى، وبقية النسب كما تقدم في أخبار أبيه، في البحث السابق 384–) هـ – 994/م:(

ولي مكة بعد أبيه، ولم أر من أرخ وفاة أبيه وهي السنة التي ولي فيها عيسى الشرافة، ولكن مؤرخيه يؤرخون وفاته بسنة أربع وثمانين وثلاث مائة، أي أن ولايته وولاية أبيه عن سنة 384– 358)هـ 26 = (سنة، ثم ولي بعده أخوه أبو الفتوح الآتي خبره.

قال الفاسي :([10])جاءت جيوش العزيز صاحب مصر، مكة والمدينة، سنة366) هـ .(وضيَّقوا عليهم) أي على أهل الحجاز (وذلك بسبب الخطبة، ولا زالوا محاصرينهم، حتى خُطِب للعزيز بمكة، وأميرها إذ ذاك عيسى بن جعفر، والمدينة، وأميرها إذ ذاك طاهر بن مسلم ... الخ .ودامت ولايته على مكة إلى سنة384) هـ (على ما ذكر ابن خلدون .وذكر ابن حزم في الجمهرة ما يُفهم أنه ولي مكة بالجملة ...الخ.

ولم يذكر ابن فهد عيسى هذا سنة384) هـ (ولا قبلها، رغم أنه تلميذ التقي الفاسي، وإنما ذكر ولاية أخيه أبي الفتوح في هذه السنة، أي بعد وفاته) وفاة عيسى.(

أما ابنه العز بن فهد فقد نقل ما تقدم عن الفاسي مختصراً.([11])

أما العصامي، فيقول– ...عن حوادث :–360 ثم وقعت الفتنة بين بني الحسن، أهل مكة وبني الحسين، أهل المدينة، وزحف أهل المدينة مع أمير المعز لدين الله العُبيدي) الفاطمي (صاحب مصر، ليقيموا له الخطبة بمكة، فجاءت القرامطة مدداً لبني حسن بمكة، فانهزم أهل المدينة، ثم وقعت الفتنة بين بني الحسن، وبني جعفر([12])، وحصلت بينهم دماء، وبعث المعز العُبيدي من أصلح بينهم وتحمل ديات القتلى الفاضلة من مال المعز، فمذ ملك مصر بادر جعفر بن الحسن بن سليمان بن داود([13])، وكان بالمدينة، فملك مكة ودعا للمعز العبيدي فكتب له بالولاية .وأقول :انفرد العصامي رحمه الله بنسبة بني جعفر هؤلاء إلى سليمان ابن داود، ولذا فهو قد بوب لهم باسم) السليمانيين (بينما أجمع مؤرخو الأشراف على نسبتم إلى موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجَوْن، وسموهم طبقة الأشراف الموسوية، وجعلوا طبقة الأشراف السليمانيين بعدهم ثم الهواشم ثم بني قتادة، وكل ذلك سيتبع إن شاء الله، ثم يقول :ثم مات جعفر بن الحسن بن محمد بن سليمان بن داود فوليها بعده ابنه عيسى، وساق النسب الذي علقنا عليه آنفاً.

ووافق من تقدمه بأنه سنة384) هـ (مات عيسى المذكور وخلفه أخوه أبو الفتوح .

وعيسى أخباره قليلة كأبيه، وهذا دأب المؤرخين في كل عهد يحدث فجأة.

-3الشريف أبو الفتوح:

430-)هـ 1038 - /م:(

الحسن بن جعفر بن محمد بن الحسن، وبقية النسب تقدمت في ترجمة أبيه([14])، سلطان الحجاز وموحده، المبايع بالخلافة، يعتبر المؤسس الحقيقي للشرافة في مكة.

قال شيخ مؤرخي مكة، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاس- نسبة إلى فاس في المغرب -المكي832 - 775) هـ :(الحسن ابن جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني المكي، أبو الفتوح.([15])

أمير مكة، وليها بعد أخيه عيسى، في سنة384) هـ (ودامت ولايته عليها ستاًّ وأربعين سنة . وذكر جماعة من المؤرخين :أن أبا الفتوح هذا خرج عن طاعة الحاكم العُبيدي، ودعا إلى نفسه، وخُطِب له بالخلافة، وتلقب بالراشد، وسبب ذلك :أن الحاكم قَتل الوزير أبا القاسم المعروف بابن المغربي، فهرب أبو القاسم وقصد آل الجراح الطائي بالرملة، ولزم حسان بن مُفَرِّج، فأجاره ومنع الطلب عنه، وف ذلك يقول أبو القاسم:

فإنِّي أتيتُ ابنَ الكريم مَفَرِّجٍ

فأطلق من أَسْرِ المهموم عقالي

وحمل الوزير أبو القاسم آل الجرّاح على مباينة الحاكم([16])، وكان الحاكم قد ولّى مملوك أبيه) يازُخْتكين (الرملة بعد هروب الوزير أبي القاسم إليها، وسيَّر معه جيشاً، وجعه عليهم، ولما بلغ ذلك الوزير، حسَّن لحسان بن مفرج قتاله، فأغار عليه) فهزمه (وذبحه صبراً بين يديه.

فعند ذلك قال الوزير لحسّان :الآن قد قطعت ما بينك وبين الحاكم، ولم يبق لصلحك من موضع، ولا لك إلى الرجوع إلى طاعته مكان .وهذا أبو الفتوح أمير مكة والحجاز، في بيته وفضله وكرمه بمكان رفيع، تنصِّبه إماماً، وتقوم معه على الحاكم، فأمر حسان أبا القاسم بالتوجه إليه، فلما وصل إليه أطمعه في الرئاسة والخلافة، وضمن له الوفاء بما بذله حسّان بن المفّرج من الطاعة، ثم سار أبو الفتوح، وأبو القاسم قاصدين آل الجراح، ومعه- أي أبو الفتوح -نحو ألف فارس من بني حسن([17])، ونحو ألف عبد من قوَّاده([18])، فلما قرب الرملة، تلقاه حسان وأبوه مفرج وسائر وجوه العرب، وقبلوا الأرض بين يديه، ونزل في دارهم، وخطب له على منبر الرملة الخطيب ابن نُباتة.

ولما بلغ ذلك الحاكم اشتد عليه وقلق وعلم أن أبا الفتوح أهل لما أُهل له من الخلافة، فعدل عن الحرب إلى الخدعة، وعلم أن آل الجراح بينهم اختلاف في الرئاسة، فأرسل إليهم الأموال إلى الصغير والكبير والعظيم والحقير، وبعث إلى حسان بخمسين ألف دينار، وكتب إليه يغالطه في أمر) يارتكين (ويسهله، فأصبح أبو الفتوح وقد عرف تغير نياتهم، فقال للوزير أبي القاسم :أغويتني وأخرجتني إلى هؤلاء القوم الغدارين، فيجب عليك أن تخلصني وتسهل سبيلي إلى الحجاز، ومتى لم تفعل اضطررت إلى أن أركب فرسي، وأركب التغرير في طلب النجاة . وطال الأمر على أبي الفتوح، فركب فرسه إلى المفرّج والد حسان سراً، وقال له :إني فارقت نعمتي، وكاشفت مقامكم، ولي في عنقك مواثيق وأنت أحق من وَفَّى، لمكانك من قومك ورئاستهم، وأن خير ما ورّثه الإنسان ولده، ما يكون له الحمد والشكر وحسن الذكر، وأرى

حساناً ولذلك قد أصلح نفسه مع الحاكم، واتبعه أكثر أصحابه، وما أريد إلاّ العود إلى الوطن .فوعده المفرج السلامة، وركب معه وسيره إلى وادي القُرَى([19])، فتلقاه أصحابه.

يقول التقي :وذكر صاحب) الدول المنقطعة :(هذه القضية، وفيها مخالفة لما سبق ذكره، مع زيادة وفوائد– فيذكر ما لم يختلف عما سبق –حتى يقول :فأظهر ذلك، أي أبو الفتوح ودعوته الخلافة، وبايعه أهل الحرمين، وفارقه الوزير بمكة وسار إلى الرملة، فاجتمع بمفرج بن دغفل بن الجراح الطائي، وبنيه حسان ومحمود وعلي، وبايعهم لأبي الفتوح– أي على الخلافة –ولما تقرر ذلك طلع على المنبر يوم الجمعة وخطب الناس، فقال :أول ما استفتح به في تحريض الناس على خلع الحاكم، أن قرأ وهو يشير إليهم:

ولما فرغ من أخذ البيعة– أي الوزير –على آل الجراح، عاد إلى مكة وحمل أبا الفتوح على السير معه إلى الرملة، فسار فيمن معه من الأعراب ([20])فتلقاه مفِّرج وأولاده، وترجلوا له، وقبلوا الأرض، ومشوا في ركابه .ودخل الرملة وتغلب على أكثر بلاد الشام، فبعث الحاكم إليهم جيوشه مع مملوك أبيه) ياروخ تكين(، فحمل الوزير أبو القاسم حسان بن مفرج على أن اعترضه عند فج) داروم(، وواقعه وأسره، ونقله إلى الرملة أسيراً وانتهبه، وسمع غناء جواريه وحظاياه وهو مقيّد معه في مجلسه، وارتكب– أي حسان –منه فواحش عظيمة([21])، ثم قتله صبراً بين يديه .وبقي الشام أُكلة لبني الجراح، ولم يمكن الحاكم أخذه إلا بالملاطفة .ثم ذكر ما تقدم من إرشاء الحاكم آل الجراح وقنوع أبي الفتوح من الغنيمة بالإياب .ثم يقول الفاسي :وفي هذا الخبر مخالفة للخبر الأول من أوجه.

ثم يورد أقوالاً للذهبي يرحمه الله، لا تخرج عما تقدم، إلاّ قوله :إن هذه الحادثة كانت سنة 381)هـ(، ولا أرى ذلك لإجماع مؤرخي مكة على أن عيسى بن جعفر توفي سنة384) هـ (فخلفه أخوه حسن أبو الفتوح .وكذلك وَهَّمَ الفاسي هذا الرأي، وقال :إن الحاكم لم يكن إذ ذاك381) هـ (خليفة، وإنما كان خليفة على مصر أبوه العزيز، وبعده ولي الخلافة) الحاكم (في سنة386) هـ.(

وذكر سبط ابن الجوزي في) المرآة (وغيره من المؤرخين، إنها– أي خلافة أبي الفتوح –في سنة إحدى وأربع مائة.

وعليه يدل كلام ابن أبي المنصور في كتابه» الدول المنقطعة.«

ورأيت– قال التقي –في تأريخ شيخنا ابن الفرات :إن عصيان أبي الفتوح على الحاكم كان سنة402) هـ(، وأن فيها قتل الحاكم أحمد بن أبي العلاء، مولى أبي الفتوح أمير مكة، لأنه كان يستوشي أخباره وينقلها إلى مولاه، وكان مولاه أقامه لذلك، وأقر عليه بذلك عطار .ثم ينقل شيخ مؤرخي مكة التقي عن بيبرس الداودار :أن عصيان أبي الفتوح كان في سنة 405)هـ(، وذكر النويري أنها في سنة403) هـ.(

وذكر ابن خلدون :أن آل الجراح قبضوا على أبي الفتوح وأسلموه إلى الحاكم، وأنه راجع الطاعة فعفى عنه، واستغرب الفاسيُّ هذا الخبر، ورأوه كذلك .وذكر ابن خلدون :أن أبا الفتوح سار إلى المدينة النبوية وأزال عنها إمرة بني مهنا) الحُسَينيين (وذلك سنة390) هـ (بأمر الحاكم ثم رجع إلى مكة وعظم شأنه.

وذكر أن القادر العباسي، راسل أبا الفتوح يأمره بالطاعة ويعده ببقاء الإمرة في ذريته، فأرسل كتبه إلى الحاكم، فأرسل إليه بالمال والخلع، فقسم ذلك في قومه .وذكر أبو عبيد البكري :أن الحاكم أنفذ إلى أبي الفتوح سجلا تنقّص فيه بعض الصحابة رضي الله عنهم، وجرح به بعض أزواج النبي ، فانفذ الأمير– يعني أبا الفتوح –إلى القاضي الموسوي، أظنه إبراهيم بن إسماعيل، وهو قاضي مكة وما والاها([22])، وأمره بقراءته على الناس، فغضب لذلك المجاورون من القاطنين وغيرهم من قبائل العرب([23])، فلما بلغ ذلك القاضي، أرجأ الخروج وتباطأ، وذلك في سنة395) هـ.(

ثم يذكر الفاسي قصة ذلك المصري الذي اعتدى على الحجر الأسود، فثأر الناس على حاج مصر، ذلك سنة413) هـ (فتدخل أبو الفتوح وكف الناس عن المصريين، وهذا الخبر مبسوط بأكثر من هذا في كثير من التواريخ) .شفاء الغرام.(2/195 :

وعن أبي عبيد البكري- المسالك والممالك -أن أبا الفتوح في سنة412) هـ (حشد قبائل العرب، وحارب رجلاً من بني حرام- من كنانة -استولى على مدينة حلي ([24])ودعا إلى نفسه، فأخذها أبو الفتوح منه.

وكانت وفاة أبي الفتوح هذا سنة430) هـ (على ما ذكره ابن الأثير .أي أن إمرته على عموم الحجاز دامت (36) سنة.

ثم خلفه ابنه شكر كما سيأتي إن شاء الله.

وأخبار أبي الفتوح كثيرة، ولعلنا نزيدها ضوءاً في أخبار ابنه الآتية.

-4الشريف شُكر بن أبي الفتوح واسمه محمد، ويكنى أبا عبد الله، ويلقب تاج المعالي
453 -)هـ 1061 - / م):

شُكْر بن الحسن بن جعفر بن محمد بن الشريف الحسني الموسوي، وبقية النسب تقدم في خبر جده جعفر بن محمد .ولي إمرة الحرمين بعد وفاة أبيه أبي الفتوح الحسن بن جعفر سنة 430)هـ1038/م(، ودامت ولايته ثلاثاً وعشرين سنة، وقوي أمره، فحكم ما بين جبلي طيء إلى أواسط سراة الحجاز، كان أديباً شاعراً شجاعاً، له طرائف وغرائب، وحكم.

جاء في العقد الثمين- نقلاًَ عن صاحب الجمهرة ..([25])-وذكر أنه انقرض عقب جده جعفر، لأن أباه أبا الفتوح لم يولد له إلاّ وهو- أي شكر -ومات هو ولم يولد له قط .

وذكر أن أمر مكة صار إلى عبدٍ له .أ هـ .وذكر ابن خلدون :([26])إنه جرت له مع أهل المدينة حروب وخطوب، ملك أثناءها المدينة الشريفة، وجمع بين الحرمين .وغالب مؤرخيه على أنه ملك الحجاز ثلاثاً وعشرين سنة، وكانت وفاته سنة453) هـ(، وانقرضت به دولة السليمانيين من مكة، وجاءت دولة الهواشم.

كذا قال /بينما المجمع عليه في تأريخ مكة– إلاّ من شذ –أن جعفر وبنيه يسمون طبقة الموسويين، وجاء بعدهم طبقة السليمانيين ثم الهواشم الطبقة الثالثة، وسترى محاولتنا آتياً في هذا الصدد.

وشكر هذا هو الذي يزعم بنو هلال ([27])بن عامر، أنه تزوج الجازية بنت سرحان، من أمراء الأثبج منهم، وهو خبر مشهور بينهم في قصص وحكايات يتناقلونها، ولهم فيها أشعار من جنس لغتهم، ويسمونه الشريف أبو هاشم .أ هـ.

قلت :وكانت مدة إمارة شكر معاصرة جلاء بني هلال من جزيرة العرب أو قريبة منها . وكانت وفاة شكر في رمضان من نفس التأريخ المذكور آنفاً.

ومن شعر شكر المشهور ما أنشده الباخرزي في الدمية، والعماد في الخريدة:([28])

وصلتني الهمومُ وصلَ هَواك

وجفاني الرقادُ مثلَ جفاكِ

وحكى لي الرسولُ أنكِ غَضْبى

يا كفى اللَّهُ شرَّ ما هو حاكِ

ومنه :

قوِّض خيامَكَ عن دارٍ أُهِنْتَ بها

وجانب الذلَّ إن الذلَّ مُجْتنبُ

وارحل إذا كانت الأوطانُ مضيعةً

فالمندَلُ الرطبُ في أوطانِهِ حطبُ

ويعقب صاحب العقد، قائلاً :وهذان البيتان ليسا له ...الخ.

ثم يقول :وما ذكره ابن حزم، من أنه لم يولد لشكر، فيه نظر، لأن صاحب المرآة([29])، نقل عن محمد الصابي، أن أبا جعفر محمد ابن أبي هاشم الحسيني) الحسني (أمير مكة([30])، كان صهر شكر على ابنته .أ هـ.

وعندما تحدث الدحلان عن شكر وأبيه خلط في آخر ترجمة أبيه بينهما، فذكر أن البيتين :)وصلني الهموم ..الخ (لأبي الفتوح ولعله وهم .ثم يقول :([31])ثم ولي مكة بعد أبي الفتوح ابنه شكر، الملقب بتاج المعالي واسمه محمد ويكنى أبا عبد الله .وكان جواداً عظيم القدر، وفقد عليه بعض العرب، وكانت تحت العربي فرس مشهورة عجيبة الخلق فأعجبت الشريف

شكراً، لكن لم يسعه طلبها من العربي لكونه نزل عليه ضيفاً، فلما رجع ذلك العربي إلى أهله أرسل إليه الشريف شكر بعض قواده بمائة دينار، وقال :انزل عليه في بعض الطريق واشتر منه الفرس لك لا لي، ولا تذكرني له، فأدرك القائد ذلك العربي في بعض المنازل فنزل عليه، فلما عرفه أكرمه وفرح به، فأتاه بعد ساعة بلحم فأكل ونام، وفي الصباح ذكر له ما جاء من أجله وأنه يريد شراء الفرس، فأتاه العربي بجلده وأكرعها، وقال :إنك لما نزلت علينا البارحة كرهنا أن لا نذبح لك، فما وجدنا غير الفرس، فذبحناها، فشكر له القائد ذلك، وأسلمه المائة الدينار ورجع إلى الشريف شكر وأخبره، فقال له :أحسنت، ولو رجعت بالدراهم ألحقتك بالفرس، وأما الآن فأنت حر لوجه الله ([32]) !ثم ذكر وفاته في رمضان سنة 453)هـ (وخالف ذلك صاحب عمدة الطالب فقال :سنة464) هـ (فلعله خطأ من الناسخ . ثم ذكر البيتين) قوض خيامك(، وقد تقدما ونفيهما عنه، مع ملاحظة أن الدحلان نسب البيتين) وصلتني الهموم (إلى أبي الفتوح، وهذا خلاف ما في دمية القصر الذي هو المرجع الأصلي فيهما.

ولم يخرج في باقي أخباره عما قدمنا سابقاً.

أما العصامي فيسمي كل من تقدم بالسليمانيين، والحقيقة أن الطبقات الأربع :آل جعفر بن محمد، الذين يلقبون) بالموسويين(، والسليمانيون، والهواشم، والقتاديون، كلهم يرجع نسبهم إلى موسى الجون .فجعفر مؤسس الطبقة الموسوية، هو جعفر بن محمد بن حسين بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله الرضى بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنَّى ابن الحسن السبط.

والسليمانيون هم بنو أبي الطيب– واسمه داود –ابن عبد الرحمن بن القاسم بن أبي الفاتك بن داود بن سليمان بن عبد الله الرضى ابن موسى الجون .والهواشم، هو بنو أبي هاشم–

واسمه محمد- ابن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشم بن حسين الأمير ابن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله الرضى بن موسى الجون .ومن مؤرخيهم من يرى أن الهواشم نسبة إلى أبي هاشم بن حسين الأمير، وكلاهما على شجرتهم، وسنعود إلى ذلك.

وبنو قتادة، هم بنو قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبد الله الأكبر بن محمد الثائر بن موسى الثاني ...الخ .فكلهم موسويون، ولكنهم نسب كل منهم إلى جده الأدنى تفريقاً عن غيره، ولما أن بني جعفر بن محمد أول من ملك الحجاز انتسبوا إلى موسى نسب اعتزاز، ودفعاً للاشتباه كيلا يظن أنهم بنو جعفر بن أبي طالب .ونجد أن الشيخ أحمد السباعي عندما رأى العصامي بوب لبني جعفر بالسليمانيين أهمل التبويب لهم، وبينما هو- كما سيأتي -بوب للسليمانيين باسم) الطبقة الثانية من الأشراف) (السليمانيون.([33]) (

ومن آخر ما حقق في تأريخ مكة كتاب إتحاف الورى لابن فهد، فجاء في حوادث سنة 453)هـ (وفيها :مات أمير مكة شكر بن أبي الفتوح الحسني في رمضان، وبه انقرضت دولة السليمانية، وولي بعده إمرة مكة عبدٌ له، هكذا ذكر ابن حزم في الجمهرة، وقال صاحب مرآة الزمان- نقلاً عن محمد بن هلال :-إنه ولي مكة بعد شكر بنو أبي الطيب الحسنيون.

الخلاصة :

-1الخلط بين الطبقات التي حكمت، راجع إلى عدة أسباب :

)أ (عدم دقة التدوين في ذلك الزمن، فنرى معظم مؤرخي مكة ينقلون عن ابن حزم، وهو على فضله عاش بعيداً عن الحجاز، تأتيه الأخبار من غث وسمين، وقد رددنا عليه في) معجم

قبائل الحجاز (ما قاله عن كثير من تلك القبائل، فقد أفنى قبائل لا زالت بقضها وقضيضها في ديارها وبنفس أسمائها وأسماء فروعها.

)ب (كون هذه الأسر ترجع كلها إلى جد واحد، فيسمي الناس هؤلاء بني فلان، وقد يسمون بني عمهم بنفس الاسم .وقد ركزنا على تسلسل الأشخاص بصرف النظر عن اختلاف الطبقات.

-2حكمت الطبقة الموسوية، التي فرغنا الآن من أخبار آخرها) شكر(، مدة (95) خمس وتسعين سنة، من453 - 358) هـ(، وأولها جعفر بن محمد، وآخرها شكر بن أبي الفتوح الذي انقرضت الدولة بموته، وبدأ حكم السليمانيين أو آل أبي الطيب.

-3الخوض في عبد شكر بلا علم، فلا اسمه معروف، ولا مدته، ولا العقل يهضم أن يحكم مكة عبد، وهي مشحونة بأسر الأشراف، فلا هم يرضون بذلك، ولا الناس تقبل إمامة عبد، ولا الشرع يجيز ذلك.

ولكن الذي يتبادر إلى الذهن- إن صحَّت الرواية -فإن العبد تجرأ فور وفاة سيده فقام بالأمر، ثم أُسكت أو قضي عليه خلال ساعات، ولا أظنها أياماً، ولولا أمانة التأريخ ما ذكره كثير من مؤرخي مكة.

إلاّ أن السيدة إلهام سراج عمر أكبر، في رسالتها لنيل درجة الماجستير عن بلاد ينبع، جاءت بخبر ما رأيته قبل هذا، وهو أن عبد الشريف شكر الذي خلفه اسمه) :طِراد بن أحمد (
([34])وإحالته على غاية المرام(1/497) :، وعلى السباعي .(1/201) :ولكن بمراجعة المرجعين لم يوجد فيهما اسم العبد الذي دعته إلهام) طراد بن أحمد (وما ذكره من سبقها،

فمن أين أتت بهذا الاسم؟ وترى بعد هذا روايتها عن حمزة بن وهاس التي ناقشناها هناك .([35])ولم أنقل عن هذه الرسالة إلا هاتين الروايتين لغرابتهما، ولم تأتيا بشيء.

ثانياً :دولة الأشراف السليمانيين

-5الشريف أبو الطِّيب، وقومه السليمانيون، ودولتهم من455-453) هـ1063-1061 /م :(

وهم الطبقة الثانية من أشراف الحجاز .ينسب الأشراف السليمانيون إلى جدهم سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما.([36])

سكن السليمانيون مكة المكرمة بجوار بني عمهم الموسويين، فلما توفى شكر بن أبي الفتوح الموسوي، سارع السليمانيون إلى الاستيلاء على الحكم، فكونوا دولة لم تدم طويلاً كما سيأتي، فهاجمهم بنو عمهم الهواشم فانتزعوا ملك مكة منهم، فجلى السليمانيون إلى المخلاف السليماني) منطقة جازان اليوم (فانتشروا هناك ثم صارت لهم دول في ذلك المخلاف، ولهم اليوم فروع منتشرة في منطقة جازان ومحافظة القنفذة التابعة إمارة مكة المكرمة، من أهمها :آل

القطبي، وآل الخواجي، وآل الذروي وغيرهم، وفي محافظة القنفذة ::آل ابن حمزة، الفداحية، آل شبير، وغيرهم.

أبو الطيِّب :يقول صاحب العقد الثمين، في باب الكنى :(8/57) :أبو الطيب ابن عم أبي الفتوح الحسني أمير مكة.

ذكر بعض المؤرخين أن الحاكم العبيدي ولاه الحرمين لما خرج ابن عمه أبو الفتوح عن طاعته ولعله، والله أعلم، أبو الطيِّب بن عبد الرحمن بن قاسم بن أبي الفاتك بن داود ابن سليمان بن عبد الله بن عبد الله بن موسى ابن عبد الله بن الحسن) المثنى (بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

قلت :هذا التسلسل– فيما يبدو –هو الصواب، غير أن محقق العقد، قال :كذا تكرر عبد الله،– أي عبد الله بن عبد الله –في الأصول، وقد ذكر ابن حزم في الجمهرة أولاد موسى بن عبد الله بن الحسن ...الخ، ولم يتكرر فيها عبد الله كما تكرر في) أصول العقد الثمين.(

وتمام نص الفاسي في العقد :هكذا رأيت أبا الطيّب هذا منسوباً في حجر بالمعلاة، مكتوب فيه إنه قبر يحيى بن الأمير المؤيد بن الأمير قاسم بن غانم بن حمزة بن وهَّاس بن أبي الطيب، وساق بقية النسب كما سبق.

وذكر ابن حزم في الجمهرة– القول للفاسي –أبا الطيب هذا، وساق نسبه كما ذكرنا، إلا أنه أسقط– في النسخة التي رأيتها في الجمهرة –قاسماً، بين عبد الرحمن وأبي الفاتك، ويسمى أبا الفاتك عبد الله.

وذكر أن لعبد الرحمن اثنين وعشرين ذكراً، فذكرهم وذكر أبا الطيب فيهم، ثم قال :سكنوا كلهم أذَنَة، حاشا نعمة وعبد الحميد وعبد الكريم، فإنهم سكنوا أمج بقرب مكة .ولعل سكناهم أذَنَة للخوف من أبي الفتوح بسبب تأَمُّر أبي الطيب بعده .وأستبعد– والله أعلم –أن يكون الذي ولاّه الحاكم عِوَض أبي الفتوح أبا الطيب بن عبد الرحمن، لكون ابن جرير لم يذكر لأبي الطيب بن عبد الرحمن ولاية.

وذكره الشريف النسابة محمد بن محمد بن علي الحسيني في» أنساب الطالبيين «من بني أبي الفاتك هذا، وعد فيهم قاسماً وعبد الرحمن، قال :في كل منهما له عدد، إلا أنه قال في عبد الرحمن :أعقب من ولده لصلبه أحد عشر ذكراً، فيحتمل أن يكون والد أبي الطيب كما ذكر ابن حزم، ويحتمل أن يكون عم أبيه، واشتركا في الاسم .انتهى ما نقلناه على صاحب العقد الثمين .وهنا تعلقيان :

–1ذَيَّل محقق العقد على) أَذَنة (فقال :بالتحريك، ويقال أيضاً بكسر الذال، بلد من الثغور قرب المصيصة .قلت :وكان يذكر لفظ) أَذَنة (قرب حائل .وفي فلسطين) أُذْنة (قرية آهلة رأيتها سنة(1377) ، أما أذنة الثغور فتعرف اليوم باسم) أَطَنة :(وفي المعاهدات بين الحسين بن علي والإنجليز حددت بلاد العرب الواجب تحريرها من عدن إلى أطنة، وهذه كانت من بلاد الروم، فيستبعد أن يستوطنها الأشراف آنذاك، ولعل الصواب) أُذنة (في فلسطين لأنها من بلاد الشام.

–2قوله :حاشا :نعمة وعبد الحميد وعبد الحكيم، فإنهم استوطنوا أمج.

أقول :يعرف أمج اليوم بخُليص، وليس فيه أحد من هذه السلالة.

أما صاحب خلاصة الكلام فقد قال– في معرض كلامه –عن شكر المتقدم :ولم يخلف بعده إلا بنتاً، فولي الأمر بعده) عبدٌ له(، فغضب لذلك بنو الطيب المتقدم ذكره ([37])فانتزعوا الملك منه، ووقعت بينه وبين بني أبي الطيب مظالم وأشياء يطول الكلام بذكرها، وكان ممن ولي مكة من بني الطيب محمد بن أبي الفاتك بن عبد الرحمن بن جعفر.([38])

وفي سنة455) هـ (قدم إلى الحج صاحب اليمن علي بن محمد الصليحي، فدخل مكة في سادس ذي الحجة وملكها وانتزعها من بني أبي الطيب، واستعمل العدل والإحسان لأهل مكة فرخصت الأسعار واستراح الناس جداً وكثر الدعاء له، واستمر بمكة إلى يوم عاشوراء، وقيل إلى ربيع الأول، فقام الأشراف الحسنيون عليه، وقالوا له :أخرج إلى بلدك واجعل لك بمكة نائباً .فجعل على مكة محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن هاشم .انتهى مختصراً .)خلاصة الكلام.(18 :

قلت :وفي هذا التأريخ بدأت دولة الهواشم، الطبقة الثالثة من أشراف الحجاز.

أما العصامي فيذكر ما فيه بعض الخلاف عما تقدم، فيعقد عنواناً بارزاً، فيقول :

ذكر دولة السليمانيين، ومنهم آل أبي الطيب :([39])

قال ابن خلدون :وكان كبيرهم آخر المائة الثانية محمد بن سليمان، وليس هو سليمان ابن داود بن المثنى، لأن ذاك ذكر ابن حزم أنه قام بالمدينة أيام المأمون، وبين العصرين نحو مائة سنة، فيبعد أن يكون محمد بن سليمان هذا هو محمد بن سليمان بن داود القائم بالمدينة، إلا أنه من ولده.([40])

كان أول من خطب لنفسه بالإمامة محمد ابن سليمان) هذا (سنة **301**) م (أيا المقتدر العباسي، وخلع طاعة العباسيين وخطب في الموسم، فقال :

الحمد لله الذي أعاد الحق إلى نظامه، وأبرز زهر الإيمان من أكمامه، وكمَّل دعوة خير الرسل بأسباطه لا ببني أعمامه، صلى الله عليه وعلى آل الطاهرين، وكف عنهم ببركته إساءة المعتدين وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم الدين، ثم أنشد :

لأطلبنّ بسيفي ما كان للحق دينا

وأسطونّ بقومٍ بغوا وجاروا علينا

يهدون كلّ بلاءٍ من العراق إلينا

وكان يلقب بالزيدي نسبة إلى نحلته من مذهب الإمامية.

قلت :وهذا الثائر في نهايته غموض، فلم أجد من ذكر هذه النهاية، غير أن أمره لم يدم طويلاً، ولعله قتل في تلك السنة أو التي بعدها .والله أعلم.

أما محمد بن جار الله أو محمد جار الله ابن محمد نور الدين، صاحب الجامع اللطيف، فيقول :([41])ثم ولي مكة بعد شكر بنو أبي الطيب الحسينيون([42])، وهم الذين يقال لهم السلمانيون، من جماعة شكر، ولم يذكر الفاسي عدتهم) أي مدة حكمهم(، ثم ولي مكة علي بن محمد الصُّليحي صاحب اليمن، وذلك في سنة455) هـ (في شهر ذي الحجة، وأظهر العدل) ...إلى آخر قصة الصليحي المتقدمة .(ثم ولي بعده نائباً أبو هاشم محمد بن جعفر بن

محمد) ...إلى آخر ما سيأتي في دولة الهواشم .(أما الشيخ السباعي ([43])شيخ مؤرخي مكة في هذا العصر، فذكر دولة السليمانيين، فقال :الطبقة الثانية من الأشراف» السليمانيون.«

ولم يدم حكم العبد طويلاً في مكة([44])، لأن السليمانيين، أصحاب الطبقة الثانية من الأشراف، لم يلبثوا أن قبضوا على أزمة الأمر بعد أن أجلوا العبد عن الحكم، وأجلوا بذلك جميع الموسويين من الأشراف حكام الطبقة الأولى.([45])

ثم يقول :ولم يتمتع السليمانيون طويلاً بهذا الحكم، فقد اقتحم عليهم الصليحي صاحب اليمن بعد سنتين من استئثارهم بالحكم، ولم يذكر مؤرخو مكة أسماء من تولى مكة منهم إلاّ اسم محمد بن عبد الرحمن من أحفاد أبي الفاتك .أ هـ، ما قاله السباعي .وقد ذيل في هامش ص (201)بقوله :هم أولاد سليمان بن عبد الله بن موسى الجون ..الخ.

قلت :وظاهر الغموض في تأريخ هذه الأسرة، ولعل ذلك يرجع إلى عدة عوامل، منها :

-1عدم وجود مؤرخين آنذاك في مكة يرصدون الحوادث أولاً بأول.

-2حداثة الدولة، ذلك أن قصر مدة الدولة لا يمكِّن المؤرخ من تدوين حوادثها، بل إن قصر المدة مما يزهد في ذلك، لعدم انتفاع الناس بها وعدم استقطابها للفئات النابهة، كما أن الدولة المتغلبة كثيراً ما تصل إلى هذا المكان بالإكراه وإرهاب الأمة، وقسرها، كما هو مشاهد في كل عهد جديد، مما يجعل الدولة مبغضة من فئات الأمة، ولذا فهم إما يهملونها أو يلصقون بها ما لم تأت، وهذا مقروء ومشاهد، إلا أن هذه الأسر الشريفة لها أثر روحي قد يجعل الكثيرين يتورعون من بهتها ومنابذتها، فيكون إهمالها أهون عليهم.

3- خمول سبق قيام الدولة لما كان يتلقاه العلويون من الدولة العباسية من سجن وتشديد بلغ من القسوة أن ولد لنا الباطنية والمدعية، ولذا أُبهم على المؤرخين الأمر واختلفوا في عدهم إلى موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى، على أن ذريتهم اليوم يحتفظون بمشجرات صحيحة وسليمة العد، لا يتطرق إليها الشك.

وأخيراً لم أرد من ذكر ولادة أبي الطيب ولا وفاته، ولم يصرح أحد أنه استلم الحكم إلا ما تقدم في أخبار أبي الفتوح، وخروجه على العُبيدي.

ولم أر من ذكر مدى اتساع دولة السليمانيين، غير أنه من الواضح أنهم لم يجمعوا بين الحرمين، يؤخذ ذلك من قول صاحب تأريخ أمراء المدينة المنورة :([46])حيث ذكر أن محمد بن جعفر- أحد طبقة الهواشم -أمير الحرمين سنة463) هـ(، وأول ولايته لمكة سنة455) هـ(، وهو ما سيأتي إن شاء الله.

أي أن محمداً هذا هو الذي ورث السليمانيين ثم لم يبسط نفوذه على المدينة إلا بعد ثمان سنين، فلوا أن السليمانيين كانوا قد جمعوا بين مكة والمدينة كان مستبعداً انفصال المدينة في هذه السنوات، والله أعلم.

انتهى بحث آل أبي الطيب من الأشراف السليمانيين، وبنهايته انتهت الطبقة الثانية من أشراف الحجاز.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

6- الشريف ابن وهَّاس -) ([47])هـ - /م :(

حمزة بن وهّاس بن أبي الطيب، الشريف السليماني، الشهير بابن وهاس، ممن حكم مكة أو ترأس السليمانيين في آخر عهدهم.

لم أجد من ترجم له فيما بين يدي من مراجع، ولكن له نبذاً هنا وهناك، وذكره عند السادة السليمانيين نابه، ويعدونه أشهر أسلافهم بعد جدهم سليمان، وإن كان جده أبو الطيب أشهر منه عند المؤرخين .ونظراً لهذه الشهرة لم يسعني تجاهله، فإليك نبذاً مما ورد عنه في بعض تواريخ مكة.

التقي الفاسي، لم يذكره في العقد رغم أنه ذكر حفيده الآتية ترجمته، ولكنه ذكره في شفاء الغرام([48])، فقال– بعدما ذكرناه في ترجمة أبي هاشم اللاحقة :–فقصده الحسنيون بنو سليمان مع) حمزة ابن أبي وهاس (كذا قال الفاسي) ابن أبي وهاس(، والصواب ابن وهاس من طرق كثيرة، منها :ترجمة حفيده التالية .ثم يقول :ولعل بني أبي الطيب المشار إليهم في هذا الخبر، من أولاد الطيب الذي ذكرنا نسبه، ولعل حمزة ابن أبي وهاس) ابن وهاس (المذكور في هذا الخبر أيضاً حفيد أبي الطيب المشار إليه، لأن ذلك يوافق ما في الحجر الذي رأيته بالمعلاة .([49])والله أعلم.

ثم أحال الفاسي على) المرآة (حوادث سنة455) هـ .(فإذا كان يقصد مرآة الجنان لليافعي، فإن هذا الخبر لم يرد في حوادث السنة المذكورة، ولا قبلها بسنوات ولا بعدها بمثل ذلك، وهي السنوات التي كان للصليحي كلمة فيها على مكة.

وقال عبد العزيز بن فهد– ([50])ولعله عن الفاسي نقل، بعد خبرصص :– أفام نائباً عنه بمكة محمد بن أبي هاسم، فقصده الحسنيون بنو سليمان مع حمزة بن أبي وهاس ..إلى آخر رواية الفاسي المتقدمة.

ثم قال :([51])وذكر صاحب المرآة ما يقتضي أن بني أبي الطيب ملكوا مكة بعد شكر، وهذا خبر تقدم وبعده ما يوضحه .في مكان آخر ,قال :([52])وهذا الذي ذكره صاحب المرآة يتضمن ولاية ابن أبي الطيب لمكة بعد شكر، ثم ولاية الصليحي لها، ثم ولاية ابن أبي وهاس.

وفاته :بما أنه لم تصل إلينا ترجمة لحياته، فمن الحاصل ألا يكون لدينا تأريخ لوفاته، ولكن من الثابت أنه عاصر كلاً من أبي هاشم محمد بن جعفر، وأمير اليمن :علي بن محمد بن علي الصُّلَيْحي، فالأول توفي سنة 586) أو587 هـ(، أما الثاني) الصُّلَيْحي (فقد توفي سنة 573)هـ.(

ولكن يبدو أن المرآة التي ذكرها الفاسي هي) مرآة الزمان (لسبط ابن الجوزي المتوفى سنة 654)هـ (وهو كتاب ليس بين يدي، ولكن لا أعتقد أن الفاسي ترك مما يخص حمزة شيئاً في ذلك المرجع.

أما ابن عنبة، فقال :أبو الطيب داود بن عبد الرحمن، وذكر أنهم في عهده في المخلاف، وعد منهم بني وهاس، وسبعة بطون غيرهم.([53])

ثم قال :وأعقب وهاس بن أبي الطيب :محمداً وحازماً ومختاراً وصالحاً وحمزة .ولحمزة بن وهاس هذا صارت مكة، بعد وفات شكر.

ثم قال :وقامت الحرب بين بني موسى الثاني) الهواشم (وبين بني سليمان مدة سبع سنين، حتى خلصت للأمير محمد بن جعفر أبي هاشم، ولم يملكها من بني سليمان سوى حمزة بن وهاس.

قال مؤلفه :وهذا النص فيه :

-1إنه حمزة بن وهاس، وليس كما قال الفاسي) ابن أبي وهاس.(

-2غالب هذا النص لم يرد في تواريخ مكة المتقدمة، وما ورد هنا يشوبه التشويش، وقول ابن عنبة عليه المعول لأن رسالته هذه متخصصة في أنساب آل أبي طالب .([54])وبهذا يكون قد انجلى كثير من الغموض الذي كان يكتنف هذا البحث، ولكن تظل وفاة ابن وهاس غي معروفة لدينا، ولعل ذلك يعود إلى انتقاله إلى اليمن، وبعده عن المؤرخين فغمض عليهم.

وجاء في رسالة الطالبة إلهام سراج عمر أكبر، المقدمة لنيل درجة الماجستير في) بلاد ينبع (لسنة 1419) هـ 1999/م (جاء ذيلاً ص) :(122) حمزة بن وهاس هو أبو الطيب داود بن عبد الرحمن بن قاسم بن أبي الفاتك عبد الله بن داود بن سليمان ...الخ.

قلت :كيف يكون حمزة أبو الطيب داود ..الخ؟ وأحلت على ابن عنبة ص224) ، .(225 ولكن محل الإحالة لم يظهر فيه ما ذكرت، بل قال :وأعقب وهاس بن أبي الطيب ستة رجال .ومعنى ذلك :أن حمزة بن وهاس بن أبي الطيب .والله أعلم.

7-الشريف علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس بن أبي الطيب، يكنى أبا الحسن، ويعرف بابن وهاس، من الأشراف السليمانيين، وكان من آخر من بقي منهم في مكة -) . 550هـ - 1155 /م.)

ذكره التقي الفاسي([55])، نقلاً عن العماد في الخريدة([56])، فقال :من أهل مكة وشرفائها وأمرائها، من بني سليمان بن حسن، وكان ذا فضل غزير، وله تصانيف مفيدة، وقريحة في النظم والنثر مجيدة .قرأ على الزمخشري ([57])بمكة وبرز عليه، وصرفت أعنة طلبة العلم بمكة إليه .توفي في أول ولاية الأمير عيسى ابن فليتة أمير مكة، في سنة ست وخمسمائة، وكان الناس يقولون :ما جمع الله بين ولاية عيسى، وبقاء علي بن عيسى.

أنشدني له من قطعة :

أهلا بها من بنات فكر

إلى أبي عذرهن صاد([58])

وله مرثية في الأمير قاسم، جدّ الأمير عيسى .انتهى ما ذكره العماد من خبره، وسنذكر هذه في ترجمة قاسم.

ومن شعره ما ذكره الحافظ أبو طاهر السلفي في» معجم السفر «له، وقد روينا عن الحافظ أبي طاهر السلفي .قال :أنشدنا أبو بكر شهم بن أحمد بن عيسى الحسني المكي بديار مصر .وذكر أنه كتب عنه أشياء من الشعر لابن وهاس لغرابة اسمه، قال :أنشدني أبو الحسن علي بن حمزة لنفسه بمكة :

وسائلةٍ عني أهَلّ هو كالذي

عهدنا صرومَ الحبلِ ممن يجاذِبُه

أم ارتجعتْ منه الليالي وربما

تُفَلِّلُ من حد اليماني مضاربُهْ

فقلت لها إني لترَّاكُ منزٍ

إلى حبيب حين يزوَرُّ جانبُهُ

ومن شعره ما مدح به شيخه أبا القاسم الزمخشري حيث يقول :

وأحرِ بأن تزهو زمخشَر بامرئ

إذا عُدَّ من أُسدِ الشرا زَمَخَ الشرا

جميعُ قرى الدنيا سوى القريةِ التي

تبوأها داراً فِداءَ زمخشرا

وللزمخشري في ابن وهاس يمدحه:

ولولا ابنُ وهاس وسابق فضلِهِ

رعيتُ هشيماً وانتقيت مُصَرَّدا

ولأجل ابن وهاس صنف ابن حزم» الكشاف.«

وبلغني عن شيخنا القاضي مجد الدين الشيرازي، أن ابن وهاس هذا، اسمه :عُلَيّ([59])، بضم العين المهملة وفتح اللام تصغير علي، وهذا بعيد أن يقع من الأشراف، لفرط حبهم في علي رضي الله عنه، فلا يصغرون اسمه، ولم أر ذلك في شيء من الكتب المؤلفة في» المؤتلف خطأً والمختلف لفظاً «وقد ذكروا فيها من هو دون ابن وهاس، والله أعلم.

وكان ابن وهاس هذا إمام الزيدية بمكة، كذا ذكر ابن المستوفي في» تاريخ إربل «في إسناد حديث رواه عن الشريف تاج العلاء أبي زيد الأشرف بن الأعز بن هاشم الحسيني عنه، عن أبي طاهر المخلص، وقال :هكذا أملى علينا هذا الحديث، تاج العلاء، وقد سقط بين »السليماني «يعني ابن وهاس، وأبي طاهر، لأنه لا يتصور أن يكون السليماني أدرك أبا طاهر . انتهى.

ومن الفوائد المنقولة عن ابن وهاس، أن» وادي الزاهر «أحد أودية مكة المشهورة، فيما بين التنعيم ومكة، هو» فخ «الذي ذكره بلال رضي الله عنه في شعره.

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة

بفخ وحولي إذخر وجليل

قال ومؤلفه :وقد علق على الترجمة محقق العقد الثمين، هكذا :وقد ترجم له أيضاً الصفدي في الوافي بالوفيات) القسم المخطوط (وقال» :توفي سنة نيف وخمسين وخمسمائة، وهو في عشر الثمانين وأصله من اليمن.«

كما ترجم له عمارة اليمني في آخر كتابه» المختصر المفيد في أخبار زبيد «قسم الشعراء . وذكره ياقوت في معجم البلدان) مادة زمخشر (حين تحدث عن ابن حزم .وكذلك فعل القفطي في إنباه الرواة.(365 :3)

قال مؤلفه :أما تسميته بعُلي، بالتصغير، فلعلها كانت من باب تدليل الوالدين في صغره، فهذه من عادة العرب عامة وأهل الحجاز خاصة، فهم يدللون واصلاً بوصيل، ومن حُمِّد بحُمَيْد أو حُمَيْدان ..الخ .أما قول صاحب الوافي بالوفيات :وأصله من اليمن .قد لجأوا إلى المخلاف السليماني، فظنه موطنهم الأصلي، وأن علياً هذا كان مجاوراً بمكة، وليس كذلك، فهو من السليمانيين الذين صارت لهم دولة بمكة، تحدثنا عنهم قبيل هذا.

ثالثاً :دولة الأشراف الهواشم

الأشراف الهواشم، الطبقة الثالثة من أشراف الحجاز

من سنة 597 – 456) هـ 1200 –1063 /م(

أي نحو (142) سنة هجرية

***

يسمون الهواشم ويسمون الأمراء، أما تسميتهم بالهواشم فنسبة إلى جدهم محمد أبي هاشم مؤسس دولتهم، الآتي ذكره، أما تسميتهم بالأمراء فنسبة إلى جدهم :الحسين الأمير، قال ابن عنبة :وأما محمد الأكبر بن موسى الثاني، ويقال له :الثائر، فأعقب من صلبه خمسة رجال وهم :عبد الله الأكبر والحسين الأمير ..الخ([60])، وذريتهم اليوم منتشرون في مكة ومر الظهران، وينتسبون :الأشراف الهواشم، والأشراف الأمراء.

–8الشريف أبو هاشم محمد بن جعفر

586–)أو587 هـ 1190– /أو1191 م:(

سبق معك في البحث السابق قصة الصليحي صاحب اليمن، واستيلاؤه على مكة والحج بالناس سنة455) هـ(، فلما قضى حجه، يقول الفاسي :وأقام إلى يوم عاشوراء- أي سنة 456)هـ -(وراسله الحسنيون، وكانوا قد أبعدوا عن مكة :اخرج من بلدنا ورتّب منا من تختاره، فرتّب محمد بن أبي هاشم في الإمارة، ورجع إلى اليمن .ومحمد ابن أبي هاشم صهر شكر على ابنته، وأمّره على الجماعة- أي الصليحي -وأصلح بين العشائر، واستخدم له العساكر، وأعطاه مالاً وخمسين فرساً وسلاحاً ..الخ.([61])

قلت :ويكاد يجمع المؤرخون على أن محمداً هذا هو محمد أبو هاشم بن جعفر بن محمد أبي هاشم بن عبد الله بن محمد أبي هاشم بن الحسين الأمير بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجَون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب.

ودامت ولاية أبي هاشم ثلاثين سنة، أي من486-456) هـ.([62]) (

ولكن حفيد هؤلاء الهواشم الشاب :إبراهيم بن منصور، مؤلف كتاب) :الأشراف الهواشم الأمراء ([63]) (يستدرك قائلاً :وهم من بني أبي هاشم محمد الأمير بن الحسين الأمير بن محمد الثائر بن موسى الثاني- إلى آخر ما تقدم -ثم :وأول من تولى إمرة مكة منهم أبو هاشم الأصغر محمد بن عبد الله بن أبي هاشم محمد الأمير بن الحسين الأمير، بخلاف ما قرره المؤرخون من أن طبقة الهواشم عرفت من عهد أبي هاشم محمد بن جعفر.([64])

وإتمام رواية الفاسي في شفاء الغرام ...:وأقام محمد ابن أبي هاشم بمكة نائباً عنه) الصليحي (فقصده الحسنيون بنو سليمان مع حمزة بن أبي وهاس، فلم يكن له به طاقة فحاربهم وخرج

من مكة فتبعوه، فرجع فضرب واحداً منهم ضربة فقطع ذراعه وفرسه وجسده ووصل)السيف (إلى الأرض، فدهشوا ورجعوا عنه، وكان تحت فرس تسمى» دنانير «لا تكل ولا تمل، وليس لها في الدنيا شبيه .ومضى إلى وادي ينبع وقطعه الطريق عن مكة ...إلى أن يقول :ولعل حمزة بن وهاس المذكور في هذا الخبر حفيد أبي الطيب المشار إليه.

وذكر شيخنا ابن خلدون ما يقتضي أبن ابن أبي هاشم ولي مكة في سنة454) هـ (بعد أن قاتل السليمانيين) قوم شكر (وغلبهم ونفاهم عن الحجاز، والله أعلم بذلك.

وعاد ابن أبي هاشم بعد خروجه من مكة إلى إمرتها، ودامت ولايته عليها– فيما أحسب – إلى أن مات في سنة بضع وثمانين، كما ذكر ابن الأثير وغيره، ورأيت في تأريخ ابن الأثير أن هؤلاء) التركمان (طلبوا من ابن أبي هاشم أموال الكعبة التي أخذها وأنهم نهبوا مكة ..الخ . وهو– أي أبو هاشم –أول من أعاد الخطبة العباسية بمكة، بعد قطعها من الحجاز نحو مائة سنة، ونال بسبب ذلك مالاً عظيماً من السلطان الب أرسلان السلجوقي، فإنه خطب له بمكة بعد القائم الخليفة العباسي،) خلافته468 – 422 :هـ(، وصار بعد ذلك يخطب حيناً للمقتدي بن القائم العباسي، وحيناً للمستنصر العُبَيدي صاحب مصر، ويقدم في ذلك من تكون صلته أعظم، ولعل ذلك سبب إرسال التركمان إلى، وذكر شيخنا ابن خلدون أن مدة إمرته على مكة ثلاثون سنة، وأنه ملك المدينة، انتهى عن شفاء الغرام بقليل من الاختصار.

أما النجم ابن فهد، فيقول في حوادث سنة456) هـ :(فيها في المحرم بعث الأشراف الحسنيون إلى علي بن محمد الصليحي– وكانوا قد هربوا عن مكة لما دخلها الصليحي :–أن أخرج من بلادنا ورتّب منا من تختاره .فرتب أبا هاشم محمد بن جعفر ابن محمد بن عبد الله ابن أبي هاشم محمد بن الحسين) الأمير ...(الخ النسب المعروف .وكان صهر شكر بن أبي الفتوح علي ابنته، وأمرَّه– أي الصليحي –على الجماعة، إلى آخر ما نقلناه سابقاً عن رحل إلى اليمن

متخوفاً من الأشراف العلويين، لأنهم تجمعوا، فكان أن وقع الوباء في أصحابه، فمات منهم سبعمائة رجل، ولم يبق منهم إلاّ نفر يسير، فأقام بمكة– نائباً عنه –أبا هاشم ثم سار الى اليمن .([65])ثم الرواية المتقدمة، وقصة محاربة السليمانيين له، وفرسه دنانير وضربة السيف البتار، وسفره إلى ينبع ...الخ.

ونراجع كتاب العز بن فهد ([66])فنجده لم يشذ عن أبيه ومن تقدمه، فينقل عن صاحب المرآة حج الصليحي سنة455) ه(، وما فعله الصليحي وما فعله الأشراف في نهاية الحج، وتولية محمد بن جعفر الأمير.

إلا أن العز يورد :وذكر بعضهم أنه لما افتتح الخطبة العباسية قال:

الحمد لله الذي هدى بأهل بيته إلى الرأي المصيب، وعوَّض بنيه بلبسة الشباب بعد المشيب، وأمال قلوبنا إلى الطاعة، ومتابعة أهل الجماعة .وترك الأذان بحي على خير العمل ([67]) وكان فعله ذلك سنة462) ه.(

ثم يقول :فلما لم يصل– في سنة467) ه –(من جهة الخليفة العباسي ما كان يصل لأمير مكة، قطع خطبة المقتدي العباسي، وصادف مع ذلك أن المستنصر) العبيدي (أرسل إليه بهدايا وتحف ليخطب له، وقال له :إنما كانت أيمانك وعهودك للقائم وللسلطان ألب أرسلان، وقد ماتا، فخطب للمستنصر، ثم قطع خطبته في سنة468) ه (وخطب للمقتدي :عبد الله بن محمد الذخيرة بن القائم العباسي .وصار يخطب تارة لبني العباس وتارة لبني عبيد .قال العز بن فهد :ثم هرب ابن أبي هاشم من مكة في سنة484) ه (إلى بغداد لما استولى عليها التركمان الذين أرسلهم السلطان ملكشاه عبن ألب أرسلان السلجوقي للاستيلاء على الحجاز واليمن، إلى أن يقول :وذكر شيخنا ابن خلدون أن ابن أبي هاشم هذا جمع جموعاً من

الترك، وزحف بهم إلى المدينة، وأخرج منها بني حسين ([68])وملكها، وجمع بين الحرمين، وأن ولايته كانت (33) سنة.

ثم يقول :ووقع في النسخة التي رأيتها من تأريخ شيخنا ابن خلدون– في نسب ابن أبي هاشم هذا –سقط وتخبيط في نسبه، لأنه أسقط بن جعفر وأبي هاشم محمد بن عبد الله، وصحّف الحسين والد أبي هاشم بالحسن، والصواب ما ذكرناه، أي الحسين الأمير .ابن ظهيرة قال :([69])ثم عاد محمد بن جعفر إلى مكة بعد خروجه، واستمر متولياً إلى أن مات في سنة487) هـ (وهو أول من أعاد الخطبة العباسية بعد أن قطعت نحو مائة سنة .وقد بالغ ابن الأثير في ذمه، فقال :ما له ما يمدح به .قال الفاسي :ولعل ذلك لنهبه الحاج، وقتله خلقاً كثيراً منهم في سنة ست وثمانين، وذكر ابن خلدون أن إمرته على مكة كانت ثلاثين سنة، وأنه ملك المدينة.([70])

أما العِصامي فكعادته عقد فصلاً، قائلاً :هؤلاء الهواشم من ولد أبي هاشم محمد بن الحسن بن الحسن بن محمد بن موسى) الثاني([71])(، وبقية النسب كما هو معروف، وقد قدمناه.

قلت :قول العصامي محمد بن الحسن، لعله يقصد جد جد المترجم هنا، وهو أبو هاشم محمد بن الحسين الأمير بن محمد الثائر بن موسى الثاني .وجملة) الحسن بن الحسن (فيها :الحسن الأول مقحم لا أصل له، والحسن الثاني صوابه الحسين، وهو أول من لقب بالأمير، ولذا تنتسب ذريته اليوم الأمير .وهذا النسب متفق عليه إلى علي كرم الله وجهه.

ثم يقول العصامي :ولما مات شكر ذهبت الرئاسة من بني سليمان ([72])لأن شكراً آخرهم ولم يعقب .وتقدم فيهم طراد بن أحمد، ولم يكن من بيت الإمارة، وإنما كانوا يؤملونه لإقدامه ورأيه وشجاعته، وسبقت الإشارة إليه، ولكن العصامي هنا لم يقل أن طراداً هو عبد شكر، ثم

إنه ورد في غير مكان الإحالة، وعلى كل حال فإلماح الأخت هيام له ما يبرره مع غموض في قصة عبد شكر .وكان رئيس الهواشم يومئذ أبا هاشم محمد بن جعفر بن أبي هاشم محمد بن الحسن) الحسين ([73])(بن محمد ...اله، وكان قد ساد في الهواشم وعظم ذكره .فاقتتلوا سنة أربع وخمسين وأربع مائة، بعد موت شكر، فهزم الهواشم بني سليمان وطردوهم عن الحجاز، فساروا إلى اليمن، وكان لهم به ملك.([74])

فاستقل بإمارة مكة الأمير أبو هاشم محمد بن جعفر بن أبي هاشم محمد بن الحسن ([75]) المذكور، وخطب للمستنصر العبيدي .ثم ابتدأ الحاج العراقي سنة456) هـ (بنظر السلطان ألب أرسلان السلجوقي حين استولى ذلك فبذل المال وأخذ رهائن من العرب، وحج بالناس أبو الغنائم نور الهدى الزيني ([76])نقيب الطالبيين، ثم جاور في السنة التي بعدها واستمال الأمير أبا هاشم عن طاعة العبيديين، فخطب لبني العباس سنة ثمان وخمسين وأربع مائة458) هـ(، وانقطعت ميرة مصر عن مكة، فعذله أهله عما فعل، فرد الخطبة للعبيديين، ثم خاطبه القائم العباسي وعاتبه وبذل له الأموال فخطب له سنة462) هـ (بالموسم فقط، وكتب للمستنصر العبيدي الزيني– المتقدم –سنة463) هـ (أميراً على الركب العراقي ومعه عسكر ضخم لأمير مكة من عند ألب أرسلان، وثلاثون ألف دينار، وتوقيع بعشر آلاف دينار، واجتمعوا بالموسم، وخطب الأمير أبو هاشم للقائم العباسي، فقال :الحمد لله الذي هدانا أهل بيته إلى الرأي المصيب، وعوض بنيه لبسة الشباب بعد لبسة المشيب .وأما قلوبنا إلى الطاعة، ومتابعة الجماعة .فانحرف المستنصر ابن الظاهر بن الحاكم العبيدي) الفاطمي (صاحب مصر عن الهواشم، ومال إلى السليمانيين، وكتب إلى علي بن محمد الصليحي صاحب دعوتهم باليمن أن يعينهم) السليمانيين (على استرجاع ملكهم، وينهض معهم إلى مكة، فنهض وانتهى إلى المهجم([77])، وكان سعيد بن نجاح الأحول موتوراً من الصليحي قد جاء من الهند ودخل صنعاء فثار بها واتبع الصليحي وهو ف سبعين رجلاً والصليحي في خمسة آلاف فبيته بالمهجم وقتله.

ومعاصرنا أحمد السباعي، عقد فصلاً أيضاً، فقال :

الطبقة الثالثة من الأشراف» الهواشم.([78])«

ثم قال :ولم يطل مقام الصليحي في مكة إلى أكثر من شهر واحد لأنه ما لبث أن اختار لحكمها مؤسس الطبقة الثالثة؛ أبا هاشم محمداً بن جعفر بن محمد حفيد الحسين الأمير، وهو يجتمع مع الحسين هذا في الطبقة الأولى، كما يجتمع مع الطبقتين الأولى والثانية في جده الثامن عبد الله بن موسى الجون.

وقد زوده الصليحي بالمال والسلاح وأفرد له جيشاً يستعين به على امن البلاد .إلى أن يقول –ص :–(204) وهكذا ظل العباسيون والفاطميون يتناوبون استرضاء أبي هاشم بالهدايا والأموال عدة سنوات إلى أن كان عام484) هـ (حيث رأى العباسيون أن الفاطميين استطاعوا أن يستميلوه إليهم فقرروا أن يعاملوه بالعنف، فأرسلوا قوة من التركمان لقتال مكة فقاتلها أبو هاشم قتالاً عنيفاً، ثم يئس من النصر ففر إلى بغداد، ولعله أراد بذلك أن يسترضي العباسيين.

وعانت مكة كثيراً من الضيق والغلاء والشدة في هذا العهد، وذلك نتيجة طبيعية للنزاع الذي جرته الدعوة على منبر هذا البلد بين قوتين .وظل أبو هاشم في أخريات أيامه يدعو للعباسيين إلى أن توفي سنة487) هـ.([79])(

وبوفاة أبي هاشم انتقل الحكم إلى ابنه قاسم، كما سيتبع.([80])

وإذا كان لنا أن نرجع إلى مرجع معاصر هو) تأريخ أمراء البلد الحرام (للشيخ عبد الفتاح رواه ([81])نجده قال– يذكر الصليحي :–واستمر بمكة إلى يوم عاشوراء، وقيل إلى ربيع الأول أي سنة456) هـ (فقام عليه الأشراف الحسينيون، وقالوا :اخرج إلى بلدك، فجعل على مكة الشريف محمد بن جعفر ...الخ، قلت :قوله) الحسينيون، كذا (وصوابه) الحسنيون(، لأن أشراف مكة كلهم من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنهما، أما الحسينيون فهم أشراف المدينة .ولم يتعرض مترجموه لنواحيه الاجتماعية، مثل :الزواج والأبناء ونحو ذلك.

–9الشريف قاسم بن محمد أبي هاشم، وباقي الترجمة في ت ترجمة أبيه المتقدمة قبل هذا 518–)أو 517 هـ 1124 – /م أو 1123 م:(

الفاسي، قال :وولي مكة بعد أبي هاشم قاسم بن محمد مدة يسيرة، ثم وليها بعده :أصبهيد)أصبهيد ([82])(بن سارتكين، لأنه في هذه السنة استولى على مكة عنوة، وهرب منها قاسم المذكور، وأقام بها أصبهيد إلى شوال سنة487) هـ .(ثم أن قاسماً جمع عسكراً وكسر أصبهيد بعسفان([83])، فانهزم أصبهيد إلى الشام فدخل قاسم مكة، ودامت ولايته عليها، فيما علمت، حتى مات سنة518) هـ.(

هكذا ذكر وفاته ابن الأثير وغيره، ووجدت) لا زال الكلام للفاسيُّ (بخطي فيما نقلته من تأريخ الإسلام للذهبي أنه توفي سنة518) هـ (ووجدت أيضاً ذلك فيما نقلته من تأريخ ابن خلدون في ترجمته، واستمرت إمرته ثلاثين سنة على الاضطراب .انتهى.([84])

قلت :بين وفاته ووفاة أبيه اثنتان وثلاثون سنة، كلها حكم فيها ما عدا أصبهيد، أقل من سنة.

وقال ابن فهد الأبُ :سنة سبع وثمانين وأربع مائة، فيها مات أمير مكة محمد أبو هاشم ... فولي بعده قاسم ابنه، ثم استولى على مكة أصبهيد بن سرتكين عنوة، وهرب عنها صاحبها الأمير قاسم([85])، إلى آخر ما روينا عن شفاء الغرام آنفاً.([86])

ويذكر ابن فهد في حوادث سنة515) هـ :(فيها ظهر بمكة إنسان علوي من فقهاء النظامية ببغداد، وأمر بالمعروف فكثر جمعه، ونازع أمير مكة قاسم، فقوي أمره، وعزم على أن يخطب لنفسه فعاد ابن أبي هاشم وظفر به، ونفاه عن الحجاز إلى البحرين.

قلت :في هذا الخبر :أن أمير مكة قاسم كان قد خرج من مكة خوفاً من هذا العلوي، وأن قاسماً عندما ظفر به نفاه إلى البحرين، ولم يقتله باعتباره إرهابياً، كما يفعل الناس اليوم.!

النظامية :مدرسة في بغداد، أسسها نظام الملك الحسن بن علي الملقب بنظام الملك قوام الدين الطوسي سنة457) هـ .(خرَّجت علماء جهابذة .البحرين :كان اسماً للإقليم الممتد من قطر إلى الكويت .أما جار الله– في الجامع اللطيف –فقد جاء بنفس ما ذكره الفاسي تماماً.

وقال العز بن فهد :([87])قاسم بن محمد بن جعفر بن أبي هاشم بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى الثاني.

قلت :قوله :جعفر بن أبي هاشم بن محمد، أبو هاشم هو محمد لا ابن محمد .ثم أسقط عبد الله ومحمد أبا هاشم الجد .أما قوله :أبو هاشم بن محمد بن الحسن .الحسن صوابه الحسين الأمير، وهذا تصحف عند غير واحد.

فترجمه القاسم، هي :القاسم بن محمد أبي هاشم بن جعفر أبو الفضل بن محمد أبي هاشم بن عبد الله بن أبي هاشم محمد ابن الحسين الأمير بن محمد الثائر بن موسى([88])، وبقية العد لا خلاف فيه.

وكناه العز أبا محمد، وقال- نقلاً عن النويري في تأريخه في أخبار سنة اثنتي عشرة وخمسمائة :-أن أبا محمد قاسماً أمير مكة عمّر مراكب حربية، وشحنها بالمقاتلة، وسيرهم إلى عيذاب، فنهبوا مراكب التجار، وقتلوا جماعة منهم، فحضر من سلم من التجار إلى باب الأفضل- يعني أمير الجيوش وزير الديار المصرية -وشكوا ما أخذ منهم، فأمر بعمارة حراريق ([89]) ليجهّزها له، ومنعه الناس أن يحجوا في سنة514) هـ (وقطع الميرة عن الحجاز، فغلت الأسعار .وكان الأفضل قد كتب إلى الأشراف بمكة يلومهم على فعل صاحبهم، وضمَّن كتبه التهديد والوعيد، فضاقوا بذلك ذرعاًَ ولاموا صاحبهم .فكتب الشريف قاسم يعتذر، والتزم برد المال إلى أربابه، ومن قتل من التجار رد ماله لورثته، وأعاد الأموال في سنة خمس عشر . إلى أن يقول :وفي تأريخ ابن الأثير أنه توفي في سنة517) هـ .(ومن شعره في وصف حرب فخر فيه بقومه :

قوم إذا خاضوا الهجاج حسبتهم([90])

ليلاً وخلت وجوههم أقمارا

لا يبخلون برفدهم عن جارهم

عدل الزمان عليهم أو جارا

وإذا الصريخ دعاهم لملمةٍ

بذلوا النفوس وفارقوا الأعمارا

وإذا زناد الحرب أكبت نارها

قدحوا بأطراف الأسنة نارا

أما العلامة السيد أحمد بن زيني دَحْلاَن :واستمر محمد بن جعفر) أي والد قاسم (إلى أن توفي سنة484) هـ ([91]) (فولي مكة) القاسم ابن محمد بن جعفر (كذا قال الفاسي، وقال غيره :وهذا البطن يقال لهم الهواشم، ولم يزل القاسم على مكة حتى هجم) الأصهيد (كذا) أ ص هـ ي د (في أوائل السنة المذكورة، أي487) هـ (فهرب القاسم وأقام) الأصهيد (بمكة إلى شوال487) هـ (فجمع القاسم جموعاً وكبس الأصهيد سنة488) هـ (واستمر القاسم والياً على مكة إلى أن توفي في صفر518) هـ(، وقيل517) هـ.(

وكان القاسم بن محمد هذا أديباً شاعر، ثم روى له:

قومي إذا خاضوا العجاج حسبتهم ...الشعر المتقدم.

قلت :وقوله، وقال غيره :القاسم بن شُمَيل ...الخ، تفرد الدحلان بهذا، وإذا كان له مخرج فإن شميلاً مات في حياة أبيه أبي هاشم، ونشأ القاسم في حجر جده فنسب إليه ونسي أبوه، وهذا مشاهد ولكنه شاذ.

أما صاحب السمط، فيقول :ثم ولي بعده– أي محمد بن جعفر –ابنه القاسم فكثر اضطرابه، ومهد بنو زيد أصحاب الحلة ([92])طريق الحاج العراقي فاتصل حجهم وحج سنة اثنتي عشرة وخمسمائة) نظر الخادم ([93]) (من قبل المسترشد العباسي، بركب العراق وأوصل الخلع والأموال إلى مكة، وأمن الاضطراب الذي وقع في ولايته استيلاء) اصبهبذ (كذا) أ ص ب هـ ب ذ (بن ساركتين على مكة في أواخر سنة487) هـ (فهرب القاسم، إلى آخر الرواية المتكررة عن) أصبهيد .(ثم يقول :إلى أنه تفي سنة518) هـ.([94]) (

السباعي :وهو أكثر ميلاً لسرد الأحداث وشرح الأحوال الاجتماعية، قال :وبوفاته– أي محمد بن جعفر –تولى الإمارة ابنه قاسم، وظل أمر مكة في عهده عرضة للفتن التي تعرض لها أبوه قبله، من جراء احتكاك العباسيين بالفاطميين في شأن الخطبة.

وفي هذه الأثناء هجم على مكة) أصبهيد(، كذا بمثناتين تحت، وأجلى قاسماً عنها، ثم ما لبث قاسم أن أعاد الكرة على مكة وأجلى أصبهيد ([95])عنها في عام488) هـ .(وظل قاسم على إمرة مكة إلى أن توفي في عام518) هـ (بعد أن حكم مكة نحواً من (35) سنة (وكان أديباً شاعراً، وأورد له :

قومي إذا خاضوا العجاج...

الشعر المتقدم.([96])

ولم أر من مؤرخيه من ذكر بنيه غير ابنه فليتة الآتي بعد.

قلت :قوله وقول غيره أن قاسماً حكم (35) سنة لا يستقيم، فأبوه توفي سنة486) هـ (على أبعد تقدير، وهو توفي سنة518) هـ (فيكون الحساب 32 = 486–518 :سنة فقط، داخل في ذلك المدة التي حكمها التركمان بقيادة أصبهيد .والله أعلم.

–10الشريف فليتة بن قاسم :

527 –)هـ 1132– /م:(

فَلِيتَةُ بن قاسم محمد أبي هاشم، المتقدم :

ترجم له الفاسي– في العقد :فليته– قائلاً :فُلَيتة بن قاسم بن أبي هاشم محمد بن جعفر ابن أبي هاشم محمد بن الحسن) الحسين الأمير(،إلى آخر نسب الهواشم المتقدم.

أمير مكة .هكذا سمّاه غير واحد، منهم القادسي والذهبي، وبعضهم يقول :أبو فُلَيتة، وممن قال بذلك الذهبي أيضاً، وذكر أنه خلف أباه فأحسن السياسة، وأسقط المكس عن أهل مكة .وذكر ابن الأثير أنه كان أعدل من أبيه وأحسن سيرة.

وتوفي يوم السبت الحادي والعشرين من شعبان سنة527) هـ(، وكان له أولاد منهم شكر، ومفرِّج، وموسى، وترجم كلاًّ منهم بالأمير، وما عرفت شيئاً عن حالهم سوى ذلك .أ هـ . قول الفاسي.([97])

قلت :بل كان له نحو عشرة من الولد :الثلاثة المقدم ذكرهم، وهاشم وعيسى ومالك، وكلهم حكم بعد أبيهم، وسيأتي ذكرهم، وحسين، وفيه انحصرت بطون الهواشم الموجودين اليوم في

مكة وفي الدَّوْح من مر الظهران .وقال الشريف إبراهيم بن منصور الأمير :إنهم عشرة أي بإضافة ثلاثة إلى من قدمنا.

قلت :وقوله) الحُسيني (صوابه) الحَسَنِي (نسبة إلى الحسن.

ونجد ابن عنبة، وهو يترجم لفليتة، يذكر من أبنائه :يحيى وعبد الله، وهما غير من ذكرنا، فهؤلاء تسعة معدودون بأسمائهم، والله أعلم .ويتفق ابن عنبة أن وفاة فليتة كانت عام 527)هـ .(ابن فهد، قال– في حوادث سنتي 517) و518 هـ :–(فيها517) هـ (توفي أمير مكة أبو محمد قاسم بن أبي هاشم محمد بن جعفر ..الخ في اليوم السابع عشر من صفر، وولي بعده ابنه فليتة، فأحسن السياسة وأسقط المكوس ...الخ ما تقدم، ولكنه قال :وقيل)أبو فليتة ([98]) (ولعله وهم .وكذلك قال ابن ظهيرة :فليتة، وقيل أبو فليتة .وطابق تأريخ وفاته527) هـ.(

أما العز ابن فهد، فقد نقل ما قدمناه من قول الفاسي، واكتفى به.([99])

أما العصامي، فبعد ذكره وفاة أبيه، قال :ثم ولي بعده فليتة، وقيل أبو فليتة، فافتتح بالخطبة العباسية، وحسن الثناء عليه بالعدل، ووصل) نظر الخادم (أميراً إلى مكة على الحاج ومعه الأموال والخلع، ثم استمر فليتة إلى أن مات سنة527) هـ (وكانت مدته عشر سنين .([100])أما الدحلان فنعته بالأديب الشاعر، ولم يزد على من تقدم بشيء([101])، ولم يورد له شعراً.

وهكذا لم يختلف مؤرخو فليتة في شيء من أموره.

ما صحة اسم فليتة؟ !كل من تقدم كتب اسمه هكذا) فليتة (رسماً غير مشكّلاً، ما عدا العقد الثمين فقد ذكره مشكّلاً) فُلَيْتَة(، فلا أدري أهو بقلم الفاسي أو كان اجتهاداً من المحقق، وأميل إلى أنه من المحقق لأن الفاسي ذكره في شفاء الغرام (2/197) ولم يشكله .أما رسماً فقد قال بعضهم) فليتة، كسفينة (أي بالتكبير، وقال آخرون الغالب أنه بالتصغير، أما القول بأنه فليتة وقيل أبو فليتة، فظهر أنه قول الذهبي في دول الإسلام، فنقله عنه الفاسي، وتناقله مؤرخو مكة عن الفاسي، ومؤرخو مكة– بطبيعة الحال –ينقل بعضهم عن بعض.

أما المسموع من عامة الأشراف وأهل مكة، فهو بالتكبير، فإلى عهد قريب تسمى ذرية هذا الأمير) سادة فَلِيتة (ثم حذفوا كلمة بني تخففاً وكذلك أداة التعريف من السادة، فقالوا) :سادة فَلِيتة (أي السادة بنو فليتة .وكلمتا السادة والأشراف مترادفتان، الشريف سيّد، والسيّد شريف، فنجد السليمانيين– المتقدم ذكرهم –في المخلاف والقنفذة يدعون السادة، بل أن المجايشة، وهم من نسل أبي نمي الأول، يسمى أحدهم سيداً.

وسواء كان اسم هذا الشريف بالتكبير أو بالتصغير، فإنه اسم علم لا نبزاً ولقباً .والاسم لا يشين الإنسان ولا يزينه، بل الإنسان هو الذي يزين الاسم أو يشينه بأفعاله، ولعل أفعال هذا الأمير الحسان هي التي جعلته يعطي اسمه لذريته.

فإنك– مثلاً –في اليمن عندما تقول :الأهدل، أو الأكوع، أو الحبشي، تقابل هذه الأسماء بالتجلة والاحترام، رغم أنها ألقاب ربما كان من أطلقت عليهم كانوا يتبرمون بها، ولكن ذراريهم جعلت منها رموزاً لها رنين كرنين الذهب.

ولا على إخواننا الهواشم، بعد هذا المجد المؤثل، أن يتسموا بأي اسم فإنهم سيزينونه ويجعلون له من فعالهم حلية وبهاء.

11-الشريف هاشم بن فليتة 549-) أو 551 هـ 1154 - /أو 1156 م :(

ترجمة الفاسي فقال :([102])

هاشم بن فُليتة بن قاسم بن محمد بن جعفر ..الخ النسب المتقدم المعروف.

أمير مكة .أظنه ولي إمرة مكة بضعاً وعشرين سنة، لأنه ولي بعد وفاة أبيه في شعبان سنة 527)هـ(، حتى مات سنة549) هـ (كما هو مقتضى كلام ابن خلكان، وقيل إنه توفي وقت العصر من يوم الثلاثاء حادي عشر المحرم، سنة551) هـ (ودفن ليلة الأربعاء الثاني عشر من المحرم، وقد بقي من الليل ثلثه، وولي بعده الأمير قاسم) ابنه.(

فكان بين هاشم بن فُليتة هذا وبين الأمير نظر الخادم، أمير الحج العراق فتنة، فنهب أصحاب هاشم الحجاج، وهم في المسجد الحرام يطوفون ويصلون، وذلك في سنة539) هـ (وكان في ولايته على مكة، وقعة بعُسفان ذكرها ابن البرهان) الطري(، وذكر أنها كانت يوم الأحد الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة527) هـ .(قال :وانهزم عبد الله وعسكره، وما عرفت عبد الله هذا، وأتوهم أنه قريب لهاشم بن فليتة، وما عرفت سبب هذه الفتنة أيضاً.

قلت :هذه الوقعة في سنة وفاة أبيه الذي توفي كما تقدم في شعبان من هذه السنة، أي في أول سنة بل في الشهور الأولى لولاية هاشم، فيظهر أن سببها التنازع على الولاية، ولعل عبد الله هذا هو أخوه عبد الله بن فليتة المتقدم ذكره، يعضد هذا الرأي أن الطبري اكتفى باسمه لشهرته وقربه من الأمير، والله أعلم، أما ابن فهد فيورد ما تقدم ويكتفي به.([103])

ويذكر ابن ظهيرة فليتة، قائلاً :ثم ولي مكة بعده ابنه هاشم، واستمر متولياً إلى أن مات سنة 549)هـ (وقيل551) هـ (ولم يختلف عليه اثنان مدة ولايته، ثم ولي بعده ابنه قاسم.([104])

قلت :قوله :لم يختلف عليه اثنان، يرده ما تقدم من وقعة بينه وبين عبد الله.

أما الدحلان فيقول- بعد ذكر وفاة فليتة :-فولي مكة ابنه هاشم، وفي سنة539) هـ (نهب هاشم بن فليتة الحج العراقي بالحرم وهم يطوفون، لفتنة وقعت بينه وبين أمير الحاج العراقي . ودامت ولاية هاشم إلى سنة549) هـ (وقيل إلى سنة551) هـ (فتوفي.([105])

أما السباعي فيقول :بوفاة فليتة اختلف أبناؤه على الحكم فنشب بينهم القتال، واستطاع أحدهم) هاشم (أن يتغلب بسيفه عليهم وأن يستأثر بالحكم .إلى :وقد دام حكمه نحو (18) سنة وتوفي في545) هـ(، ويذكر صاحب النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب أن هاشماً دعا للعباسيين في إمارته.([106])

قلت :تفرد السباعي بالقول إنه توفي سنة545) هـ .(ويذكر ابن عنبة لهاشم من الولد :قاسم، وقد ولي بعده، وسيأتي إن شاء الله.

-12الشريف القاسم بن هاشم :

-556)هـ 1160 - /م :(

ترجم له الفاسي ([107])ترجمة مطولة، فقال :قاسم بن هاشم بن فليتة بن قاسم بن محمد بن جعفر الحسني، أمير مكة المعروف بابن أبي هاشم .ولي بعد أبيه، واختلف في تأريخ ولايته،

فذكر عمارة اليمني ([108])الشاعر، في تأليف له سماه) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية (ولايته مع شيء من خبره .قال :سنة549) هـ(، وفي هذه السنة) في الموسم (مات أمير الحرمين هاشم بن فليتة، وولي الحرمين ولده قاسم، فألزمني السفارة عنه، والرسالة إلى الدولة المصرية .إلى أن يقول :ألزمني أمير الحرمين) أي قاسم (الترسُّل عنه إلى الملك الصالح، بسبب جناية جناها خَدَمُه على حاج مصر والشام، وهو مال أُخذ منهم بمكة ...الخ، وذكر عمارة في أخبار الناصر بن صالح طلائع بن زُريك، أنه قام عن الحجيج بما يستاديه منهم أمير الحرمين، وسيّر على يد الأمير شمس الخلافة، إما خمسة عشر ألف أو دونها، إلى أمير الحرمين قاسم بن هاشم، برسم إطلاق الحاج.

ثم يقول الفاسي :ووجدت بخط الفقيه جمال الدين بن برهان الطبري، أن الأمير قاسم بن هاشم ولي بعد أبيه يوم الأربعاء ثاني عشر محرم، سنة551) هـ (وما اختلف عليه اثنان، وأنه أمّن البلاد .وفي ولاية قاسم هذا، دخلت هُذيل إلى مكة ونهبوا، وذلك في سنة553) هـ (على ما وجدت بخط ابن البرهان أيضاً .ووجدت بخطه أن قاسماً قتل يوم السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة556) هـ(، ولم يذكر من قتله، ولا سبب قتله .وذكر ذلك ابن الأثير في كامله، مع شيء من خبر قاسم هذا، لأنه قال في أخبار سنة556) هـ :(كان أمير مكة هذه السنة قاسم ابن فليتة بن قاسم بن أبي هاشم العلوي الحسني، فلما سمع بقرب الحج من المدينة، صادر المجاورين وأعيان أهل مكة وأخذ كثيراً من أموالهم، وهرب خوفاً من أمير الحاج أرغن، وكان قد حج هذه السنة زين الدين علي ابن بالتكين صاحب جيش الموصل .. إلى أن يقول :فلما وصل أمير الحاج إلى مكة، رتب مكان) قاسم (ابن فليتة عمه عيسى بن قاسم ..الخ، فبقي كذلك إلى شهر رمضان، ثم إن قاسمك بن فليتة، جمع جمعاً كثيراً من العرب، فاتبعوه، فسار بهم إليهم، فلما علم عمه فارقها، ودخلها قاسم، وأقام بها أميراً أياماً، ولم يكن له مال يوصله إلى العرب، ثم إنه قتل قائداً معه كحسن السيرة، فتغيرت نيات

أصحابه، فكاتبوا عمه عيسى، فقدم عليهم، فهرب قاسم وصعد جبل أبي قبيس، فسقط عن فرسه فأخذه أصحاب عيسى فقتلوه.

فسمع عيسى، فعظم عليه قتله، وأخذه وغسّله ودُفِنَ بالمعلاة عند أبيه فليتة، واستقر الأمر لعيسى .ثم يقول الفاسيُّ :وما ذكره ابن الأثير يقتضي أن قاسم بن هاشم إنما توفي في سنة سبع وخمسين) وخمسمائة(، وهو يخالف ما سبق من أنه توفي27/5/656) هـ .(والصواب في نسبته :قاسم بن هاشم بن فليتة، لا قاسم بن فليتة، كما ذكر ابن الأثير .انتهى ما أورده الفاسي بشيء من التصرف.

ويلاحظ الآتي :

–1على ما روى الفاسي، فإن قاسماً لم يدرك حج556) هـ(، إذ هرب خوفاً من الحاج، وكما نَبَّه الفاسي آنفاً فإن قاسماً مات على رواية ابن الأثير– ما يفهم من السياق –سنة 557)هـ.(

–2قوله :ابن فليتة، وقوله :عند أبيه فليتة، وهمٌ نبه عليه الفاسي أيضاً، آنفاً.

–3اتضح سبب قتله الذي قال في صدر الترجمة أنه لا يعرف من قتله ولا سبب قتله.

–4عيسى ليس ابن قاسم، بل ابن فليتة، وهو، أي عيسى، عم صاحب الترجمة.

–5قوله :توفي في السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة656) هـ(، صوابه سنة556) هـ (إن لم يكن557) هـ.(

6-إن مكة والمدينة يسمى جمعهما الحرمين منذ القرن السادس، بخلاف من عزا ذلك إلى العثمانيين الذين لم يملكوا الحجاز إلاّ في القرن العاشر.

7-إن من جمع بين مكة والمدينة يسمى أمير الحرمين.

أما الدحلان فيجعل عودة قاسم بن هاشم إلى مكة بعد فراره، جعلها سنة 557)هـ([109])(، وبقية ما عنده، هو ما قدمنا .والقول بعودته سنة557) هـ (هو الصواب : إذ أنه فر عن الحاج سنة556) هـ(، أي آخر السنة .ويقول العصامي :([110])ثم قتل قاسم سنة556) هـ (أما السباعي فيقول :

وبوفاة قاسم) ابن فليتة (تولى الأمر بعده ابنه هاشم، وكان في مثل شكيمة أبيه وبأسه، وقد ورث عنه كره العباسيين ...إلى أن يذكر سفارة عمارة اليمني، وينشد مطلع قصيدة عمارة :

ورحنَ من كعبة البطحاء والحرم

وفداً إلى كعبة المعروف والكرم

ثم يجعل هروب هاشم سنة555) هـ(، ويذكر الفتنة السابقة، وما نقله عن الفاسي وغيره.

13-الشريف عيسى بن فَلِيتَة ([111])

570 –)هـ1174 – /م):

ترجم له في العقد الثمين :عيسى، فقال :عيسى بن فليتة بن قاسم بن محمد بن جعفر المعروف بأبي هاشم .أمير مكة .ولي غمرة مكة في آخر سنة556) هـ (بعد ابن أخيه قاسم بن هاشم بن فليتة، وذلك على ما ذكر ابن الأثير إن قاسماً) ...إلى آخر ما روينا في ترجمة قاسم قبله، فأغنى عغن التكرار .(وقتل قاسم على ما تقدم، فيقول :واستقر الأمر لعيسى، ومن خبر عيسى .ولم يذكره ابن الأثير في تأريخه، ما وجدته بخط بعض المكيين، وهو أنه حصل بين عيسى بن فليتة وبين أخيه مالك بن فليتة، اختلاف في أمر مكة غير مرة، في هذه السنة. وتخلف بمكة، وحج مالك، ووقف بعرفة، وبات الحاج بعرفة إلى الصبح، وخاف الناس، خوفاً شديداً، فلما كان يوم عاشوراء من سنة566) هـ (دخل الأمير مالك وعسكره إلى مكة، وجرى بينهم وبين عيسى وعسكره فتنة إلى وقت الزوال، ثم أُخرج الأمير مالك واصطلحوا بعد ذلك، وسافر الأمير مالك إلى الشام ([112])وجاء من الشام في آخر ذي القعدة، وأقام ببطن مَرّ أياماً، ثم جاء إلى الأبطح هو وعسكره، وملك خدام الأمير مالك وبنو داود وعسكره، وأخذوا جلبة ([113])وصلت إليها، فيها صدقة من قبل شمس الدولة، وجميع ما مع التجار الذين وصلوا في الجلبة، ونزل مالك في المربع هو والشُّرَف([114])، وحاصر مكة أياماً، ثم جاء هو والشُّرَف من المعلاة، وجاء هذيل والعسكر من جبل أبي الحارث، فخرج إليهم عسكر الأمير عيسى فقاتلوهم فقتل من عسكر الأمير مالك جماعة، ثم ارتفع إلى خيف بني شديد .أ هـ .قال الفاسي أيضاً :ووجدت بخط بعض أصحابنا، فيما نقله من مجموع للفخر بن سيف، شاعر عراقي، ما نصه :دخلت على الأمير عيسى بن فليتة الحسني، وكنت كثير الإلمام به، والدخول عليه، لكونه لا يشرب مسكراً، ولا يسمع الملاهي، وكان يجالس أهل الخير، ولم ير في سِيَر من تقدمه من الولاة مثل سيرته، وكان كريم النفي واسع الصدر كثير الحلم، فقال :أنشدني شيئاً من شعرك، فقلت :قد علمت بيتين الساعة في مدحك.

فقال :أنشدني ما قلت، فأنشدته :

أضحت مكارمُ كعبةً ولقد

تعجّب الناس من ثنتين في الحرم

فهذه تحبط الأوزار ما برحت

وهذه تشمل الأحرار بالنعَمِ

قال :فاستحسنهما غاية الاستحسان، وقال :ودخلت عليه في سنة ستين وخمسمائة، وكنت مجاوراً أيضاً، وكان نازلاً) بالمربع([115])(، فوجدت عنده أخاه مالكاً، وكان ذلك اليوم الثاني عشر من ذي القعدة من السنة المذكورة، ونحن في حديث الحاج، وتوجههم إلى مكة، فأنشدته في قصيدة أولها :

حملت من الشوق عبئاً ثقيلاً

فأورث جسمي المعنًّى نحولا

وصيرني كلفاً بالغرا

م أندب ربعاً وأبكي طلولا

نشدتكما اللهَ يا صاحبيّ

إن جزتما بلوى الطلح ميلا

نسائل عن حيهم بالعرا

ق هل قوضت أم تراهم حلولا

فقال لي :لا إن شاء الله قوضت وتوجهت إن شاء الله تعالى بالسلامة ...الخ.

وجرى في ولاية عيسى حوادث، منها :في سنة557) هـ (بمكة فتنة بين أهلها والحجاج العراقيين، كان أن قتل من الطرفين جماعة، وأخذ من جمال الحاج نحو ألف، فرجع أمير الحاج، ولم يدخل مكة أثناء النزول من منى، وزل الزاهر يوماً واحداً، وخرج الحاج العراقي على حالة سيئة .وأصاب مكة غلاء شديد حتى أكل الناس الميتة والدم، ومنها سيل عظيم دخل من باب بني شيبة.

وكانت وفاة عيسى بن فليتة هذا، في الثاني من شعبان سنة سبعين وخمسمائة .انتهى ما أورد الفاسي باختصار في بعضه.

وكان لعيسى أولاد، منهم :مُكثَّر، وداود، وكلاهما حكم بعده، وسيأتي ذكرهما.

أما صحة نسبه فبمثل هذا رواه ابن عنبة، في عمدة الطالب.

قال ابن ظهيرة([116])، بعد أن ذكر مقتل القاسم بن هاشم المتقدم :واستقر الأمر بعده لعمه عيسى بن فليتة إلى أن مات سنة سبعين وخمسمائة .أما زيني دحلان فنقل ما تقدم عن الفاسي، وقال :واستمر أمر عيسى إلى سنة خمسمائة وخمس وستين، فنازعه أخوه مالك بن فليتة، وذكر نحو ما تقدم.

-14الشريف داود بن عيسى :

589-)هـ **1193-** /م :(

ترجمه في العقد الثمن /داود، فقال :داود ابن عيسى بن فليتة بن قاسم ..الخ، أمير مكة .ثم ما خلاصته :إنَّ داود هذا ولي مكة بعد أبيه بعهد منه، في أوائل شعبان سنة570) هـ (([117])، فأحسن السيرة وعدل في الرعية، فلما كان ليلة منتصف رجب من سنة571) هـ (أخرجه منها أخوه مكثر، ولحق داود بوادي نخلة، ثم عاد، واصطلح مع أخيه في نصف شعبان من هذه السنة، وكان الذي أصلح بينهما، شمس الدولة أخو السلطان صلاح الدين، لما قدم من اليمن، فلما انقضى الحج من هذه السنة، سلمت مكة إلى داود هذا، بعد أن أخرج منها أخوه مكثر، لما وقع بينه وبين طاستكين([118])، وأسقط داود جميع المكوس . ورحل الحاج بعد أن أخذ على داود المواثيق ألا يغير شيئاً مما شرط عليه، وكانت مكة سلمت قبله للأمير قاسم الحسيني أمير المدينة، وأقام فيها ثلاثة أيام، فلما عجز قاسم بن مهنّا عنها سلمت إلى داود المذكور.

ولم تطل ولاية داود، لأن أخاه مكثراً استولى عليها فكان أميرها سنة572) هـ (ثم عاد داود إلى إمرة مكة، وما عرفت متى كان عوده إليها) القول للفاسي(، إلاّ أنه كان والياً بها سنة 587)هـ(، وفيها عزل عنها، وأخذ ما في الكعبة من الأموال ...الخ، عزله أمير الحاج العراقي

وولى أخاه مكثراً، وأقام داود بنخلة، إلى أن توفي في رجب سنة589) هـ .(وهو وآباؤه الخمسة أمراء مكة .انتهى قول الفاسي بشيء من التصرف.

والذين وُلّوا مكة من آبائه أربعة :أبوه عيسى، وجده فليتة، وجد عيسى قاسم، وجد فليتة محمد بن جعفر، وهو الخامس .ولداود ابن اسمه أحمد.

قلت :ونسبه المتقدم أثبته ابن عنبة في) عمدة الطالب (والشريف إبراهيم بن منصور في كتابه)الأشراف الهواشم.(

ويذكر العصامي سبب عزل داود المتقدم([119])، فيقول :وسبب عزله أن أم الناصر الخليفة العباسي حجت في زمنه، ثم أنهت إلى ابنها الناصر عن داود ما اطلعت عليه فعزل.

أما ابن فهد([120])، فيجعل موت داود يوم الاثنين رابع عشر شعبان، أي من سنة 589)هـ (بنخلة كما تقدم، وتابعه ابنه العز نقلاً– على تأريخ الوفاة.

-15الشريف مُكَثِّر بن عيسى

600 –)هـ 1203– /م): (

هكذا ضبطه محقق العقد الثمين، بتشديد المثلثة المكسورة، والشائع عند مؤرخي مكة) :مُكثِر (وكذلك ضبطه الزركلي في الأعلام) :مُكَثِّر بن عيسى بن فليتة (الخ الترجمة .وقال الزركلي في الحاشية المطولة عن مكثر ..:ولم أجد ما يعول عليه في ضبط) مكثر (بتخفيف الثاء أو تشديدها، إلا أن الفيروز أبادي يقول في مادة كثر :وسمّوا كثيرة ومكثّراً بالتشديد، كمحدّث،

ولم يذكر التخفيف، واستدركه الزبيدي في تاج العروس، فقال :وكمحسن، أي بكسر الثاء المخففة.

قال كاتبه :أظنه كذلك، ولم أر العرب سمت قبل ولا بعد هذا الرسم على أي ضبط كان، إلاّ ما لم يقع بيدي.

ترجمه في العقد الثمين، فقال :مُكَثِّر بن عيسى بن فليتة بن قاسم بن محمد بن جعفر الحسني المكي، وبقية نسبه تقدم في ترجمه جده الأعلى محمد بن جعفر المعروف بابن أبي هاشم أمير مكة .كانت ولاية مكثر لمكة مدة سنتين، وكان يتداول إمرتها هو وأخوه داود، وقد خفي علينا مقدار مدة ولاية كل منهما، مع كثير من حالهما، وكانت إمرة مكة فيه وفي أخيه داود نحو ثلاثين سنة، وبمكثر انقضت ولاية الهواشم من مكة، ووليها بعده أبو عزيز- سيأتي – وذلك في سنة597) ه([121]) (، على ما ذكر الميمورقي، نقلاً عن عثمان بن عبد الواحد العسقلاني المكي، أو في سنة ثمان وتسعين، كما ذكر الذهبي، أو في سنة تسع وتسعين وخمسمائة، كما ذكر ابن محفوظ .أما ولاية مكثر على مكة فكانت في سنة571) ه .(ثم ذكر الفاسي ما حدث في عهد داود وقد ذكرناه، إلى أن يقول :وكان الخليفة قد أمر أمير الحاج بعزل مكثر وإقامة أخيه داود مكانه، وسبب ذلك أنه قد بنى قلعة على جبل أبي قبيس، إلى ...فهرب مكثر، فقصد إلى القلعة التي بناها، فحصروه بها، ففارقها، وولي أخوه داود الإمارة، إلى آخر ما تقدم في حوادث الأخوين.

ثم يقول :ومن أعجب ما جرى، أن إنساناً زرّاقاً ([122])ضرب داراً بقارورة نفط فأحرقها وكانت لأيتام، فاحترق ما فيها، ثم أخذ قارورة أخرى فأتاه حجر فأصاب القارورة فكسرها فاحترق الزراق بها، فبقي ثلاثة أيام يتعذب ثم مات.

ويذكر ابن جبير صاحب الرحلة :أن خطيب مكة كان يدعو لمكثر بعد الخليفة الناصر العباسي وقبل صلاح الدين، وقال :إن مكثراً ممن يعمل غير صالح.

ويذكر ابن جبير أن الحجاج كان يؤخذ منهم مكس في عيذاب، وذكر فظائع يعملها عمال مكثر، إلى أن محا السلطان صلاح الدين ذلك، وعوض مكثراً عنه.

ثم يقول ابن جبير :وكان زوال هذه البدعة القبيحة على يد السلطان صلاح الدين في سنة 572)هـ (ثم ذكر كتاب صلاح الدين إلى مكثر، يعظه، ثم يهدده إن لم يرتدع.

وتوفي مكثر سنة600) هـ (بعد أن استولى قتادة على مكة بواسطة ابنه) حنظلة أو عزيز (سنة597) هـ (فذهب إلى نخلة) الشامية (فبقي هناك حتى مات، وفي سنة وفاته خلاف قد يأتي .ويرجح الفاسي وفاته سنة600) هـ (إذ يقول :وذكر بعضهم أنه مات سنة589) هـ (وذكر بعضهم أنه مات سنة590) هـ(، وكلا القولين وهم، والذي مات في هذا التأريخ أخوه داود، والله أعلم .انتهى قول الفاسي، بتصرف واختصار.

ابن فهد قال :([123])فيها– سنة571) هـ –(في ليلة النصف من رجب، خرجت خوارج على داود بن عيسى بن فليتة، ففارق منزله، وسار إلى وادي نخلة([124])، وولي أخوه مكثر مكة عوضه، ولم يتغير عليه أحد، فلما كان ليلة النصف من شعبان– أي –572 قدم من اليمن شمس الدولة توران شاه، أخو صلاح الدين، فاجتمع به الأمير داود والأمير مكثر بالزاهر، وأصلح بينهما ..الخ ما تقدم في ترجمة داود، وهروب مكثر.

ويذكر ابن فهد في سنة579) هـ (إن الأمير سيف الإسلام أخا صلاح الدين حضر إلى المسجد الحرام وفتح له باب الكعبة، فدخله مع الأمير مكثر .([125])ثم انقرضت دولة

الهواشم بني فليته وانتزع مكة من مكثر أبو عزيز قتادة ابن إدريس، وسبب انتزاعها ما كان عليه أمراؤها الهواشم من انهماك على اللهو، وتبسطهم في الظلم، وإعراضهم عن صونها ..الخ.

ولم تشذ بقية المراجع التي ترجمته مكثراً عما تقدم، فتركنا ما فيها لعدم كثرة التكرار.

إلاّ أن ابن ظهيرة ذكر شيئاً، إذ قال :ثم انفرد بها مكثر عشر سنين متوالية، آخرها سنة 597)هـ(، أي سنة استيلاء قتادة عليها، ثم يقول :وهو- مكثر -آخر أمراء مكة المعروفين بالهواشم.([126])

قال كاتبه :والمتفق عليه أن سنة597) هـ (هي نهاية دولة الهواشم، وبداية دولة بني قتادة، وإن وفاة مكثر هي سنة600) هـ(، والخلاف فيها غير معتبر .فإذا عرفت أن دولة الهواشم بدأت بأبي هاشم محمد بن جعفر سنة456) هـ(، وانقرضت على يد مكثر بن عيسى سنة 597)هـ (عرفت أن مدتها هي (141) سنة قد تزيد شهوراً .والله أعلم.

رابعاً :دولة الأشراف بني قتادة

1-الشريف قَتَادة بن إدريس

(527 – 617هـ /1132 – 1219م):

تقدم معك انقراض دولة الهواشم سنة (597هـ = 1200م)، وذلك باستيلاء قتادة بن إدريس على مكة، قيل بواسطة ابنه عزيز، وقيل بواسطة ابنه حنظلة، وقيل :بل هجم هو عليها فلم يشعروا إلاّ وهو معهم، وسنلقي ضوءاً فيما بعد على هذين الابنين (عزيز وحنظلة)، وقتادة هذا هو جد الأشراف القتاديين (أو أشراف الحجاز) مجازاً (إذ أن معظم أشراف الحجاز اليوم من عقبة إلاّ بضع أسر، وظل بنوه يتوارثون أمر الحجاز إلى سنة (1344هـ)، أما إخوانهم الحسينيون فقد كانوا يستقلون بالمدينة مدداً محددة.

من هو قتادة؟ ترجم له تقي الدين صاحب العقد الثمين ترجمة ما رأيت أحداً أتى بمثلها، ولذا نقلتها مع ملاحظة :

1-حذفت، اختصاراً، أشياء لا تخل بالترجمة.

2-ذيلت عليها لتعريف ما غمض على المحقق أو أخطأ فيه لعدم درايته الميدانية.

3-صححت بعض الأخطاء المطبعية أو النسخية.

-4علقت على موضوع بنيه ومن تفرع منهم.

يقول التقي :قتادة بن إدريس بن مطاعن ابن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد ([127])بن موسى ([128])بن عبد الله بن موسى ([129]) بن عبد الله ([130])بن الحسن ([131])بن الحسن بن علي بن أبي طالب، يُكنى أبا عزيز الينبعي المكيّ .ويقال له :نابغة بني حسن، صاحب مكة وينبع، وغير ذلك من بلاد الحجاز.

وَلِي مكة عشرين سنة أو نحوها، على الخلاف في مبدأ ولايته بمكة، هل هو سنة سبع وتسعين وخمسمائة، على ما ذكر الميورقيّ([132])، نقلاً عن القاضي فخر الدين عثمان بن عبد الواحد العَسْقلاني المكي([133])، أو هو سنة ثمان وتسعين كما ذكر الذهبي في العبر، أو هو سنة تسع وتسعين، بتقديم التاء على السين، على ما ذكر ابن محفوظ، وذلك بعد ملكه لينبع، وكان هو وأهله مستوطنين نهر العلقميَّة ([134])من وادي ينبع، وصارت له على قومه الرئاسة فجمعهم وأركبهم الخيل، وحارب الأشراف بني حراب، من ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن، وبني علي، وبني أحمد([135])، وبني إبراهيم([136])، ثم إنه استألَف بني أحمد، وبني إبراهيم، وذلك أيضاً بعد ملكه لوادي الصَّفراء، وإخراجه لبني يحيى ([137])منه، وكان سب طعمه في إمرة مكة، على ما بلغني، ما بلغه من انهماك أمرائها الهواشم بني فليته على اللهو، وتبسطّهم في الظلم، وإعراضهم عن صونها ممن يريدها بسوء، اغترارًا منهم بما هم فيه من العز والهسف ([138])لمن عارضهم في مرادهم، وإن كان ظلماً أو غيره، فتوحش عليهم لذلك خواطر جماعة من قوّادهم، ولما عرف ذلك منهم قتادة، استمالهم إليه، وسألهم المساعدة على ما يرونه من الاستيلاء على مكة، وجرَّاهُ على المسير إليها مع ما في نفسه، وقيل :إن بعض الناس، فزع إليه مستغيثاًَ به في ظلامة ظُلمها بمكة، فوعده بالنصر، وتجهّز إلى مكة في جماعة من قومه، فما شعر به أهل مكة، إلا وهو بها معهم، وولاتهم على ما هم فيه من الانهماك في اللهو، فلم يكن لهم بمقاومته طاقة، فملكها دونهم، وقيل إنه لم يأت

إليها بنفسه في ابتداء ملكه لها، وإنما أرسل إليها ابنه حنظلة فملكها، وخرج منها مكثر بن عيسى بن فليتة إلى نخلة، ذكره ابن محفوظ، وذكر أن في سنة ستمائة، وصل محمد بن مكثر، وتقاتلوا عند المتكا([139])، وتمّت البلاد لقتادة، وجاء إليها بنفسه بعد ولده حنظلة.

وذكر ابن الأثير، أن في سنة إحدى وستمائة، كانت الحرب بين قتادة الحسني أمير مكة المشرفة، وبين الأمير سالم بن قاسم الحسيني أمير المدينة، ومع كل واحدٍ منهما جمع كثير، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكانت الحرب بذي الحليفة بالقرب من المدينة، وكان قتادة قد قصد المدينة ليحصرها ويأخذها، فلقيه سالم بعد أن قصد الحجرة الشريفة النبويّة، على ساكنها السلام، وصلى عندها ودعا، وسار فلقيه، فانهزم قتادة، إلى من مع سالم) من الأمراء(، فأفسدهم عليه، فمالوا إليه وحالفوه، فلما علم سالم ذلك، رحل عنه عائداً إلى المدينة، وعاد أمر قتادة يقوى.

وقد ذكرك ابن سعيد مؤرخ المغرب والمشرق([140])، حرب قتادة وصاحب المدينة في هذه السنة، وأفاد فيه ما لم يفده ابن الأثير، فنذكر ذلك لما فيه من الفائدة، ونص ما ذكره قال : وفي سنة إحدى وستمائة، كانت بالحجاز، وهي من البلاد التي يُخطب فيها للعادل بن أيوب، وقعة المصارِع، التي يقول فيها أبو عزيز قتادة الحسني صاحب مكة :

مصارعَ آلِ المصطفى عُدْتِ مثلما

بدأتِ ولكن صِرْتِ بين الأَقاربِ

قتل فيها جماعة من الفاطميين، وكان أمرها على ما ذكره مؤرّخو الحجاز :أن أبا عزيز، هجم من مكة على المدينة النبوية، فخرج له صاحب المدينة سالم بن قاسم الحسيني، فكسره أبو

عزيز، وحصره أياماً، وكان سالم في أثناء ذلك يحسن سياسة الحرب، ويستميل أصحاب أبي عزيز، إلى أن خرج عليه، وهو مغتر متهاون به، فكسره سالم وأسر جمعاً من أصحابه، وتبعه إلى مكة فحصره فيها على عدد أيام حصاره بالمدينة، وكتب إليه :يا بن العم، كسرة بكسرة، وأيام حصار بمثلها، والبادي أظلم، فإن كان أعجبكم عامكم، فعودوا ليثرب في القابل.([141])

وذكر أبو شامة شيئاً غير هذا من خبر قتادة مع أهل المدينة، لأنه قال بعد أن ذكر أن المعظم صاحب دمشق عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب، حجّ في سنة إحدى عشرة وستمائة، ولما عاد إلى المدينة شكا إليه سالم من جَوْرِ قَتادة، فوعده أن يُنجده عليه، ثم قال : فجهّز جيشاً مع الناهض بن الجرخي ([142])إلى المدينة، والتقاهم سالم فأكرمهم، وقصدوا مكة، فانهزم قتادة منهم إلى البرية، ولم يقف بين أيديهم .انتهى.

وقال أبو شامة في أخبار سنة اثنتي عشرة وستمائة :ووصل الخبر من جهة الحجاز، بنزول قتادة صاحب مكة على المدينة حرسها الله تعالى، تاسع صفر، وحصرها أياماً، وقطع ثمرها جميعه، وكثيراً من نخيلها، فقاتله من فيها، وقتل جماعة من أصحابه، ورحل عنها خاسراً .وقال في أخبار هذه السنة أيضاً :وفي ثالث شعبان، سار الأمير سالم صاحب المدينة بمن استخدمه من التركمان، والمراحل إليها من المخيم السلطاني بالكسوة([143])، ثم توفي بالطريق قبل وصوله إلى المدينة، وقام ولد أخيه جمّاز بالإمرة بعده، واجتمع أهله على طاعته، فمضى بمن كان مع عمه، لقصد قتادة صاحب مكة، فجمع قتادة عسكره وأصحابه، والتقوا بوادي الصفراء، فكانت الغلبة لعسكر المدينة، فاستولوا على عسكر قتادة قتلاً ونهباً، ومضى قتادة منهزماً إلى ينبُع، فتبعوه وحصروه بقلعته، وحصل لحميد بن راجب من الغنيمة، ما يزيد على مائة فرس، وهو واحد من جماعة كثيرة من العرب الكلابيين([144])، وعاد الأجناد الذين كانوا مضوا مع الأمير سالم من الشام، من التركمان وغيرهم، صحبة الناهض بن الجرخي خادم

المعتمد، وفي صحبتهم كثير مما غنموه من أعمال قتادة، ومن وقعة وادي الصفراء، من نساءٍ وصبيان، وظهر فيهم أشراف حسنيون وحسينيون، فاستعيدوا منهم، وسلِّموا إلى المعروفين من أشراف دمشق، ليكلفوهم ويشاركوهم في قسمهم من وقفهم .انتهى.

وهذا الخبر يقتضي أن سالماً لم يحضر القتال الذي كان بين قتادة والعسكر، الذي أنفذه المعظم لقتال قتادة، نصرة لسالم، لموت سالم في الطريق، وأنه سار مع العسكر من دمشق إلى أن مات بالطريق، والخبر الأول يقتضي أن سالماً حضر مع العسكر قتالهم لقتادة، ويقتضي أيضاً أن سالماً لم يسر مع العسكر من دمشق، وإنما لقيهم بالمدينة أو في الطريق .وهذا الخبر نقله أبو شامة عن صاحب مرآة الزمان، وما ذكره أبو شامة أصوب مما ذكره عن صاحب المرآة، لاتحاد القصة .والله أعلم.

وذكر أبو شامة ([145])سبب إنجاد المعظم لسالم على قتادة، لأنه قال لما ذكر حج المعظم : وتلقاه سالم امير المدينة وخدمه، وقدم له الخيل والهدايا، وسلم إليه مفاتيح المدينة، وفتح الأهراء([146])، وأنزله في داره، وخدمه خدمةً عظيمة، ثم سار إلى مكة، فوصلها يوم الثلاثاء سادس ذي الحجة .ثم قال أبو شامة :قال أبو المظفر سبط ابن الجَوزي :والتقاه قتادة أبو عزيز أمير مكة، وحضر في خدمته .قال أبو المظفر :وحكى لي رحمه الله– يعني المعظم – قال :قلت له– يعني قتادة :–أين ننزل؟ فأشار إلى الأبطح بسوطه، وقال :هناك .فنزلنا بالأطح، وبعث إلينا هدايا يسيرة.

وذكر أبو شامة خبراً اتفق لقتادة وقاسم بن جماز أمير المدينة، ونص ما ذكره في أخبار سنة ثلاث عشرة وستمائة :فيها وصل الخبر بتسليم ([147])نواب الكامل الينبع، من ناب قتادة، حماية له من قاسم بن جماز صاحب المدينة، وبأن قاسم بن جماز أخذ وادي) القرى (ونخلة

من قتادة([148])؛ وهو مقيم به ينتظر الحاج، حتى يقضوا مناسكهم، وينازل هو مكة بعد انفصالهم عنها.

وذكر ابن محفوظ شيئاً من خبر قتادة وقاسم، لأنه قال :سنة ثلاث عشرة وستمائة، كان فيها وقعة الحميمة([149])، جاء الأمير قاسم الحسيني بعسكر من المدينة، وأغار على جدة، وخرج له صاحب مكة قتادة، والتقوا بين القصر والحميمة، وكانت الكسرة على قاسم، وكان ذلك يوم النحر في هذه السنة.

هذا ما علمته من حروب قتادة مع أهل المدينة .وفي ترجمة ابنه حسن بن قتادة، أن أباه قتادة في سنة موته ÷جمع جموعاً كثيرة، وسار عن مكة إلى المدينة، ولما نزل بالفرع، سير على الجيش أخاه، وابنه حسناً لمرض عرض له، وما عرفت خبر عسكر قتادة هذا مع أهل المدينة، وكان بين قتادة صاحب مكة، وثقيف أهل الطائف، حرب ظهر فيه قتادة على ثقيف، وبلغني أنه لما ظهر على هرب منه طائفة منهم، وتحصّنوا في حصونهم، فأرسل إليهم قتادة يستدعيهم للحضور إليه، ويؤمِّنهم وتوعدَّهم بالقتل إن لم يحضروا إليه، فتشاور ثقيف في ذلك، ومال أكثرهم إلى الحضور عند قتادة، خيفة أن يهلكهم إذا ظهر عليهم، فحضروا عند قتادة، فقتلهم واستخلف على بلادهم نواباً من قبله، وعضدهم بعبيد له، فلم يبق لأهل الطائف حيلة فيقتل جماعة قتادة، وهي أنهم يدفنون سيوفهم في مجالسهم، التي جرت عادتهم بالجلوس فيها مع أصحاب قتادة، ويستدعون أصحاب قتادة للحضور إليهم، فإذا حضروا إليهم وثب كل من أهل الطائف بسيفه المدفون، على جليسه من أصحاب قتادة، فيقلته به، فلما فعلوا ذلك، استدعوا أصحاب قتادة إلى الموضع الذي دفنوا فيه سيوفهم، وأوهموهم أن استدعاءهم لهم بسبب كتاب ورد عليهم من قتادة، فحضر إليهم أصحاب قتادة بغير سلاح، لعدم مبالاتهم بأهل الطائف، لِما أوقعوا في قلوبهم من الرعب منهم، فلما اجتمع الفريقان واطمأنت بهم المجالس، وثب كل من أهل الطائف على جليسه، ففتك به، ولم يَسلم من

أصحاب قتادة إلا واحد، على ما قيل، هرب ووصل إلى قتادة، وقد تخبَّل عقله لشدة ما رآه من الروعِ في أصحابه، وأخبر قتادة بالخبر، فلم يصدقه وظنه جن لِما رأى فيه التخبُّل .

وكان حرب قتادة لهل الطائف، في سنة ثلاث عشرة وستمائة، على ما ذكر الميورقي وذكر أن في هذه الواقعة، فُقد كتاب النبي لأهل الطائف، لما نهب جيش قتادة البلاد، ونص ما ذكره الميورقي في ذلك، قال :قال لي تميم بن حمدان الثقفي العوفي :قُتل أبي رحمه الله، في نوبة قتل الشريف قتادة لمشايخ ثقيف، بدار بني يسار، من قرى الطائف، ونهب الجيش البلاد، ففقدنا الكتاب في جملة ما فقدناه، وهو كان عند أبي، لكونه كان شيخ قبيلته .قال قاضي الطائف يحيى بن عيسى :قُتل أبي لثلاث عشرة من جمادى سنة ثلاث عشرة وستمائة .انتهى.

وقال أبو المظفر :وفي عاشر محرم، وصل حُسن الحجاز، من مكة سائقاً للحاج، وأخبر بأن قتادة صاحب مكة، قتل المعروف بعبد الله الأسير، ثم وصل كتاب من مرزوق الطشتدار ([150])الأسدي، في الخامس والعشرين من المحرم، وكان حاجباً، يخبر فيه بأن قتادة قتل إمام الحنفية وإمام الشافعية بمكة، ونهب الحاج اليمنيين.

وقال أيضاً سنة ثمان وستمائة :فيها نهب الحاج العراقي، وكان حجّ بالناس من العراق، علاء الدين محمد بن ياقوت، نيابةً عن أبيه، ومعه ابن أبي فراس، يثقّفه ويدبره، وحج من الشام، الصمصام إسماعيل، أخو سِياروجِ النجمي على حاج دمشق، وعلى حاج القدس الشجاع علي بن سلار، وكانت ربيعة خاتون) بنت أيوب (أخت العادل في الحج، فلما كان يوم النحر)بمنى (بعد رمي الناس الجمرة وثب بعض الإسماعيلية، على رجل شريف من بني عمّ قتادة، أشبه الناس به، وظنوه إياه، كان مع أم جلال الدين، وثار عبيد مكة والأشراف، وصعدوا على الجبلين بمنى، وهلّلوا وكبّروا، وضربوا الناس بالحجارة والمَقاليع ([151])والنُشاب، ونهبوا الناس يوم العيد والليلة واليوم الثاني، وقتل من الفريقين جماعة، فقال ابن أبي فراس لمحمد ابن ياقوت :ارحلوا بنا إلى الزّاهر، إلى منزلة الشاميين، فلما حصلت الأثقال على الجمال، حَمل

قتادة أمير مكة والعبيد، فأخذوا الجميع إلا القليل .وقال قتادة :ما كان المقصود إلا أنا، والله لا أبقيت من حاج العراق أحداً، وكانت ربيعة خاتون بالزاهر، ومعها ابن السلار، وأخو سياروج، وحاج الشام، فجاء محمد بن ياقوت أمير الحاج العراقي، فدخل خيمة ربيعة خاتون مستجيراً بها، ومعه خاتون أم جلال الدين، فبعثته ربيعة خاتون مع ابن السلار، إلى قتادة تقول له :ما ذنب الناس !قد قتلت القاتل، وجعلت ذلك وسيلةً إلى نهب المسلمين، واستحللت الدماء في الشهر الحرام، في الحرام، والمال، وقد عرفت من نحن، والله لئن لم تنته، لأفعلنّ، ولأفعلنّ .فجاء إليه ابن السلار، فخوَّفه وهّدده، وقال :ارجع عن هذا، وإلاَّ قَصدك الخليفة من العراق ونحن من الشام، فكفَّ عنهم، وطلب مائة ألف دينار، فجمعوا له ثلاثين ألفاً من أمير الحاج العراقي، ومن خاتون أم جلال الدين، وأقام الناس ثلاثة أيام حول خيمة ربيعة خاتون، بين قتيل وجريح ومسلوب وجائع وعُريان، وقال قتادة :ما فعل هذا إلا الخليفة، ولئن عاد قرُب أحد من بغداد إلى هنا، لأقتلن الجميع .ويقال إنه أخذ من المال والمتاع وغيره، ما قيمته ألفا ألف دينار، وأذن للناس في الدخول إلى مكة، فدخل الأصحاء الأقوياء، فطافوا وأي طواف، ومعظم الناس ما دخل، ورحلوا إلى المدينة، ودخلوا بغداد على غاية الفقر والذل والهوان، ولم ينتطح فيها عنزان .انتهى.

وكلام أبي شامة، يقتضي أن العراقيين لما دخلوا للالتجاء بالحجاج الشاميين، كان الشاميون نازلين بالزهر، وكلام ابن الأثير، يقتضي أن ذلك وقع والشاميون بمنى، ثم رحلوا جميعاً إلى الزَّاهر، وهذا أشبه بالصواب.

وأما قول أبي شامة :ولم ينتطح فيها عنزان، فسببه أن قتادة، أرسل إلى الخليفة ببغداد يسأله العفو، فأجيب إلى سؤاله، وسيأتي ذلك إن شاء الله تعالى قريباً.([152])

وذكر ابن سعيد المغربي هذه الحادثة، وذكر فيها أن أصحاب قتادة، فعلوا بمن كان من الحجاج في مكة، مثل ما فعلوا فيهم بمنى، وذكر أن الأشراف قتلوا القاتل بمنى، وظنّوا أنه حشيشي([153])، وذكر ابن سعيد شيئاً مما كان بين قتادة وأهل العراق، بسبب هذه الحادثة، وأفاد في ذلك ما لم أره لغيره فنذكره، ونصّ ما ذكره في أخبار سنة تسع وستمائة : وصل من قبل الخليفة الناصر، إلى أبي عزيز الحسني صاحب مكة، مع الرَّكب العراقي، مال وخلع وكسوة البيت على العادة، ولم يظهر له الخليفة إنكاراً على ما تقدم من نهب الحاج، وجعل أمير الركب يستدرجه ويخدعه، بأنه لم يصح عند الديوان العزيز، إلا أن الشرفاء، وأتباعهم نهبوا أطراف الحاج، ولولا تلافيك أمرهم، لكان الاصطلام .وقال :يقول لك مولانا الوزير :وليس كمال الخدمة الإمامية، إلا بتقبيل العتبة، ولا عزّ الدنيا والآخرة، إلا بنيل هذه المرتبة، فقال له :أنظر في ذلك، ثم تسمع الجواب .واجتمع ببني عمه الأشراف، وعرَّفهم أن ذلك استدراج لهم وله، حتى يتمكن من الجميع، وقال :يا بني الزهراء، عزكم إلى آخر الدهر، مجاورة هذه البنية والاجتماع في بطائحها، واعتمدوا بعد اليوم، أن تعاملوا هؤلاء القوم بالشر، يوهنوكم من طريق الدنيا والآخرة، ولا يرغبوكم بالأموال والعَدد والعُدد، فإن الله قد عصمكم وعصم أرضكم بانقطاعها، وإنها لا تبلغ إلا بشق الأنفس، قال :ثم غدا أبو عزيز على أمير الركب، وقال له :اسمع الجواب، ثم أنشده ما نظمه في ذلك :

ولي كفٌّ ضرغام أصولُ ببطشها

وأشري بها بين الورى وأبيعُ

تظلُّ ملوكُ الأرض تلثم ظهرَها

وفي بطنها للمجدبين ربيعُ

أأَجعلها تحت الثرى ثم أبتغي

خلاصاً لها إِنّي إذاً لرقيعُ

وما أنا إلا المسكُ في كل بلدةٍ

أضوعُ وأما عندكم فأضيعُ([154])

فقال له أمير الرَّكب :يا شريف، أنت ابن بنت رسول الله ، والخليفة ابن عمك، وأنا مملوك تركي، لا أعلم من الأمور التي في الكتب ما علمت، ولكني قد رأيت أن هذا من شرب العرب، الذين يسكنون البوادي، ونزعات قطّاع الطريق ومخيفي السبيل، حاش لله أن أحمل هذه الأبيات عنك إلى الديوان العزيز، فأكون قد جنيت على بيت الله، وبني بنت نبيه ، ما أُلعن عليه في الدنيا، وأُحرق بسببه في الآخرة، والله لو بلغ هذا إلى حيث أشرت، لترك كل وجهٍ، وجعل جميع الوجوه إليك حتى يفرغ منك، ما لهذا ضرورة، إنه قد خطر لك أنهم استدرجوك، لا تسر إليهم، ولا تمكن من نفسك، وقل جميلاً، وإن كان فعلك ما علمت .
قال :فأصغى إليه أبو عزي، وعلم أنه رجل عاقل ناصح، ساع بخير لمرسله وللمسلمين، فقال : كثر الله في المسلمين مثلك، فما الراي عندك؟ قال :أن ترسل من أولادك من لا تهتم به إن جرى عليه ما يتوقعه، ومعاذ الله أن يجري إلا ما تحبه، وترسل معه جماعة من ذوي الأسنان والهيئات من الشرفاء، فيدخلون مدينة السلام، وفي أيديهم أكفانهم منشورة، وسيوفهم مسلولة، ويقبلون العتبة، ويتوسلون برسول الله ، وبصفح أمير المؤمنين، وسترى ما يكون من
الخير ([155])لك وللناس، والله لئن لم تفعل هذا، لتركبنَّ الإثم العظيم، ويكون ما لا يخفى عنك، قال :فشكره ووجه صحبته ولده وأشياخ الشرفاء، ودخلوا بغداد على تلك الهيئة التي

رسم، وهم يضجون ويبكون ويتضرعون، والناس يبكون لبكائهم، واجتمع الخلق كأنه المحشر، ومالوا إلى باب النوبي من أبواب مدينة الخليفة، فقبلوا هنالك العتبة، وبلغ الخبر الناصر، فعفى عنهم وعن مرسلهم، وأُنزلوا في الديار الواسعة، وأُكرموا الكرامة التي ظهرت واشتهرت، وعادوا إلى أبي عزيز بما أحبَّ، فكان بعد ذلك يقول :لعن الله أول رأي عند الغضب، ولا عدمنا عاقلاً ناصحاً يثنينا عنه.

وذكر ابن محفوظ :أن قتادة أرسل إلى الخليفة ولده راجح بن قتادة في طلب العفو، وكلامه يقتضي أن ذلك وقع بإثر الفتنة .وذكر ابن الأثير ما يوافق ذلك، وما ذكره ابن سعيد، يقتضي أن ذلك بعد سنةٍ من الفتنة والله أعلم.

وقد ذكر قتادة جماعة من العلماء في كتبهم، وذكروا ما فيه من الأوصاف المحمودة والمذمومة، مع غير ذلك من خبره، فنذكر ما ذكروه لما فيه من الفائدة.

قال المنذري في التكملة :كان مهيباً) وقوراً (قويّ النفس) شجاعاً (مقداماً فاضلاً، وله شعر . قال :وتولَّى إمرة مكة مدة، رأيته بها وهو يطوف بالبيت شرفه الله تعالى، ويدعو بتضرع وخشوع كثير .قال :وكان مولده بوادي ينبع، وبه نشأ .وذكر أنه قدم مصر غير مرة، وأن أخاه أبا موسى عيسى بن إدريس، أَملى عليه نسبه هذا، يعني الذي ذكرناه حين قدم مصر.

وقال ابن الأثير :وكانت ولايته قد اتسعت، من حدود اليمن إلى المدينة النبيّ ، وله قلعة ينبع بنواحي المدينة، وكثر عسكره، واستكثر من المماليك، وخافه العرب في تلك البلاد خوفاً عظيماً .وكان في أول أمره لما ملك مكة حرسها الله تعالى، حسن السيرة، أزال عنها العبيد المفسدين، وحمى البلاد، وأحسن إلى الحجاج وأكرمهم، وجدد المكوس بمكة، وفعل أفعالاً شنيعة، ونهب الحاجّ في بعض السنين كما ذكرنا.

وقال ابن سعيد، بعد أن ذكر وفاته وشيئاً من حال أجداده :وكان أبو عزيز أدهى وأشهر من مَلَك مكة منهم، وكان يخطب للخليفة الناصر، ثم يخطب لنفسه بالأمير المنصور، ودام ملكه نحو سبع وعشرين سنة([156])، وكان قد ابتاع المماليك وصيرهم جنداً يركبون بركوبه، ويقفون إذا جلس على رأسه، وأدخل في الحجاز من ذلك ما لم يعهده العرب وهابته، وكان متى قصد منهم فريقاً، أمر فيهم وهابته، وكان متى قصد منهم فريقاً، أمر فيهم بالسِّهام، فأطاعته التهائم والنجود، وصار له صيتٌ في العرب لم يكن لغيره، وكانت وراثته الملك عن مكثر بن قاسم بن فليتة الذي ورثه عن آبائه المعروفين بالهواشم، ولم يكن أبو عزيز من الهواشم، إلا من جهة النساء، وظهر في مدة مكثر، فورث ملكه، واستقام أمره، ثم استقام الأمر في عقبه إلى الآن .قال :وكان أبو عزيز في أول أمره، حسن السيرة، صافي السريرة، فلما وثب على شبيهه وابن عمه، الرجل الذي توهم أنه من العراق وقتله، انقلبت أحواله، وصار مبغضاً في العراقيين، وفسدت نيته على الخليفة الناصر، وساءت معاملته للحجاج، وأكثر المكوس والتغريم في مكة، حتى ضج الناس، وارتفعت فيه الأيدي بالدعاء، فقلته الله تعالى على يد ابنه حسن بن قتادة .ثم قال ابن سعيد :وكان أبو عزيز، أديباً شاعراً– وقد تقدّم شعره الذي قاله، عندما حاول الإمام الناصر وصوله إلى بغداد –قال :ولما قتلت العرب في الركب العراقي، حين أسلمه أميره المعروف بوجه السبع وفرّ إلى مصر بسبب عداوة جرت بينه وبين الوزير العلوي، كتب ابن زياد عن الديوان العزيز :إلى أبي عزيز، وغير خَفيٍّ عن سمعك، وإن خفي عن بصرك. فيك إلا جاوره ([157])في آرامٍ بكل ريم، وغشيان حرب بين الحرمين، حتى عَمُّوا قلب كل محرم كالعميم .فكان جواب أبي عزيز :أما ما كان بأطراف نجد، فالعتب فيه راجع على من قرب من خدام الديوان العزيز الكاف، وأما ما ارتكبوه بين الحرمين، فهو مشترك بين الحسن والحُسين، قال :وكأنهم رأوا في هذه الكلام استخفافاً لم يحتمله الديوان العزيز، فكانت أول الوحشة حتى أظهر التوبة، وأرسل ابنه والأشراف بأكفانهم

منشورة بين أيديهم وسيوفهم مجردة، وذكر وزيره النجم الزنجاني ([158])أن أبا عزيز، وقع بالفصل الذي كتب إليه من بغداد، ولم يزل هجِّيراه، إلى أن أنشده فيما نظمه :

بآرامٍ فُتنتَ بكل ريم

وهم عمُّوا فؤادي بالعميمِ([159])

وفي وادي العقيق رَأَوا عقوقي

كما حطموا ضلوعي بالحطيمِ

فأتى بما لا يخفى انطباعه فيه.

ومن مختار شعره، قوله:

أيُّها المعرض الذي قوله إن

جئت أشكو فضحتني في الأنامِ

فأرِح نفسك التي قد تعيَّت

أرحْني من بث هذا الغرامِ

كان هذا يكون قبل امتزاجي

بك مزج الطلا بماء الغمامِ

ليس لي من رضاك بُدٌّ وقصدي

يومَ عيدٍ من سائر الأيامِ

وقال أبو سعيد أيضاً :قال الزنجاني :ومما يجب أن يؤرَّخ من محاسن الأمير أبي عزيز، أن شخصاً من سرو اليمن، يعرف بنابت بن قحطان، ورد برسم الحج، وكان له مال يتاجر فيه، فتطرق إليه أبو عزيز، بسبب احتوائه عليه، قال :فبينما هو يتمشَّى في الحرم، إذ سمع شخصاً يقول، وهو يطوف بالبيت :اللهم بهذا البيت المقصود، وذلك المقام المحمود، وذلك الماء المورود، وذاك المزار المشهود، إلا ما أنصفتني ممن ظلمني، وأحوجت إلى غيرك، من إلى الناس أحوجني، وأريته بعد حلمك أخذك الأليم الشديد، ثم أصليته نارك، وما هي من الظالمين ببعيد .فارتاع أبو عزيز، ثم حمله طبعه وعادته، على أن وكل به من يعنفه، ويحمله إلى السجن بعنف، وانصرف إلى منزله، وكان له جارية حبشية، نشأت بالمدينة، فقالت :يا أمير حرم الله، إن لك الليلة لشأناً، فأخبرها بخبر الشخص، فقالت :معاذ الله يا ابن بنت رسول الله، أن تأخذك العزة بالإثم، رجل غريب قصد بيت الله، واستجار بحرم الله، تظلمه أولاً في ماله، ثم تظلمه آخراً في نفسه، أين عزبت عنك المكارم الهاشمية والمراح النبوية، غير هذا كلامها في خاطره، وأمر بإحضار الرجل، فلما حضر، قال له :اجعلني في حلٍّ، قال :ولم؟ قال :لأني ابن بنت رسول الله، فقال :لو كنت ابن بنت رسول الله، ما فعلت الذي فعلت، حين ولاَّك الله أمر عباده وبلاده، فاستعذر أبو عزيز وقال :قد تُبت إلى الله، وصدقتن عليك مالك، فقال الرجل :نعم، الآن أنت ابن بنت رسول الله ، وأنا فقد تصدقت بجميع ذلك

المال، شكراً لله تعالى على أن أعتق من العار والنار، شخصاً يعتزي إلى ذلك النسب الكريم . فقال أبو عزيز :الحمد لله على كل حال، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم استدعى شاهدين ونص عليهما الحكاية، ثم قال :فاشهدوا أني قد أعتقت هذه الجارية، ووهبت لها من المال كذا وكذا، فإن أراد هذا اليمني أن يتزوجها، فعلي صداقها عنه، وما يتجهزان به إلى بلاده، وما يعيشان به هناك في نعمةٍ ما شاء الله، فقال اليمني :قد قبلت ذلك، ولم ينفصلا إلى بلاده إلا بها انتهى.

وقال أبو شامة في أخبار سنة سبع عشرة وستمائة :وفيها) في جمادى الأولى (مات بمكة أبو عزيز قتادة بن إدريس أمير مكة، الشريف الحسني الزَّبدي، كان عادلاً منصفاً، نقمة على عبيد مكة والمفسدين، والحاجّ في أيامه مطمئنون، آمنون على أنفسهم وأموالهم .وكان شيخاً مهيباً طوالاً، وما كان يلتفت إلى أحدٍ من خلق الله، ولا وطئ بساطاً لخليفةٍ ولا غيره، وكان يُحمل إليه في كل سنة من بغداد، الخلع والذهب، وهو في داره) بمكة(، وكان يقول :أنا أحق بالخلافة) من الناصر لدين الله (ولم يرتكب كبيرة على ما قيل :وكان في زمانه يؤذن في الحرم »بحيّ على خير العمل«، على مذهب الزيدية، وكتب إليه الخليفة يستدعيه ويقول :أنت ابن العم والصاحب، وقد بلغني شهامتك وحفظك للحاجّ، وعدلك وشرف نفسك، وعفتك ونزاهتك، وقد أحببتُ أن أراك وأشاهدك، وأحسن إليك، فكتب إليه.

ولي كَفٌّ ضرغام..

الأبيات الأربعة.([160])

إلا أنّ فيما ذكره أبو شامة فيها مخالفة لما سبق، في لفظياتٍ يسيرة، منها أنه قال :

ولي كف ضرغام أذل ببطشها

ومنها:

أأجعلها تحت الرحى.

ومنها :

وما أنا إلا المسك في كل بقعة

يضوع وأما عندكم فيضيعُ

ففي هذا البيت، مخالفة لما سبق في ثلاث لفظات، والمعنى في ذلك كله متقارب.

وذكر ابن الجوزي في كتاب» الأذكياء «ما يقتضي أن بعض هذه الأبيات لغير قتادة، لأنه قال :كان لأحمد بن الخصيب، وكيل له في ضياعه، فرفع إليه عنه جناية، فعزم على القبض عليه، والإساءة إليه فهرب، فكتب إليه أحمد يؤمنه ويحلف له على بطلان ما اتصل إليه، ويأمره بالرجوع إلى عمله، فكتب إليه :

أنا لك يا ذا سامعٌ ومطيعُ

وإني لما تهوى إليه سريعُ

ولكن لي كفّا أعيش ببطشها

فما أشتري إلا بها وأبيعُ

أأجعلها تحت الرحى ثم أبتغي

خلاصاً لها إني إذاً لرقيعُ

ورأيت من ينسب هذه الأبيات لأبي سعد ابن قتادة، واعتمد في ذلك على ورقةٍ رأيتها معه : أنّ أبا سعد ([161])علي بن قتادة، توجه إلى العراق، فلما أشرف على نخيل بغداد أو غيرها من البلاد– الشك مني –رجع وقال هذه الأبيات، ولا دلالة في ذلك، لاحتمال أن يكون أبو سعد، قالها استشهاداً، والله أعلم.

ولم أرَها معزوة لأبي سعد، إلاّ في هذه الورقة، وقد عزاها ابن سعيد وأبو شامة وغيرهما، لقتادة كما ذكرنا، وفي ذلك النظر الذي ذكرناه من كلام ابن الجوزي.

وذكر المنذري :أن قتادة توفي في آخر جمادى الآخرة، من سنة سبع عشرة وستمائة بمكة . وذكر وفاته في هذه السنة :أبو شامة والذهبي، وابن كثير، وقالوا :إنه مات في جمادى الأولى.

وذكر ابن الأثير في» الكامل :«أنه توفي سنة ثمان عشرة وستمائة، في جمادى الآخرة، قال : وكان عمره نحواً من تسعين سنة.

وقد سبق في ترجمة ابنه حسن بن قتادة، أن الملك المسعود صاحب اليمن، لما مَلَك مكة بعد غَلَبِه لحسن بن قتادة أمر بنبش قبر قتادة وإحراقه، فوجدوا في القبر تابوتاً ليس فيه شيء، فعرف الناس بذلك، أن حسناً قتل أباه، ودفن التابوت في قبره، ليخفي أمره، ويقال : إن سبب قتل حسن بن قتادة لأبيه، أنَّ أباه قتادة، توعَّده بالقتل، لما بلغه أنه قتل عمه، بعد أن ندبه أبوه بجيش إلى المدينة مع ابنه حسن، وبلغ ذلك حسناً، فدخل على أبيه بعد عوده من المدينة، فبالغ أبوه في ذمّه وتهديده، فوثب إليه حسن فخنقه لوقته .هذا معنى ما ذكره ابن الأثير، في سبب قتل حسن ابن قتادة لأبيه، وصورة قتله.

ونقل ابن سعيد المغربي، عن سليمان بن الزنجاني([162])، وزير قتادة، أن أخا حسن بن قتادة وأقاربه، يزعمون أن حسن قتل أباه خنقاً، واستعان على ذلك بجارية كانت تخدم أباه، وعلام له في إمساك يديه، ثم قتلهما) بعد ذلك (ليخفي سبب قتله أبيه، وزعم أن قتله الغلام والجارية، لكونهما قتلا أباه.

ورأيتُ ما يقتضي، أن حسن بن قتادة قتل أباه بالسم، والله أعلم أي ذلك كان .وقيل إن قتادة بلغ تسعين سنة، فيتحصّل في سنه قولان، أحدهما :أنه تسعون، والآخر أنه نحو تسعين . وهذا القول ذكره ابن الأثير والأول ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام، ويتحصّل في سنة وفاته قولان، أحدهما :أنه سنة سبع عشرة، والآخر :أنه سنة ثمان عشرة وستمائة .ويتحصل في شهر وفاته قولان، أحدهما :إنه جمادى الأولى، والآخر :أنه جمادى الآخرة، من سنة سبع عشرة . ويتحصّل في صفة قتله قولان، أحدهما :أنه خنق، والآخر :أنه سمَّ، والله أعلم بالصواب.

وكان لقتادة من الولد :حسن، الذي وليَ إمرة مكة بعده، وراجح، وهو الأكبر الذي كان ينازع حسن في الإمرة، وعليّ الأكبر، جدُّ الأشراف المعروفين بذوي علي، وعلي الأصغر، جد أبي نمي([163])، جدّ الأشراف ولاة خُلَيص([164])، ولكلٍ من أولاده هؤلاء ذرية إلى الآن.

ومما صنع قتادة أيام ولايته على مكة، أنه بَنى عليها سوراً من أعلاها على ما بلغني، وأظنه سُورها الموجود اليوم، وبلغني أن الذي بوادي نَخْلَة ([165])الشامية، فيما بين التَّنْضُب وبِشْراً، بناء على هيئة الدروب في مسيل الوادي، ليُمكسَ عنده حجاج العراق، وآثار هذا البناء فيه إلى الآن، وأنه بنى على الجبل الذي بأسفل السبط، من وادي نخلة المذكورة، مصبًّا على جبل يقال له العطشان، وآثار ذلك باقية إلى الآن، والله أعلم.

قال مؤلفه :كل ما قبل هذا منقول من كتاب الفاسي المسمّى» :العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين «ولعلنا نضيف إليه أية فائدة تحصل من مؤرخي مكة المتأخرين عن الفاسي، رغم أنهم كلهم عنه نقلوا.

بنو قتادة :

أولاً :من تقديم ذكرهم آنفاً، فنقول :

–1حسن بن قتادة، وستأتي أخباره بعده، ومن ذريته اليوم الأشراف ذوو) هجار (أشراف ينبع.

–2راجح :ستأتي أخباره، ولا تعلم اليوم له ذرية.

3- علي الأكبر :والد أبي سعد حسن، وهذا يعني أن غالب أشراف الحجاز اليوم من ذريته، لأن كل من حكم الحجاز بعده هم من ذرية أبي سعد، ثم أبي نمي ...الخ.

4- علي الأصغر :والد الأشراف ذوي علي ([166])الذين في عهد الفاسي، وقد خفي اليوم ذكرهم، كما خفي ذكر بني عبد الكريم، أما بنو علي وبنو عبد الكريم الموجودون في يومنا هذا فهم من الأشراف ذوي بركات بن أبي نمي الثاني، والبون واسع بين العهدين.

ثانياً -فيما مر بك أن لأبي عزيز ابنين، هما :

1- عزيز، وبه يكنى :وقيل هو الذي استولى على مكة لأبيه، وقيل :إنه مجرد كنية، والله أعلم.

2- حنظلة :وقيل إنه هو الذي استولى على مكة، بل جزم بذلك في) اتحاف فضلاء الزمن (وهذان ما رأينا من ذكر لهما ذرية، ولما أن ذكر عزيز قليل، فلعله لقب لحنظلة، وغريب من الفاسي أن أسقط حنظلة من أبناء أبي عزيز رغم أنه ذكره أكثر من مرة.

3- وله ابن اسمه إدريس، لم يذكره الفاسي إلا مفرداً مع أنه ملك، وسيأتي ذكره .فهؤلاء سبعة.

ثم رأيت ابن عنبة ([167])قد أتى بشيء، أما أن التقي لم يأت به أو أنه عند ابن عنبة أحسن، ولعل الفاسي لم يطلع عليه لحكم المعاصرة، ولكن ما في عمدة الطالب شوش عليه

كثير من تغيير الكلمات والتطبيع وقلة وضوح المطبوع، ثم راجعت تأريخ العصامي ([168]) فوجدته قد احتوى على ما قاله صاحب عمدة الطالب.([169])

قال العصامي :([170])قال صاحب عمدة الطالب :كان قتادة جباراً فتاكاً فيه قسوة وتشدد، وحزم، وكان الخليفة في زمانه الناصر العباسي، فاستدعى الناصر الشريف قتادة إلى بغداد ووعده ومناه فأجابه إلى ذلك، وسار إلى أن وصل إلى العراق] ثم إلى مشهد الفروي، فخرج أهل بغداد لتلقيه، وكان ممن خرج في غمار الناس رجل درويش معه أسد مسلسل ([171])[فلما نظر إليه الشريف قتادة تطير، وقال :ما لي ولبلد تذل فيها الأسود؟ فرجع إلى الحجاز، وكتب إلى الخليفة بقوله :

بلادي ولو جارت عليّ مريفة

ولو أنني أعرى بها وأجوعُ

ولي كف ضرغام إذا ما بسطتها

بها اشتري يوم الوغى وأبيعُ

أأتركها تحت الرهان وابتغي

بها بدلاً إني إذاً لرقيعُ

وما أنا إلا المسك في غير أرضكم

أضوعُ وأما عندكم فأضيعُ

فلما وقف الناصر على هذه الأبيات، استشاط غضباً وامتلأ حنقاً وحرباً، وكتب إلى الشريف قتادة يقول :

أما بعد :فإذا نزع الشتاء جلبابه، ولبس الربيع أثوابه، قاتلناكم بجنود لا قبل لكم بها، ولنخرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون.

فلما قرأ الكتاب الشريف قتادة ارتاع لذلك أشد ارتياع، وأرسل إلى بني عمه بني الحسين)ابن علي (بالمدينة يستنجدهم، ويسألهم المعونة، وصدَّر الكتاب بقوله ..

بني عمنا من آل موسى وجعفر

وآل حسين كيف صبركم عنَّا

بني عمنا إنا كأفنان دوحة

فلا تتركونا يتخذنا الفنا فنّا

إذا ما أخٌ خلى أخاه لآكلٍ

بدا بأخيه الأكل ثم بذا ثنّى

فأتته منهم رجال النجدة ذوو العدد والعدة، فلما أقبلت تلك الكتيبة الناصرية، كسرها وبدد شملها وقهرها، فلما بلغ ذلك الناصر العباسي، وإلى عليه الإنعامات الكاملة، وأقطعه الإقطاعات الطائلة.

وقال صاحب عمدة الطالب، أيضاً :ولقتادة إخوة وعمومة، وأعقب هو من) تسعة رجال (ويقال لعقبه القتادات .ولكن لم يعدد أسماء أبناء قتادة ولم يذكر منهم إلاّ حسناً وراجحاً.

أما إخوته، فلم أر من ذكر منهم إلاّ) صرخة بن إدريس (([172])وسيأتي في ترجمة حسن ابن قتادة الآتية .أما أعمامه، فلم أر من ذكر منهم إلاّ) ثعلب بن مطاعن بن عبد الكريم (وبقية النسب تقدم في قتادة، وبنو ثعلب يعرفون اليوم بالأشراف الثعالبة، ولهم قرية الغالّة، على مقربة من بلدة الليث مما يلي الشام.([173])

قال مؤلفه :قد عددنا فيما تقدم سبعة من أبناء قتادة، ثم رأيت صاحب الدار الكمين ذكر لقتادة ولداً لم يذكره غيره، قال :حُميد بن أبي عزيز قتادة ..الخ.

ولي مكة نيابة عن والده في سنة سبع وتسعين وخمس مائة، أو في التي بعدها أو في التي بعدها.([174])

وبوجود هذا الابن الثامن تظهر صحة قول صاحب عمدة الطالب.

17- الشريف الحسن بن قتادة

623–)هـ 1226– /م:(

وبقية النسب تقدم آنفاً في ترجمة أبيه قتادة نابغة بني حسن.

ولي مكة بعد أبيه نحو ثلاث سنين .قال مؤرخوه– لما مات قتادة :–ملك بعده الحسن هذا، فقام أخوه راجح بالمطالبة بالملك، فصار يقيم بظاهر مكة، وينازع أخاه حسناً، فلما سار حجاج العراق، وكان أميرهم مملوكاً اسمه آقباش، فقصده راجح بن قتادة، وبذل له وللخليفة الناصر العباسي مالاً على أن يملكه مكة فأجابه إلى ذلك، فوصلوا إلى مكة، ونزلوا الزاهر، فتقدموا إلى مكة محاربين لصاحبها حسن، وكان مع راجح جموع من العرب وغيرهم، فخرج إليهم الحسن وقاتلهم، وقتل آقباش وعلقوا رأسه، فانهزم عسكر أمير الحاج، ولكن الحسن أجار الحجاج من القتل والنهب.

فلما وصلت أخبار هذه الحوادث إلى الخليفة الناصر عظم عليه الأمر فأرسل إليه حسن يعتذر، فعفا عنه الخليفة .وقيل :بل إن راجحاً اجتمع بآق باش في عرفات، وطلب مساعدته في توليه إمرة مكة، وقال :أنا أكبر ولد قتادة، فلم يجبه إلى ذلك، ولكن حسناً ظن أن آقباش قد ولّى راجحاً فأغلق أبواب مكة.

وقال ابن الأثير– :في أخبار سنة عشرين وستمائة –في هذه السنة سار الملك المسعود أتسز بن الملك الكامل محمد إلى مكة، وصاحبها حينئذ حسن بن قتادة، وكان حسن قد أساء السيرة إلى الأشراف والمماليك الذين كانوا لأبيه([175])، وقد تفرقوا عنه، ولم يبق عنده غير أخواله من عنزة، فوصل المسعود إلى مكة رابع ربيع الآخرة، فلقيه الحسن، وقاتله بالمسعى ببطن مكة، فكانت الغلبة للمسعود، وانهزم حسن، وملكها صاحب اليمن ونهبها عسكره، قال بعض المجاورين :إنهم نهبوها حتى أخذوا الثياب من على الناس، وأمر صاحب اليمن أن ينبش

قبر قتادة ويحرق، فنبشوه، فظهر التابوت الذي دفنه ابنه الحسن، والناس ينظرون إليه، فما وُجد فيه شيء، فعلموا أن الحسن دفن أباه سراً وإنه لم يجعل في الثابوت شيئاً، وذاق الحسن عاقبة قطيعة الرحم وعجل الله له العقوبة، وزال عنه ما قتل أباه وعمه وأخاه من أجله ! وذكر ابن محفوظ أن إخراج الحسن بن قتادة من مكة، كان سنة619) هـ(، وذكر ذلك غيره.

قال :وصل الملك المسعود، إلى مكة– كما مر –وخرج حسن، فتسلمها السلطان وراجح بن قتادة معه، ورد السلطان على أهل الحجاز جميع أموالهم ونخلهم، وما كان أخذ من الوادي جميعه([176])، ومن مكة، وولّى راجحاً حلي ([177])ونصف المخلاف، واستناب السلطان على مكة الأمي نور الدين بن علي ابن رسول، ورتب معه ثلاثمائة فارس ..الخ.

أما حسن فإنه راح إلى ينبع ([178])وجاء بجيش، وخرج إليه نور الدين وكسره على الخربة.([179])

...سنة623) هـ(، وفيها توفي حسن بن قتادة امير مكة، وكان قد ولي الإمارة بعد أبيه . ويقال :إنه دخل على أبيه وهو مريض فقتله خنقاً، وولي الإمارة مغالبة، وكان سيء العشرة والسيرة ظلوماً مقداماً، وهو الذي قتل أمير الحاج آقباش في سنة617) هـ(، وأحدق في مكة أموراً منكرة، فأريد القبض عليه، فخرج على أقبح صورة، فقصد الشام فلم يلتفت إليه، فتوجه إلى العراق، ووصل إلى بغداد، فأدركه أجله، في الجانب الغربي على دكة هناك .فلما عُلم به غُسل وكُفّن، ودفن في مشهد موسى) الكاظم.(

وقيل :لما وصل بغداد همَّ أهل بغداد بقتله قوداً بآقباش الناصري([180])، ولكن عاجلته المنية، قبل قتله.

أما ما قيل من قتل حسن بن قتادة أباه وأخاه وعمه، فقد ذكر ابن الأثير صورة ذلك، فقال :وقيل في موت قتادة أن ابنه حسناً خنقه، وسبب ذلك أن قتادة جمع جموعاً كثيرة، وسار يريد المدينة، فنزل بوادي الفرع وهو مريض، وسير أخاه على الجيش ومعه ابنه الحسن، فلما أبعدوا بلغه أن عمه) الحسن ([181]) (قال لبعض الجند :إن أخي مريض، وهو ميت لا محالة، وطلب منهم أن يحلفوا له ليكون هو الأمير بعد أخيه قتادة، فحضر الحسن عنده، واجتمع إليه كثير من الأشراف والمماليك الذين لأبيه، فقل حسن لعمه :قد فعلت كذا وكذا .قال :لم أفعل .وأمر حسن الحاضرين بقتله، فلم يفعلوا، فأمر غلامين له فجعلا عمامته في حلقه، ثم قتله، فلما سمع قتادة الخبر حلف ليقتلن ابنه، فكتب بعض أصحاب حسن إليه يعرفه الحال بقوله :ابدأ به قبل أن يقتلك، فعاد الحسن إلى مكة، فوثب على أبيه فخنقه، وخرج إلى الحرم، وأخذ البيعة من الأشراف .ثم إنه أحضر تابوتاً ودفنه ليظن الناس أنه مات، وكان قد دفنه سراً .فلما استقرت الإمارة له، أرسل إلى أخيه من ينبع يستدعيه، على لسان أبيه، وكتم موت أبيه عنه، فلما حضر أخوه قتله، واستقر أمره، فارتكب أمراً عظيماً، قتل أباه وعمه وأخاه، وذلك في أيام يسيرة، وقيل :إن حسناً واطأ جارية كانت تخدم أباه، فأدخلته عليه ليلاً .وقال الزنجاني مؤرخ الحجاز، وكان وزيراً لأبي عزيز) قتادة :(وإخوته وأقاربه يزعمون أنه) أي حسن (قتل أباه خنقاً، واستعان بجارية وغلام في إمساك يديه، ثم قتلهما بعد ذلك لئلا يخرج الخبر، وزعم للناس أنهما قتلا أباه.

ثم يقول التقي الفاسي :ثم رأيت للحسن مكرمة صنعها بمكة، وهي أنه رد الموضع المعروف برباط الخرازين بالمسعى، الذي هو وقف على رباط السدرة بمكة، إلى فقراء الرباط المذكور بعد الاستيلاء عليه .انتهى، عن العقد الثمين، مادة حسن بن قتادة، باختصار.

وبمراجعة العصامي- رغم أنه ناقل في هذا الباب عن الفاسي- نجد عنده ما يضاف([182])، فقد قال :ثم وليها حسن بن قتادة عام سبع عشرة وستمائة، ووقع فيها قتال بينه وبين آق باش أمير الركب العراقي وهو مملوك تركي للناصر العباسي، عقد له الولاية على مكة وعلى كل بلد يدخلها، وسبب القتال أنه لما ورد آق باش ([183])أميراً، تعرض له راجح بين مكة وعرفة، فأمسكه الأمير المذكور) آق(، فأرسل أخوه حسن إلى الأمير موعداً له بمال جزيل لو سلم إليه أخاه راجحاً، فقال راجح للأمير :أنا أعطيك أضعاف ما وعدكم على أن تعينني أميراً على مكة، فوعده بذلك، فأرادا جميعاً- راجح وآق باش -دخول مكة فمنعهما حسن فوقعت الحرب، فصعد آق باس على جبل عرفة ([184])بما عنده من المنعة، فاحدقت به أعراب الشريف حسن فقتل وعلق رأسه في ميزاب الكعبة، وقيل رفع على رأس رمح في المسعى ...الخ ما عند العصامي.

ومع اكتفائنا بما تقدم من النقل إلاّ أنني أردت أنا أناقش روايات المؤرخين هنا، وهي التي أكثر فيها على حسن من فعل الجرائم فأقول :

-1كل الروايات التي نسبت إليه فيها جرائم، جاءت بصيغ التمريض) قيل ويقال وقالوا ... الخ (حتى الزنجاني وزير قتادة لم يقل قال لي فلان أو فلانة.

-2هل كان بيت قتادة- وهو ملك الحجاز -خالياً من الرواد حتى يقوم حسن بكل هذه الأفعال دون أن يراه أحد؟ فأين زوجاته وخدمه، بل أين حرسه؟.

-3حسن قتل أباه ودفنه خفية، ودفن التابوت فارغاً !من ساعده على حمل أبيه ودفنه ودفن التابوت، فإذا قيل :الغلامين المذكورين ساعداه قبل قتلهما، فهل يكون هذا في بطن مكة، ويكون بسرية لا يراها إلاّ الله؟.!

4-والعجب من مؤرخي مكة أنهم لم يذكروا اسم معه ولم يذكروا اسم أخيه الذي قتله.!

فمن هو أخو قتادة؟ !ذكر المؤرخون ونسَّابوا آل أبي طالب لقتادة أخاً واحداً هو)صرخة :([185])(قال العصامي وغيره :وكان لإدريس) ابن مطاعن (ابنان :قتادة النابغة وصرخة .فأما صرخة فولده بينبع يعرفون بالشكرة .([186])أما إخوة حسن فكما تقدم : راجح منافسه، ولم يقتل، والآخر جد الأشراف النمويين، لم يقتل، وإدريس، حكم بعد ذلك بمدة، فلم يبق إلا حنظلة، فإذا صدقت الرواية فإنه هو المقتول.

أما عزيز فأمره ليس بالقوي، لعله مجرد كنية لقتادة كعادة العرب يكنون أبناءهم وهم صغار، فإذا كبر وأنجب تجنب التسمية بتلك الكنية، ومن أمثال ذلك :أبو بكر، أم حبيبة، وأم عبد الله، رضي الله عنهم.

5-وأخيراً- ومقارنة بما نسمع من الدعايات في زمننا الحاضر -ألا تكون هذه إشاعات ألصقها به أخوه راجح لينفضَّ الناس من حوله؟.!

جائز هذا، ولا أرى اجتماع تلك الجرائم جائز، والله أعلم، وهو الهادي إلى الصواب.

أبناء حسن بن قتادة :

ذكر له مؤرخوه :إدريس، أمير ينبع .وأحمد ومحمد وجماز، والأخير قد يذكر مع بعض بنيه فيما يتبع، وظلت إمرة ينبع في بني حسن هذا قروناً عديدة، والموجود اليوم منهم) الأشراف

ذوو هجا (هجار :بالتخفيف وكسر الهاء، وهم من ذرية إدريس بن حسن ابن قتادة، والله أعلم.

-18الشريف أبو سعد الحسن بن علي:

-651)هـ -1253 /م :(

الأمير الشجاع الذي رد لإمارة آل قتادة شبابها بعد أن كادت تضمحل .ترجم له التقي الفاسي([187])، فقال :

الحسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن) وبقية النسب في قتادة.(

أبو سعد، صاحب مكة وينبع .ولي إمرة مكة نحو أربع سنين، وسبب استيلائه على مكة، أن بعض كبار العرب من زبيد([188])، حَسَّن له الاستيلاء عليها، من قوات صاحب اليمن، وكانوا فرقتين، تخرج واحدة إلى أعلى مكة، والأخرى إلى أسفلها كل يوم، فحمل أبو سعد على إحدى الفرقتين فكسرها، فضعفت الأخرى عنه، فاستولى على مكة، وقبض على الأمير الذي كان بها من جهة صاحب اليمن، وكان صاحب اليمن قد أمره- أي أمر أبا سعد - بالإقامة بوادي مرّ) مر الظهران(، ليساعد عسكره الذي بمكة بقيادة ابن المسيب، فأخذ أبو سعد ما كان مع ابن المسيب من خيل وعدد ومماليك، وأحضر أعيان الحرم، وقال :ما لزمته إلاّ لتحققي خلافه على مولانا السلطان الملك المنصور، وعلمت أنه أراد الهرب بهذا المال إلى العراق، وأنا غلام مولانا السلطان، والمال عندي محفوظ، والخيل والعدد، إلى أن يصل مرسوم السلطان .فوردت الأخبار بوفاة المنصور.

وقوي بموت المنصور أمر أبي سعد، فاستقل بمكة، ودامت ولايته عليها حتى قتل ..الخ .وكان قبضه على ابن المسيّب يوم الجمعة لسبع خلون من ذي القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة . وقيل في آخر شوال سنة سبع وأربعين وستمائة، والخلاف بين المؤرخين في تأريخ استيلائه على مكة، لا يخرج عن شهري شوال والقعدة من هذه السنة.

وذكر أيضاً :أن صاحب اليمن لما استولى على مكة في شهر رمضان سنة تسع وثلاثين،)وستمائة (بعث إلى صاحب ينبع أبي سعد هذا، فلما أتاه أكرمه وأنعم عليه واستخدمه واشترى منه قلعة ينبع، وأمر بخرابها، حتى لا تبقى قراراً للمصريين، وجعله بالوادي) وادي فاطمة اليوم (مساعداً لنوابه على مكة .

وتوفي أبو سعد لخمس من شوال سنة651) هـ(، وفي معجم رمضان ابن مسدي :أن أبا سعد هذا قتل في أوائل رمضان سنة إحدى وخمسين وستمائة.

وفي تاريخ ابن الفرات :أن أبا سعد قتل لثلاث خلون من شعبان سنة651) هـ.(

وقال ابن مسدي– في حق أبي سعد :–كان فاضل الأخلاق طيب الأعراق، شديد الحياء، كثير الحباء، جمع الشجاعة والكرم والعلم والعمل، وكان يشعر وينظم وينثر، إلاّ أنه نزع بآخرةٍ إلى هوى نفسه، واغتر يومه بأمسه، فحار عما كان عليه من الحزم، وحل عروة العزم، فأُتي من مأمنه ...الخ.

ومن شعر أبي سعد على ما يقال :

خذوا قودي من أسير الكِلَلْ

فوا عجباً من أسيرٍ قَتَلْ

انظر هذه القصيدة والكلام عليها في) هديل الحمام في تاريخ البلد الحرام.([189])(

وأبو سعد بن علي هذا هو والد عبد الكريم، جد الأشراف ذوي عبد الكريم، ووالد أبي نمي)الأول (صاحب مكة .انتهى بشيء من التصرف بالزيادة والاختصار، عن العقد الثمين) حسن بن علي.(

قلت :

-1الأشراف ذوي عبد الكريم، المشار إليهم هنا، لا وجود لهم اليوم في حج وكانوا يعرفون إلى سنة810) هـ(، ثم اضمحلوا، والأشراف ذوي عبد الكريم المعروفون اليوم، هم منم ذرية بركات بن أبي نمي الثاني محمد بن بركات.

-2غير عبد الكريم وأبي نمي) الأول (لحسن هذا ابن اسمه راجح.

وإذا كان كما أسلفنا أن شيخ الإسلام السيد زيني دحلان، هو الأكثر اختصاصاً بتأريخ الأشراف، فلا بد أن يكون عنده زيادة نص أو إيضاح ..الخ.

فهو يقول :عن استيلاء صاحب اليمن على مكة :وأعرض عن راجح وأرسل يطلب الشريف أبا سعد الحسن بن علي بن قتادة، وولاه مكة([190])، فذهب الشريف راجح إلى المدينة، واستنجد أخواله من بني حسين على ابن أخيه الحسن بن علي) أبي سعد (فأنجدوه فخرج

راجح معهم من المدينة، ومعهم سبع مائة فارس، قاصداً مكة، ومعهم الأمير عيسى الملقب بالحرون([191])، وكان فارس بني حسين في زمانه، فبلغ ذلك الشريف أبا سعد، وكان ابنه أبو نمي في ينبع، فأرسل إليه يطلبه، وعمر أبي نمي في ذلك الحين سبع عشرة سنة أو ثماني عشرة، فخرج في أربعين من ينبع إلى مكة، فصادف القوم سائرين، فحمل عليهم بالأربعين فهزمهم، ورجعوا مغلوبين، وفي ذلك يقول السيد جعفر بن محمد بن معِيّة الحسني، وهو إذ ذاك لسان بني حسن في العراق :

ألم يبلغك شان بني حسينٍ

وفرُّهم وما فعل الحرون([192])

فيالله فعل أبي نميٍّ

وبعض الناس ([193])يشبهه الجنون

يصف بأربعين ([194])على مئين

وكم من كثرةٍ ظلّت تهون

وبقية الخبر في ترجمة أبي نمي، لأنه له.

وكان أبو سعد من الشجاعة بالمحل الأعلى، وكانت أمه أم ولد حبشية، فيحكى أنه في بعض حروبه، فلحقته وهي في هودج فدعته، وقالت :يا بني إنك تقف اليوم موقفاً إن ظفرت فيه

قال الناس :ظفر ابن رسول الله، وإن هربت قالوا :هرب ابن السوداء، فانظر لنفسك، فإنه لا موت قبل فراغ الأجل .

ثم يسوق الدحلان ما لا يخالف ما تقدم .ثم :وفي سنة651) هـ (قدم الشريف) جمّاز ابن حسن بن قتادة (من دمشق في عسكر من الملك الناصر، فدخل مكة في رمضان، وقتل الحسن بن علي) ابن عمه ...الخ(، وبقية الخبر في ترجمة جمّاز اللاحقة.

انتهى بتصرف من) خلاصة الكلام.([195]) (

ولم أر غير الفاسي والدحلان– من المؤرخين –من ذكر فيه ما تجب إضافته.

–19الشريف جَمَّاز بن حسن بن قتادة.

لم تذكر وفاته، إلاّ أنه كان حياً سنة 653) هـ 1255 /م:(

ترجمه في العقد الثمين، فقال :

أمير مكة، وليها بعد قتله لأبي سعد) المتقدمة ترجمته قبله(، وذلك سنة651) هـ (وأخذ مكة، وأقام بها إلى آخر يوم من ذي الحجة، فتسلمها منه راجح بن قتادة عم أبي سعد المتقدم)وهو أيضاً عم جمّاز مدار البحث.(

ونقل عن ابن خلدون :أن جمّاز بن حسن هذا، سار إلى الناصر يوسف بن العزيز الظاهر صاحب الشام وحلب، يستعين به على أبي سعد بن علي بن قتادة، وأطعمه بقطع الخطبة عن صاحب اليمن، فجهز له عسكراً، وسار به إلى مكة.

فلما وصل إليها نقض عهد الناصر، واستمر يخطب لصاحب اليمن، فلما كان في سنة 653)هـ(، أخرجه منها راجح بن قتادة، فلحق بينبع.

ثم يقول الفاسي :هكذا وجدت هذه الحكاية، وهي على ظاهرها لا تستقيم، لأنها تقتضي أن جمّازاً هذا ولي مكة في حياة ابن عمه أبي سعد، والمعروف أنه إنما وليها بعد قتل أبي سعد، ولا تستقيم هذه الحكاية، إلاّ أن يكون جمّاز استعان بالملك الناصر على أبي نمي بن أبي سعد، ويكون ذكر أبي نُميّ سقط سهواً.

وفي هذا التأويل بُعد .وجمّاز هذا هو جد الأشراف ولاة ينبع في عصرنا، أيّ عصر الفاسي سنة832) هـ .(انتهى بتصرف بسيط من العقد الثمين) جمّاز.(

المؤلف :وهم اليوم يسمون بني) هِجار (الجيم مخفف.

وفي خلاصة الكلام :([196])وفي سنة651) هـ (قدم الشريف جماز بن حسن بن قتادة من دمشق، في عسكر من الملك الناصر، على أنه يأخذ له مكة، ويخطب له بها، فدخل في رمضان، واستولى عليها، وقتل الحسن بن علي بن قتادة، ثم نقض العهد السابق مع الناصر، وخطب للملك المظفّر صاحب اليمن، واستمر إلى الحج، فقدم عمه الشريف راجح بن قتادة بجيش، واستولى على مكة، وخرج جماز بلا قتال، وكانت هذه الولاية لراجح آخر ولاياته.

المؤلف :ومن خلاصة الكلام، استفدنا :أن جمّازاً دخل مكة في رمضان، وقتل ابن عمه والناس صيام، في بلد الله الحرام، فجوزي بزوال ملكه قبل أن يتم أربعة أشهر، فنعوذ بالله من الحوب.

ومنه عرفنا أن ابن راجح قتادة عاد إلى مكة بعد ملك أبي سعد وجماز، وملكها آخر ولاية سترى في ترجمة ابنه غانم التالية.

ثم لم أر من ذكر وفاة جماز هذا، ولا عد بنيه، غير أن أشراف ينبع ذوي هجار ينتسبون إليه كما تقدم.

-20الشريف راجح بن قتادة) ت 654 هـ 1256 /م):

الشريف راجح بن قتادة بن إدريس بن مطاعن، وبقية النسب تقدم في ترجمة أبيه قتادة.

كان راجح أكبر أولاد قتادة، ولكن حسناً حاز الإمارة عنه، فظهر راجح مظهر المغبون، وكثرت حركته، واستنجد بالكثيرين، ولكن لم يوفق للإمرة المستقلة .وجاء ذكره في التأريخ أعطر من ذكر أخيه المتقدم، ولعل له دوراً في تشويه سمعة أخيه .ولا يكاد راجح هذا يعرف بين المؤرخين إلاّ بأمير السِّرين، فقد حازها طيلة حياته، وولي أيضاً معها مخلاف حلي وشيء من المخلاف السليماني حسب النصوص اللاحقة .([197])ترجم له تقي الدين صاحب العقد الثمين ([198])ترجمة استوعبت جل أخباره إن لم تكن كلها، فإليكها مع إلحاقات وتعقيبات، وشيء يسير من الاختصار :

قال الفاسي :راجح بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم الحسني المكي، أمير مكة . ولي إمرتها أوقاتاً كثيرة كما سيأتي بيانه، وجرى له في ذلك أمور نشير إليها :

لأنه لما مات أبوه، رام الإمرة بمكة، فلم تتهيأ له الغلبة أخيه حسن بن قتادة على ذلك.

وذكر ابن الأثير :أنه لما ملك أخوه حسن مكة، كان مقيماً في العرب ([199])بظاهر مكة، يفسد وينازع أخاه حسناً في ملك مكة .فلما سار حجاج العراق، كان الأمير عليهم، مملوك ([200])من مماليك الخليفة الناصر لدين الله اسمه آقباش، فقصده راجح بن قتادة، وبذل له وللخليفة مالاً ليساعده على ملك مكة، فأجابه إلى ذلك .ووصلوا إلى مكة، ونزلوا بالزاهر، وتقدم إلى مكة مقاتلاً لصاحبها حسن، وكان قد جمع جموعاً كثيرة من العرب وغيرهم، فخرج إلى من مكة وقاتله .وذكر ما سبق في ترجمة حسن بن قتادة، من قتل أصحابه لآقباش.

وذكر ابن محفوظ :أن راجح بن قتادة باين أخاه حسن بن قتادة، لما ملك مكة بعد موت أبيه .فلما كان الموسم الذي نمات فيه أبوه. تعرض راجح لقطع الطريق بين مكة وعرفه، فمسكه أمير الحاج، وأقام معه على الحوطة، فأرسل إليه صاحب مكة- يسعني حسن بن قتادة – يقول له :سلِّمه إلي وأسلم إليك مالاً جزيلاً، فاتفقا على ذلك .فقال راجح للأمير : أنا أدفع إليك أكثر مما يدفع، فأجابه إلى ذلك، وعزم الأمير آقباش على جبل الحبشي([201])، وهرب راجح إلى جهة اليمن، ثم توجه إلى الملك المسعود ملك اليمن.

وذكر أيضاً :أن الملك المسعود، لما ملك مكة، ولَّى راجحاً حلي ونصف المخلاف.

وولي راجح بن قتادة مكة غير مرة، في زمن الملك المنصور صاحب اليمن، مع عسكر الملك المنصور، وجرى بينهم وبين عسكر صاحب مصر الملك الكامل، وابنه الملك الصالح أيوب في ذلك أمور، ذكرها جماعة من المؤرخين، منهم ابن البزوري؛ لأنه قال في ذيل المنتظم لابن الجوزي في أخبار سنة تسع وعشرين وسبعمائة :في ربيع الآخر، تغلَّب راجح بن قتادة العلوي الحسني على مكة، وأخرج عنها المتولي عليها من قبل الملك الكامل زعيم مصر، فبلغ ذلك مستنيبه، فنفذ له عسكراً نجدة له، فعرف ذلك راجح فخرج عنها.

وقال في أخبار سنة ثلاثين وستمائة :في محرم منها، جمع راجح بن قتادة جمعاً عظيماً، وقدم مكة شرفها الله تعالى، فدخلها واستولى عليها، وطرد عنها من كان بها من عسكر الملك الكامل زعيم مصر، وأمده الملك المنصور عمر بن علي بن رسول زعيم اليمن بعساكره، وأخرج عنها متوليها الطغتكين، من قِبَل الكامل.

وفي هذه السنة، وصل عسكر مصر إلى مكة واستولى عليها، وأخرج عنها أميرها راجح بن قتادة، وعدلوا في أهلها وأحسنوا السيرة.

وفي أوائل صفر سنة ثلاث وثلاثين، وصل الحاج، وأخبروا بطيب حجهم، وأن الملك الكامل نفذ بعض زعمائه في ألف فارس إلى مكة، فأخرجوا عنها راجح بن قتادة واستولى عليها.

وذكر النويري في كتابه نهاية الأرب، بعض ما ذكره ابن البزوري من خبر راجح بن قتادة، وأفاد في ذلك ما لم يفده البزوري؛ لأنه ذكر أن في صفر سنة ثلاثين وستمائة، تسلم راجح بن قتادة مكة، وكان قصدها في سنة تسع وعشرين، وصحبته عسكر صاحب اليمن الملك المنصور، وكان الأمير فخر الدين بن الشيخ بمكة، ففارقها.

وذكر أن في سنة اثنتين وثلاثين، توجه الأمير أسد الدين جفريل إلى مكة، وصحبته سبعمائة فارس، فتسلمها في شهر رمضان، وهرب منها راجح بن قتادة، ومن كان بها من عسكر اليمن.

فاستفدنا من هذا، تعيين مقدار عسكر الكامل الذي أنفذه ىى مكة، في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، وتعيين أميره، وتعيين استيلائهم على مكة، ووقت خروج راجح منها، وكل ذلك لا يفهم مما ذكره ابن البزوري .واستفدنا مما ذكره في أخبار سنة ثلاثين([202])، أن استيلاء راجح بن قتادة على مكة فيها، كان في صفر من هذه السنة، وهو يخالف ما ذكره ابن البزوري في تاريخ استيلاء راجح على مكة في هذه السنة، وأن الأمير فخر الدين بن الشيخ، كان بمكة في هذه السنة.

وذكر ابن محفوظ هذه الأخبار، وأفاد فيها ما لم يفده غيره؛ لأنه قال :سنة تسع وعشرين وستمائة، جهز الملك المنصور في أولها جيشاً إلى مكة وراجح معه، فأخذها، وكان فيها أمير الملك الكامل، يسمى شجاع الدين الدغدكيني، فخرج هارباً إلى نخلة، وتوجه منها إلى ينبع، وكان الملك الكامل وجه إليه بجيش، ثم جاء إلى مكة في رمضان، فأخذها من نواب الملك المنصور، وقتل من أهل مكة ناساً كثيراً على الدرب، وكانت الكسرة على من بمكة.

وقال أيضاً في سنة ثلاثين وستمائة :ثم جاء الشريف راجح بعسكر من اليمن، فأخرج من كان بمكة من المصريين بالإرجاف بلا قتال، وفي آخرها حج أمير من مصر، يقال له الزاهد، في سبعمائه فرس، فتسلم مكة وحج بالناس، وترك في مكة أميراً يقاتل له ابن المجلى، في خمسين فارساً، أقام بمكة سنة إحدى وثلاثين.

وذكر بعض العصريين في بعض تواليفه، شيئاً من خبر الأمير راجح بن قتادة لمكة، في زمن الملك المنصور صاحب اليمن، وما جرى لراجح وعسكر المنصور، مع عسكر الملك الكامل، وابنه الملك الصالح؛ لأنه ذكر أن الملك المنصور، لما تسلطن باليمن بعد الملك المسعود، بعث راجح بن قتادة، وابن عبدان، في جيش إلى مكة، فنزلوا الأبطح، وراسل راجح أهل مكة، وذكَّرهم إحسان المنصور إليهم، أيام نيابته بمكة عن المسعود، فمال رؤساؤهم إليه، وكانوا حالفوا طغتكين، متولي مكة من قبل الملك الكامل صاحب مصر، بعد أن أنفق عليهم، فلما عرف طغتكين ذلك، هرب إلى ينبع، فاستولى راجح وأصحابه على مكة المشرفة، وذلك في ربيع الآخر من سنة تسع وعشرين وستمائة .ولما عرف بذلك صاحب مصر الملك الكامل، بعث إلى مكة عسكراً كثيفاً، مقدمهم الأمير فخر الدين بن الشيخ، فتسلموا مكة، وقتل ابن عبدان وجماعة من أهل مكة، ثم عن راجحاً جمع جمعاً، وأمده صاحب اليمن بعساكر، وقصد مكة فتسلمها في صفر سنة ثلاثين، وخرج منها فخر الدين بن الشيخ .فلما كان في آخر هذه السنة، وصل من مصر أمير يقال له الزاهد، في سبعمائة فارس، فتسلم مكة وحج بالناس .فلما كانت سنة إحدى وثلاثين، جهز الملك المنصور عسكراً جراراً وخزانة إلى راجح، فنهض الشريف راجح في العسكر المنصوري، وأخرجوا العسكر المصري، ثم إن راجحاً هرب من مكة، لما قدمها المنصور حاجاً في هذه السنة، لما قدمها المنصور حاجاً إلى اليمن، وأرسل المنصور إلى راجح في سنة اثنتين وثلاثين، بخزانة كبيرة على يد ابن النصيري، وأمره باستخدام الجند، فلم يتمكن راجح من ذلك، لوصول العسكر المصري، الذي أنفذه الكامل مع الأمير جفريل المقدم ذكره، وتوجه راجح وابن عبدان إلى اليمن .فلما كانت سنة ثلاث وثلاثين، بعث المنصور عسكراً من اليمن، مقدمهم الأمير الشهاب ابن عبدان، وبعث بخزانة إلى راجح، وأمره باستخدام العسكر، ففعل .فلما صاروا قريباً من مكة، خرج إليهم العسكر المصري، والتقوا بمكان يقال له الخريقين ([203])بين مكة والسَّرَّيْن، فانهزمت العرب أصحاب راجح، وأسر ابن عبدان، وبعث به إلى مصر مقيداً، ثم انهزم العسكر المصري من مكة، لما توجه راجح إلى مكة في صحبة المنصور، وذلك في سنة خمس وثلاثين، وأقام عسكر المنصور بمكة

سنة ست وثلاثين، ولا أدري هل كان راجح معهم أم لا، ثم خرج العسكر المنصوري في سنة سبع وثلاثين من مكة، لما وصل إليها الشريف شيحة بن هاشم بن قاسم ابن مهنا الحسيني أمير المدينة، في ألف فارس من مصر، فجهز المنصور راجحاً وابن النصيري في عسكر جرار .فلما سمع به شيحة وأصحابه هربوا من مكة، ثم أخذها العسكر المصري في سنة ثمان وثلاثين .فلما كانت سنة تسع وثلاثين، جهز المنصور جيشاً كثيفاً إلى مكة مع راجح، فبلغه أن صاحب مصر الصالح أيوب بن الكامل، أنجد العسكر المصري الذي بمكة بمائة وخمسين فارساً، فأقام راجح بالسَّرَّين، وعرف المنصور الخبر، فتوجه المنصور في جيش كثيف، فدخل مكة في رمضان من سنة تسع وثلاثين، بعد هرب المصريين، واستناب بمكة مملوكه فخر الدين الشلاح، ولا أدري هل استناب معه راجحاً أم لا، والظاهر أنه لم يستنبه، ثم عاد راجح لإمرة مكة؛ لأن ابن محفوظ ذكر انه تسلم مكة في آخر يوم ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وستمائة، لما انتزعها من جماز بن حسن بن قتادة بلا قتال .وذكر أن راجحاً أقام بمكة متولياً، حتى أخرجه منها ولده غانم بن راجح، في ربيع الأول من سنة اثنتين وخمسين.

وذكر شيخنا ابن خلدون :أن راجحاً عاد إلى مكة في سنة خمس وثلاثين مع الملك المنصور، وخطب له بعد المستنصر الخليفة العباسي، واستمر إلى سنة سبع وأربعين، فتوجه إلى اليمن هارباً لما استولى عليها ابن أخيه أبو سعد بن علي بن قتادة، وسكن الرين، يعني الموضع المعروف اليوم بالواديين([204])، ثم قصد مكة في سنة ثلاث وخمسين، وانتزعها من جماز بن حسن.

قلت :هذا فيه نظر من وجوه:

منها :أن راجحاً لم يستمر على مكة من سنة خمس وثلاثين، إلى سنة سبع وأربعين :لأنه وليها في هذه المدة جماعة، كما تقدم بيانه.

ومنها :أن راجحاً لم ينتزع مكة من جماز في سنة ثلاث وخمسين، وإنما انتزعها قبل ذلك، كما تقدم بيانه في هذه الترجمة، وترجمة جماز.

وكانت وفاة راجح في سنة أربع وخمسين وستمائة، على ما ذكره الميورقي فيما وجدت بخطه، ولم أستفد ذلك إلا منه .وبلغني أنه كان مفرطاً في الطول، حيث تصل يده وهو قائم إلى ركبته .انتهى قول التقي الفاسي.

المؤلف :إنما نقلت هذا النص بطوله عن صاحب العقد ولم أحذف منه إلاّ ما لا فائدة فيه، وذلك لأمور، منها :

1- لترى جد الشريف راجح ومثابرته على أمر مكة رغم تلك الهزائم المتكررة، حتى وافاه الأجل.

2- لترى ما وصل إليه الناس، وخاصة حكام الشطوط من التلاعب بأمر مكة، وهَوَان أهلها عليهم بحيث صارت تخرج من يد ذا إلى يد ذاك في السنة الواحدة عدة مرات، ويقتل أهلها في الطرقات، وتنهب منهم حتى ثيابهم.

3- إن القوى بين مصر واليمن كانت متكافئة، بحيث كل من يهجم على مكة يغلب من كان فيها، ويبطش بأهل الله وجيرانه، حتى أن حمام الحرم كان يصاد في وسط المسجد الحرام.

4- غياب الخلافة عن هذا النزاع، وكأنها كما قال الشاعر :

ويقضي الأمر، حين تغيب تَيْمٌ :

ولا يستأمرون وهم شهود

-5وظاهرة غريبة، وهي أننا لا نجد ذكراً لأحد من الأشراف، إلى صف راجح، بينما نجده -فيما سيأتي -يهب للصلح بينهم إذا تنازعوا.

خاتمة راجح :وخاتمته أن آخر من أقصاه عن إمرة مكة ابنه غانم، ولا تستقيم أخبار راجح إلا بعد قراءة أخبار ابن أخيه أبي سعد ابن علي، فأخبار راجح وأبي سعد وجماز ابن حسن وغانم بن راجح متداخلة، وشكك بعض المعاصرين أن يكون راجح قد ولي مكة، وإنما كان صاحب السَّرَين من سنة 629) ه1231 /م (إلى أن مات سنة 654) ه1256 /م(، وما يؤخذ من نصوص المتقدمين أولى.

قلت :والقول إنه صاحب السرين ([205])إلى أن مات، لا يتنافى مع ولاية مكة، إذ يبد أن راجحاً جعل السرين قاعدة أمينة له، يلجأ إليها كلما غلب، ولكن من الواضح من كل ما قيل عن راجح إنه لم يلي مكة ولاية مستقلة، إلا اللهم آخر ولاية التي كرده منها ابنه غانم -التابع خبره -أما قبله فكانت كل ولاياته تحت رماح اليمنيين، إذا أقبلوا أقبل معهم وإذا انهزموا انهزم معهم، أما الأخيرة فلو لم تكن استقلالاً ما استطاع ابنه التغلب عليه، ولقاتله جنود ملك اليمن.

وبقراءة أخبار ابن أخيه الآتية يتضح شيء آخر.

وفي ترجمة جماز الآتية، قال شيخ الإسلام أحمد بن زيني دحلان :

واستمر إلى الحج- أي جماز بن حسن بن قتادة- فقدم عمه راجح بن قتادة بجيش، واستولى على مكة، وخرج منها جماز، بلا قتال، وكانت هذه الولاية للشريف راجح آخر ولايته بمكة، واستمر فيها إلى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وستمائة، فهجم على مكة ابنه) غانم بن راجح (وانتزع الملك من أبيه، وتوفي الشريف راجح سنة654) هـ ...(الخ .([206])فإذا عرفت أن الشيخ الدحلان أكثر مؤرخي مكة اختصاصاً بالأشراف، عرفت منه أن راجحاً أحد أمراء مكة، وأن آخر ولاية له انتزعها منه ابنه غانم الآتية ترجمته، وأن راجحاً توفي سنة 654)هـ 1256/م.(

والعصامي يقول- في أخبار جماز :-فلما كان آخر يوم من ذي الحجة651) هـ (قدم عمه راجح بن قتادة ففر منه جماز بلا قتال إلى ينبع .([207])ثم وليها راجح، واستمر إلى سنة 652)هـ(، فلما كان شهر ربيع منها هجم عليه ابنه غانم بن راجح، وأخرجه منها بلا قتال، فوليها غانم إلى شهر شوال، ثم وليها أبو نمي.([208])

أين دفن راجح " لم أر من ذكر أين توفي راجح وأين دفن، ولكنه بعد أن ترك إمرة مكة ظل يتردد- لعله من السرين -على مكة، وقد أصلح بين أخيه إدريس وحفيد أخيه أبي نمي الأول :محمد بن حسن بن علي بن قتادة، ثم مات بنفس السنة، فلعله مات في مكة.

أبناؤه :لم يذكر مؤرخوه أحداً من أبنائه في ترجمته، ولكن ذكروا ابنه غانم كأمير لمكة.

ويبدو أن راجحاً عمّر طويلاً، إذ أن أباه مات سنة617) هـ (ومات هو سنة654) هـ(، فإذا عرفت أن أباه بلغ التسعين عاماً، وأن راجحاً أكبر بنيه كما كان يزعم، فكم كان عمره

عندما توفي؟ !!ولم أسمع أن له ذرية باقية في الحجاز، أما الرواجحة المعروفون اليوم بوادي فاطمة فيقول نسابو الأشراف إنهم ذرية راجح بن أبي نمي الآتي ذكره، أما الذين في محافظة القنفذة فهم من نسل الحسن بن أبي نمي الثاني، أبوهم راجح بن محمد بن مساعد بن مسعود بن الحسن بن أبي نمي حمد بن بركات.

-21الشريف غانم بن راجح بن قتادة

كان حياً سنة 652) هـ 1254 /م:(

قال صاحب العقد :أمير مكة .تسلمها من أبيه في ربيع الأول سنة652) هـ (بغير قتال، وأقام بها إلى شوال، فأخذها منه أبو نمي، وإدريس بن قتادة، ولم يقتل منم إلا ثلاثة أنفس، منهم :عالي شيخ المبارك) .([209]بتصرف عن العقد الثمين) غانم.((

أما صاحب خلاصة الكلام، فقد قال- بعد ما رويناه في ترجمة جماز آنفة الذكر :-واستمر فيها- أي راجح -إلى شهر ربيع الأول سنة652) هـ(، فهجم على مكة ابنه) غانم بن راجح (وانتزع الملك من أبيه، وتوفي الشريف راجح سنة654) هـ .(واستمر غانم بن راجح إلى شوال من نفس السنة، فانتزعها منه أبو نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة، وعمه إدريس بن قتادة([210])، بعد قتال بنيهم مات فيه ثلاثة أنفار) أشخاص (واستمر إلى الخامس والعشرين من ذي القعدة، فجاء بجيش) المبارز بن علي بن الحسن بن برطاس (من الملك المظفر صاحب اليمن ...الخ.

وبهذا تكون ولاية غانم المذكور :بين ربيع الأول وشوال من سنة652) هـ (أما الذي استمر إلى الخامس والعشرين من ذي القعدة، فهو الحرب بين الشريفين إدريس وأبي نمي وبين ابن برطاس، وسيأتي في ترجمتهما.

ونلاحظ في ترجمة الشريكين :إدريس وأبي نمي محمد بن الحسن، ما يأتي :

-1ينص في العقد الثمين أن إدريس هذا هو ابن قتادة، وهو في هذه الحالة ليس عم أبي نمي إلا مجازاً، إذ هو عم أبيه، بينما نص صاحب خلاصة الكلام أن إدريس هذا هو ابن علي بن قتادة، فهو في هذه الحالة عم أبي نمي حقيقة، فإلى ترجمتهما المقبلة.

-2إن الشراكة بينهما أول شراكة في الحكم بين شخصين ليسا أباً وابنه، ثم سوف تتكرر كثيراً في) تأريخ الأشراف.(

ويقول العصامي ...:([211])ثم وليها راجح بن قتادة، واستمر إلى سنة652) هـ(، فلما كان شهر ربيع الأول منها، هجم عليه ابنه غانم بن راجح، وأخرجه بلا قتال.

فوليها غانم في شهر ربيع الأول، واستمر إلى شوال من السنة المذكورة، ثم وليها أبو نمي، وعمه إدريس بن حسن بن قتادة، وأخرج غانم منها، أي في شوال من نفس السنة، وحكمه نحو سبعة أشهر .وهنا خلاف آخر في إدريس، فالعصامي يقول :إدريس بن حسن بن قتادة، وفي ترجمته المقبلة سنحقق من هو إدريس هذا، إن شاء الله.

-22الشريف إدريس بن قتادة بن إدريس بن مطاعن :ت 669) هـ 1270/م:(

قال السيد تقي الدين الفاسي :([212])

أمير مكة، ولي إمرتها نحو سبع عشرة سنة، شريكاً لابن أخيه ([213])أبي نمي في أكثر هذه المدة، وانفرد بها وقتاً يسيراً، وجرت بينهما أمور .فمن ذلك :أن أبا نمي أخذ مكة في سنة 654)هـ(، لما راح إدريس إلى أخيه راجح بن قتادة، ثم جاء هو وراجح إلى مكة، وأصلح راجح بن أبي نمي وإدريس .ومنها أن في سنة667) هـ(، وقع بين أبي نمي وإدريس خُلف، فأخرج أبو نمي إدريس من مكة .فجمع إدريس وحشد، ثم اصطلحا .وفي سنة669) هـ(، وقع بين إدريس وأبي نمي خُلْف، استظهر فيه إدريس على أبي نمي، فتوجه أبو نمي إلى ينبع، واستنجد بصاحبها، وجمع وحشد والتقيا وتحاربا، وظفر أبو نمي بإدريس، فألقاه عن جواده، ونزل وحز رأسه.

ووجدت بخط الميورقي– القول للفاسي –ما يقتضي أن قتل أبي نمي إدريس في آخر ربيع الآخر أو في جمادى الأولى669) هـ(، لأنه ذكر أن في ربيع الأول سنة669) هـ (قتل ولد لأبي نمي، وطرد أبوه، وبعد قتله بأربعين يوماً قتل أبو نمي عمه إدريس.

وذكر ابن محفوظ، أن الحرب الذي قتل فيه إدريس، كان بخليص([214])، بعد أن استبد دون أبي نمي بإمرة مكة أربعين يوماً .وأول ولايتهما مكة– كما تقدم –أخذهما إياها من غانم بن راجح، بقتال قتل فيه ثلاثة نفر، وذلك سنة652) هـ(، وأقاما بها إلى الخامس والعشرين من ذي القعدة من نفس السنة، ثم أخرجهما ابن برطاس بعد قتال بينهم، ثم أخذها إدريس وأبو نمي من ابن برطاس بعد قتال في سنة653) هـ .(ولم يبين ابن محفوظ الشهر الذي أخرج فيه إدريس وأبو نمي ابن برطاس من مكة، وهو في المحرم سنة653) هـ (على ما ذكر الميورقي، وذكر أن في هذا الحرب سفكت الدماء بالحِجر من المسجد الحرام.

قال مؤلفه :أي أن ابن برطاس لم تزد مدته عن شهرين اثنين.

ووجدت– القول للتقي –بخط الميورقي ما يقتضي أن إدريس وأبا نمي، وليا مكة مشتركين نحو أربع عشرة سنة، مع المودة والمصاهرة، لأنه قال في أخبار سنة669) هـ (قتل أبو نمي عمه إدريس بعد نحو أربع عشرة سنة، في مصاهرة وولاية إمرة مكة في صحبة ومودة) .بتصرف يسير عن العقد الثمين /إدريس.(

ويقول السيد زيني دحلان– :([215])في حوادث سنة652) هـ :(واستمر بها غانم بن راجح إلى شوال، فانتزعها منه أبو نمي وعمه إدريس) بن علي بن قتادة (إلى أن يقول :فجاء ابن برطاس بجيش، وذكر أن الشريفين هزماه وأسراه، ثم افتدى نفسه وذهب إلى اليمن، ولم يأت بشيء يضاف إلى ما تقدم.

أما العصامي فلم يأت أيضاً بكثير فائدة تضاف على ما تقدم، غير أنه قال :([216])ثم وليها أبو نمي بن أبي سعد وعمه إدريس بن) حسن بن قتادة (وأخرج غانم بن راجح منها.

وأبو نمي هذا هو والد أبي سعد الحسن المذكور، ثم يذكر جش ابن برطاس، فيقول :وتقاتلوا بالسرجة ([217])من قوز المكاسة، وذكر ما تقدم من روايات، وما يلحق في ترجمة أبي نمي . إلى قوله :محمد بن أبي سعد وعمه الشريف حسن بن قتادة .

المناقشة :

1- قال الفاسي: إدريس بن قتادة، وجعله عم أبي نمي، فأقول: هو- على هذا -عمه مجازاً لا حقيقة، لأن إدريس هذا هو أخو جد أبي نمي، أي عم أبيه، ومثل هذا من عادة أهل الحجاز أن يسموه عماً.

2- قول السيد أحمد بن زيني دحلان: إدريس بن علي بن قتادة، لعله عزه أن رأى المؤرخين يسمونه عم أبي نمي، فظنه عمه لزماً، فإذا هو أخو أبي سعد بن علي، وهذا وهم.

3- قول العصامي: إدريس بن حسن بن قتادة، وقوله عمه حسن بن قتادة، فهذا وهم ظاهر ويستثنى كلياً.

4- ونرى العز بن فهد يتابع الفاسي وينقل عنه حرفياً) إدريس بن قتادة.(

5- أما ابن ظهيرة. ([218])فيؤكد أنه إدريس بن قتادة، ثم يقول: ثم انفرد أبو نمي بالولاية في سنة654) هـ (لذهاب عمه إدريس إلى أخيه راجح بن قتادة، ثم عاد إدريس لمشاركة أبي نمي، ثم ولي مكة أولاد حسن بن قتادة، وأقاموا ستة أيام، وقبضوا على إدريس ..الخ.

قلت: وهكذا نص ابن ظهيرة على أن راجح بن قتادة أخو إدريس، فإذا هو) إدريس بن قتادة بن إدريس بن مطاعن (وبقية النسب تقدم في أبيه.

ولا ينظر إلى تلك المخالفات فإنها مجرد أوهام.

ونلاحظ أنه لا يكاد يلي أمراً من الأمور شريكان إلا اختلفا فالشراكة ثقيلة على النفوس، والاستبداد من طبائع البشر، إلاّ أن ترد عن قوة أو نظام معتبر، وكثيراً ما يخرق النظام في مثل هذه الأمور ..

6–يستدرك على العصامي قوله :وهو والد أبي سعد، فلعله من أغلاط النساخ أو المطابع فإنها ورثت النساخ في مثل هذا، وإلاّ فإن أبا نمي هذا هو ولد أبي سعد وليس والده، ولإدريس هذا ولد اسمه محمد، حكم مكة، ويقول الأشراف الحاميد– بينع اليوم :–إنهم من ذرية إدريس هذا، ولكنهم يعتقدون أن اسم أبيهم محمود، ولعله محمد هذا، والله أعلم.

23–الشريف أبو نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة .ت701) هـ / 1301م :(

ويكنى أبا مهدي، ويلقب نجم الدين، وتغلب عليه وعلى أبيه كنيتاهما، فلا يعرف إلا بأبي نمي، وأبوه بأبي سعد، فلما جاء أحد أحفاده) أبو نمي بن بركات (مُيِّز بأبي نمي الثاني، وميز هذا بالأول.

ترجم له التقي الفاسي، فقال :([219])ولي مكة نحو خمسين سنة، إلاّ أوقاتاً يسيرة زالت ولايته عنها، يأتي ذكرها.

وذكر صاحب» بهجة الزمن «في مدة ولايته لمكة ما ذكرناه في مدة ولايته لها، بزيادة في ذلك لأنه قال :واستمرت إمرته على مكة ونواحيها ما ينوف على خمسين سنة.

وما ذكره من :أن ولاية أبي نمي على مكة ونواحيها ينيف على خمسين سنة :فيه نظر، لأنه لم يل إلا بعد أبيه، وبين وفاتيهما تسع وأربعون سنة وأشهر، وغايتها خمسين على الخلاف في تاريخ شهر موت والده أبي سعد، إلا أن يكون أبو نمي :ولي غمرة مكة نيابة عن أبيه، ويضاف ذلك إلى ولايته بعده فلا إشكال.

واستقل أبو نمي بغمرة مكة في أكثر المدة المشار إليها، وشارك عمه إدريس بن قتادة في بعضها.

وولايته المشتركة سبع عشرة سنة أو نحوها، وولايته المستقلة إحدى وثلاثون سنة أو نحوها.

وقال الذهبي في ذيل سير النبلاء له في ترجمة أبي نمي- هذا:-

وكانت ولايته نحواً من أربعين سنة بعد عمه- الذي قتله.

وفيما ذكره الذهبي نظر، لأن عمه المشار إليه هو إدريس بن قتادة، وكانت وفاته سنة تسع وستين وستمائة، على ما وجدت بخط الميورقي، وذكر ذلك غير واحد من المؤرخين.

ومقتضى ما ذكرناه من تاريخ وفاة إدريس ابن قتادة :أن تكون ولاية أبي نمي بعده إحدى وثلاثين سنة وأشهراً، إلا أن أبا نمي لم يعش بعد عمه إدريس إلا المدة التي أشرنا إليها كما سيأتي في تاريخ وفاة أبي نمي.

وقد وجدت ما يوهم الاختلاف في ابتداء ولايته؛ لأن ابن محفوظ ذكر- فيما وجدت بخطه - أن في شوال سنة اثنتين وخمسين :جاء الشريفان أبو نمي وإدريس، وأخذا مكة من غانم بن

راجح بن قتادة بالقتال، ولم يقتل بينهم إلا ثلاثة أنفس .منهم :عالي شيخ المبارك .وأقاما بها إلى الخامس والعشرين من ذي القعدة، فجاء ابن برطاس المبارز بن علي من اليمن، فأخذها منهم، وتقاتلوا بالسرجة من قوز المكاسة([220])، وكان معهما جماز بن شيحة وصاحب المدينة .وحج بالناس تلك السنة ابن برطاس، ولم يزل مقيماً بمكة إلى آخر السنة.

ووجدت بخط الميورقي :

وولي أبو نمي بعد قتل أبيه أبي سعد في المحرم سنة ثلاث وخمسين وستمائة.

وهذا وإن أوهم الخلاف في تاريخ ابتداء ولاية أبي نمي بمكة فليس خلافاً في الحقيقة، لإمكان الجمع بين ما ذكره ابن محفوظ في ابتداء ولايته، وبين ما ذكره الميورقي في ابتدائها.

وذلك :أن يحمل كلام الميورقي على :أنه أراد ولاية أبي نمي بمكة بعد خروج ابن برطاس منها .ويحمل ما ذكره ابن محفوظ على :ولاية أبي نمي التي بعد غانم بن راجح.

ويؤيد ذلك :أن الميورقي، وابن محفوظ :ذكر كل منهما ما يقتضي :أن أبا نمي ولي مكة بعد ابن برطاس في سنة ثلاث وخمسين وستمائة؛ لأن الميورقي قال :ثم استحكم أبو نمي وعمه إدريس على مكة، فأخرج الشرفا الغز بسفك دماء خيل ابن برطاس الوالي لها من جهة اليمن .وامتلأ الناس رعباً، وسفكت الدماء بالحِجر يوم السبت لأربع ليال بقين من المحرم سنة ثلاث وخمسين وستمائة.

وذكر في موضع آخر نحو ذلك باختصار بالمعنى.

وقال ابن محفوظ– فيما وجدت بخطه :–سنة ثلاث وخمسين وستمائة جاء أبو نمي وإدريس ومعهم جماز بن شيحة صاحب المدينة .فدخلوا مكة، وأخذوها من ابن برطاس بعد القتال.

وذكر بعض العصريين حرب بين ابن برطاس، وأب نمي، وإدريس، الحرب الأول والحرب الثاني . وذكر :أنه أسر في الثاني، ثم خلص لافتدائه نفسه.

وسنوضح ذلك أكثر من هذا في ترجمته.

وجرى بين أبي نمي وعمه إدريس بسبب مكة أمور :

منها :أن أبا نمي في سنة أربع وخمسين وستمائة :أخذ مكة من عمه إدريس، وكان شريكه فيها، لما راح إدريس إلى أخيه راجح ابن قتادة .ثم جاء إدريس مع راجح بن قتادة، وأصلح راجح بن بن قتادة وأبي نمي.

ومنها :أن أبا نمي– في سنة سبع وستين :–أخرج عمه إدريس من مكة، وانفرد بالإمرة، وخطب لصاحب مصر الملك الظاهر بيبرس الصالحي البندقداري، وكتب إليه أبو نمي– يذكر له :–أنه لما شاهد من عمه إدريس ميلاً إلى صاحب اليمن، وتحاملاً على دولته :أخرجه من مكة، وانفرد بالإمرة، وخطب له، وسأل مرسومه إلى أمراء المدينة :ألا يتخذوا عمه عليه . فاشترط عليه صاحب مصر :تسبيل بيت الله للعاكف والباد، وأن لا يؤخذ عنه حق، ولا يمنع زائر في ليل أو نهار، وأن لا يتعرض إلى تاجر ولا حاج بظلم، وأن تكون الخطبة والسكة له، ولأبي نمي على ذلك :عشرون ألف درهم في كل سنة .

فلما ورد جواب أبي نمي إلى صاحب مصر بالتزام ذلك، كتب له تقليداً بالإمرة بمفرده.

ومنها :أن إدريس بن قتادة بعد إخراج أبي نمي له من مكة، حشد وجمع، وتوجه إلى مكة المشرفة، ثم اصطلح مع أبي نمي،

واتفقا على طاعة صاحب مصر، وكتب إليه إدريس يعرفه بذلك.

ومنها :أنه في سنة تسع وستين وستمائة :وقع بين أبي نمي وعمه خلف، فاستظهر إدريس على أبي نمي .وخرج أبو نمي هارباً من بين يدي عمه، ووصل ينبع، واستنجد بصاحبها، وجمع، وحشد، وقصد مكة .فالتقى هو وعمه إدريس وتحاربا، فطعن أبو نمي إدريس فألقاه عن جواده، ونزل إليه، وجز رأسه، واستبد بالإمرة.

ذكر هذه الحادثة بمعنى ما ذكرناه القطب اليونيني في ذيل المرآة.

وذكر :أن في آخر جمادى الأولى من السنة المذكورة :وصل النجابون إلى مصر من عند أبي نمي، وأخبروا بذلك.

ووجدت بخط الميورقي :ما يشهد لبعض هذه القضية بزيادة فائدة؛ لأنه ذكر :أن في ربيع الأول سنة تسع وستين قتل ولد لأبي نمي وطرد أبوه، وبعد قتله بأربعين يوماً قتل أبوه عمه إدريس .وجرى بين أبي نمي، وجماز بن شيحة، صاحب المدينة أمور تتعلق بولاية مكة.

منها– على ما وجدت بخط الميورقي –أن عيسى بن الشيخ جرير قال :أخرج الأمير جماز بن شيحة الحسني أبا نمي من مكة– شرفها الله تعالى –في آخر صفر سنة سبعين وستمائة، وجاءت مواليه سنة سبعين وستمائة، أبو نمي مطرود، وأكمل لقتل ولده سنة .ثم رجع أبو نمي

إلى مكة في ربيع وهزم جماز ابن شيحة الحسيني، ثم جاء الحسيني لإخراج أبي نمي في شعبان سنة ثلاث وسبعين، فأعطاه أبو نمي ورجع، وخلى بينه وبين قتلة أبيه أبي سعد.

ووجدت بخط ابن محفوظ :ما يشهد للقضية التي كانت بين أبي نمي، وجماز بن شيحة فقي سنة سبعين بزيادة فائدة .لأنه ذكر :أن في سنة سبعين وستمائة وصل جماز– يعني صاحب المدينة –وغانم بن إدريس، وأخذا مكة، وبعد أربعين يوماً أخذها منهم أبو نمي .انتهى.

وفي هذا فائدة لا تفهم من كلام الميورقي، وهي :أن مدة إخراج أبي نمي من مكة أربعين يوماً.

وفيه فائدة أخرى :وهي :أن غانم بن إدريس كان مع جماز في هذه القضية، وغانم ابن إدريس هو :غانم بن حسن بن قتادة.

ويدل لذلك :ما وقع في الخبر الذي ذكره الميورقي من :أن جماز بن شيحة خلى بن أبي نمي وقتلة ابنه.

وقتلة ابنه هم :أولاد حسن بن قتادة .ومنهم :إدريس بن حسن، والد غانم بن إدريس المحارب لأبي نمي.

ومنها– على ما وجدت بخط المؤرخ شمس الدين محمد بن إبراهيم الجزري الدمشقي –أن في التاسع عشر من شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين كانت وقعة بين أبي نمي صاحب مكة، وبين جماز بن شيحة صاحب المدينة، وبين صاحب ينبع إدريس ابن حسن بن قتادة، فظهر عليهما أبو نمي، وأسر إدريس، وهرب جماز .وكانت الوقعة في مر الظهران .وكانت عدة من

مع أبي نمي :مائتي فارس ومائة وثمانين راجلاً، ومع إدريس وجماز :مائتين وخمسة عشر فارساً، وستمائة راجل.

ومنها، على ما وجدت بخط ابن محفوظ :-أن في سنة سبع وثمانين :جاء جماز بن شيحة وأخذ مكة، وأقام بها إلى آخر السنة، وأخذها منه نواب أبي نمي.

وقد اختصر ابن محفوظ هذه الواقعة.

وقد وجدتها أبسط من هذا في وريقة وقعت لي- لا أعرف كاتبها -فيها :أن جماز ابن شيحة أمير المدينة، تزوج خزيمة بنت أبي نمي، وبنى بها في ليلة السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين وستمائة، ثم حاربه جماز- المذكور 0بعد ذلك، وطلب من السلطان الملك المنصور عسكراً .فسير عسكراً تقدمه أمير، يقال له :الجكاجكي .فتوجهوا إلى مكة وأخذوها، وأخرجوا أبا نمي منها.

وخطب لجماز، وضربت السكة باسمه، وذلك في سنة سبع وثمانين، وبقيت في يده مدة يسيرة.

ثم إن امرأة يقال لها أم هجرس، من صبايا خزيمة سقت الأمير جماز سمًّا، فاضطرب له جسمه، وحصل من الجكاجكي مراسلة إلى أبي نمي في الباطن، فعرف جماز أنه مغلوب، فرحل عن مكة، ووصل إلى المدينة، وهو عليل من السم فلم يزالوا يعالجونه حتى برئ .وأرسل الأمير جماز بالجكاجكي مقيداً إلى السلطان، فحسبه، ولم يزل في يد أبي نمي إلى أن توفي.([221])

قلت :الملك المنصور– المشار إليه –هو :قلاوون الصالحي .ولعل سبب إنجاده لجماز علي أبي نمي عدم وفاء أبي نمي باليمين التي حلفها للمنصور قلاوون .ويبعد جداً أن يعين أحداً على أبي نمي مع وفاء أبي نمي باليمين المذكورة؛ لأن الملوك تقنع من نوابهم بالطاعة، وإظهار الحرمة سيما نواب الحجاز.

وهذه نسختها على ما وجدت في تاريخ شيخنا ناصر الدين بن الفرات العدل الحنفي .وهي :

أخلصت يقيني، وأصفيت طويتي، وساويت بين باطني وظاهري في طاعة مولانا السلطان الملك المنصور وولده السلطان الملك الصالح، وطاعة أولادهما ووراثي ملكهما، لا أضمر لهم سوءاً ولا غدراً في نفس، ولا مال، ولا سلطنة.

وإني عدو لمن عاداهم، صديق لمن صادقهم، حرب لمن حاربهم، سلم لمن سالمهم.

وأنني، لا يخرجني عن طاعتهم طاعة أحد غيرهما، ولا التفت في ذلك إلى جهة غير جهتهما، ولا أفعل أمراً مخالفاً لما استقر من هذا الأمر، ولا أشرك في تحكيمهما علي ولا على مكة المشرفة، وحرمها، وموقف حلها زيداً ولا عمراً.

وأنني، ألتزم ما اشترطته لمولانا السلطان، وولده في أمر الكسوة الشريفة المنصورية الواصلة من مصر المحروسة، وتعليقها على الكعبة المشرفة في كل موسم، وأن لا يتقدم علمه علم غيره.

وأنني، أسبل زيارة البيت الحرام أيام موسم الحج وغيرها للزائرين، والطائفين، والبادين، والعاكفين اللائذين بحرمه، والحاجين، والواقفين.

وأنني، أجتهد في حراستهم من كل عاد بفعله، وقوله

]العنكبوت.[67:

وأنني، أؤمنهم في شربهم، وأعذب لهم مناهل شربهم.

وأنني- والله -أستمر بتفرد الخطبة والسكة بالاسم الشريف المنصوري، وأفعل في الخدمة فعل المخلص الولي.

وأنني- والله -أمتثل مراسيمه امتثال النائب للمتنسيب، وأكون لداعي أمره أول سامع مجيب.

وأنني، ألتزم بشروط هذه اليمين من أولها إلى آخرها، لا أنقضها.

وكان حلف أبي نمي لهذه اليمين في سنة إحدى وثمانين وستمائة، على ما ذكره شيخنا العدل ناصر الدين بن الفرات.

وقد رأيت ما يدل على أن أبا نمي لم يف ببعض هذه اليمين، لأن وجدت بخط ابن محفوظ :

أن في آخر يوم ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وستمائة، خطب للملك المظفر صاحب اليمين، وقطعت خطبة خليل بن المنصور بعد أن خطب له في أولها.

وهذا إنما يصدر عن أبي نمي، ولعل أبا نمي تأول أن الأشرف خليل بن المنصور قلاوون لم يدخل في يمينه المنصور وابنه الصالح، لكون الأشرف لم يسم فيها .فإن كان تأول ذلك، فهو تأول غير مستقيم لدخوله في قوله في اليمين :وطاعة أولادهما.

وأظن أن الحامل لأبي نمي على تقديم صاحب اليمن على صاحب مصر كون صلته أعظم من صلة صاحب مصر، لأن العاقل لا يفعل أمراً يلحقه فيه ضرر إلا لنفع أكبر .وكانت صلة صاحب اليمن لأبي نمي عظيمة، على ما وجدت في مقدارها، لأن بعض الناس ذكرها، وذكر شيئاً من حال صاحب اليمن بمكة، وحال أبي نمي معه، وذلك مما يحسن ذكره هنا، ونص ذلك :

وقد كان الملك المؤيد لما تسلطن جهز تلك السنة علمه المنصور، ومحمل الحج السعيد، صحبة القائد ابن زاكي، فتلقاه الشريف أبو نمي صاحب مكة بالإجلال والإكرام، وخفقت ذوائب العلم المنصور على جبل التعريف بعرفة، وأعلن مؤذنه على قبة زمزم بمناقب السلطان على رؤوس الأشهاد .وسمع تلك الأوصاف من ضمه ذلك المقام الشريف، وحلف للسلطان الملك المؤيد الأيمان الغليظة، وكتب على قميصه :ما يقتضي ما جرت به العادة.

ووصل إلى الشريف– المذكور –ما اقتضته المواهب السلطانية مما كان قرره الخليفة من العين، والغلة، والكساوي، والطيب من المسك، والعود، والصندل، والعنبر والثياب الملونة، والخلع النفيسة.

وكان مبلغ العين :ثمانون ألف درهم، ومبلغ الغلة :أربعمائة مد .انتهى من كتاب» العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية «لبعض مؤرخي اليمن في عصرنا.([222])

والذي يصل لصاحب مكة من صاحب اليمن :نحو ربع ذلك أو أقل، ومبلغ الطعام المذكور بكيل مكة ألف غرارة ومائتا غرارة مكية .وذلك في عصرنا.

والخليفة– المشار إليه –هو الملك المظفر، والد الملك المؤيد.

ووجدت بخط ابن محفوظ أيضاً :

أن أمير الركب في سنة اثنتين وتسعين وستمائة استحلف أبا نمي على الرواح إلى مصر، فأعطاه ألف دينار .فعزم في سنة ثلاث وتسعين، ثم رجع من ينبع لما بلغه موت الأشرف.

ووقع من أبي نمي في حق الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر ما أوجب انحرافه منه غير مرة.

منها :أن أبا نمي وعمه إدريس أخرجا نائباً كان للملك الظاهر، يقال له :مروان، نائب أمير جاندار في سنة ثمان وستين وستمائة .وكتب إليه الملك الظاهر غير مرة بالرضا عما ارتكبه أبو نمي مما لا ينبغي فعله.

منها :في سنة خمس وسبعين وستمائة، لأني وجدت بخط الميورقي:

أهان الله ولاة مكة بكتاب من والي مصر يزجرهم فيه عن الجور في آخر سنة خمس وسبعين وستمائة.

قلت :ووالي مصر في هذا التاريخ هو الظار بيبرس، ووالي مكة في هذا التاريخ هو أبو نمي.

ووجدت في تاريخ شيخنا ابن خلدون:

أنه كان بين أبي نمي، وبين الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر منافرة، فكتب إليه الظاهر كتاباً منه:

من بيبرس سلطان مصر إلى الشريف الحسيب النسيب أبي نمي محمد بن أبي سعد.

أما بعد :فإن الحسنة في نفسها حسنة، وهي من بيت النبوة أحسن، والسيئة في نفسها سيئة، وهي من بيت النبوة أوحش.

وقد بلغنا عنك أيها السيد أنك آويت المجرم، واستحللت دم المحرم، ومن يهن الله فما له من مكرم، فإن لم تقف عند حدك وإلا أغمدنا فيك سيف جدك .والسلام.

فكتب إليه أبو نمي:

من محمد بن أبي الفتوح سعد إلى بيبرس سلطان مصر.

أما بعد :فإن المملوك معترف بذنبه تائب إلى ربه، فإن تأخذ فيدك لأقوى، وإن تعفو فهو أقرب للتقوى، انتهى.

وبعض الناس يذكر في كتاب بيبرس إلى أبي نمي غير ما سبق، وذكر :أنه كتب إليه يقول له :

إنه بلغنا عنك أيها السيد، أنك أبدلت حرم الله بعد الأمن بالخيفة، وفعلت ما يحمر الوجه، ويسود الصحيفة.

ولعل ذلك كتب مع الألفاظ السابق ذكرها، فحفظ بعضهم الأول فقط، وحفظ بعضهم الثاني فقط، وظن ظان أنهما كتابان وهما واحد، والله أعلم.

ووقع في زمن أبي نمي فتن بعضها بينه وبين أمير الحاج، وبعضها بين الحجاج وأهل مكة ذكرناها في تأليفنا» شفاء الغرام ومختصراته «ونشير هنا لشيء منها باختصار.

فمنها :أنا أبا نمي صدّ الحاج عن دخول مكة، لوحشة بينه وبين أمير الحاج، فنقب الحجاج السور، وأحرقوا باب المعلاة، ودخلوا مكة هجماً بعد فرار أبي نمي منها.

وذلك في موسم سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

ومنها :أن في سنة تسع وثمانين، حصل بين أهل مكة والحجاج فتنة في المسجد الحرام، قتل فيها من الفريقين فوق أربعين نفراً– فيما قيل –ونهبت الأموال، ولو أراد أبو نمي نهب الجميع لفعل إلا أنه تثبت.

وقد أثنى على أبي نمي غير واحد من العلماء مع ذكرهم لشيء من أخباره، منهم الحافظ الذهبي، لأنه قال في» ذيل سير النبلاء «في ترجمة أبي نمي :

شيخ ضخم، أسمر، عاقل، سايس، فارس، شجاع، محتشم، تملك مدة طويلة، ولد عدة أولاد، وفيه مكارم وسؤدد.

وذكره لي أبو عبد الله الدباهي فأثنى، وقال :لولا المذهب لصلح للخلافة، كان زيدياً كأهل بيته.

وقال القاضي تاج الدين عبد الباقي اليماني في كتابه» بهجة الزمن في تاريخ اليمن«، بعد أن ذكر وفاة أبي نمي :

وكان أميراً، كبيراً، زعيماً، ذا بخت وحظ في الإمرة، يرغب إلى الأدب وسماعه، وله الإجازات السنية للشعراء الوافدين عليه بإطلاق الخيل الأصايد في مقابلة القصائد.

وللأديب موفق الدين علي بن محمد الحندودي ([223])في أبي نمي– هذا –من قصيدة يمدحه بها، أولها :

أقاتلتي بغير دم ظلامه

أما قود لديك ولا غرامه

بخلت عليَّ منك بدرِّ ثغر

تقبله الأراكة والبشامه([224])

ولو أن الفريق أطاع أمري

لما احتار الرحيل على الإقامه

وكم بالظعن يوم مضاحكات

عدمنا من قلوب مستهامه

وبين أكلَّة الحادين شمس

قرعْتُ لبينها سِني ندامه

ومنها :

لقد جربت هذا الدهر حتى

عرفت به السماح من الملامه

بريد إقامتي فيهم قويم

وما لي بين أظهرهم إقامه

خداع ثمامة بين أثال فيهم

معاينة وكذب أبي ثمامه

منها في المدح:

وفي الحرم الشريف خضم جود

كأن البحر أنحله النظامه

أما والحجر والحجرات مني

وبيت الله ثالثه قسامه([225])

لئن نزلت بسوح أبي نمي

لقد نزلت على كعب بن مامه

بأبلج أين منه البدر نوراً

وحسناً في الجمال وفي الوسامه

وذو كرم وزنت الناس طراً

بخنصره فما وزنوا قلامه

ومنها :

أبا المهدي كم لك من إياد

كشفت بها عن الصادي أوامه

وكم لك من وقائع ذكرتنا

بوقعة خالد يوم اليمامه

عمرت تهامة بالعدل حتى

تمنت نجد لو كانت تهامه

حقيق أن يسأل بك المصلي

ويدعو في الأذان وفي الإقامه([226])

وأن تعطي القضيب وأي حق

لغيرك في القضيب وفي الإمامه

وقد مدحه الأديب عبد الواحد القيرواني بأشعار حسنة([227])، أجاد فيها عنه.

ونظم كثيراً، على ما نقله الصلاح الصفدي، عن أبي حيان.

ووقفت له في بعض المجاميع على قصيدة جيدة يمدحه بها، أولها :

خليلي هيا فانظر ذلك البرقا

تبدى لنا يهفو على طرف البرقا

فمن مبلغ عني بلادي وأهلها

ولم تأل لي عنهم غوادي النوى سحقا

بأني لم أنفك للخرق قاطعاً

إلى أن وصلت السيد الملك الخرقا

وأن صروف الدهر عني تماسكت

لأني قد استمسكت بالعروة الوثقا

نداً لأبي المهدي هديت لنيله

وأحرزت ما قد جل منه وما دقا

وطلقت أمراً لهم ([228])حين لقيته

وقابلت في ساحته وجهه الطلقا

هو ابن أبي سعد الزكي ولاده

ولم يزك فرعاً غير من قد زكا عرقا

من القوم يستشفي بمسح أكفهم

لداء ومنها أو بها الغيث يستسقا

لهم كرم سهل المنال وإنما لهم

شرف وعر المسالك والمرقا

وبلغني :أنه لما مات أبو نمي امتنع الشيخ عفيف الدين الدلاصي من الصلاة عليه، فرأى في المنان السيدة فاطمة بنت النبي رضي الله عنها، وهي بالمسجد الحرام والناس يسلمون عليها، فجاء ليسلم، فأعرضت عنه- ثلاث مرات -ثم إنه تحامل عليها، وسألها عن سبب إعراضها عنه، فقالت له :يموت ولدي ولا تصلي عليه؟ فقال لها- ما معناه :-إنه ظالم .انتهى بالمعنى.

وذكر اليافعي في تاريخه نقلاً عن حميضة ابن أبي نمي أنه قال :إن لأبيه خمس خصال :العز، والعلم، والكرم، والشجاعة، والشعر.

ومن شعر أبي نمي على ما ذكر بيبرس الداودار في تاريخه، وذكر :أنه كتب به إلى الملك المنصوري لما تسلطن بعد الملك العادل كتبغا المنصوري في سنة ست وتسعين وستمائة.

أما وتعادى المقربات الشوازب

بفرسانها في ضيق ضنك المقانبِ

وبالجحفل الجرار أفرط جمعه

كأسراب كدرى في سوار قواربِ

وبالزرد الموصوف ضمت عصوبه

على كل ماضي العزم خيف المحاربِ

وبالبيض والبيض الرقاق ألية

لبتر عداتي حلفه غير كاذبِ

لقد نصر الإسلام بالملك الذي

ترعرعَ من شيم الملوك السناجبِ

حسام الهدى والدين منصوره الذي

رقا في سماء المجدِ أعلى المراتبِ

ملوك جهات الأرض يعفوا لعزه

فمرهوبها من سيفه أي راهبِ

تفرد بالملك العظيم فلم تزل

له خضعاً صيد الملوك الأغالبِ

مضى كتبغا خوف الحمام وقد أتت

إليه أسود الخيل من كل جانبِ

وأحييته بالعفو منك وزدته

لباس أمان من عقاب العواقبِ

وأحرزت ملك الأرض بالسيف عنوة

وعبَّدت من في شرقها والمغاربِ

توليت هذا الأمر في خير طالع

لأسعد نجم في السعادة ثاقبِ

وكان لأبي نمي هذا من الأولاد الذكور أحد وعشرون ذكراً، واثني عشر أنثى، على ما ذكر الشهاب أحمد بن عبد الوهاب النويري في تاريخه.

وذكر أنه لامات عن هذا العدد، وعن أربع زوجات لم يسم احداً من الأولاد .والذي عرفت اسمه من أولاد أبي نمي :حسان([229])، وحمزة، وحميضة، وراجح، ورميثة، وزيد، وزيد آخر، وسيف، وشميسلة الشاعر، وعبد الله له ذرية بالعراق، وعبد الكريم، وعاطف، وعطاف، وعطيفة، ومقبل، ولبيدة، ومنصور، ومهدي، ونمي، وأبو دعيج، وأبو سعد، وأبو سويد، وأبو الغيث، وآخرهم وفاة :سيف .وهي تدل على أنهم ثلاثة وعشرون ذكراً.

وأظن :أن نمي ليس ولدا لأب نمي، وإنما كُنِّي به لمعنى آخر، فظن ظان أنه كني بذلك، لأن له ولداً يسمى نمياً .والله أعلم.

وما ذكره في عددهم يوهم خلاف ما ذكره النويري في عددهم، ويمكن التوفيق بأن يكون الزائد على ما ذكره النويري مات قبل أبي نمي، والله أعلم.

أخبرني بمجموع ما ذكرته من أسماء أولاد أبي نمي غير واحد من أشياخنا وغيرهم .وليس كل منهم أخبرني بهذه الأسماء، وإنما كل منهم ذكر لي بعضها، فتحصل لي من مجموع ما قالوه هذه الأسماء.

وذكر النويري :أنه توفي في رابع صفر سنة إحدى وسبعمائة.

وذكر وفاته في هذا التاريخ قاضي مكة نجم الدين الطبري، بزيادة فوائد تتعلق بأبي نمي هذا، ولنذكر كلامه بنصه .لذلك قال– في كتاب كتبه إلى بعض أهل اليمن بخطه، يخبر فيه بوفاة أبي نمي، وغير ذلك :–

أن أبا نمي حُمَّ في ليلة الأحد العشرين من المحرم، وكان معه خراج في مقاعده وفي مواضع من بدنه، فلم يزل مريضاً حتى مات في يسوم الأحد رابع صفر وغسل بالجديد([230])، وحمل في محمل، ودخل به إلى مكة من درب الثنية([231])، وطيف به حول البيت، وخرج به من درب المعلاة، ودفن خارجاً عن قبة أبيه وجده الأعلى، وهو :قتادة.

وكان أميراً عظيماً، وحصل بالوادي وبمكة من الحزن والبكاء والضجيج ما لم ير مثله.

فسبحان الحي الذي لا يموت، لا إله إلا الله الحي القيوم.

ورأيت في» ذيل سير النبلاء «للذهبي في ترجمة أبي نمي، أنه توفي في ذي الحجة سنة إحدى وسبعمائة.

وهذا وهم من الذهبي إن لم يكن من الناسخ، لأن القاضي نجم الدين قاضي مكة قال :إنه توفي في يوم الأحد رابع صفر سنة إحدى وسبعمائة، وهو أقعد الناس بمعرفة ذلك، فيعتمد قوله فيه، كيف وما ذكره النويري في تاريخ وفاة أبي نمي يعضد قول نجم الدين الطبري.

وذكر الذهبي :أنه كان في أثناء السبعين .باختصار يسير عن) العقد الثمين.(

المؤلف :وجلُّ أشراف الحجاز اليوم من ذرية هذا الملك، إذ تكاثر أحفاده فملأ وابر الحجاز، وخاصة حسن بن عجلان، ثم أبو نمي الثاني اللذين انحصر ملك الحجاز في عقبهما .ولم ترد في هذه الترجمة قصة مشاركته لأبيه الإمرة، وهي قصة طريفة، فيها بطولات نحن اليوم أحوج ما نكون لها، وقد وردت مفصلة في ترجمة أبيه قبله، فرأيت عدم تكرارها، فراجعها هناك.

ولم أجد في تواريخ من جاء بعد التقي كثير فائدة، لأنهم عنه نقلوا أخبار أبي نمي، أو عن من نقل هو عنه.

من له عقب من ذرية أبي نمي :

1- راجح :جد الأشراف الرواجحة بخيف الرواجحة بوادي فاطمة.([232])

2- أبو دُعيج :من ذريته الأشراف العناقوة، المعروفون اليوم في الحجاز ومصر.

3- سيف :من ذريته الأشراف المجايشة من الليث، وهم بنو محمد المجايش بن حسن بن سيف بن أبي نمي محمد بن أبي سعد.

4–أما رُميثة –الآتية ترجمتهُ –فجل أشراف الحجاز اليوم من عقبه، كما سترى مما يأتي من أخبارهم، وكل من ولي مكة بعده وبعد إخوته يرجع إليه.

24–الشريف أبو الغَيث بن أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة .ت 714)هـ 1314 /م :(

قال في الخلاصة– ([233])بعد ذكر وفاة أبي نمي المتقدمة سنة701) هـ :(ثم بعد وفاته استمر والداه حميضة ورميثة إلى الموسم،) أي حج عام701) هـ .(وفي هذه السنة حج الأمير بيبرس صاحب الكرك، فلما كان بمكة اجتمع به) عطيفة أبو الغيث (ابنا أبي نمي، وشكيا إليه أن أخويهما ظلماهما، واستبدا بإمارة مكة، وإنهما قهراهما، وأنالاهما الخسف، فولاّهما الأمير بيبرس على مكة، وقبض على حميضة ورميثة، وصحبهما معه إلى مصر، وقيل وليها أبو الغيث ومحمد بن إدريس بن قتادة، وفي سنة سبعمائة وثلاث عاد رميثة وحميصة من مصر، واليين على مكة.

وأظهرا العدل، ثم رجعا إلى الجور، فبعث إليهما صاحب مصر جيشاً فانهزما ثم عادا في سنة اثنتي عشر وسبعمائة، وفي سنة سبعمائة وثلاث عشرة، وصل عسكر من صاحب مصر ومعهم ثلاثمائة فارس، ومعهم أبو الغيث، فلما سمع بهم حميضة ورميثة قرار إليه حلي([234])، واستولى أبو الغيث على مكة، وقصد حلياً بمن معه في طلب حميضة ورميثة فلم يظفربهما، لأنهما بالسراة، فرجع إلى مكة، ثم أن أبا الغيث كتب للجيش خطاً بأنه غني عنهم، فلما بلغ حميضة رجوع الجيش قصد أبا الغيث وانتزع منه مكة، وقتله على فراشه، ذلك سنة 714)هـ .(لانتهى ما انتخبناه من خلاصة الكلام، بشيء من الاختصار والإيضاح.

وزاد العصامي على الجيش المذكور آنفاً، قائلاً :وصل عسكر من صاحب مصر، نحو ثلاثمائة فارس، وأمدهم صاحب المدينة بخمسمائة فارس، ووصل معهم أبو الغيث ..إلى آخر ما تقدم.

أما الفاسي، صاحب التراجم المطولة لإخوته وأجداده، فأراه قصّر في حق أبي الغيث، وحتى وفاته لم يذكرها، ولعلر ذلك لقصر مدة أبي الغيث، وملابسات قتله.

قال التقي :الأمير عماد الدين، أمير مكة، ولي إمرتها سنة إحدى وسبعمائة، شريكاً لأخيه عُطيفة، وقيل لمحمد بن إدريس) أبن قتادة(، كما ذكر صاحب بهجة الزمن، ذكر أنه أخرج محمد بن إدريس، واستبد بالإمرة، وجرت بينهما حروب كثيرة قتل فيها جماعة من الأشراف، ثم عزل في الموسم من سنة أربع وسبعمائة، بأخويه رُميثة وحميضة.

ثم ولي الإمرة في سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، ووصل فيها إلى مكة ومعه عسكر جرار، فيه ثلاثمائة وعشرون فارساً من الترك، وخمسمائة فارس من أشراف المدينة، خارجاً عن من يتبعهم من المتخطفة.

فلما علم به أخواه هرباً إلى صوب حلي ابن يعقوب، فسار إليهما في سنة714) هـ /(فلم ير لهما أثراً، لأنهما لحقا بالسراة.

ثم إن الجيش التركي أقام مع أبي الغيث شهراً، ثم ضاق منهم، وقصر في حقهم، وصار يتكسب عليهم، وكتب لهم بالاستغناء عنهم، فتوجه إليه أخوه حميضة بعد جمعة فحاربه، فقتل من أصحاب بن قتادة نحو خمسة عشر رجلاً، ومن الخيل أكثر من عشرين، أبو الغيث، ولحق بأخواله من هذيل، بوادي نخلة، وأرسل إلى السلطان هدية، فوعده بنصره، ثم التقى مع أخيه حميضة .وكانت هذه الوقعة في رابع الحجة سنة714) هـ (بقرب مكة .انتهى.

قلت :ولم يذكر الفاسي تأريخ قتله، ولكن ذكره ابن عنبة، وعنه نقل من جاء بعده.

ولم يذكر من ترجم) له اسماً (غير أبي الغيث، فيبدو أن اسمه كنيته.

أما ابن حجر، الذي خصص كتابه لوفيات أصحاب هذه المائة) المائة الثامنة (فلم يذكر عن أبي الغيث إلاّ ثلاث أسطر، ولكنه خالف في سنة الوفاة، فقال :سنة715) هـ([235])(، وخصص فقال :قتل في المعركة، والصواب قول ابن عنبة أن أخاه حميضة قتله صبراً وغيلة، والله أعلم.

–25الشريف محمد بن إدريس كان حياً سنة 701) هـ1301/م :(

ترجمه تقي الدين الفاسِيُّ، فقال :

محمد بن إدريس بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم، الحسني، المكي .أمير مكة.

ذكر الشيخ تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليمني، في كتاب» بهجة الزمن في تاريخ اليمن «أن الأمير بيبرس الجاشنكير لما حج في سنة إحدى وسبعمائة أمَّر بمكة أبا الغيث، ومحمد بن إدريس وخلفهما لصاحب مصر.

فأقام أبو الغيث أياماً، وأخرج من مكة محمد بن إدريس، واستبد بالإمرة، وجرت بينهما حروب كثيرة، وقتل فيها جماعة من الأشراف.

وكاتب أبو الغيث السلطان- يعني :المؤيد صاحب اليمن -وبذل الخدمة والنصيحة والرهينة، فقبل ذلك منه .انتهى.

ولم يزد الشيخ تاج الدين المذكور في نسب محمد بن إدريس المذكور على اسم أبيه.

ورأيت ما يخالف ما ذكره في تأمير الجاشنكير لمحمد بن إدريس هذا بمكة، لأن كلام بيبرس الدوادار في تاريخه يدل على أن الأمير بيبرس إنما أمَّر بمكة في هذا التاريخ أبا الغيث، وأخاه عطيفة ابني أبي نمي .والله أعلم بالصواب.

وبلغني :أن أبا نمي ([236])أمير مكة جعل لمحمد بن إدريس هذا ربع ما يتحصل لأمير مكة في كل سنة، ولكنه لم يجعل له ولاية بمكة .وأن أبا نمي كان كثير الاغتباط بمحمد ابن إدريس هذا، ويقول فيه- لكثرة اغتباطه به إذا رآه :-هنيئاً لمن هذا ولده .وأن بعد موت أبي نمي، أشار بعض الناس على أولاد أبي نمي بقتل محمد بن إدريس هذا، وقال لهم :لا يتم لكم معه أمر إلا إن قتلتموه .فتشاوروا في ذلك، وذكروه لحميضة بن أبي نمي، فلم يوافق على ذلك حميضة، وأعرضوا عن قتل محمد بن إدريس .

وكان بعد ذلك بين إخوته، أولاد إدريس، وأولاد أبي نمي حروب كثيرة، منها :في شهر واحد، شهر رمضان بضع وعشرون لقية .والله أعلم بحقيقة ذلك .العقد الثمين مادة محمد.

قال مؤلفه :كان إدريس والد محمد هذا شريكاً لأبي نُمي، وهو عمه([237])، ثم إن أبا نُمي ظفر بإدريس فقتله- كما تقدم في ترجمة كل منهما -فلعل ربع المتحصل الذي ذكره الفاسي آنفاً ترضية وتألفاً لأبناء عمه إدريس، والله أعلم.

-26الشريف حُميضة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة، عز الدين . ت 720) هـ 1320/م:(

تنافس الحكم بعد أبي نمي محمد بن أبي سعد، أربعة من بنيه، هم :حُميضة ورُميثة وأبو الغيث وعُطيفة .وكان اسم حُميضة) نجّاد.(

فجاء تاريخهم متداخلاً، يوضح بعضه بعضاً، ولكن منهجي إفراد كل أمير بترجمة مستقلة، ولو تكررت بعض الحوادث نتيجة تداخل الأحداث، من حيث الشراكة أو التداول أو المنازعة . وكان حُميضة موصوفاً بالشجاعة الفائقة والعزم الصارم، كما سترى فيما يلحق.

قال التقي الفاسي :([238])ولي إمرة مكة إحدى عشرة سنة، ونصف السنة أو أزيد، في أربع مرات، منها مرتان شريكاً لأخيه رميثة، ومرتان مستقلاً، والمرتان اللتان شارك فيهما أخاه نحو عشر سنين، إحداهما عشرة أشهر متوالية، بعد موت أبيه، في سنة موته، وهي سنة إحدى وسبعمائة، والثانية نحو تسع سنين، بعد الأولى بسنتين أو ثلاث .وكانا ولياها بتوصية ورضى من أبيهما قبيل موته، ولم يزالا شريكين حتى عزلا عنها في موسم سنة701) هـ (بأخويهما أبي الغيث وعُطيفة، وقبض عليهما الأمراء القادمين إلى مكة في الحج، وأرسلا إلى مصر، وسجنا تأديباً لهما على ما صدر منهما في حق أخويهما عطيفة وأبي الغيث، ثم ولي عطيفة وأبو الغيث إمرة مكة .وذلك أن الأشراف والقواد ([239])اختلفوا بعد موت أبي نمي، فمال قوم إلى حميضة ورميثة ومال آخرون إلى أخويهما عطيفة وأبي الغيث .وحبس حميضة ورميثة أخويهما عطيفة وأبا الغيث، ثم خرج المحبوسان فركنا إلى بعض الأشراف والقواد، فمنعوهما، ولما وصل الحاج المصري تلقاهم أبو الغيث فمالوا إليه، فلما قضي الحج، لزم أمير الحاج بيبرس الجاشنكير حميضة ورميثة وسار بهما إلى مصر، وأمَّر بمكة أبا الغيث ومحمد بن إدريس.([240])

وفي أخبار سنة704) هـ (حج ركن الدين بيبرس وأمراء من مصر، ومعهم رميثة وحميضة، فلما انقضى الحج، أبلغ بيبرس عطيفة وأبا الغيث أن ملك مصر أعاد أخويهما رُميثة وحُميضة إلى إمرة مكة، فرفضا، وحصلت منافرة .واستمر حميضة ورميثة في الإمرة، وأظهرا حسن السيرة وجميل السياسة، وأبطلا شيئاً من المكوس.

وفي سنة708) هـ (ظهر منهما التعسف .وفي سنة710) هـ (حج من مصر عسكر قوي فيه أمراء، يريدون لزم الشريفين حميضة ورميثة، فلما علما بذلك، هربا من مكة، فلما خرج العسكر عادا إلى مكة .وفي سنة712) هـ (حج الملك الناصر، ومعه مائة فارس وستة آلاف مملوك، فخرج حميضة ورميثة من مكة، خوفاً منه، ثم عادا إلى مكة بعد خروجه.

ثم خرجا سنة713) هـ (إلى صوب حلي ([241])ابن يعقوب، لوصول أبي الغيث من الديار المصرية، ومعه عسكر جرار، فيهم من المماليك الأتراك، ثلاثمائة وعشرون فارساً، وخمسمائة فارس من أشراف المدينة، خارجاً عما يتبع هؤلاء من المتخطفة والحرامية.

وفي المحرم سنة714) هـ (سار أبو الغيث و)طُقصبا (إلى صوب حلي بن يعقوب، وراء حميضة ورميثة، ووصل أبو الغيث وطقصبا إلى حلي، ولم يدخلاها.

وفي سنة713) هـ (جرد السلطان جماعة من الأمراء إلى مكة، وتوجهوا في شوال، وجرد من دمشق الأمير سيف الدين، وذلك بسبب شكوى الحجاج والمجاورين من أميري مكة حميضة ورميثة .وجهّز أخاهما أبا الغيث مع الجيش .فلما وصل الجيش فارقها حميضة، ثم إن أبا الغيث قصر في حق العسكر، ثم كتب بالاستغناء عنهم، فلما علم حميضة بفارقة الجيش، عاد

إليها بجمع، وقاتل أبا الغيث، ففارق أبو الغيث مكة، ولحق بأخواله من هذيل بوادي نخلة([242])، وأرسل حميضة إلى السلطان رسولاً وخيلاً للتقدمة، فاعتقل السلطان رسوله.

وذكر صاحب المقتفى :أن هذه ولاية حميضة الثالثة، وذكر أنه في يوم الثلاثاء رابع ذي الحجة، من سنة714) هـ(، وقعت حرب بين حميضة وأبي الغيث، بالقرب من مكة، بفانتصر حميضة، وجُرِح أبو الغيث، ثم ذُبح بأمر أخيه .وكان جماعة أبي الغيث أكثر عدداً، ولكن رُزِق حميضة النصر، واستقر بمكة .وعام715) هـ(، بلغ حميضة وصول عسكر مع أخيه، فلما قاربوا مكة نزح عنها، وأخذ المال والنقد والبز، وهو حمل مائة جمل، وأحرق الباقي في الحصن الذي في الجديد .([243])ووصل العسكر إلى مكة يوم السبت منتصف رمضان، وأقاموا بها ثلاثة عشر يوماً، ثم توجهوا إلى الخليف([244])، وهو حصن التجأ حميضة إلى صاحبه، وصاهره، لعله يحتمي به، فواقع العسكر حميضة وصاحب الحصن، وأخذ جميع أموال حميضة وخزانته، ونهب الحصن وأحرق، وأُسر ولد حميضة، وعمره 12) سنة(، وسلم إلى عمه رميثة، واستقر رُميثة بمكة، ونجا حميضة بنفسه، ولحق بالعراق.

وفي أخبار سنة716) هـ (وصل الخبر بأن الشريف حميضة قد لحق بخَرْبندا بالعراق، وبقي عنده شهراً، وطلب منه جيشاً يغزو به مكة .وساعده جماعة من الرافضة على ذلك، وجهزوا له جمعاً من خراسان، فقد الله أن يموت خربندا، فبطل ذلك .ثم إن محمد بن عيسى أخا مهنا، هو وجمع من العرب، وقعوا على حميضة وعلى الدلقندي، وهو رجل من الرافضة، من أعيان دولة التتار قد قام بنصر حميضة، وجمع له أموالاً ورجالاً، على أن يأخذ له مكة، ويقيمه بها.

وفي أخبار717) هـ :(في هذه السنة، وصل كتاب الأمير أسد الدين رميثة أمير مكة إلى الأبواب السلطانية يتضمن أن أخاه عز الدين حميضة، قدم من بلاد العراق، وكان قد

انسحب إليها، والتحق بخربندا– كما تقدم .وأنه وصل الآن إلى فرس واحد، ومعه اثنان من أعيان التتار، وهما درقندي– وقيل فيه دقلندي –وملك شاه، ومعهم ثلاثة وعشرون راحلة، وأنه كتب إلى أخيه رُميثة يستأذنه في دخول مكة، فمنعه إلا بعد إذن السلطان .فكتب السلطان إلى حميضة أنه إن حضر إلى الديار المصرية، على عزم الإقامة بها، قابله بالأمان وسامحه بذنوبه السالفة، وأما الحجاز فلا يقيم به .وكتب إلى درقندي وملك شاه بالأمان، وأن يحضرا، وأخبر من وصل أنهم لَقَوا في طريقهم شدّة من العراق إلى الحجاز، وأن العربان نهبوهم، فنهب لدرقندي أموال جمة، وأنه وصل على فرس واحد مسافة عشرين ليلة .وقد حكى عن الأمير محمد بن عيسى أخي مهنا، أن الملك خربندا كان قد جهز دقلندي المذكور، في جمع كثير مع عز الدين حميضة، قبل وفاته، إلى الحجاز، لنقل الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، من جوار النبي ، وأن الأمير محمد المذكور، جمع من العربان نحو أربعة آلاف فارس، وقصد المقدم ذكره، وقاتله ونهبه، وكسب العسكر منهم أموالاً جمة عظيمة من الذهب والدراهم، حتى إن فيهم جماعة، حصل للواحد منهم نحو ألف دينار، غير الدواب والسلاح وغير ذلك، وأخذوا الفؤوس والمجارف التي كانوا قد هيؤوها لنبش الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .وكان ذلك في ذي الحجة سنة ست عشرة وسبعمائة.

ثم قال :ولما ورد كتاب الأمير أسد الدين رُميثة بما تقدم، ندب السلطان إلى مكة، شرفها الله تعالى، الأميرين سيف الدين أيتمش المحمدي، وسيف الدين بهادر.

وتوجها إلى مكة لإحضار حميضة، ومن حضر من التتار، فتوجّها ففي يوم السبت سادس عشر ربيع الأول بمن معهما، فوصلا إلى مكة، وأرسلا إلى حميضة في معاودة الطاعة، وأن يتوجه معهما إلى الأبواب السلطانية، فاعتذر أنه ليس معه من المال ما ينفقه على نفسه ومن معه في سفره، وطلب منهما ما يستعين به على ذلك، فأعطياه .فلما قبض المال تغيب .

وعادا إلى القاهرة، فوصلا في يوم الأحد السادس والعشرين من جمادى الآخرة من السنة، يعني سنة سبع عشرة.

ثم قال في أخبار سنة ثماني عشرة وسبعمائة :وفي صفر في هذه السنة، وردت الأخبار من مكة شرفها الله تعالى، أن الأمير عز الدين حميضة بن أبي نمي، بعد عود الحاج من مكة، وثب على أخيه الأمير أسد الدين رميثة بموافقة العبيد، وأخرجه من مكة، فتوجه رميثة إلى نخلة، وهي التي كان بها حميضة، واستولى حميضة على مكة شرفها الله تعالى .وقيل إنه قطعه الخطبة السلطانية، وخطب لملك العراقين، وهو أبو سعيد بن خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو، فلما اتصل ذلك بالسلطان، أمر بتجريد جماعة من أقوياء العسكر .فجرّد الدين بَهادر الإبراهيمي، وجماعة من الحلقة، وأجناد الأمراء، من كل أمير مائة، فارسين، ومن كل أمير طبلخانة، جندياً، وأمر بالمسير إلى مكة، وأن لا يعودوا إلى الديار المصرية، حتى يظفروا بحميضة، فتوجهوا في العشر الأواخر من شهر ربيع الأول في هذه السنة.

وذكر أن الإبراهيمي لما توجّه لمحاربة حميضة والقبض عليه، ركب إليه، وتقاربا من بعضهما بعض، وباتا على ذلك، ولم يقدر الإبراهيمي على مواجهة حميضة، فاقتضى ذلك القبض على مواجهة حميضة، فاقتضى ذلك القبض على الإبراهيمي وعلى رميثة؛ لأنه نسب إلى مواطأة أخيه حميضة، وأن الذي يفعله منم التشعيث باتفاق رميثة، وجهزا إلى الديار المصرية.

وهذه ولاية حميضة الرابعة التي أشرنا إليها، ولم يزل حميضة مهججاً والطلب عليه، وأهل مكة خائفون من شره.

وذكر اليافعي :أنه قصد مكة بجيش يريد أخذها، وقتل جماعة من أهل مكة والمجاورين بها، فخرج إليه أخوه عطيفة، وكان قد استقر في إمرة مكة بعد القبض على أخيه رميثه، لاتهامه

بممالأة حميضة، ومع عطيفة أخوه عطاف، وآخر من إخوته، وعسكر ضعيف، فنصرهم الله عليه، وكسروه، ثم قُتل بعد كسرته بأيام.

وقد ذكر خبر مقتل حميضة، صاحب نهاية الأرب، وأفاد في ذلك ما لم يفده غيره، وقد رأيت أن أذكر كلامه لذلك، قال في أخبار سنة عشرين وسبعمائة :كان السلطان لما كان بمكة شرفها الله تعالى، سأله المجاورون بمكة ومن بها من التجار، أن يخلف عسكراً يمنع عز الدين حميضة بن أبي نمي إن هو قصد أهل مكة بسوء، فجرد ممن كان معه الأمير شمس الدين) آق (سنقر ومعه مائة فارس، فأقام بمكة، فلما عاد السلطان إلى قلعة الجبل، جرَّد الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب، وكان هو من الأمراء مقدّمي الألوف، ببعض عدته، وجرد معه جماعة من المماليك السلطانية، وكانت عدة من توجه مائة فارس، وخرج من القاهرة في يوم الأربعاء السادس من شهر ربيع الأول هذه السنة، ووصل إلى مكة شرَّفها الله تعالى، وأقام بها ومنع أهلها من حمل السلاح، السكين فما فوقها، وبعث إلى الأمير عز الدين حميضة، وكان بقرب نخلة، يستميله إلى الطاعة والتوجّه إلى الأبواب السلطانية، فسأل رهينةً عنده من الأمير ركن الدين يكون عند أهله ويحضر، فأجاب الأمير ركن الدين إلى ذلك، وجهز أحد أولاده، وهو الأمير عليّ، وجهز معه هدية لحميضة، ولم يبق إلا أن يتوجّه، فأتاه في ذلك اليوم رجل من الأعراب، وأخبره بقتل حميضة، فأنكر وقوع ذلك، وظن ذلك مكيدة لأمر ما، لكنه توقف عن إرسال ولده حتى يتبين له الحال .فلما كان في مساء ذلك اليوم، طرق باب المعلاة بمكة، ففتح، فإذا مملوك اسمه أسندمر، وهو أحد المماليك الثلاثة الذين كانوا قد التحقوا بحميضة من مماليك الأمراء كما تقدم، وهو راكب حجرة حميضة التي تسمى جمعة– وكان السلطان قد طلبها من حميضة، فشح بإرسالها –وأخبر أنه قتل حميضة، اغتاله وهو نائم، وجرّد سيفه وإذا بِه أثر الدم، وذلك في جمادى الآخرة، يعني من سنة عشرين ناصر الدين محمداً وشهاب الدين أحمد، إلى الأبواب السلطانية بهذا الخبر، فوصلا إلى السلطان فأنعم عليهما .وجهَّز الأمير ركن الدين متى تَوجه لإحضار سلب حميضة، والمملوكين،

وقيل :إن الثالث مات، وهو مملوك الأمير سيف الدين بكتمر الساقي، فألزم صاحب نخلة بإحضاره وتوعده إن تأخر، فاحضره، واستمر الأمير ركن الدين بمكة، إلى أن عاد الجواب السلطاني بطلبه، فتوجّه من مكة شرفها الله تعالى، في مستهل شعبان، وصحبته المماليك الثلاثة، الذين كانوا قد هربوا، وكان وصوله إلى الأبواب السلطانية، في العشر الأول من شهر رمضان.

فلما وصل شمله الإنعام والتشريف، فأمر السلطان بقتل أسندمر قاتل حميضة، قوداً به، في شوال من السنة.

وقال صاحب المقتفى، في أخبار سنة عشرين وسبعمائة :وفي هذه السنة، قُتل الأمير عز الدين حميضة بن الأمي الشريف أبي نمي صاحب مكة .وكان قد خرج عن طاعة السلطان، وولى السلطان بمكة أخاه سيف الدين عطيفة، وبقي هو في البرية، والطلب عليه، وأهل مكة خائفون من شرّه، وكان شجاعاً قامعاً لأهل الفساد ,.وكان في السنة الماضية، سنة حج السلطان، هرب من مماليكه ثلاثة، ولجأوا إلى حميضة، ثم إنهم خافوا من دخوله في الطاعة، وأنه يرسلهم إلى حضرة السلطان، فقتلوه، وتوجهوا في وادي بني شعبة، وحضروا إلى مكة، فقيد الذي تولى القتل منهم، وأرسل إلى الديار المصرية فاعتقل، ثم قتل في شوال.

وذكره الذهبي في ذيل سير النبلاء، قال :كان فيه ظلم وعنف، ثم قال :وقتل كهلاً.

وذكر اليافعي في تاريخه :أنه رأى في المنام قبيل قتل حميضة، كأن القمر في السماء قد احترق بالنار .قال :وأظنه سقط إلى الأرض .وهذه مزيّة.

وذكر اليافعي :أن حميضة كان يقول :لأبي خمس فضائل :الشجاعة، والكرم، والحلم، والشعر، والسعادة .فالشجاعة لعطيفة، والكرم لأبي الغيث، والحلم، والشعر لشميلة([245])، والسعادة لي، حتى لو قصدت جبلاً لدهتكه.

وللأديب موفق الدين عليّ بن محمد الحنديدي ([246])من قصيدة يمدح بها الشريف حميضة بن أبي نمي، هذا أولها :

قدح الوجد في فؤادي زناداً

منع الجفن أن يذوق الرقادَ

وفؤاد الشجي يوم إلالِ

ساقه سائق الظعون وقادا

بدَّلني بالوصل هجراً وبالزو

رة صدًّا وبالتداني بعادا

وتمادى بها الجفاء وما

كان لها في الجفا أن تمادى

يا معيد الحديث عد فيه عنهم

ما ألذَّ الحديث عنهم معادا

هات بالله يا محدث حدث

بجياد جاد الغمام جيادا

بلداً بالشَّريف شرفه اللّ

ـه بقاعاً شيحانه ووهادا

ملك من قتادة ملك الأَر

ض نصالاً محشودةً وصعادا

إن أكن في حميضة زدت في المد

ح فقد زاد في نوالي وزادا

رجل سالم المسالم في اللّ

ـه وفي الله للمعادين عادا

عاد أبدا أولى فوالى تغالى

عزَّ أعطى سطا أفاد أبادا

جاد أغني علا سما جل جلا

ظلم الظلم عدله ساد سادا

حسن الصمت ليس حسن أن تسـ

ـمع إلا في مثله الإنشادا

ابن بنت النبيّ لم يجعل اللّـ

ـه سواكم لأَرضه أوتادا

ومنها :

يا ركاب الآمال ويحك بالنجـ

ـحِ بحصن الجديد أمي نجادا

يا جواداً ما زرت مغناه إلا

أُبْتُ من عنده أقود جوادا

كل شعر أتاكم غير شعري

يا أبا زيد ليس يسوي المدادا

وله فيه أيضاً :

إن الفريق النازلين في منى

غاية سول القلب مني والمنا

هم أَوقفوا جفني على سبل البكا

فصِرت بالأَربع أبكي الدمنا

ومنها :

ومخشفٍ طاف فطفنا حوله

ندعو إذا يدعو ونعنو إذا عنا

جنى علينا طرفه لكننا

لا نستطيع أخذه بما جنا

رضيته فليقض ما شاء ولو

لم يقض بالعدل علينا ولنا

وسائلٍ بالخيف من طلَّ له

من المحبين دم قلت أنا

يا حسن الناظر إن ناظري

لم ير من بعدك شيئاً حسنا

ومنها :

إن الحجاز لست أرضى غيره

أضاً ولا أبغي سواه مسكنا

ومن بني النَّجم نمىً أنجم

طبَّقت الأَرض سناءً وسنا

وسادة بفنون أموال العدا

بعد النفوس بالمواضي والقنا

أهل المساعي والصفا وزمزمٍ

والمَشعرين والمصلَّى ومنى

إن العطايا من يدي حميضة

أعطين بعد الفقر من كفي الغنا

خليفة لا يخلف الوعد ولا

يضنُّ عن سائله بما اقتنى

إمام حقٍّ جدَّ في الله فما

في الله مذ جدَّ وهي ولا ونا

عارٍ من العار عليه حلة

مرموقة أثناؤها من الثَّنا

أخاف في الله تعالى من بغى

وأمَّن الخائف حتَّى أمنا

أحسن ابنا حسنٍ سجيَّةً

أيقظهم عيناً وأوعى أُذنا

هو ابن من أسرى به الله ومَنْ

من قاب قوسين تدلى ودنا

وابن الذي به اللات آلت

إلى شر مآل ولعزى أوهنا

يابن أبي الفدا إذا تبسمت

بيضك أبكين العدا والبُدُنا

إذا سألتُ المكرمات منكم

سالتْ علينا من هنا ومن هنا

يا عارض الجود الذي شِمْتُ سنا

بارقه اسقِ ربوعي مُزَنا

لا زلتَ في كل أوانٍ ممطراً

على جميع الخلق غيثاً هتنا

وللأديب عفيف الدين عبد الله بن عليّ بن جعفر ([247])فيه مدحاً، قصيدة أولها :

تحدَّثي يا رياح الشيحِ والغارِ

عما تحملتُ من علمٍ وأخبارِ

منها :

أبقى لي الشوق دمعاً من تذكركم

مثل الصبير وقلباً غير صبارِ

فيا أخلاي هل تجزون ذا وَلَةٍ

وجداً بوجد وتذكاراً بتذكارِ

وقد تهيج صبابات الفؤاد لكم

سجع الحمام وومض البارق الساري

ما زال دمعي يبدي ما أكتِّمه

حتى تشابه إعلاني وإسراري

لا تحسبوني أُنسيتُ المواثق بل

حفظتها حفظ عز الدين للجارِ

حميضة الحسني الندبُ خيرُ فتى

كاسٍ من الحمد بل عارٍ من العارِ

سلالة من رسول الله أنجبه

زاكٍ ومختار أصلٍ وابن مختارِ

من آدمٍ ببني الله متصلاً

أصلاً بأصلٍ وأثماراً بأثمارِ

ما مَنْ تسمَّى عليًّا كالوصي ولا

ما كل جعفر في الدنيا بطيارِ

فلا خلا الدهر من ملكٍ مناقبه

وشخصه مثل إسماعٍ وإبصارِ

فما رأى وجهه الميمون ذو أملٍ

إلا تبدل إيساراً بإعسارِ

ومنها :

قلدتني وأخوك الندب قلدني

ما ليس معروفه يلقى بإنكارِ

يا كعبتان أمام الكعبة اعتمرا

لقد تمسكت من كلٍ بأستارِ

لا زال سوحكما العاري كساحتها

نعم المآب لحجاجٍ وزوارٍ

انتهى باختصار يسير من العقد الثمين) حميضة (ولنا تعليق في نهاية البحث.

أما شيخ الإسلام أحمد زيني دحلان، فبعد موافقته على ما قدمنا، ذكر ما فيه زيادة إيضاح، فقال :وهرب حميضة إلى العراق وقصد السلطان خدابند من سلاطين التتار وكان مسلماً فأكرمه وأنعم عليه، فلما رأى إقباله عليه حسن له أن يعينه على أخذ مكة ووعد بأن يخطب له بها، فعين له عشرة آلاف من العسكر، وأمر عليهم السيد طالباً الأفطس، وأرسل الشريف حميضة إلى أمراء العرب فأجابوه وأهم ذلك أهل الشام فلجؤا إلى أمراء طي وهم عرب كثيرون فاتفق وفاة السلطان خدابند في أثناء ذلك، وكان بين وزيره رشيد الدين وبين السيد طالب الأفطس عداوة، فكاتب الوزير العسكر وذكر لهم موت السلطان فحصل فيهم الاختلاف وثارت عليهم العرب الذين مع الشريف حميضة، فنهبت العرب العسكر وكانت بينهم مقتلة، وقاتل الشريف حميضة العرب قتالاً شديداً يومئذ حتى قال الأفطس :ما زلت أسمع بحملات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حتى شاهدتها من الشريف حميضة معاينة .ثم

إن الشريف حميضة قدم مكة ومعه ثلاثة وعشرون راحلة وكتب إلى أخيه رميثة يستأذنه في دخول مكة فامتنع أن يدخله إلا بإذن السلطان، فكتب إلى السلطان بمصر يعرفه بذلك وأنه ليس مع أخيه إلا فرس واحدة فكتب إليه السلطان إن وافق أن يأتي إلى أبوابنا ويقيم عندنا فأمنه وسامحه بذنوبه السالفة، وأما الحجاز فلا يقيم فيه .وكتب السلطان بالأمان لحميضة وأرسله مع عدة من الأتراك لإحضار حميضة .فلما وصلوا اعتذر حميضة بعدم القدرة على السفر وتغيب عنهم فرجعوا إلى مصر واستمر رميثة إلى انقضاء السنة، فلما كان يوم الأحد سادس جمادى الآخرة سنة سبعمائة وثمانية عشر أقبل وخطب حميضة لملك العراق وهو ابن خدابند أبي سعيد، وقيل إن استيلاء هذا كان برضا من رميثة .فجهز الملك الناصر جيشاً من مصر وأمرهم أن لا يعودوا إلا بعد القبض على حميضة، فلم يظفروا به، بل ترك مكة وفر منها وبقي مهججاً إلى أن قتل بالشرق .قيل إن الملك الناصر دس عليه من قتله غيلة . وقيل إن جيش الناصر تبعه حتى أدركوه فقتلوه .وبقي رميثة الذي بعث به الناصر، وولى الناصر سنة تسعة عشرة) عطيفة بن أبي نمي.(

انتهى باختصار، من خلاصة الكلام، ص.(30 /29)

ونجد العلامة ابن حجر صاحب الدرر الكامنة، يسهم في أخبار حميضة، فنورد له هنا :

حميضة بن أبو نمي محمد بن حسن بن علي بن قتادة بن إدريس الحسني الشريف عز الدين أمير مكة .كان هو وأخوه رميثة وليا إمرة مكة في حياة أبيها سنة701) هـ (ثم استقلا بالإمرة واستمرا إلى الموسم، فحج بيبرس تلك السنة فلما كان فقي طواف الوداع كلمه أبو الغيث وعطيفة في أمر أخويهما حميضة ورميثة وأنهما منعاهما ميراثهما وسجناهما حتى فر منهما، فأنكر عليهما بيبرس فقال له حميضة :يا امير نحن نتصرف في إخوتنا وأنتم قد قضيتم حجكم فلا تدخلوا بيننا .فغضب بيبرس وقبض على حميضة ورميثة وحملهما إلى القاهرة وأقام أبا

الغيث وعطيفة عوضهما ([248])وسجنا بالقلعة ثم أفرج عنهما في أوائل سنة ثلاث وخلع عليهما وأكرما وتوجها إلى مكة، ففر أبو الغيث ثم وقع بينهما، فذبح أبو الغيث بابن حميضة في ذي الحجة سنة714) هـ (وكان قبل ذلك قد وقع له مع أمير الركب الذي حج سنة (707)مقاتلة فانهزم حميضة ثم رجع بعد رحيلهم إلى مكة، وكثر ظلمه بها فجرد له عسكراً في سنة713) هـ (ففر إلى حلي، فقرر أخوه أبو الغيث مكانه فلما رجع العسكر عاد حميضة وقتل أخاه، ثم قدم العسكر مع رميثة ففر حميضة مختفياً في زي امرأة، ولحق بخربندا بالعراق فتلقاه وأكرمه وبالغ في الإحسان عليه وندب معه أربعة آلاف فارس وراسل أخاه رميثة أن يأذن له أن يدخل مكة ويشارك في الإمرة كعادته فامتنع، وكاتب الناصر فأجابه بأن لا يفعل إلا إن دخل حميضة إلى مصر، فجمع حميضة عسكراً ونازل رميثة فانهزم منه ودخل حميضة مكة عنوة، وقطع خطبة الناصر، وخطب لأبي سعيد بن خربندا، وأخذ أموال التجار والمياسير، فجرد له الناصر عسكراً فانهزم منهم من غير قتال، ثم عاد بعد ذهاب الحج فأرسل حميضة قد لحق ببني سعيد([249])، ثم اصطلح محمد حميضة ورميثة فبلغ ذلك الناصر فغضب وقرر عطيفة في إمرة مكة، فخرج حميضة عن مكة، فلما حج الناصر سنة 719) هـ (وعاد وجرد الناصر له عسكراً فنزح قبل وصولهم وأخذ أموال الناس من النقد والبز وهو مائة حمل، وأحرق الباقي وتحصن بحصنه الذي بالجديدة، وقطع ألفي نخلة والتجأ إلى صاحب الخليف، وهو حصن بينه وبين مكة ستة أيام، فدخل العسكر في ذي القعدة سنة715) هـ(، ثم تبعوه إلى مكانه فأحرقوا الحصن وأخذوا ما مع حميضة من الأموال، وأخذوا ابن حميضة أسيراً وسلموه لعمه رميثة، واستقر رميثة أميراً بمكة، ولحق حميضة بالعراق، ثم اتصل بخربندا وأقام ببلاده وتعصب الدلقندي الرافضي، وساعده حتى جهز له خربندا جيشاً يغزو به مكة، وأطمعه في أن يخطب له بها فما تم ذلك حتى مات خربندا فانفل جمعهم وظفر بهم محمد بن عيسى أخو مهنا ومن معه من العرب، وهو في تلك البلاد يومئذ، فأخذوا ما معه ومع الدلقندي من الأموال وتسحب حميضة حتى عاد إلى مكة .واتفق أن هرب من مماليك الناصر ثلاثة أنفس ليلحقوا ببلاد الططر فمروا بحميضة فأضافهم، ووعدهم أنه يسيرهم إلى ابن خربندا،

فخشوا منه أن يتقرب بهم إلى الناصر فقتلوه في وادي بني شعبة ([250])فظفر بهم عطيفة أخوه، فقيد الذي تولى قتله وجهزه إلى الناصر فقتله به، وذلك في جمادى الآخرة سنة 720)هـ(، وكان شجاعاً فاتكاً كريماً وافر الحرمة، اتفق أن شخصاً مد يده لأخذ شيء من حمل وجد مطروحا بالتربة فقطع يده فصارت الأموال توجد بالبرية لا يتعرض لها أحد من مهابته.

أما تعليقنا على هذه الأخبار، فهو الآتي :

-1هذه الأخبار فيها تضارب، وإن كان معنى مجموعها متقارب، ولذا أوردنا قول كل مؤرخ، ما عدا شذرات صغيرة قليلة الفائدة، أو قبيحة إلى درجة أن نفس القارئ لا تستسيغها.

-2قولهم :أحضر الفؤوس والمساحي لنبش قبري الشيخين رضي الله عنهما، فيه غرابة من وجهين :

الوجه الأول :فإن حميضة وإن كان هو وأهله شيعة زيدية، إلا أنهم ليسوا روافض، وبالتالي فإن موقفهم من الشيخين مختلف، ولا تضمر الزيدية عداء للشيخين، فلا يحتمل أن يتجرأ حميضة على مثل هذا، كيف وهو أمر لم يستطع الحصول عليه الفاطميون الذين كان لهم الأمر في الحجز، وتقدم معك ما حدث في عهد الأسرة الموسوية .ولا ينكر أحد أن الرافضة يتمنون ذلك، ولكن الاعتذار عن حميضة .وكان العصر عصر اشتداد العداء بين أهللا السنة والشيعة، وكان كل يرمي الآخر بما استطاع، فلعل هذا من قبيل الدعاية ضد حميضة المتمرد على الحكام المصريين ومن ولوه على مكة، وهم يعلمون حرص أهل الحجاز على الصحابة عموماً والشيخين والحجرة النبوية خصوصاً، فأرادوا استثارة عواطفهم ضد حميضة، والله أعلم.

الوجه الثاني :ما حاجة حميضة ومن معه لحمل الفؤوس والمساحي؟ فهم إن استطاعوا دخول المدينة فإن أكثر ما فيها هذه الآلات، وإن لم يستطيعوا ذلك– كما حدث –فما فائدة حملها؟ وهذا أظنه من زيادة تعميق الخبر وتأكيده، وكما يقول قومنا) :الأخبار من بعيد تزيد وتنقص (ومحاربة العدو لا بد لها من حجة تؤجج عواطف المحاربين.

–3المماليك الذين لجأوا إلى حميضة، لا يستبعد أن يكونوا دسيسة عليه بعد أن أعياهم القبض عليه، وأن قتل القاتل من باب التغطية، والله أعلم.

–4ذكر مؤرخوه ولدين من بنيه، أحدهما قتل، والآخر أسر في وقعة الخليف، ولم يذكروا اسم واحد منهما، ولم يذكر غيرهما، غير أن الشاعر الحنديدي– فيما تقدم –ذكر له ابناً اسمه زيد، وهو ابن حقيقي وليست مجرد كنية، إذ لو كانت كنية راسخة مع اسمه لذكرت في أول ترجمته، كأبي نمي، وأبي سعد ..الخ.

ولا ندري، هل زيد هذا اسم أحد المتقدمين، أم أنه ابن ثالث.

ولا يوجد اليوم في الحجاز من ينتسب إلى حميضة هذا .أما القواد الحميضات فهم موالي.

–27الشريف عُطيفة بن محمد أبي نمي بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة .ت 743)هـ1342/م):

ترجمة العلامة تقي الدين الفاسي المكي، في العقد الثمين،) في مادته(، فقال :عُطيفة ابن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني المكي.

يلقب سيف الدين .أمير مكة.

ولي إمرتها نحو خمس عشرة سنة، مستقلاً بها في بعضها، وشريكاً لأخيه رميثة في بعضها، وذكر بيبرس الدوادار، أو النوري في تاريخه– الشك مني –ما يقتضي أنه ولي إمرتها شريكاً لأخيه أبي الغيث، لما أن ولاه الجاشنكير إمرتها، في موسم السنة التي مات فيها أبوهما، وهي سنة إحدى وسبعمائة، بعد القبض على أخويه المتغلبين على مكة حميضة ورميثة، تأديباً لهما على قبضهما أبا الغيث وعطيفة، كما تقدم مشروحاً في ترجمة حميضة ورميثة.

وذكر صاحب بهجة الزمن :أن الجاشنكير، أمَّر بمكة في موسم سنة إحدى وسبعمائة– بعد القبض على حميضة ورميثة– أبا الغيث، ومحمد بن إدريس بن قتادة، وهذا يخالف ما ذكره بيبرس أو النويري، من أنه أمَّر عطيفة مع أبي الغيث، والله أعلم بالصواب.

وذكر النويري :أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر، ولي عُطيفة إمرة مكة، في سنة تسع عشرة وسبعمائة، بعد القبض على أخيه رميثة بمكة، في موسم سنة ثمان عشرة، وأن السلطان جهز مع عطيفة لنصرته عسكراًَ مع أميرين، وأنهم توجهوا من القاهرة في شهر الله المحرم من سنة تسع عشرة وسبعمائة، ولما وصل العسكر إلى مكة، أجلسوا بها عطيفة وأقاموا عنده، وتوجه الذين كانوا بها من العام الماضي، وكثر بمكة الأمن والعدل، ورخصت الأسعار، بحيث إنه بيعت غرارة القمح في هذه السنة بمائة وعشرين درهماً، على ما ذكر البرزالي، وما أدري هل أراد بالغرارة المكية أو الشامية .ولما حج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في هذه السنة، أعني سنة تسع عشرة وسبعمائة، سأله المجاورون بمكة، أن يترك عندهم فيها من يمنعهم من أذى حميضة لهم ففعل، وترك بها الأمير شمس الدين سنقر في مائة فارس، ولما قصد حميضة مكة وعطيفة بها، خرج إليه هطيفة، ومع عطيفة أخوه

عطاف، وآخر من إخوته، وعسكر ضعيف، فنصرهم الله على حميضة وكسروه، وكان ذلك في جمادى الآخرة من سنة عشرين وسبعمائة، وقتل حميضة بعد ذلك بأيام.

وذكر البرزالي، نقلاً عن كتاب الشيخ فخر الدين النويري :أن مكة كانت في هذه السنة طيبة من كثرة المياه والخير والأمن، وأرسل إليها من الغلال ما له قيمة كثيرة .وذكر البرزالي أنه جاء في هذه السنة من اليمنيين والكارم خلق كثيراً إليه مكة، بسبب عدل عطيفة .قال : وذكر أن الناس تألموا لمجيء رميثة من مصر إلى مكة في موسهم هذه السنة، صحبة الأمير أرغون النائب الناصري، لأن الناس يحبون عطيفة لعدله .قال :لكن أمر مكة إلى عطيفة، وهو مشكور السيرة.

ورأيت في كلام بعضهم، ما يقتضي أن رميثة ولي إمرة مكة في هذه السنة، شريكاً لأخيه عطيفة، واله أعلم بالصواب.

وذكر البرزالي ما يقتضي أن رميثة كان أمير مكة في سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، لأنه قال في أخبار هذه السنة :ورد كتاب موفق الدين عبد الله الحنبلي، إمام المدرسة الصالحية من القاهرة، وهو مؤرخ بمستهل جمادى الآخرة، يذكر فيه أنه جاء في هذا القرب، كتاب من جهة عطيفة أمير مكة، يذكر أن رميثة قد حلف له بنو حسن([251])، وقد أظهر مذهب الزيدية، وجاء معه كتاب آخر، من جهة مملوك هنالك لنائب السلطنة، فيه مثل ما في كتاب عطيفة، وقد تحرَّج السلطان من هذا الأمر، واشتد غضبه على رميثة.

وذكر ابن الجزري ما يقتضي أن عطيفة كان أمير مكة في سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة، لأنه قال في أخبار هذه السنة :ورد كتاب من القاهرة مؤرخ بشهر شعبان، أن السلطان أعز الله

نصره، أبطل المكس المتعلق بالمأكول بمكة فقط، وعوض صاحب مكة الأمير الشريف عطيفة ثلثي دماميل من صعيد مصر.

وذكر ابن الجزري أيضاً في تاريخه، ما يقتضي أن رميثة كان أميراً على مكة، شريكاً لعطيفة في بعص سني عشر الثلاثين وسبعمائة، لأنه ذكر أنه سأل المحدث شهاب الدين المعروف بابن العديسة، بعد قدومه إلى دمشق من الحج في سنة خمس عشرين وسبعمائة، عن أمور تتعلق بالحجاز وغيره، وأنه قال :والحكام يومئذ على مكة :الأميران الشريفان :أسد الدين رميثة، وسيف الدين عطيفة، ولدا أبي نمي .

وذكر الجزري أيضاً، ما يقتضي أن عطيفة كان منفرداً بإمرة مكة، في سنة ست وعشرين وسبعمائة، لأنه قال :وصل أيضاً مرسوم كريم من السلطان، إلى السيد عطيفة، بتبطيل مقام الزيدية، والإنكار عليه في ذلك، وفي أمور حدثت بمكة؛ فدخل السيد عطيفة عند وصول المرسوم الكريم، وأخرج إمام الزيدية إخراجاً عنيفاً، ونادى بالعدل في البلاد، وحصل بذلك سرور عظيم للمسلمين.

وإمام الزيدية المشار إليه، هو فيما أظن، رجل شريف كان يصلي بالزيدية، بين الركنين اليماني والحجر الأسود، فإذا صلى صلاة الصبح، وفرغ من الصلاة، دعا بدعاء مبتدع، وجهر به صوته، وهو :اللهم صل على محمد، وعلى أهل بيته المصطفين الأطهار، المنتخبين الأخيار، الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً ,اللهم انصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، ببقاء ظل أمير المؤمنين، ترجمان البيان وكاشف علوم القرآن، الإمام ابن الإمام ابين الإمام، محمد بن المطهر بن يحيى بن رسول الله ، الذي للدين أحيى، إمام المتقين وحجاب الصائمين، اللهم انصره وشعشع أنواره واقتل حساده، وأكبت أضداده .مع زيادات على هذا . وكان إذا صلى صلاة المغرب، دعا أيضاً بهذا الدعاء، وجهر به صوته، في هاتين الصلاتين .

وما زال على هذا الأمر([252])، إلى أن وصل إلى مكة العسكر المجاهد المجرّد لليمن، نصرةً للملك المجاهد صاحب اليمن، في سنة خمس وعشرين وسبعمائة، فعند ذلك خرج هذا الإمام من مكة وأقام بوادي مر، وما رجع إليها إلى وقت الحج .انتهى ما ذكره ابن الجزري نقلاً عن ابن العديسة، من خبر إمام الزيدية بمكة، وكأنه عاد بعد الموسم إلى ما كان يفعله.

وحاصل ما ذكرناه من هذه الأخبار، أن ولاية عطيفة بمكة، في عشر الثلاثين وسبعمائة مختلف فيها، وليها فيها بمفرده، أو شركة فيها أخوه رميثة؟ ولم يزل عطيفة على ولايته، إلى أن وصل العسكر المجرد إلى مكة، في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، بسبب قتل الأمير ألدمر، أمير جاندار في سنة ثلاثين وسبعمائة، في رابع عشر الحجة منها .ولما وصل العسكر إلى مكة، وجدوا الأشراف قد هربوا بأجمعهم، وقد تقدم خبر هذا العسكر في ترجمة رميثة، وأنه استقر في إمرة مكة بمفرده .ثم توجه عطيفة إلى مصر، وعاد منها في سنة أربع وثلاثين متوليا، وأقام بموضع يقال له أم الدمن، ثم جاء إلى مكة، وأخذ نصف البلاد من أخيه رميثة .فلما كانت ليلة النفر من منى، أخرجه رميثة من مكة بلا قتال، فتوجه عطيفة إلى مصر، وأقام بها إلى أن جاء صحبة الحاج في آخر سنة خمس وثلاثين، وقد ولي نصف البلاد، ومعه خمسون مملوكاً شراء ومستخدمين، وأخذ نصف البلاد من أخيه رميثة بلا قتال، وكانا متوليين لمكة في سنة ست وثلاثين وسبعمائة .ثم إنهما بعد مدة من هذه السنة، حصلت بينهما وحشة ومباعدة، فأقام عطيفة بمكة ومعه المماليك ورميثة بالجديد، إلى شهر رمضان، فلما كانا في اليوم الثامن والعشرين منه، ركب رميثة في جميع عسكره، ودخل مكة على عطيفة، بين الظهر والعصر، وكان عطيفة برباط أم الخليفة ولاخيل والدروع والتجافيف في العلقمية، فلم يزل رميثة وأصحابه قاصدين إلى باب العلقمية، ولم يكن معهم رجالة، فوقف على باب العلقمية من حماها إلى أن أُغلقت، والموضع ضيق لا مجال للخيل فيه، والذي حموا ذلك، الغز والعبيد من غلمان عطيفة، فلم يحصل في ذلك اليوم لرميثة ظفر، وقتل في ذلك اليوم من أصحاب رميثة، وزيره واصل بن عيسى الزباع، وخشيعة ابن عم الزباع، ويحيى بن ملاعب، وولوا

راجعين إلى الحديد، ولم يقتل من أصحاب عطيفة غير عبد واحد أو اثنين فيما قيل، والله أعلم.

وذكر ابن محفوظ :أن في هذه السنة، لم يحج الشريفان رميثة وعطيفة، واصطلحا في سنة سبع وثلاثين، وأقاما مدة، ثم توجها إلى ناحية اليمن بالواديين، وترك عطيفة ولده مباركاً، وترك رميثة ابنه ([253])مغامساً بالجديد، وحصل بين مبارك ومغامس وحشة وقتال، ظفر فيه مبارك .وذكر أن في هذه السنة، استدعى صاحب مصر، الشريفين عطيفة ورميثة، فذهبا إلى مصر، فلزم عطيفة وأعطى رميثة البلاد، وجاء إلى مكة، ولم يزل عطيفة بمصر، إلى أن توفي بها في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة بالقبيبات ظاهر القاهرة، ودفن بها .وكان موصوفاً بشجاعة مفرطة، وكان أكثر حرمة من أخيه رميثة.

قال الفاسي :ولشيخنا بالإجازة، الأديب يحيى النشو الشاعر المكي([254])، في عطيفة مدائح كثيرة، منها من قصيدة فيما أنبأنا به، قوله :

ها قد ملكت لمهجتي وحشاشتي

فانظر بأيها عليَّ تصدقُ

يا ممرضي ببعاده وصدوده

أنا عبد ودك بالمحبة موثقُ

بالله ما خطر السلو بخاطري

أبداً ولا قلبي بغيرك يعلقُ

لا لائمي دع عنك لومي في الهوى

ما أنت من روحي بروحي أرفقُ

لو ذقت ما قد ذقته من لوعة

ما كنت ترعد بالملام وتبرقُ

وأغنَّ فتان اللواحظ أهيف

عبل الروادف بالهلال مطرقُ

غصن يميس على نَقىً من فوقه

بدر عليه من الملاحة رونقُ

يحكي الأقاحة مبسماً وبثغره

خمرٌ بمرشفه الشهي مروقُ

لله ما لاقيت منه ولم يكن

لي في هواه مساعد أو مشفقُ

إلا الشريف عطيفة بن محمد

ملك بظل جنابه أستوثقُ

ومنها :

يسمو على هام السماك بهمة

عليا تظل بها السعادة تحدقُ

تمشي المنايا تحت ظل حسامه

لا يستباح ذمامه والموثقُ

غيث إذا ما الغيث أخلفنا فمن

كفيه سيح للبرية مغدقُ

أضحت به أم البلاد أنيسة

فالعدل منها بالمسرة موثقُ

وقوله فيه من أخرى :

فأنت المليك ابن المليك أصالة

يُقصِّر عن أوصافك النظم والنثرُ

أعز الورى قدراً وجاهاً ورفعة

وأبسطهم كفاً له الحكم والقهرُ

وقوله فيه من أخرى :

من لي بسفح مني يلوح لناظري

والبرق خفاق على أعلامِهِ

قل للمقيم على أُثيلات النقا

لا تقتل المشتاق قفبل حمامِهِ

ومنها في المدح :

المالك الملك المطاع لأمره

ليث تخاف الأسد من إقدامِهِ

سيف لدين الله فهو عطيفة

حاز الفخار وقاده بزمامِهِ

ملك تشرفت البلاد بعدله

والعدل منسوب إلى أحكامِهِ

أحيى الأنامَ بجوده ونواله

فاستبشرت بالخصب في أيامِهِ

من نسل أحمد واحد في عصره

آباؤه كل كريم كرامِهِ

فاق الملوك بني الملوك بعدله

فملوك هذا العصر من خدامِهِ

انتهى ما نقلت عن العقد الثمين باختصار.

وللنشو الشاعر قصائد أخرى في عطيفة وغيره.

ويقول السيد دحلان في حوادث :

734)هـ (إن رميثة أخرج عطيفة في آخر شهر الحجة، أي بعد رحيل الحاج([255])، ولم يأت بما يجب ذكره غير ما تقدم.

ولم أر لبقية مؤرخي مكة ما يزيد على ما نقلناه عن شيخ مؤرخي مكة التقي الفاسي.([256])

وكان لعطيفة ذرية، منهم :مبارك الآتية ترجمته، ومحمد، وستأتي ترجمته، وله حفدة منهم منصور بن مبارك بن عطيفة.

28-الشريف عطاف بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني المكي :

هكذا ترجمه التقي الفاسي في العقد الثمين، مادة) عطاف(، وقال :كان ملائماً لأخيه عطيفة وشهد حربه مع حميضة في سنة عشرين وسبعمائة، ولم أدر متى مات، إلا أنه كان حياً في سنة أربع وعشرين وسبعمائة بمكة، وما علمت من حاله سوى هذا .أ هـ .عن العقد.

قلت :وكان لعطيفة وعطاف هذا، أخ اسمه عاطف، ويظهر أنهم لأم واحدة لتقارب أساميهم كعادة العرب.

ولم أر ذكراً لولد عطاف وعاطف، ولا يوجد اليوم في الحجاز من ينسب إليهم، إلاّ ما ذكرنا في نسب عاطف الآتي، منقولاً عن الأشراف العناقوة.

29-الشريف راجح بن أبي نمي محمد بن أبي سعد بن علي الأكبر بن قتادة) كان حياً سنة**733** هـ :(

ذكره في العقد الثمين) راجح(، وقال :أمير مكة، ذكر لي شيخنا القاضي جمال الدين بن ظهيرة، أنه استولى على مكة أشهراً، ثم انتزعت منه، ولم يذكر متى كان ذلك، وما ذكر لي ذلك غيره، ولم أدر متى مات، إلا أنه كان حيًّا في رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، لأنه وفد فيها على الناصر ابن قلاوون، صاحب مصر وأكرمه .انتهى عن العقد.

وما وجدت من ترجم له بغير ما تقدم، والأشراف الرواجحة بخيف الرواجحة المعروف قديماً بخيف بني شديد ([257])ينتسبون إلى راجح بن أبي نمي الثاني .وينفي نسابو الأشراف ذلك، ويقولون إن الأشراف الرواجحة هؤلاء من ذرية الشريف راجح هذا أي ابن أبي نميّ الأول وليس الثاني .ثم ظهر شاب من الأشراف الرواجحة أهل الخيف، يقول :إن فخذه الخاص نازل

مع رواجحة الخيف، وليس منهم، وإنما تطابقت الأسماء، وإنما نحن بنو راجح بن أبي نمي الثاني.

وسيأتي معك عند ترجمة أبي نمي الثاني أن راجح بن أبي نمي الثاني لم يعقب.

واسم راجح يتكرر كثيراً عند الأشراف، وهناك أسرة في محافظة القنفذة تدعى الرواجحة، وهي ليست من كل من تقدم، إنما هم من ذرية الحسن بن أبي نمي الثاني، وسيأتي ذكرهم .
وموضوع الأنساب لدى الأشراف محفوظ لا يحتاج منا إلى اجتهاد، ولهم مشجرات تربط المولود اليوم بالإمام علي وفاطمة رضي الله عنهما.

أما راجح المترجم هنا، فكان له ابن اسمه) لِحَاف (توفي سنة741) هـ (وخلف ولدين اسم أحدهما جخيدب، بجيم ثم خاء معجمة قبل المثناة التحتية، واسم الآخر مالك، ولجخيد هذا أخبار .أنظر العقد، مادتي) لحاف وجخيدب.(

–30الشريف رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة، أسد الدين، أبو عرادة.

ت 746) هـ 1345 /م :(

ويقول ابن عنبة :إن اسمه منجد.

وترجمه صاحب العقد([258])، فقال :ولي إمرة مكة فيما علمت ثلاثين سنة أو أزيد في غالب الظن– كما سيأتي –في سبع مرات، مستقلاً بذلك أربع عشرة سنة ونصفا وأزيد،

وشريكاً لأخيه حميضة في مرتين منهما، مجموعهما نحو عشر سنين، كما سبق في ترجمة حميضة، وشريكاً لأخيه عطيفة خمس سنين وأزيد في غالب الظن، وسنوضح ذلك كله مع شيء من خبره، وذلك أني وجدتُ بخط قاضي مكة نجم الدين الطبري، أن أباه أبا نمي، لزمه بمشورة بعض أولاده في يوم وسبعمائة، وأنه وأخاه حميضة، قاما بالأمر بعده، وكان دعا لهما على قبة زمزم، يوم الجمعة ثاني صفر سنة إحدى وسبعمائة، قبل وت أبيهما بيومين.

وكان من أمر رميثة، أنه استمر في الإمرة شريكاً لأخيه حميضة، حتى قبض عليهما في موسم هذه السنة، وهذه ولايته الأولى .وسبب القبض عليهما، أن أخويهما عطيفة وأبا الغيث، حضرا إلى الأمراء الذين حجوا في هذه السنة، وكان كبيرهم بيبرس الجاشنكير، الذي صار سلطاناً بعد الملك الناصر محمد بن قلاوون، لما توجه غ الكرك، في سنة ثمان وسبعمائة، وشيكا إلى الأمراء، من أخويهما حميضة ورميثة، لأنهما كانا اعتقلا أبا الغيث وعطيفة، ثم هربا من اعتقالهما، وحضرا عند الأمراء كما ذكرنا، فاقتضى رأي الأمراء القبض على حميضة ورميثة تأديباً لهما، وحملا إلى القاهرة، واستقر عوضهما في الإمرة بمكة أبو الغيث وعطيفة .هكذا ذكر ما ذكرناه من سبب القبض على حميضة ورميثة، وتولية أبي الغيث وعطيفة في هذا التاريخ، صاحب نهاية الأرب، وإلا فالأمير بيبرس الداودار في تاريخه، وهو الغالب على ظني.

وذكر ذلك صاحب بهجة الزمن في تاريخ اليمن، إلا أنه خالف في بعض ذلك؛ لأنه قال في ترجمة أبي نمي :واختلف القواد والأشراف بعد موته على أولاده، فطائفة مالت إلى رميثة وحميضة على أخويهما فلزماهما، وأقاما في حبسهما مدة، ثم احتالا فخرجا وركبا إلى بعض الأشراف والقواد، فمنعوا منهما .ولنما وصل الحاج المصري، تلقاهم أبو الغيث، فمالوا إليه، ولما انفصل الموسم، لزم الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، حميضة ورميثة، وسار بهما إلى مصر مقيدين، وأمَّر بمكة أبا الغيث، ومحمد بن إدريس، وحلّفهما لصاحب مصر .انتهى.

وكان من خبر رميثة، أنه وأخاه حميضة، وليا إمرة مكة في سنة أربع وسبعمائة، وما ذكرناه من ولايته لإمرة مكة، مع أخيه حميضة في هذا التاريخ، ذكره صاحب بهجة الزمن، وأفاد في ذلك ما لم يفده غيره، مع شيء من خبرهما، ولذلك رأيت أن أذكره.

قال في أخبار سنة أربع وسبعمائة :وحجّ من مصر خلق كثير، وفي جملتهم الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، في أمراء كثيرين، ووصل معهم الشريفان رميثة وحميضة، ولدا أبي نمي المقدما الذكر في القبض عليهما، فلما انقضي بالحج، أحضر الأمير ركن الدين أبا الغيث وعطيفة، وأعلمهما أن ملك مصر قد أعاد أخويهما إلى ولايتهما، فللم يقابلا بالسمع والطاعة، وحصلت منهم المنافرة، ثم قال :واستمر حميضة ورميثة في الإمرة يظهران حسن السيرة وجميل السياسة، وأبطلا شيئاً من المكوس في السنة المذكورة التي قبلها.

ووجدت في بعض التواريخ، ما يقتضي أن رميثة وحميضة، وليا مكة في سنة ثلاث وسبعمائة، وهذا يخالف ما ذكره صاحب بهجة الزمن، وما سبق قبله، والله أعلم.

وذكر صاحب البهجة في أخبار سنة ثمان وسبعمائة، أنه ظهر منهما من العسف ما لا يمكن شرحه.

وذكر أن في سنة عشر وسبعمائة، حج من الديار المصرية عسكر قوي، فيه من أمراء الطبلخانات، يريدون لزم الشريفين حميضة ورميثة، فلما علما بذلك نفرا من مكة، ولم يحصل العسكر على قبضهما، فلما توجه العسكر إلى الديار المصرية، عادا إلى مكة، شرفها الله تعالى.

وقال في أخبار سنة ثلاث عشرة وسبعمائة :وفي السنة المذكورة، وصل الشريف أبو الغيث بن أبي نمي من الديار المصرية إلى مكة المشرفة، ومعه عسكر جرار، فيهم من المماليك الأتراك ثلاثمائة وعشرون فارساً وخمسمائة فارس من أشراف المدينة، خارجاً عما يتبع هؤلاء من المتخفطة والحرامية، ولما علم حميضة ورميثة بأمرهم، هربوا إلى صوب حلي بن يعقوب، واستولى أبو الغيث على مكة.

وقال في أخبار سنة أربع عشرة وسبعمائة :ففي المحرم سار أبو الغيث وطقصبا إلى صوب حلي بن يعقوب، لطلب حميضة ورميثة، فسارا قدر مرحلتين، ولم يجدا خبراً عن الشريفين المذكورين، لأنهما لحقا ببلاد السراة، ووصلا غ حلي بن يعقوب، ولم يدخلها طقصبا، وقال : هذه أوائل بلاد السلطان الملك المؤيد، ولا ندخلها إلا بمرسوم السلطان الملك الناصر، فعاد على عقبه.

وولي رميثة مكة في سنة خمس عشرة وسبعمائة، وهذه ولايته الثالثة، ودامت ولايته عليها إلى انقضاء الحج، من سنة سبع عشرة وسبعمائة، أو إلى أوائل سنة ثمان عشرة، واستقل بإمرة مكة فيها.

قال صاحب نهاية الأرب في أخبار سنة خمس عشرة :وفي هذه السنة في ثالث جمادى الآخرة، وصل الشريف أسد الدين أبو عرادة رميثة بن أبي نمي، من الحجاز إلى الأبواب السلطانية،، وأظهر التوبة والتنصل والاعتذار بسالف ذنوبه، وأنهى أنه استأنف الطاعة، وسأل العفو عنه، وإنجاده على أخيه عز الدين حميضة، فقبل السلطان عذره وعفا عن ذنبه، وجرد طائفة من العسكر، مقدمهم الأمير سيف الدين دمرخان بن قرمان، والأمير سيف الدين طيدمر الجمدار، فتوجها، هما والأمير أسد الدين، إلى الحجاز الشريف، في ثاني شعبان، ورحلوا من بركة الحاج في رابعه .فلما وصلوا إلى مكة شرفها الله تعالى، كان بها حميضة، فقصدوه

وكبسوا أصحابه وهم على غرة، فقتلوا وسبوا ونهبوا، وفر هو في نفر يسير من أصحابه، إلى العراق، والتحق بخربندا ملك التتار، واستنصر به، فمات خربندا قبل إعانته) كما تقدم في ترجمة حميضة.(

وفي هذا ما يوهم أن رميثة والعسكر الذي كان معه، واقعوا حميضة بمكة، وليس كذلك، لأنهم لم يواقعوه إلا بالخلف والخليف([259])، لهروبه منم إليه مستجيراً بصاحبه، كما ذكر البزرالي في تاريخه، وقد تقدم ذلك في ترجمة حميضة.

وذكر صاحب نهاية الأرب ما يقتضي أن ولاية رميثة بمكة، زالت بعد انقضاء الحج من سنة سبع عشرة، أو في أول سنة ثمان عشرة، لأنه قال في أخبار سنة ثمان عشرة وسبعمائة.

وفي صفر من هذه السنة، وردت أخبار من مكة شرفها الله تعالى، أن الأمير عز الدين حميضة بن أبي نمي، بعد عود الحاج من مكة، وثب على أخيه الأمير أسد الدين رميثة إلى نخلة، وهي التي كان حميضة بها، واستولى حميضة على مكة شرفها الله تعالى، وقيل إنه قطعه الخطبة السلطانية، وخطب لملك العراقين، وهو أبو سعيد بن خربند بن أرغون بن أبغا بن هولاكو.

وذكر تجريد صاحب مصر في سنة ثمان عشرة، للعسكر الذي تقدم ذكره في ترجمة حميضة لإحضاره، وذكر أيضاً ما يقضي أن رميثة كان أميراً على مكة في سنة ثمان عشرة، وهذه ولايته الرابعة التي استقل فيها، لأنه قال في أخبار سنة تسع عشرة :

وفي يوم الخميس السابع من المحرم، وصل الأمير شمس الدين آق سنقر الناصري، أحد الأمراء، من الحجاز الشريف، إلى قلعة الجبل، ووردت الأخبار معه، أنه قبض على الأمير أسد

الدين رميثة أمير الحجاز الشريف، وعلى الأمي سيف الدين بهادر الإبراهيمي أحد الأمراء، وهو الذي كان قد جرد بسبب الأمير عز الدين حميضة .والذي ظهر لنا في سبب القبض عليهما، أن رميثة نسب إلى مباطنة أخيه حميضة، وأن الذي يفعله من التشعيث باتفاق رميثة، وأن الأمير لما توجه لمحاربة حميضة والقبض عليه، ركب إليه وتقاربا من بعضهما بعضاً، وباتا على ذلك، ولم يقدم الإبراهيمي على مهاجمته والقبض عليه، فاقتضى ذلك سجنه .واتصل بالسلطان أيضاً، أن الإبراهيمي ارتكب فواحش عظيمة بمكة شرفها الله تعالى، فرسم بالقبض عليهما، ووصل الأمير أسد الدين رميثة، ورسم عليه بالأبواب السلطانية أياماً، ثم حصلت الشفاعة فيه، فرفع عنه الترسيم، وأقام يتردد إلى الخدمة السلطانية مع الأمراء، إلى أثناء ربيع الآخر من السنة، فحضر إلى الخدمة في يوم الاثنين رابع عشرة، ثم ركب في عشية النهار على هجن أعدت له وهرب نحو الحجاز، فعلم السلطان بذلك في يوم الثلاثاء، فجرد خلفه جماعة من عربان العابد([260])، فتوجهوا خلفه، وتقدم الأميران المبدأ بذكرهما، ومن معهما من العربان، فوصلوا إلى منزلة حقل([261])، وهي بقرب أيلة ([262])مما يلي الحجاز، فأدركوه في المنزلة، فقبضوا عليه وأعادوه إلى الباب السلطاني، فكان وصولهم في يوم الجمعة الخامس والعرين من الشهر، فرسم السلطان باعتقاله بالجب، فاعتقل واستمر في الاعتقال إلى يوم الخميس، الثاني من صفر سنة عشرين وسبعمائة، فرسم بالإفراج عنه .انتهى.

وذكر البرزالي ما يوافق ما ذكره النويري في نهاية الأرب، في القبض على رميثة بمكة، وذكر أن ذلك في يوم الثلاثاء رابع عشر ذي الحجة، بعد انقضاء أيام التشريق، وحمل إلى مصر تحت الاحتفاظ .فلما وصل، أكرمه السلطان وأجرى عليه في كل شهر ألف درهم، فبقي يجري ذلك عليه نحو أربعة أشهر، وهرب من القاهرة إلى الحجاز، وعلم السلطان بهزيمته في اليوم الثاني، فكتب إلى شيخ آل حرب يقول له :هذا هرب على بلادك معتمداً عليك، ولا أعرفه إلا منك، فركب شيخ آل حرب بالهجن السبق، وسار خلفه مدداً، فأدركه نائماً تحت عقبة أيلة، فجلس عند رأسه، وقفال :اجلس يا أسود الوجه، فانتبه رميثة، فقال :صدقت،

والله لو لم أكن أسود الوجه، لما نمت هذه النومة المشؤومة حتى أدركتني، فقبض عليه وحمله إلى حضرة السلطان، فألقاه في السجن وضيق عليه، فقيل له :إنه وجع يرمي الدم .وكان قبض عليه شيخ آل حرب([263])، في شهر جمادى الأولى سنة تسع عشرة وسبعمائة . انتهى.

وإنما ذكرنا ما ذكره البرزالي، لأنه يخالف ما ذكره النويري في أمرين :أحدهما :في تاريخ القبض على رميثة؛ لأنه على ما ذكر البرزالي، كن في جمادى الأولى، وعلى ما ذكر النويري، يقتضي أن رميثة لما وصل إلى مصر أهين، وما ذكره البزرالي، أنه أكرم عند وصوله إلى مصر .وفيما ذكر البرزالي فائدة ليست تفهم من كلام النويري، وهي تاريخ القبض على رميثة وغير ذلك، وكان من أمر رميثة أنه أطلق في سنة عشرين وسبعمائة، وتوجه إلى مكة، ولكن أمر مكة إلى أخيه عطيفة، على ما ذكر الرزالي، لأنه قال في تاريخه :

وفي الثتلث والعشرين من ذي القعدة، وصل نائب السلطنة الأمير سيف الدين أرغون، هو وبيته وأولاده ومماليكه، ومعه الأمير رميثة بن أبي نمي، وتألم لذلك أهل مكة، لكن أمر مكة إلى أخيه عطيفة.

وذكر أيضاً ما يقضي أن أمر مكة في بعض سني عشر الثلاثين وسبعمائة، كان إلى أخيه عطيفة، وسيأتي ذلك في ترجمته.

وذكر أيضاً، ما يقتضي أنه كان أمير مكة في سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، لأنه قال في أخبار هذه السنة :ورد كتاب موفق الدين عبد الله الحنبلي، إمام المدرسة الصالحية من القاهرة، وهو مؤرخ بمستهل جمادى الآخرة، يذكر فيه أنه جاء في هذا القرب، كتاب من جهة عطيفة أمير مكة، يذكر فيه أن رميثة قد حلف له بنو حسن، وقد أظهر مذهب

الزيدية .وجاء معه كتاب آخر، من جهة مملوك هنالك لنائب السلطنة، فيه مثل ما في كتاب عطيفة، وقد انجرح السلطان من هذا الأمر، واشتد غضبه على رميثة.

وذكر أنه في سنة ست وعشرين وسبعمائة، قدم إلى الديار المصرية.

وذكر ابن الجزري في تاريخه، ما يقتضي أن رميثة كان أميراً على مكة في بعض سني عشر الثلاثين وسبعمائة؛ لأنه ذكر أنه سأل المحدِّث شهاب الدين أبا عبد الله محمد بن علي بن أبي بكر الرقيّ المعروف والده بابن العديسة بعد قدومه إلى دمشق من الحج، في سنة خمس وعشرين وسبعمائة، عن أمور تتعلق بالحجاز وغيره، وأنه قال له :والحكام يومئذ على مكة، الأميران أسد الدين رميثة، وسيف الدين عطيفة، ولدا الشريف نجم الدين بن أبي نمي الحسني المقدم ذكره، انتهى.

وقال ابن الجزري :في أخبار سنة ثلاثين وسبعمائة :وحضر الأمير عُطيفة على العادة، ولبس خلعة السلطان، ولم يحضر أخوه رميثة، ولا اجتمع بالأمراء، ولكنه حضر الموقف مع أخيه، انتهى.

ورأيت في بعض التواريخ :أنه لمّا قدم مكة في سنة عشرين وسبعمائة، كان أميراً على مكة، وولايته في هذا التاريخ، إن صحت هذه، ولايته الخامسة، وإلا فهي ما ذكره ابن الجزري من ولايته في عشر الثلاثين كما سبق تعيينه، وولايته السادسة هي أطول ولاياته، لأنها دامت اثنتي عشرة سنة أو أزيد.

وفي تاريخ ابن الجزري شيء من خبر ابتدائها، لأنه ذكر أنه لما وصل العسكر المجرد إلى مكة، في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، بسبب قتل ألَدمر، وجدوا الأشراف والعبيد جميعهم

قد هربوا، وجاء المشايخ والصلحاء إليهم، وتشفعوا إليهم، واستحلفوا الأمراء للشريف رميثة، على أنه إذا جاء إلى مكة لا يؤذونه، فحضر عند ذلك إلى مكة، واجتمع بالأمراء، وبذل الطاعة، وحلفوا له، وكسوه الخلعة السلطانية، وولوه إمرة مكة، وقرئ تقليده، وأمان السلطان عز نصره، وانفصل الحال، وأخبر أن أخاه وأولاده والعبيد هربوا إلى اليمن، وأقام العسكر بمكة إحدى وثلاثين يوماً، ثم توجّهوا منها إلى المدينة الشريفة، بعد أن تأخر منهم خمسون نفساً بسبب الحج، ويعودون مع الرَّكْب، وحصل خير كثير، فالحمد لله لم يُرق بسببهم محجمة دمٍ، ولا آذوا أحداً من الخلق.

وذكر أن المقدَّم على هذا العسكر، الأمير سيف الدين أيدغمش أمير مائة مقدم ألف، وكان فيهم أربعة أمراء، ولم يروا في طريقهم أحداً من العرب ولا غيرهم، ووجدوا الأشراف والعبيد جميعهم قد هربوا .وذكر أن وصولهم إلى مكة كان في العشر الأول من ربيع الآخر، سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، وأنه وصل إلى السلطان رسول من أمير مكة رميثة، وتوجه من القاهرة في سادس عشر جمادى الآخرة من السنة.

وذكر ابن محفوظ شيئاً من خبر ولاية رميثة السادسة، وبعض حاله فيها مع أخيه عطيفة وغير ذلك، لأنه ذكر ما معناه، أن الشريفين عُطيفة ورميثة، لما سمعا بوصول العسكر إلى مكة، الذي مقدمه أيتمش، وليا منهزمين إلى جهة اليمن، وهرب الناس من مكة إلى نخلة وغيرها، ودخل العسكر مكة، فأقام بها مدة شهر، ثم بعد ذلك سيروا للشريف رميثة أماناً، وهو خاتم ومنديل، لأنه لم يكن متهماً في قتل الأمير– يعني ألدمر –وقالوا :ما قتله إلا مبارك بن عطيفة، فلما أن جاءه الأمان، تقدَّم إليهم فخلعوا عليه، وأعطوه البلاد وحده دون أخيه عطيفة، وأعطوه خيراً كثيراً، من الدقيق والكعك والشعير والسكر، وأعطوه أربعين ألف درهم، وارتحلوا عنه إلى مصر.

وذكر أيضاً ما معناه :أن في سنة أربع وثلاثين، جاء الشريف عطيفة من مصر، ونزل أم الدمن([264])، ثم جاء إلى مكة وأخذ نصف البلاد من أخيه الشريف رميثة .فلما كان ليلة النزول من مِنىً، أخرجه رميثة بلا قتال، فتوجه إلى مصر صحبة الحاج، وأقام بها إلى أن جاء مع الحاج المصري، في سنة خمس وثلاثين، متولياً لنصف البلاد، وأخذ ذلك بلا قتال.

وذكر أيضاً ما معناه :أن رميثة وعطيفة، كانا متوليين البلاد في سنة ست وثلاثين، وأن بعد مدة، جرت بينهما وحشة ومباعدة، فأقام الشريف عطيفة بمكة ومعه المماليك، ورميثة بالجديد إلى شهر رمضان .فلما كان في اليوم الثامن والعشرين منه، ركب الشريف رميثة في جميع عسكره، ودخل مكة على الشريف عطيفة، بين الظهر والعصر، وكان الشريف عطيفة برباط أم الخليفة، والخيل والدروع والتجافيف في العقميّة، فلم يزالوا قاصدين إلى باب العلميّة، ولم يكن معهم إلى باب العلقميّة، ولم يكن معهم رجاجيل([265])، فوقف على باب العلقميّة مَن حماها إلى أن أُغلقت، والموضع ضيّق لا مجال للخيل فيه، وحَمت ذلك الغزو العبيد، فلم يحصل في ذلك اليوم للشريف رميثة ظفر، وقتل في ذلك اليوم من أصحاب رميثة، وزيره واصل بن عيسى الزباع– بزاي معجمة وباء وموحدة وألف وعين مهملة –وخُشيعة ابن عم الزباع، ويحيى بن ملاعب، ووَلّوا راجعين إلى الجديد، ولم يقتل من أصحاب عطيفة غير عبد واحدٍ أو اثنين، والله أعلم.

وذكر أن في هذه السنة، لم يحج الشريفان رميثة وعطيفة، لأن رميثة أقام بالجديد وعطيفة بمكة .وذكر ما معناه :أن رميثة وعطيفة اصطلحا في سنة سبع وثلاثين، وأقاما مدَّة، ثم توجّها إلى ناحية اليمن بالواديين، وترك عطيفة ولده مباركاً بمكة، وترك رميثة ولده مغامساً بالجديد، وحصل بين مبارك ومغامس وحشة وقتال ظفر فيه مبارك.

وذكر أن في هذه السنة، استدعى صاحب مصر الشريفين عطيفة ورميثة، فذهبا إلى مصر، فلزم عطيفة، وأعطى رميثة البلاد، وجاء إلى مكة.

وذكر في أخبار سنة ثمان وثلاثين :أن الشريف رميثة كان متولياً مكة وحده إلى أن مات.

وذكر أن في سنة أربع وأربعين وسبعمائة، اشترى عجلان وثقبة البلاد، من والدهما الشريف رميثة بستين ألف درهم؛ لأنه كان ضعف وكبر وعجز عن البلاد وعن أولاده، وبق كل منهم له حكم .وبعد ذلك توجه الشريف ثقبة إلى مصر، باستدعاء من صاحبها الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وبقي عجلان وحده في البلاد، إلى ذي القعدة، ثم وصل مرسوم من سلطان مصر، بردِّ البلاد على الشريف رُميثة، ولزم الشريف ثقبة في مص .فلما علم الشريف عجلان بذلك، خرج إلى ناحية اليمن.

ثم قال :وبعد رَواح الحاجّ، وصل الشريف عجلان من جهة اليمن، ونزل الزَّاهر، وأقام به أياماً، ثم بعد ذلك اصطلح هو وأبوه، وأخذ من التجار مالاً جزيلاً، وما ذكره من وصول مرسوم سلطان مصر، بردِّ البلاد على الشريف رميثة، هي ولايته السابعة.

ثم قال :في سنة خمس وأربعين وسبعمائة، كان المتولِّي لمكة، الشريف رميثة.

ثم قال :في سنة ست وأربعين وسبعمائة، توجّه الشريف عجلان إلى ديار مصر، فأعطاه السلطان الملك الصالح البلاد، دون أبيه رُميثة .انتهى.

ووجدتُ بخط غيره أن في ليلة الثامن عشر من جمادى الآخرة، من سنة ست وأربعين وسبعمائة، بعد المغرب منها، دعي للشريف عجلان على زمزم، وقطع دعاء والده رميثة،

ومات يوم الجمعة الثامن من ذي القعدة، سنة ست وأربعين وسبعمائة بمكة، وطيف به وقت صلاة الجمعة، والخطيب على المنبر قبل أن يفتتح الخطبة، وسكت الخطيب حتى فرغوا من الطّواف به، وكان ابنه عَجلان يطوف معه، وجَعَله في مقام إبراهيم، وتقدّم أبو القاسم بن الشّقيف الزّيدي للصلاة عليه، أبو القاسم من ذلك قاضي مكة شهاب الدين يقل شيئاً، ودفن بالمعلاة عند القبر الذي يقال إنه قبر خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، زوج النبي ، ولما مرض لم يكن بمكة، وأُتِيَ به إليها .وقد دخل في انلزع في نصف ليلة الخميس، السابع من القعدة .انتهى بالمعنى.

وللأديب موفق الدين عليّ بن محمد الحنديديّ ([266])من قصيدة يمدح بها الشريف رميثة بن أبي نمي أولها :

بالله هات عن اللوى وطلوله

وعن الغضا وحِلاله وحلولِهِ

أطل الحديث فإن تقصير الذي

يلقى من التبريح في تطويلِهِ

علِّل بذكر العامرية قلبه

فشفاء غلة ذاك في تعليلِهِ

وإذا عليل الريح أهدى نحوه

نشاً فنشر عليله بعليلهِ

رشأٌ دنا فرمى فؤاد محبّهِ

عن قوس حاجبه بسهم كحيلِهِ

وحوى القلوب بأسرها في أسره

وسبا النهى برسيله وأسيلِهِ

وبياضه وسواده وقويِّه

وضعيفه وخفيفه وثقيلهِ

ومنها:

وتفيأ الظل الذي ضمنت له الـ

أيام بين مبيته ومقيلِهِ

حط الرحال بمكة وأقام في

حرمِ الخلافة بعد طول رحيلِهِ

جلب المديح بمنجد بن محمد بـ

ـن نبيه بن وصيه بن بتولِهِ

وأغر أنبه البطين ومجة أبـ

راهِيمه في صلبي إسماعيلهِ

ومنها :

ما بين شَبَّره وبين شَبيره([267])

شرف يطول لهاشمٍ وعقيلِه

نسب كمشتقِّ الشموس ومفخر

باع الكواكب قاصر عن طولِهِ

أما الفروع فليس مثل فروعه

وكذا الأُصول فليس مثلُ أصولِهِ

يا ابن المظلل بالغمامة والذي

قد أُنزل القرآن في تفضيلهِ

ماذا عسى مدحي وقثد نزل الثنا

فيكم من الرحمن في تنزيلهِ

في هل أتاك وهل أتى وحديده

حقا وغافره وفي تنزيلِهِ

قالوا مدحت رميثةً فأجبتهم

ليس المديح ينال غير منيلِهِ

ولكيف لا أثني على من عمَّني

دون الورى من خيره بجزيلِهِ

بنضاره ولجينه وثوابه

وثيابه وركابه وخيولِهِ

وللأديب أبي عامر منصور بن عيسى بن سحبان الزَّيدي في الشريف رميثة مدائح كثيرة، منها قصيدة أولها :

ما أَومضت سحراً بروق الأَبرق

إلا شرقت بدمعي المترقرقِ

ومنها :

صنم شغفت به وغصن شبابه

غضٌّ وبرد شبيبتي لم يخلقِ

شقت عرى كبدي شقائق خدِّهِ

وبكأس فتنته سقيت وما سقي

ومنها :

ما فات من عمري فللعيد الدما

لا أرش فيه وللصَّبابة ما بقي

ومن مديحها:

رجل إذا اشتبه الرجال عرفته

بجلال صورته وحسن المنطقِ

ومظفر الحملات يرفض منه قلب

ـب المغرب الأقصى وقلب المشرقِ

علم يدل على كمال صفاته

كرم الفروعِ له وطيب المعرقِ

يلقى بوجه البشر طارق بابه

كرماً ويرزق منه من لم يرزقِ

عزَّت بنو حسنٍ بدولته التي

عزُّ الذَّليل بها وأَمن المفرقِ

هو صبح ليلتها وبدر ظلامها

ولسان حكمتها وصدر الفيلقِ

لا يتقي من كل حادثةٍ بها

وبه بمكروه الحوادث تتقي

وله من قصيدة أولها :

حفظ العهد بعدنا أم أضاعا

وعصى لإتمامه أم أطاعا

ورعى حرمة الجوار وراعى

أم دهى بالفراق قلبي وراعا

من يكن يحمد الوداع فإِنّي

بعد يوم النوى أذمُّ الوداعا

وله فيه أخرى، ومنها في المدح :

مليك أقام الحق بعد اعوجاجه

وسيد من سمك المعالي منارها

متى بطرت قوم أذلَّ عزيزها

وإن عثرت جهلاً أقال عثارها

إذا جاد يوماً لم يشقُّ غباره

وإن شهد الهيجاء شقَّ غبارها

أشمُّ قياديُّ الأُ ُبوة برده

حوى حلم آل المصطفى ووقارها

وأبلج مخضور الخوان يمينه

تزيل عن المسترفدين افتقارها

جمال يحار الطَّرف فيه وعزمه

كسا فخرها قحطانها ونزارها

وما برحت إن صحت فوا لمنجدٍ

كبار أياديه تؤمُّ صغارها

وللأديب عفيف الدين علي بن عبد الله بن علي بن جعفر([268])، قصيدة فائقة يمدحه بها، فمن غزلها :

فتن القلوب هواكم حتى لقد

كاد الهوى بهواكم أن يفتنا

حيّا الغمام ديار قوم طبعهم

أن لا يخاف الجار فيهم ما جنى

أميمِّم الحرم الشريف وقاصداً

آل النبيّ ظفرت غايات المُنى

لا تحسبنَّ أبا نميَّ غائباً

فرميثة بن أبي نميّ ها هنا

ضرب السرادق حول كعبة مكَّةٍ

وغدا لها ركناً وكان الأَيمنا

وحمى الذي قد كان والده حمى

وبنى الذي قد كان والده بنى

خيل تقاد إلى العطاء ومثلها

تغزو وأخرى في المرابط صفَّنا

وطما خلال النقع مثل جداولٍ

بسكونه غسلت قميصاً أدكنا

وفتى يسابق في الطِّعان قرانه

فبه تكاد قناته أن تطعنا

يكنونه أسداً وحيدر جدُّه

والقوم فعلهم دليلٌ بالكنى

ابن الذَّبيحين الذَّبيح بمكّةٍ

والمفتدى بالذِّبْح في وادي منى

فهو التمام لبيت آل محمد

وهو الحسام بل السَّنام بل السَّنا

وحسامه سبق القضا وخوانه

ملأَ الفضا وطعانه أفنى القنا

ما زال يفني المعتدين بسيفه

حتى لقد لقِي القنا منه الفنا

ويجود بالأموال حتى إنه

ليرى ذهاب المال مَالاً يقتنى

فإذا وردت إلى خضمٍّ نواله

فابسط يديك فقد أصبت المعدنا

تأبى سوائمه الربيع لِما رَأَت

أن ليس يّذبح (([269])...) إلا الأسمنا

ويظنُّ خازنه الحفيظ لماله

أن الضَّياع لماله أن يخزنا

قَيْلٌ يضمُّ إلى عظيم مهابةٍ

خلقاً أرقَّ من النسيم وألينا

تقف المنيَّة والأماني حيث ما

يومي وليس تسير حتى يأذنا

ماذا يقول المدح فيمن مدحه

جعل الإله به كتاباً بيِّنا

طوَّقتني وأخوك طوقّي منَّةٍ

أحسنت فيها حيث شئت وأحسنا

لما حططت الرحل في ساحاتكم

أَوليتم النِّعم الفرادى والثنا

قد صرت تعرفنا لديك فإن ترد

يوم المعاد لحوض جدك فاسقنا

ليس اللسان يطيق أن يحصِي لكم

شكراً فكوني يا جوارحِ ألسنا

فلأَشكرن وفوق شكري أنتما

ولأُثنينَّ وأنتما فوق الثَّنا

انتهى عن العقد الثمين، مادة) رُميثة.(

وكان لرميثة هذا عدد من البنين، بارك الله فيهم، فمن أشهرهم :عجلان، ومغامس، وثقبة، وسند، ومبارك، وأحمد وأشهرهم عجلان، ومن ذرية الحسن هذا حكام الحجاز حتى انقضت دولة ش، ومن ذرية مغامس :عنان بن مغامس جد الأشراف ذوي عنان، أهل قرية الحُوار .([270])ولا زالت ذرية الحسن حتى حكموا الأردن اليوم.

ونجد عن ابن حجز ([271])بعض ما يخالف ما تقدم، منه :

1-قال :عرب آل حريث بقصبة أيلة، بدل آل حرب عند بقية مؤرخي مكة.

2-قال :ثم بلغ الناصر أنه أظهر مذهب الزيدية، فأنكر عليه.

والحقيقية أنه وأجداده وذريته ظلوا على مذهب الزيدية إلى القرن العاشر، فما اعتراض سلطان مصر؟.!

3-قال ابن حجر :مات رميثة سنة748) هـ (أ .هـ .وقد شذ ابن حجر بهذا.

ويذكر السيد دحلان أن وفاة رميثة سنة746) هـ([272]) (، وهو مطابق لقول الفاسي، وظاهره الصواب.

وفي قصة قبض شيخ حرب على رميثة، يقول العصامي :([273])وكتب إلى شيخ حرب، أي سلطان مصر، يقول له :هذا هرب إلى بلادك معتمداً عليك ولا أعرفه إلاّ منك، وإن لم

تأتني به فأنت خصمي، أنت الذي أعنته على الخروج، فركب شيخ آل حرب على الهجن السُّبَّق، وسار مجداً حتى أدرك الشريف رميثة تحت العقبة ...ألخ.

لاحظ قوله) :تحت العقبة (ولم يقل عقبة أيلة، ذلك أن عقبة أيلة ليست من ديار حرب ولن يصل إليها شيخ حرب إلاّ بعد أيام وليال، ثم أن عقبة أيلة كانت من درك آل شاكر، وبينها وبين حرب :درك بني عقبة، ودرك بلي، ودرك جهينة، فمن أين لشيخ حرب أن يصل إليها، ولكن الظاهر إن المقصود عقبة السويق) ثنية لفت (فهذه في وسط ديار حرب، وشيوخ حرب آنذاك هم العسوم، وديارهم حول خليص، بل هو قاعدتهم، وهو غير بعيد عن العقبة التي عنيناها.

ملاحظة :الأسر التي تسمى اليوم بني رميثة كثيرة، وكلهم من نسل رميثة هذا، ولكن نسبتهم ليست إليه إنما إلى آباء جاؤوا بعده فسموا باسمه، أي أنهم من ذرية أحفاده، ومن ذرية حسن بن عجلان خاصة.

أما ابنه الريف أحمد) أحمد بن رُميثة (فقد كانت له إمارة على) الحِلَّة(، المدينة العراقية المشهورة، استولى عليها عنوة عن موت أبي سعيد بن خرابندة المغولي، وله أخبار في عمدة الطالب([274])، وذكرها في تاريخ الحلة العلامة يوسف الحليّ([275])، ثم قتله الجلايري في بخبر طويل .وكان له، أي أحمد بن رميثة، ولدان :محمود، وأحمد([276])، قرر لهما الجلايري ملك العراق في مطلع القرن الثامن، مبلغ عشرين ألف ريال، كانت تصل إليهما في الحجاز.

كان أحمد هذا يلقب شهاب الدين، ويكنى أبا سليمان، ولعلها كنية سبقت الولد، فمن عادة أهل الحجاز أن يكنوا الولد أو البنت، في صغرهما، وقد لا يسمي المكنى بكنيته إذا أنجب.

31-الشريف عبد الله بن أبي نُمي محمد بن أبي سعد بن علي الأكبر بن قتادة :

ذكره ابن عنبة، فقال :([277])ومن ولد أبي نمي عضد الدين أبو محمد عبد الله الفارس البطل الشجاع، غضب عليه أبوه فأرسله إلى بعض بلاد اليمن، وأمر حاكمها أن يحصره في دار ولا يمكنه من الخروج، ففعل ذلك، وكان يكرمه، ويزوره ويقوم بكل ما يحتاج إليه، ولا يمكنه من الخروج.

وقد كان اتخذ له باباً عليه شباك من حديد، يجلي خلفه وينظر إلى الطريق، فقبض عليه ذات ليلة واجتذبه فقلعه وخرج من الدار، فاحتال عليه الحاكم حتى رده، ثم راسل أباه، وأخبره أنه يخاف منه، وطلب العفو من القبض عليه.

فاستدعاه أبوه ثم جهزه إلى العراق، وأطلق له أوقاف مكة بها، فورد العراق وتوجه إلى السلطان غازان بن أرغون فأجلَّه إجلالاً عظيماً، وأنعم عليه وأقطعه إقطاعاً نفيساً بولاية الحلبّة، موضع يقال له :الزاوية، فيه عدة قرى جليلة .وأقام الشريف بالحلة، عريض الجاه نافذ الأمر إلى أن مات، وأعقب من ولده شمس الدين محمد وحده، فأعقب شمس الدين أحمد وأبو الغيث، أمهما بنت السيد زيد بن أبي نمي([278])، بنت عمه،) ودر جامعاً بشيراز (([279])وتوجه إليها أحدهم بعد الآخر في أيام حكومة الأمير أبي إسحاق بن محمود شاه، ودفنا بمهد السادة المجاور لمشهد علي بن حمزة بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وعلياً السيد الجليل نور الدين كان عميد السادات بالعراق، عريض الجاه ...الخ، انتهى عن المرجع المذكور.

قلت :قول ابن عنبة :فأرسله إلى بعض بلاد اليمن، وأمر حاكمها ..الخ.

ليست اليمن) المعروفة اليوم (تابعة لملك الحجاز، ولكنهم كانوا يسمون حلي والسّرّين، وما والاهما اليمن، فيظهر أن عبد الله أرسل إلى بني يعقوب أمراء حلي، والله أعلم.

وهذا، كما ترى، انتقل عقبه إلى بلاد فارس.

32- الشريف زيد بن أبي نُمي محمد بن أبي سعد الحسن :وبقية النسب تقدم في أبي سعد :

ذكره التقي الفاسي) في بابه (فقال :يكنى أبا الحارث، لا أدري هل هو زيد الأكبر أو زيد الأصغر بن أبي نمي، وما عرفت من حاله إلاّ أن الأديب المعروف بالنَّشو ([280])الشاعر املكي مدحه بقصيدة تدل على أنه كان مالكاً للجزيرة المعروفة بسواكن([281])، قال فيها :

لك السَّعادة والإقبال والنِّعم

فلا يضرك أعرابٌ ولا عجمُ

الله أعطاك ما ترجوه من أملٍ

أعطاكه المرهفان السيف والقلمُ

فأنت يا زين دين الله قد خضعت

لك الأنام وقد دامت لك النعمُ

ما أنت لإلا فريد العصر واحده

يسمو بك العزم والإقدام والهممُ

ذلّت لسطوتك الأعدا بأجمعهم

فلن تبالي بما قالوا وما نقموا

أنت السماء وهو كالأرض منزلة

فلست تحفل ما شادوا وما هدموا

سواكن أنت يا ذا الجود مالكها

أحييت بالعدل من فيها فما ندموا

جبرتهم بعد كسرٍ واعتنيت بهم

فالناس بالعدل فيها كلهم علموا

سواكن ما لها في الناس يملكها

إلاّ أبو حارثٍ بالعدل يحتكمُ

أ .هـ .وللقصيدة بقية في المرجع المذكور.

ولأن الملك لله، يؤتيه من يشاء، فقد غادر زيد سواكن بعد ذلك، وترك ملكها لمن يهبه الله إياه.

فهذا هو ابن عنبة، يقول :([282])ومنم) أي أبناء أبي نمي (السيد عز الدين– وكما رأيت كناه المادح) زين الدين –(زيد الأصغر بن أبي نمي، ملك سواكن، وكانت لجده لأمه، وهي من بني الغمر بن الحسن المثنَّى، ثم سُمَّ هناك وأخرج من سواكن فقدم العراق، وكان قد قدمه قبل أن يملك سواكن، وتولّى النقابة الظاهرية بالعراق، وكان زيد كريماً جواداً وجيهاً، وتوفي بالحلّة، ودفن بالمشهد الشريف الغروي بظهر النجف، وليس لزيد بن أبي نمي عقب . انتهى باختصار من عمدة الطالب.

قلت :وهكذا فك ابن عنبة الحيرة التي كانت عند الفاسي، أي الزيدين كان هو، فصرح ابن عنبة أنه زيد الأصغر، وأن أمه من بنى الغمر، وهم قوم من بني الحسن كان لهم ملك بالسودان، أنظر عن تأريخ سواكن.

–33الشريف شُميلة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي الأكبر بن قتادة:

لا يرد اسمه إلاّ مقروناً بلقب الشاعر، حتى عرف به، واعترف له إخوته بذلك .فعندما عدد رميثة مزايا أبيه، قال :والشعر لشُميلة.

ومع هذا لم يترجم له أحد من مؤرخي مكة، بينما ترجم الفاسي لحفيد ابنه :شميلة ابن محمد بن حازم بن شميلة هذا.

ولكن ابن عنبة ([283])استدركه، ولولاه لفات، فقال :ومن ولد أبي نمي شمُيلة بن أبي نمي، وكان شاعراً شجاعاً، فمن شعره :

ليس التعلُّل بالآمال من شيمي

ولا القناعة بالإقلال من هممي

ولست بالرجل الراضي بمنزله

حتى اطأَ الفلك الدوّار بالقدم

والبيت الأول ([284])من شعر المتنبي، غيره الشريف يسيراً .ومن ولد شميلة– هذا –محمد بن حازم بن شميلة) المترجم هنا (فارس شجاع شديد الأيد، وأمه بنت السيد حميضة بن أبي نمي، ورد العراق وتوجه إلى تبريز، ولاقى السلطان أويس بن حسن فأكرمه وأنعم عليه، ثم رجع إلى الحجاز، وتوفي هناك .انتهى عن عمدة الطالب، بشيء من التصرف المطلوب.

قلت :كان لشميلة ابنان فيما اطلعت عليه، هما :حازم، ومن ذريته شميلة بن محمد بن حازم بن شميلة هذا، توفي في المحرم سنة819) هـ(، وواصل بن واصل بن شميلة) المترجم له (قتله القواد العمرة سنة798) هـ(، في غارات بينهم وبين الأشراف.([285])

ترجم لهما صاحب العقد كل في مادته.

-34الشريف عاطف بن أبي نُمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة :

عاطف هذا هو جد الأشراف العناقوة أو العنقاوية كما يقول بعضهم، فقد جاء في النبذة التي أرسلها الشريف سامي العنقاوي برفقة ترجمته.([286])

جاء فيها :أن عنقا جد العناقوة 914 –852) هـ 1448–1508 / م (هو ابن وبير بن محمد بن عاطف بن أبي نمي محمد.

ولذريته اليوم وجود بارز في الحجاز، وفي محافظة قنا من مصر.

قلت :ولعل عاطفاً هذا هو الذي كان يكنى أبا دُعيبج، حيث ينص بعض الأشراف على أن العناقوة من ذرية أبي دُعيج بن أبي نمي محمد، المتقدم.

-35الشريف مبارك بن عُطيفة بن أبي نمُي محمد بن أبي سعد الحسن ت751) هـ 1350 / م :(

وهذا من أحفاد أبي نمي الذين كان لهم من الأمر شيء، ولم نستقص من أحفاد أبي نمي إلاّ أبناء رميثة، الذين تسلسل الأمر فيهم إلى يوم الناس هذا، وإنما قدمنا هذا ومن في حكمه قبل بني رميثة ليكون التسلسل في بني رميثة غير منقطع.

ذكر مبارك صاحبُ العقد الثمين، وأطال في ترجمته، فقال،- في مادة مبارك:-

كان ذا شهامة وإجادة في الرَّمي، رمى القائد محمد بن عبد الله بن عمر، أحد القواد المعروفين بالعمرة بسهم فمات موضعه، لموجدة وجدها عليه، لكون محمد خرج فيمن خرج من أهله وغيرهم، مع رميثة بن أبي نمي، لاستخلاص محمد بن الزين القسطلاني، لما قبض عليه مبارك، وذهب به إلى ساية([287])، وكان مبارك ينوب عن أبيه في الإمرة بمكة، وفي سنة سبع وثلاثين] وسبعمائة[، وقع بين مبارك وبين ابن عمه مغامس بن رميثة منافرة، فركب مبارك فمن مكة- وكان أبوه تركه بها -إلى الجديد، لقتال مغامس، وكان أبوه رميثة قد تركه فيها، وكان مع مبارك أصهاهر الأعراب المعروفون ببني عمير- أصحاب الخيف المعروف بخيف بني عمير ([288])بوادي نخلة، وكان تزوّج منهم في هذه السنة بامرأة وبنّى بها- وجماعة من أهل مكة، فالتقى عسكره وعسكر ابن عمه، فقتل من أصحاب مبارك خمسة نفر، ومن أصحاب مغامس نفر واحد، وأُخذت لأحاب مغامس خيول، وهرب مغامس إلى الخيف، وكان خروج مبارك من مكة لقتال مُغامس، في يوم السبت السابع والعشرين من رجب، من سنة سبع وثلاثين] وسبعمائة .[ولما كان اليوم العاشر من شعبان، خرج مبارك بن عطيفة ومعه جماعة من أهل مكة، لمنع عمه رميثة من دخول مكة، لمّا توجه إليها من اليمن، مع النجّاب الذي وصل من صاحب مصر، لاستدعائه واستدعاء عطيفة، للحضور إلى صاحب مصر، ومنع مبارك بن رميثة من دخول مكة، ثم تراسلا، فمكّنه مبارك من دخول مكة، فدخلها ومكث فيها إلى ليلة الثالث عشر من شعبان، ثم خرج منها إلى الوادي .وفي صبيحة الليلة التي خرج فيها رميثة من مكة، دخلها عط مودِّعاً، وسافر وترك ابنه مباركاً نائباً بمكة، ومعه بها أخوه عطيفة في اليمن، بمن معه من الأشراف الذين لايموا عطيفة، بعد أن كانوا مع أخيه رميثة، لما فارق القواعد عطيفة، ولايموا رميثة، بسبب قتل مبارك لمحمد بن عبد الله ابن عمر، وشاع بمكة أن مباركاً، قصده أن ينهب بيوت التجار، حتى بيت قاضي مكة شهاب الدين الطبري، ولما بلغ مباركاً ذلك، أعلن بالنداء بالأمان، وحلف في يوم الجمعة من شوال هذه

السنة، بعد صلاح الجمعة عند مقام إبراهيم، أنه ما همَّ بهذا ولا يفعل ذلك، بمحضر جماعة من الفقهاء .ثم إنه أرسل أخاه مسعوداً إلى الوادي، لقطع نخيل القواد ذوي عمر، فقطع منها نخلاً كثيراً، ثم أرسل مبارك أربع رواحل، لاستعلام أخبار الحاجّ، ولم يكن بلغه خبر عن أبيه وعمه، من حي توجّها إلى مصر، وكان مبارك ([289]) ...وفي ليلة السبت الرابع عشر من ذي القعدة من هذه السنة، خرج مبارك بن عُطيفة إلى وادي المبارك، لقطع نخيل بعض أهلها، بسبب حشْمهم له، فإنه كان قطع حسباً بينهم، على أنهم لا يقتتلون إلى مدةٍ حدَّها لهم، فقتل بعضُ الفريقين من الفريق الآخر رجلين غدراً، فقطع على القاتل وأصحابه نحو ستين نخلة، وأعطى أربعة أفراس، فقبض بعضها، ثم جاءه الخبر بأن الذين أرسلهم إلى ينبع، قبض عليهم الترك الذين وصلوا إليها، ولم يفلت منهم غير رجل واحد، وصل إلى مكة وأخبر بذلك، فوصل مبارك إلى مكة في ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذي القعدة، وتجهّز للخروج منها، وخرج منها ومعه حاشيته، ليلة الجمعة العشرين من ذي القعدة، ونزل بالمزدلفة، وفي وقت آذان الجمعة من اليوم المذكور، دخل مسعود بن عطيفة وبعض غلمانهم، فاختطفوا بعض من صدفوه في الطريق ([290]) ....بعض البيوت ودار الإمارة، ثم خرجوا من مكة، ودخلها رُميثة ومعه ابناه عجلان ومغامس، في اليوم الخميس السادس والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة، متولياً مكة بمفرده، بعد القبض على أخيه عُطيفة ([291]) ....بالقاهرة، فأمَّن الناس بمكة، وقطع بعض نخيل إخوته الملائمين لأخيه عطيفة، وبعد خروج مبارك من مكة بقليل، التقى أخوه مسعود والقواد العمرة، ومعهم ثقبة بن رميثة في جهة اليمن، وكانوا هناك يرعون، فقُتِل مسعود بن عطيفة، واثنا عشر رجلاً من أصحاب مبارك، ولم يحضر مبارك هذا الحرب، لأنه كان في ناحية عنهم .ولما سمع بما تمّ على أصحابه من القتل، ولّى منهزماً مع صاحب له على فرسين سابقين، فسيق خلفهما فلم يلحقا .فلما كان سنة ثمان وثلاثين، تعرَّض مبارك للجلاب ([292])الصادرة من مكة، فنهبها وأخذ جميع ما فيها من الأموال، وأصرفها على زبيد ([293])وكنانة، واستنجدوا به على أحمد بن سالم صاحب حلي، فحضر إليهم مبارك، والتقوا مع صاحب حلي، فانكسر صاحب حلي، ونهب مبارك ومن معه بيته

وحلي، واستجد صاحب حلي برميثة، فأنجده ومكنه من البلاد فسكنها، وما عرفت شيئاً من حال مبارك بعد ذلك، سوى أنه توجه إلى سواكن ([294])وملكها، ومات بها في سنة إحدى وخمسين وسبعمائة شهيداً، من حربة رماه بها بعض العبيد، وخلَّف ولداً أسود اسمه منصور، يأتي ذكره.

ومبارك بن عطيفة هذا، ممن اتُّهم بقتل الأمير ألدمر، أمير جاندار الناصري المقدم ذكره، والله أعلم.

وللأديب يحيى ين يوسف المكي المعروف بالنشو([295])، في الشريف مبارك بن عطيفة هذا مدائح كثيرة، منها قصيدة أولها :

قسماً عليك بلحظك الفتاكِ

من ذا بقتلي في الهوى أفتاكِ

لولاك لم يهو العذيب وبارقاً([296])

فالبرق ثغرك والعذيب لماكِ

أخجلت بدر التمِّ عند كماله

وفضحت غصن البان في ممشاكِ

ومُخلَّصها:

حزت الملاحة مثل ما حاز العلا

مبارك بن عطيفة مولاكِ

نجل النَّبيّ محمَّدٍ وسليله

من منبت الشَّرف الرَّفيع الزَّاكي

يحكى عليًّا جده ليث الوغى

في يوم مكرمةٍ ويوم عراكِ

لولا سطاه لما دعاه عدوه

عوضاً عن السفاح بالسفاكِ

لو لم تمت أعداؤه من سيفه

ماتوا من الأخواف والإدراكِ

قد خافه حتى الكرى بجفونهم

تخشاه كل العرب والأتراكِ

فالسيف يضحك منهم يوم الوغى

والكل من خوف المنية باكِ

حاز الفخار بأسره في أُسرةِ

خدمت له الأملاكُ في الأفلاكِ

وله فيه من قصيدة أخرى :

عليك بخير الناس جداً ووالدا

ومن حسنت منه السريرة والجهرُ

ومن ذا رأَى الراؤون مثل مباركٍ

مليك له الإحسان والنائل الغمرُ

فتىً تشرق النيا بغرة وجهه

إذا قيل بحر قيل من دونه البحرُ

يجود على العافي ويبدي اعتذاره

ويعفو عن الجاني وإن عظم الوزرُ

مآثره مأّثورة قد تواترت

بها تشهد الآثار والعين والخبرُ

به قد حمى الله البلاد وصانها

هو الغيث لولا الغيث ما نبت البذرُ

أباد الأَعادي بالصوارمِ والقنا

ففي كلِّ نحرٍ من عداه له نحرُ

أجل ملوك الأرض قدراً ورفعةً

منازله معروفة دونها النسرُ

تغطيت من دهري بظل جنابه

فليس يرى من بعد رؤيته الدهرُ

ولم تعلم الأحداث باسمي ولا درت

ولا مــن أنـــا......

سلالة مولانا الشريف عطيفةٍ

خيار ملوك العصر زِينَ به العصرُ

وله من قصيدة أخرى أولها:

لا تلمني على هواه جهالَهْ

فهو بالقلب حَلَّه واستمالَهْ

ومخلصها :

بلد شرف الإله رباها

مثل ما شرف الشريف وآلَهْ

فهو السيد الذي شاع ذكراً

ملك أرفع الملوك جَلالَهْ

وهو من خير آل أحمد بدر

مستنير له من الدست هالَهْ

ورث الفخر عن جدودٍ كرامٍ

قد بنى فوق ما بنى أمثالَهْ

شرف ما استفاده من بعيدٍ

لا ولا أدرك العلا عن كلالَهْ

ومنها :

نسب بين أحمدٍ وعليٍّ

فهو من خير تلك السُّلالَهْ

ملك إن سطا على الأرض يوماً

كاد يهفي في الجوِّ قلب الغزالَهْ

فهو كالسيف حيث يقطع حدًّا

هُ ويستحسن الأنام مقالَهْ

ما لأَعدائه هناك مقرٌّ

فهو كالشمس مدرك آمالَهْ

يا مليكاً له الملوك عبيد

وجميع البلاد تهوى وصالَهْ

إن تكن قد حللت في أرض مصرٍ

أنت حقّا عزيزها لا محالَهْ

وله فيه :

أشكو إليك صباباتي وما صنَعتْ

يد الغرام بقلبي وهو منكسرُ

فلم يلن قلبك القاسي لمسكنتي

وقد يلين إذا حاولْتُه الحجرُ

ومنها في المدح:

أنت الذي عُقدت في العزِّ رايتُه

فتىً به تضرب الأَمثال والسيرُ

أبو خذام الذي شاعتْ مناقبه

فالجود والفضل والإحسان مشتهرُ

الأروعِ الندب بحر لا قرار له

بدر عطاياه في من أمه البدرُ

أَسطى بني عمه في كل نائبةٍ

كأَنه الدهر لا يبقي ولا يذرُ

المكرمِ المنعم الموفي بذمته

فمن ندى كفِّه قد أَورق الحجرُ([297])

سلالة من رسولِ الله طيبة

والفرِع ينمو على ما ينبث الشجرُ

ماضي العزائم محمود سريرته

يدري عواقب ما يأْتي وما يذرُ

وله فيه من قصيدة أخرى، يهنئه فيها بعيد الفطر، سنة خمس وأربعين وسبعمائة، أولها :

رفقاً على قلب صبٍّ مسه السقمُ

لولاك ما شاقه بان ولا علم

ومنها :

ألا تحنُّ على ضعفي ومسكنتي

فالرَّاحمون من الأحباب قد رحموا

إن كنت لا ترتضي يوماً بمعذرتي

ظلماً فلي في البرايا حاكم حكمُ

مبارك الجود أعلى النَّاس منزلةً

تسمو به الرتبتان :العِلم والعَلمُ

ما في ملوك الورى من جاء يشبهه

ماضِي العزائم فالدُّنيا به حرمُ

من جوده نظر الأعمى بلا نظرٍ

وأُنطق الأَخرسان :الطرس والقلمُ

أجل من عقدت بالمجد رايته

يعفو ويصفح إحساناً وينتقِمُ

وله من قصيدة يمدحه فيها:

الله أكبر جاء النصر والظفر

وأقبل السعد والإِقبال يبتدرُ

ونلت ما ترتجيه بابن فاطمة

من الإِله وزال الخوف والحذرُ

ومنها :

خضت الصعيد ومصراً والبلاد معاً

وما خشيت ولم يلوي بك الخبرُ

وصرت تقتهر العربان قاطبةً

وقد أطاعك حتى الجن والبشرُ

ما أنت إلا فريد العصر أَوحده

والشَّاهدان عليه الخُبْرُ والخَبَرُ

فما سواكن أرضٌ أو تقيم بها

وما مقامك إلا الركن والحجرُ([298])

فسر إلى مكة وانزل بساحتها

فأنت بالله رب العرش تنتصرُ

إياك تركن في الدنيا إلى أحد

من الملوك جميعاً ربما غدروا

ما كل وقت أتى يرجى الخلاص به

فأنت جربت والأحوالُ تختبرُ

لا تجعلن يداً تحت الرحى أبداً

فقول جدك فيه النصح يعتبرُ

فاهرب من الناس كن منهم على حذر

فرب سار بليل غره القمرُ

فالملك ليس له بين الأنام أب

ولا أخٌ إنهم إن صودقوا مكروا

ليس التواني به نال المنى أحدٌ

وليس يقطع إلا الصارم الذكر

لو لم يقم جدك المختار من مضر

بالسيف ما آمن القوم الذي كفروا

وانظر حميضة في عزم وفي همم

فإن أضداده في عصره كثروا

ما زال في طلب العلياء مجتهداً

حتى استقامت له الأحكام والنظرُ

ولم يطع لملوك الأرضِ أجمعهم

وكان في ملكه يرنو له البصرُ

وأنت عزمك أقوى من عزائمه

فما قثعادك أين العين والأثرُ

أمثل مكة تسلوها وتتركها

عجبت منك فعنها كيف تصطبرُ؟

فإن مصراً ومن فيها بأجمعهم

حتى الحجاز لعزم منك قد شكروا

لو وازنوك بمن في الأرض من ملك

لكنت أرجح منهم مثل ما ذكروا

ألست أكرم من تسعى الركاب له

أما لرمحك هامات العدا ثمرُ

فليس تركك ملكاً أنت وارثه

رأياً سديداً فماذا أنت تنتظرُ؟

ومنها :

أعلامك الخضر في الآفاق قد شرت

كأنما سار في الدنيا بها الخضر

أغنيت فقري فمن أجل الغنى أبداً

تهدى لمدحك مني هذه الدررُ

ومدحه الأديب عيسى بن محمد العُلَيف أيضاً بقوله :([299])

يا مالكي بخصال كلها غررُ

وبالعطايا التي من دونها المطرُم

ومن إذا ما سعى في نيل مرتبة

من العلا قاده التأييد والظفرُ

في كل أرض وقطر منك سابغة

تسر كل صديق نشرها عطرُ

مكارم يتمنى البحر أيسرها

وعزمة كَلَّ عنها الصارم الذكرُ

وهمة في المعالي لا يهيم بها

من الخلائق إلا الشمس والقمرُ

وليس ذا بعظيم منك إنك من

أُسْدٍ مرابضُهُنْ َ الحِجْر والحَجَرُ

طابت فروعك إذ طابت منابتها

إن الأصول عليها ينبت الشجرُ

ألقى عليك أبو سعد فضائله([300])

من جانبيك فطاب الخُبْرُ والخَبَرُ

وفيك من حيدر ([301])سر عُرفت به

يومِ الوغى حيث سُمر الخط تشتجرُ

ما قابلتك جيوش فانتصبت لها

إلا وساعد في تشتيتها القدرُ

قلدتني منك إحساناً ملكت به

رِقِّي فأنت لرق الحر مقتدرُ

وللأديب شهاب الدين أحمد بن غنائم ([302])المكي فيه من قصيدة يمدحه بها، أولها :

إن شطَّ من قُرْبِ الحبيبِ مزارُهُ

ونأت بغير رضا المتيم دارُهُ

ومخلصها :

وقف الهوى بي حيث أنت كما الثنا

وقف على من طاب منه فخارُهُ

ملك الملوك مبارك بن عطيفة

خير امرئٍ دلت عليه نارُهُ

المالك الملك الذي فخرت به

في العالمين معدُّه ونزارُهُ

وسعى فأدرك كل ساع قبله

وسمت به همَّاته ووقارُهُ

كلف بشيد المجد وهو مولع

ببناء ما درست بلَى آثارُهُ

هذا الذي خفَّت عليه مكارم الـ

أفعال فاشتهرت به أخبارُهُ

من ذا يقيس سماحة([303])

في الخافقين ومن له إيثارُهُ

يا أيها الملك الذي لولاه ما

نفق المديح ولا سخا معطارُهُ

نفق المديح على عطائك فاستوى

بالمدح فيك كباره وصغارُهُ

أ هـ . عن العقد.

وهكذا نجد أن مباركاً– ربما –قتل في سواكن لقوله :رماه بعض العبيد بحربة، ولعل ابنه الأسود كان نتيجة زواجه سودانية في سواكن .وذكر الفاسي منصور بن مبارك بن عطيفة وقال :توفي سنة794) هـ .(ولا يعرف اليوم عقب لمنصور هذا ولا لأبيه.

–36الشريف مُغامِس بن رُميثة بن أبي نُمي محمد بن أبي سعد الحسن ...إلى قتادة .ت 761)هـ 1359 /م :(

ترجم له التقي الفاسي، ولم يذكر كنيته ولا لقبه فقال :([304])وجدت بخط بعض المكيين : أن أخاه عجلان بن رميثة، لما وصل من مصر متولياً لإمرة مكة، في سابع عشر جمادى الآخرة، سنة ست وأربعين وسبعمائة، أعطى أخويه مغامساً ومباركاً السرين، ثم سافر مغامس إلى مصر، بعد فر ثقبة إليها.

وذكر ابن محفوظ :أن عجلان لما ولي مكة في التاريخ المذكور، أعطى مغامساً وسنداً رسماً في البلاد، وأقاما على ذلك مدة مع عجلان، ثم إنه تشوش منهما، فأخرجهما من البلاد بحيلة إلى وادي مر، ثم أمر بهما أن يوسعا في البلاد، فلحقا بعد شهر بأخيهما ثقبة، وكان قد توجه إلى الديار المصرية فقبض عليهم صاحب مصر، ثم إنهم ومحمد ابن عطيفة، وصلوا من مصر في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، ثم قبض على ثقبة وأخويه مغامس وسند، لما خرجوا لخدمة المحمل المصري، على جاري عادة أمراء الحجاز، في سنة أربع وخمسين، لكون ثقبة لم يوافق أمير الركب على ماسأله من الإصلاح بينهم وبين عجلان، على المشاركة في الإمرة، وذهب الأمير بالأشراف إلى مصر تحت الحوطة .فلما كان اليوم السابع عشر من شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبعمائة، وصل الأشراف المشار إليهم من مصر إلى وادي نخلة، وليس معهم إلا خمسة أفراس، فلما كان الثالث والعشرون من شوال هذه السنة، وصلوا إلى مكة لحصار عجلان، وكان قد وصل إلى مكة من خيف بني شديد، لما سمع بوصولهم من مصر، ونزلوا المعابدة، وأقاموا بها محاصرين لعجلان، ثم رحلوا من المعابدة في الرابع والعشرين من ذي القعدة المشار إليها، وقدوا الجديد وأقاموا به، ثم ذهبوا منه إلى ناحية جدة، حين وصول الحاج، وأخذوا الجلاب ودبروا بها، ولم يحجوا تلك السنة، ثم اصطلحوا مع عجلان في المحرم سنة سبع وخمسين([305])، ثم نافروا عجلان في جمادى الآخرة من هذه السنة، ثم اصطلحوا مع عجلان في موسم سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، ودام ذلك فيما علمت، إلى أن توفي مغامس بعد أيام الحج، بيوم أو يومين، من سنة إحدى وستين وسبعمائة، عن ستين سنة

أو نحوها مقتولاً في الفتنة التي كانت بين بني حسن، والعسكر الثاني المأمور بالمقام بمكة، عوض العسكر الأول، لتأييد أميري مكة سند وابن عطيفة .وكان سبب قتل مغامس، أن الفتنة لما ثارت بمكة، بين بني حسن والترك في هذا التاري، جاء مغامس من أجياد راكباً، ومعه بعض بني حسن، ليقاتلوا الترك الذين عند المدرسة المجاهدية، فتعرض بعض هجانة الترك لفرس مغامس، بما أوجب نفورها، فألقته، فقُتل .وقيل إن فرسه رميت بنشابة، فتكعكعت به، فطرحته بين الترك، فقتلوه، وبقي مرمياً في الأرض، من ضحى إلى المغرب، ثم دفن بالمعلاة وقت المغرب .وبلغني أن الترك أرادوا إحراقه، فنهاهم عن ذلك قاضي مكة، تقيّ الدين الحرازي، ووجدت بخط بعض أصحابنا، فيما نقله من حظ ابن محفوظ :أنه دفن بغير غسل ولا صلاة عليه .وأنا أستبعد ذلك، والله أعلم.

وكان يقال :أفرس بني حسن :ولدا جبلة، يعنون سنداً ومغامساً، ابني رميثة، أمهما جبلة بنت منصور بن جماز بن شيحة اللحسيني، أمير المدينة النبوية.

وسئل بعض الفرسان من بني حسن، عن سند ومغامس، أيهما أفرس؟ فذكر ما يقتضي أن مغامساً أفرس.

قال مؤلفه :وبقية أخباره في ترجمات إخوته، حيث امتزجت أخبارهم لشراكتهم في الحكم . وأشهر ذرية الشريف مغامس ابنه عنان بن مغامس الآتية ترجمته، ومن ذرية عنان الأشراف ذوو عنان سكان وادي الخوار .أنظر ترجمة عنان فيما يتبع .وكان لمغامس ابن قتل .راجع ترجمة عنان.

37- الشريف ثقبة بن رميثة بن أبي نمي محمد ...إلى قتادة .

ت 762) ه1360 /م :(

ترجم له التقي الفاسي، فقال :([306])يلقب أسد الدين، ويكنى أبا شهاب.

ولي إمرة مكة مدة سنتين، شريكاً لأخيه عجلان، ومستقلاً بها في بعضها.

ورأيت في تاريخ ابن محفوظ وغيره شيئاًَ من خبرهما، ورأيت أن ألخص ذلك بالمعنى .وذلك أن ثقبة ولي إمرة مكة شريكاً لأخيه عجلان في حياة أبيهما، لما تركها لهما أبوهما، على ستين ألف درهم، في سنة أربع وأربعين وسبعمائة، ثم قبض عليه في هذه السنة بمصر، وكان قدمها بطلب من صاحبها الصالح إسماعيل بن الناصر، ثم أطلق، فتوجه غ مكة، ثم توجه منها في سنة ست وأربعين إلى نخلة، لما ولي أخوه عجلان إمرة مكة بمفرده في حياة أبيه، وتوجه ثقبة بعد ذلك إلى مصر في السنة المذكورة، وقبض عليه بها، ولم يزل حتى أطلق هو وأخواه سند ومغامس، وابن عمهم محمد بن عطيفة، ووصلوا إلى مكة في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، وأخذوا فيها من عجلان، نصف البلاد بغير قتال .وداما على ذلك إلى سنة خمسين، وفيها حصل بينهما وحشة .وكان عجلان بمكة وثقبة بالجديد، ثم خرج عجلان إلى الوادي لقتال ثقبة، فمنعه القواد من ذلك، واصطلح مع أخيه ثقبة، ثم سافر عجلان إلى مصر في هذه السنة، فاستقبل ثقبة بالإمرة وقطع دعاء عجلان من زمزم.

فلما وصل عجلان من مصر متولياً للبلاد بمفرده، في خامس شوال من السنة المذكورة، توجه ثقبة إلى ناحية اليمن، ثم قصد ذهبان وحمضة ([307])وتعرض للجلاب، وأخذها، وحمل فيها عبيده، وجاء بها إلى حلي، ولاءم الملك المجاهد صاحب اليمن من حلي، وكان المجاهد قد توجه إلى مكة للحج في سنة إحدى وخمسين، ودخل إلى مكة ومعه ثقبة وإخوته، وكان عجلان قد منعهم من ذلك.

وفي سنة اثنتين وخمسين، كان عجلان بمكة وثقبة بالجدسيد، وجاءت الجلاب إلى جدة فنجلها ثقبة وجبأها جبأ عنيفاً.([308])

وفي هذه السنة، جاء له ولأخيه عجلان طلب من صاحب مصر، فتقدما إلى مصر، كل منهما على انفراده، ثم رجل عجلان من ينبع، واستمر ثقبة حتى بلغ مصر، فولي الإمرة بمفرده .ووصل في ذي القعدة من هذه السنة، ومعه خمسون مملوكاً، فمنعه عجلان من الدخول إلى مكة، فرجع إلى خليص، وأقام بها إلى أن جاء مع الحاج، وأراد عجلان منعه، ومنع أمير الحاج من الدخول، ثم رضي ثقبة بأن تكون الإمرة بينه وبين أخيه عجلان نصفين، وصالح أخاه عجلان على ذلك .وكان المصلح بينهما الأمير المعروف بالمجدي، أمير الحاج المصري، ثم استقل ثقبة بالإمرة في أثناء سنة ثلاث وخمسين، بعد قبضه على أخيه عجلان، وأخذه لما كان معه من الخيل والإبل.

واستمر على ذلك حتى قبض عليه أمير الركب المصري عمر شاه، في موسم سنة أربع وخمسين، واستقر عوضه أخوه عجلان، وذلك بعد أن سئل في الصلح مع أخيه عجلان، على اشتراكهما في الإمرة، فلم يوافق .وحمل إلى مصر، فأقام بها معتقلاً حتى هرب منها ومعه أخواه المذكوران ([309])ومحمد بن عطيفة، وكانوا قد اعتقلوا معه، فوصلوا إلى نخلة في السابع عشر من رمضان سنة ست وخمسين([310])، وليس معهم إلا خمسة أفراس .وكان عجلان يومئذ بخيف بني شَديد، ثم ارتحل إلى مكة، فأقام بها، ثم انتقل ثقبة وأخواه إلى الجديد، وأقاموا به ومعهم ثلاثة وخمسون فرساً .فلما كان اليوم الثالث عشر من القعدة، نزلوا المعابدة محاصرين لعجلان، ثم رحلوا بعد أن تضرر الناس بهم، في الرابع والعشرين من ذي القعدة إلى الجديد.

فلما كان وقت وصول الحاج، وصلوا إلى ناحية جدة، وأخذوا الجلاب ودبروا بها إلى بحير، وبعد رحيل الحاج من مكة، توجهوا بالجلاب إلى جدة ونجلوها ونزلوا الجديد، ثم اصطلح ثقبة وعجلان، على أن تكون الإمرة بينهما نصفين، في تاسع المحرم سنة سبع وخمسين، ثم انفرد ثقبة بالإمرة في ثالث عشر جمادى الآخرة من هذه السنة، بعد رجوعه من اليمن، وأقام بمكة، وقطع نداء أخيه على زمزم، واستمر منفرداً بالإمرة إلى مستهل ذي الحجة من هذه السنة، وأخوه عجلان في هذه المدة بالجديد.

فلما وصل الحاج المصري، دخل معهم عجلان مكة بعد أن فارقها ثقبة، ثم طلب ثقبة إليها أميرُ الركب المصري، وكان يقال له الهذباني، فلم يجبه ثقبة، مع كونه أمَّنه، وقصد ناحية اليمن، ونهب قافلة الفقيه البركاني، وأخذ ما معهم من البضائع والقماش، وكان مالاً كثيراً.

وفي سنة ثمان وخمسين وصل ثقبة إلى الجديد، ونزل به وأقام به مدة، ثم ارتحل بعد ذلك إلى ناحية اليمن، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الجديد ثانية .فعمل عليه القواد، وحالفوا أخاه عجلان، فارتحل إلى خيف بني شَديد، ثم أتى نخلة، ثم التأم عليه الأشراف جميعهم، ورموا معه في خيف بني شديد، والتأم القواد جميعهم مع عجلان، وخرج من مكة ونزل الجديد، ثم ارتحل منه إلى البُرقة طالباً قتال ثقبة، فلم يمكنه القواد من ذلك، ثم عاد إلى الجديد بعد شهر.

فلما كان أول ذي القعدة، قصد ثقبة مكة، فلم يمكَّن من دخولها، بعد أن وصل إلى الدرب من ناحية الأبطح .ثم اصطلح ثقبة وعجلان، وتشاركا في الإمرة عند وصول الحاج في سنة ثمان وخمسين .واستمرا على الشَّرْك والاصطلاح في الإمرة، إلى أن عزلا في أثناء سنة ستين وسبعمائة، بعد أن استدعيا فيه للحضور إلى حضرة السلطان بمصر، فاعتذرا عن ذلك، وولي عوضهما أخوهما سند وابن عمهما محمد بن عطيفة .انتهى ما ذكره ابن محفوظ، وغالبه بالمعنى.

وذكر لي بعض من أثق به من الفقهاء المكيين :أن ثقبة اشترك مع أخيه سند في الإمرة بمكة، لما توجه محمد بن عطيفة، والعسكر الذي كان بمكة إلى مصر، بعد الفتنة التي كانت بين العسكر والأشراف بمكة، بعد الحاج في سنة إحدى وستين وسبعمائة، وأن ثقبة سكن الشر عن العسكر، وساعدهم على التوجه إلى مصر، فرعي له ذلك، وأُشرك مع أخيه عجلان في الإمرة، فلم يصل أخوه عجلان من مصر إلا وهو ضعيف مدنف، فأقام أياماً، ثم مات في شوال سنة اثنتين وستين وسبعمائة بالجديد، وحمل إلى مكة فدفن بالمعلاة .انتهى.

وكان كثير الرعاية للزيدية، موصوفاً بكرم وشجاعة، ومدحه ابن غنائم (**[311]**)بقصيدة حسنة، أولها :

ما خفقتْ فوق منكب عذبَهْ(**[312]**)

على فتىً كابن منجدٍ ثقبَة(**[313]**)

ولا اعتزى به، لفخار منتسب

إلا وفاقت علاه منتسبَهْ

منتخبٌ من سليل منتخبٍ

منتخبٌ من سليل منتجبَهُ

كم جبرت راحاتُه منكسراً

وفك من أسرِ غيرِهِ رقبَهْ

وخلف ثقبة عدة أولاد، وهم :أحمد، وحسن، وعليّ، ومبارك، وفاطمة، وسبق خبر أحمد، وسيأتي ذكر حسن، وعلي، ومبارك، وأما فاطمة فموجودة في تاريخه.([314])

قال مؤلفه :ولم أسمع عن ذرية باقية إلى اليوم لثقبة، والثقبة الموجودن في القاع– بين حلي وجازان –يزعمون أنهم من ذرية ثقبة بن أبي نمي الثاني، وقد ثبت نسبهم هذا، والله أعلم . وكان لثقبة هذا أولاد منهم :حسن بن ثقبة، وأحمد بن ثقبة، ولأحمد ابن اسمه ثقبة، استولى عض الأشراف والقواد على جدة فلسطنوه هو وميلب بن علي بن مبارك مدة، في عهد الحسن بن عجلان.

–38الشريف سند بن رُميثة بن أبي نُمي محمد ابن أبي سعد الحسن ...إلى قتادة .ت 763)هـ 1361 /م):

ترجم له الفاسي، في العقد الثمين، مادة) سند(، فقال :ولي إمرتها شريكاً لابن عمه محمد بن عطيفة، بعد عزل أخويه ثقبة وعجلان، وجاء الخبر بولايته وهو معهما في ناحية اليمن، فقدم مكة وأُعطي تقليده وخلع عليه، وعلى ابن عطيفة، ودعي لهما على زمزم، وذلك في جمادى الآخرة، وقيل في رجب سنة ستين وسبعمائة .وكان بلغه وهو بمنىً في أيام الحج، من سنة إحدى وستين، أن الترك يريدون القبض عليه، فهرب إلى جهة نخلة، وبلغ الترك هربه، فأنكروا أن يكوننوا هموا له بسوء، واستدعوه إليهم، فحضر .ثم وقع بإثر سفر الحجاج في هذه السنة، بين بعض الترك– الذين قدموا في موسم هذه السنة للإقامة بمكة، عوض الذين قدموا

مكة، لما وليها سند وابن عطيفة– وبين بعض الأشراف المكيين، منازعة، أفضت إلى قتال الترك وبني حسن، فقام سند على الترك، وتخلى ابن عطيفة عن نصرة الترك، فغلب الترك وخرجوا من مكة، وخرج بإثرهم ابن عطيفة متخوفاً.

ووجدت بخط بعض الأصحاب، فيما نقله من خط ابن محفوظ المكي :أن سنداً كان خارجاً عن البلاد في وقت هذه الفتنة، وأنه لما وصل، طلب الاجتماع بالترك لإصلاح أمرهم، فلم يمكنه الترك من الدخول عليهم، وهذا يخالف ما تقدّم من قيام سند على الترك .والله أعلم بالصواب.

وكان ثقبة بن رميثة، قد جاء إلى مكة بإثر الفتنة، ولايمه أخوه سند، واشتركا في إمرة مكة، إلى أوائل شوال سنة اثنتين وستين، وكان عجلان قد قدم مصر في رمضان من هذه السنة، متولياً لإمرة مكة، شريكاً لأخيه ثقبة، فلما مات ثقبة في أوائل شوال من هذه السنة، دخل عجلان مكة، وقطع دعاء أخيه سند، وأمر بالدعاء لولده أحمد بن عجلان، وأمره بالاجتماع بالقواد العمرة، وكانوا يخدمون سنداً، فاجتمع بهم أحمد بن عجلان، فأقبلوا عليه، وعرف ذلك سند، فخاف على نفسه، فهرب إلى نخلة .وقيل :بل أقام بوادي مر بالجديد، واستجار بابن أخيه أحمد بن عجلان، ثم وقع بين بعض غلمان سند، وبين بعض غلمان ابن أخيه شيء، أوجب تغير خاطر ابن أخيه عليه، وأمره بالانتقال من الجديد، فانتقل سند إلى وادي نخلة، ثم إلى الطائف، ثم إلى الشرق، ثم إلى المدينة النبوية، ثم إلى الينبع([315])، ووصله وهو بها أوراق بني حسن من أهل مكة، يأمرونه بالقدوم عليهم إلى مكة، ليسعدوه على ولايتها .
وسببُ ذلك، أنهم حضروا الوقعة المعروفة بقحزة، قرب حلي، من بلاد اليمن، وقاتلوا مع عجلان أهل حلي، فظفر عجلان وأصحابه، وأحسن عجلان إلى أصحابه إحساناً، رأوه فيهم مقصراً، وأفضى بهم الحنق عليه، إلى أن كتبوا إلى أخيه سند يستدعونه، فحضر سند إلى جدة، في سنة ثلاث وستين وسبعمائة، وصادف بها جلبة فيها مال جزيل لتاجر مكي، يقال

له ابن عرفة فنهبها سند، وبلغ خبره نائب عجلان على مكة كبيش، فجمع أهل مكة، وخرج إلى جدة ليستنقذ من سند ما أخذ، فأشار عليه بعض أحباب أبيه، بعدم التعرض لسند، ورجوعه إلى مكة وحفظها، ففعل .ونقل سند ما نهبه إلى الجديد بوادي مر، وكان ما وقع منه بجدة قبل حضور بني حسن من حلي، فلما حضروا إلى مكة، انضم إليه جمع كثير منهم، وفرق ما معه عليهم، فلم يفده ذلك في مراده، لأن كل من انضم إليه من بني حسن، له قريب أكيد مع عجلان، وقصد كل منهم التحريش بين الأخوين، لينال كل فريق مراده، ممن يلائمه من الأخوين، مع إعراض كل ممن مع الأخوين، عن أن يقع بينهم قتال بسبب الأخوين .وعرض بعد ذلك لسند مرض، مات به في سنة ثلاث وستين وسبعمائة بالجديد، واستولى ابن أخيه عنان ابن مغامس بن رميثة على خيله وسلاحه، وذهب به إلى اليمن.

ووجدت بخط بعض المكيين :أن عجلان ابن رميثة، لما ولي مكة في سنة ست وأربعين وسبعمائة، في حياة أبيه رميثة، أعطى أخاه سند بن رميثة ثلث البلاد، بلا دعاء ولا سكة، وأنه بعد ذلك سافر إلى مصر، وقبض عليه بها، وعلى أخويه ثقبة ومغامس، حتى ينظر في حال عجلان .انتهى بالمعنى.

ووجدت بخط بعض المكيين :أن عجلان ابن رميثة، لما ولي مكة في سنة ست وأربعين وسبعمائة، أعطى أخويه سنداً ومغامساً رسماً في البلاد، وأقاما معه مدة، ثم بعد ذلك تشوش منهما، فأخرجهما من البلاد بحيلة إلى وادي مر، ثم أرسل إليهما أن توسعا في البلاد .وكان الشريف ثقبة، قد توجه إلى الديار المصرية، فلحقا به بعد شهر، فلما وصلوا إلى مصر لزمهم عنده.

ووجدت بخطه أيضاً :أنهم وصلوا من مصر في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، فأخذوا نصف البلاد من عجلان بلا قتال .انتهى بالمعنى.

ولحمزة بن أبي بكر ([316])في الشريف سند ابن رميثة قصيدة يمدحه بها، أولها:

خليلي إما جئتما ربع ثهمد

فلا تسألاه عن غير أم معبدِ([317])

وإن أنتما أبصرتما بانة الحمى

ورسماً لذات المبسم المتبددِ

فأول ما يستنشدوا عن حلوله

وتستفهما أخبار رسم ومعهدِ

عسى تخبر الأطلال عمن سألتما

بما شئتما للمستهام المسهَّدِ

ومنها في المدح :

وفي سند أسندت مدحاً منضَّداً

غريب القوافي كالجمان المنضَّدِ

هو القِيل وابن القيل سلطان مكة

وحامي حماها بالحسام المهندِ

وصفوة آل المصطفى طود فخرهم

وباني علاهم فوق نسرٍ وفرقدِ

بنى ما بنى قدماً أبوه رميثة

وشاد الذي قد شاد من كل سؤددِ

وشن عتاق الخيل شعثاً ضوامراً

وأفنى عليها كل طاغ ومعتدِ

فروَّى صفاح البيض من مهج العدا

وسمر القنا مهما اعتلى ظهر أجردِ

وأبيض طلق الوجه يهتز للندى

ويجدي إذا شح الحيا كل مجتدِ

كريم حليم ماجدٌ وابن ماجدٍ

ظريفٌ شريفٌ سيدٌ وابن سيدِ

إمام الهدى بحر الندى مهلك العدى

وبدر بدا من آل البيت محمدِ

أشم طويل الباع ندب مهذب

أغر رحيب الصدر ضخم المقلَّدِ

فدوحته بين الورى خير دوحة

ومحتده بين الورى خير محتدِ

ومنها :

إليك جلبت المدح إذ أنت كفؤُهُ

وإن أنا أجلبه لغيرك يكسدِ

وما مدحكم إلا علينا فريضة

ومدح سواكم سنة لم تؤكدِ

ثناؤكم أثنى به الله جهرةً

وأنزله وحياً على الطهر أحمدِ

انتهى عن العقد كما تقدم .ولم أر من زاد على هذا، وأخباره وإخوته متداخلة.

قلت :ولم أر من ذكر لسند هذا ذرية، والله أعلم.

39–الشريف محمد بن عُطيفة بن أبي نُمي محمد ...إلى قتادة .ت 763) هـ1361 /م:(

ترجم له الفاسي، في مادته من العقد الثمين، فقال :

أمير مكة، وليها بعد أن عُزل ابنا عمه :عجلان وثقبة، ابنا رميثة بن أبي نمي، شريكاً لابن عمه سند بن رميثة، ويقال :إن ولاية مكة عرضت عليه بمفرده، فأبى إلا أن يليها شريكاً لبعض أولاد رميثة، فوُلِّي معه سند ابن رميثة.

وبلغني أنه لما وصل الخبر بولايتهما إلى مكة، أشار عجلان إلى ثقبة، بأبي يعطي كل منهما أربعمائة بعير، لبني حسن، ليساعدوهما على بقاء ولايتهما، ومنع ابن عطيفة ومن معه، فلم يوافق على ذلك ثقبة، واحتج بعجزه عن الإبل المطلوبة منه، ولما بينه وبين سند من كثرة الألفة، ومعاضدة سند له.

وكان صاحب مصر، الملك الناصر حسن، لما ولَّى مكة سنداً، وابن عطيفة، جهز من مصر مع ابن عطيفة عسكراً فيه أربعة من الأمراء، وهم :جركتمر المارديني حاجب الحجاب بالقاهرة، وهو مقدم العسكر، وقطلوبغا المنصوري، وعلم دار، وابن أصلم.

وذكر ابن محفوظ :أن هذا العسكر كان نحواً من مائتي مملوك، ومعهم تسعون فرساً، وأنهم وصلوا إلى مكة في الثامن من جمادى الآخرة، سنة ستين وسبعمائة، انتهى.

وذكر لي بعض الناس، أن هذا العسكر وصل إلى مكة في رجب من السنة المذكورة، والله أعلم بالصواب في ذلك.

ولما وصل هذا العسكر إلى مكة، وصل إليهم سند أبي بن رميثة، فأعطوه تقليده وخلع عليه، وعلى ابن عطيفة، ودعى لهما على زمزم، وانصلح بالعسكر حال مكة، وارتفع منها الجور وانتشر العدل بها، وأُسقط المكس من المأكولات، وجلبت الأقوات، فرخصت فيها الأسعار إلى الغاية، وانقمع أهل الفساد، بحيث لم يتجاسر أحد منهم على حمل السلاح بمكة، لأن مقدم العسكر أمر بذلك.

واستمر هذا الحال بمكة– على ما ذكرناه –إلى انقضاء الحج من سنة إحدى وستين وسبعمائة، ثم تغير ذلك لفتنة عظيمة وقعت بين بني حسن من أهل مكة، والعسكر الذي بها، وهذا العسكر غير العسكر الذي قدم إلى مكة مع ابن عطيفة، ومقدم هذا العسكر أميران، أمير يقال له قندس، قدم من القاهرة في جماعة، وأمير يقال له ناصر الدين ابن قراسنقر المنصوري، قدم من الشام في جماعة، ليقيموا بمكة، عوض العسكر الذي قدم مع ابن عطيفة، وكان قدوم العسكر الذي مع قندس، وابن قراسنقر إلى مكة في الموسم من سنة إحدى وستين وسبعمائة.([318])

وسبب الفتنة بين هذا العسكر، وأهل مكة، أن بعض العسكر رام النزول بدار المضيف عند الصفا، فمنعه من ذلك بعض الأشراف، من ذوي علي، فتضاربوا، وبلغ ذلك بني حسن، والترك، فثارت الفتنة بينهم.

وقيل إن سبب الفتنة :أن بعض الترك نزل بدار المضيف، فطالبه بعض الأشراف بالكراء، فضرب بعض الترك الشريف فقُتل الشريف التركي، فثار جماعة من الترك على الشريف، فصاح الشريف، فاجتمع إليه بعض الشرفا، واقتتلوا، وبلغ ذلك الترك وبني حسن، فقصد الأشراف أجياداً، ووجدوا في ذهابهم إلى أجياد، خيلاً على باب الصفا، للأمير ابن قراسنقر، ليسعى عليها بعد طوافه، فإنه كان ذلك اليوم، ذهب للعمرة من التنعيم، فركبها الأشراف، وبلغ ابن قراسنقر الخبر، وهو يطوف، فقطع طوافه، وتقدم للمدرسة المجاهدية ليحفظها، فإنه كان نازلاً بها، وتحصن هو وبعض الترك في المسجد الحرام، وأغلقوا أبوابه، وهدموا الظلة التي على رأس أجياد الصغير، ليروا من يقصدهم من بني حسن، ويمنعوه ممن الوصول إليهم بالنشاب وغيره([319])، وعملوا في الطريق عند المجاهدية أخشاباً كثيرة، لتحول بينهم وبين من يقصدهم من الفرسان، من أجياد الكبير، هذا ما كان من خبر الترك.

وأما ما كان من خبر بني حسن، فإنهم لما توجهوا لأجياد، استولوا على اصطبل ابن قراسنقر، وقصدوا الأمير قندس، وكان نازلاً ببيت الزباع بأجياد، فقاتلوه من خارجه حتى غلبوه، ودخلوا عليه الدار، فقتلوا جماعة من أصحابه، وهرب هو من جانب منها، فاستجار ببعض الشرائف، فأجارته .ونهب منزله بنو حسن، وقصد طائفة منهم الترك الذين بالمسجد، فقتلوا من سراة بني حسن :مغامس بن رميثة، أخا سندٍ، وغيره.

وكان من أمر الترك بعد ذلك، أنهم خرجوا من مكة بعد أن استجاروا ببعض بني حسن على أنفسهم وأهلهم وأموالهم .ولم يخرجوا من مكة إلا بما خف من أموالهم، وخرج بعدهم من مكة ابن عطيفة، قاصداً مصر خائفاً يترقب، بسبب ما كان بين ذوي عطيفة والقواد العمرة، من القتل، وكان تخلى في وقت الفتنة عن نصرة الترك، بإشارة بعض بني حسن عليه بذلك، وقوى عزمه عل ذلك، قتل الترك لمغامس بن رميثة.

ووجدت بخط بعض أصحابنا، فيما نقله من خط ابن محفوظ :أن ابن عطيفة أراد أن يتعصب للترك، فتهدده لذلك بعض بني حسن بالقتل، وأنه وسنداً، قعدا في البلاد بعد سفر الترك، وفي كون ابن عطيفة أقام بمكة بعد سفر الترك منها نظر، لأن المعروف عند الناس أنه سافر بعد الفتنة إلى مصر، اللهم إلا أن يكون مراد ابن محفوظ، أنه قام بمكة أياماً يسيرة بعد سفر الترك، ثم سافر من مكة، فلا منافاة حينئذ .والله أعلم.

ولما وصل ابن عطيفة مصر، لم يكن له بها وجه؛ لأن العسكر لم يحمده، وكذا أهل مكة، لتقصيره في نصرة كل من الفريقين، ولم يزل بمصر مقيماً، حتى مات في أثناء سنة ثلاث وستين وسبعمائة أو بعدها بقليل، وكانت مدة ولايته سنة ونصفاً، تزيد أياماً أو تنقص أياماً، للاختلاف في تاريخ قدومه إلى مكة، مع العسكر الذي جهز معه إلى مكة، حين ولايته لها.

ولشيخنا– بالإجازة –الأديب يحيى بن يوسف المكي، المعروف بالنشو([320])، مدايح في ابن عطيفة هذا، منها ما أنشدناه– إجازة –من قصيدة له يمدحه بها سنة تسع وثلاثين وسبعمائة أولها :

تذيب فؤادي بالغرام وتجحدُ

وترضى بإتلافي وما لي منجدُ

أمالكَ نفسي وهي نفسٌ أبيَّة

وما عنده من رحمة لي توجدُ

أتنقض عهدي والعهود وفية

ألستَ على العهد الذي أنت تعهدُ

وتنكر ما بيني وبينك في الهوى

ولي فيك أشجان تقيم وتقعِدُ

وفحبك لي دِين ووجهك قِبلة

وحالك ركن للمُقَّبِل أسودُ

ومنها في المدح:

إمام له فضل عظيم على الورى

كريم الأيادي بالسماحة أوحدُ

يجود بما تحوي يداه تكرماً

ويعلم أن المال ليس يخلدُ

فتىً لم ير الراؤون مثل صفاته

إذا قيل هذا حاتم فهو أجودُ

أجلُّ الورى قدراً وجاهاً ورفعةً

وأكرم من يُرجى عطاه ويقصدُ

وله فيه من أخرى، وأنشدناه إجازة:

أترضى بإتلاف المحب ظلامةً

فتأخذه بالعنف والرفق أليقُ

أعندك علم أنه بك هائم

وأكباده من لوعة الهجر تحرقُ

فأحواله تنبي بما في ضميره

إذا لم يكن للقول منه مصدِّقُ

ومنها في المدح:

بلوت بني الدنيا جميعاً بأسرهم

وجربتهم إن التجارب تصدقُ

فلم أر في ذا العصر مثل محمد

إمام به الدنيا تضيءُ وتشرِقُ

جواداً إذا جار الزمان على الورى

يجود بما تحوي يداه وينفِقُ

لقد جل عن قدر الملوك الذي مضوا

إلى الغاية القصوى من الفضل يسبِقُ

يجود على العافي ويبدي اعتذاره

فأوراقه بالجود والبذل تورقُ

لقد أعجز المداح في بعض وصفه

عليهم بأنواع المكارم يغدِقُ

ومنها :

على أنه والله واحد عصره

وهل مثله من بعد ذا العصر يخلَقُ

ومن لامني في مدحه فهو جاهل

فجيدي بالإحسان منه مطوقُ

وإن كان مدح الغير عندي سنة

فمدحي له فرض عليَّ محقِّقُ

وما ذكر مؤرخو مكة ذرية لصاحب الترجمة.

40-الشريف سَيْف بن أبي نُمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي الأكبر بن قتادة .ت 766)هـ 1364 /م :(

قال الفاسي :كان آخر أولاد أبي نمي وفاة، توفي سنة ست وستين وسبعمائة، على ما أخبرني به ولده محمد، ولم يذكر لي هذه السنة، وإنما قال :توفي سنة أم جرب، وهذه السنة تعرف عند العرب بهذا الاسم، لأن المواشي جَربت فيها .انتهى عن العقد.

قلت :وابن سيف الراوي لتقي الدين الفاسي، كان يقال له :محمد المجايش، وهو جد الأشراف المجايشة المعروفين في الليث .([321])والله أعلم.

ومن تأريخ وفاة سيف هذا ترى أن بين وفاته ووفاة أبيه نحو خمسٍ وستين سنة، فهو لا شك كان من المعمَّرين.

وبترجمة سيف هذا نأتي إلى آخر تراجم أبناء أبي نمي محمد بن أبي سعد.

41-الشريف غانم بن إدريس بن حسن بن قتادة) كان حياً سنة675 هـ1276 /م :(

تقدم ذكر له في أخبار أبي نمي وإدريس ابن قتادة .

وروى الفاسي عن ابن محفوظ :([322])أنه وجماز بن شيحة صاحب المدينة، وصلا في سنة سبعين وستمائة وأخذا مكة، وبعد أربعين يوماً أخرجهما أبو نمي .

وعن ابن الجزري :أن في التاسع عشر من ربيع الآخر سنة خمس وسبعين، يعني وستمائة، كانت وقعة بين أبي نمي صاحب مكة وبين جماز بن شيحة صاحب المدينة وإدريس بن حسن بن قتادة، فظهر عليهما أبو نمي، وأسر إدريس، وهرب جماز، وكانت الوقعة في مر الظهران([323])، وكان عدة من مع أبي نمي مائتي فارس، وثمانين راجلاً، ومع إدريس وجماز، مائتين وخمسة عشر فارساً، وستمائة راجل.

ثم يعقب الفاسي :وهذا الخبر يقتضي أن الذي حارب أبا نمي في هذا التأريخ، أي675) هـ(، مع جماز، إدريس بن حسن صاحب ينبع، والظاهر أنه غانم بن إدريس بن حسن، بدليل ما سبق من كلام ابن محفوظ، ولعل غانماً سقط في خط ابن الجزري سهواً .والله أعلم .انتهى عن العقد.

قلت :ويؤيد هذا أن الحسن بن قتادة توفي سنة623) هـ(، أي قبل هذه الوقعة باثنتين وخمسين سنة، وبهذا يفترض أن ابنه إدريس كان مسناً في هذا الزمن، ولذا يغلب أن غانماً ابن إدريس بن حسن بن قتادة هو صاحب هذا الخبر .والله أعلم.

–42الشريف عَجن بن رُميثة بن أبي نُمي محمد بن أبي سعد ...إلى قتادة المتقدم .يكنى عجلان أبا سريع، ويلقَّب عز الدين .ت 777) هـ 1375 /م :(

ترجمه التقي الفاسي في العقد الثمين، مادة) عجلان (وقال :أمير مكة.

ولي إمرة مكة غير مرة، نحو ثلاثين سنة، مستقلاً بها مدة، وشريكاً لأخيه ثقبة مدة، وشريكاً لابنه أحمد بن عجلان مدة، كما سيأتي بيانه.

وقد ذكر ابن محفوظ المكي شيئاً من خبره، وأفاد فيه ما لم يفد غيره.

ورأيت أن ألخص هنا ما ذكره من خبره بالمعنى، مع ما علمته من خبره مما لم يذكره ابن محفوظ .وملخص ما ذكره ابن محفوظ :أن عجلان وأخاه ثقبة، اشتريا مكة من أبيهما رميثة في سنة أربع وأربعين وسبعمائة بستين ألف درهم، حين ضعف وكبر وعجز عن البلاد وعن أولاده، وصار كل منهم له فيها حكم .ثم إن ثقبة توجه إلى مصر بطلب من صاحبها الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وبقي عجلان وحده في البلاد، إلى آخر ذي القعدة من السنة المذكورة، ثم فارقها لما علم ان صاحب مصر قبض على اخيه ثقبة، وأنه وصل مرسوم من صاحب مصر لأبيه رميثة برد البلاد عليه، وقصد عجلان جهة اليمن، ومنع الجلاب ([324])من الوصول إلى مكة، فلم يصل منها إلا القليل.

وحصل في هذه السنة غلاء عظيم في أيام الحج .وكان حجاج مصر كثيرين، وكذلك حجاج الشام، ولما رحل الحاج من مكة، وصل إليها الشريف عجلان من جهة اليمن، ونزل الزاهر، وأقام بها أياماً .ثم بعد ذلك اصطلح هو وأبوه، وأخذ من التجار مالاً جزيلاً.

وذكر ابن محفوظ :أن في سنة ست وأربعين وسبعمائة :توجه عجلان إلى مصر، فولاه الملك الصالح البلاد دون أبيه.

ولما توفي الملك الصالح، وولي أخوه الملك الكامل شعبان السلطنة بالديار المصرية والشامية عوض أخيه الملك الصالح، كتب لعجلان مرسوماً بالولاية .ووصل عجلان إلى مكة، في رابع عشر جمادى الآخرة سنة ست وأربعين، ومعه خمسون مملوكاً شراء ومستخدمين، وقبض البلاد بلا قتال من إخوته، وتوجه إخوة ثقبة إلى نخلة، وأقام معه أخوه سند ومغامس بمكة وأعطاهما فيها رسماً، وأقاما على ذلك مدة، ثم إنه تشوش منهما، فأخرجهما من البلاد بحيلته إلى وادي مر، ثم أمرهما بالاتساع في البلاد، فلحقا بأخيهما ثقبة، وكان قد توجه إلى الديار المصرية قبل توجههما إليها بشهر، فلما وصلوا إلى مصر قبض عليهم بها.

ووجدت بخط جمال الدين بن البرهان الطبري :أن عجلان سافر إلى مصر في ثاني المحرم من سنة ست وأربعين، فولاه مكة الملك الصالح، وأنه دخل إلى مكة يوم السبت السابع عشر من جمادى الآخرة من سنة ست وأربعين وسبعمائة، وهو متولي مكة، وقرئ مرسومه بالتولية على زمزم، في الساعة الثالثة ([325])من النهار، ودعي له بعد المغرب، وللسلطان الملك الكامل، وصلى على أخيه الملك الصالح بعد المغرب، وقطع عجلان دعاء والده رميثة، وراح أخوه ثقبة إلى نخلة، وأعطى أخاه سنداً ثلث البلاد بلا دعاء ولا سكة، وأعطى أخويه مغامساً ومباركاً السرين، يعني الموضع المعروف بالواديين، وسافر ثقبة إلى مصر، ثم سافر بعده أخواه سند ومغامس إلى مصر، ثم جاء نجاب الشريف عجلان من مصر، في أوائل ذي القعدة من سنة ست وأربعين، وأخبر أن البلاد لعجلان، وأن إخوته قبضوا في مصر، حتى ينظر حال عجلان مع الحاج، وزين السوق بمكة .فلما مات رميثة بطلت الزينة .وكان موته في ثامن ذي القعدة من السنة المذكورة، بعد وصول النجاب بخمسة أيام .انتهى.

وذكر ابن محفوظ :أن عجلان نشر بمكة من العدل والأمان ما لم يسمع بمثله، وطرح ربع الجنايات، ورفع المظالم.

وذكر أن عجلان كان متولياً بمكة في سنة سبع وأربعين وسبعمائة، ولم يحدث فيها حادث.

وذكر أن في سنة ثمان وأربعين، وصل إخوته :ثقبة وسند ومغامس، بنو رميثة، ومحمد بن عطيفة من مصر، فأخذوا نصف البلاد من عجلان بلا قتال، بعد أن ملكها وده سنتين بلا شريك، وحصل من الأموال ما لا يحصى.

وذكر أن في سنة خمسين وسبعمائة، تنافر الشريفان عجلان وثقبة .وكان عجلان بمكة وثقبة بالجديد، ثم إن عجلان خرج إلى الوادي لقتال ثقبة، فلما أن بلغ الدكناء، رام المسير إلى ثقبة، فمنعه القواد من ذلك، ثم إنه نزل بوادي العقيق من أرض خالد، وأقام بها مدة يسيرة، ثم أصلحوا بينه وبين أخيه، وصعد عجلان إلى الخيف الشديدي ([326])وأقام بها مدة يسيرة، ثم توجه إلى مصر، وبقي ثقبة في البلاد وحده، وقطع نداء أخيه عجلان من زمزم.

فلما كان اليوم الخامس من شوال سنة خمسين وسبعمائة، وصل عجلان من مصر متولياًَ لجميع البلاد، فتوجه ثقبة إلى ناحية اليمن بلا قتال، وأقام عجلان متولياً لمكة بمفرده، وبقية سنة خمسين، وسنة إحدى وخمسين، ودخل ثقبة وأخوه إلى مكة، في ولاية عجلان هذه؛ لأنهم لايموا الملك المجاهد صاحب اليمن من حلي، وهو متوجه إلى مكة للحج، في سنة إحدى وخمسين .وكان عجلان همَّ بمنع المجاهد وإخوته من دخول مكة، فغلبوه ودخلوها، ولم يلتفت المجاهد لعجلان، ولا أنصفه، ولم يلتفت إلى أحدٍ من الأشراف والقواد، ولا إلى أمير الحاج المصري بزلار، وإنما أقبل على الأمير طاز، أحد الأمر المقدمين في الركب المصري .فعمل عليه عجلان عند أمير الركب بزلار، حتى ركب بزلار ولفيفه على المجاهد بمنى في أيام التشريق، وحاربوا المجاهد، ولم يقاتل، وإنما قاتل عسكره، فانكسر عسكر المجاهد ونهبت محطته، وأخذ أسيراً بأمان، وحمل إلى مصر.

ثم إن المصريين هموا بالقبض على عجلان؛ لأنه ربما أظهر للمجاهد أنه معه على المصريين، فلما علم بذلك عجلان، أخبر أصحابه، فاجتمعوا إليه وصاروا في جمع عظيم .فلما أحسّ بهم الأمراء المصريون، هالهم ذلك، وأنكروا على عجلان، وسألوه أن يكفهم عنهم فكفهم، ورحل الحاج من فوره، وأقام عجلان بمكة بقية سنة إحدى وخمسين.

وفي سنة اثنتين وخمسين، كان عجلان بمكة، وثقبة بالجديد، وجبى ثقبة الجلاب الواصلة إلى جدة، جباءً عنيفاً ونجلها جميعاً.([327])

وفي سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة، وصل مرسوم من صاحب مصر، يطلب الشريفين عجلان وثقبة، فتوجها إلى القاهرة .فأما ثقبة فبلغها، وأما عجلان فإنه وصل إلى ينبع، وقصد منها المدينة النبوية للزيارة، وتوجه منها إلى مكة .ولم يزل مالكها إلى ذي القعدة من سنة اثنتين وخمسين، ومنه ثقبة لما أن وصل من مصر متولياً لمكة بمفرده، من دخول مكة .فأقام ثقبة بخليص، إلى أن وصل الحاج المصري في سنة اثنتين وخمسين، وجاء ثقبة مع أمير الحاج المجدي، وأراد عجلان منعهما من دخول مكة، ثم إن المجدي أصلح بين الأخوين، على أن يكون لكل منهما نصف البلاد، بموافقة ثقبة على ذلك.

وفي سنة ثلاث وخمسين، توجه عجلان إلى ناحية اليمن، فلقي جلبة ([328])وصلت من اليمن فيها عبد القاضي شهاب الدين الطبري قاضي مكة، وجماعة من أهل مكة فأخذ ما فيها، وكان قدراً جسيماً .وبعد فعله هذا بأيام، زالت إمرته من مكة؛ لأن أخاه ثقبة لما بلغه فعل عجلان هذا، توجه إلى عجلان، وعجلان في قلة من أصحابه، وغرَّه بالصلح، فوثب عليه، وقيد معه علي بن مغامس بن واصل الزَّباع([329])، وأخذ جميع ما كان مع عجلان من الخيل والإبل .فلما كان الليل، ورقد الموكل بعجلان، خلع عجلان القيد من رجليه، وكان واسعاًُ، وهرب إلى امرأة من الفريق الذي كانوا فيه فانزوى إليها، وعرفها بنفسه، وسألها أن

تخفيه فقالت لبه :ما تخشى من ثقبة؟ فقال لها :لا بأس عليك، أنا أتحيل في إخفائي، بأن أحفر حفرة تغيبني، وأقعد فيها، وحُطّي عليَّ أمتعتك ولا عليك .فلما انتبه الموكل بعجلان فقده، فلم يجده، فذهب إلى ثقبة، وعرفه الخبر .فأخذ هو وأصحابه في طلب عجلان فلم يجدوه، وأتى إلى بيت المرأة التي هو مختفٍ عندها، ودوره بنفسه، فلم يجد عجلان فيه .فلما كان الليل، أُركب فرساً وراح إلى بني شعبة باليمن.([330])

وفي سنة أربع وخمسين توجه عجلان إلى نخلة، بعد أن كان في أول السنة بالواديين، وأخذ منها المال الذي كان نهبه، وقصد الجديد، وفرّق المال، وأقام بالجديد، إلى آخر السنة، فلما آن وقت وصول الحاج، وسمع أن البلاد لأخيه ثقبة، وليس له فيها أمر، ارتحل إلى الحردة([331])، وبعث إليه أمير الحاج المصري، وهو الأمير عمر شاه، بأمان، وأمره أن يصل إليه ويصلح بينه وبين أخيه .فتوجه إلى عجلان ولقيه بالجموم، وأخلع أمير الركب على عجلان، وسار معه إلى مكة، فلما أن وصل الأمير إلى الزاهر، خرج إليه ثقبة وإخوته على جاري العادة، لتلقي الأمير وخدمة المحمل، فأحاط به أصحاب الأمير، وسألوا ثقبة في الإصلاح بينه وبين أخيه عجلان، فأبى إلا أن يكون السلطان رسم بذلك، وصمم على ذلك .فقبض عليه وعلى إخوته ودخلوا بهم مكة محتاطين عليهم؛ وأمَّر الأمير عجلانَ على مكة، فقبض عجلان البلاد، وذهب أمير الركب بالأشراف إلى مصر تحت الحوطة.

ودام عجلان على ولاية مكة بمفرده سنة خمس وخمسين وفيما بعدها، كما سيأتي بيانه.

وكان في سنة خمس وخمسين، عشَّر جميع نخل مر وقت الصيف، وجعل على كل نخلة أربعة دراهم وثلاثة ودرهمين .وسبب ذلك :أن المجاهد صاحب اليمن، من وقت رجوعه إلى اليمن بعد القبض عليه بمنى، منع التجار من السفر إلى مكة، فقلّ ما بيد عجلان، وفعل ما ذكرناه من عشره للنخيل، وحصل له من ذلك مال جزيل، وعنف في هذه السنة بالأشراف والقواد

عنفاً عظيماً، وأخذ منهم ما كان أعطاهم من الخيول والأموال، وكان أغدق عليهم في العطاء، بحيث يقال :إنه وهب في يوم واحد مائة وعشرين فرساً، وألفين ومائتي ناقة، وثلاثمائة ألف درهم وستين ألف درهم.

وفي سنة ست وخمسين وسبعمائة :وصل إليه توقيع بالاستمرار في الولاية مع الرَّجَبِيَّة([332])، في أول شهر رمضان .فلما كان اليوم الثالث والعشرون منه، وصل الشريف ثقبة وأخواه إلى الجديد، في ثلاثة وخمسين فرساً، فأقاموا به، وكانوا فروا من مصر، ووصلوا إلى وادي نخلة، وليس معهم إلا خسة أفاس .وكان عجلان عند وصولهم بخيف بني شديد، فارتحل إلى مكة وأقام بها .فلما كان ثالث عشر القعدة، نزل ثقبة ومن معه المعابدة، وأقاموا بها محاصرين لعجلان .وجرى في هذا اليوم بين العبيد بعض قتال، قتل فيه بعض القواد اليواسفة، هو ومن معه في صبيحة يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذي القعدة إلى الجديد، وأقاموا به .فلما كان وقت وصول الحاج، رحلوا إلى ناحية جدة، وأخذوا الجلاب ودبروا بها .فلما رحل الحاج من مكة، توجهوا بالجلاب ونجلوها، ونزلوا الجديد.

فلما كان يوم التاسع عشر من المحرم سنة سبع وخمسين، اصطلح عجلان وثقبة، واقتسما الإمرة نصفين، وانقسم الأشراف والقواد، وكان مع عجلان خمسون مملوكاً، فقسمها بينه وبين أخيه .وكانت ولاية عجلان لمكة بمفرده بعد القبض على أخيه ثقبة، سنتين وخمسين يوماً أو نحوها.

فلما كان اليوم الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين، توجه ثقبة من ناحية اليمن إلى مكة، وملكها بمفرده، وقطع نداء أخيه عجلان على زمزم، وأقام بمكة إلى الموسم، وعجلان بالجديد .

فلما وصل الحاج مكة في موسم سنة سبع وخمسين، دخلها عجلان مع الحاج وملكها بمفرده، بعد أن فارقها ثقبة في هذا التاريخ، وبعد من مكة، ثم إنه وصل ونزل الجديد، وأقام به مدة، ثم وصل إلى الجديد ثانياً، فعمل عليه أصحابه القواد، وحالفوا عجلان .فارتحل ثقبة إلى خيف بني شديد، ثم أتى نخلة، ثم التأم عليه جميع الأشراف، ونزلوا خيف بني شديد، والتأم جميع القواد على عجلان، وخرج من مكة ونزل الجديد، ثم ارتحل منه إلى البرقة ([333]) طالباً قتال ثقبة ومن معه، فمنعه القواد من ذلك، وأقام بالبرقة قريباً من شهر، وجمع صروخاً ([334])كثيرة، وذلك في شهر رجب سنة ثمان وخمسين، ثم عاد إلى الجديد، ورتب في مكة خيلاً ورجلاً.

فلما وصل الحاج في هذه السنة، اصطلح الشريفان ثقبة وعجلان، وحج الناس طيبين، ولم يزل عجلان وثقبة مشتركين في الإمرة بمكة، وكان سند مع إخوته في ناحية اليمن، وابن عطيفة بمصر، ووصل إلى مكة في ثامن شهر جمادى الآخرة من سنة ستين وسبعمائة، ومعه عسكر وصل به من مصر- تقدم خبره ([335])في ترجمة ابن عطيفة -وخلع عليه وعلى سند بعد وصوله إلى مكة بالإمرة، وتوجه عجلان إلى مصر ومعه ابناه أحمد وكبيش .وكان صاحب مصر قد استدعى عجلان وثقبة للحضور إليه، قبل وصول هذا العسكر غغ 6مكة، فاعتذرا عن الحضور إليه.

وكان وصول الطلب إليهما منه، في جمادى الأولى من هذه السنة، وسبب طلبهما ما حصل بمكة من الجور، بسبب افتراق الكلمة بمكة.

ولما وصل عجلان إليه مصر، قبض عليه وعلى بنيه، ولم يزل بها حتى أطلقه الأمير يلْبُغا العمري المعروف بالخاصكي، لما صار له الأمر بالديار المصرية، بعد قبضه على أستاذه، الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، في أثناء سنة اثنتين وستين وسبعمائة، وبطل

يبلغا العسكر الذي كان السلطان حسن أمير بتجهيزه إلى الحجاز بسبب قتال بني حسن؛ لأنه جهز إلى مكة في سنة إحدى وستين عسكراً من دمشق مقدمهم الأمير قندس، وعسكراً من دمشق مقدمهم ناصر الدين بن قراسنقر، وأمرهم بالمقام بمكة عوض جركتمر والعسكر الذي وصل إلى مكة مع ابن عطيفة، لتأييده وتأييد سند، لما وليا إمرة مكة في سنة ستين وسبعمائة ووصل قندس ومن معه، وابن قراسنقر ومن معه، إلى مكة في موسم سنة إحدى وستين وسبعمائة، وأقاموا بها بعد الحج، وتوجه منها حركتمر ومن معه، وحصل بمكة بإثر سفر الحاج، فتنة بين العسكر الذي بمكة، وبني حسن، فاستظهروا على الترك قتلاً ونهباً، وخرجوا من مكة على وجه مؤلم، فعظم ذلك على السلطان حسن، وأمر بتجهيز عسكر لقتال بني حسن، ومن يتخيل منه الخلاف من أعراب الحجاز.

فلما قتل السلطان حسن، كان ما ذكرنا من الإعراض عن سفر العسكر المشار إليه إلى مكة، وتوجه عجلان إلى مكة، وقد ولي إمرتها شريكاً لأخيه ثقبة– على ما بلغني، بسبب تسكين ثقبة الفتنة على العسكر –ووصل عجلان إلى وادي مر، في آخر شهر رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة، أو في أوائل شوال منه .وقصد ثقبة السلام عليه، وكان ثقبة ضعيفاً قد أنهكه الضعف، فأظهر القوة والجلد لعجلان، حين حضر إليه، وأنكر على عجلان نزوله في الموضع الذي نزل فيه .فقال له عجلان :نرتحل منه، وأقام ثقبة أياماً قليلة، ثم توفي، ودخل عجلان عند وفاة ثقبة إلى مكة، وأمر ابنه أحمد بن عجلان باللحاق بأخواله القوّاد ذوي عمر([336])، ليسألهم أن يسألوا له أباه عجلان، في أن يشركه معه في إمرة مكة، ففعل، وحضر القواد إلى عجلان، وسألوه ذلك ففعل، وجعل له ربع البلاد .وقيل إنه لما أتى مكة بعد موت أخيه ثقبة، أمر ابنه أحمد بن عجلان بالطواف نهاراً، وأمر المؤذن على زمزم بالدعاء جهراً، كما يصنع لأمراء مكة، وجعل له ربع الحاصل، وأمره بقصد أخواله ليعضدوه ففعلوا.

وفي سنة ثلاث وستين :توجه عجلان من مكة لحرب صاحب حلي الأمير أحمد بن عيسى الحرامي– ([337])بحاء وراء مهملتين –والتقى الفريقان بموضع يقال له» :قحزة– ([338])بقاف وحاء مهملة وزاي معجمة وهاء –بقرب حلي، فكان النصر لعجلان وأصحابه، فلم يقتل منهم إلا اليسير، وقتل من المحاربين لهم نحو المائتين– فيما قيل –واستولوا على حلي، وعلى أموال كثيرة لأهلها، واستأثر عجلان بأشياء من ذلك، فلم يسهل ذلك بمن كان معه من بني حسن، وتغيرت عليه خواطرهم .وتقدم عنه إلى صوب مكة طائفة منهم، وكاتبوا أخاه سند بن رميثة، وأطمعوه بالنصر .وكان قد ظفر بجلبة فيها مال لتاجر مكي، يقال له ابن عرفة، في غيبة أخيه بحلي، والتأم عليه طائفة من بني حسن، وفرق عليهم ما نهبه، وقدر أنه هلك بإثر ذلك، فلم يجدوا شيئاً يغيظوا به عجلان، إلا بتوليتهم ([339])لولده أحمد بن عجلان عليه، وقالوا له :سله يزيدك ربعاً آخر فتستويان، وعرف بذلك عجلان، فأعطى ولده ربعاً آخر من حاصل البلاد، لعلمه أنه يغرم ذلك وأكثر منه لبني حسن، ثم يصلحون بينهم على ذلك، واستمرا على ولاية مكة، وعلى أن يكون لكل منهما نصف الحاصل، إلى سنة أربع وسبعين وسبعمائة، أو قبلها بقليل، ثم بدا لعجلان في ترك الإمرة كلها لابنه أحمد على مال جزيل من النقد، يسلمه إليه ابنه أحمد، وعلى أن يشتري منه جانباً من خيله بمالٍ جزيل شرطه، وكان من سبب ذلك فيما قيل :أن عجلان حين رأى علو قدر ابنه أحمد، ومحبة الناس له، أمر لابنه محمد بخيل ودروعٍ بنخلة ليضاهي أخاه أحمد، فلم ينهض محمد لما أُريد منه، ونمي هذا الخبر إلى أحمد بن عجلان، فعاتب أباه على ذلك، واعتذر له :وقال :سأترك لك البلاد . فوقع الاتفاق بينهما على أن يعطيه من النقد ما شرطه عجلان، وأن يكون له في كل سنة الخبز الذي قرر لعجلان بديار مصر، على إسقاط المكس عمن يصل إلى مكة من المأكولات، وعما يل من الأموال مع حجاج الديار المصرية والشامية برّاً وبحراً، وهو مائة ألف درهم وستون ألف درهم، وألف أردب قمح، وأن لا يسقط اسم عجلان من الدعاء في الخطبة وغيرها، مدة حياته، فالتزم بذلك أحمد بن عجلان .ثم عن عجلان ندم على ذلك وألح على ابنه أحمد، في تحصيل المال النقد الذي شرطه عليه، استعجازاً منه لع عن تحصله، ليكون

ذلك سبباً إلى أن يرجع الأمر له كما كان من غير نكثٍ منه، فقُيِّض لأحمد بن عَجْلان من أعانه على أحضار المال المشروط، فأحضره إلى أبيه، فلم يجد أبوه من قبوله بداً، وامتعض من ذلك، ووفى أحمد لأبيه بما التزم له من اختصاص أبيه بمعلوم مصر، والدعاء له في الخطبة، حتى مات أبوه عجلان في ليلة الاثنين الحادي عشر من جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وسبعمائة بمكة، ودفن بالمعلاة، وبني عليه فيها قبة، وقد بلغ السبعين أو قاربها.

وكان ذا عقل ودهاء ومعرفة تامة بالأمور وسياسة حسنة، وفيه محبة لأهل السنة ونصرة لأهلها، وربما ذكر أنه شافعي المذهب، وحين حضره الموت، أوصى قاضي مكة أبا الفضل النويري، بتولي غسله والصلاة عليه مع فقهاء السنة.

وبلغني أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، ذكر عنده لينظروا رأيه فيه، فقال عجلان : معاوية شيخ من كبار قريش، لاح له الملك فلقفه .هذا معنى ما بلغني عنه في حق معاوية رضي الله عنه.

وكان– على ما بلغني –يقوم الليل، ويطوف كثيراً في آخر عمره، فلا جرم أنه رأى سعادة عظيمة، وتهيأت له أمور حصل له بها فخر عظيم.

فمن ذلك :أن في سنة ثلاث وستين وسبعمائة، ملك البلاد المعروفة بحلي ابن يعقوب، كما سبق ذكره، وعظم شأن عجلان بهذه الواقعة، ومدحه الناس بسببها.

وما علمت أن أحداً قبله من الأشراف ولاة مكة، استولى على حلي، غير أبي الفتوح الحسن بن جعفر المتقدم ([340])ذكره، ولم يتفق ذلك لأحد بعد عجلان، إلا لولده السيد الشريف حسن بن عجلان.

وكان توجه إليها في صفر سنة أربع وثمانمائة، بعد موت صاحبها دريب بن أحمد بن أحمد بن عيسى مقتولاً، في حرب كان بينه وبن كنانة، في يوم عرفة سنة ثلاث وثمانمائة، وهرب منه الأمير موسى بن أحمد أخو دريب، ورتب فيها الشريف حسن بن أحمد بن ديب ([341]) وأخواله من بني كنانة .وعاد إلى مكة في جمادى الأولى من سنة أربع وثمانمائة.

ومن ذلك :ما اتفق في أيامه، من إسقاط المكس كما ذكرنا، وذلك في سنة ست وستين.

ومن ذلك :تقدم أولاده في النجابة في حياته وبعد موته، وقد ذكرنا في هذا الكتاب شيئاً من تراجمهم.

ومنها :اتساع الدنيا لديه .فقد بلغني أنه ملك من السقاية بوادي مر ونخلة، مائتي وجبة ماء . وله من العمارات بمكة الموضع المعروف بالعلقمية عند المروة، ومدرسة أنشأها بالجانب اليماني من المسجد الحرام، مطلة عليه، مقابلة لمدرسة الملك المجاهد، وحصن بجياد، بلحف جبل أبي قبيس، وحصن مليح، بأرض حسان، وأصائل حسنة بها وبغيرها من وادي مر .وكان يغالي في شراء ذلك وينصف في الثمن، وملك من العبيد والخيل والدروع شيئاً كثيراًً.

ومن أفعاله المحمودة :سبيل للماء بالمروة م العلقمية، وصدقة على الزوار لنبي في طريق الماشي .وهذه الصدقة جزء من المال المعروف بمال ابن حسان صاحب خليص، بواسط هدة بني جابر([342])، بما لذلك من السقية، ونفعها مستمر إلى الآن .اجزل الله ثوابه.

ولشيخنا بالإجازة، يحيى بن يوسف المعروف بالنشو([343])، الشاعر المكي فيه مدائح كثيرة . منها للنشو فيما أنبأنا به من قصيدة أولها :

لولا الغرام ووجده ونحولُهُ

ما كنت ترحمه وأنت عذولُهُ

إن كنت تنكه فسل عن حاله

فالحب داء لا يفيق عليلُهُ

يا من يلوم على الهوى

دع لومهم فالصبر مات جميلُهُ

ومنها :

دع عنك من لا خير فيه من الورى

لا تمتدحه ففي الأنام بديلُهُ

وامدح مليك العصر وابن مليكه

من شاع ما بين الملا تفضيلُهُ

عجلان نجل رميثة بن محمد

أمِنَ الحوادث والخطوبَ نزيلُهُ

ملكٌ إذا قابلت غرة وجهه

فلك الغنى والفقر عنك يزلُهُ

ورث المكارم كابراً عن كابر

فنواله للعالمين ينيلُهُ

من آل أحمد واحد في عصره

فهو الشريف ابن الشريف سليلُهُ

ماذا يقول المدح فيه وما عسى

إذ كان يخدم جدَّه جبريلُهُ

أما الملوك فكلهم من دونه

كالبدر في أفق السماء حلولُهُ

سلطان مكة والمشاعر والصفا

من لا يخاف من الزمان نزيلُهُ

لو حاول النجم العظيم لناله

تنبيك عنه رماحه ونصولُهُ

سكنت محبته القلوب جميعها

لما تقارن سعده وقبولُهُ

انتهى عن العقد الثمين بشيء من الاختصار.

قال مؤلفه :فمما تقدم وغيره.

وقد انحصرت الإمرة في ذرية عجلان، ثم في ابنه حسن إلى ما شاء الله .ورغم فحولة عجلان وعدله وغناه وخيريته، لم يصل إلينا فيه مدائح غير هذه المقطوعة التي يظهر فيها التصنيع، كما أنه عانى في سبيل الحكم كأهل بيته من تسلط الأعاجم الكثير، ومع هذا تعامل مع هذا الأمير من سنة777–744) هـ (وهي مدة (33) سنة لا (30) سنة كما ذكر التقي في أول هذا البحث.

وباستقراء بقية مؤرخيه نجد أن غالب ما ذكروه منقول عن التقي الفاسي الذي كان زمنه رديفاً لزمن عجلان، ولعله رآه.([344])

غير أن شيخ الإسلام صاحب خلاصة الكلام ذرك أن أول ولاية لعجلان هي سنة745) هـ (لا كما ذكر شيخ مؤرخي مكة التقي، وكل من جاء بعده تابع هذه الأخبار.

وكان لعجلان ذرية مباركة انحصر فيها الحكم بعده، منهم:

1-الحسن بن عجلان، ومعظم أشراف الحجاز اليوم من ذريته.

2-أحمد بن عجلان، ولي الحكم وترجم له هنا، هو وولده الوحيد محمد.

3-محمد بن عجلان، وله ابن اسمه رميثة.

4-رميثة بن عجلان، باسم جده، وقد تقدم.

5-علي بن عجلان.

6-كبيش بن عجلان .

7-حرض بن عجلان.

43-الشريف مبارك بن رُميثة بن أبي نُمي محمد ...إلى قتادة .ت) هـ /م:(

ترجمه الفاسي في العقد الثمين، مادة مبارك، فقال :كان ملائماً لأخيه عجلان، أيام منازعته لأخيه ثقبة في إمرة مكة، ودخل مبارك إلى مصر، بعد موت ثقبة، واستقرار مكة لأخيه عجلان، فما شوش على عجلان، ولو أراد ذلك لتأتي له فيما بلغني، لأنه بلغني أن يبلغا الخاصكي كان حنقاً على عجلان، فلما بلغه قدوم مبارك، فرح به، وظن أنه يسأله ولاية مكة، لأن يلبغا كان إليه تدبير المملكة بمصر، فما سأله مبارك في ذلك، وإنما سأله في خبز يكون له ولبناته من بعده، فاعرض يلبغا عنه .ودخل بغداد في زمن أويس، وناله منه برٌّ، وملك بأرض خالد أصيلة حسنة ([345])وخلف ثلاثة ذكور، وأنجبوا، وهم علي، وعقيل، أشركه عنان في إمرة مكة في ولايته الأولى، وأحمد المعروف بالمهذباني، معتبر عند الناس.

قال مؤلفه :وبآخر الترجمة نقط تدل على نقص لم يكمل، وبنوه الثلاثة ترجمة لهم الفاسي في نفس هذا المصدر) العقد الثمين.(

ولم يذكر احد وفاته، إلا أنه من سياق الترجمة يبدو أنه عُمِّر بعد ثقبة المتوفى سنة762) هـ (حيث زار العراق وتأثل مالاً بوادي مر.

قلت :وعقيل بن مبارك المشار إليه ذريته :الهلمان، الموجودن اليوم بالليث، وهم- كما يقولون :-ابنا هُلمان بن فواز بن عقيل ابن مبارك بن رميثة بن أبي نمي.

رواية الشريف :عبد الله بن محمد المشاشي من أهل الليث.

أما علي فقد ذكرت ذريته في ترجمته.

-44الشريف أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي محمد ..إلى قتادة ت 788) هـ / 1386م :(

قال الدحلان- ([346])في أثناء الحديث عن عجلان :-ثم أشرك معه ابنه أحمد في شوال من السنة المذكورة أي762) هـ (وجعل له ربع المتحصل، وقطع الدعاء لسند على المنبر، وأمر بالدعاء لابنه أحمد، ثم إن سند ابن رميثة استولى على جدة، ونازع في الإمرة .. الخ([347])، ثم انفرد بها أحمد بن عجلان بسؤال من أبيه على شروط، منها :أن لا يقطع اسمه في الخطبة، والدعاء بأعلى زمزم، فولى أحمد ذلك، وكان شجاعاً، وجمع من الأموال والخيل ما لم يجمعه أحد قبله .وفي سنة766) هـ (أسقط السلطان المكس المأخوذ بمكة، وعوض عنه صاحب مكة (160000) مائة وستين ألف درهم من بيت المال، وألف أردب قمح، وقرر ذلك في ديوان السلطان .وفي سنة785) هـ (وقعت فتنة بين حاج التكرور والمغاربة، وبين حجاج العراق واليمن، زمن الحج، وقتل فيها نحو ألف إنسان، واستمر الدعاء على المنبر للشريف عجلان وابنه أحمد إلى سنة777) هـ (فانتقل الشريف عجلان للجديد من وادي مر، ثم توفي به .([348])ثم استمر أحمد بن عجلان إلى سنة778) هـ (فأشرك معه ابنه محمداً، ودامت ولايتهما إلى سنة788) هـ (فتوفي أحمد.

وذكر الفاسي ([349])في العقد، فأطال- كعادته -في ترجمته، وقال :يكنى أبا سليمان، ويلقب شهاب الدين .ولي مكة شريكاً ومستقلاً ستاً وعشرين سنة، تنقص يسيراً .وذكر له مناقب كثيرة، من أهمها :العدل والشجاعة، وقال :وكان لأحمد بن عجلان سيرة مشكورة، ومحاسن مذكورة، لأنه كان كثير العدل في الرعية، وبلغت خيله نحو أربعمائة، وعبيده نحو ثمانمائة([350])، وما تأتي ذلك لمن كان قبله من أمراء مكة المقاربين لعصره .ثم ذكر أنه

مرض مرضاً شديداًً فمات منه سنة788) هـ(، عن نحو ثمان وأربعين سنة .انتهى ما نقلته عن الفاسي باختصار.

45–الشريف محمد بن أحمد بن عَجلان– بفتح العين –ابن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الحسني، المكي ت 788) هـ1386 /م :(

هكذا نسبه التقي الفاسي بهذه النسبة المطولة، ففضلت أن أتركها كما هي، لترد على من أزاغ الله قلوبهم([351])، الذين نفوا هذا النسب الشريف.

ثم قال الفاسي :يلقب :جمال الدين .أمير مكة .

ولي إمرة مكة ثمان سنين شريكاً لأبيه، غير مائة يوم من آخرها، فإنه استقل بها بعد أبيه.

وأول ولايته :في سنة ثمانين وسبعمائة.

وكان يصل إليه من صاحب مصر، سبب ذ1لك، تقليد وخلعه في كل موسم، على ما ذكر لي والدي، وهو المخبر لي بولايته في سنة ثمانين .ولم يكن لولايته في حياة أبيه أثر؛ لأن أباه كان يقوم بمصالح العسكر، وهو الذي ينظر في الأمور إلى أن مات .فعند ذلك نظر فيها ولده مع عمه كبيش وكان لا يفصل أمراً دون كبيش، وإلى كبيش معظم النظر في الأمور.

وبعث محمد– بعد موات أبيه –إلى الملك الظاهر صاحب مصر كتاباً يخبر فيه بموت أبيه، ويسأل استقراره عوضه في إمرة مكة، ومحضراً فيه خطوط أعيان أهل الحرم بسؤال ولايته.

فأجاب السلطان إلى ذلك، وبعث إليه تقليداً وخلعه بالولاية مع رسوله عطيفة بن محمد بن عطيفة بن أبي نمي، فبلغ مكة في آخر شوال سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، أو في أول ذي القعدة منها.

وفي ليلة العشرين من شعبان هذه السنة :مات أحمد، فلبس ابنه خلعة الولاية وقرئ تقليده بالإمرة بالحرم الشريف على رؤوس الأشهاد.

وكان السلطان ولاه ذلك وهو متغير عليه لما بلغه عنه من موافقته على كحل الأشراف الذين مات أبوه، وهم في سجنه([352])، وهم :عمه :محمد بن عجلان، وخالاه :أحمد، وحسن ابنا ثقبة، وابن خاله علي بن أحمد بن ثقبة، لأن السلطان المذكور كان سأل أباه في إطلاقهم فامتنع، فأضمر السلطان ولاية عنان ابن مغامس بن رميثة لإمرة مكة عوض محمد هذا، وسيره مع الحاج المصري، ولم يطلعه على ذلك وأمر أمير الحاج بعدم الاحتفال به لئلا يشوش من إكرامه محمد بن أحمد فينفر فيفوت المراد منه.

وعرَّف السلطان الأمير جركس الخليلي أمير أخور المالكي الظاهري بما في نفسه في حق محمد وعنان، وكان من الحجاج في هذه السنة– وهي حجته الأولى، وحجته الثانية في سنة تسعين وسبعمائة –فلما وصل إلى مكة خدمه محمد وأمه السيدة فاطمة بنت ثقبة كثيراً .وبعثت إليه أمه تسأله عن حال ابنها وعنان، فذكر لها أنه لا يعلم على ابنها سوءاً .وربما قيل :إنه حلف لها على ذلك .فانشرح لذلك خاطرها وحسنت لابنها الإقدام على ملاقاة المحمل

المصري لخدمته على عادة أمراء الحجاز، وكان محجماً عن ذلك لإشارة كبيش عليه بعدم ملاقاة المحمل، وما زالت به أمه حتى وافقها على مرادها.

فخرج في عسكره إلى أن حضر عند المحمل، فلما أخذ يقبل خف الجمل على العادة، وثب عليه باطنيان فجرحاه جرحات مات بها من فوره.

وذلك :في يوم الاثنين مستهل الحجة سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، وله نحو عشرين سنة، ونقل إلى المعلاة، ودفن بها بعد الصلاة عليه وغسله وتكفينه .وتوجع الناس عليه كثيراً، سيما أمه.

ويقال :إنها كانت دعت عليه بالهلاك بعد أن عرفت بكحل أخويها، ومن ذكر معهما لعظم ألمها لذلك وألم الناس أيضاً لكحلهم .فإن صح عنها ذلك :فقد استجيب دعاؤها وما خطر لها ببال قتله.

وكان كبيش يتوقع له ذلك، ولذلك نهاه عن ملاقاة المحمل .وكانت أمه لا تظن يصيبه من السوء في ملاقاة المحمل غير اعتقاله، وغلب على ظنها سلامته لما ذكر لها الخليلي.

ويقال :إن الخليلي عوتب على ما ذكره لأمه، لأنه ظهر بعد ذلك ما يدل على علمه للسوء فيه، فاعتذر بعدم قدرته على إفشاء السر، وقال :كان ينبغي لهم أن يفطنوا لملازمة جماعتنا لحمل السلاح، وما كان لمحمد في كحل المذكورين راحة؛ لأنه ابتلي بفقد الحياة .ويستبعد أن يكون للمذكورين على ذلك قدرة إلا أن يشاء الله وكل ما يسدونه إليه من الأذى يسير بالنسبة إلى ما أصابه من البلاء.

ويقال :إنه لم يوافق على كحلهم، حتى عظم عليه في التخويف من شرهم، فما نفعه الحذر من القدر، ولكنه فاز بالشهادة.

ولما قتل أعلنت ولاية عنان بمكة عوض المذكور.

ودخل مكة مع الترك، وهم متسلحون حتى انتهوا إلى أجياد، فحاربوا من ثبت لهم من جماعة محمد، ثم ولوا .وترك الترك الحرب منع التيقظ مخافة العدو.

وانقطع بقتل محمد ولاية أولاد أحمد.

ويقال :إن أحمد بن عجلان، رأى في المنام أن عناناً حب ذكره، فذكر ذلك أحمد لبعض الناس، فقال له :يقطع عنان ذكر ولدك المذكور، فكان كذلك؛ لأن محمداً قتل ولم يترك ولداً ذكراً، وما ترك أبوه ذكراً غيره.

وكان أحمد قد منح ابنه محمداً هذا ثلاثة خيوف، أحياها بوادي مر وهي :البثنى، والبحرين والحميمة.([353])

وثبت إقرار أحمد بملك ابنه لذلك عند قاضي مكة محب الدين النويري بشهادة عمه القاضي نور الدين النويري على أحمد بن عجلان بذلك، ويمين ابنه محمد على صحة ذلك عند الحجر الأسود.

وكان أبوه زوَّجه على ابنة علي بن مبارك ابن رميثة بن سعدانه بنت عجلان.

واحتفل أحمد بالنفقة في عرس ولده عليها احتفالاً عظيماً، ورزق منها بنتاً تسمى :شمسية، هي الآن زوجة السيد رميثة بن محمد بن عجلان أمير مكة، في سنة تسع عشرة وثمانمائة .فالله يسدده وإلى الخير يرشده.

قال مؤلفه :

وبنص ترجمة الفاسي هنا إن صاحب الترجمة لم يخلف ولداً، وإن أباه لم يخلف غيره، ولذا فإن أحمد بن عجلان انقطع نسله، كما نوهنا في ترجمته.

46–الشريف كُبَيش بن عجلان بن رميثة، وتقدمت ترجمتا أبيه وحده، يكنّى أبا فوز .ت 789)هـ 1387 /م :(

ترجمه العلامة التقي الدين الفاسي([354])، فقال :كان ينوب في إمرة مكة عن أبيه وأخيه أحمد، وألقى إليه مقاليد الإمرة، لوفور رأيه وشهامته وكفايته، وأمره بتدبير أمر ولده بعده، فقام به أحسن قيام، إلا أنه لم يحمد على ما فعله من كحل الأشراف، الذين كان اعتقلهم في سنة سبع وثمانين] وسبعمائة [الشريف محمد بن أحمد بن عجلان، بعد موت أبيه أحمد بن عجلان، وهم :محمد بن عجلان، وأحمد وحسن ابنا ثقبة، وعليّ بن ابن عجلان، بنحو عشرة أيام، وذلك في آخر شعبان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة .والذي حمل كبشاً على ذلك، ما توهَّمه في أنّ ذلك حسم لمادة شرهم عنه، وعن ابن أخيه، فلم يتم له مراده، لأنه لما كان الموسم من هذه السنة، خرج ابن اخيه محمد بن أحمد للقاء المحمل، على عادة أمراء مكة، في يوم الاثنين مستهلّ الحجة سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، فلما وصل عند المحمل، أحاط به الترك الذين حوله، فلما رأى كبيش إحاطتهم به، فرَّ إلى جهة جدة، وكان منعزلاً عن ابن أخيه بمقربة منه، لأنه كان أشار عليه بأن لا يحضر لخدمة المحمل، لما بلغه من إضمار الشر

من أمير المحمل على ابن أخيه، وتبع بعض الترك كبيشاً فلم يظفروا به، وظنّ أن ابن أخيه لا يصل إليه بغير القبض عليه، فلما بلغه قتل ابن اخيه، أَلم عليه وود أنه كان حضر عنده، وقاتل من قتله، ولو قدر أنه فر إلى مكة، لما خرجت من يد آل عجلان، ولكنه ساق في يومه حتى بلغ جدَّة– بالجيم –فأقام بها ثلاثاً، ثم فارقها لما حضر إليها علي ابن مبارك بن رميثة، ومن معه من جماعة عنان بن مغامس الحسني، وكان ولي إمرة مكة، بعد قتل محمد بن أحمد بن عجلان .ولما فارق كبيش جدة، قصد طريق الحاج، وتعرَّض للقاء الأمير جركس الخليلي، وكان حج في هذه السنة، وهي أول حجاته، وحسَّن لمحمد بن أحمد بن عجلان، الحضور لخدمة المحمل، وأوهمه أن لا خوف عليه في ذلك، واستعطف كبيشٌ الخليليَّ على آل عجلان، وقال كبيش للخليليّ :إنما تركت التعرّض للحاجّ إكراماً لك، وسأله المساعدة على ما يعود نفعه على آل عجلان، إذا وصل إلى الديار المصرية، ووعده الخليلي بذلك .ثم إن كبيشاً جمع جمعاً كثيراً من الأعراب، وقصد بهم جدة، ومعه أيضاً القواد العمرة، فملكها هو ومن بذلك عنان، خرج من مكة ومعه من آل عجلان، محمد بن عجلان المكحول، ونزل الموضع المعروف بالحدبة([355])، وحصل له ولأصحابه عطش كثير، لاستيلاء كبيش ومن معه على صهاريج جدة([356])، وأقام هو ومن معه هناك ثلاثة عشرة يوماً ...في كل يوم، ولم يقع بينهم قتال، لأن في كل يوم يجير كل واحد من الفريقين في ترك القتال في ذلك اليوم، ثم إن كبيشاً رأى من أصحابه القواد العمرة([357])، انحلالاً عن القتال، واحتجوا بأنهم يخشون أن يقتل أحد من الأعراب الذين مع كبيش، أحداً من جماعة عنان، فيؤاخذون به لملايمتهم له، فلما رأى ذلك منهم كبييش، عاد إلى الموضع الذي كان به لمات فارق جدة أولاً، وهو الموضع المعروف بأم الدمن عند خليص، ثم إنه بعد مدّة، عاد إلى جدّة وتولى الأمر بها، وسبب ذلك، أن محمد بن عجلان، كان عنان قد استنابه على جدة، لما ملكها بعد رحيل كبيش عنها، ثم وقع بينهما منافرة، اقتضت أن محمد بن عجلان، استدعى جميع من لايم عنان من آل عجلان بواسطته، ففارقوا عناناً أمير مكة، وحضروا إلى محمد بجدة، فقوي أمره بهم، وغلبوا على جدة، واستدعى محمد كبيشاً للحضور إليه، فتوقف كبيش

لما وقع منه في حقّ محمد، ومن التقصير بسبب كحله، ثم حضر كبيش إلى جدة بطلب ثانٍ من محمد، بعد أن توقف منه، واقتضى رأيهما نهب ما في جدة من أموال التجار وغيرهم في المراكب وغيرها، وكان تجار اليمن قد اجتمعوا بجدة للسفر منها إلى اليمن، وقد حضر إليها ثلاثة مراكب للكارم، متوجهة من اليمن إلى مصر فنهب ذلك كله، ويقال إن ذلك قُوِّم بستمائة ألف مثقال ذهباً، والله أعلم .ثم نهب ما في جدة من الغلة المخزونة بها للأمير جرْكس الخليلي وإيتمش .ولما وقع النهب في المراكب، حضر إلى جدة جماعة من الأشراف من أصحاب عنان، منهم علي بن مبارك بن رميثة، فأقبل عليه آل عجلان، وأمرَّوه، وجعلوا له نصف المتحصّل من ذلك، وأضافوا إليه جماعة منهم يكونون في خدمته، والنصف الثاني لعليّ بن عجلان، يتصرف فيه جماعته وعموا كلهم بالعطاء، كل من حضر إليهم من الأشراف من أصحاب عنان، ولم يبق بجدّة شيء ...أجمع رأيهم على المسير إلى مكة، فتوجهوا إليها ثامن جمادى الأولى من سنة تسع وثمانين وسبعمائة، فلما بلغوا الرَّكانى([358])، فارقهم عليّ بن مبارك بن رميثة، وقصد عناناً متخفياً، ثم تبعه ابنه وغيره من إخوته، فقصد آل عجلان البرابر ([359])من وادي مَرّ، وأقاموا بها، وصار عبيدهم ينتشرون في الطرقات، ويختطفون ما يجدونه، وأهل مكة في خوفٍ منهم ووجل .فلما كان شعبان من سنة تسع وثمانين، وصل آل عجلان قاصد من الديار المصرية، ومعه تقليد وخلعة لعليّ بن عجلان بإمرة مكة، عوض عنان، فبعثه كبيش إلى عنان لإعلامه بذلك، وإخلاء البلد لهم، فأبى وصمَّم على قتالهم، فجمع كبيش عليهم هو ومحمد بن بَعَلْجَد مالاً عظيماً، من الزباد والمسك والإبل وغير ذلك، وتوجهوا إلى مكة في نحو مائة فارس وألف راجل، في آخر اليوم التاسع والعشرين من شعبان، وأخذوا طريق الواسطية وساروا قليلاً قليلاً، حتى أصبحوا في يوم السبت المُوفي ثلاثين من شعبان، وهم بآبار الزَّاهر أو حولها، فاقتضى رأي الشريف محمد بن محمود بن أحمد بن رميثة، النزول هناك يستريحون، ويلحق بهم من يوادهم، ممّن هو مع عنان، في الليلة المسُفرة، فأبى ذلك كبيش، وخشي من طول الإقامة، وأن يصنع معه بنو حسن، كما صنعوا معه بجدة أولاً، من أن كلاًّ منهم يجير في كل يوم من القتال، وصمَّم على القتال في ذلك اليوم،

وسار العسكر إلى مكة، وأخذوا الطريق التي تخرجهم من الزاهر إلى شعب أذخِر، فلما قطعوا الشعب، افترق العسكر، فأخذ الحميضات الطريق التي تخرجهم على مسجد الإجابة، وأخذ كبيش ومن معه من القواد العمرة والعبيد، طريقاً أقرب إلى الأبطح، فرأوا بها عناناً وأصحابه، وكانوا قريباً منهم في المقدار، فأزال الرَّجْل الذي مع كبيش، الرَّجل الذي مع عنان من مواضعهم بعد قتالٍ جرى بينهم، وعقروا الجامل التي عليها طبلخاناتهم، وصاح كبيش بعنان يطلبه للبراز، فلم يجبه، وبرز إليه بعض الأشراف، فلم يره كبيش كفؤاً له، وضربه كبيش برمح معه، فأصابت الضربة فرس المضروب فقتلها، وسقط راكبها، فعمد بعض أصحاب عنان إلى فرس كبيش فعقرها، فسقط كبيش غ الأرض وصار راجلاًَ، فقصده أصحاب عنان من كل جانب وقاتلوه، فقاتلهم أشد القتال، ثم إن بعضهم استغفله في حال قتله، ورفع الدرع عن ساقه، وضربه فيه ضربة حتى جَثَى على ركبتيه، وقاتل وهو على تلك الحالة، حتى أُزهقت روحه، وانهزم أصحابه الذي شهدوا معه الحرب، بعد سقوطه عن فرسه إلى الأرض . وأما الحميضات، فإنهم لم يقاتلوا جملة لمباطنة بينهم وبين عنان، وقُتل في هذا اليوم من القواد العمرة، لقاح بن منصور، وجماعة من عبيد آل عجلان، ورجع بقيتهم بمن معهم من سادتهم، إلى منزلهم بوادي مرّ، وحمل كبيش إلى المعلاة فدفن بها، وهو في عشر الستين أو السبعين .أ هـ، ما نقلته عن العقد .وكان لكبيش هذا ابن اسمه :علي.

–47الشريف علي بن عجلان بن رميثة، وتقدمت ترجمة كل من رميثة وعجلان، يلقب علاء الدين، ويكنّى أبا الحسن، أمير مكة .ت 797) هـ 1394 /م:(

ترجم له العلامة تقي الدين الفاسي([360])، فقال :

وَلِيَ إمرة مكة ثماني سنين، ونحو ثلاثة أشهر، مستقلاً بالإمرة، غير سنتين أو نحوها، فإنه كان والياً فيها، شريكاً لعنان بن مغامس ابن رميثة الآتي ذكره، كما سيأتي بيانه .وأول ولايته في

رجب، وإلا ففي أول شعبان، من سنة تسع وثمانين وسبعمائة، بعد عزل عنان. حنقاً عليه، لما اتفق في ولايته، من استيلاء كبيش، وجماعة عجلان، وابنه أحمد، ومن انضهم عليهم، على جدة، وما فيها من أموال الكارم، وغلال المصريين، وعجز عنان عن دفعهم عن الاستيلاء على جدة، وعن استنقاذ الأموال منهم ولا شراكة لبني عمه في إمرة مكة .ووصل إلى عليّ تقليد وخلعه، بسبب ولايته لإمركة مكة، من الملك الظاهر برقوق، صاحب مصر، مع نجّاب معتبر من العيساوية، ووصل النّجاب إلى عنان فيالنصف الثاني من شعبان، من سنة تسع وثمانين، لكي يسلم مكة لعليّ وجماعته، فامتنع من تسليمها إليهم أصحاب عنان، ولما علم بذلك علي وجماعته، قوي عزمهم على التوجّه إلى مكة، وصرف الجمال محمد بن فرج المعروف بابن بعلجد، نفقة جيّدة على من لايم عليًّا من الأشراف والقواد العمرة والحميضات، وساروا إلى مكة، وخرج للقائهم من مكة عنان وأصحابه، فلما تراءى الجمعان، انحاز الحميضات عن آل عجلان، فلم يكونوا معهم ولا مع عنان، وتقاتل الفريقان، فتم النصر لعنان وأصحابه، ورجع آل عجلان إلى محلهم، وهو القصر بالوادي، بعد أن قُتل منهم كبيش ولقاح بن منصور، من القواد العمرة، وعشرون عبداً فيما قيل، وذلك في سلخ شعبان من السنة المذكورة.

وفي شهر رمضان توجّه عليّ إلى مصر، فأقبل عليه السلطان، وولاّه نصف إمرة مكة، وولى النصف الثاني لعنان بشرط حضور عنان لخدمة المحمل، ووصل علي مع المحمل إلى مكة، فدخلها مع الحاج، وقرئ توقيعه على مقام احلنابلة بالمسجد الحرام .وكان عنان قد أعرض عن لقاء المحمل، متخوفاً من آل عجلان، وفر إلى الزيمة بوادي نخلة اليمانةي، وكان أصحابه قد سبقوه إليها، فسار إليهم عليّ وجماعته، وجماعة من الترك الحجاج، فوجدوا الأشراف محاربين لقافلة بجيلة .([361])ولما عرف بهم الأشراف، هربوا خوفاً من سهام الترك، وقتل أصحاب عليّ منمهم مبارك بن عبد الكريم من الأشراف، وابن شكوان من أتباعهم، وعادوا إلى مكة، ومعهم من خيل الأشراف خمسة، ومن دروعهم ثلاثة عشر درعاً، وتوصلت قافلة

بجيلة إلى مكة، صار عنان والأشراف إلى وادي مَر، واستولوا عليه وعلى جدَّة، ونهبوا بعض تجار اليمن، وأفسدوا في الطرقات .ولأجل استيلائهم على جدَّة، احتجا عليٌّ إليه النفقة، فأخذ من تجار اليمن ومكة، ما استعان به على إزالة ضرورته.

وفي ربيع الآخر، أو جمادى الأولى من سنة تسعين وسبعمائة، أتاه من مصر أخوه الشريف حسن، بجماعة من الترك استخدمهم له، نحو خمسين فارساً وخلعة من السلطان، وكتاب منه يتضمن استمراره، فلبس الخلعة، وقرئ الكتاب بالمسجد الحرام، ووصل إليه أيضاً خلعة، وكتاب يتضمن باستمراره،، من الصالح حاجي بن الأشراف شعبان، لما عاد إلى السلطنة بمصر، بعد خلع الملك الظاهر، في أثناء سنة إحدى وتسعين وسبعمائة.

وفي آخر ذي القعدة منها، بلغه أن الأشراف آل أبي نمي([362])، يريدون نهب الحاج المصري، فخرج من مكة بعسركه لنصرهم ونصر أخيه محمد، فإنه كان قدم معهم من مصر، بعد أن أجيب لقصده في حبس عنان، ولم يقع بين الفريقين قتال، لأن أمير الاحاج أبا بكر بن سنقر الجماليّ، لما عرف قصد الأشراف للحاج، لاطفهم مع الاستعداد لحربهم، فأعرضوا عن الحاجّ.

وفي سنة اثنتين وتسعين أيضاً، اصطلح والأشراف آل أبي نمي، بسعى محمد بن محمود، وكان عليّ قد قلده أمره لنيل رأيه، وحلفوا لعليّ وحلف لهم، وأعطاهم إبلاً وأصائل ([363]) بوادي مرّ، وتزوج بعد ذلك منهم، بنت حازم بن عبد الكريم بن أبي نمي.

ولما كان قبيل النصف من شعبان سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة، وصل عنان من مصر، متولياً نصف الإمرة بمكة، من قبل الملك الظاهر، شريكاً لعلي، فسعى الناس بينهم في المؤالفة، وأن يكون لكل منهما نواب بمكة، بعضهم للحكم بها، وبعضهم لقبض ما يخصه من المتحصل،

وإن كلاً منهما يقدم مكة إذا عرضت له بها حاجة فيقيضها، وأن يكون القواد مع عنان، والأشراف مع علي، لملايمتهم له قبل وصول عنان، فرضياً بذلك، وفعلا ما اتفقا عليه، وكان أصحاب كل منهما غالبين له على أمره، فحصل للناس في ذلك ضرر، سيما الواردين إلى مكة، لأن حجاج اليمن، نهبوا بالمعابدة بطريق منّى وبمكة نهباً فاحشاً، ونهب أيضاً بعض الحجاج المصريين، وما خرج الحاج المصريون([364])، حتى استنزل عليهم أمير الحاج أبو بكر بن سنقر، من بعض بني حسن، وكان ذلك في موسم سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة .ولما سمع ذلك السلطان بمصر، استدعى إليه عليّاً وعناناً، وكان وصول هذا الاستدعاء، في أثناء سنة أربع وتسعين وسبعمائة، ووصل مع النجاب المسيتدعي لهم، خلعتان من السلطان، لعلي ولعنان، وكان عنان إذ ذاك منقبضاً عن دخول مكة، لأن بعض غلمان عليّ بن عجلان، همَّ بالفتك به في آخر صفر من سنة أربع وتسعين وسبعمائة بالمسعى، ففر هارباً، بعد أن كاد يهلك، وأزال أصحاب على نوابه من مكة، وشعار ولايته بها، لأنهم قطعوا الدعاء له على زمزم بعد المغرب، وأمر الخطيب بقطع اسمه من الخطبة فما أجاب، ثم دخل عنان مكة، بموافقة علسّ وأصحاب رأيه، ليتجهّز منها إلى مصر، فلما انقضى جهازه، سافر منها في جمادى الآخرة إلى مصر، وتلاه إليها عليّ، وقصد المدينة النبوية، فزار جدَّه المصطفى وغيره، وجمع الناس بالحرم النبوي، لقراة ختمةٍ شريفة للسلطان، والدُّعاء له عَقِيبها، وكتب بذلك محضراً يتضمن ذلك، وما اتفق ذلك لعنان، لأنه قصد من بدر ينبع، ليسبق منها علياً إلى مصر .ولما وصل علي إلى مصر، أهدى للسلطان وغيره هعدايا حسنة، واجتمع السلطان يوم الخميس خامس شعبان من سنة أربع وتسعين، في يوم الموكب بالإيوان، فأقبل عليه السلطان كثيراً، وأمره بالجلوس فوق عنان، وكان جلس تحته، وبعد أيام، فوَّض إليه إمرة مكة بمفرده، وأعطاء أربعين فرساً، وعشرة مماليك من الترك، وثلاثة آلاف أردب قمح، وألف أربد شعير، وألف أردب فول .ومما أحسن إليه به، فرس خاص، وسرج مغرق بالذهب، وكنبوش ([365]) ذهب، وسلسلة ذهب، وأحسن إليه الأمراء لإقبال السلطان عليه، فحصَّل غلماناً من الترك، قيل إنهم مائة، وخيلاً قيل إنها مائة، ونفقة جيدة، وتوجه مع الحجاج إلى مكة، فوصلها سالماً،

وكان يوم دخوله الفاسي يوماً مشهوداً، وقام بخدمة الحاج، في أيام الموسم من سنة أربع وتسعين وسبعمائة، وحج في هذه السنة ناس كثير من اليمن بمتاجر، وانكسر من جلابهم ببندر جدة، ستة وثلاثون جلبة فيما قيل، وسافروا من مكة بعد قضاء وطرهم منها في قافلتين، وصحبهم فيها علي بعسكره، وأطلق القافلة الثانية من المكس المأخوذ منهم بمكة .

وكان غالب الأشراف آل أبي نمي، لم يحجوا في سنة أربع وتسعين وسبعمائة لانقباضهم منه، فإنه كان نافر رأسهم جار الله ابن حمزة، بمصر، وسعى في التيوش عليه، فما وسع جار الله إلا أن يخضع لعليّ فقل تعبه، واستدعاى عليٌّ الأشرافَ آل أبي نمي، فحضر إليه جماعة منهم، مع جماعة من القواد والحميضات، فقبض على ثلاثن شريفاً، وثلاثين قائداً فيما قيل، وطالبهم بما أعطاه لهم من الخيل والدروع، فسلم القواد ما طلب منهم، وسلم إليه الأشراف بنو عبد الكريم بن أبي سعد، وبنو إدريس بن قتادة، ما كان له عندهم من ذلك .وأما الأشراف آل أبي نمي، فلم يسلموا ما كان عندهم، فأقاموا في سجنه حتى سُلِّم إليه ما طلب منهم، بعد ثلاثة أشهر، وكان سجنه لهم في آخر ذي الحجة من سنة أربع وتسعين وسبعمائة، وكان بمكة جماعة من الأشراف والقواد، غير الذين قبض عليهم، ففروا بمكة مستخفين، والتحق كل منهم بأهله، ومضى الأشراف إلى زبيد([366])، ونزلوا عليهم بناحية الشام([367])، وراسلوا علياًً في إطلاق أصحابهم، فتوقَّف، ثم أطلق منهم محمد بن سيف بن أبي نمي، لتكرر سؤال كبيش بن سنان بن عبد الله بن عمر له في إطلاقه، فإنه كان عنده يوم القبض عليه .ومضى محمد بن سيف بعد إطلاقه إلى عليّ، وكان نازلاً ببئر شميس، فسعى عنده في خلاص أصحابه، واستقر الحال معه على أن يسلم الأشراف إليه ما أعطاه فرساً وعشرين درعاً، وأن يردوا إليه ما أعطاه لهم من الأصائل، وأن يكون بين الفريقين مجود، أي حسب إلى سنة، ومضى من عند علي جماعة إلى الأشراف لإبرام الصلح على ذلك، وقبض الخيل والدروع والإشهاد برد الأصائل، ففعل الأشراف في تاسع عشري ربيع الأول، سنة خمس وتسعين وسبعمائة، وما كان إلا أن خرجوا، فساروا بأجمعهم حتى نزلوا البحرة ([368])بطريق جدة، فجمع على الأعراب ومن معه من العبيد والترك، ومضى حتى

نزل الحشافة، فرحل الأشراف من البحرة ونزلوا جدة، واستولوا عليها، وكان مما حرَّكهم على ذلك، الطمع في مركب وصل إليها من مصر، فيه ما أنعم به السلطان عليه، من القمح والشعير والفول، وصار في كل يوم يرغب في المسير إلى جدة، لقتال المذكورين، فيأبى عليه أصحابه من القواد، ويحيرون عليه من المسير، ودام الحال على ذلك شهراً، ثم سعى عنده القواد الحميضات، في أن يعطي للأشراف أربعمائة غرارة قمح، من المركب الذي وصل إليه، ويرحل الأشراف من جدة، فأجاب إلى ذلك وسلمها إليهم، فلما صارت بأيديهم، توقفوا في الرحيل، فزادهم مائة غرارة فرحلوا ونزلوا العد([369])، وصاروا يفسدون في الطريق، وبلغه أن ذوي عمر في أنفسهم منه شيء، فمضى إلى الأشراف وصالحهم، وردَّ عليهم ما أعطوه له، وأقبل على موادتهم، فكان جماعة منهم يتحملون منه، وجماعة يبدون له الجفاء، ويعملون في البلاد أعمالاً غير صالحة، اقتضت أن التجار أعرضوا عن مكة، وقصدوا ينبع، لقلة الأمن بمكة وجدة، فلحقه لأجل ذلك شدة .وكان يجتهد في رضائهم عليه، بكل ما تصل قدرته إليه، وقنع منهم بأن يتركوا الفساد في البلاد، فما أسعفوه بمراده، ومما ناله من الضرر بسبب حقدهم عليه، أن بعض الشرفاء والقواد، غزوه بمكة في خدمة أيه السيد حسن بن عجلان لوحشةٍ، كانت بينهما، ونزلوا الزاهر أياماً كثيرة، ثم رحلوا منه لأنهم لم يتمكنوا من دخول مكة، ويقال إن بعضهم ناله بر من علي ابن عجلان، فرحل وتلاه الباقون، وكان وصولهم إلى مكة في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وسبعمائة، وتوجه بعد ذلك حسن وعليّ بن مبارك إلى مصر، راجين لإمرة مكة، فقبض عليهما السلطان الملك الظاهر برقوق، وبعث خلعة لعليّ، وكتاباً أخبره فيه بما فعل، وأمره فيه بالإحسان إلى الرعية والعدل فيهم، لما بلغه من أن علياً تعرض لأخذ شيء من المجاورين بمكة، فقرئ الكتاب بالمسجد الحرام، بعد لبسه للخلعة، وأحسن السيرة، ونادى في البلاد بأن من كان له حق، فليحضر إليه ليرضيه فيه، وكان الذي حمله على الأخذ، فقده لما كان يعهد من النفع بجدة، ومطالبة بني حسن له بالعطاء، وما زال حريصاً على أن يحصل منهم عليه رضا إلى أن أدرك من بعضهم ما به الله عليه قضى، من سلب روحه وإسكانه في ضريحه .وكان صورة ما فُعِل به، أنه لما خرج يريد البراز، اتبعه

الكردي ولد عبد الكريم بن مخيَط، وجندب بن جخيدب بن لِحاف، وعبية بن واصل([370])، وهم مضمرون فيه سوءاً، فبدر إليه الكردي، فسايره وهو راكب على راحلته، وعلي على فرس، ورمى بنفسه على علي وضربه بجنبية كانت معه، فطاحا جميعاً إلى الأرض، فوثب عليه علي فضربه بالسيف ضربة كاد منها يهلك .وولى علي راجعاً إلى الحلة، فأغرى به شخص يقال له أبو نُمَي- غلام لصهره حازم بن عبد الكريم -جندباً وعبية وحمزة بن قاسم، وعرفهم أنه قتل الكرديّ، فوثبوا عليه فقتلوه وقطعوه وكفنوه، وبعثوا به إلى مكة في شجار([371])، فوصل إلى المعلاة ليلاً، وصُلّي عليه ودفن في قبر أبيه، وكان قتله في يوم الأربعاء سابع شوال سنة سبع وتسعين وسبعمائة، ودفن في ليلة الخميس ثامنه، وعظم قتله على الناس، سيما أهل مكة، لأنهم تخوفوا أن الأشراف يقصدون مكة وينهبُونها، وتخيل ذلك بعض العبيد الذي في خدمة علي، وهَمُّوا بنهبها، والخروج منها قبل وصول الأشراف إليها، فنهاهم عن ذلك العقلاء من أصحابهم، وحمى الله البلد من الأشراف وغيرهم .وفي الصباح وصل إليها السيد محمد بن عجلان، وكان عند الأشراف منافراً لأخيه علي، ووصل إليها أيضاً السيد محمد بن محمود، وكان نازلاً بحادثةٍ قريباً من مكة، وقاما مع العبيد والمولدين بحفظ البلد، إلى أن وصل السيد حسن من مصر، متولياً لإمرة مكة، عوض أخيه علي، وذلك نصف سنة ونحو نصف شهر .وكان لعلي من العمر حين قتل، نحو من ثلاث وعشرين سنة، وكان تزوج الشريفة فاطمة بنت ثقبة، بإثر ولايته بمكة، وتجمل بها حاله، ثم تزوج بنت حازم بن عبد الكريم بن أبي نمي ,([372])ثم بنت النصيح أحمد بابن عبد الكريم بن عبد الله بن عمر، وكان زواجه عليها قبل موته بنحو جمعة أو أقلّ، وكانت قبله عند أخيه السيد حسن، فأباهما لما تزوج عليها ابنة عِنان، لتحريم الجمع بينهما باعتبار الرضاع .وكان مليح الشكالة والأخلاق، ذا كرم وعقل رزين، وكان بنو حسن يتعجبون منه، لأنهم كانوا يكثرون الحديث عنده فيما يريدون من الأُمور، ويرغبون في أن يخوض معهم في ذلك، فلا يتكلم إلا بما فيه فصل لذلك.

ولوالدي قصيدة في مدح عليّ بن عجلان منها :([373])

إن بان وجه الصفا من راكد الكدرِ

وانشق فجر الضيا عن ظلمة الفكرِ

لأَنثرن على عَلْيَا أبي حسن

تالٍ من الحمد أو نظماً من الدّررِ

وأُوقف القصد في ساحات مشعره

كيما أفيض بنسك النجح والظفرِ

ما لي وللنأْي والترحال عن أفق

علا على كرَّة الإشراق بالقمرِ

نادى علي بن عجلان سماء سما

بني رميثة والسادات من مضرِ

ومنها :

كم طاف حولك من مولى ومن ملك

وحول بيتك من حاج ومعتمرِ

ومنها :

وأَمَّكَ المُلْكُ من مصر به أدبِ

إلى لقاك فلاقى الخبر كالخبرِ

إن تابعتك صفوف تلو أفئدة

فأنت قبلة أهل البدو والحضرِ

لِمِ لا يكون على الدنيا حُليٍّ بها

وأنت جوهرة الأخبار والسيرِ

أحييت آثار أسلاف وقد سلفوا

أحيت مكارم أموات مفتقرِ

ومنها :

فمذ هبطت إلى الأرضين أصعدني

أبو سريع سماء العز والكبرِ

فالله يُسْكِنُهُ جناتٍ مزخرفة

مع النبيين في صحب وفي زمرِ

أبقى لنا عدة الأُمرا خليفته

والبدر في الوهن مثل البدر في السحرِ

مُنْشي سحائب جود مزنها درر

تغني عن السحب والأنواء والمطرِ

انتهى عن العقد الثمين بشيء من الاختصار .ونقل مثل هذا عن مصدرنا كل من ابن فهد والعصامي وشيخ الإسلام الدحلان.

ويبدو أنه لم يخلف ولداً، لأن التقي ذكر كل زوجاته ولم يذكر منهن من ولدت له، والله أعلم.

-48الشريف محمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي، وباقي النسب تقدم في تراجم أجداده . ت 802) هـ 1399 /م :(

ترجم له تقي الدين الفاسي في العقد، فقال :([374])

ولي إمرة مكة نيابة عن أخيه علي بن عجلان، نحو نصف سنة، في سنة أربع وتسعين وسبعمائة، لما توجه أخوه عليّ فيها إلى مصر.

وولي إمرة مكة– بعد قتل أخيه عليّ –إلى حين قدوم أخيه الشريف حسن بن عجلان من مصر، في آخر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وسبعمائة، وذلك أزيد من نصف سنة يسيراً.

ووليها نيابة عنه بعد قدومه إلى مكة من مصر...

وكان ابن عمر عنان بن مغامس بن رميثة، لما ولي إمرة مكة في ولايته الأولى، لاءم محمد بن عجلان هذا، وأقبل كل منهما على الآخر كثيراً .واستخلف عنان محمداً هذا بجدة، وترك معه فيها من لاءمه من عبيد أحمد بن عجلان، وبعض موالي أبيه مُغامس، يكون عيناً على محمد، فأنهى هذا المولى إلى عنان، عن محمد تقصيراً، فكتب عنان إليه يزجره ويغلظ له، فاستشاط محمد غضباً، واستدعى كبيشاً ومن معه من آل عجلان وغيرهم، فقدموا عليه جدة، واستولوا علىما فيها من أموال الكارم، وغلال المصريين بالنهب، ومن قدر عنان على إزالتهم من جدة، ولا استنقاذ ذلك منهم، وكان ذلك من أعظم أسباب عزله .وكان عجلان يرغب في أن

يكون ابنه محمد هذا، ضداً لولده أحمد بن عجلان، بأن يفعل في البلاد فعلاً يظهر به محمد، ويغضب لفعله أحمد، فيلين بذلك جانب أحمد لأبيه- لأنه كان قَوِيَ عليه- وينال بذلك مقاصد من ولده أحمد، وينال بذلك محمد أمراً في البلاد، فلم ينهض محمد بمراد أبيه مع تيسر سبب ذلك، وصورة الحال في ذلك :أن عجلان كتب ورقة إلى ابنه محمد، يأمره بأن يشغب هو وأصهاره الأشراف على أحمد بن عجلان، وأن يأخذ من خيل أبيه ما شاء، ويذهب إلى نخلة، ويأخذ منها أدرعاً هناك مودعة له، ويأخذ ممن هي مودعة عنده ما يحتاج إليه من المصروف، ووصلت ورقته إلى ابنه محمد، وهو في لهو مع بعض أصدقاء أخيه) أحمد (فأوقفهم على ورقة أبيه، فاستغفلوه وبعثوا بها إلى أخيه أحمد، وأشغلوه باللهو إلى أن بلغ أخاه الخبر، وقصد أحمد أباه في جمع كثير، معاتباً له على ما فعل، وكان قد بلغه ما كان من ابنه محمد، فشق عليه كثيراً، واعتذر لأحمد، وأعرض عن محمد لقلة حزمه .وكان محمد قصد قافلة متوجهة من مكة إلى المدينة فيها قاضي مكة أبو الفضل النويري، فنهب محمد جمال القافلة ببدر، وتوصل من فيها إلى المدينة، وبلغ الخبر أباه عجلان، فجد في السير حتى أتاهم بالمدينة، فاستعطفهم وأرضاهم برد الجمال، أو بمال- الشك مني -والله أعلم.

وكان محمد- بعد ذلك -ملائماً لأخيه أحمد، وأخوه مكرم له، ثم نفر منه محمد، فتوجه من مكة بعد الحج، في سنة ست وثمانين وسبعمائة، قاصداً مصر، طالباً لخبز .فلما كان بينبع أشار عليه أمير الحاج المصري، أبو بكر بن سنقر الجمالي، بأن يرجع إلى مكة، ويرجع معه بعنان بن مغامس، وحسن بن ثقبة، وكانا قاصدين مصر لشكوى أحمد، لكونه لم يجبهما إلى ما رسم لهما به عليه السلطان بمصر، وكان أمير الحاج قد أشار على المذكورين بالرجوع إلى مكة، وضمن لهما عن أحمد، الموافقة على قصدهما إذا رجعا إليه، وضمن لمحمد عن أحمد، إسعافه لما يرومه من أحمد، وأطمعه بالمزية في الإحسان من أحمد، إذا وصل إليه بالمذكورين . فرجع الثلاثة إلى أحمد، ولم يتوثق محمد لنفسه ولا لمن معه من أحمد، اغتراراً منه بنفسه، لظنِّه أن أحمد لا يسوءه في نفسه ولا من معه، فلم يصب ظنه؛ لأن أحمد قبض عليه وعلى

المذكورين لما اجتمعوا به، وضم إليهم أحمد بن ثقبة، وابنه علياً، وقيد الخمسة .ومن الناس من يقول :إن أحمد ندب محمداً لإحضار عنان وحسن، فلما حضرا إليه قبض عليهما، فأنكر ذلك محمد على أحمد، فضمه إليهما، وسجن الخمسة بالعلقمية عند المروة، فلما مات أحمد، كحلوا– غير عنان –فإنه كان نجا من السجن قبل موت أحمد بيسير، وكان من أمرهم وأمر محمد، ثم سعى محمد في اعتقال عنان بمصر، فأجيب سؤاله.

وكان محمد قدمها في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، بعد ثورة منطاش ([375])على الناصري، ومصير الأمر إليه بعد قبضه على الناصري وسجنه، وهو الذي أجاب محمداً لسجن عنان.

وكان محمد هذا، في سنة ثمانمائة، دخل إلى اليمن، فأكرمه صاحب اليمن الأشرف ([376]) وجهز معهم محملاً إلى مكة في سنة ثمانمائة، بعد انقطاع محمله نحو عشرين سنة، وتوجه به محمد بعد الحج، ليأتي به ثانية إلى مكة، فاقتضى رأي صاحب اليمن عدم إرساله، فتوجه محمد إلى مكة وأقام بها، حتى مات في الثاني عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمائة، ودفن بالمعلاة .وعقب أولاداً، منهم :أحمد، ورميثة .تأتي ترجمة رميثة.

–49الشريف عنان بن مغامس بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد ت 805) هـ / 1402م :(

أمير مكة .يكنى أبا لجام، ويلقب زين الدين.

ترجم له تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي([377])، مؤلف) :العقد الثمين في تأريخ البلد الأمين ([378]) (فقال :ولي إمرتها مرتين :الأولى سنة، غير أنه كان معزولاً من قبل السلطان، نحو أربعة أشهر من آخرها، والثانية سنتان، أو نحوهما، غير أنه كان ممنوعاً

أشهراً من قبل آل عجلان، لغلبتهم له على الأمر بمكة، وسنوضح ذلك وغيره من خبره، وذلك أنه كان بعد قتل أبيه مغامساً، لايم عمه سند بن رميثة، فلما مات سند، استولى عنان على خيله وسلاحه، وفر بذلك عن عمه عجلان، لأنه وارث لسند، ثم لايم عنان عمه عجلان، وابنه أحمد، وكانا يغتبطان به، لما فيه من الخصال المحمودة .وبلغني انه دخل يوماً على عجلان، وعنده بعض أعيان بني حسن، مستقضياً منه حاجة، فقضاها له عجلان، ثم قال :هنيئاًَ لمن كان له ابن مثله .!وكان أحمد بن عجلان يكرمه كثيراً، وزوجه على ابنته : أم المسعود، وفي ليلة مقامه للدخول عليها، قتل أخوه محمد ابن مغامس، فأرضاه عنه أحمد بن عجلان بمال جيد، ثم نفر عنه أحمد، لميله عنه إلى صاحب حلي، لما رام أحمد القيام عليه، كما سبق مبيناً في ترجمة أحمد .([379])وأمر عناناً بأن يبين عنه، فبان، وأخذ إبلاً كثيرة للأعراب، فسألوا أحمد بن عجلان أن يستنقذها لهم من عنان، فأبى ذلك أحمد، فتوسل كل من له فيها حق إلى عنان، ببعض بني حسن، فأجاب كل سائل بمراده، إلى أن لم يبق معه إلا اليسير، فقال لصاحبه :إن كان لك صاحب من بني حسن، فكلمه يسألني في رد ذلك فأرده، فقال له :إنما أسألكبالله في رد ذلك، فرده عليه .وحصَّل خيلاًَ وسلاحاً، بمعاونة صاحب حلي له على ذلك، ثم رأى أحمد بن عجلان، أن يعيده إلى مصاحبته، فأجاب عنان إلى ذلك، وأحسن له بعد عودة إليه، ثم أغرى به بعض بني ثقبة، وأغراه ببضعهم، كما سبق مبيناً في ترجمة أحمد، ليشتغل عنان عن أحمد بمعاداة بني ثقبة، ويشتغل بنو ثقبة عن أحمد، بمعاداة عنان، فما تم له قصد، وعرف ذلك عنان، وبنو ثقبة .ثم سافر عنان وحسن بن ثقبة إلى مصر، فبالغا في شكوى أحمد، وسألا السلطان الملك الظاهر برقوق صاحب مصر، في أن يرسم لهم عليه بأمورٍ رغبا فيها، فأجاب سؤالهم، إلا أن عناناً رزق قبولاً من السلطان، واتبعهم أحمد بن عجلان بدية سنية للسلطان مع كبيش، ولما رأى كبيش حال عنان رائجاً، أظهر للسلطان وللدولة، أن أحمد بن عجلان يوافق ما رسم لعنان وبني ثقبة، لئلا يتم على أحمد بمصر سوء، وسالم المذكورين حتى وصل مكة، وعرف أحمد بالحال، وقال له :لا بد لك من الموافقة على ما رسم به لهما، أو الفتك بعنان، فمال إلى الثاني، وأضمر ذلك .واجتمع

به عنان وحسن بن ثقبة، بعد التوثق منه، فما أجاب لمرادهما، ثم إن بعض المتكلفين لعنان، بأمان أحمد بن عجلان، عرفه بقصد أحمد فيه. وكان ذلك بمنّى، ففر إلى ينبع، وتلاه المصري، أبو بكر بن سنقر الجمالي، أن يرجعا إلى مكة، وحسَّن لمحمد بن عجلان، أن يرجع معهما، وكان قد توجه من مكة مغاضباً لأخيه، وضمن لهم أن أحمد يقضي حوائجهم، إذا وصل إليه كتابه، فرجعوا إلى أحمد، فلما اجتمعوا به قبض عليهم، وضم إليهم أحمد بن ثقبة، وابنه علياً، وقيد الخمسة وسجنهم بالعلقمية([380])، من أول سنة سبع وثمانين وسبعمائة، وإلى موسمها، ثم نقلهم إلى أجياد، في موسم هذه السنة، ثم أعادهم بعد الموسم إلى العلقمية، وكادوا يفلتون منها بحيلة دبروها، وهي أنهم ربطوا سرراً كانت عندهم بثياب معهم، وصعدوا فيها، غير محمد بن عجلان، حتى بلغوا طاقة تشرف على منزل ملاصق لسجنهم، فنزلوا منها إليها، فنذر ([381])بهم بعض الساكنين فيه، فصاح عليهم يظنهم لصوصاً، فسمع الصياح الموكلون بهم من خارج السجن، فتيقظوا، وعرف الأشراف بتيقظ الموكلين بهم، فأحجموا عن الخروج إلا عناناً، فإنه أقدم، ولما بلغ الدار، وثب وثبة شديدة، فانفك القيد عن إحدى رجليه، وما شعر به أحد حين خرج، فسار إلى جهة سوق الليل، وما كان غير قليل، حتى رأى كبيش والعسكر يفتشون عليه بضوء معهم، فدنا إلى مزبلة بسوق الليل، وأظهر أنه يبول، وأخفاه الله عن أعينهم، فلما رجعوا، سار إلى أن لقيه بعض معارفه، فعرفه خبره، وسأله في تغييبه،فغيبه في بيت بشعب عليّ، في صهريج فيه، ووضع على فمه

حشيش ودابة، لئلا يظهر موضع الصهريج للناظر في البيت، وفي الصباح أتى كبيش بعسكره إلى ذلك البيت، لأنه أُنهِي إليه أنه فيه، فما وجده فيها، فقيل له :إن في البيت صهريجاً، فأعرض عن ذلك، لما أراده الله تعالى من سلامة المختفي فيه، ثم بعث إلى بعض الأشراف ذوي راجح، وكان له منهم قرابة، فحضر إليه غير واحد منهم، وسألهم في إعانته، بمركوب له ولمن يسافر معه، فأجابوه لقصده، وأخرجوا ل ركائب إلى المعابدة، وحملوا عليها فخاراً وغيره، ليخفى أمرها على من يراها، وخرج عنان من سوق الليل إلى المعابدة، ونزل عند امرأة يعرفها

من أهلها، فأخفته بإلباسها له ثياب النساء، وأجلسته معها ومع غيرها، ونمي الخبر إلى كبيش، فأتى إلى المنزل الذي فيه عنان بالمعابدة، وسأل عنه صاحبة المنزل التي أخفته، فنالت بالقول من عنان كثيراً، وأنكرت أن يكون عندها، فصدقها كبيش، فلما كان الليل، ركب مع رجلين أو ثلاثة، الرواحل التي أعدت لهم، فوقفت بعض ركابهم، قبل وصولهم إلى وادي مر، وما وصل هو إلى خليص، إلا وقد كلَّت راحلته، فسأل بعض أهل خليص عن راحلة لبعض أصحابه، بلغه أنها بخليص، فأخبر بوجودها، فأخذها؛ ويقال إن صاحبها كان إذا فرغ من علفها، يقول :ليت عناناً يخلص فينجو عليك، فكان ما تمناه، فتوصل عنان إلى ينبع، ثم إلى مصر، في أثناء سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، فأقبل عليه الملك الظاهر، يقول :وأما ما ذكرت من جهة عنان، فإن الله سبحانه وتعالى :يقول:

] التوبة .[6:وبعد قليل، بلغ السلطان موت أحمد بن عجلان، وكحل ولده للأشراف المسجونين، فتغير على الولد، لأنه كان يسأل أباه في إطلاقهم، فأبى وأضمر تولية عنان مكة عوضه، وكتم ذلك على عنان، وخادع محمد بن أحمد بن عجلان، بأن أرسل إليه العهد والخلعة بولاية مكة، وأذن لعنان في التوجه صحبة الحاج، وأمر أمير الحاج، بقلة مراعاته لعنان في طريق مكة، فكان لا يلتفت إليه، وربما أهانه لئلا يتشوش محمد بن أحمد بن عجلان،

وتمت عليه هذه الخدعة، لما قضى الله تعالى به من الشهادة .فإنه لما حضر لخدمة المحمل المصري، على عادة أمراء الحجاز، قتله باطنيان، في مستهل الحجة، من سنة ثمانٍ وثمانين وسبعمائة، وبعد قتله، أشعر أمير الحاج الماردييني عناناً بولايته لإمركة مكة، عوض المذكور، ودخل مع الترك، وعليهم السلاح، حتى انتهوا إلى أجياد،

فحاربهم فيه بعض جماعة محمد بن أحمد ثم ولَّوا، ونودي لعنان في البلد بالولاية، وأُلبس الخلعة السلطانية بذلك، في مستهل الحجة، ثم قرئ توقيعه على قبة زمزم، وكتاب السلطان بولايته، وإلزام بني حسن من الأشراف والقواد بطاعته، وقام بخدمة الحاج حتى رحلوا، وتوجه بعد سير الحاج بمدة يسيرة، إلى جدة، فقرر أمرها ورتب بها نائباً، محمد ابن عجلان، لملايمته له من السجن، وتوحشه من كبيش، بسبب قيامه في كحله، واستدنى جماعة كثيرة من عبيد أحمد، فأحسن إليهم، وقال لهم :أنا عوضكم في مولاكم وابن مولاكم، فأظهروا له الرضا عنه، وجعلهم بجدة، وجعل بها محمد بركتي– وهو ابن مولى أبيه مغامس –عيناً له على محمد، ومن معه من آل عجلان، فوقع من محمد بن عجلان، ما أنكره عليه محمد بن بركتي، وأنهى ذلك عنه إلى عنان فكتب عنان إلى محمد بن عجلان يزجره، فغضب محمد، وأرسل إلى كبيش ومن معه من آل عجلان وغيرهم، يستدعيهم إليه، فقدموا إليه، واستولوا على جدة، وما فيها من أموال الكارم، وغلال المصريين، من أهل الدولة بمصر، وكان ذلك شيئاً عظيماً جداً، ومال إليهم للطمع، جماعة من أصحاب عنان، ولم يستطع عنان الخروج إليهم، واحتاج، وأخذ بمكة ما كان في بيت شمس الدين مبن جن النبئر، وكيل الأمير جركس الخليلي، أمير آخور الملكي الظاهري، وأحد خواص السلطان، من الغلال والقماش والسكر وغير ذلك، وكان شيئاً كثيراً، وأعطى ذلك لبني حسن وغيرهم ...به حال عنان، وكان الذين مع عنان يختلفون عليه، فأرضى أحمد ابن ثقبة عقيل بن مبارك، بإشراكهما معه في الإمرة بمكة، وبعد المغرب على زمزم، ولكل منهما طبلخانه وعلمانه، ثم أشرك معه في الإمرة والدعاء، علي بن مبارك، لما أتاه منافراً لآل عجلان، وبلغ ذلك– مع ما اتفق بجدة ومكة من النهب –السلطان بمصر،

فعزل عناناً، وولى علي بن عجلان إمرة مكة عوضه، وامتنع أصحاب عنان من تسليم البلد لعلي، فتابعهم عنان على ذلك، والتقوا مع أصحاب عليّ بالأبطح، عند ثنية أذاخر، فقتل كبيش وغيره من آل عجلان ومن جماعتهم، وولوا راجعين إلى منازلهم بالوادي([382])، فأجار عنان من اللحاق بهم، ودخل هو وأصحابه مكة مسرورين بالنصر، بعد أن كاد يتم عليهم الغلب .وكان من أسباب نصرهم، أنهم عاجلوا آل عجلان بالقتال، قبل وصول بقيتهم إلى الأبطح، وعدم ظهور عنان وقت الحرب، لإشارة بعض خواصه عليه بذلك، لظنه أن آل عجلان يجتهدون في حربه، إذا ظهر لهم .وقُتل من جماعة عنان، شريف يقال له فياش، وخمسة من أهل مكة، وذلك يوم السبت سلخ شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة، وفتحت الكعبة لعنان وأصحابه، لما انتهوا إلى المسجد، فدخلها جماعة منهم، وأقاموا بمكة إلى أن أطل الحجاج المصريون على دخول ك، ثم فارقوها، وقصدوا الزيمة بوادي نخلة اليمانية، وتخلف عنان لما بلغه من تقرير السلطان له في نصف الإمرة بمكة، شريكاً لعلي بن عجلان، بشرط حضور عنان لخدمة المحمل، وبرز للقائه حتى كاد يصل إليه، فبلغه أن آل عجلان، يريدونه بسوءٍ عند لقائه، وتبع أصحابه إلى الزيمة، فأتاهم إليها علي بن عجلان في طائفة من جماعته ومن الترك، فقتلوا بعض الأشراف وغيرهم، وعادوا ظافرين بخيل ودروع، لأنهم لما وافوا الزيمة، كان الأشراف في غفلة عنهم، وفي تعب من قتالهم لقافلة بجيلة، فأعرضوا عن قتال عليّ ومن معه، وبعد الموسم نزل عنا وأصحابه وادي مر، واستولوا عليه وعلى جدة، وحصل في طريقها وغيرها من

فكتب إليه السلطان يقول له :أنت على ولايتك، فافعل ما تقدر عليه، فسار في أثناء سنة وتسعين وسبعمائة، وهو حنق عليهم، إلى مصر، وما وجد بها الإقبال الذي كان يعهده، وأقام بها مطلقاً، إلى أن زالت دولة الملك الظاهر، وصار الأمر لمن كان قبله، وهو الصالح حاجي بن الأشرف شعبان، ولمدبر دولته الأمير يلبغا الناصري، فسعى له عنده في عودة لولاية مكة، فأجيب لقصده، ووعد بإلباس خلعة الولاية، في يوم عين له، فلم يتم له الأمر، لأنه في ذلك

اليوم، ثار على الناصري أمير يقال له تُمُرْبُغَا الأفضلي، ويلقب منطاش، وما كان غير قليل، حتى قبض على الناصري، ونحو أربعين أميراً من أصحابه .وبعد قيام منطاش بقليل، قدم إلى مصر محمد بن عجلان، فسعى عند منطاش في حبس عنان، فأجيب، في النصف الثاني من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، ثم خلصوا هم وعنان، وصورة خلاصهم، أنهم نقبوا نقباً من الموضع الذي كانوا مسجونين فيه من القلعة، فوجدوا فيه سرباً، فمشوا فيه حتى انتهوا إلى موضع آخر فنقبوه، فخرجوا منه إلى محل سكن نائب القلعة، فصاحوا على من بها، وهم غافلون ليلاً، فأدهشوهم، وكانوا في قلة، لخروج منطاش وغالب العسكر إلى الشام لقتال اظلاهر، فإنه ظهر بالشام، واجتمع إليه ناس كثير، والتقى بشقحب، مع العسكر الذي فيه الصالح ومنطاش، فتم النصر للظاهر، وقبض على الصالح وغيره، وفر منطاش غ دمشق هارباً، فتحصن بها .وكان سبب إطلاق الظاهر، أن الناصري حين أحسَّ بظهور منطاش عليه، كتب كتاباً إلى نائب قلعة الكرك، يأمره بإطلاق الظاهر، فأطلقه؛ وكان من أمره ما ذكرناه، وكان من أمر مماليكه الاذين ثاروا بالقلعة، أنهم استولوا عليها لعجز أصحاب منطاش عن مقاومتهم، وبعثوا لبشارته عنان، فلما عرف السلطان ذلك، أقبل إلى مصر، وأعرض عن حصار منطاش بدمشق .وبعد استقرار السلطان بالقلعة، وهو بطا الدوادار، لعنان، في ولاية مكة، فأجابه السلطان لسؤاله، ولكن أقر علي ابن عجلان على ولاية نصف إمرة مكة، شريكاً لعنان، لما في نفسه على عنان، وتجهز عنان إلى مكة، ومعه شخص تركي من جهة السلطان، ليقلده الولاية بمكة، فلما انتهى عنان إلى ينبع، حسن له وبير بن مخبار أمير ينبع، أن يحارب معه بني إبراهيم، ووعده بشيء على ذلك، فمال إلى ذلك عنان، وحارب مع وبير، بني إبراهيم، فظهروا على بني إبراهيم([383])، ثم توجه عنان إلى مكة، وتلقاه كثير من بني حسن، قبل وصوله إلى الوادي، ثم مشى الناس في الألفة بينه وبين آل عجلان، فمال كل منهم إلى ذلك، فتوافقوا على أن كلاً منهما، يدخل مكة لحاجته، فإذا قضاها خرج من مكة، ولكل منهما فيها نواب، بعضهم لقبض ما يخص كلاً منهما من المتحصل، وبعضهم للحكم بها، وأن يكون القواد مع عنان والأشراف مع عليّ، وكان الاتفاق على ذلك، ووصوله إلى الوادي في

النصف الأول من شعبان سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة .وقبل نصفه بيومين، دخل عنان مكة لابساً لخلعة السلطان، وقرئ بها توقيعه، ثم دعي له على زمزم وفي الخطبة، ودام هذا بين المذكورين، إلى الرابع والعشرين من صفر سنة أربع وتسعين وسبعمائة، ثم أزيل شعار ولاية عنان من مكة، غير الدعاء له في الخطبة، فإنه لم يزل، وسبب ذلك، أن آل عجلان، قطعوا الدعاء له على زمزم بعد المغرب، وأخرجوا نوابة من مكة، بعد أن هموا بقتله بالمسعى، في التاريخ المذكور، وما نجا إلا بجهد عظيم، وقصد في حال هربه الأشراف، مستنصراً بهم على آل عجلان، وكانوا معه، فأمره الأشراف بالانتصار بالقواد أصحابه، فحركهم لنصره، فما تحركوا، لأنهم رأوا منه قبل ذلك تقصيراً، وسبب ذلك أن بعض آل عجلان، أحب تكدير خاطر القواد عليه، ليتمكن منه آل عجلان، وقال لعنان :أرى القواد جفاة، ونحن نعينك عليهم، فظن ذلك حقيقة، وفعل ما أشير به عليه، فتأثر منه القواد، وحكوا ما رأوا منه لأصحابه من آل عجلان، فذموه معهم، ونفروهم منه، فازدادوا نفواً، ولذلك تخلوا عن نصره([384])، حين سألهم ذلك .وبعد مفارقته لمكة على الوجه المذكور، اجتمع به علي بن عجلان، ومحمد ابن محمود، وكان علي لا يفصل أمراً دون ابن محمود، واعتذر إليه بعدم العلم بتجري غلمانهم عليه، وكان في مدة ولايته مغلوباً مع أصحابه، وكذاك علي مع أصحابه، وحصل بسبب ذلك ضرر على السفار إلى مكة، وأُنْهِيَ هذا الحال إليه السلطان، فاستدعى عناناً وعلياً مع جماعة من أعيان الأشراف والقواد، فأعرضوا عن الوصول لباب السلطان، غير علي وعنان، فإنهما لم يجدا بداً من ذلك، وبعد وصول هذا الاستدعاء، تحرك لنصر عنان بعض الأشراف، الذين مع عليّ بن عجلان، وألزموه بإخلاء مكة من العبيد وأتباعهم، حتى يدخل إليها عنان، ليتجهز منها لسفره، فإذا تم جهازه، خرج وعادوا إليها، فما وسع علي إلا الموافقة، فخرج المشار إليهم إلى منى، ودخل عنان مكة، وأقام بها حتى انقضى جهازه، ثم توجه إلى مصر في جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين، وتلاه علي إليها، وحضر إلى السلطان غير مرة، ففوض إمرة مكة لعليّ بمفرده، وأمر عناناً بالإقامة بمصر، ورتب له شيئاً يصرفه، ولم يسجنه .ثم إن بعض بني حسين أهل المدينة([385])، وشى به إلى

السلطان، وقال له :إنه يردي الهرب إلى مكة يفسد بها، وأنه أعد نجباً لذلك، فسجنه السلطان ببرج في القلعة، في أثناء سنة خمس وتسعين وسبعمائة، واستمر به إلى أن أنفذه السلطان إلى الإسكندرية، في آخر سنة تسع وتسعين وسبعمائة، مع جماز بن هبة الحسيني صاحب المدينة، وكان قبض عليه في هذه السنة، بإثر وصوله إلى مصر، وبعث السلطان معهما إلى الإسكندرية، علي بن المبارك بن رميثة وولديه، وسجن الجميع بالإسكندرية، إلى أن الناصر فرج، شفع لهم بعض الناس في إطلاقهم بالإسكندرية، ومنعهم من الخروج من أبوابها، فتم لهم ذلك، ثم تكرر سجنهم وإطلاقهم بالإسكندرية على الصفة المذكورة، ثم نقل عنان إلى مصر في آخر سنة أربع وثمانمائة، أو في أول التي بعدها، بسَعْي القاضي برهان الدين إبراهيم بن عمر، تاجر الخواص الشريفة السلطانية، لتغيره على صاحب مكة، الشريف حسن بن عجلان، لما أخذه من الذهب الكثير، من ولده القاضي شهاب الدين أحمد، لما انكسر المركب الذي كان فيه، وهو إذ ذاك متوجهاً إلى اليمن، وقصد المحلي بإطلاق عنان، إخافة السيد حسن، كي يرد عليه المال، أو ما أمكن منه، ونوه لعنان بولاية مكة، فما قدر ذلك، لمعاجلة المنية عناناً، وسبب موته، أنه حصل له مرض خطر، يقتضي إبطال بعض جسده، فعولج من ذلك بإضجاعه بمحل فيه أثر النار، حتى يخلص ذلك أعضائه فيقويها، وكان أثر النار الذي أضجعوه عليه، شديد القوة فأحرقه فمات، يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الأول، وقيل ثانيه، سنة خمس وثمانمائة، عن ثلاث وستين سنة .وكان كثير الشجاعة والكرم، عالي الهمة، قليل الحظ في الإمرة، وأما في بيت روحه، فسعده في ذلك عظيم، وخلف ولدين نجيبين، أحدهما السيد محمد، توفي بينبع في النصف الثاني من ذي القعدة، سنة ست وثمانمائة، قافلاً إلى مكة، باستدعاء السيد حسن صاحب مكة، والآخر السيد عليّ، وهو بقيد الحياة([386])، وله اعتبار كبير بين قومه.

ومن محاسن أبيه، أنه سمح لبني شيبة، سدنة الكعبة المعظمة، ما كان يأخذه منهم أمراء مكة قبله، وذلك جانب كبير من كسوتها، في كل سنة، أو خمسة آلاف درهم عوضاً عن ذلك،

مع ستارة الباب، وثوب مقام إبراهيم عليه السلام .ومما سمح به لبعض الشعراء، وهو الجمال محمد بن حسن بن العليف، ثلاثون ألف درهم، جزاء على قصيدة مدحه بها، أولها) :بروج زاهرات أو مغاني.(

وترجم له السخاوي([387])، بما لم يشذ كثيراً عما تقدم .بل هو منقول عن مصدرنا عدا شذرات يسيرة، وذكر ترجمة الفاسي هذه، وترجمة المقريزي.

أما بقية مؤرخي مكة فعن الفاسي ينقلون .والله أعلم.

–50الشريف علي بن مبارك بن رميثة بن أبي نمي محمد، وبقية النسب تقدم .ت 815)هـ1412/م :(

ترجمة له التقي الفاسي، فقال :([388])كان يأمل إمرة مكة، وقوي رجاؤه لها، لما انحرف الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق صاحب مصر، على صاحب مكة الشريف حسن بن عجلان، ورسم بالقبض عليه وعلى ولديه، وندب لذلك الأمير بيسق، مع بيسق، فيما ندب إليه، ليتألف له بني حسن لا ينفروا منه، وبعث عليّ المذكور إلى الإسكندرية، على أنه يعتقل بها، فإذا خرج الحاج من مصر إلى مكة، طُلب علي وجُهز إلى مكة، بحيث يدرك أمير الحاج قبل وصوله إلى مكة .وكان إرساله إلى الإسكندرية ليبلغ ذلك صاحب مكة فلا ينفر منها، وتتم عليه المكيدة، فوقاه الله السوء، وعطف عليه قلب صاحب مصر، فبعث إليه وإلى ولديه بالتشاريف، والعهد ببقائهم على ولاياتهم، وإلى أمير الحاج بالكف عن حربهم، ورجع علي بن مبارك إلى مصر، وقصده أولاده من مكة، رجاء أن يتم له أمر، فأدركه الحمام دون المرام، في آخر سنة خمس عشرة وثمانمائة، وهو معتقل بقلعة الجبل .([389])وكان اعتقاله في هذه السنة، بإشارة الملك المؤيد أبي النصر شيخ، قبل توليته الملك، وكان علي المذكور في

سنة تسع وثمانين وسبعمائة، لايم آل عجلان وأعطوه نصف ما تحصل فيها، ليصرفه على جماعته، ثم خُوِّف منهم، ففر إلى عنان وأصحابه بمكة، وأشركه عنان في إمرة مكة، وصار له ولأخيه عقيل بن مبارك نصف البلاد، ولعنان وأحمد بن ثقبة النصف، وكان عنان قبل وصول علي إليه، جعل مكة أثلاثاً، بينه وبين عقيل وابن ثقبة، فلما أشرك معهم علياً، صار يدعى لأربعة على زمزم، وفي خطبة الصغار في رمضان، وأما في خطبة الجمعة، فلا يدعى إلا لعنان، لأن الخطيب بمكة، لم يوافق على الدعاء لغيره، وحضر علي بن مبارك حصار مكة في دولة علي بن عجلان، سنة سبع وتسعين وسبعمائة، ثم توجه بعد انقضاء الحصار إلى مصر في هذه السنة، فاعتُقل بها، ثم نقل إلى الإسكندرية فاعتقل بها، ثم أطلق فيها، ثم أذن له في القدوم إلى مصر، فقدمها وأقام بها حتى مات، خلا المدة التي بعث فيها إلى الإسكندرية، للمكيدة المقدم ذكرها.

وذكره السخاوي) في مادته (مختصراً عن مرجعنا هذا .ولعليّ هذا ذرية اليوم يدعون »العَرَادات «يقطنون الليث، فيما أخبرني الشريف عبد الله بن محمد المجاشي.

قلت :وكان لعلي بن مبارك ابن اسمه) مَيْلب (فقد يكون العَرَاءات من ذريته .وكان لميلب هذا دور في عهد الحسن بن عجلان.

–51الشريف عقيل بن مبارك بن رميثة، المتقدم 825 –) هـ 1421– /م :(

قال السخاوي :([390])كان من أعيان الأشراف، بل جعله عمه عنان بن مغامس شريكاً له في إمرة مكة، وبقي على ذلك أشهراً يدعى له في الخطبة وعلى زمزم بعد المغرب .مات في سنة825) هـ (بعد أن أضر) عمي (وربما تغير عقله) .نقلاً عن العقد الثمين.(

وهذا مختصر ما في العقد، وفي العقد أيضاً :([391])إن إشراك عمه إياه كان سنة تسع وثمانين وسبعمائة، وهي ولاية عنان الأولى .وهكذا نرى أن وفاته كانت بعد ولايته بست وثلاثين سنة .ولم أسمع له بذرية اليوم.

-52الشريف الحسن بن عَجلان بن ر بن أبي نمي محمد .يلقب بدر الدين .أمير مكة ونائب السلطنة بالحجاز .

(775-829 هـ1425-1373/م)

يكاد يكون السيد حسن هذا أقوى من حكم الحجاز، وأكثرهم أموالاً، وإنفاقاً في وجوه البر . كانت له أوليات تفرد بها عمن سبقه من ملوك الحجاز، منها :

-1إنه أول من دوَّن المؤرخون تأريخ ولادته، من بين أسلافه.

-2أول من عين نائباً للسلطنة المملوكية في الحجاز.

-3وسع ملكه فضم مخلاف حلي([392])، وتوسع في الشرق، فتكونت له نفس المنطقة المعروفة اليوم بمنطقة مكة، بالإضافة إلى منطقة المدينة وبلاد غامد وزهران، وبلاد البقوم.

-4أول من أوقف المدارس والأبربطة والعيون من أمراء مكة على وجوه الخير.

-5أول من سمى ولده) بركات (من الأشراف، فتابعه قومه في ذلك إلى اليوم.

وله مناقب وفضائل عديدة.

ترجم له تقي الدين الفاسي ترجمة مطولة كادت تكون كتاباً، وذلك لمعاصرته إياه، فهو يروي عنه بلا واسطة، فيقول :وأنا أسمع.

ومع محاولتي اختصارها إلا إن فائدة كل فقرة فيها حدَّت من سطوة المختصر، وها هي أمامك على طول فيها.([393])

ولي إمرة مكة من غير شريك، أحد عشرة سنة وتسعة أشهر وأياماً يسيرة، وهي ستة أيام، وليها سنة وسبعة أشهر، بتقديم السين، شريكاً لابنه السيد بركات، وهو الساعي له في ذلك، وولي نيابة السلطنة سبع سنين إلا شهراً وأياماً، وولي ابنه السيد أحمد عوضه نصف الإمرة الذي كان بيده، قبل أن يلي نيابة السلطنة .وما ذكرناه في مدة ولايته لإمرة مكة، مستقلاً وشريكاً لولده بركات، هو باعتبار تاريخ الولاية بمصر، لا باعتبار وصول الخبر بذلك إلى مكة . وكذلك ما ذكرناه في مدة ولايسته لنيسابة السلطنة، هو باعتبار تاريخ الولاية والعزل، لا باعتبار بلوغ الخبر بما إلى مكة، فتكون ولايته على مكة أميراً ونائباً للسلطنة، عشرين سنة وثلاثة أشهر إلا أربعة أيام، وربما زاد ذلك أياماً قليلة وبعض أيام قليلة، وسنوضح ذلك أكثر من هذا وغيره م خبره .وذلك أنه ولد في سنة خمس وسبعين وسبعمائة تقريباً، ونشأ في كفالة أخيه أحمد مع أخيه علي بن عجلان أمير مكة، حتى مات أحمد .ويقال :إن أحمد استولى على ذهب جيد تركه عجلان لابنيه حسن وعلي، ولأخ لهما شقيق لعلي، ولاءم المذكوران كبيبشاً بعد قتل محمد بن أحمد بن عجلان، ثم سافر حسن بعد الحج من سنة تسع وثمانين وسبعمائة إلى مصر، لتأييد أمر أخيه عليّ في إمرة مكة، فإنه ولي إمرتها في أثناء سنة تسع وثمانين وسبعمائة، عوض عنان، وما تمكن من دخولها، ثم ولي نصف إمرتها شريكاً لعنان بلعد أن حضر إلى السلطان بمصر في النصف الأخي من رمضان من هذه السنة.

ووصل مع الحاج في هذه السنة، ودخل مكة في أول ذي الحجة بعد مفارقة عنان وأصحابه مكة، وعاد حسن إلى مكة، ومعه جماعة من الترك، لتأييد أخيه علي، ثم حصل بن مقدمهم وبين حسن منافرة بالمروة، فقال المقدم– وأنا أسمع –لحسن :أنت صغير، فسمعت حسناً يقول له :إن كنت عندك صغيراً، فأنا عند الله كبير، فاستدللت بذلك على تيقظه .وكان وصوله بهذا العسكر في ربيع الآخر أو جمادى الأولى من سنة تسعين وسبعمائة .وكان ملائماً لأخيه علي في غالب مدة ولايته، وأخوه مكرم له، وما ظهر بينهما منافرة فاحشة، إلا في وقتين، بأن فيهما حسن عن عليّ، وغغزا في كلا الوقتين أخاه بمكة، فدخلها في المرة الأولى هجماً في جماعة من أصحابه، وخرجوا منها من فورهم، وقتل بعضهم شخصاً يقال له بحر، وذلك في أول سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة .والغزوة الأخرى في سنة سبع وتسعين وسبعمائة، في جمادى الآخرة منها .وأقام بمن معه من الأشراف وغيرهم في الزاهر أياماً، ثم رحلوا بغير قصد؛ لأن بعض أصحاب علي أمر بعض أصحاب حسن بالرحيل، فرحل وتلاه الباقون .وسافر حسن بعد ذلك إلى مصر راجياً لإمرة مكة، فحضر عند الملك الظاهر صاحب مصر بالقلعة غير مرة، ثم اعتقل بقلعة الجبل في شهر رمضان من السنة المذكورة.

ووصل كتاب السلطان إلى علي يخبره بذلك، ويأمره فيه بالعدل مع خلعة، فلبسها وقرأ الكتاب بالمسجد الحرام، في سلخ رمضان، وبعد جمعة استشهد علي، وذلك في سابع شوال من السنة المذكورة .وبلغ قتله السلطان في تاسع ذي القعدة من السنة المذكورة، فأطلق حسناً، وولاه عوض أخيه إمرة مكة، وجعل إلى الأمير يَلْبُغا السالمي تقليد حسن للإمرة، وكان يظن أنه يدرك الحج، فما قدر ذلك.

ووصل الخبر بولايته إلى مكة، في أثناء العشر الأخير من ذي القعدة، وكان بالبلد من حين قتل علي .ووقع في هذا الموسم فتنة في يوم التروية، نهبت فيها للحاج أموال كثيرة، وطمع

الحرامية في الحجاج، فنهبوهم بطريق عرفة، وكان معظم النهب بالمأزمين، مأزمي عرفة([394])، ويسميها أهل مكة المضيق، ورحل الحاج إليها بأيام، نحو نصف شهر، وتوجه معه بجماعة من الترك، قيل إنهم مائة وثلاثون، وقيل سبعون، ومعه من الخيل تسعون– بتقديم التاء –وغير ذلك مما يحتاج إليه ويتجمل به .ولما انتهى إلى ينبع طالب أميرها وُبَيْر بن مخبار، بما أنعم به عليه السلطان عنده؛ لأن السلطان كان بعث قمحاً للبيع غ ينبع، فاستولى عليه وبير، ثم أنعم به السلطان على السيد حسن .توقف وبير تسليم ذلك إليه، فأمر حسن غلمانه بلبس السلاح والتهيؤ للقتال .فلما عرف لك وبير أرضاه بخمسة وثلاثين ألف درهم، ورحل عنه حسن إلى مكة، وأمر أخاه محمد وأصحابه بلقائه، فاجتمعوا قريباً من ثنية عسفان أو السُّوَيق .([395])وكان الأشراف لما سمعوا بإقبال حسن إلى مكة، وخروج محمد ومن معه منها للقائه، رحلوا من عسفان إلى غُران إلى شق طريق الماشي، فطلب حسن الأشراف يوماً وليلة، فلم يلحقهم لارتفاعهم في الحرار، وأمر علي بن كبيش، أن يخرج من مكة بجماعة من أهلها إلى خيف بني شَديد، ليقطعوا بها نخيلاً للأشراف، ففعل ذلك، ثم أشير عليه بالإعراض عن ذلك، فترك وانتهى إلى بئر شميس ([396])وأقام بها عشراً، ثم دخل مكة في يوم السبت الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة، فلبس الخلعة، وقرئ عهده بالولاية وطاف بالبيت، وأقام بها إلى أثناء ليلة الأحد، وخرج ومن معه إلى بئر شميس(3)، ثم انتقل منها في النصف الثاني من جمادى الآخرة من السنة المذكورة، إلى العد ([397])وكان الأشراف قد أقاموا به نحو خمسة وعشرين يوماً بمعاونة الحميضات، ثم رحلوا منه إلى جهة اليمن .وأمر في النصف الثاني منة رجب بقطع نخيل الفائجة والبريقة بخيف بني شديد([398])، وكلاهما لبعض الأشراف .وكانوا قد اجتمعوا بدريب ([399])بن أحد بن عيسى صاحب حلي، وخوفهم من حسن مرورهم عليه إلى وادي مر، فذكروا له أنه لا قدرة له عليهم، ووقع كلامه في قلوبهم، لأنهم لما قربوا من الموضع الذي حسنٌ فيه مقيم، أرسلوا يطلبون الجيرة من بعض أصحابه في حال مرورهم، وأوهموا رسولهم أنهم لا يمرون حتى يعود عليهم بالخبر، وقصدوا بذلك ان يتثبط عنهم أصحاب حسن .فلما كان الليل، مروا

وأصحاب حسن لا يشعرون حتى انتهوا إلى الوادي .وتأثر لذلك حسن وأصحابه، وتحركوا للأخذ بثأر علي بن عجلان .وكان محمد بن محمود ممن انتصب لذلك لحسن سياسته، فتكلم مع القواد في ذلك فأجابوه لما طلب، لظنهم أنه لا لايتم ذلك على عادة بني حسن في التثبط عن القتال بالجيرة في كل يوم، فيمل الطالب للقتال ويصالح المطلوب، فجاء القدر بخلاف ذلك؛ لأن الفريقين لما التقيا، وبادر الأشراف إلى الحرب، لاستخفافهم بالقواد، وكانوا عرفوا بمكان القواد العِمرة، فحملوا عليهم حملة منكرة، زالت بها القواد عن أماكنهم، وكادوا ينهزمون، فعطف الحميضات والسيد حسن، وكان في القلب، ومن جمع لهذا الحرب، على الأشراف فانكسروا، وقتل من سراة الأشراف سبعة، ومن أتباعهم نحو ثلاثين، وما قتل من أصحاب حسن فيما قيل غير مملوك وعبد .وكان معه ألف رجل ومائتا رجل من الترك والعبيد والمولدين، وأهل مكة والأعراب، وأجار على حلة الأشراف من النهب فسلمت، وقصدوا جهة الهدة، وأقام بالجديد، حتى أتى الموسم .واستفحل أمره بعد هذه الوقعة، وكانت بمكان يقال له الزبارة([400])، بوادي مر، قريباً من أبي عروة، في الرابع والعشرين من شوال من السنة المذكورة، وقيل في هذا التاريخ في شهر رمضان، وما أتى إلى جدة في هذه السنة من تجار رمضان، وما أتى إلى جدة في هذه السنة من تجار اليمن غير قليل، ومضى أكثرهم إلى ينبع، وكان مقدمهم القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن القاضي نور الدين علي بن يحيى ابن جُميع؛ لأنهم أتوا إلى جدة أيام الحرب المذكور، فعدلوا عنها إلى ينبع .ولما عادوا منها في سنة تسع وتسعين وسبعمائة، تعرض لهم السيد حسن، لأخذ الجبا ([401])منهم، فراضوه في ذلك بعد أن أسقط عنهم الثلث منه، وذبح بعض غلمانه رجلاً يقال له محمد ابن جماز، ويعرف بابن أبي داعس، من غلمان الأشراف، لتحسينه لابن جميع المرور على جدة .والذي حمله على ذلك، أن نفسه لم تطِب بأن يحصل لحسن نفع من التجار .وكان جماعة من التجار واصلين من اليمن لقصد ينبع، فلما سمعوا بذبح المذكور، وبإسقاط حسن لثلث الجبا (2)عمن تقدم، دخلوا إلى جدة، وعني حسن بحفظ الواصلين إلى من اليمن في توجههم إلى مكة، وفي عودهم منها إلى جدة، فعادوا حامدين له، ونال منهم نفعاً جيداً تجمل به حاله .وما زال

يزداد جمالاً في حاله، وهيبته تغظم في القلوب؛ لأن صاحب مصر بعث إليه بخلعتين في هذه السنة، وذهب، لشكره له على قتل أعدائه .ووصل ذلك إليه على طريق سواكن، لخوف قصاده من صاحب ينبع .وكان وصول ذلك إليه في آخر جمادى الآخرة من سنة تسع وتسعين وسبعمائة.

وفيها، قبل ذلك، في ربيع الآخر، غزا بعض بني شعبة، فأخذ منهم ثلاثمائة بعير وغير ذلك.

وفيها أخرج الأشراف من جدة، وكانوا نزلوها في شهر رجب بمعونة القواد الحميضات([402])، لغضبهم على حسن، واستمالهم بالإحسان، حتى ساعده على إخراجهم من جدة وتبعهم إلى عسفان، فهربوا إلى خليص، فتبعهم فهربوا أيضاً، فرجع عنهم وتوصلوا بغير حريم إلى الخيف، فأجارهم بعض القواد إلى انقضاء السنة، وسكنوا الخيف وما جسروا على فعل ما يخالف هواه، إلى ذي القعدة من السنة المذكورة .وفيها قصدوا نخلة، وتكلَّموات مع أهلها في أن يمكنوهم من إنزال أهلهم بنخلة .وكان الذي حركهم على ذلك الطمع في التجار الواصلين إلى جدة في هذه السنة .وكان الواصل منهم كثيراً في هذه السنة .وبلغ الشريف خبرهم، فأشار إلى هذيل بأن لا يجيبوا الأشراف لقصدهم، أحسن لهذيل بشيء من المال، والتزم للأشراف بخمسين ألف درهم، على أن لا يخالف عليهم ولا يخالفون عليه، إلى انقضاء السنة، وانقضاء شهر المحرم بعدها، وقدم التجار إلى مكة، وسافروا منها في المحرم من سنة ثمانمائة في قافلتين، كل قافلة أزيد من ألف جمل، وصحبهم بالحراسة حتى ركبوا إلى بلادهم، وأعطى الأشراف ما التزم لهم به، وصالحهم في ربيع الأول فيما أحسب، من سنة ثمانمائة إلى انقضاء سنة ثمانمائة، والتزم لهم على ذلك تسعين ألف درهم .فلما كان قبل يوم التروية بليلة أو ليليتين، توجه حسن بأمراء الحاج كلهم، وجماعة من الترك والمغاربة، إلى وادي مر، لقصد الأشراف بسبب سوء بلغه عنهم، فيما قيل، فانهزموا إلى الهدة، وما ظفروا إلا بأحمد بن فياض بن أبي سويد، فقتل، وعادوا إلى مكة.

وفي آخر سنة ثمانمائة قبيل الموسم، كحل بعض غلمان ذوي عمر، لتنجيله ([403])بعض الجلاب ([404])قبل بلوغها ساحل جدة، وحصل من ذلك رعب في قلوب بني حسن، وما جسر أحد على أن ينجل قبل جدة، إلا في الوقت الذي أذن فيه حسن، وهو هلال ذي الحجة، وما قرب منه بأيام يسيرة.

وفي هذه السنة، حج من اليمن في البر ناس كثير، مع محمل أنفذه الملك الأشرف صاحب اليمن، وعليهم أمير من جهته، وعضدهم محمد بن عجلان، أخو حسن، وكان قدم اليمن في هذه السنة، وناله بر طائل من الأشراف، وأصاب الحجاج هؤلاء في إقبالهم إلى مكة بالقرب منها، عطش عظيم هلك فيه فيما قيل ألف نفس، وتوجه المحمل في ثقاني عشري ذي الحجة من السنة المذكورة .وكان قد انقطع المحمل من اليمن من سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة.

وفي سنة إحدى وثمانمائة، تغير القواد الحميضات عليه، لطمعهم فيما حصله من الخيل والدروع، وما ظفروا منه بقصد، لأنه لما ظهر ذلك منهم، وصل إليه في جمادى الآخرة من السنة المذكورة ثلاثة نجابة، وأخبروا أن الأمير بيسق أمير الحاج في سنة تسع وتسعين وسبعمائة، وصل إلى مكة في جماعة من الترك، وأنه يتوجه في سنة إحدى وثمانمائة .ووصل إليه مع النجابة ([405])المخبرين بذلك، خلعتان من قبل السلطان، فلبسهما وقرئ كتاب السلطان بالمسجد الحرام، فتخوف الحميضات منه، ومن الترك الواصلين إلى مكة، وسافروا إلى الشرق قبل وصول الخبر بدنو الترك من مكة بيوم، وذلك في أول العشر الأخير من شعبان.

وفي ثالث عشري شعبان، وصل الأمير بيسق ومعه خمسون فرساً ومائة مملوك وغيرهم من الفقهاء، وغيرهم لقصد العمرة والحج .وكان شميلة بن محمد بن حازم([406])، أحد أعيان الأشراف، لاقى الأمير بالطريق، فخلع عليه وأعطاه دراهم، وحمل دقيق وحلوى، وأمره أن

يأتيه بأصحابه، ليصلح بينهم وبين السيد حسن، فأجابه إلى ذلك، وبعد مفارقته له، قصد الأمير حلة الأشراف، وكانوا قريباً منه بأم الدمن([407])، فما وجد لهم أثراً لفرارهم قبل وصوله إلى حلتهم .وكان السيد حسن، قد لقي الأمير بقاع ابن غزى، ووصل إلى مكة بعد وصوله، وخلع الأمير عليه وعلى محمد بن محمود، وعلي بن كبيش، ومكّن حسن أهل مكة من لبس السلاح، وكان الأمير قد منعهم من ذلك .

ونقص سعر الذهب عما قرره الأمير في قيمته، لشكوى الناس إليه ذلك .وكان منع من الدعاء لصاحب اليمن بعد المغرب على زمزم، فنهاه السيد حسن عن ذلك، ومكّن من الدعاء لصاحب اليمن على العادة.

وفي شهر رمضان من هذه السنة، غزا حسن عرباًَ يقال لهم البقوم([408])، فغنم منهم مائتي ناقة وبقرأص وغنماً، وعاد بذلك، وكان البقر والغنم قد وكل بحفظه إلى بعض غلمان ممن ليس فيه كبير قوة، فاستنقذ ذلك منهم المنهوبون، وقتلوا من غلمانه جار الهل ابن أبي سليمان، وتركياً، وفاتتهم الإبل.

وفي أول شوال منها، توجه إلى وادي الطائف، لأن الحمدة أهل الجبل حشموه في جيرته أهل الطائف، وهو مكان مخصوص من وادي الطائف، فاسترضاه الحمدة بثمانين ألف درهم، وخلى عن جرمهم، ونال مثل ذلك من بني موسى أهل لية، وهو مكان مشهور بقرب وادي الطائف، واستدعى آل بني النمر للحضور إليه فتوقفوا، فبذل له الحمدة أربعين الفاً على أن يسير معهم إلى آل بني النمر([409])، فسار معهم ,وهدم حصن آل بني النمر ,وحصل فيه نهب كثير، وقتل بعضهم، وقتل من جماعته مملوكان، وعاد إلى مكة في سادس شوال، ومعه أزيد من عشرين فرساً، فأهدى منها للأمير أربعاً، ثم راح إلى الوادي.

وفي ليلة ثاني عشر شوال، استدعى إليه من في خدمة الأمير من الترك، ومن بمكة من غلمانه من العبيد والمولدين، فذهبوا إليه إلى الوادي، ومضوا معه إلى الخيف، فقطعوا فيه ثمر نخيل ذوي راجح([410])، وقطعوا بالبرقة ([411])نخيلاً لبني أبي سويد، وقطعوا في الروضة الخضراء، نخيلاً للأشراف؛ لأنهم دخلوا على الحميضات بعد عودهم من الشرق، وحصل بينهم حميل([412])، فأدبهم السيد حسن بذلك ومضى الأشراف إلى ساية .فلما توجه الحاج من مكة في سنة إحدى وثمانمائة، بلغ الشريف حسناً أن القواد وغيرهم، طمعوا في أهل اليمن، فخرج في صحبتهم إلى جدة، ومعه الأمير بيسق في آخر ذي الحجة، وعاد إلى مكة بعد سفر اليمنة من جدة سالمين.

وفي أول شهر ربيع الأول سنن اثنتين وثمانمائة، توجه إلى الشرق، وأخذ من الطائف ولية القطعة التي رقررها عليهم، وعاد إلى مكة في الخامس من ربعي الآخر، وفيها اصطلح هو والأشراف آل أبي نمي مدة سنة([413])، وصاروا يدخلون مكة برفقة وبغير رفقة .وأظن ذلك اتفق بعد عوده من الشرق .والل أعلم.

وفي آخر جمادى الأولى منها، وصل إليه خلعة من صاحب مصر، فلبسها.

وفي هذه السنة حصل له من التجار الواصليثن من اليمن، نفع أزيد من العادة بكثير، لكثرة من وصل منهم في هذه السنة، وكانت مراكبهم تزيد على العشرة غير الجلاب، ووصلوا جدة في آخر رمضان، ومكة في شوال.

وفي سنة ثلاث وثمانمائة في ثاني صفر، توجه إلى المدينة النبوية زائراً لجده المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، على طريق الماشي، في مائتي راحلة ومائة جمل وستيتن فرساً وثلاثمائة رجل، وعاد إلى مكة في عاشر ربيع الأول.

وفيها ندب إلى مصر القائد سعد الدين جبروه، بهدية ولشراء مماليك ترك وغير ذلك من مصالحه، فوصل إليه في الموسم من هذه السنة بجماعة من الترك.

وفيها في ثاني شعبان توجه إلى الشرق، وأخذ من أهل الطائف ولية القطعة التي قررها عليهم.

وفيها وقف رباطه الذي أنشأ عمارته، وهو بالقرب من مدرسته، وما عرفته هذه المنقبة لغيره من أمراء مكة الأشراف.

وفي سنة أربع وثمانمائة في صفر، توجه إلى حلي، لأن كنانة استدعوه إليها عقيب فتنة، كانت بينهم وبين دريب بن أحمد بن عيسى صاحب حلي وجماعته.

وفيها قتل دريب في يوم عرفة من سنة ثلاث وثمانمائة .وكان الأشراف آل أبي نمي في خدمته، ومن انضم إليه من زبيد .وكان في خدمته حين توجه إلى حلي القواد العمرة والحميضات .وما مر في طريقه بأحد فيه قوة إلا وأمره بالمسير في خدمته بالظعن، وكان قد سار إليها بذلك .ولما دنا من حلي، خضع له موسى بن أحمد بن عيسى أخو دريب، وكان قد قام مقام أخيه؛ لأنه كان شريكه في حال حياته في ولاية حلي، ولكن السمعة لدريب . فلاطف موسى حسناً وأجاب إلى ما طلب حسن من الدروع والخيل والإبل وغير ذلك، وشرط على حسن أن لا ينزل الموضع المعروف بحلي، وأن يقصر دونهن، فما تم له قصد؛ لأن حسناً نزل المكان المذكور، وأقام به أياماً، وشق ذلك على بعض من كان في خدمته من القواد العمرة والحميضات، لالتزامهم لموسى عن حسن أنه لا يدخل حلي.

وبلغني أنه لما انتهى إلى حلي، عبأ من معه في عدة صفوف، وأن موسى أقبل إليه راجلاً يشق الصفوف، وهي تفرج له، حتى انتهى إلى حسن وهو راكب .وعاد حسن بعد ذلك بأيام إلى مكة، فانتهى إلى موضع بالقرب منها يقال له الأطوى([414])، في شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة، ثم دخل مكة بعد أيام من وصوله إلى الأطوى، وخلع عليه الأمير بيسق يوم دخوله إلى مكة، واحتفل بلقائه؛ لأنهم لما توجه لحلي استنابه في الحكم بمكة، ثم نقم عليه حسن بغض أوامره بمكة؛ لأن بيسقاً منع من الدعاء لصاحب اليمن على زمزم بعد المغرب، فأمر السيد حسن بالدعاء له، فأرسل مرسومين من صاحب مصر، في أحدهما أن لا يمنع الدعاء بمكة لسلطان اليمن، وفي الآخر، أن ليس لأحد من الأمراء الواصلين من مصر، في أوساط السنة على صاحب مكة السيد حسن يد ولا حكم، بل يعضدونه ويقوون كلمته ويعلون شأنه، وإن لم يسمع الأمير، وخالف وطلبكم القتال قاتلوه .وقرئ هذان المرسومان خلف المقام بحضرة قاضي مكة عز الدين النويري، وجماعة من أهل الحرم، في سلخ جمادى الأولى أو مستهل جمادى الثانية، ولم يكن الأمير بيسق– إذ ذاك –بمكة؛ لأنه توجه من مكة بقصد مصر وقت العصر، من اليوم التاسع والعشرين من جمادى الأولى.

وفي الليلة التي تلي هذا اليوم بعد المغرب، كان وصول أمر السيد حسن إلى مكة بالدعاء لصاحب المين مع قاصِدٍ من جهته، ومعه المرسومان، ثم تنافرا بعد ذلك؛ لأن الأمير بيسق، كان كتب شفاعات لنفسه، وذكر فيها أنه أزال من مكة المنكر، فأخذ ذلك منه السيد حسن، وأخذ منه قفل باب الكعبة ومفتاحه .وكان الأمير بيسق لما أخذ في باب الكعبة، وقت العصر من اليوم الثاني والعشرين من جمادى الأولى، وأعيد القفل القديم إلى الكعبة، وكان أمر بسد الشبابيك التي بالجانب الغربي، فأذن حسن في فتحها، وكان أمر بنقل السوق من المسعى إلى سوق الليل، فأمر حسن بإعادته إلى المسعى، وكان نقله إلى المسعى في عشر جمادى الآخرة، وعوده إلى المسعى في عاشر جمادى الآخرة، واتفق أن عوده كان بحضوره؛ لأنه كان عاد إلى مكة في ليلة رابع جمادى الآخرة، بعد أن بلغ كُلَيَّة، ثم افر منها في ليلة

الثامن والعشرين من جمادى الآخرة إلى مصر، وهو واجد على أهل مكة، وكانوا نقموا عليه إهانته لكثير منهم؛ لأنه رسم على القاضي الشافعي بمكة بغير موجب، وضرب بعض فقهاء الحرم وفرَّاشيه وغيرهم من أهل مكة.

ومما حمد عليه أمره لبوابي المسجد الحرام، بملازمة أبوابه وتنظيف الطرقات من الأوساخ والقمائم، ونقل الكُدى التي كانت بسوق الليل والمعلاة، وأن لا يحمل السلاح بمكة، وإخراج بنات الخطا والمخنثين وغيرهم من أهل الفساد من مكة.

وكان سبب إقامته بمكة، تولية لأمر عمارة المسجد الحرام؛ لأن في آخر شوال سنة اثنتين وثمانمائة، احترق منه الجانب الغربي، وبعض الجانب الشمالي، فقدم المذكور إلى مكة في موسم سنة ثلاث وثمانمائة، وأقام بها لأجل ذلك إلى التاريخ السابق، ووكل بباقي العمارة جماعة من غلمانه .وقد أوضحنا في كتابنا» شفاء الغرام «ومختصراته، خبر هذه العمارة وسببها أكثر من هذا.

وفي أول رجب من هذه السنة، وصل بعض الأشراف آل أبي نمي، وهم شميلة بن محمد بن حازم، وعلي بن سويد، وابن أخيه، إلى حسن، وسألوه في الصلح، فأجابهم إلى ذلك مدة سنة، ولم يذكر لهم أن القواد العمرة يدخلون معه في الصلح .ولما سمع بذلك القواد العمرة، شق ذلك عليهم، فذكر لهم أنه لم يدخلهم معه في الصلح، وإنما صالحهم عن نفسه وجماعته، فرضوا منه بذلك، وغُم بذلك الأشراف، فتجهزوا ورجعوا إلى أهلهم بحلي أو قربها.

وفيها، في أول شعبان، وصل إلى موسى صاحب حلي، فأعطاه ألف مثقال وعشرة أفراس، وأظنه جاء إليه مستنصراً به على كنانة([415])؛ لأنهم في جمادى الأولى، دخلوا حلي بالسيف ونهبوها، وهرب هو إلى آل أبي نمي إلى الطالعي.

وفيها في صفر، حصل له خمسة وستون ألف مثقال وأزيد، فيما قيل، من القاضي شهاب الدين أحمد ابن القاضي برهان الدين المحلي، وجماعة من تجار الكارم؛ لأن المركب الذي كانوا فيه انصلح بقرب مكة، فأعطوه هذا المقدار، عوضاً عن الربع الذي يأخذه ولاة البلاد، فيما ينصلح في بلادهم من الجلاب.

ولما بلغ ذلك القاضي برهان الدين املحلي اشتد غضبه عليه، وسعى في إرسال شخص من خواص السلطان بمصر، يطالبه بذلك، فوصل إليه في آخر رجب، وبلغ رسالته، فاعتذر بتفرق ذلك من يده، ووعد بالخلاص وماطل فيه.

وفي ليلة رابع عشر شوال منها، وصل إليه نجابه أحمد بن خليل الفراء، بخلعة وكتاب من صاحب مصر، فلبس الخلعة، وقرأ الكتاب بالمسجد الحرام، في رابع عشر شوال، ومما في الكتاب الوصية بالرعية .ولما دنا الموسم من السنة التي جرى فيها ذلك، تخوف حسن من لقائه الحاج المصري، لكثرة من فيه من الترك، فإنهم كانوا نحو مائتي نفر فيما قيل .وكانت خيلهم قليلة، وما خرج إليهم إلا بجمعٍ كثير جداً، فهالهم ذلك، وخلعوا عليه على العادة . ودخل مكة وخدم الحاج .وكان المحلي قد غلب على ظنه، أن حسناً لا يعيد إليه شيئاً من ذلك .فسعى في إحضار عنان بن مغامس ابن رميثة إلى مصر، فحضر إليها من الإسكندرية، وكان معتقلاً بها، ونوه له المحلي بولاية مكة، فاخترمت المنية عناناً قبل ذلك .ووصل نعيه إلى مكة في آخر ربيع الآخر من سنة خمس وثمانمائة، وكانت وفاته في أول الشهر الذي قبله.

وفي خامس عشر جمادى الآخرة سنة خمس وثمانمائة، وصل من مصر خلعة للسيد حسن مع نجابة أحمد بن خليل، ولبسها يوم السبت سادس عشر الشهر المذكور بالمسجد الحرام.

وفي آخر الشهر، وصل خادم من جهة السلطان، يقال له بلبل العلائي، مشد الحوش، وخلع على السيد حسن خلعة، وكان مقيماً بعرفة في هذا التاريخ وقبله بمدة.

وفي هذه السنة، أرضى المحلي بعشرة آلاف مثقال، التزم له بها ووعد بخلاصها في الموسم.

وفي هذه السنة أمر السيد حسن غلمانه بالاستيلاء على غلال أموال الأشراف آل أبي نمي.

وفي سنة ست وثمانمائة، قصده جماعة منهم لاستعطافه، وما شعر بهم إلا عند منزله، فعطف عليهم.

وفي سنة ست وثمانمائة، استخدم بجدة الفقيه جابر بن عبد الله الحراشي([416])، وفوض إليه الأمر في جميع ما يصل إليها من جهة الشام واليمن، فنهض بخدمته نهوضاً لم ينهض بمثله أحدٌ من خدامه فيما مضى، وعمر الحراشي الموضع الذي يقال له الفرضة بجدة، ليحاكي به فرضة عدن، وقرر لبني حسن الرسوم التي يتناولونها الآن، وجعلها لهم في ثلاث حلات، وأبطل رسومهم السابقة، وكانت تؤخذ من التاجر مع الجبا، فلم تجعل لهم على التجار سبيل، فأراح التجار من مطالبتهم.

وفي سنة ست وثمانمائة فيما أظنه، بعث حسن رتبة إلى حلي، مقدمهم علي بن كبيش، فاستغفلهم بعض جماعة موسى صاحب حلي .وفتكوا في أصحاب حسن بالقتل وغيره.

وفي سنة ست أو سنة سبع وثمانمائة، توجه الحراشي إلى حلي، وبنى فيها مكاناً يتحصن فيه أصحاب حسن ومن انضم إليهم، وحفر حوله خندقاً .وفي سنة سبع وثمانمائة !شفع إليها الملك الناصر أحمد بن إسماعيل صاحب اليمن، في تركه التشويش على موسى صاحب حلي،

فما أبعده، وحثه على الموافقة أديب العصر، القاضي شرف الدين إسماعيل بن المقري اليمني بقصيدة مدحه فيها أولها .([417])

أحسنت في تدبير ملكك يا حسن

وأجَدْتَ في تحليل أخلاط الفتن

ومنها :

موسى هزبر لا يطاق نزاله

في الحرب لكن أين موسى من حسن

هذاك في يمن وما سلمت له

يمن وذا في الشام لم يدع اليمن

وفي أوائل في الشام لم يدع اليمن وفي أوائل سنة ثمان وثمانمائة، ورد عليه كتاب الملك الناصر صاحب مصر، يخبره فيه بهزيمته لأعدائه بالسعيدية([418])، ورجوعه إلى كرسي مملكته بقلعة الجبل بمصر، والذي وصل إليه بذلك بعض جماعة الأمير إينال باي، المعروف بابن قشماس، وكان إليه تدبير المملكة بمصر، راجياً للبر من السيد حسن، فما خيب أمله، وأمر بقراءة ختمة وبالدعاء، عقيبها للملك الناصر، وكتب بذلك محضراً، أنفذ مع حامل كتابه.

وفي ثاني ربيع الآخر، وصل إليه من صاحب مصر، خلعة مع خلعة القاضي جمال الدين بن ظهيرة بولاية قضاء مكة، فلبس كل منهما خلعته.

وفي آخر هذه السنة، ذهب إلى الشرق، ثم إلى لية، وحارب بعض أهلها، واستولى على بعض حصون من حاربه.

وفي سنة تسع وثمانمائة، سعى لابنه السيد بركات في أن يكون شريكه في إمرة مكة، فأجيب سؤاله .ووصل لابنه تقليد مؤرخ بشعبان سنة تسع وثمانمائة، وأكبر ظني أنه في النصف الثاني من شعبان سنة عشر وثمانمائة .وذهب إلى الشرق في زمن الصيف، ثم عاد إلى مكة.

وفي هذه السنة، قدم المدينة زائراً من الشرق في جمع كثير، فخاف منه أهل المدينة، وتزوج ببعض أقاربه أميرها جماز ابن هبة.

وفيها أيضاً حَمَل إلى القاضي الشافعي بمكة جمال الدين بن ظهيرة ثلاثين ألف درهم، عوضاً عن مال كان أخذه ليقيم تحت حجر الحكم العزيز بمكة، واستحسن الناس منه تخليص ذمته.

وفيها وقف دارين بمكة صارتا إليه بالشراء، من ورثة العماد عيسى بن الهليس.

وفيها تشوش لانقطاع أخبار مصر عنه .فبعث القاضي أبا البركات بن أبي الفتوح السعود بن ظهيرة يتعرف له الخبر، ويسد ما لعله يجد من خلل، ووكله فيما له من الرسم بمصر، وأمره أن لا يظهر وكالته عنه، إن كان وكيله القاضي نور الدين ابن الجلال الطنبدي غير متوار؛ فخالف ما أمره به في أمر الوكالة.

وفي رمضان من هذه السنة، وصل إليه الشريفان :وبير مقبل ابنا مخبار أميراً ينبع، مواليين له، فأقبل عليهما، وكان بينه وبينهما وحشة، فزالت، وحلفا له وحلف لهما على التناصر، وأحسن إليهما بمالٍ جيد.

وفي رمضان من هذه السنة، وقف عدة وجابٍ بالهنية والعقيق، والفتيح([419])، والريان، بعضها على رباطه، وبعضها على رباط ربيع، وبعضها على رباط الموفق، وبعضها على رباط العِزِّ، ورباط العباس، وبضعها على الأشراف من أقاربه.

وفيها وصل إليه هدية طائلة من صاحب بنجالة([420])، السلطان غياث الدين أعظم شاه، ووزيره خان جهان، على يد الناخوذا محمود، ووصلت معه صدقة من السلطان المذكور لأهل الحرمين، وخلعٌ لقضاة الحرم وأئمته وغيرهم من أهله.

وفيها وصل إليه هدية من صاحب كنباية، وكتاب يخبره فيه، بأنه أنهي إلينا أن الناس في يوم الجمعة، لا يجدون ما يستظلون به عند سماع الخطبة بالمسجد الحرام، وأن بعض الناس، وسمى جماعة، منهم الشيخ موسى– يعني المناوي –استحسنوا أن يكون هناك ما يستظل به الناس، وإنا أرسلنا بخيام يستظل فيها الناس .فأمر بنصب الخيام، فنصبت حول المطاف مدة قليلة، ثم صارت إليه .وكان في نصبها ضرر لما يحصل للناس من العثار في حبالها، وكان نصبها بعد سفر الحاج المصري من مكة.

وفي هذه السنة أيضاً، مكن المصريين من القبض على أمير الحاج الشامي، بسؤالهم له في ذلك .وصورة ما فعل، أنه أتى إلى أمير الشامي، في جماعة من أصحابه، وهو عند مقام الخليل لصلاة الطواف، في نفر قليل جداً، فقال له :تذهب تسلم على أمير الحاج المصري .

فقال له :في غير هذا الوقت .فما مكنه حسن من ذلك، ومضى به إلى أمير الحاج المصري، فقُيِّد.

وفي سنة إحدى عشرة وثمانمائة في المحرم، ندب القائد سعد الدين جبروه إلى مصر بهدية طائلة، ليسعى له في أن يكون ولده السيد أحمد شريكاً لأخيه بركات في إمرة مكة، فأجيب إليه ذلك، وولي حسن نيابة السلطنة بالأقطار الحجازية، وذلك في العشر الوسط من ربيع الأول سنة إحدى عشرة .([421])ووصل إليه رسوله بغتة في النصف الثاني من ربيع الثاني من السنة المذكورة، ووصل معه خلعة للمذكور، وخلعتان لولديه، وكتاب من السلطان يشهد بولايتهم لما ذكر.

وفي آخر ربيع الآخر منها :ولي إمرة المدينة لعجلان بن نعير بن جماز بن منصور، عوض أخيه ثابت بن نعير([422])، وكان قد عاد لإمرة المدينة، وعزل عنها جماز، وما وصلت ولايته إلا بعد موته .وبعث حسن إلى جماز يعلمه بعزله، وينهاه عن التعرض لما في حاصل الحرم، فكان ذلك سبب إغرائه؛ لأنه نهب ما في حاصل الحرم .وخرج من المدينة قبل أن يصل إليها عجلان، وكان حسن أمره بالمضي إليها، فمضى على طريق الشرق، ليضم إليه جماعته، ويسير بهم إليه المدينة .وبعث حسن ابنه أحمد في جماعة من بني حسن إلى المدينة على طريق الجادة، فوصلوها بعد خروج جماز منها .ولما دخل عجلان إلى المدينة، صار الخطيب بها يدعو للسيد حسن على المنبر في الخطبة قَبْل عجلان وبعد السلطان .واستمر له الدعاء في الخطبة وبعد المغرب على سدة المؤذنين، إلى أن زالت ولاية عجلان، في وقت وصول الحاج الشامي للمدينة، في النصف الثاني من جمادى ذي القعدة في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة.

وفي سنة إحدى عشرة وثمانمائة، نزل السيد حسن بعرفة مدة، ثم مضى إلى جهة اليمن، حتى بلغ مكاناً يقال له البديح.

وفي سنة إحدى عشرة، عمر دوراً عدة في المكان المعروف بدار عيسى، وكان المتولي لأمر عمارتها الحراشي، وكانت قبل عمارتها براحاً متسعاً مملوءاً بالأوساخ، حتى صار كالمزبلة.

وفي سنة اثنتي عشرة وثمانمائة، وصل الخبر إلى مكة، بأن صاحب اليمن أمر بحبس الجلاب عن مكة غضباً على حسن، بسبب ما أخذه من سفيره العفيف عبد الله الهبي، فشق ذلك على السيد حسن، فأغراه الحراشي بغزو اليمن، وقال له :أنا أقوم بجهازك، وأجمع لك الرجال من اليمن .فتحرك لذلك، ثم أشير عليه بالملاطفة، فمال إليها، وبعث الشبيكي إلى اليمن رسولاً يعتذر، ويلتزم عنه بما يطيب الخاطر، وهدية للترك، فقبلَ ذلك السلطان، وأذن للناس في السفر فقدموا، ولكن دون العادة.

وفي هذه السنة، وصل إليه خلعة من صاحب مصر، فلبسها في شعبان .وفيها تغير صاحب مصر على السيد حسن، فرسم بالقبض عليه وعلى ابنيه، وعزلهم والاحتفاظ بهم، وأسر ذلك إلى أمير الحاج المصري الأمير بيبسق، فاستعد لحرب المذكور، وحصل مدافعاً وسلاحاً كثيراً، ثم سعى عند السلطان في تقرير المذكورين في ولايتهم، فأجاب إلى ذلك، وبعث إليهم بالعهد والخلع مع خادمه الخاص فيروز الساقي ,وكتب إلى أمير الحاج المذكور بالكف عن محارلابتهم، وكان قد أعلن بينبع أنه يريد حرب حسن، وكان حسن قد استعد لحربه لما بلغه الخبر في عاشر ذي القعدة، وما انقضى شهر ذي القعد إلا وعنده– فيما بلغني –نحو ستمائة فرس وأربعة آلافغ من الأعراب، غير بني حسن والمولدين والعبيد .وبينما الناس في كرب لهذا الحال، أتاهم من اللطف ما يخطر لهم ببال، وذلك أنه وصل من أخبر بوصول فيروز، وما معه من العهد والخلع للمذكورين .وما كان غير قليل، حتى وصل فيروز فألبس المذكورين

الخلع السلطانية، وقرئ عهدهم بالولاية، وسعى عند السيد حسن لأمير الحاج في دخول مكة والإغضاء عنه، فأجاب سؤاله على أن يسلبم أمير الحاج ما معه من السلاح، فأجاب إلى ذلك أمير الحاج، على أن يعاد إليه سلاحه عند سفره .فأمضى له شرطه ودخل مكة، واجتمع بالسيد حسن بمنزله بأجياد فأحسن ملاقاته، ولم يجتمعا بعد ذلك، وسلم إليه سلاحه عند سفره من منى .وما حج السيد حسن ولا غالب عسكره في هذه السنة، وحج قليل من أهل مكة خائفين، وذهب للناس أموال كثيرة وجرحوا، ولولا كف السيد حسن أصحابه عن إذاية الحجيج لكثر عليهم العويل والضجيج .وتأخر فيروز عن الحجاج بمكة، وذلك ألف زكيبة للسلطان غير ما لفيروز، ومضى بعد أيام إلى جدة، فشحنت الزكائب بحضوره، ووصلت سالمة إلى الطور، ثم إلى مصر، ويقال إنها بيعت فيها بخمسين ألف مثقال.

وفي سنة ثلاث عشرة وثمانمائة، ودى السيد حسن الإمام أبا الخير بن الشيخ أبي اليمن الطبري من عنده، وسلم الدية دراهم إلى ورثته وإخوته، لأن بعض مماليكه– فيما قيل –طعن أبا الخير ليلاً، وهو لا يشعر به لظنه حراميًّا، فمات لوقته .وكان قتله في صفر، وتسليم ديته في ربيع الأول في سنة ثلاث عشرة .

وفيها في ربيع الآخر، وصل إليه تشريف من صاحب مصر، فلبسه في العشرين من الشهر المذكور، وكان جهز إليه مع نجابه أحمد بن خليل، فقتل في الطريق، ووصل إليه ذلك مع بعض رفقته .وفيها وصل له من صاحب بنجالة السلطان غياث الدين هدية طائلة، ومن وزيره خان جهان .ووصل إليه كتاب السلطان بأن يعين رسوله ياقوت الغياثي فيما ندبه له من عمارة مدرسة بمكة، وشراء وقف لها .فباع منه دارين متلاصقتين مجاورتين للمسجد الحرام، صارتا مدرسة للسلطان غياث الدين بعد هدمهما وأنشأ عمارتهما .وباع منه أيضاً أصيلتين بالركاني وأربع وجاب من عين الركاني، ليكون ذلك وقفاً على المدرسة، وما رضي في ذلك إلا باثني عشر ألف مثقال، فسلم إليه شاشات عويضاً عن ذلك؛ لأنه لم يعذره، وأخذ منه أيضاً

شيئاً كان معه لعمارة عين عرفة، على أن يتولى هو ذلك .وكان السلطان المذكور قد ندب حاجي إقبال مولى خان جهان بصدقة لأهل المدينة، وهدية لأميرها جماز، فإنه لم يكن سمع بعزله ولا موته، وكان موته بإثر نهبه للمدينة مقتولاً([423])، وأمر بعمارة مدرسة له بالمدينة، وشراء وقف لها بالمدينة، فاتفق أن المركب الذي فيه ما بعث به السلطان لأجل ذلك، انصلح في بعض مراسي الشقان، فأخذ السيد حسن ربعه مع ما كان لجماز .ويقال إن الذي أخذه من إقبال وياقوت يساوي ثلاثين ألف مثقال .وكان مع ياقوت صدقة لأهل مكة، ففرقها عليهم وانتفع بها الناس .وكان معه خلع لقضاة الحرم وأئمته وشيخ الحجبة وزمزم، فأوصلها إليهم.

وصل إليه قبيل هذا التاريخ من هذه السنة، وهو بهذه الجهة، كتاب من الناصر صاحب مصر وخلعة، وعرفه الرسول بذلك أن السلطان يعتب عليه تقصيره في الخدمة .وكان هذا الرسول قد تعوق كثيراً في الطريق، وتشوف حسن لمعرفة الأخبار، فأمر قبل وصول هذا الرسول إلى مولاه، مفتاح الزفتاوي بالسفر إلى مصر، يتعرف له الأخبار، وما قدر أنه سافر من مكة إلا بعد وصول الرسول المذكور إليها .فلما وصل مصر، وجد الأطماع كثيرة في مولاه .فحضر عند السلطان وبلغ رسالته واعتذر عن مولاه في تأخير الجواب، وعاد إلى مكة مع الحاج، وشاع أن السلطان أعد نجباء كثيرة ومزادات، فظن حسن أنه يريد الحج فما حج، وظهر أن تجهزه إلى الشام .ولما انقضى الحج من سنة أربع عشرة وثمانمائة، ندب السيد حسن سعد الدين جبروه إلى مصر، بهدية لصاحبها الناصر، في مقابلة ما التزم له به، فوجده قد توجه للشام.

وفي سنة أبع عشرة وثمانمائة، تصدق السيد حسن بصدقة جيدة قبل إنها عشرة آلاف درهم، والصدقة من عادته .والذي حركه عليها في هذا الوقت، أنه مرض مرضاً شديداً، خيف عليه

منه، فرأى فيما قيل، النبي في النوم، ومسح بيده الشريفة عليه، وأمره فشفي بإثر ذلك، وفعل ما ذكرناه من الصدقة.

وفي العشرين من جمادى الآخرة سنة خمس عشرة، وثمانمائة، وصل للسيد حسن وابنيه خلع، وكتاب للسيد حسن من الخليفة المستعين بالله أمير المؤمنين أبي الفضل العباسي، بعد عوده إلى مصر من الشام، وقيامه في مقام السلطنة، عوض الناصر فرج، لقتله في صفر من هذه السنة .وكان وصول الكتاب والخلع على يد سعد الدين جبروه، وكتاب أمير المؤمنين يتضمن إعلامه بقتل الناصر فرج بسيف الشرع، وأنه فوض تدبير الأمور بالمملك للأمير شيخ، ولقبه بنظام الملك، وأنهم على ولايتهم .وقرئ الكتاب بالمسجد الحرام، ولبس المذكورون الخلع، وذلك في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة .ودعي في هذا المجلس للخليفة وللأمير شيخ، ودعي للخليفة على زمزم بعد المغرب وفي الخطبة .وكان الدعاء للخليفة بمكة مقطوعاً من دهر طويل جداً .وبعد ذلك بقليل، وصل كتاب الخليفة إلى السيد حسن يخبره فيه بالقبض على علي بن مبارك، وذلك في شعبان، أعني وصول كتابه.([424])

وفي شوال من السنة المذكورة، وهي سنة خمس عشرة، وصل خلع للمذكورين من السلطان الملك المؤيد أبي النصر شيخ، بعدما بويع بالسلطنة بالديار المصرية، في مستهل شعبان من السنة المذكورة، ووصل منه كتاب يخبر فيه بذلك، وباستقرار المذكورين في ولايتهم.

وفي سنة خمس عشرة أيضاً، نفر الأشراف أولاد محمد بن عجلان، من عمهم السيد حسن؛ لأن أحمد بن محمد، ضرب مسعود الصبحي نائب عمه بجدة، لكثرة مطله له في بقية حوالة عليه، وأمر بإخراجه من البلاد، والأمر أهو من ذلك .فغضب لأحمد أخوه رميثة، وأظهر التجهز للخروج، فما ترضَّاه عمه .فمضى على جهازه حتى كمل، وخرج وإخوته، غير واحدٍ منهم، صوب القواد العمرة، فمكثوا عندهم أياماً وتكلموا مع عمهم في تطييب خواطرهم

فأعرض، فمضوا إلى ينبع، ثم إلى مصر، فما وجدوا بها كبير وجه، وحسَّن لهم القاضي نور الدين من الجلال، الرجوع إلى عمهم، وأنه يرضيهم، فمالوا إلى ذلك، وتوجهوا مع الحاج حتى بلغوا ينبع، ولما سمع عمهم بوصولهم، منع من دولهم مكة، فأقاموا بينبع إلى أثناء السنة الآتية.

وفي سنة ست عشرة وثمانمائة، تقرب السيد حسن بتسبيل البيمارستان المستنصري بالجانب الشامي من المسجد الحرام للضعفاء والمجانين، وتصرف غلة القيسارية المعروفة بدار الإمارة عند باب بني شيبة([425])، في مصالح المشار إليهم، وذلك لأنه كان استأجر المكانين المذكورين في سنة خمس عشرة، مدة مائة سنة هلالية، من القاضي الشافعي بمكة، بأجرة معلومة، على أن يصرفها في عمارة المكانين لخرابهما فعمرهما، وزاد في البيمارستان فأكثر فيه النفع، ووقف ما زاده وما يستحقه من منفعة المكانين، في باقي المدة المذكورة على الوجه السابق، وثبت ذلك عند حاكم مالكي، وحكم به لموافقته رأس بعض متأخري المالكية في وقف المنافع، وبعضهم يمنع ذلك، وهو مقتضى مذهب الشافعي وأبي حنيفة وابن حنبل رحمهم الله .وكان إثبات ذلك والحكم به، في صفر من السنة المذكورة .وفيها شرع في عمارة رباط آخر بأجياد للفقراء، وكمل في التي بعدها، وفيه بقية تحتاج للعمارة، فالله تعالى يتقبل منه ذلك.

وفي ليلة سادس جمادى الأولى من سنة ست عشرة وثمانمائة، وصل رميثة إلى حَدًّا من وادي مر، على غفلة من أهلها؛ لأن عمه رغب في إخراجه من ينبع، وما وجد مذهباً غير هذا . ولما بلغ عمه خبره، أمر بالمبادرة بإبعاده، وصمم على ذلك، وركب إلى جهته، فغما وسع الذين نزل عليهم إلا إبعاده، فمضى إلى ينبع، والتحق به فيها بعض القواد العمرة، فعاد به إلى منزلهم بالعد، وأخبر السيد حسن بوصوله، فتوجه للعد بعسكره .وكان رميثة قد توجه منه بعض القواد والشريفين :ميلب وشفيع ابن علي بن مبارك، وما شعر الناس به إلا وقد هجم مكة من درب اليمن، في ضحى يوم الخميس رابع عشرين جمادى الآخرة سنة ست عشرة

وثمانمائة، وما قدر الذين بمكة من جماعة حسن على دفعهم، وانضم إليه منهم جماعة، وما أحدث بمكة سوءاً ولا من معه.

وكان السيد حسن في موسم سنة سبع عشرة، تخوف من أمير الحاج المصري، وتوقف عن ملاقاة المحمل بنفسه، فما قنع منه أمير الحاج بغير حضوره بنفسه، فوافق على ذلك، لما أن لم يجد منه بداً، بعد أن توثق من أمير الحاج، والتزم له مما يحسن من الخدمة وللسلطان، بثمن ما أخذه من الغلة التي بعثها السلطان للبيع، وخلع عليه الأمير وعلى ولديه لما خدموا على العادة، ثم حصل بينهما نفرة؛ لأن أمير الحاج أدب بعض غلمان القواد العمرة، على حمله السلاح بمكة، لنهيه عن ذلك، وتشفع مواليه في إطلاقه بالسيد حسن عند أمير الحاج، فأبى أن يطلقه، فهجم جماعة منهم المسجد الحرام، راكبين خيولهم لابسين سلاحهم، فقاتلهم الحاج حتى أخرجوهم من المسجد، وظن أمير الحاج أن الشريف حسن ينضم إليه، فقدر أنه انضم إلى المذكورين بالطنبداوية([426])، ولكنه منعهم من التعرض للحاج، ولولا ذلك لتم على الحاج بلاء عظيم، فسبحان المسلم .وأدخل الأمير خيله إلى المسجد، فباتت به حتى الصباح، وسمر أبوابه خلا باب بني شيبة والدريبة وباب المجاهدية .وأوقدت فيه المشاعل ثم فتحت؛ لأن السيد حسن بعث ولده السيد أحمد، إلى أمير الحاج مطمناً له، فخلع عليه وأطلق مولى القواد، وأعرض السيد حسن عن الحج في هذه السنة يغالب عسكره، وكذا القواد، فقام بحفظ الحاج من أهل مكة وغيرهم أمراء الحاج، وأصاب بعض الحجاج نهب في توجههم إلى عرفة.

وفي ليلة رابع عشر المحرم سنة ثماني عشرة وثمانمائة، قبض السيد حسن على القاضي كمال الدين موسى بن جُميع، والخواجا بدر الدين المزلق، والشهاب أحمد العيني، وكيل الخواجا برهان الدين بن مبارك شاه، وضق عليهم حتى أرضوه بما شرط من المال، فأخذ من ابن جميع ما

يساوي ثلاثة وثلاثين ألف افرنتياً([427])، ومن العيني ما ظهر من مال موكله، ثم أطلقهم متعاقبين، ابن جميع أولاً في أول صفر، وابن المزلق في آخره، وتلاه العيني.

وفي آخر المحرم أو صفر من السنة المذكورة، ورد إلى جدة القاضي مفلح بما في صحبته من المراكب والطراريد والمؤلفات والجلاب فاستقوا من جدة بمعاونة رميثة، وأخذ منهم
الزالة ([428])ومضوا إلى ينبع .وكان حسن يرغب في أن يعينه بنو حسن على منع المراكب من السقية بجدة فما أعانوه.

وفي سادس عشر ربيع الأول منها، وصل إليه الخبر بولايته لإمرة مكة([429])، عوض عمه وابنيه، وكان عمه بمكة، فرغب في أن يعينه بنو حسن على حرب رميثة قبل أن يصل إليه المدد من مصر، فما أعانوه، فمضى إلى الشرق، وترك ابنيه في البلد، وشكراً مولاه، وجماعة من أصحابه .ثم إن القواد العمرة استدعوه من الشرق، وأطمعوه بنيل أربه من محاربة ابن أخيه ومن معه، فوصل إلى بعض كبارهم لإحضاره إليهم، وهم بالمسير من فوره إلى الوادي، لأن ابن أخيه كان نازلاً بالجديد من الوادي، فماطله الذين استدعوه، وآخر الأمر أنهم لم يوافقوه على المسير إلا بشيء جيد يأخذونه منه، فلم يسمح به، فعاد إلى الشرق ثانياً في أول العشر الوسط من رجب من السنة المذكورة، وأقام به مدة، وذهب من هناك إلى المدينة النبوية، فزار جده المصطفى ، وعاد إلى مكة وتوجه إلى جدة، فأزال منها رميثة وأصحابه، وكانوا قد أقاموا بها بعد رحيلهم من الوادي، واندفع رميثة إلى جهة الشام.

ووصل الحجاج بإثر ذلك، فلايم رميثة الحجاج، ووصل معهم مكة، لتقرير السلطان الملك المؤيد له على ولايته وهو بحلب .وكان خرج إليها لقتال بعض أعدائه، فظفر بهم غير واحد أو اثنين، فأقام لتحصيل عدوه، وبعث مبشراً بالنصر إلى رميثة، فوصله في شوال من السنة المذكورة وهو بجُدة .([430])واستمر الدعاء للسيد حسن وابنيه في الخطبة وعلى زمزم، إلى

استهلاك ذي الحجة منها، لاستيلاء حسن على مكة إلى هذا التاريخ، ثم فارقها في هذا التاريخ، وقصد الشقان) فأخذ منها زالة ([431]) (وتعرف ما في الجلاب فجباه، وأمرهم بالتدبير أو المضي إلى ينبع، وكان بعضهم نفر منه لما سمع باستيلائه على الجلاب، ودبر إلى اليمن قبل أن يصل إليه.

فلما كان في صفر سنة تسع عشرة وثمانمائة، وصلت المراكب الكارمية والجلاب الينبعية إلى الشقان، فأخذ منها زالة له ولخواصه ثلاثة عشر ألف مثقال ومائتا مثقال، ومكنهم من السقية من جدة ومضوا إلى ينبع .وكان قبل وصولهم إلى جدة، قد نزل بالجديد من وادي مر، واستولى على غلال أموال أصحاب رميثة، وما قدروا على أخذها منه، وهو بالجديد ساكن إلى آخر جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وثمانمائة.

وفي شهر رجب منها، بعث ولده السيد بركات ومولاه القائد زين الدين شكراً، لاستعطاف مولانا إلى الملك المؤيد نصره الله، فأنعم على السيد حسن بإمرة مكة، وكتب له بذلك عنه توقيع ومثال شريف، مؤرخ بثامن عشر رمضان سنة تسع عشرة، وجهز له مع ذلك خلعة شريفة، مع بعض الخاسكية المؤيدية والنجابة السلطانية وانتهوا إلى السيد حسن، وهو في ناحية جدة، في أوائل العشر الوسط من شوال، وبعث إلى القواد العمرة، وكانوا قد بانوا عنه في شعبان، وانضموا إلى السيد رميثة بمكة، يأمرهم بالخروج من مكة، فتوقفوا في ذلك، ولما تحقق أنهم ورميثة، ومن انضم إليهم، مجمعون على المقام بمكة، قصدهم وانتهى إلى وادي الزاهر ظاهر مكة، في بكرة يوم السبت ثاني عشري شوال، فخيم بوادي الزاهر، ومعه الأشراف آل أبي نمي، وذوي علي، وذوي عبد الكريم([432])، والأدارسة، وصاحب ينبع الشريف مقبل بن مخبار، في عسكر جاء به معه من ينبع، غير من في خدمته من عبيده ومن الترك، وكان الترك مائة وعشرين فيما قيل، وأرسل إلى مشايخ القواد العمرة، فحضر إليه منهم ثلاثة نفر، فخوفهم من داهية الحرب، فسألوه أن يمهلهم هذا اليوم والذي يليه، ليلزموا أصحابهم بالخروج

من مكة، فأتوا أصحابهم فعرفوهم الخبر، فصمم أكثرهم على عدم الخروج، فلم يسع الراغبون في ذلك إلا الموافقة .ولما تحقق ذلك السيد حسن، رحل في بكرة يوم الاثنين رابع عشري شوال من الزاهر، وخيم بقرب العسيلة على الأبطح، وأتى بعض أصحابه إلى رؤوس القواد المعروفين بالحميضات، وكانوا مع رميثة، فثبطهم عن القتال وخوفهم غائلته، فلم يصغوا لذلك . فلما كان بكرة يوم الثلاثاء خامس عشري شوال، ركب السيد حسن في عسكره وكانوا فيما قيل ثلاثمائة فارس، وأزيد من نحو ألف راجل، وكان الذين بمكة على نحو الثلث من ذلك . ولما انتهى إلى المعابدة، بعث إلى الذين بمكة، يحذرهم عاقبة القتال، لرغبته في الإبقاء على أكثرهم، فلم يقبلوا نصحه، ومثله ومثلهم في ذلك كما قيل :

بذلت لهم نصحي بمنعرج اللوى

فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد([433])

وسار بمن معه حتى دنوا من باب المعلاة، فأزالوا من كان على باب المعلاة وقربه من أصحاب رميثة بالرمي بالنشاب والأحجار، وعمد بعضهم إلى باب المعلاة، فدهنه وأوقد تحته النار، فاحترق حتى سقط إلى الأرض، وقصد بعضهم طرف السور الذي يلي الجبل الشامي مما يلي المقبرة، فدخل منه جماعة من الترك وغيرهم، ورقوا موضعاً مرتفعاً من الجبل المشار إليه، ورموا منه بالنشاب والأحجار من كان داخل الدرب من أصحاب رميثة، فتعبوا لذلك كثيراً، ونقبر بعضهم مما يلي الجبل الذي هم فيه من السور نقباً متسعاً، حتى اتصل بالأرض، فدخل منه جماعة من الفرسان من عسكر حسن، ولقيهم جماعة من أصحاب رميثة، وقاتلوهم حتى أخرجوهم من السور، وحصل في الفريقين جراحات، وهي في أصحاب رميثة أكثر، وقصد بعض أصحاب حسن، وهم عسكر صاحب ينبع، السور مما يلي بركة الصارم، فنقبوه نقباً متسعاً، ولم يتمكنوا من الدخول منه، لأجل البركة، فإنها مهواة، فنقبوا موضعاً آخر فوقه .ثم

إن بعض الأعيان من أصحاب السيد حسن، إجار من القتال لرغبة بعض القواد في ذلك على ما قيل، وكان السيد حسن كارهاً للقتال، ولو أراد أن الدخول إلى مكة بكل عسكره من الموضع الذي دخل منه بعض عسكره لقدر على ذلك، وأمضى الجيرة بترك القتال، وبإثر ذلك وصل إليه جماعة من القضاة والفقهاء والصالحين بمكة، ومعهم ربعات شريفة، وسألوه في كفِّ عسكره عن القتال فأجاب إلى ذلك، على أن يخرج من عانده من مكة .فمضى الفقهاء إليهم وأخبروهم بذلك، فتأخروا عنه إلى جوف مكة، بعد أن توثقوا ممن أجار في كفِّ القتال .وخيم حول بركتي المعلاة، وأقام هناك حتى أصبح، فدخل مكة في بكرة يوم الأربعاء سادس عشري شوال، لابساً للخلعة الشريفة سبعاً، والمؤذن يدعو له على زمزم، وبعد فراغ من الطواف وركعتيه، أتى إلى جهة باب الصفا، فقرئ هناك توقعه بإمرة مكة، وكتاب السلطان بذلك، فحضرت القضاة والأعيان وخلق لا يحصون كثرة، وركب بعد ذلك فدار البدل ونادى بالعدل والأمان، وكان قد أمَّن المعاندين له خمسة أيام، فتوجهوا إلى جهة اليمن، وبعث لابن أخيه رميثة بزوادة ومركوب فيما بلغنا .وانتهى رميثة، ومن معه إلى قرب حلي، وأمر السيد حسن بعمل باب لباب المعلاة عوض الباب المحرَّق، فعمل، وعمر من هذا السور عما كان أخرب في وقت الحرب .وبعث إلى القواد العمرة يستميلهم، فقدم عليه منهم جماعة أيام الحج، وسألوه في مصافاتهم والإحسان إليهم، فأجابهم إلى ذلك بشرط أن يبينوا عن ابن أخيه ويلجؤوه للسف إلى اليمن، فإذا فارق حلي مسافراً لليمن قدموا عليه فسألهم قصدهم، فأظهروا له الموافقة على ذلك .وبعث إلى خواص ابن أخيه يستميله بالدخول في طاعته، فمال إلى ذلك ابن أخيه، لما بلغه عن القواد، ولتقصير من معه من موالي عجلان وابن أحمد بن عجلان في حقه، لقلة طواعيتهم له، ولإمساك سعد الدين سعيد جبروه يده عن إعطائه ما ظن رميثة أن صاحب اليمن بعث به إليه من النقد والكسوة والطعام علي يد سعد الدين . فإن صاحب اليمن كان استدعى سعيداً ليوصله براً لنفسه ولرميثة، وقدم رميثة إلى مكة بإخوته وزوجته، وهي أعظم من حمله على ملاءمة عمه .وكان عمه قد توجه من مكة لقصد الشرق، ولما أتاه الخبر بإقلال ابن أخيه إليه، أمر خواص غلمانه بتلقيه وكرامته، فخرجوا للقائه

موكبين له، ودخل معهم مكة، فأنزلوه بمكان أعدوه له، وكسوه وضيفوه وخدموه واستحلفوه على إخلاص الود منه لعمه، وحلفوا له كذلك عن أنفسهم وعن عمه، واستحلفوا إخوته كذلك لعمهم وحلفوا لهم .فكان هذا الحلف في يوم الجمعة العشرين من صفر سنة عشرين وثمانمائة في جوف الكعبة.

وفي يوم الخميس قبله، قدم مكة رميثة ومن معه، ومضى بعد ذلك بأيام قليلة ومعه إخوته لعمهم، فأكرم ملاقاتهم وأحسن إليهم، وبالغ في الإحسان إلى رميثة وأظهر للناس الاغتباط به كثيراً، وما سهل ذلك بأكثر بني حسن لتخيلهم أن حالهم لا يروح كثيراً إلا في زمن الفتنة . ورام الشريف حسن حفظ القواد العمرة والحميضات، فأخذ ما معهم من الخيل وادلروع، وألزمهم بذلك بعد عوده إلى مكة من الشرق، في جمادى الأولى سنة عشرين وثمانمائة، أو الجلاء من بلاده ومحل ولايته، وأجلهم للجلاء نحو نصف شهر .وعاد إلى الشرق، وأمر بعض خواصه بأخذ المطلوب من القواد، أ إخراجهم من البلاد، وظن أنه لا بد من حصول أحد الأمرين لإطماع الشرفاء ذوي أبي نمي له بالموافقة على ذلك، والمساعدة له عليه، فتلطف القواد بالشرفاء وخضعوا لهم وخوفوهم من غائلة هذا الأمر، لما فيه من إضعاف الفريقين .فإن الشرفاء كانوا وافقوه على تسليم خيلهم ودروعهم إذا فعل ذلك القواد، وقصد الشرفاء بلك إضعاف القواد، فمال الشرفاء لقول القواد، وأعطوا الشرفاء دية قتيل شريف قتله بعض القواد في دولة رميثة، وكان القواد ممتنعين من ديته، ويقولون :نحاسبكم به مما لنا عندكم من القتلى، وتحالف الفريقان على كف الأذى .واستعطف القواد ذوي رميثة، أولاد أحمد بن ثقبة بن رميثة وأولاد علي بن مبارك ولفيفهم، فعطفوا على القواد، ومالوا لما مال إليه ذوو أبي نمي وحلفوا عليه .وبلغ ذلك الشريف حسن، فعاد من الشرق إلى مكة في أول النصف الثاني من رجب، ولم يجد أكثر الشرفاء على ما كان يعهد منهم، وهم مع ذلك يظهروا له الطاعة والموافقة على قصده، ويشرطون عليه في ذلك، أن يجزل الإحسان إليهم بالمال والخيل والدروع، وتقف هو في ذلك، لما عهد من الفريقين من الأخذ وعدم الإسعاف بالقصد، كعادة

أسلافهم مع أسلافه.وبعد قدومه إلى مكة بأيام قليلة، استولى على جدة الشرفاء من بني ثقبة، ومبارك والقواد ولفيفهم، وأعلنوا بالسلطنة لثقبة بن أحمد بن ثقبة، وميلب بن علي بن مبارك وجعلوا لكل منهما بجدة نواباً، وأخذوا طعاماً كثيراً بجدة، وجبا بعض الجلاب الواصلة إليها، فشق ذلك على الشريف حسن، وحمله الشرفاء على النزول عندهم بالدكناء، ففعل .ثم رحل منها إلى الجديد، ثم إلى حدًّا، وأشار عليه جماعة من الشرفاء بأن يذهبوا عنه إلى القواد، وكانوا نزولاً بالعد، مع جماعة من آل أبي نمي، ومع ذوي ثقبة وذوي مبارك، ليأمروا المشار إليهم بالدخول في طاعته، ويخوفونهم من غائلته .فمضى جماعة من الشرفاء الذين في خدمة الشريف، إلى الذين بالعد، وغابوا عنهم مدة، وعادوا إلى الشريف بما لم يعجبه، وحضوه على الإحسان إلى الذين بالعد، وأن يلين لهم جانب، فلم يمل لذلك لما غلب على ظنه– وهو الواقع –أن الإحسان إليهم لا ينال به منهم قصداً، وبعث خيلاً ورجلاً إلى جدة، فاستولوا عليها ..وكانت خالية من أكثر المباينين له، وتواطأ الأشراف والقواد على أن يرحل جماعة من القواد من العد، حتى ينزلوا في حملة الأشراف بالدكناء ([434])بوادي مر، للاستنصار بالأشراف، ففعل القواد ذلك لحزمهم، فأكرمهم الأشراف، وقصد المريدون لذلك من الأشراف، أن الشريف إذا أمرهم بقتال القواد ومن انضم إليهم، قالوا له الأشراف :كيف نقاتل من استجار بنا ونزل بحلتنا، لكون ذلك لا يحسن عند العرب .ولما اتفق ذلك، خرج جماعة من آل أبي نمي، وذوي مبارك وغيرهم من الدكناء لقصد مكة، فخرج إليهم منها نائبها مفتاح الزفتاوي، فتى الشريف حسن بن عجلان، في خيل ورجل، فالتقوا مع القواد والشرفاء، فكان النصر للشرفاء ومن انضم إليهم، وخفروا جماعة من عسكر مكة، وأخذوا خيلهم وسلاحهم ولجأ الزفتاوي إلى جبل قرب المعركة، وما زال به حتى قتل وقتل غيره من جماعته، وقتل من الشرفاء واز بن عقيل بن مبارك .وكانت هذه الوقعة في يوم السبت ثاني عشر رمضان سنة عشرين وثمانمائة .ورجع الشرفاء ومن انضم إليهم إلى العد، وشق على الشريف كثيراً ما صدر منهم وقتلهم لنائبه، ثم سعى جماعة من الشرفاء من ذوي أبي نمي وغيرهم، في الصلح بينه وبين الذين بالعد، على مالٍ يبذله لهم الشريف، ولا يحدثون حدثاً في طريق من طرق مكة،

إلى انقضاء هذه السنة، وعشرة أيام من المحرم سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، فرضِيَ بذلك الفريقان وتعاقدوا عليه وتواثقوا، وأحسن إليهم الشريف بتسليم ما وقع الاتفاق على تسليمه معجلاً، واطمأن الناس، وقدم التجار من اليمن أكثر من كل سنة، من غير توقف في الدخول إلى جدة لإذن السلطان لهم في ذلك .وكان دخول التجار إلى جدة في صفر من هذه السنة بغير إذن من السلطان باليمن، وإنما ذلك باختيار المتقدمين في أمر المراكب، لعدم قدرتهم على تجوير على جدة إلى ينبع، لكون تجويرهم عليها يوافق اختيار صاحب اليمن .ولما دخلوا إلى جدة لم يشوش عليهم نواب الشريف، وساهلهم الشريف في المكس المتعلق بحمل السلطان، وأسقط عنهم بعضه، واعتذر مما أخذه بالحاجة إليه، فأعجب ذلك السلطان، وأمر التجار بصد جدة، قصدوها ثانياً كما ذكرنا، ومضوا إلى بلادهم بعد الحج وهم سالمون من النهب ولله الحمد.

وفي النصف الثاني من شوال سنة عشرين وثمانمائة، قدم من مصر على الشريف ابنه السيد بركات فسر به، ولما طاف بركات بالكعبة، دعي له على زمزم كعادة أمراء مكة .وصار أبوه يفوه له بالإمرة، ويقول لبني حسن وغيرهم :هو سلطانكم.

وفي شهر ربيع الأول من سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، أظهر للناس أنه تخلى عن إمرة مكة لابنه السيد بركات، بحيث أجلسه على المفرشة بالمسجد الحرام، وجلس هو على مفرشةٍ عنده، وأمر من في خدمته بالحلف له، فحلفوا له وأمرهم بالخروج في خدمته والنزول بالركانيّ ([435])بوادي مرّ، ففعلوا، لأن أكثر الذين بالعد من ذوي رميثة وذوي أبي نمي والقواد، رحلوا من العد حتى نزلوا حدا([436])، ولم يسهل بالشريف نزولهم بجدا، لأن جماعة من وجوه القواد، كانوا ذكروا للشريف أن الذي بالعد، لا يرحلون منه إلى غيره إلا بإخباره، ولما نزل السيد بركات ومن معه بالركاني، لم يسهل ذلك بالذين تزلوا بحدا، ورغبوا في أن الشريف يأمر ولده بالرحيل عنهم إلى الجديد ونحوه من وادي مر، ويدخلون بأجمعهم في طاعته

ويمضي إلى الشرق، فإنه يختار ذلك ولا يحدثون حدثاً إلى انقضاء سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، وعشرة أيام من التي بعدها .فوافق الشريف على ذلك وأجابهم إلى ما سألوه من الإحسان إليهم، بما عوّدهم به في كل سنة قبل هذه الفتنة، على عادتهم في أخذ ذلك منجّماً، وأعطى ذوي مبارك دية رضوها في فواز بن عقيل بن مبارك، مع كونه يرى أنها لا تلزمه، وحمله على ذلك حبه لحسم مواد الشر، وما انطوى عليه من الصفح والحلم، ولذلك حلم على الذين خرجوا عن طاعته، ولايموا ابن أخيه رميثة، وقاتلوه، من عبيد أبيه وأخيه وأولادهم، واستدعاهم من حلي ومن اليمن، وأجراهم على رسومهم التي كانوا عليها قبل جموحهم عن طاعته، فالله تعالى يزيده توفيقاً، ويسهل له إلى كل خير طريقاً .وكان وصول أكثرهم إليه، في أُخريات ذي القعدة من سنة عشرين وثمانمائة.

وفي ربيع الأول من سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، جمح أحمد بن الشريف حسن عن طاعة أبيه، لكونه قدَّم أخاه بركات عليه في الإمرة، وأرسل إليه أبوه من يستعطفه ويعده عنه بذهب ومركوب، فلم يمل أحمد لذلك .واجتمع إليه جماعة من الطماعة، ومضوا لجدة وتخطفوا منه أشياء، ولم يسهل ذلك بأبيه .ثم إن كثيراً من الذين كانوا مع أحمد، تخلوا عنه لملاءمة أقاربهم لهم على ملاءمته، لكون ذلك لا يرضي أباه، ولما عرف هو ذلك، حضر إلى حَدًّا، ونزل بها، والله يصلح أحوالهم، ثم دخل في الطاعة، وأقام على ذلك وقتاً، ثم خالف ومضى إلى ينبع، وأتى منها مع الحجاج في سنة إحدى وعشرين إلى أبيه بمكة، فلم ير ما يعجبه، فعاد مع الحجاج إلى صوب ينبع، بعد الحج من هذه السنة.

وفيها بعث أبوه ولده السيد إبراهيم إليه بلاد اليمن، مستعطفاً لصاحبها الملك الناصر، فعطف عليه كثيراً، بعد أشهرٍ كثيرة، وجهَّزه إلى مكة بعد أن أمر له بصلة متوسطة.

وفيها كتب الملك الناصر إلى صاحب مصر الملك المؤيد، كتاباً يذكر فيه شيئاً من حال السيد حسن بن عَجْلان.([437])

وفي اليوم الأول من ربيع الآخر من سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، توجه السيد حسن من مكة قاصداً للشرق، وعدل إلى صوب الطائف، فخرب أماكن بلقيم، والعقيق، ووج، من وادي الطائف، خراباً كثيراً، وهدم حصناً لعوف بلية .وسبب ذلك، توقف أهل الأماكن المشار إليهم، عن تسليم ما قرره عليهم من القطعة لزيادتها على العادة، مع ما هم فيه من ضيق الحال، بسبب الجناية التي أخذها منهم في العام الماضي، ومع ذلك فما وسع أهل الأماكن المشار إليها، إلا استعطافه وتسليم ما رضيه، واتّهموا جويعد بن نمير صاحب أبي الأَخيلة بأنه أَغرى بهم في ذلك الشريف حسن بن عجلان .فلما عاد الشريف حسن من الشرق إلى مكة، خادعوا جويعد واستحضروه من المنزل الذي اجتمعوا فيه، وقصد طائفة كثيرة منهم حصنه أبا الأخيلة فأخربوه خراباً فاحشاً، ثم أطلقوه سالماً في بدنه.

وفيها وصل من صاحب مصر إلى الشريف حسن عدّة كتب، منها كتاب في حادي عشري ربيع الأول، فيه إعلامه بقومة عزم السلطان على الحج في هذه السنة، وأمره بتسليم ما وصل من الغلال إلى جدة، ونقل ذلك إلى مكة، والاحتفاظ بذلك، وفيه مطالبة بعشرة آلاف مثقال، بقيت عنده من الثلاثين الألف المثقال، التي التزم بها للخزانة الشريفة، لما سأله العود إلى إمرة مكة.

ومنها كتاب آخر فيه إعلامه بتفويض أمر بيع الغلة إلى علاء الدين القائد، لإعراض السلطان عن الحج، وفيه العتب عليه لكونه لم يرسل مع علاء الدين بالعشرة الآلاف المثقال .وكان وصول ذلك إليه في آخر ذي القعدة وهو بجدّة، وحضر إلى مكة قبل هلال الحجة بليلة أو ليلتين، وحضر لخدمة المحمل المصري، وتردد لأمراء الحاج والأعيان بمكة ومِنّى، وأقام بمكة إلى

تاسع عشري ذي الحجة، وتوجّه إلى جدة عند توجه الناس إليها لليمن .وأقام بجدة أياماً كثيرة، وتوجه منها بعد سفر أكثر الناس، ووصول الطيّب من مكاوش سفير صاحب اليمن، في تابةٍ، فيها حمل للسلطان وغيره، وقصد صوب اليمن ناحية الخريفين([438])، وجاوز ذلك وراسل صاحب حلي محمد بن موسى بن أحمد عيسى الحرامي، في أن يزوّجه أخته، ورغب في أن تزف إليه، فأجابه إلى تزويجها بشرط حضوره إليهم، فأعرض عن الحضور إليهم، ولم يأت مكة إلا في الحادي عشر من ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرية وثمانمائة.

وفي آخر اليوم الثاني عشر منه، توجّه لصوب الشرق، لأنه بلغه أنه كثير المطر وليقوي به أمر من أرسلهم إلى الطائف ولية، لقبض القطعة التي قرّرها على أهل الطائف ولية .والله يحمد العاقبة.

وكان من خبره بعد ذلك، أن عسكره أخربوا أماكن بلقيم، والعقيق، ووج، من وادي الطائف، ثم أمر بإخراب حصن الطائف المعروف بحصن الهجوم، بسعي جماعة من الحمدة عنده في ذلك، فأخرب جانب كبير ([439])منه، وأعان المخرّبين له على إخرابه، أن بعض أعيان عسكر الشريف، استدعوا بعض أعيان أصحاب الحصن، فحضروا إليهم وهم لا يشعرون بما يريده عسكر الشريف .فلما أوثقهم عسكر الشريف، ساروا لإخراب الحصن، فرماهم منه بعض النسوة الذي به، وكادوا يحمونه، ثم قيل لهم فيه، إما أن تسلّموا الحصن وإلا ذبحنا الذين عندنا منكم، فرقّ لهم الذين بالحصن وسلّموه، فهُدم، ثم سعى أصحابه عند الشريف، في أن يوقف عسكره عن هدمه وفي عمارته، فأجابهم لقصدهم، وأعادوا كثيراً مما هدم بالبناء، وأمر بإخراب الموضع المعروف بأم السكارى، جبل بالسلامة من وادي الطائف، لأن الذين بنوا فيه من الحمدة، هم الذين قاموا في هدم حصن أبي الأَخيلة، حصن جويعد، لانتمائه للشريف، فهدم ذلك هدماً دون هدمه الأول .وعاد الشريف إلى مكة، بعد أن صارت إليه القطعة التي قررها على أهل الطائف ولية، وسلك في طريقه طريق نخلة اليمانية .فلما كان بالزيمة منها،

أمر بقطع نخيل فيها وبإخرابها، لعتبه أمراً على أهلها .فاستعطفوه وهادوه بخيلٍ، ومضى منها إلى سولة، ثم إلى خَيف بني عُمير([440])، ثم إلى المبارك ,ثم إلى وادي مرّ ,وأتى منه إلى مكة، في أثناء رجب سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة، وتردد منه إلى مكة غير مرة، وزوج بالوادي ابنه أبا القاسم في شعبان .وفيه الشُّرُف ([441])آل أبي نمي، ولفيفهم من القواد العمرة .
وكان قد حصل منهم في غيبته بالشرق في هذه السنة كدر، سببه أن مقبل بن هبة بن أحمد بن سنان بن عبد الله بن عمر القائدة العمري([442])، استغفل جلبان بن أبي سويد بن أبي دعيج بن أبي نميّ، فضربه بالسيف ليلاً، وهو متوجه إلى مكة، فحمي لجلبان قومه، واحترز منهم القواد العمرة، واستنصروا عليهم وامتنعوا منهم، إلى أن وصل الشريف من الشرق .
فاستماله القواد فمال معهم، وأمر الشرف ولفيفهم من القواد، أن لا ينزلوا بحدا بطريق جدة، فالخالفوه، فلم يسهل به ذلك، وكثير ميله ونصرته للمعاندين للشرف من القواد، فتعبوا لذلك، ورحلوا من حدا، بعد إقامتهم بها شهر رمضان وأياماً من شوال، بعد أن صرف لهم نحو ألف وخمسائة إفرنتي .وكان هو في غالب شهر رمضان وشوال والقعدة بجدة ونواحيها، وأتاه في شوال جلاب من صوب اليمن، فيها ما خرج من حمل مراكب الكارم([443])، التي انصلحت برأس المخلاف، في شهر صفر من هذه السنة، فحصل له منها نفع جيد .ثم وصلت المراكب الكارميَّة إلى جدّة، وهو بها في آخر ذي القعدة، فصالحه التجار الذين بها على عشرة آلاف إفرنتي، بعد وصوله إلى مكة لملاقاة الحاجّ، وتردّد إلى أعيان الحجاج وخدمهم وهاداهم وهادوه، وحج الناس مطمئنين، فلله الحمد.

وحصل بجدة في أوائل سنة ثلاث وعشرين، خلل في بعض مراكب الكارم، عندما عزموا من جدة إلى ينبع، فأمرهم الشريف بالتَّنحيل، فصالحوه في ذلك بألفي إفرنتي، وتوجه هذا المركب وغيره من مراكب الكارم وجلابهم، إلى ينبع ونجلوا بها.

وفي الرابع عشر من صفر من هذه السنة، وصل كتاب من الملك المؤيّد صاحب مصر نصره الله، إلى الشريف يتضمن عتبه عليه في أمور.

منها :أخذه الموجب من المتاجر السلطانية، فإن في المراكب المشار إليها حملاً منسوباً لصاحب مصر.

ومنها :لكونه كان في العام الماضي يشتري ما يرد بجدة من الحب والتمر ويخزنه ويبيعه للناس.

ومنها :لتأخره إرسال ما بقي عليه للخزانة الشريفة السلطانية المؤيدية، مما التزمه لها حين ولي إمرة مكة في سنة تسع عشرة وثمانمائة، وهي عشرة آلاف مثقال؛ لأنه كان التزم بثلاثين ألف مثقال، سلم عشرين وبقي عليه عشرة .وفي الكتاب إليه عتب قويّ لتأخيره إرسال هذا المبلغ، وكلمات مزعجة للخاطر، منها ما معناه :ولا تظن أن إهمالنا لك، عجز عن حصولك في قبضتنا الشريفة، وإنما لما أُحسنت منك السيرة في بعض الأمور، قلنا :لعل الله أن يحسن في الباقي .وقد انزعج خاطره لذلك كثيراً، وحمله ذلك على التنصل من إمرة مكة، فكتب يسأل فقي تفويضها لولديه :السيدين بركات وإبراهيم.

وذكر أنهما يقومان للخزانة الشريفة بالعشرة الآلاف المثقال المطلوبة منه عند ولايتهما، وأنهما أولى بالإمرة منه، لقوتهما ولضعف بدنه وحبه للعبادة، وذكر أنه لم يأخذ موجباً من المتاجر السلطانية، وأنه لم يشتر من اشتراه من الحب والتمر في العام الماضي بقصد احتكاره، وإنما اشتراه لحاجته إليه لنفقته ونفقة عسكره، فلما رأى اضطرار الناس باعه عليهم، فكان في خزنه لذلك وبيعه نفع للناس، وإلى آخر السنة لم يأته جواب عن كتابه .وتوجه عقيب كتابه فقي آخر صفر، لصوب حلي، فبلغها وتلقاه صاحبها محمد ابن موسى إلى الحسبة([444])، وبنى في حلي بأخت محمد بن موسى المذكور، وتوجه بها معه إلى مكة، فبلغها في خامس رجب.

وفي ليلة منتصف شعبان، حضر مع الناس بالمسجد الحرام، وقرأوا ختمةً للسلطان الملك المؤيد، ودعي له عقيب ذلك، وكتب بذلك مكتوبان .ولما تكلف لخدمة أمراء الحاج في موسم هذه السنة، استدان لأجل ذلك من التجار والمتسببين، وبعث عقيب الحج رسولاً وهدية ببعض الأشياء المذكورة، إلى صاحب الشرق الملك شاه رخ بن تمرلنك، وأوصى شيخنا العلامة شمس الدين ابن الجزري السابق ذكره برعايته في ذلك كثيراً، فأجابه لقصده .وكان ابنه السيد أحمد بن حسن، قد توجه في آخر العام الماضي مع قافلة عُقيل([445])، فبلغ هرموز وعاد بغير طائل مع قافلة عقيل، قبيل التروية من هذه السنة.

وفي يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول من سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وصل إلى مكة تشريفان له ولابنه السيد زين الدين بركات، وعهد يتضمن تفويض إمرة مكة إليهما، وتاريخ هذا العهد، مستهل صفر سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وهذا العهد مكتوب عن الملك المظفّر شهاب الدين أبي السعادات أحمد بن الملك المؤيد، والمنفذ له وللتشريفين، مدبر دولته المقر الأشرف السيفي نظام الملك ططر.([446])

وأمر فيه بمراعاة مصالح الناس بمكة، وتعظيم أمر حكام الشرع، وإعادة ما أُخذ من التجار إليهم، وإسقاط ما جدد من المكوسات، وأَعفى فيه السيد حسن من تكلف شيء لأمراء الحاجّ .وفي العهد المتضمن لتفويض إمرة مكة إليه وإلى ابنه نحو من ذلك، والأمر بمراعاة مصالح الرعية، وغير ذلك من الوصايا النافعة .وكان السيد حسن في هذا التاريخ، غائباً عن مكة بناحية اليمن في جهة الواديين أو قرب ذلك .ولما بلغه موت السلطان الملك المؤيد، وذلك في النصف الثاني من صفر، رام أن يجعل ابنه السيد إبراهيم حاكماً بمكة، مع ابنه السيد بركات، ويكون لكل منهما ثلث الحاصل لأمير مكة، ويصرف كل منهما الثلث في جماعته على ما يراه، ويبطل الرسوم التي كان قررها للأشراف والقوّاد في كل سنة، وجعل

الأشراف إلى ابنه السيد إبراهيم، والقواد لابنه السيد بركات، وجعل له الثلث الباقي من الحاصل لأمير مكة، يصرفه في مصالحه وخاصّة نفسه، فلم ينتظم هذا الأمر، لكون القواد لم يوافقوه على إبطال ما كان قرره لهم من الرسوم في كل سنة، ومضى هو وابنه السيد إبراهيم بعد ذلك إلى صوب اليمن، وجاء الخبر بعد ذلك من مصر بما ذكرناه.

وفي هذه السنة، وصل ابنه إبراهيم، من ناحية اليمن، ومعه الأشراف، فألزموا المؤذن بالدعاء لإبراهيم على زمزم وقت طواف الكعبة الشريفة، ففعل ذلك، ولم يسهل بأخيه بركات وجماعته، وتنافر الأخوان وجماعتهما، وقصد إبراهيم دخول جدة، وقصد بركات بعد ذلك دخول مكة، فعورض، وصار يخطب بمكة لإبراهيم مع أبيه وأخيه، وذلك عقيب وصول من اليمن في نصف هذه السنة، وسأل والده من الدولة بمصر، تقرير ولديه المذكورين في الإمرة بمكة فلم يجب لقصده، وكتب إليه بما معناه :لا نثق في أمر مكة إلا بك ولكنك استنب من شئت .وهذا الكتاب وصل إليه وقت الموسم من سنة أربع وعشرين من الملك الظاهر ططر، بعد أن بويع بالسلطنة بدمشق.

وأرسل للشريف حسن يأمره بإسقاط المكس، وأن لا يكلف التجار بمكة قرضاً ,وكتب بذلك في سواري من المسجد الحرام من ناحية باب بني شيبة، وفي جهة الصفا .وبعث للشريف حسن بألف أفلوري أو نحوها، كان خدم بها أمير الحاج المصري في العام الماضي.

وفي هذه السنة نفر كثير من القواد والأشراف عن طاعة الشريف حسن، وانضموا إلى ابن أخيه السيد رميثة بن محمد بن عجلان، واستولوا على جدة، وانتشروا في الطرقات، فنجل أكثر الواصلين من اليمن من غير جدّة، ووصلوا لمكة متحفزين.([447])

وما زال الشريف حسن يسعى حتى بان عن رميثة أكثر من معه، فدخل في طاعة عمه، وتوسل إلى بابنه بركات فأكرمه، وذلك في أوائل سنة خمس وعشرين وثمانمائة .وجاء في هذا التاريخ من ينبع، صاحبها مقبل الشريف بن مخبار، نجدة للشريف حسن، ومضياً بعسكرهما ومعهما الأشراف آل أبي نميّ، خلف القواد العمرة وغيرهم، حتى جاوزوا الواديين في ناحية اليمن، ثم نفر عن الشريف حسن، ابن أخيه رميثة وغيره من إخوته وبني عمه، أولاد عليّ بن مبارك وذوي ثقبة، ولايموا القواد العمرة، وتنافر الشريفان حسن ومقبل في الباطن، لشدة رغبة مقبل في مطاوعة الشريف حسن له في قتال القواد، ولم يجبه لذلك الشريف حسن، لما بلغه من أنه المجرئ لابن أخيه وبني عمه على مباينته والانضمام على القواد، ووصلا لمكة والودّ بينهما ظاهر، وأظهر مقبل عزماً لينبع، وسئل في الإقامة بمكة على مالٍ جزيل بذل له، فلم يمل لذلك، وما رحل من وادي مر، حتى وصل إليه رميثة وأقاربه وكثير من القواد، واستولوا على جدة .وتوجه عقيب ذلك الشريف حسن لنخلة، وأقام بها أياماً، ثم للشرق، واستفاد فيه خيلا كثيرة وإبلاً وغنماً، وأتاه إلى هناك جماعة من القواد العمرة يسألونه في المسير إلى مكة، وتمكينه من جدة فتوقف، ثم أتى مكة في آخر شوّال من هذه السنة .وكان وصوله إليها من صوب اليمن مع مقبل في آخر جمادى الأولى، من هذه السنة، وبعد ذلك بنحو جمعة، كان توجهه لنخلة، ووافاه بمكة وقت وصوله من اليمن كتاب من مصر، من مولانا السلطان الملك الأشرف برسباي صاحب مصر والشام، يخبر فيه بأنه بويع بالسلطنة بمصر من الملك الأشرف صاحب مصر، الأول :يتضمن كثرة العتب عليه لأخذه فلفل التجار الواصلين إلى جدة من كاليكوط بالهند([448])، مجورين على عدن، وأمره برد ذلك إليهم بخطاب فيه عنف .والثاني :يتضمن كثرة تعظيمه، وفيه ما معناه :أنه بلغنا عنك تخيلك أنا نريد بك الاستبدال، ولا يعقل لمكانتك عندنا، وإن غبت عن عيننا، فأنت في القلب، وما كنا نولي في حرم الله تعالى أحداً من الترك، فإن ينبع دون ذلك، ولم نولِ فيها إلاّ شريفاً، ووصلنا كتابك يتضمّن طلبك منا خاتم الأمان ومنديل الرضا، وقد جهزنا لك ذلك، فطب

نفساً وقر عيناً، وسألتنا في استنابة ابنك الشريف بركات في إمرة مكة، وما نثق في ذلك إلاّ بك، وفي ذلك سبب للشحناء بين الإخوة، فإن أردت ذلك، فاستنبه وباشر خدمة المحمل الشريف والأمراء.

وفي أوائل النصف الثاني من ذي القعدة، بان الشريف حسن عن مكة لصوب اليمن، وقدمها في أثناء العشر الأخير من ذي القعدة، جماعة من الأمراء المقدمين الألوف بمصر، والطبلخانات وغيرهم من الترك، ما لا يعهد مثله في الكثرة، وراسلوا الشريف حسن في الوصول إلى مكة، فلم يصل واعتذر بالضَّعف وشاع في الناس أن الأمير قرقماس، أحد الأمراء الواصلين لمكة، يقيم بها مع علي بن عنان بن مغامس بن رميثة، وبلغ ذلك السيد حسن فكثر تضرُّره .ولما أَيسوا من وصوله، بعثوا لرميثة فلم يصل، وحرس الأمراء الحجاج حراسة حسنة في توجههم لعرفة ورجوعهم إلى منى، وباتوا بها في ليلة التاسع إلى الفجر أو قربه .وفي يوم النَّحر، اجتمع السيد بركات ببعض الأمراء بمكة وخدمهم عن أبيه بخمسة آلاف أفلوري ذهباً أو ستة فيما قيل، وسافروا من مكة ولم يحدثوا بها حدثاً.

وكان مما حدث بعد ذلك، أن في يوم الجمعة نصف ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وثمانمائة، وصل الخبر إلى مكة، بأن الشريف عليّ بن عنان بن مغامس بن رميثة الحسني، توجه إلى مكة في عسكر من مصر، وبعد أيام قليلة فارق مكة من كان بها من جماعة الشريف حسن بن عجلان، وتوجهوا إلى بصوب اليمن.

وفي السابع والعشرين من هذا الشهر، وصل الخبر لمكة، بوصول ابن عنان والعسكر إلى ينبع.

وفي ثالث جمادى الأولى، وصل الخبر بمسيرهم من ينبع.

وفي ليلة الخميس سادس جمادى الأولى من السنة المذكورة، دخل إلى مكة كثير من العسكر المصري وغيرهم، فطافوا بالبيت الحرام، وخرجوا إلى ظاهر مكة، ودخلها العسكر والشريف عليّ بن عنان بمن انضم إليه من الأشراف والقواد العمرة والحميضات والمولَّدين المنسوبين لعجلان وابنه([449])، وهم في تجمل عظيم ضحوة يوم الخميس المذكورة .وانتهى السيد علي والأميران قرقماس وطوخ إلى المسجد الحرام، فطاف السيد عليّ بالكعبة المعظمة سبعاً، والمؤذن يدعو له على زمزم، وعليه خلعة الإمرة.

»انتهى كلام مؤلف الأصل القاضي تقي الدين الفاسي رحمه الله تعالى، ولم يذكر وفاة صاحب الترجمة، وبيض لباقيها، ويظن الظنّ أنه خالف شرطه في ذكرها، فإنه لم يمُت في حياته.

والحال أن صاحب الترجمة مات بالقاهرة في ليلة الخميس سابع عشري جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة، ووفاة المؤلف بعده بثلاث سنين، في ليلة الأربعاء ثالث شوال سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة بمكة رحمة الله تعالى عليهما آمين .ولعل السبب للمؤلف في ترك تكملة الترجمة، ما وقع له في آخر عمره من الفتنة، وقد ذكرها الحافظ نجم الدين عمر بن فهد الهاشمي رحمه الله تعالى، في تاريخه» :إتحاف الورى بأخبار أم القرى وملخصها] «ثم يورد النص المذكور في المتن .[أ .هـ .عن العقد الثمين.

قال مؤلفه :وتوقف العلامة تقي الدين دون أن يكمل ترجمة السيد حسن بن عجلان، ثم أتمها تلميذه ابن فهد .([450])هكذا قال المحقق.([451])

واكمل الترجمة هكذا:

وفي اليوم الرابع عشر من ذي الحجة سنة سبع وعشرين وثمانمائة، بعد أن تكاملت جميع الركوب في المحطة بمكة، توجه السيد عليّ بن عنان وصحبته الأمير قرقماس وأحمد الدوادار، والمماليك السلطانية، صوب الشريف حسن بن عجلان، لأنه بلغهم أنه نازل بقرب مكة ينتظر توجه الركب، ويدخل مكة، فساروا جميعاً، فأدركوا ولده السيد بركات وجماعة من الفرسان معه، فانهزموا وأنذروا السيد حسناًَ، فانهزم على الفور هو ومن معه، وأدرك الترك بعض القواد فقتلوه وسافر الحاجّ.

وسبب نزول السيد حسن لمكة :أن الخواجا أبا بكر التوزري مشى في الباطن مع السيد ميلب، وأرسله إلى السيد حسن يبشّره في الباطن بالبلاد، وأن الخلعة وصلت مع الحاج له، وأن أمير الحاج ينتظر إلى وقت الرحيل، ويبعث له التشريف فيلبسه ويدخل مكة، فظن الأمر صحيحاً، وهو في الحقيقة خداع، ليحصل في القبضة، فسلمه الله من هذه الحيلة.

ثم في جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وثمانمائة، خرج الأمير قرقماس من مكة بمن معه في طلب السيد حسن، حتى بلغوا حلي من أطراف اليمن، فلم يقابلهم، مع قوته وكثرة من معه، بل تركهم وتوجّه نحو نجد، تنزُّهاً عن الشر وكراهة للفتنة .فعاد الأمير قرقماس ومن معه إلى مكة، في عشري جمادى الآخرة.

وفيها عزل السيد علي بن عنان عن إمرة مكة، ورسم السلطان الأشرف برسباي، بطلب السيد حسن إلى الأَبواب الشريفة، وتقدّم له بذلك القاضي نجم الدين بن ظهيرة، من عقبة أيلة، ومعه دوادار أمير المحمل في هذا العام الأمير تغري بردي المحمودي، فذهبا إلى السيد حسن وأخبراه برضى السلطان عنه، وبشرّاه بالبلاد، إن قابل المحمل ووطئَ البساط، وطيبا خاطره، فبعث معهما ولده السيد بركات، فاجتمع بأمير الحاج، وقد دخل بطن مر، في ثامن عشرة القعدة، فسرَّ بقدومه، ودخل به معه مكة، أول ذي الحجة، وحلف له بين الحجر

الأسود والملتزم، أن أباه لا يناله مكروه من قبله ولا من قبل السلطان، فعاد إلى أبيه وقدم به معه مكة، يوم الأربعاء ثامن ذي الحجة، وخرج للقائه أمير الحاج والأمير قرقماس والأمير الأول وغيرهم من الأعيان، ودخل معهم مكة، فابتدأ بالطواف، وحلف له أمير الحاج ثانياً، والتزم رضى السلطان عليه، وطيب خاطره وألبسه التشريف السلطاني، وقرره في إمارة مكة على عادته، ثم خرج بعد الفراغ من الطواف إلى صوب المدرسة المنصورية، وهي عند باب العمرة، فسلم على خوند زوجة السلطان الأشرف، وكانت ضعيفة، وتوفيت بالمدينة الشريفة بعد الفراغ من الحج ورجوعهم، ثم حج الشريف حسن في محفةٍ أعطاها له أمير الحاج، وحج الناس وهم طيّبون، وتوجه السيد حسن إلى القاهرة في المحفة صحبة أمير الحاج، وصحبته عفيفة شكر، واستخلف ولده السيد بركات على مكة، وتجهّز الأمير قرقماس وبعض الترك وصحبتهم السيد عليّ بن عنان إلى القاهرة، وتخلّف الأمير أُرنبغا، رأس نوبة الأشرفيّ، ومعه مائتا مملوك بمكة المشرفة، فهو باشى العسكر والحاكم عليهم.

وفي رابع عشر في المحرم سنة تسع وعشرين وثمانمائة، وصل السيد حسن بن عجلان إلى القاهرة، بعد أن أمر السلطان أعيان الدولة من أرائه ومباشريه، بتلقّيه وإعزازه وإكرامه، فلما حضر بين يدي السلطان، أنعم عليه بالخلع والإنعامات، وقدّم له كل واحد من أركان الدولة التقاديم والضِّيافات، وأهدوا له الخيول المسَّومة والسروج المغرقة .وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً، وفرح به السلطان وأكرمه، وأقبل عليه إقبالاً كليّاً.

فلما كان سابع عشري المحرم، ويقال في العشرين من جمادى الأولى، سنة تسع وعشرين، قرّره السلطان في إمرة مكة، والتزم بثلاثين ألف دينار، وبعث عبده زين الدين شكراً، إلى مكة لحفظ ساحل جدّة ومتحصّلها، ولتجهيز العسكر المقيم بها، فوصل شكر إلى مكة، وجهّز العسكر وباشتهم الأمير أُرنبغا إلى الديار المصرية، ثم رسم السلطان للسيد حسن بالتوجه إلى مكة وجهزه، فبرز ثقله خارج القاهرة، فاعترض له الضعف، فعاد إلى القاهرة، ومكث بها أياماً

يسيرة، ثم توفي في ليلة الخميس سابع عشري جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة، وصلي عليه من الغد، ودفن بالصحراء بحوش زمام السلطان الملك الأشرف برسباي، فأرسل السلطان نجابة بمراسيم إلى الشريف بركات وأخيه إبراهيم،) في أثناء السنة (ابنَي الشريف حسن بن عجلان، يتضمن حضورهما إلى الأبواب والتأكيد في ذلك، وأنهما إن لم يحضرا كلاهما أو أحدهما، يخرج عنهما السلطان البلد إلى غيرهما .فتجهّز السيد بركات وأخوه إبراهيم في أثناء السنة، وخلفا بمكة أخاهما السيد أبا القاسم يحفظها، وبجدة زين الدين شكر، يحفظ متحصلها، فحفظا ذلك حتى عادا حفظاً حسناً .وكان دخولهما إلى القاهرة في ثالث عشري رمضان، وحضرا بين يدي السلطان، فأكرمهما وخلع عليهما، وفوِّضت إمرة مكة للشريف بركات في سادس عشريه، على أن يقوم بما تأخّر على والده، وهو مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار، غير خمسة دفعها قبل موته، وعاهد السلطان بين الأخوين بالطاعة وعدم المخالفة بينهما، وخلع عليهما، وتجهَّزا إلى مكة، فسافرا في حادي عشري شوالس، فوصلاها في أول العشر الأوسط من ذي القعدة، وقرئ عهد الشريف بركات بالولاية، ولله الحمد.

وقال الشريف الفاسي، بعد البياض الماضي:

ولم يكن لأحدٍ من أمراء مكة بعد أحمد ابن عجلان من الحشمة مثل ما للسيد حسن ابن عجلان .وله من العقار بمكة أكثر مما كان لأخيه أحمد، وملك من العقار بوادي مرّ، قريباً مما ملك أخوه أحمد، وملك من العبيد نحو خمسمائة فيما قيل، ولم يكن لأخيه عليّ من العقار ولا من العبيد مثل ماله، ولا قاربه عليّ في ذلك ولا في السلاح، وقد رزق حسن منه أشياء حسنة، وأشكّ في تساويهما فيما ملكاه من الخيل .وأما عنان، فلعله ملك من الخيل مثلهما أو قريباً مما ملكاه، ولم يكن له كثير شيء من العقار ولا من العبيد.

واتفق للسيد حسن مع بني حسن من القوة عليهم، ما لم يتفق لأحد ممن تقدَّمه من أمراء مكة الأشراف من آل أبي نمي فيما علمناه، لأنه أمرهم بترك معارضته في عناياهم، وذلك أن لكل من بني حسن أو أكثرهم صاحباً من تجار مكة وغيرهم، وله على التاجر نفع، يأخذه منه في كل سنة .فإذا أراد صاحب مكة أو أحد من بني حسن التعرّض للتاجر المذكور بطمع، منع صاحبه من ذلك، وما استطاع أحد من القواد يخالف ما أمر به حسن في ترك العنايا، وأمرهم أيضاً أن لا يجيروا في أمر يريده إلا برضاه، فما خالف أحد أمره .وكان الذين أمرهم بترك العنايا والجيرة، القواد :العمرة والحميضات دون الأشراف، لأن الأشراف لم يكونوا يطمعون بذلك معه، وكانوا يقنعون منه بالمسالمة وتمكينه لهم من سكن البلاد، بخلاف القواد، فإنهم كانوا متمكنين من السُكْنى معه، ومشاركين له في أمره، ولكنهم قَلَّ أن يخالفوه في أمر، إلى أن حصل التنافر بينه وبين ابن أخيه، فكان يقع من بعضهم ما يُخالف هواه.

ومما يحمد من خصائله، أنه كان لمصالح الحجّاج والمجاورين يرعى، فوجدوا بولايته راحةً ونفعاً.

ومنها :أنه في آخر سنة سبع عشرة وثمانمائة، تطوّع بمائتي مثقال لعمارة رباط رامشت، فأُزيل بذلك غالب ما كان فيه من الشَّعث، وصار حسناً .وللسيد حسن صدقات أُخر وصلاتٌ تشكر .وفيه صبر كثير واحتمال وحياء ومروءة عظيمة، فالله تعالى يزيده فضلاً ويسدده إلى الخير ويرشده .وللشعراء فيه مدائح كثيرة حسنة .وممن أكثر في مدحه الوالد رحمه الله تعالى، وله فيه قصائد.

وبمراجعة اتحاف الورى لم يوجد هذا النص في حوادث سنة827) هـ.(

ولكن ابن فهد ذكره في حوادث عام828) هـ(، ولكن بما لا يطابق هذا النص.

وإنما وجد هذا في غاية المرام([452])، حيث ترجم عبد العزيز بن فهد للشريف حسن، فنقل كلَّ ما ذكره الفاسي، الذي قدمناه، وأضاف هذا النص، ولكن محقق العقد لم ينقله حرفياً، أو أن محقق غاية المرام تصرف في بعض النصوص بما يزيدها إيضاحاً.

وهكذا انتهت حياة حافلة بالنضال، ووجوه الخير.

وقد خلف حسن ذرية طيبة انحصرت فيهم إدارة شؤون الحجاز، ما دامت لهم تلك السلطة . والمشهور من بني حسن هذا :

1- بركات، وفيه تسلسل الحكم.

2- أحمد، ولي الإمرة.

3- أبو القاسم، ولي الإمرة أيضاً.

4- إبراهيم بن حسن بن عجلان.

5- علي بن حسن بن عجلان.

وقد مدحه شعراء عصره مدائح كثيرة بقصائد طوال، ذات معانٍ بديعة، وأغراض سامية .فقد مدحه الشاعر حسين العليف ([453])بقصيدة سماها) :الدرة الثمينة (جاء فيها :

هاتا أحاديث العقيق وحاجر ([454])

ما في الحديث عليكما من حاجزِ

واستسقيا دمعي إذا كف الحيا

عنها وَكَفَّ وَكُفَّ وَكْفُ محاجري

وسلا رُبا يبرين عن آرامه

والجهلتين عن الغزال النافرِ

إن تختبرني بالزمان وأهله

إني لعمر أبيك أخبر خابِرِ

جمدتْ أكفُّ أهيله فكأنما

يعطون سائلهم بكفَّيْ ماذرِ

حسبي مجاورة المشاعر والصفا

والمروتين وتلك خير شعائري

وجناب ملك الأَبطحين بمكةٍ

بدر الهدى القمر المنير الزَّاهر

ومنها:

محيي شجاعة حيدرٍ يوم الوغى

وسخاء سبطيه وعلم الباقرِ

والعادل الأحكام إلا أنه

في بذله للمال أجور جائرِ

حرم السؤالُ عليَّ غير سؤاله

في مكةٍ تحريمهما للكافرِ

عقم الزمان بمثله وبمثله

راحت به دنياه أعقر عاقر

سلطان مكة والمشاعر كلها

وإمامها الناهي المطاع الآمرِ

ومجدد الفتح المبين بها ومن

أحيا بها فتح النبيِّ الحاشرِ

لمَّا تقلل في الأَباطح سائراً

خِلْتَ الجبال من الخميس السَّائر

وغدت شعاب الأَبطحين كأَنَّما

سالت بسيل أسنَّةٍ وبواترِ

ومدحه الشاهر علي العُليف، أخو من سبق([455])، فقال منها:

تُتَوَّجُ الشمسُ والبدرُ المنير به

وتستوي نعله تاجاً لكيوانِ

ابن النبيِّ وسبطيه وحيدرةٍ

وفاطمٍ ليس من لخمٍ وغسَّانِ

وسادة جاء في التَّوراة فضلهم

وفي زبورٍ وإنجيلٍ وفرقانِ

إن عُدَّ فخراً وفضلاً فهو أكرم من

مشى على الأرض من شيبٍ وشبَّانِ

تراه إذ يُسأل المعروف مبتسماً

مستبشراً بالعطايا غير غضبان

أندى وأكرم من أوس بن حارثةٍ

ومن يزيد العطايا في خراسانِ

ومن سموأل غسَّان ومن هَرَمٍ

وطلحة المتوفَّى في سجستانِ

إلى أن يقول :

أو قال أفصح من قسٍّ وقيسٍ معاً

ومصعبٍ وأبي ذرٍّ وسحبانِ

مكارمٌ من عليٍّ أصل دوحته

وفرعها من أبي سعدٍ وعجلانِ

ومنها :

إنَّ الخلافة ما من رام يسلمها

من بعد داود جاءت في سليمانِ

إني مدحتك يابن الشُّمِّ من مضرٍ

وقد رضيتك عن قاضٍ وعن دانِ

أرجوك لي يابن خير العالمين كما

قد كان جدُّك في الدنيا لحسَّانِ

إني وإن عشت لا أُثنِي عليك كما

أثنى الوليد على الفتْح بن خاقانِ

إنْ نَعَّلَ المتنبي خيلَه ذهباً

إني لأرجوك تحبوها بتيجانِ

فاسلم ودمْ في نعيمٍ لا نفاد له

وكل حي وإن طال المدى فانِ

ومن هذه القصائد وغيرها في هذا الكتاب ترى مدى ثقافة شعراء ذلك العصر، على أنه ظاهر التكلف في تعمّقهم.

ومدحه الشاعر عبد القوي بن محمد بن عبد القوي المكي([456])، فقال :

وافت بدولتك السعادة للملا

واليوم نال مؤمل ما املا

من كان منا مذ نأيت مُحسبِلا

فاليومَ يتركه السرور مُحمدِلا

ومن اختفى متوارياً خوف الردى

نادى الأمان به هلمَّ مبسملا

ومن ابتغى وطناً بأقصى بلدة

فالعدل يسكنه بمكة منزلا

رَد الإله عليك ملكك بعدما

ظن الحسود بأنه لن يَفعلا

ما كان نقلك عن مكانك موجباً

نقص المكانة لا ولا كلا ولا

لكنك البدر المنير رقيت في

رتب الكمال فحزتها متنقلا

رُدَّتْ إلى أم القرى أيامها

فيها بعدلك يصحب الذئب الطّلا

ومنها :

لله درك من مبارك طلعة

نشأت بميمون السعادة معقلا

أَوَ لَمْ تكن فيها خليقاً بالعُلى

ومدافعاً عنها بها عظَمَ البلا

ومن قصيدة تزيد على مائة بيت للشاعر نفسه :([457])

ملكٌ ترى العافين محدقةً به

زمراً من الفقراء والأمراءِ

هذا يروم الأمن من سطواته

ولذاك في ناديه حُسْنُ عطاءِ

مسدي النفائس للمؤمل بره

مردي العنابس في وغى الهيجاءِ

ما جود معن أو سماحة جعفر

ما طلحة الطلحات أو ما الطائي

ما مالك في بأسه ما عنتر

ما حارث ما عمرو يوم لقاءِ

إبِهِ يُقاس الناس وهو إمامهم

في حالة النعماء والبأساءِ

تخشى ملوك الأرض سورة بأسه

وتهابه في الغاب أسدُ وغاءِ

ومنها :

ملكٌ تخر له الجبال مهابة

وتطول فيه ألسن الفصحاء

بدر المعالي وابن بجدتها الذي

يُدعى لدفع الخطب :يابن جلاءِ

مِنْ جَدِّهِ ورث الشجاعة والتقى

ما أشبه النجباء بالنجباءِ

وتركنا كثيراً في ذلك المرجع، فراجعه إن شئت.

53– الشريف علي بن عنان بن مُغامِس بن رميثة بن أبي نمي الأول.

ت 833) هـ 1429/م :(

كان له ولد اسمه عنان أيضاً، منه تحدرت أسرة الأشراف ذوي عنان أهل قرية الخوار([458])، شمال مكة.

وللابن الشريف عيسى بن فيصل العناني رسالة وشجرة عن ذوي عنان هؤلاء .ذكر السخاوي علياً هذا، فقال :([459])

ولي إمرتها مرة للأشرف برسباي في المحرم سنة سبع وعشرين عوضاً عن البدر حسن بن عجلان وخرجت معه تجريدة من المماليك السلطانية مقدمهم قرقماس الشعباني الناصري فلم يلق حرباً، وأقام على إمرته ثم انفصل ودخل الغرب فأكرمه أبو فارس ملكها ثم رجع إلى القاهرة فأقام بها، وكان حسن المحاضرة يذاكر بالشعر ونحوه .وذكره المقريزي في عقوده وأنه كان لين الجانب .مات بالقاهرة مسجوناً في قلعتها يوم الأحد ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين مطعوناً ([460])شهيداً غريباً وحيداً عفا الله عنه.

يلقب :علا الدين، ويكنّى أبا الحسن.

وترجم له العز بن فهد، في غاية المرام، فقال :([461])

أمير مكة المشرفة.

ولد بها ونشأ بها، وقدم القاهرة ودخل منها بلاد الغرب فأكرمه ملكها أبو فارس وأنعم عليه بألف دينار وعاد لمكة، وسمع بها علي ابن الجزري في سنة ثمان وعشرين مجلس الختم من السنن لأبي داود.

وفي سنة ست وعشرين ([462])لما لم يقابل السيد حسن بن عجلان أمراء الحج تخوفاً على نفسه، ولاقاهم ولده السيد بركات، تحدث الناس أن الأمير قرقماس أحد الأمراء الواصلين لمكة يقيم بها مع صاحب الترجمة، وبلغ ذلك حسناً فكثر تضرره .ثم إن قرقماس سافر،

وأقام بالينبع، وتوجه السيد علي إلى القاهرة؛ فولاه السلطان إمرة مكة في المحرم من سنة سبع وعشرين، وجهز معه عسكراً من الترك عدتهم مائة وأربعة عشر فارساًَ، وخيلهم كذلك، وأميرهم طوخ، وساروا في ثامن عشر ربيع الأول، وجاء الخبر إلى الينبع إلى الأمير قرقماس في ثامن عشري ربيع الأول بأنه رسم بتجهيز العسكر لمكة، وبأمر أهل ينبع والصفراء والمدينة بالمسير مع العسكر إلى مكة، ووصل الخبر بذلك كله إلى مكة في يوم الجمعة نصف ربيع الآخر.

وفي يوم الخميس سادس جمادى الأولى دخل إلى مكة كثير من العسكر المصريين، وفي ضحوة يوم الخميس دخل السيد علي بن عنان بمن انضم إليه من الأشراف، والقواد العمرة، والحميضات، والمولدين المنسوبين لعجلان وابنه([463])، وهم في تجمل عظيم، ومعه الأميران قرقماس وطوخ، وانتهوا إلى المسجد الحرام، وعليه خلعة الإمرة؛ فطاف بالبيت أسبوعاً، والمؤذن يدعو له على زمزم، وبعد فراغه قرئ مرسومه بظل زمزم بولايته لإمرة مكة، عوض السيد حسن بن عجلان، وهو مؤرخ بنصف ربيع الأول، ودعي له في الخطبة] يوم الجمعة سابع جمادى الأولى [وعلى زمزم، وأعاد الدعاء لصاحب اليمن الملك الناصر.

وفي اليوم الرابع عشر من ذي الحجة سن سبع وعشرين توجه السيد علي بن عنان وصحبته الأمير قرقماس، وأحمد الدوادار، والمماليك السلطانية صوب الشريف حسن بن عجلان؛ لأنه بلغهم أنه نازل بقرب مكة ينتظر توجه الركب ويدخل مكة؛ لأنه روسل في الباطن- ليحصل في القبضة -أن الولاية له، وبعد سفر الحاج يولَّى، فأُنذر فانهزم على الفور، فأدرك العسكر بعض جماعته من القواد العمرة فقتلوه.

وفي سنة ثمان وعشرين عزل الشريف علي ابن عنان عن إمرة مكة، ورسم السلطان مع أمراء الحاج بطلب حسن بن عجلان إلى الأبواب الشريفة، فاجتمع بهم في الموسم بعد حلفهم،

وأُلبسي التشريفة، وقرر في إمرة مكة على عادته .وتوجه السيد علي بن عنان صحبة الحاج إلى القاهرة، ثم اعتقل بالقاهرة إلى أن مات .وكان حسن المحاضرة، يذاكر بالشعر ونحوه، لين الجانب .مات في يوم الأحد ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة مسجوناً بقلعة الجبل في طاعون كان بالقاهرة.

–54الشريف رُمَيثة بن محمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الأول ..الخ ت 837) هـ / 1433م :(

ترجمه عز الدين بن فهد، فقال :(**[464]**)

أمير مكة المشرفة.

ولد بمكة ونشأ بها، وكان في طوع عمه السيد حسن، ثم نفر عنه في سنة خمس عشرة؛ لأن أخاه أحمد بن محمد ضرب مسعوداً الصبحي نائب عمه بجدة، لكثرة مطله له في بقية حوالة عليه، فغضب لذلك عمه وأمر بإخراجه من البلد، فغضب لأحمد أخوه رميثة، وأظهر التجهيز للخروج، فما ترضاه عمه، فمضى على جهازه حتى كمل، وخرج هو وإخوته صوب القواد العمرة، فمكثوا عندهم أياماً، وتكلموا مع عمهم في تطييب خواطرهم، فأعرض؛ فمضوا إلى ينبع، ثم إلى مصر، فما وجدوا بها كبير وجهٍ، وحسن لهم القاضي نور الدين بن الجلال الرجوع إليه عمهم فإنه يرضيهم، فمالوا إلى ذلك، وتوجهوا مع الحاج حتى بلغوا ينبع، عمهم بوصولهم منع من دولهم مكة، فأقاموا بينبع إلى أثناء السنة الآتية.

وفي ليلة سادس جمادى الأولى سنة ست عشرة وثمانمائة وصل إلى حَدًّا من وادي مر على غفلةٍ من أهلها؛ لأن عمه رغب في إخراجه من ينبع، وما وجد مذهباً غير هذا .ولما بلغ

عمه خبره أمر بالمبادرة بإبعاده، وصمم على ذلك، وركب إلى جهته؛ فما وسع الذين نزل عليهم إلا إبعاده، فمضى إلى ينبع، والتحق به فيها بعض القواد العمرة، فعادوا به إلى منزلهم بالعد .وأخبر السيد حسن بوصوله فتوجه للعد بعسكره .وكان السيد رميثة قد توجه منه مع بعض القواد، والشريفين ميلب، وشفيع ابني علي بن مبارك، وما شعر الناس به إلا وقد هجم مكة من درب اليمن، في ضحى يوم الخميس رابع عشري جمادى الآخرة سنة ست عشرة)أي وثمانمائة(، والذي جرَّاه على هجم مكة القائد محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن عبد الله ابن مسعود العمري([465])، وما قدر الذين بمكة من جماعة السيد حسن على دفعهم، وانضم إليه منهم جماعة، وما احدث في مكة سوءاً ولا من معه، ثم خرجوا منها لتخوفهم من قصد السيد حسن لهم .وكان من خبر السيد حسن أنه أخبر بقصدهم لمكة فشق ذلك عليه؛ لتخيله أنهم ينهبونها ويتقوون بذلك، ويتحصنون فيها، فلما انتهى إلى الزاهر أتاه بعض أصحابه من مكة، فأخبره بخروجهم منها، وعدم إفسادهم فيها، وقصدهم إلى الأبطح .فنزل على الأبطح من ثنية المقبرة، ورأى سوابق عسكره رميثة ومن معه] خارجين من مكة [فاتبعوهم، وتلاهم الباقون .ثم إن السيد حسن سئل في الرجوع عنهم رحمة لهم، فرحمهم وعاد إلى مكة . ثم بلغه أنهم مقيمون بنخلة، فتوجه إليهم حتى انتهى إلى نخلة، ففارقوها، وقصدوا الطائف؛ فبعث السيد حسن بعض خواصه إلى أهل الطائف بالإعراض عن المذكورين؛ فأعرض عنهم ناس، وأكرمهم ناس بمل ليس فيه كبير جدوى، فقصدوا نعمان فتوصلوا منه إلى اليمن . فسلكوا طريق النقب حتى بلغوه، وانتهوا إلى عرب باليمن، فحاربوهم وكسبوا منم ما تجمل به حالهم، وبدا من رميثة في هذا اليوم ما يدل على كثرة شجاعته، وأقاموا باليمن مدة، ثم عادوا فقصدوا جدة، وخفي مسيرهم إليها على السيد حسن .ولما وصلوا جدة نهبوها وأخربوا بيت الصبحي؛ وذلك في العشر الأوسط من رمضان سنة ست عشرة .وبلغ خبرهم السيد حسناً فبادر إليهم، ولقوه بقرب جدة متأهبين للقائه، فمنعه من محاربتهم القواد، ولم يمكنه المخالفة، وطيبوا نفسه بإخراج رميثة ومن معه من جدة، ومكنوه منها، ثم قطعوا بين الفريقين حسباً، وسعوا في الصلح بين الفريقين، فلم يتفق ذلك؛ لأن السيد حسناً لم يوافق على

دخول من التفَّ على رميثة من العبيد والمولدين في الصلح، وأبى رميثة إلا دخولهم .وعرف كل من السيدين حسن ورميثة أن القواد لا تمكن أحداً منهما من الآخر؛ فتسالموا من القتال حتى انقضى الحج من هذه السنة.

وبعد الحج توجه السيد حسن إلى العد بعسكره ومن معه مقبل بن مخبار وجماعة من أصحابه، وكانوا قدموا في هذه السنة للحج ولنصرة حسن، وعرف رميثة وأصحابه أنه لا قدرة لهم على المذكورين، وأن من يتخيلون منه النصر من ذوي عمر الملايمين لحسن لا يمكنهم النصر في هذا الوقت؛ فقصد رميثة والأقوياء من أصحابه إلى جهة اليمن بالبر، وركب الضعفاء منهم البحر، واجتمعوا بحلي .

ولما قدم القاضي أمين الدين مفلح من مكة في سنة سبع عشرة إلى اليمن– وهو غير راض على السيد حسن –اجتمع هو ورميثة بحلي، فأكرم مفلح السيد رميثة، وأزال كثيراً من ضروراته، وأمره بالتوجه إلى مولاه، وكتب هو إلى مولاه الناصر ([466])بخبره، وسأله في كرامته، فسر الناصر بقدوم رميثة، وأمر بتلقيه وإكرامه حتى انتهى إليه؛ فرأى من السلطان ما سره .وكان قد تجدد في نفس السلطان حنق على السيد حسن وشكر؛ لكونه لم يصله العشرة الآلاف المثقال المقررة له في كل سنة عن مال ابن جميع، ولا قيمة ما بعث به من الطعام إلى مكة مع شكر .وكان ما قرره لرميثة مد طعام في كل يوم– وهو أربع غرائر مكية –وخمسين ديناراً جدداً غير المقررة له من التمر في أيام النخل– وهو قل أن ينفصل عن السلطان وقت الأكل– وطلع مع السلطان إلى تعز، ونزل معه إلى زبيد، وتوجه منها إلى مكة بعد أن أحسن له السلطان بذهب جيد، وإبل وطعام وكسوة؛ فوصل في رمضان سنة سبع عشرة إلى وادي الآبار، ونزل به على ذوي ميضة، وما سهل ذلك بعمه، وهم بمحاربتهم .ثم سعى الناس في الصلح بينهم على مائتي ألف درهم يسلمها حسن لرميثة، ويكون لحسن جباء الجلاب الواصلة في هذه السنة، وأن يكون الفريقان سلماً إلى انقضاء

العشر الأول من المحرم سنة ثمان عشرة وثمانمائة؛ فرضياً بذلك، وضمن على ذلك منهما جماعة من أصحابهما، فما حصل في ذلك خلل منهما.

وفي أواخر المحرم- أو أوائل صفر -من سنة ثمان عشرة ورد إلى جدة القاضيب مفلح بما في صحبته من المراكب والطراريد والولقات والجلاب، فاستقوا من جدة بمعاونة السيد رميثة، وأخذ منهم الزالة، ومضوا إلى ينبع، وما قدر عمه على منعه، ثم عاد رميثة- بعد سفر الجلاب من جدة -إلى الجديد، وأقام به إلى شعبان من هذه السنة.([467])

ثم ولي نيابة السلطنة بالحجاز عن عمه، وإمرة مكة عوض ابني عمه، في أوائل صفر من هذه السنة، ووصل إليه الخبر بذلك في سادس عشر ربيع الأول، فرحل السيد رميثة وأصحابه من الوادي، ونزلوا بجدة .ثم لما عاد السيد حسن من الشرق- المرة الثانية -في هذه السنة توجه إلى جدة فأزال منها رميثة وأصحابه، واندفع رميثة إلى جهة الشام.

ووصل الحاج بإثر ذلك؛ فلايم رميثة الحجاج، ووصل معهم لمكة؛ لتقرير السلطان المؤيد له على ولايته- وهو بحلب -فدخلوا مكة في هلال الحجة، وخطب له، ودعي له على زمزم، وضربت السكة بايمه.

واستمر متولياً إلى أن عزل عنها، ففارقها في ليلة السادس والعشرين من شوال سنة تسع عشرة، بعد أن حصل بيينه وبين عمه السيد حسن قتال في يوم الأربعاء خامس عشر شوال -كما هو مذكور في ترجمة عمه -ومضى السيد رميثة إلى اليمن.

ثم عن عمَّه إلى بعض خواص ابن أخيه يستميله بالدخول في طاعته، فمال إلى ذلك ابن أخيه، وقدم رميثة إلى مكة بإخوته وزوجته- وهي أعظم من حمله على ملايمة عمه -فلما بلغ

السيد حسناً– وكان قد توجه من مكة لقصد الشرق –إقبال ابن أخيه إليه أمر خواص غلمانه بتلقيه وكرامته، فخرجوا للقائه موكبين له، ودخل معهم مكة في يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة عشرين وثمانمائة؛ فأنزلوه بما كانوا أعدوه له، وكسوه وضيفوه وخدموه، واستحلفوه على إخلاص الود لعمه، وحلفوا له .وكان هذا الحلف في يوم الجمعة العشرين من صفر المذكور، في جوف الكعبة.

ومضى السيد رميثة بعد ذلك بأيام قلائل هو وإخوته لعمهم؛ فأكرم ملاقاتهم وأحسن إليهم، وبالغ في الإحسان إلى رميثة، وأظهر للناس الاغتباط به كثيراً، وما سهل ذلك بأكثر بني حسن لتخيلهم أن حالهم لا يروجِ كثيراً إلا في زم الفتنة.

وأقام مطيعاً مع عمه مدة إلى أثناء سنة أربع وعشرين، فبان عن طاعة عمه مع نفر كثير من القواد والأشراف، واستولوا على جدة، وانتشروا في الطرقات فنجل أكثر الواصلين من اليمن في غير جدة، ووصلوا لمكة متحفزين.

وما زال السيد حسن يسعى حتى بان عن السيد رميثة أكثر من معه، فدخل في طاعة عمه، وتوسل إليه بابنه السيد بركات فأكرمه، وذلك في أوائل سنة خمس وعشرين وثمانمائة.

ثم نفر عن طاعة عمه مع أخويه، وبني عمه أولاد علي بن مبارك، وذوي ثقبة ولايموا القواد العمرة، واستولوا على جدة في آخر جمادى الأولى .وما زال السيد حسن يسعى حتى بان عن السيد رميثة أكثر من كان معه، وقصد السيد حسن رميثة ومن معه لصوب جدة؛ فهربوا إلى مر اظلهران، ودخل في طاعته ممن مع رميثة ميلب بن علي بن مبارك، وغيره، واستولى الشريف حسن على جدة، ومضى رميثة ومن معه من الأشراف آل أبي نمي،

والمولدين من أولاد عبيد جدِّه عجلان إلى ينبع، وأعانوا صاحبها مقبلاً في حروب بني أخيه وبير بن مخبار.

وأرسل السيد حسن لأولاد وبير ([468])بخيلٍ وسلاحٍ ورجالٍ، وعزم على المسير إلى ينبع لنصرتهم، فأتاه للفور مقبل خاضعاً فأكرمه وأعرض عن توجهه لينبع .وسأله مقبل في المسير معه لينبع، فاعتذر له بوصول كتاب صاحب مصر إليه بأن يسعى في تحصيل مقبل .وشرط على مقبل أن يبين عنه رميثة ومن معه.

ولما عرف رميثة بذلك قصد أمير المدينة عجلان بن نعير بن منصور بن شيحة الحسيني في أن يشفع له إلى عمه في الرضاء عنه، ويلزم طاعة عمه، فأتى عجلان للشريف حسن متشفعاً فأجابه لقصده، وحضر إليه ابن أخيه رميثة في ربيع الأول سنة ست وعشرين، فأكرمه وأمره بمباينة من كان معه من جماعة عجلان، فرجعوا لينبع.

وفي سنة ست وعشرين([469])، لما لم يقابل السيد حسن أمراء الحاج، بعثوا إلى صاحب الترجمة يدعونه سرًّاً وأطمعوه بولاية مكة، فلم يستطع الوصول إليهم؛ لأنه كان مقيماً عند عمه.

وفي سنة سبع وعشرين قدم السيد رميثة من اليمن فقبض عليه الأمير قرقماس، واحتفظ به إلى وصول الحاج؛ فجهزه مع أمير الحاج قراسنقر كاشف الجيزة مقيداً في الحديد .فوصل إلى القاهرة؛ فأُرسل إلى الإسكندرية هو والشريف مقبل بن مخبار في رابع رجب من السنة بعد هذه.

ثم أُفرج عن السيد رميثة من السجن بالإسكندرية، وحضر إلى القاهرة في تاسع عشر المحرم سنة تسع وعشرين، ثم وصل إلى مكة واستمر ملايماً لابن عمه السيد بركات، إلى أن أرسله في ثامن عشري جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين مقدم جيش إلى بلاد الشرق، فغاروا على شهران ([470])وعرب كثيرة، فانكسر جماعته وقتل هو وجماعة من القواد والعبيد في يوم الأربعاء سادس رجب سنة سبع وثلاثين وثمانمائة ببلاد الشرق، ودفن فيه.

كان له ابن اسمه ميلب([471])، قتل في عسفان سنة839) هـ (في معركة مع قبيلة بشر الحربية، وهزم الجيش الذي كان قائده الشريف علي بن حسن بن عجلان.

–55الشريف أحمد بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الأول .وباقي النسب هناك . ت 842) هـ 1438 /م :(

أمير مكة، يلقب :شهاب الدين.

ولد بمكة ونشأ بها في كنف أبيه، وأجاز له في سنة خمس وثمانمائة من أجاز للسيد بركات.([472])

وفي المحرم سنة إحدى عشرة وثمانمائة ندب والدهُ القائد سعد الدين جبروه إلى مصر بهدية طائلة؛ ليسعى له في أن يكون ولده السيد أحمد شريكاً لأخيه بركات في إمرة مكة؛ فأجيب إلى ذلك، وولي السيد حسن نيابة السلطنة بالأقطار الحجازية، وذلك في العشر الأوسط من ربيع الأول سنة إحدى عشرة، ووصل إليه رسوله بغتةً في النصف الثاني من ربيع الثاني من السنة المذكورة، ووصل معه خلعة للمذكور، وخلعتان لولديه، وكتاب من السلطان يشهد

بولايتهم لما ذكر .ثم في أثناء سنة اثنتي عشرة تغير صاحب مصر على السيد حسن؛ فرسم بالقبض عليه وعلى ابنيه والاحتفاظ بهم.

ثم سُعِي عند السلطان في تقرير المذكورين في ولاياتهم، فأجاب إلى ذلك، وبعث إليهم بالعهد والخلع، واستمروا على ولاياتهم إلى سادس عشر ربيع الأول سنة ثماني عشرة، فوصل العلم إلى مكة بولاية السيد رميثة بن محمد بن عجلان عوضاً عن الشريف حسن وابنيه، واستمر الدعاء للسيد حسن وابنيه في الخطبة وعلى زمزم إلى هلال ذي الحجة من السنة؛ لاستيلاء حسن على مكة إلى هذا التاريخ، ثم فارقها في هذا التاريخ وقصد صوب اليمن.

ثم لما عاد والده] السيد حسن [إلى مكة في شوال سنة تسع عشرة عاد لمكة وأقام معه بمكة .ثم في ربيع الأول سنة إحدى وعشرين جمح السيد أحمد عن طاعة أبيه السيد حسن؛ لكونه قدم أخاه بركات عليه في الإمرة، وأرسل إليه أبوه من يستعطفه، ويعده عنه بذهب ومركوب، فلم يمل أحمد لذلك، واجتمع عليه جماعة من الطماعة ومضوا لجدة وخطفوا منها أشياء، ولم يسهل ذلك بأبيه .ثم عن كثيراً من الذين كانوا مع أحمد تخلوا عنه، لما لامهم أقاربهم على ملائمتهم له؛ لكون ذلك لا يرضي أباه .ولما عرف هو ذلك مضى إلى حدًّا ونزل بها، ثم دخل في الطاعة، وأقام على ذلك وقتاً، ثم خالف ومضى إلى الينبع، وأتى منها مع الحجاج في سنة إحدى وعشرين إلى أبيه بمكة، فلم ير ما يعجبه، فعاد مع الحجاج إلى صوب ينبع بعد الحج من هذه السنة.

ثم عاد لمكة وسافر في آخر سنة اثنتين وعشرين مع قافلة عقيل، فبلغ هرموز([473])، وعاد بغير طائل مع قافلة عقيل قبيل التروية من سنة ثلاث وعشرين، ثم سافر قبل موت أبيه إلى العراق هو وأخوه علي، وجلسا بها مدة، وجاءوا بعد موته بمال جزيل مع قافلة
عقيل ([474])في سنة ثلاثين، فنهب ما معهما، ووصلا مكة وأدركا الحج .ثم توجه إلى

اليمن، فاتفق أنه مات في أوائل سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة بزبيد من بلاد اليمن، ودفن هناك، ووصل الخبر بذلك إلى مكة في ليلة الأحد تاسع عشر جمادى الأولى من السنة.

)عن غاية المرام:(2/469 :

–56الشريف علي بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الأول ..الخ يلقّب نور الدين.

853 – 807)هـ 1449 – 1404 /م:(

ترجمه عز الدين بن فهد، فقال :([475])

أمير مكة المشرفة.

ولد في سبنة سبع وثمانمائة– تقريباً –بمكة، وسمع بها– وهو متولٍ في سنة ست وأربعين –على الشريف أبي الفتح المراغي بعض مجلس من صحيح مسلم، وأجاز له في سنة ست وثلاثين ([476])جماعة من المشايخ .توجه هو وأخوه أحمد إلى العراق في حياة والدهما، وجلسا به مدة، وجاءوا بعد موته في سنة ثلاثين وثمانمائة مع قفل عظيم، فنُهِبا مع القفل، وكان معهما مال له صورة، فوصلا مكة وأدركا الحج.

وفي سنة تسع وثلاثين أرسله أخوه السيد بركات مقدماً على جيش أرسله لحرب حرب، ومعه الأمير الباش أرنبغا، وتسمى هذه الوقعة وقعة الثنية :ثنية عسفان .فأُنذر بهم العرب؛ فتنحوا عنهم، وتركوا إبلهم مع خمسة رجال وامرأة، فقتلوا الرجال والمرأة– وكانت حاملاً –وقتلوا ما

في بطنها أيضاً، واستاقوا الإبل .فلما كانوا في نصف الثنية اكتنفهم العرب من الجبلين ورموهم بالحراب والحجارة، وهرب الأمير ومن معه، وقتل منهم جماعة كثيرة يزيدون على أربعين، وجرح كثير أيضاً .وغنم العرب منهم خيلاً ودروعاً كثيرة وغيرها من السلاح وغيره.

وفي سنة إحدى وأربعين قتل بجدة خمسةً من كبار حرب، وتوجه– خوفاً من أخيه السيد بركات –إلى القواد العمرة بالعد، فحملوا معه بعض خيل من أولادهم إلى أن توهج إلى نحو بني شعبة ببلاد اليمن .فركب السيد بركات على إثره لما علم بالقضية، ودخل السيد بركات في بني شعبة .فقبل وصوله أخرجوا عنهم السيد علي بن حسن، فتوجه شارداً إلى جهة اليمن بعد تعب كثير، وأقام بالواديين إلى بعد سفر الحجاج ثم اصطلح هو وأخوه السيد بركات.

ولما زار أخوه السيد بركات– في أحد الربيعين سنة اثنتين وأربعين –جده النبي جعله نائباً عنه بجدة، وجعل معه الأشراف وبعض قواد، إلى أن عاد.

ثم حصل بينهما منافرة، فسافر السيد علي إلى القاهرة، ومعه الشريف ثقبة بن أحمد، فتوجه ثقبة إلى الروم، وأقام هو بالقاهرة، حتى ولي إمرة مكة في يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى سنة خمس وأربعين عوضاً عن أخيه السيد بركات بحكم عزله؛ لكونه لم يحضر إلى السلطان حين استدعاه لذلك، بل امتنع وقال :لست بعاصٍ ولكني أنا أذهب إلى حال سبيلي، والبلد بلدك.

وعين السلطان مائة وخمسين نفساً من المماليك السلطانية، ومقدمهم يشبك الصوفي أحد أمراء العشرات، عوضاً عن سودون المحمدي؛ ليقيم هو إياهم بمكة على العادة، وليكونوا مساعدين له على أخيه المذكور، وأنعم السلطان على السيد علي بمبلغ يقيم به بركه([477])، قيل إنه خمسة آلاف دينار، واقترض هو من الناس– زيادة على ما أنعم به عليه –شيئاً كثيراً، وجاء

الخبر إلى مكة في رجب .ثم في مستهل شعبان وصل إلى مكة، وفي ثانية دخل مكة وهو لابس الخلعة، وقرئ توقيعه بحضرة القضاة والأمراء، وتاريخه ثالث عشري جمادى الآخرة.

وقال– في ولايته ودخوله مكة المشرفة محرماً –الأديب قطب الدين أبو الخير محمد ابن عبد القوي المكي([478])، في سنة ست وأربعين :

ثغور الهنا لما قدمت بواسِمُ

سروراً وكل الكائنات مباسمُ

ولما تراءتك المشاعر محرماً

أشارت بتسليم عليك المحارمُ

ولما رآك البيت أقبلت هزه

إليك اشتياق إنه بك عالمُ

كذاك المصلى والحطيم وزمزم

وقد سجعت من حولهن الحمائمُ

ورحبتْ الأركان لما أتيتها

كأن المثنى قد أتاها وكاظمُ

وسُرَّت جبال الأبطحين كأنها

عليها أبو النفس الزكية قادمُ

وكاد الصفا يختال لما صعدته

وماست سروراً مذ رأتك المعالمُ

مهابط وحي الله والحرم الذي

نماك ببطحاه الوصي وهاشمُ

كأنك زين العابدين وقد أتى

إلى الركن في برديه حين يسالمُ

وأذكرتنا الكرار حين قدومه

تسير به العضباء للشرك هادمُ

لئن كان في دست الخلافة أولاً

فأنت لها من أجل ذلك خاتمُ

ومنها :

أبا حسنٍ يابن النبي ومن غدت

مناقبه للمكرمات دعائمُ

إذا ما عليٌّ بين جنبيك في الوغى

فأهون ما يلقاك فيه الضراغمُ

ويطفو على الوطفاء وهي غمامةٌ

أيا ملك العشر الحبور الخضارمُ([479])

ولست مقيساً يابن طه بعنتر

ومن كان من خزانكم فهو حاتمُ

عزمك منصور وجدك رابح

وبابك مقصود وعزك دائمُ

وإنْ شام عدادٌ لبرق مخيلة

بجودٍ فإني جود كفيك شائمُ

وسُدْ وابْقَ ما سارت ركوب لمكةٍ

لهم في مباني أخشبيها مواسمُ

وفي يوم عرفة لما وصل الحاج إلى عرفات أرجف مرجفٌ بأن السيد بركات هجم جدة ونهبها، ولم يظهر لذلك صحة.

ووصل السيد أبو القاسم فأمنه أخوه السيد علي، ولم يحدث منه سوء مع أنه أشجعهم وأفرسهم، وندب السيد علي بعض إخوانه، أو غيرهم ليأخذ جماعة ويتوجه إلى حراسة جدة، ثم اتفق معه على أن يحفظ الحاج بمنى وعرفة، وتأخر هو عن الخروج مع الحاج ليلة التاسع، فلما كان بعد عصر يوم عرفة ثارت غبرة عظيمة، ثم ظهر خلق كثير :فرسان وغيرهم، فظن الناس أنه بركات جاء في جمعه لنهبهم، فانكشف الغبار فإذا هو علي ومن معه .فأدركوا الوقوف بعرفة وصحبته أخوه إبراهيم، وكان قد تغيب عنه بمكة، فلما وجده اعتذر بأنه قيل له :إنه عزم على إمساكك .فتنصّل من ذلك واستصحبه معه؛ فحصلت الطمأنينة للناس.

وفي المحرم سنة ست وأربعين مشى عليه أخوه السيد بركات وبلغ جدة، وكان بها قبله أخوه السيد علي، فأشار بعض أصحابه أن يتوجه إلى مكة ويرسل إلى الأميرين اللذين بها والترك والشرفاء، فتوجّه إلى حدًّا، وأرسل إليهم فجاءوه، وتوجه إلى جدة ووقع بينهم القتال في الحديد، وخامر بعض أصحاب السيد بركات عليه، وهم الأشراف ذوو أبي نمي، والقواد ذوو حميضة، وكان النصر فيه للسيد علي وأصحابه .وقتل من أصحاب السيد بركات جمع كثير، وثبت وهو وعبيدة فغلبتهم الكثرة، فتوجه هو وعسكره إلى العد، ثم إلى صوب اليمن . وجادو ([480])السيد إبراهيم بين الشريفين بقية صفر وربيع الأول.

وتوجه السيد علي إلى الركاني([481])، ثم إلى مكة، ثم إلى نحو وادي الآبار، ومعه ثلاثون مملوكاً، ونقل أعداؤه عنه أشياء أوغروا بها قلب السلطان.

ثم لما وصل مباشرو جدة ومقدمهم الأمير تمراز البكتمري المؤيدي، أحد الدوادارية، ويعرف بالمصارِع، في يوم الأربعاء من شوال سنة ست وأربعين تخوف السيد علي من الأمراء فلم يحضر، فأرسلوا إليه وامتنعوا من الدخول حتى يحضر .فحضر في ليلة الاثنين، وخلع عليه، وقرئ مرسومه، وفيه :بلغنا أنك متشوش الخاطر، فلتطب نفساً .ولم يحضر أخوه إبراهيم؛ فأمروه بإحضاره ليلبس خلعته، فأرسل إليه وطيب خاطره، وحضر في يوم الثلاثاء ولبس خلعته وقرئ المرسوم المتقدم في المسجد بالصفا .ولم يحضر الأمير أقبردي الظاهري، أمير الرجيبة، ومقدم الأجناد المقيمين بمكة، وقال :إنه شرب دواء، فتوجه إليه الشريفان والأمراء للسلام عليه، فلما دخلوا عليه أظهر مرسوماً فقرئ باللسان التركي، وهو يتضمن :القبض على الشريفين .فقبض عليهما وبوشا في أعناقهما بباشتين([482])، فتفرق أصحابهما ولم يحصل في مسكهما ضرر ولا خلل، ونادى الأميران بالأمان والاطمئنان، وأن البلاد للسيد أبي القاسم– وكان بمصر –وأُرسل لولده زاهر بعد الحلف له فحضر؛ فقرئ مرسوم والده، وأُلبس الخلعة التي لبسها عمه علي، وطاف ودعي له زمزم، وشق مكة على العادة.

وفي ثامن الشهر توجه الأميران والسيد زاهر بالشريفين إلى جدة وأركبا في الحال في سنبوق ([483])أو خلية([484])، كانت معدة لذلك مع عشرة مماليك، وتوجهوا بهما إلى القاهرة .

وأنشد قطب الدين أبو الخير بن عبد القوي المكي.([485])

فقال:

ما جاء قط ولم يأتنا

مثلك يا تمراز في الفتكِ

تسير بالأخشب من مكة

والأخشب الثاني على الفُلكِ

ومثل هذا لم يكن قط في

ملك بني العباس والتركِ

أن شريفَيْ مكة يُمْسكا

من غير ما طعن ولا سفكِ

هذا بتقدير الذي قهره

ينزع من شاء من المُلْكِ

وكان دخولهما القاهرة في خامش عشر ذي الحجة، وهما مقيدان، فسجنا ببرج القلعة، ثم نقلا منه في سنة تسع وأربعين إلى الإسكندرية، ثم نقلا إلى دمياط، واستمرا بها إلى أن ماتا .وتعلم هذا بدمياط النحو، وعمل هناك قصيدةً على وزن بانت سعاد ورويها وقافيتها، أجاد فيها . وكان حسن المحاضرة كريماً شجاعاً، ذا ذوق وفهم ونظم، حتى قيل إنه أحذق بني حسن وأفضلهم .ومن نظمه قصيدة طويلة جزلة الألفاظ، أنشدها لبعض العلماء، في القاهرة سنة سبع وأربعين، بتمامها، لكنها فاشية اللَّحن، ومنها :

وإن نال العلا قرم بقوم

رقيت علوها فرداً وحيدا

وقدجا في كتاب الله صدقاً

بقول عز قائله الحميدا

ترى الحسنات يجزيها بخيرٍ

وبالسيات سيات سنودا

وواعد أن بعد العسر يسراً

فلا عز يدوم ولا سعودا

مات صاحب الترجمة في تاسع صفر ثلاث وخمسين وثمانمائة بدمياط، مطعوناً مسجوناً غريباً وحيداً، عن خمس وأربعين سنة .رحمه الله وإيانا.

-57الشريف أبو القاسم بن حسن بن عجلان ابن رميثة ..الخ.

ت 853) هـ 1449 /م:(

أمير مكة .مؤيد الدين.

ترجمه العز بن فهد، فقال :([486])

ولد بمكة ونشأ بها .ولي إمرة مكة من سنة ست وأربعين إلى أثناء سنة خمسين، وأجاز له من أجاز أخاه علياً .نشأ في كنف والده نجيباً حاذقاً شهماً مقداماً، وتزوّج سنة اثنتين وعشرين بالوادي على بنت عمه أم الكامل بنت محمد بن ج .ولما جاء خبر موت والده بالقاهرة، وطلب السلطان أخويه بركات وإبراهيم خلفاه بمكة يحفظها؛ فحظفها حفظاً حسناً، ولما سمع بنهب بعض الأشراف وغيرهم لبعض الصيافة بوادي مر خرج إليهم في العسكر، والتحق بهم في شعب يقال له الميثاء قرب هدة بني جابر، وقتل منهم مقتلةً عظيمة .ولما عاد أخوه

بركات من القاهرة متولياً كان معه إلى أن حصل بينهما تنافر، فطلب السيد بركات من السلطان عسكراً نصرة له عليه، وعلى أخيه إبراهيم، فأرسل له عسكراً مقدمهم الأمير أَرْنبُغا . فلما سمع هو وأخوه بوصولهم لم يدخلا مكة خوفاً منهم .وبعد سفر الحاج دخل هذا جدة، وأخذ منها عشرة أحمال دقيق للأمير مقبل القديدي، والتاجر علي السملوطي، ثم لحق الركب المصري بالينبع، وبلغ أخاه إبراهيم– وهو عند أخيه بركات –أن قصده التوجه إلى القاهرة بحاشيته وخيله وقوده معه، ثم تجاود هو والسيد بركات في سنة ثلاث وثلاثين، على أن يعطيه السيد بركات في كل سنة ألفين وخمسمائة، إلى آخر سنة ست وثلاثين، وأقام باليمن ..ثم واجه أخاه بحادثة في سنة سبع وثلاثين، واصطلحا صلحاً شافياً.

ولما زار السيد بركات جدَّه المصطفى سنة اثنتين وأربعين جعله نائباً عنه بوادي الآبار، وجعل معه القواد ذوي عمر.

ولما حجّ سنة خمس وأربعين، وتوجّه إلى القاهرة بعد سفر الحاج بيومين صادف غيظ السلطان على أخيه السيد علي فعزله، وولى هذا مكانه وهو بمصر .ولما مسك الأمراء بمكة أخاه علياً أعلنوا بولاية هذا، واستدعوا ولده زاهراً وخلعوا عليه، وقرئ مرسوم والده، وهو مؤرخ بتاسع عشر شعبان، ثم وصل السيد أبو القاسم إلى مكة في سابع عشري ذي القعدة، ودخل المسجد الحرام وهو لابس خلعته، وقرئ توقيعه، وهو مؤرخ بسابع شوال، فباشر الولاية بالجد والاحترام والعزم والاهتمام، وجادو أخاه السيد بركات على أن يعطيه كل سنة عشرة آلاف دينار، ثم منعه أن يمتار من جدة سنة تسع وأربعين.

وفعل من المعروف عمارة عين خليص، فعمرت وجرت على عادتها، وذلك في سنة سبع وأربعين.

ووصله في سنة خمسين مرسوم فيه :إنك أحدثت مكوساً فبطلها.

ثم فيها عزل بأخيه السيد بركات، وتاريخ مرسومه حادي عشر ربيع الأول، وقرئ خامس جمادى الأولى، وتجادوا شهراً، ثم طلب من أخيه السيد بركات أن يجعل له ما جعل له، فامتنع .ففي يوم عرفة من سنة اثنتين وخمسين وصلت الأخبار أنه سافر إلى القاهرة، ومر في طريقه على وادي الآبار، فوصل إلى بدر، وأقام بها إلى أن وصل الحاج وسافر صحبته إلى المدينة الشريفة، ثم إلى القاهرة، وكان بها الفصل ([487])فحذره العرب من ذلك، فجعل عنده ولده إدريس؛ فإنه كان معه فسلم وأما هو فدخلها، وحصل له من السلطان إقبال، وخلع عليه بالإمرة أو وعده بها، فسابقته المنية؛ فمات في عشري صفر سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة بالقاهرة مطعوناً، وصلى عليه السلطان بمصلَّى سبيل المؤمنين، ودفن على والده بحوش الأشرف .رحمهم الله وإيانا آمين.

ورثاه هو وأخاه السيد نور الدين علياً المذكور قبله الإمامُ الأديب القاضي شهابُ الدين أحمد بن محمد بن عبد الله المكي الشهير بابن خبطة ([488])بقصيدة ضمنها مدح السيد بركات ويعزيه فيهما .فقال :

لسان الهوى بالوجد عني يعبر

ويعرب عن ألحان دهر تُغَيِّرُ

وعين الصبا تبكي على معهد الصبا

وتندب ربعاً كان بالأمس يزهرُ

فأجريت سيلاً متن عقيق مدامع

لها في بحار الخدِّ نظم منثَّرُ

وصلت ونار الحزن منيِّ والأسى

مجمَّره في مهجةٍ تتفطَّرُ

لموت عليٍّ مع أبي القاسم الذي

به كل حي بالجوى يتحسرُ

لقد أسفرت شمس المنايا فغرَّبت

سنا كل وجهٍ منهما وهو مقمرُ

وغنى بموصول الفراق مشبب

ونايُ الهوى المقرون بالبين يزمرُ

نعم .وسعى جيش المنون إليهما

بسلطانه في عسكر ليس يكسرُ

فأمضاهما في الحال ماضي أمره

لوصلٍ بفضلٍ كنت أرجو أحذرُ

وقد أصبحا في جنَّة الخُلد والورى

لفقدهما في سوق نارٍ تَسَعَّرُ

لعمري ما جاري دموعي بواقفٍ

ولكنه وقفٌ عليهم مقرَّرُ

وكنت أظنُّ الصبر للصب نافع

وهيهات يجدي في قتيلٍ تصبُّرُ

بكيتها حتى وفى نيل أدمعي

ألم تره عند الزيادة أحمرُ

وفاضت عيون الأرض وجداً عليهما

وحزناً فنهرُ الدَّمع منهنَّ أبحُرُ

وأُم القرى لولا بقاء أبي القِرَى

لأَبنائها كادت لعمري تُثَبَّرُ

ومنها :

إن مات إخوانٌ كرامٌ ومعشرُ

فقد مات خير الخلق جدك أطهرُ

عزاءً وصبراً لا برحتَ مسدَّداً

شكوراً وفي كلِّ الملمَّات تصبرُ

بقاؤك للدنيا دفاع ورحمة

وللدين تأْييد ونصر مؤزَّرُ

كفى شاهداً أن لستُ أشعر في الورى

بقولٍ وإني بامتداحك أشعرُ

فدُم أبداً واطعنْ بسمركِ في العدى

فعزمك مبيضٌّ وعزك أخضرُ

مقامك مأْمونٌ أمينٌ مقامه

ومسعاك منصورٌ وأنت مظفَّرُ

وكان لأبي القاسم ولد اسمه زاهر، كان ربما ناب عنه، ويساعده، وقد أنجب زاهر هذا، رأيت مقتل أحد أبنائه في مكان آخر من ترجمة بركات بن محمد.

58- الشريف إبراهيم بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الأول، وباقي النسب هناك 855) :هـ 1451/م :(

ترجمه العز بن فهد، فقال :([489])

يلقب :سيف الدين .أمير مكة.

ولد بمكة ونشأ بها ولما كبر وترعرع، ورأى والدهُ فيه النجابة بعثه في سنة إحدى وعشرين إلى صاحب اليمن يستعطفه على والده، فعطف عليه كثيراً بعد أشهر كثيرة، وجهَّزه إلى مكة بعد أن أمر له بصلة متوسطة.

ورام أبوه السيد حسن أن يشركه مع أخيه بركات في إمرة مكة، وسأل السلطان في ذلك فلم يجبه، ومضى مع والده إلى اليمن، ثم جاء وحده لمكة ومعه الأشراف، وألزموا المؤذن بالدعاء له على زمزم، وإذا طاف، ففعل .وخطب له الخطيب مع أبيه وأخيه بركات في سنة ثلاث وعشرين، واستمر ذلك إلى أثناء سنة ست وعشرين، فقطع ذلك لتغير خاطر أبيه عليه؛ لكونه آوى الأشراف ذوي راجح بن أبي نمي([490])، فإنه كان أمره بإبعادهم فلم يفعل، ثم جاء بهم معه في رجب إلى وادي مر، وكان أبوه بالشرق، فقصده فلم ير منه وجهاً.

ولما مات أبوه بالقاهرة في سنة تسع وعشرين طلبه هو وأخاه السيد بركات السلطانُ، فتوجها إليه؛ فخلع عليهما، وولى السيد بركات، ولف هذتا على طاعة أخيه، وخلع عليهما ثانياً للسفر، وعادا إلى مكة، ثم تنافرا؛ فطلب السيد بركات عسكراً من السلطان للنصرة عليه، وعلى أخيه أبي القاسم، في سنة إحدى وثلاثين، فأرسل له عسكراً، فلما وصل العسكر لم يدخل مكة هو ولا أخوه أبو القاسم .ثم التأم مع أخيه بركات ودخل مكة، ثم توجه بعد سفر الحاج إلى ينبع؛ لردِّ أخيه أبي القاسم عن الذهاب إلى مصر، فردَّه .وزارا في أول سنة اثنتين وثلاثين النبي ، ثم عادا إلى ينبع، فدخل عليهما ذوو مقبل بن مخبار، وبنو إبراهيم وبذلوا لهما مالاً على أن يوصلوهم لبلادهم السّويق، ويمكنوهم منها؛ ففعلا .وأرسلا قاصداً إلى صاحب مصر يشكيان أخاهما السيد بركات، ويعرفانه ضرورتهما، وعادا إلى مكة، والتف عليهما الشرفاء ذوو أبي نمي، وحالفوهما، وساروا معهما قاصدين مكة، حتى بلغوا عسفان، فسمع بوصولهما السيد بركات– وكان صوب اليمن –فتوجه إلى وادي مر في جماعة من ذوي

عمر وذوي حسن([491])، وأرسل للأمير أرنبغا أن يسير معه، فخرج .وبعد خروجهما دخل السيد أبو القاسم مكة .وخرج منها في الحال إلى منى ثم إلى اليمن.

وتوجه السيد بركات والأمير إلى السيد إبراهيم، فلما سمع بهما توجّه إلى ساية، ثم إلى المضيق، فعاد الشريف بركات لمكة، ثم إلى البرود، ودُخِلَ بينهما بالصلح على أن يُعْمَل للسيد إبراهيم ما يكفيه، واجتمعا وأراد السيد بركات أن يكون الصلح بمكة على يد الأمير، فخاف السيد إبراهيم أن يقع في القبضة فما أجاب، فانفصلا على غير شيء .ثم توجّه السيد إبراهيم إلى اليمن، فالتأم هو وأخو السيد أبو القاسم .ثم عاد السيد بركات لمكة ثم لجدّة، واصطلح مع أخيه إبراهيم وقرر له رسوماً تقوم بأوده، ثم تجاود هو أبو القاسم أيضاً.

ولما توجّه السيد بركات للزيارة سنة اثنتين وأربعين وقع منه ([492])بعض تعسف، فلما وصل بلب قصده ومعه أخواه علي وأبو القاسم؛ ففرّ إلى اليمن، ثم وقع الصلح بينهما بعد سفر الحاج.

ثم توجّه إلى القاهرة في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين، وعاد إلى مكة في رمضان سنة أربع وأربعين صحبة الرجدبية، وكان مع أخيه عليٍّ لما ولي مكة، وتلبَّس الخلعة الثانية، ومسك معه في شوال سنة ست وأربعين بمكة، بعد أن ألبسا خلعتين، ثم حملا إلى جدة في الحدي، ثم إلى القاهرة بحراً كذلك، فلما وصلاها حبسا في البرج من القلعة، ثم نقلا منه إلى الإسكندرية في سنة تسع وأربعين، ثم نقل هو إلى دمياط، فمات بها في رابع ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثمانمائة .ورأيت منسوباً له قول :

بي سـقام من جفون

قد جفوني لست أبرا

بلحاظٍ فاتكاتٍ

من سيوف الهند أبرى

تركتني مضمحلاًَ

سايل العبرات عبرا

ولسان الحال يغدو

بعد سر القول جهرا

يا قتيل الحب صبراً

إن بعد العسر يسرا

59-الشريف بركات بن الحسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الأول، محمد ...الخ .زين الدين أبو زهير، نائب السلطنة بالحجاز، ويلقب أيضاً :بدر الدين وأبا المعالي(801-859هـ/1398-1454م) :

أول من سمي من أشراف الحجاز) بركات (وكان اسمه بركة على أبيه وعليه وعلى ذريته من بعده، فقد اتسع ملك أبيه فلقّب سلطان الحجاز، وصل ملكهم إلى مشارف الشام واليمن، والحسا شرقاً، ثم صار من ذريّته من ملك الأردن وسورية والعراق.

ترجم له عز الدين بن فهد الهاشمي([493])، فقال :

ولي إمرة مكة من غير شريك بعد والده ستاً وعشرين سنة، وفي حياته بتخليتها له نحو أربع سنين أو خمس، وفي بعضها شاركه أخوه إبراهيم، وشريكاً لأخيه أحمد نحو ثمان سنين كما سيأتي بيانه.

وذلك أنه ولد في سنة إحدى وثمانمائة–وقيل في التي بعدها –بالخشَّافة ([494])بالقرب من جدة، ونشأ بمكة في كنف والده، وقرأ القرآن، وكتب الخط الحسن، ونشأ شريف الهمة، سنيّ الأفعال، جميل الأخلاق.

ذكره الوالد في مشايخه([495])، وأجاز له في سنة خمس وثمانمائة وما بعدها البرهان بن صديق، والقاضي زين الدين أبو بكر بن الحسين العثماني المراغي، وعائشة ابنة محمد ابن عبد الهادي، وكثيرون غيرهم.

وحدث بالقاهرة، ثم بمكة بالإجازة عن بعض شيوخه المجيزين له .سمع منه الطلبة، ولم يقدر لي السماع منه لكنه أجاز لي .وألّف له ابن فهد الهاشمي المكي رحمه الله تعالى كتاباً من مروياته في بعض شرف المصطفى وفضائل الحسن والحسين ووالديهما، وفضائل قريش وبني هاشم، مع حكايات وإنشادات، سمَّاه» الدرر الفائقة الأخبار الرائقة «فرغ من تسويده في سنة إحدى وأربعين وثمانمائة.

وقال الوالد أيضاً :سعى له والده السيد حسن في أن يكون شريكه في إمرة مكة؛ فأجيب سؤاله، ووصل إليه تقليدٌ مؤرخ بشعبان سنة تسع وثمانمائة- ويقال إنه مؤرخ في النصف الثاني من شعبان سنة عشر وثمانمائة-، ثم في المحرم سنة إحدى عشرة ندب والده القائد سعد الدين جبروه إلى مصر بهدية طائلة ليسعى له في أن يكون ولده السيد أحمد شريكاً لأخيه بركات في إمرة مكة؛ فأجيب إلى ذلك .وولي السيد حسن نيابة السلطنة بالأقطار الحجازية، ووصل إليه رسولُه في النصف الثاني من ربيع الآخر، ووصل معه ثلاث خلع :واحدة له، واثنتان لولديه، وكاتب من ع يشهد بولايتهم لما ذكر.

ثم في أثناء سنة اثنتي عشرة تغير صاحب مصر على السيد حسن، فرسم بالقبض عليه وعلى ابنيه والاحتفاظ بهم، وأسرَّ ذلك إلى أمير الحاج المصري الأمير بيسق، فاستعد لحرب المذكور، وحصَّل مدافع وسلاحاً كثيراً، ثم سُعْي عند السلطان في تقرير المذكورين في ولايتهم، على أن يخدمه السيد حسن بما يليق بمقامه؛ فأجاب إلى ذلك، وبعث إليهم بالعهد والخلع مع خادمه الخاص فيروز الساقي، وكتب إلى أمير الحاج المذكور بالكف عن محاربتهم .فوصل فيروز إلى مكة، فألبس المذكورين الخلع السلطانية، وقرئ عهدهم بالولاية، واستمروا على ولايتهم إلى سادس عشر ربيع الأول سنة ثمان عشرة، فوصل العلم إلى مكة بولاية السيد رميثة بن محمد بن عجلان عوضاً عن الشريف حسن وابنيه، واستمر الدعاء للسيد حسن وابنيه في اخلطبة وعلى زمزم إلى هلال ذي الحجة من السنة؛ لاستيلاء السيد حسن على مكة إلى هذا التاريخ، ثم فارقها السيد حسن في هذا التاريخ، وقصد اليمن.

ثم في شهر رجب سنة تسع عشرة أرسل السيد حسن ولده السيد بركات، ومولاه القائد شكراً إلى مصر لاستعطاف الملك المؤيد .فأنعم على السيد حسن بإمرة مكة، وكتب له بذلك عنه توقيع ومثال مؤرخ بثامن عشر رمضان سنة تسع عشرة، وجهز له مع ذلك خلعة شريفة

مع بعض الخاصكية والنجابة السلطانية، ووصلوا إلى السيد حسن في أوائل العسر الأوسط من شوال من السنة .وأقام السيد بركات بالقاهرة إلى شوال من سنة عشرين، فقدم مكة في النصف الثاني من شوال، وطاف بالكعبة الشريفة، ودعي له على زمزم كعادة أمراء مكة، وصار أبوه ينوِّه له بالإمرة، ويقول لبني حسن وغيرهم :هو سلطانكم.

وفي شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين أظهر السيد حسن أنه تخلَّى عن إمرة مكة لابنه السيد بركات بحيث أجلسه على المفرشة بالمسجد الحرام، وجلس هو على مفرشة عنده، وأمر في خدمته بالحلف له، وأمرمه بالخروج في خدمته والنزول بالركاني بوادي مر؛ ففعلوا لأن الذين بالعد من ذوي رميثة وذوي أبي نمي والقواد رحلوا من العد حتى نزلوا حداً .ولما نزل السيد بركات ومن معه بالركاني لم يسهل ذلك على الذين نزلوا بحدا، ورغبوا في أن الشريف حسناً يأمر ولده بالرحيل عنهم إلى الجديد من وادي مرّ، ويدخلون بأجمعهم في طاعته، ويمضي إلى الشرق فإنه يختار ذلك، ولا يحدثون حدثاً إلى انقضاء سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، وعشرة أيام من التي بعدها .فوافق الشريف على ذلك، وأجابهم إلى ما سألوه من الإحسان إليهم بما عودهم به في كل سنة قبل هذه الفتنة، على عادتهم في أخذ ذلك منجماً.

وفي النصف الثاني من صفر سنة أربع وعشرين لما بلغ السيد حسن موت الملك المؤيد رام أن يجعل ابنه السيد إبراهيم حاكماً بمكة مع ابنه السيد بركات، ويكون لكل منهما ثلث الحاصل لأمير مكة، ويصرف كل منهما الثلث في جماعته على ما يراه، ويبطل الرسوم التي كان قررها للأشراف والقواد في كل سنة، والقواد لابنه السيد بركات، وجعل لنفسه الثلث الباقي من الحاصل لأمير مكة، يصرفه في مصالحه وخاصة نفسه .فلم يستقم هذا الأمر؛ لكون القواد لم يوافقوه على إبطال ما كان قرره لهم من الرسوم في كل سنة .ومضى هو وابنه السيد إبراهيم بعد ذلك إلى صوب اليمن.([496])

ثم لما كان يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول وصل إلى مكة تشريفان للسيد حسن وابنه السيد بركات، وعهد يتضمن تفويض إمرة مكة إليهما، وتاريخ العهد مستهل صفر سنة أربع وعشرين وثمانمائة.

وفي النصف الثاني من هذه السنة وصل السيد إبراهيم من ناحية اليمن، ومعه الأشراف فألزموا المؤذن بالدعاء لإبراهيم على زمزم وقت طوافه بالكعبة الشريفة؛ ففعل ذلك، ولم يسهل ذلك بالسيد بركات وجماعته، وتنافر الأخوان وجماعتهما، وقصد إبراهيم دخول جدة فعورض، وقصد بعد ذلك السيد بركات دخول مكة فعورض، وصار يخطب بمكة لإبراهيم مع أبيه وأخيه.

وفي سنة ست وعشرين وثمانمائة قطع ذكر إبراهيم في الخطبة بمكة، وفي الدعاء على زمزم بعد المغرب؛ لكونه آوى إليه الأشراف ذوي راجح بن أبي نمي، وكان أبوه أمر بإبعادهم، فلم يفعل.

وفي رمضان وصل الشريف حسن إلى مكة من الشرق، وسكنت الفتنة بين الأخوين وجماعتهم، فاطمأنوا.

ووصل للسيد حسن كتابان من السلطان، في أحدهما العتب عليه، وفي الثاني تعظيم كثير : وأنك سألتنا في استنابة ابنك الشريف بركات في إمرة مكة، وما نثق إلا بك ,([497])وفي ذلك سبب للشحناء بين الأخوين، فإن أردت ذلك فاستنبه.

ولما وصل الحجاج إلى مكة في أواخر ذي القعدة وصل معهم جماعة كثيرون من المقدمين والأمراء، وكان السيد حسن بان عن مكة، فلايمهم السيد بركات أياماً، ولاقى أمير الركب

الأول، ثم أمير المحمل، وخلع عليه من عنده، ولم يمكنه من خلعة أمير مكة المجهزة لوالده . ولما أيسوا من وصوله بعثوا لرميثة في يوم عرفة فلم يصل.

وفي يوم النحر اجتمع السيد بركات ببعض الأمراء بمكة، وخدمهم عن أبيه بخمسة آلاف أفلوري ذهباً– أو ستة فيما قيل –وسافروا من مكة ولم يحدثوا بها حدثاً.

وفي يوم الخميس سادس جمادى الأولى من سنة سبع وعشرين وثمانمائة دخل مكة السيد علي بن عنان متولياً مكة من مصر، ومعه عسكر، وفي توقيعه :أنه ولي إمرة مكة عن السيد حسن بن عجلان.

ثم في موسم ثمان وعشرين جاء الخبر بولاية السيد حسن بن عجلان إن قابل الحاج ووطئ البساط .فأرسل ولده السيد بركات لأمير الحاج إلى الوادي، ودخل معه مكة، وحلف له بين الحجر الأسود والملتزم أنه لا يصيب والده سوء إن قابل الحاج، ووطئ البساط؛ فتوجه إلى أبيه وجاء به، وحلف له أمير الحاج ثانية، وخلع عليه البلاد، وتوجّه مع الحاج واستخلف ولده السيد بركات على مكة.

واتفق موت السيد حسن بالقاهرة بعد ولايته– على ثلاثين ألفاً فوزن خمسةً –فطلب السيد بركات، وأخوه إبراهيم إلى القاهرة وأكد عليهما في ذلك، وأنهما إن لم يحضرا كلاهما أو أحدهما يخرج عنهما السلطان البلاد إلى غيرهما، فتوجَّها إليها، وتخلّف بمكة أخوهما السيد أبو القاسم، وبجدة زين الدين شكر، فأكرم السلطان السيد بركات واخاه إبراهيم، وخلع عليهما، وولّى مكة السيد بركات، على أن يقوم بما تأخر على والده؛ وهو مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار، وأُلزم أيضاً بحمل عشرة آلاف دينار في كل سنة، وأن يكون ما جرت به العادة من مكس جدة يكون له وما يجدد من مراكب الهند يكون للسلطان خاصة.

وحلَّف إبراهيم على طاعة أخيه، وخلع عليهما وسافرا في حادي عشر شوال، فوصلا مكة في أول العشر الأوسط من القعدة، وقرئ عهد الولاية للسيد بركات وطاف بالكعبة، ونودي له على زمزم، وألبس التشريف بالمسجد الحرام.

وفي سنة إحدى وثلاثين بعث السيد بركات الشريف مباركاً أبا عفيف ([498])إلى السلطان، يطلب منه عسكراً، نصره له على أخويه إبراهيم وأبي القاسم، فوصل العسكر قدر خمسين فارساً، مقدمهم الأمير أرنبغا، فلما وصلوا إلى مكة توجهت الجمال إلى القاهرة، ولما سمع الشريفان أبو القاسم وإبراهيم بوصولهم إلى مكة لم يدخلا مكة خوفاً منهم.

وفيها- بعد سفر الحاج -دخل السيد أبو القاسم بن حسن ساحل جدة، وأخذ منه قدر عشرة أحمال دقيق للأمير مقبل القديدي، والتجار علي السملوطي، ثم لحق الركب المصري بالينبع، وكان أخوه إبراهيم بن حسن ابن عجلان إذ ذاك بمكة عند أخيه السيد بركات، فبلغه أن أخاه السيد أبا القاسم قصد التوجه إلى القاهرة بحاشيته.

وفي أول التي تليها توجّه السيد أبو القاسم ابن حسن، وأخوه السيد إبراهيم من الينبع إلى المدينة الشريفة لزيارة النبي ، ثم عادا وبنو إبراهيم فبذل لهما ذوو مقبل بن مخبار، وبنو إبراهيم مالاً جزيلاً على أن يوصلاهم بلادهم السويق ([499])بالقرب من ينبع، ويمكنوهم من بلادهم؛ ففعل الشريفان إبراهيم وأبو القاسم ذلك، وساروا معهم إلى أن أدخلوهم بلادهم ومكنوهم مدة يسيرة، فخرج من عندهم الشريفان إبراهيم وأبو القاسم واصطلحا مع عقيل صاحب ينبع، وبعثا محمد بن سعيد المصري قاصداً إلى القاهرة يشكوان ضرورتهما ويشتكيان أخاهما السيد بركات .والتفَّ عليهما الشرفاء ذوو أبي نمي وحالفوهما، وساروا معهما قاصدين مكة، فبلغوا غسفان؛ فسمع بوصولهما السيد بركات- وكان بصوب اليمن -فتوجَّه إلى وادي

مرّ في جماعة من ذوي عمر وعبيد حسن، وأمر الأمير أرنبغا ومن معه من الأتراك بأن يتوجهوا إليه ليسير على أخويه .فدخل مكة من أصحاب الشريفين إبراهيم وأبي القاسم، قاسم بن جسَّار النموي([500])، وعبد الحميد بن محمد بن إبراهيم الموغاني المدني يتجسَّسان الأخبار، وكان بمكة نائبها علي بن كبيش ([501])فأخبر الأمير أرنبغا أنهما من جهة الشريفين؛ فقبض عليهما وبوشهما، ووضع في أرجلهما القيد .ثم تجهز الأتراك، والأمير أرنبغا فتوجهوا إلى السيد بركات بواسط من وادي مرّ، فلما أن وصل الأتراك إلى السيد بركات سار هو وإيّاهم إلى عسفان، وكان الشريفان بغُران علو ثنية عسفان، فعقبهم الشريف أبو القاسم إلى مكة المشرفة؛ فدخلها في ضحوة يوم الأحد ثامن عشر ربيع الأول في اثني عشر فارساً– ويقال ستة عشر –منهم :وبير بن عاطف([502])، وولد جسَّار، وعلي بن مفتاح.

هذا ما كان من خبر السيد أبي القاسم .وأما خبر السيد بركات فإنه توجّه من عسفان إلى أن طلع إلى غران، فسمع به السيد إبراهيم ومن معه؛ فلم يقفوا للعسكر وهربوا؛ فطلعوا إلى ساية ([503])وحورة([504])، ومكث بها أياماً يسيرة، ثم توجه إلى المضيق؛ فأواه أهل المضيق :عاترة ونباتة ([505])وأضافوه، وأظهروا له المساعدة.

ورجع السيد بركات إلى مكة، ثم تجهز إلى البرود هو والمير أرنبغا والأجناد، وسارت الرسل بين السيد بركات وأخيه السيد إبراهيم بالصلح .وتوجّه الشريف رميثة إلى إبراهيم لأجل الصلح إلى أن تقرر الحال أن يجعل له الشريف بركات رسوماً بمكة جيدة، فخرج له الشريف بركات وجماعة ذوي عمر لأجل الاجتماع والصلح، فزحف إليه السيد إبراهيم من المضيق مع من كان معه من الأشراف ذوي أبي نمي إلى أن اجتمع السيد بركات وإبراهيم عند الشجرة بالبرود؛ فحصل بينهما عتاب، ثم سأل الشريف بركات أخاه إبراهيم أن يتوجّه معه إلى مكة، ويكون الصلح على يدي الأمير أرنبغا مقدم العسكر، فامتنع إبراهيم من ذلك؛ خوفاً من وقوع القبض عليه، ولم يتم بينهما الصلح، وافترقا متباينين .فركب الشريف إبراهيم ومن تبعه

من الأشراف إلى وادي الطائف، ثم إلى بجيلة، ليدور إلى أخيه باليمن .ورجع عن إبراهيم جماعةٌ من القواد إلى مكة، وجماعة من الأشراف إلى خيف بني شديد .وسار السيد بركات بمن معه إلى نخلة، وأخربها وسبى أهلها وأخذهم .وكانت طائفة يقال لها نباتة ساروا مع الشريف إبراهيم، فلما أن فرغ من أمر نباتة صاحت عاترة على الشريف بركات، ووقع بينهم قتال، فظفر عليهم السيد بركات، ولزم منهم عشرين نفساً، ونهب محلتهم، وجاء بهم إلى مكة مسلسلين في الحديد .ثم بعد ذلك وصلت عاترة إلى السيد بركات، وأعطوه رهائن :ثلاثة من أولاد كبرائهم، على أن يسلموا له ألف دينار ذهباً، ويعودوا إلى بلادهم؛ فعفا عنهم وقبل ذلك.

ثم بعد ذلك التأم الشريفان إبراهيم وأبو القاسم نحو اليمن بالواديين والليث، فأقاما به بعض أشهر .وكان السيد رميثة توجّه بإبل السيد بركات إلى صوب اليمن، وصحبته بعض عسكر من القواد العمرة وذوي عجلان.

فلما كان بعد وصول الشريف بركات من نخلة، توجّه بحلته إلى جدة وأقام بها، ومعه قاسم بن جسَّار، وعبد الحميد محتفظاً بهما في بيت سعد الدوادار المشرف على الفرضة، فأقاما به أياماً، فدخل لهما بعضُ النساء بمبارد، فبردوا عنهما القيد والباشة، وخرجا مع النساء متنكرين . فدخل قاسم بن جسَّار على عويِّد بن منصور في نصف الليل في بيته؛ فشد له فرسه وأركبه عليها وتوجّه إلى الخيف :خيف بني شديد .وأما عبد الحميد فدخل على السيد ميلب بن علي بن مبارك بن رميثة فأجاره.

ثم إن الشريف بركات اصطلح مع أخيه إبراهيم، وقرر له السيد بركات رسماً على البلاد يقوم بأوده، ودخل السيد إبراهيم مكة .وأقام السيد أبو القاسم باليمن بمفرده، يأخذ ما قدر عليه من الجلاب والمراكب الواصلة إلى مكة.

فلما كان في شوال جادو السيد بركات السيد أبا القاسم بألفين ومائة، على أن يسلم الوردون إلى مكة والصادرون منها.

وفي سنة ثلاث وثلاثين تجاود الشريفان بركات وأخوه السيد أبو القاسم على أن يعطي السيد بركات أخاه أبا القاسم ألفين وخمسمائة إلى آخر سنة ست وثلاثين، فأقام أبو القاسم باليمن.

وفي سنة سبع وثلاثين وصل السيد أبو القاسم إلى حادثة([506])، وتواجه مع أخيه السيد بركات واصطلحا صلحاً شافياً.

وفي سنة تسع وثلاثين، في ليلة الأربعاء ثالث عشر رجب، بعث السيد بركات بعثاً لمحاربة بشر من بطون حرب- إحدى قبائل مذحج([507])، ومنازلهم حول عسفان، نزلوها من سنة عشر وثمانمائة، وقد أخرجهم بنو لأم من أعمال المدينة النبوية، فكثر عبثهم وأخذهم السابلة من المارة إلى مكة بالميرة- وجعل على هذا البعث أخاه السيد علي بن حسن بن عجلان، ومعه من بني حسن السيد ميلب بن رميثة وغيره، والوزير شكر، في عدة من وجوه أهل مكة، ومعهم الأمير أرنبغا أمير الخمسين الراكزين من المماليك فنزلوا عسفان يوم الخميس رابع عشر رجب، وقطعوا الثنية التي تعرف اليوم بمدرج علي([508])، حتى أتوا القوم- وقد أنذروا بهم -فتنحوا عن الأرض، وتركوا بها إبلاً مع خمسة رجال .فأول ما بدءوا به أن قتلوا الخمسة الرجال، وامرأة حاملاً كانت معهم، وما في بطنها أيضاً، واستاقوا الإبل، حتى إذا كانوا في النصف من الثنية المذكورة ركب القوم عليهم الجبال يرمونهم بالحراب والحجارة؛ فانهزم الأمير أرنبغا في عدة من المماليك، وقد قتل منهم ثمانية، ومن أهل مكة وغيرهم زيادة على أربعين رجلاً، وجرح كثير ممن بقي، وغنم القوم منهم اثنين وثلاثين فرساً، وعشرين درعاً، ومن السيوف والرماح، والتجافيف ونحو ذلك من الأسلحة، ومن الأسلاب والأمتعة ما قيل إنه بلغ

قيمته خمسة آلاف دينار وأكثر .فلما طلعت الشمس يوم الجمعة النصف من رجب دخل أرنبغا بمن مضى معه من المماليك مكة، وأقبل المنهزمون إلى مكة شيئاً بعد شيء، في عدة أيام، وحمل السيد مَيلب في يوم السبت ميتاً، ومات بعده بأيام الشريف قاسم بن جسَّار من جراحة شوهت وجهه بحيث لفته كله من أعلى جبهته إلى أسفل ذقنه.

وفي سنة أربعين– في عشري جمادى الآخرة –وصلت الرجيبة إلى مكة، وصحبتهم قاصد السيد بركات أحمد بن حُنيش ومعه كتاب من السلطان للسيد بركات، يخبره بأنه شملته الصدقات الشريفة بنصف عشور مراكب الهنود.

وفيها– في شوال أيضاً –وقع بين القواد العمرة والترك بجدة نترة ([509])بدكة يجلس عليها القواد ذوو عمر بالقرب من الفرضة .وكان ذوو عمر يجلسون بهذه الدكة، فإذا استجار بهم أحد من الناس لا يمكنون منه أحداً؛ فحصل بينهم وبين بعض الأتراك بهذه الحيثية نترة، وركب فيها الأمير، ووقع بينهم هدة كبيرة، إلا أن الله درأها عن المسلمين، وأمسك الأتراك القائد أحمد بن علي بن سنان، وسحبوه على وجهه، وجاءوا به إلى الأمير بعد إهانة عظيمة، وتفرق عنه جماعة ثم التأموا وهمُّوا بقتال الترك، فخوف الأمير عاقبة ذلك فأُطلق القائد أحمد بن علي بن سنان .وكان السيد بركات غائباً عن جدة، فقدم إلى جدة فأخرب الدكة التي يجلس عليها القواد، وساس الأمر حتى سكنت الفتنة.

وفي سنة إحدى وأربعين– في جمادى الأولى –قتل السيد علي بن حسن بن عجلان خمسةً من كبار حرب، وتوجّه خوفاً من أخيه السيد بركات إلى القواد العمرة بالعد، فحمَّلوا معه بعض خيل من أولادهم إلى أن توجّه إلى نحو بني شعبة ببلاد اليمن .فركب السيد بركات على إثره لما علم بالقضية، ودخل السيد بركات في بني شعبة، فقبل وصول الشريف بركات

إلى بني شعبة أخرجوا عنهم السيد علي بن حسن؛ فخرج شارداً إلى جهة اليمن بعد تعب كثير، وأقام بالواديين ([510])إلى بعد سفر الحاج، ثم اصطلح هو وأخوه السيد بركات.

وفي سنة ثلاث وأربعين أرسل يسأل السلطان أن يطأ البساط؛ فأجابه السلطان بأن يصل، وأمره أن يخرج شكراً وولديه بديداً وعلياص، وكاتبهم شميلة من مكة إلى المدينة؛ فأخرجهم إلى صوب اليمن .وأرسل قوداً إلى السلطان مع قاصده القائد نعمان صحبة الأمير يشبك، وكتباً ذكر فيها أنه أخرج شكراًَ وذويه إلى ناحية اليمن، وأنه يسأل السلطان أن يعفيه؛ فإن عليه ضرائر.

وفي رمضان منها وصلت الرجيبة إلى مكة، وكان السيد في صوب اليمن، فأرسل إليه ابن أخيه شرعان، فوصل في يوم الجمعة ثامن رمضان .ثم في يوم السبت تاسع رمضان قرئت المراسيم، وهي تتضمن :أن جميع الجلاب الواصلة من البحر إلى جدة من سائر البلاد ليس لصاحب مكة منها إلا الربع، وأن الثلاثة الأرباع لصاحب مصر، وأن جميع من يموت بمكة من غير أهلها ليس لصاحب مكة من ميراثه شيء، وإنما ميراثه لصاحب مصر، وأن صاحب مكة ليس له ميراث إلا من مات من أهل مكة.

ووصل مع الحاج في هذه السنة مرسوم يتضمن :إعفاء السيد بركات من تقبيل خُفِّ جمل المحمل، فشكر هذا من فعل السلطان، وألاّ يؤخذ من التجار الواردين في البحر إلى جدة سوى العشر فقط، ويؤخذ صنف المال من كل عشرة واحد، وأن يبطل ما كان يؤخذ سوى العشر من رسوم المباشرين ونحوهم؛ فكان هذا من جميل ما فعل .وأن يمنع الباعة من المصريين الذين سكنوا مكة وجلسوا بالحوانيت في المسعى وحكرَّوا المعاش وتلقوا الجلب من ذلك، لأن هؤلاء البياعين كثر ضرُّهم وتقووا بحماية المماليك المجردين لهم؛ لما يأخذونه منهم من المال.

وفيسنة أربع وأربعين ورد كتاب السلطان إلى السيد بركات بأن يحضر إلى الأبواب الشريفة . فأراد السفر؛ فاجتمع به التجار والمجاورن وأهل مكة، فسألوه ورغَّبوه في أن يقيم ولا يسافر؛ فإنه متى سافر لا يأمنون على أنفسهم، وأنه يعرض ذلك على الآراء الشريفة، فإن اقتضت أن يحضر حضر، أو أن يقيم أقام .وكتب بذلك محضر، وكتب الأمير سودون كتاباً بذلك إلى السلطان، ويشير بأن المصلحة في إقامة السيدُ بركات بأن يحمل إلى الخزانة الشريفة من صلب ماله عشرة آلاف دينار عن نفيه، وخمسة آلاف عن ذوي شكر وشميلة .فوصل ذلك إلى السلطان في يوم السبت خامس عشري جمادى الأولى؛ فأذن السلطان للسيد بركات في الإقامة بكة، وأعفى من الحضور، وجهز له تشريف، وإذن لذوي شكر بأن يدخلوا مكة وجدة على جاري عادتهم .ووصل القاصد إلى مكة في رجب بهذا الخبر؛ فجهز الشريف بركات أبي للسلطان فلفلاً بخمسة عشر ألف دينار في البحر المالح إلى الطور.

وفي هذه السنة كتب السلطان له ولأمراء الحجاز بإعفائهم مما كانوا يقومون به من المال لأمير الركب في كل سنة، وأكَّد السلطان على الأمراء ألا يأخذوا منهم شيئاً .فما أجمل هذا وأحسنه لو عمل به.

وبلغ السيد بركات أن السلطان أمر أمراء الحج بالقبض عليه؛ فجمع وحشد، ولاقى الحاج الأول والمحمل الشامي واحترز منهم بحرز الله ولم يجتمع بأحد من الأمراء في منزله بعد وصول المحمل، غير أنه اجتمع في اليوم الأول بالأمراء الواصلين أمام الركب الأول، وكان الأمراء الحاجون في هذه السنة أربعة عشر أميراص، منهم :أمير السلاح تمراز.

وفي يوم عرفة حصل جفلة سلم الله الحاج منها، سببها أن الأمراء والأتراك توجهوا للصلاة بمسجد نمرة، فظن بنو حسن أن الأمراء الأتراك هموا بالسيد بركات، فلبس بنو حسن الزانة،

وألبسوا خيلهم واجتمعوا فسلم الله تعالى من ذلك الحاج والناس، ولم يقف السيد بركات في الموقف صحبة الأمراء على جاري عادة أمراء مكة؛ فرقاً من الأمراء، لكن وقف بأطراف الموقف في طرف الناس، ولم يخالف على الحاج بشيء.

وفي سنة خمس وأربعين آخر ربيع الأول وصل قاصد من القاهرة إلى السيد بركات أن يحضر إلى القاهرة؛ فاستعفى عن الحضور مع قاصد له يسمى السكيكي، وأرسل معه عدة أوراق، فخامر عليه القاصد ولم يوصلها، وأرسل السيد بركات عيناً لينبع سعيداً وعلياً ابني محمد بن مفلح البليني يتجسسان له أخبار مصر، وهما مقيمان عند صاحب ينبع السيد
صخرة ([511])يظهران أنهما وافدان عليه؛ لأنه كان بينه وبين أبيهما صحبة .فلما تحقق السيد صخرة أنهما عينان للشريف بركات أخرجهما عن بلده، فأقاما عند ابن دويعر بقرب بدر، فبعد أيام ورد عليهم مزروع– من مولدي ذوي عجلان –وأخبرهم بولاية السيد بركات، فوصلا إليه في رابع رجب– وكان مقيماً بوادي الآبار من الموسم –وأخبراه بذلك، فتوجه إلى صوب اليمن.

ووصل مزروع إلى مكة، وأخبر بولاية السيد علي بن حسن لإمرة مكة عوضاً عن أخيه بركات.

وفي سنة ست وأربعين جمع السيد بركات جموعاً وعزم على التوجه لحرب أخيه علي، ونزل العد، وكان أخوه بجدة، فعاد إلى حدًّا، وأخذ مباشرو جدة المتحصل للسلطان، وتحصنوا به في المراكب المسمارية ([512])في البحر .فلما كان صبح يوم الأحد ثامن عشر صفر دخل السيد بركات جدة ومن معه، ولاقاه عبيد أبيه وعسكر المراكب، وكانت دخلة عظيمة، قطع كل من رأى تلك الدخلة بأنه لا يخرج من جدة .ونادى بالأمان والاطمئمان والبيع والشراء، وأرسل إلى المباشرين بأن ينزلوا إلى فامتنعوا .فلما كان صبح يوم الاثنين طلب السيد بركات

التجار والنواخيذ الهنود وغيرهم، وطلب منهم عن كل مركب أربعة آلاف دينار، فأجابوه :أن المراكب مختلفة، فيها كبير وفيها صغير، ومن المراكب لا تساوي شحنته خمسمائة دينار .فاتفق رأي التجار على أن يعطوه نصف العشر نظير ما أخذ الشريف علي، وكان نحواً من أربعين ألف دينار، فلم يرض السيد بركات بذلك، وقال :إن أقل ما يأخذ مائة ألف .فبينما هم كذلك وإذا بالبلد قد ارتجت والناس على صوت واحد بأن الشريف علياً والأمراء والعساكر قد أقبلوا، فعند ذلك أطلق السيد بركات التجار والنواخيذ، ولبست عساكره وخرجوا إلى ظاهر البلد؛ ليحوزوا الماء عن العساكر، فأقاموا خارج البلد ساعة إلى قرب الظهر، فلم يكن الصياح عن حقيقة، فرجعوا إلى مساكنهم.

فلما كان صبح اليوم الثالث حادي عشر الشهر وصل السيد علي والترك والعسكر، والتقى الجمعان، فخامر م ن أصحاب السيد بركات الأشراف ذوو أبي نمي، والقواد ذوو حميضة، ووقع بين اطلرفين حرب عظيم كان النصر فيه لأصحاب علي، وفر عسكر السيد بركات إلى جهة اليمن، وثبت السيد بركات وقاتل هو وعبيده وأبدوا الجهد، ولكن الكثرة تغلب الشجاعة، وتوجه السيد بركات ومن فر من جماعته إلى العد، وأقام به إلى صبح يوم السبت رابع عشري صفر، ثم ساروا إلى صوب اليمن .وجادو السيد إبراهيم بين الشريفين على وجل وخوف بعد ذلك .وتوجهت المراكب الهندية من البندر وارتفعوا إلى ما بين العلمين وأقاموا به قريب الشهر، ثم سافروا في أوائل ربيع الأول.

ولما تولى السيد أبو القاسم بن حسن بعد أخيه علي، وغار عليه ولده زاهر وتوجه إلى الصفراء إلى الأشراف ذوي أبي نمي والقواد ذوي عجلان، وعاد هو وهم ونزلوا بأم الدمن طرف خليص، وجاء إلى مكة ليلاً وأخذ أحمد البوني، وتوجه به إلى أم الدمن، وطلبوا منه مالاً، فسمع السيد أبو القاسم فسار بجماعة من أصحابه نحو أم الدمن، فنزل بأم حبلين، وكان السيد بركات نازلاً بمكان يقال له أمج ([513])بالقرب من جدة، فعين من خيله

ثلاثين فرساً ملبسة لتسير مع السيد أبي القاسم .فلما كان في بعض الليالي ركب السيد أبو القاسم ووزيره علي بن محمد الشبيكي، ووردا على السيد بركات في محلته وسألاه في المسير معهم بنفسه؛ فاجاب سؤالهم وسار معهم في ثمانين فارساً ملبسين، فتوجهوا أجمعين إلى أن نزلوا حلة بين عسفان، فتقدم جماعة من خيل السيد بركات لكشف الطريق، فوجدوا بعض ظعون وعشرة رجال من غلمان الأشراف، فقتل عسكر السيد بركات منهم اثنين، وأرسلوهما إلى مكة، فوصلا في يوم الخميس عشري شعبان من سنة سبع وأربعين، فعلقا في درب المعلاة.

ثم إن جماعة من زبيد ذوي مالك وردوا على السيدين بركات وأخيه أبي القاسم، يريدون تثبيطهم من التقدم إليهم، وسألوهم في الوقوف، وأنهم يدفعون الأشراف وذوي عجلان إلى الشام، فقال الشريفان :لا يقع اتفاق إلا بعد وصول البوني إلى عندنا، فأُحضر البوني إلى الشريفين في يوم الجمعة سابع عشري شعبان، ثم وقع التجود بين الفريقين سبعة أشهر، وألا يدخل مكة من الأشراف وذوي عجلان ([514])غير خمسة أنفس لقضاء الحوائج، لا يُزاد على ذلك.

ثم توجه السيد بركات نحو جدة، ثم إلى الفالق ([515])من ناحية اليمن وأقام به.

وفي صفر توجه من اليمن على طريق الحسا ([516])إلى الشرق ونزل بالقرب من وادي لية، وأمر له أخوه السيد أبو القاسم بقطعة الحجاز، وهي ألف وتسعمائة أفلوري، وضيَّفه أهل الواديين بثمانمائة أفلوري، وأرسل له أخوه السيد أبو القاسم أيضاً بثلاثمائة أفلوري من مكة، وأقام بها إلى ثاني جمادى الآخرة، ورحل منها ووصل إلى نخلة، ثم إلى عرفة في عصر يوم الأربعاء ثامن جمادى الآخرة، وأقام بها يوم الخميس، ورحل في عصر الخميس متوجهاً إلى اليمن، وأقام بالأطوى، وبعث إلى مكة وأخذ منها بناة وفعلة، وعمر البئر التي بالأطوى

المعروفة قديماً بمياه مجنة .([517])ثم توجه السيد بركات في أواخر ذي الحجة إلى العد بالقرب من جدة، وأقام به بأهله وجماعته.

وفي يوم الجمعة سلخ القعدة أرسل أمير الحاج المصري شادي بك موقِّعَه إلى السيد بركات بن حسن بن عجلان بمنديل الأمان، وخاتم الأمان، وكتاب ذكر له فيه أنه يريد الاجتماع به وصحبته أمير الأول، والأمير تنم ناظر الحرم ونخبره بسر، فتوجه القاصد؛ فأجابه إلى ذلك بشرط أن يتوجه إليه الثلاثة الأمراء في عشر ركائب، ولا يكون صحبتهم من الترك غير ثلاثة أنفس في خدمة كل أمير مملوك، ولا يكون معهم شيء من الخيل والسلاح، فإن أحب الأمراء ذلك فليرسلوا إلي قاصداً بذلك حتى أقرب إلى مكة.فوصل القاصد إلى مكة في عصر يوم الاثنين، فأخبر الأمراء بذلك؛ فأجابوا إلى هذا الشرط، وأرسلوا له قاصداً بذلك في صبح الثلاثاء، فرجع القاصد إلى مكة في ليلة الخميس خامس الحجة، وأخبر بأن الشريف وصل إلى المكان المواعد فيه .فلما كان يوم الخميس توجه الأمراء الثلاثة المذكورون في عدة من الركائب، وتوجه معهم جماعة من عسكر السيد بركات وتواجهوا، وما يعلم ما اتفق بينهم.

وفي سنة ثمان وأربعين– في ليلة السبت خامس عشر ربيع الآخر– قدم السيد بركات ابن حسن بن عجلان ومعه من الخيل سبعون، منها ستون ملبسة، ومعه جماعة من ذ وي حميضة وغيرهم، نحو ثلاثين فارساً، من ثنية كداء من أعلى مكة، وانحدر بالأبطح، وسار نحو الشرق، فوجد بمكان يال له البوباة ([518])عرباً من بني سعد يقال لهم يمن، فأخذ لهم خمسين بعيراً وعدة من الغنم .فلما كان صبح يوم الثلاثاء أغار على عرب مطير، وأخذ منهم عدة من الإبل نحو سبعمائة، وأربعة أفراس قلايع([519])، وقتل ثلاثة أنفس من عرب مطير، فولت مطير الدبر عن أمواهم وبيوتهم .فأجار السيد بركات على الحلة، وقسم الغنيمة على رفقته : جعل للراكب ناقتين، ولكل اثنين من الرجالة ناقة، وأخذ لنفسه المتبقي من ذلك، وهو خمسمائة، فاشترى بها خيلاً وركاباً ودروعاً، وأقام بالشرق، وأمر بعض صبياتنه إلى الواديين

فأخذ له ضيفة ألف أفلوري .([520])فوصل العلم بذلك إلى أمير مكة السيد أبي القاسم؛ فأرسل إلى أخيه بعض الأعراب بأوراق مضمونها :إن عرب مطير في نزلتي .([521])فرد الجواب :إني تجهزت من العد، والعلم عندك، فلم يأتني منك خبر عنهم ولا عن غيرهم، والفرض بيني وبينك .فأرسل ثانياً الشريف أبو القاسم القائدين مطيرق بن منصور بن راجح([522])، وسنان بن علي بن سنان ([523])العمريين بأن يتوجها عنده برد الأموال على عرب مطير .فتوجها إلى السيد بركات .وأقاما عنده مدة من الأيام، وصمم السيد بركات، وقال :ما أعطي السيد أبا القاسم إلا الفرض، وأعطى القائدين فرسين وعدة من الركاب ,ثم قدما على الشريف أبي القاسم وأخبراه بتصميم السيد بركات على ما قاله .فأرسل السيد أبو القاسم إلى ولده السيد زار، والأشراف ذوي أبي نمي، والقواد ذوي عجلان– وكانوا نازلين بخيف بني شديد –يأمرهم بالنزول عنده بوادي الآبار.

ثم إن السيد بركات توجه نحو مكة بعد أن حصَّل من الشرق عدة من الخيل والغنم من رجال العرب، وتقدم عنه صبيانه نحو نخلة لأن ياخذوا له منهم ضيفةً وعليقة، فجمعوا له .ثم وصل السيد بركات إلى الزيمة، ثم توجه إلى المبارك، ثم إلى الجموم من وادي مر؛ فعلم به أن اخاه الشريف أبا القاسم جمع له عسكراً، فسار إلى العد– وهو منزل أهله المقيمين به– فوشى الواشن بينه وبين أخيه بأقاويل كثيرة، فحمل السيد أبو القاسم جماعةً من القواد العمرة إلى السيد بركات بان يرد عليه الإبل .فامتنع السيد بركات، فرجع القواد إلى الشريف أبي القاسم وأخبروه؛ فركب هو وهم إلى نحو السيد بركات، ولم يعلم بهم السيد بركات إلى عند منلزه، فتواجه الشريفان وتعاتبا، فقال له السيد بركات :لو جئتني هذا المجيء بغير عسكر فعلت كل ما تطلبه، ولو طلبت مالي، وأما هذا المال املأخوذ فلا أرده إلا بالفرض .فتنافرا، فركب الشريف أبو القاسم وعجل في المداف وأصبح بوادي الآبار، وأرسل رسولاً يستعجل الأشراف والقواد ذو عجلان– وكانوا بمكة وصلوا من الخيف –وتوجه من أصحاب السيد أبي القاسم إلى السيد بركات جماعة من الأشراف والقواد الحميضات .ثم إن القواد العمرة ركب

منهم جماعة نحو السيد بركات، وأخذوا منه مهلة لدرء الفتنة ستة أيام، ورجع القواد إلى السيد أبي القاسم .وجاود الشريف أبو القاسم بين الأشراف ذوي أبي نمي، والقواد ذوي عمر، وذوي عجلان، وذوي حسن سنة كاملة، ورد الشريف أبو القاسم على ذوي عجلان رسومهم.

ثم إن الشريف أبا القاسم جهز ولده وجماعة من الأشراف ذوي أبي نمي، وجماعة من القواد ذوي عجلان ([524])نحو جدة لحفظها .وأرسل السيد بركات لجماعة الأشراف والقواد ذوي حميضة وبشر وزبيد وغيرهم من الأعراب؛ فالتأم عند خلقٌ كثير.

وأقام عنده إلى ليلة الأربعاء، وتوجهوا صوب السيد بركات بن حسن– وكان نازلاً بالليث – فلما كان ضحى يوم الاثنين حادي عشري المحرم وصل قاصدٌ من عند السيد بركات إلى مكة المشرفة يطلب بعض غلمانه، وكانوا بمكة .وأخبر القاصد أنه لما كان يوم الخميس سابع عشر المحرم وصل إلى السيد بركات مبشر، وأخبره بالولاية، فلما كان يوم الجمعة وصل إلى السيد بركات القصاد– وكانوا تلاقوا في الطريق بالشيخ عبد الكبير الحضرمي، وكان متوجهاً من مكة إلى صوب السيد بركات– فلما كان يوم السبت وصل قاصد من جدة، صحبته المراسيم، لأن القصاد كانوا أودعوها بجدة خوفاً من السيد أبي القاسم.

فلما كان في ليلة الأربعاء ثالث عشري المحرم وصل القصاد الذين كانوا توجهوا إلى السيد بركات إلى مكة المشرفة، وأخبروا أنهم توجهوا إلى السيد بركات بكتاب السلطان له بالأمان بأن يطأ البساط هو أو ولده .فاعتل الشريف بركات بأنه صار كبيراً، وأنه ضعيف، وذكر لهم أنه يجهز ابنه إلى الأبواب السلطانية، وأقاموا بمكة يوم الأربعاء، ثم توجهوا فييوم الخميس إلى صوب السيد أبي القاسم.

فلما كان في يوم الأحد وصل دوادار الأمير جانبك مشد جدة يطلب الأمير والترك المقيمين بمكة، فلما كان مغرب ليلة الاثنين سابع عشري المحرم وصل الشريف محمد بن السيد بركات إلى مكة وطاف واجتمع بأمير الرتبة المقيمين بمكة، وأقام بمكة يوم الاثنين، وتوجه في ليلة الثلاثاء إلى جدة، فدخل جدة في صبح يوم الأربعاء تاسع عشري المحرم، ودخل في خدمته أمير الرتبة المقيمين بمكة، ومشد جدة، وأقام بجدة إلى يوم الأحد صفر وتوجه إلى القاهرة.

فلما كان صبح يوم الخميس سابع عشري ربيع الأول وصل مخبر من جدة وأخبر أن أحمد بن ماون الحساني قدم جدة في ليلة الأربعاء سادس عشري ربيع الأول، وتوجه نحو السيد بركات؛ فتوجه السيد أبو القاسم نحو وادي الآبار .فلما كان في ظهر يوم السبت تاسع عشري ربيع الأول وصل قاصد من وادي الآبار، وأخبر أن السيد بركات نزل بالعد في خيل مجردة، وكان بالعد– نازلاً القواد ذوو عمر.

فلما كان بعد العصر من يوم السبت المذكور وصل القائد محمد بن عبد الكريم العمري رسولاً من السيد بركات بمثال من السلطان إلى الأمير الراكز بمكة، يخبره أن الصدقات السلطانية شملت السيد بركات باستقراره في إمرة مكة عوضاً عمن بها، وأن الأمير يحتفظ بمكة حتى يصل التشريف للشريف بركات ويلبسه، وأن يكون الأمير في خدمته .والمثال مؤرخ بثامن ربيع الأول .وأخبر القائد محمد بن عبد الكريم أن القاصد وصل إلى السيد بركات بمنزله في اللَّيث، في يوم الخميس سابع عشري ربيع الأول، وأن الشريف بركات توجه من فوره إلى العد فنزله صبح يوم السبت، وأخبر أيضاً أنه وصل مثال إلى الأمير المشد بجدة يخبره بذلك، وبتوقيع للسيد بركات.

ودعي للسيد بركات بعد صلاة المغرب على زمزم في ليلة الاثنين ثاني ربيع الآخر .فلما كان صبح يوم الثلاثاء نزل السيد بركات بمن معه من القواد ذوي عمر جدة، ووصل العلم بذلك

إلى مكة ضحى يوم الأربعاء، وتوجه جانبك مشد جدة إلى القاهرة في ربيع الأول .ولما كان يوم السبت حادي عشر ربيع الآخر وصل قاصد من جدة إلى الأمير الراكز بمكة يأمره بالتوجه إلى جدة هو ومن صحبته من الأتراك؛ فتوجهوا إلى جدة في عصر يوم الأحد.

وفي سنة إحدى وخمسين- في يوم السبت عاشر ربيع الآخر -توجه السيد بركات بن حسن بن عجلان إلى بلاد الشرق، ثم عاد إلى مكة في ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الأولى، ثم توجه من مكة إلى العُدِّ في يوم الجمعة المذكور، ثم عاد في يوم الأحد سلخ جمادى الأولى إلى مكة، وأقام بها إلى عصر يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة فطاف للوداع، وخرج مسافراً إلى القاهرة، وأقام بالطنبداوي إلى عصر يوم الثلاثاء، وسافر نحو العد، ثم توجه إلى جدة في يوم الاثنين ثامن جمادى الآخرة، ثم سافر من جدة عصر يوم السبت ثالث عشر جمادى الآخرة، ثم سافر من جدة عصر يوم السبت ثالث عشر جمادى الآخرة، وتوجه إلى المدينة الشريفة، فزار النبي وصاحبيه رضي الله عنهما .ثم توجه إلى القاهرة فدخلها في يوم الخميس مستهل شعبان، وزل له الملك الظاهر إلى المطعم ([525])ببركة الحاج، ولاقاه ملاقاة حسنة، وبالغ في إكرامه، ومشى له خطوات، واحتضنه وأجلسه إلى جانبه بحيث لم يجلس إلا معه خارجاً عن مقعد، وخلع عليه، وقُيِّد له فرس بسرج ذهب مزركش، وركب معه حتى رسم له بالتوجه إلى المكان الذي أنزل فيه، بالقرب من سويقة الصاحب، فرتب له الرواتب السنية، وأكرمه غاية الإكرام، وارتجت القاهرة لدخوله، وخرجت العذارى للتفرج عليه، وكان يوماً مشهوداً.

ولما وصل إلى منزله جاءه للسلام عليه القضاة والأمراء والأعيان، ووصل العلم إلى مكة بذلك في يوم الخميس ثاني عشري شعبان .وحدَّث بالقاهرة، فسمع منه بعض الطلبة، وأجاز لهم .ثم توجه السيد بركات غ مكة في يوم الخميس خامس عشر شعبان.

فلما كان في صبح يوم الاثنين حادي عشر رمضان وصل قاصد من جدة، وأخبر أن القائد بن فرج الحسني وصل إلى جدة في ظهر يوم الأحد متقدماً عن السيد بركات من عقبة أيلة . فلما كان آخر يوم الأحد سابع عشر شهر رمضان وصل قاصد وأخبر أن السيد بركات بوادي مر .فلما كان بعد العشاء دخل الشريف وطاف وسعى، ثم عاد إلى الزاهر، وبات به ولبس خلعته، ثم دخل إلى مكة في صبح يوم الاثنين، وقرئ مرسومه بالمسجد الحرام بحضرة القضاة، والأمير الباش، وطاف، ودعا له الريس على ظلة زمزم.

وحصل في ضحى يوم عرفة جفلة، سببها أن الأتراك تعدوا على غنم عرب بني سعد وأخذوها، فحصل بينهم قتال، فسمع الشريف فجاء ومعه عسكره وطردوا العرب، ونهب الغوغاء أيضاً كثيراً من إبلهم وغنمهم وأثاثهم، وسكن الأمر، ونودي بالأمان والبيع والشراء.

وفي سنة ثلاث وخمسين، في عصر يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة توجه السيد بركات نحو الشرق لغزو عرب نهبوا حاج عُقيل في السنة التي قبل هذه، ثم وصل العلم إلى مكة المشرفة في عصر يوم السبت سادس عشري الشهر بأنه ظفر بهم، وغنم أموالهم، ثم عاد إلى مكة في رجب.

وفي سنة أربع وخمسين– في شهر رجب –توجه السيد بركات إلى المدينة الشريفة لزيارة جده المصطفى.

وفي شعبان توجه السيد بركات إلى حلي ابن يعقوب، يريد أن يولي حلي للسهيمي موسى بن محمد بن موسى، عوض أخيه دريب، ففر دريب وأخلى لهم البلاد، فولى السهيمي، وأقام السيد بركات هناك مدة، ثم توجه إلى مكة، فجاء دريب إلى المنيرة ([526])ونزل بها، وأراد دخول القوز([527])، فدخل الصوفية بنو الطواشي وغيرهم بينهم على الصلح– أو مهلة

مدة –فما رضي دريب، وحرضته والدته على القتال، فسار السهيمي إليه بعسكره وتقاتلوا قبيل العصر، في أوائل العشر الأخير من ذي القعدة، فوقعت الكسرة على دريب وجماعته؛ فَقُتِل دريب، وقبض على والدته حَبَتًّا بنت مجيرد، وأخواته الثلاثة .وخُشِّب على يد والدته ورجلها إلى أن سلمت للسيهمي مالاً كان مودعاً لها عند الشيخ محمد السني بن يحيى الطواشي، وهو عشرون ألف أفلوري في مرطبانين.([528])

وفي ثاني يوم قتله وصل قصاد من مصر بخلعة وكسوة لدريب من السلطان الظاهر جقمق؛ لأن دريباً كان كاتب مشد جدة جانبك بأن يأخذ خلعة من السلطان ويرسلها له.

فلما كان ضحى يوم الخميس ثالث عشري ربيع الآخر قرئ مثال من الملك الأشرف للسيد بركات بأن الخليفة ([529])خلع الملك المنصور عثمان، وأنه ولي السلطنة عوضه، ولقب بالأشرف، وكني بأبي النصر في يوم الاثنين ثامن شهر تاريخه، وأنه قد وصلت خلعة لك، وخلعة لولدك، وهو مؤرخ بحادي عشر ربيع الأول، فلبس السيد بركات وولده الخلعتين .فلما كان في العشر الأخير من ذي القعدة توجه السيد بركات إلى مكة لملاقاة الحاج، فتوجَّه بعض جهال القواد إلى جدة وكسروا في بعض الليالي بعض البيوت، وأخذوا شيئاً منها، وسرق جماعة من صبيان القواد القوافل الواصلة من جدة إلى مكة .فلما علم السيد بركات بذلك شق عليه، وأرسل إلى ابن أخيه الشريف أحمد بن إبراهيم وأرضاه، وأرسل إلى جماعة من الأشراف وأحسن إليهم بمال؛ فتفرق جمعهم.

فلما كان بعد سفر الحاج من مكة نزل جميع الأشراف بعيالهم على السيد بركات بوادي الآبار، ولم يتخلف عند القواد إلا الشريف أحمد بن جلبان وبعض جماعته، والشريف علي بن أحمد الحجر .ثم إن القواد عذروا الشريف أحمد بن جلبان، وقالوا له :توجه إلى أصحابك وأنت بريء من عتبنا، فتوجه إلى أصحابه .ثم إن السيد بركات أرسل إلى جماعة القواد ذوي

عمر بأن يخرجوا عن بلده إلى صوب اليمن، فقالوا :يخرجوا عن بلده إلى صوب اليمن، فقالوا :نخرج صوب الشام، فقال :إن عزمتم على الشام فأنتم مني في النقا .([530])فخرجوا إلى صوب اليمن.

وفي سنة ثماني وخمسين– في يوم الثلاثاء ثامن جمادى الأولى –توجه السيد بركات إلى الشرق، ثم قدم إلى مكة في شهر رجب.

وفي سنة تسع وخمسين– في اليوم الأول أو الثاني من شعبان –مسك القائد قنيد الحسني سبعة عشر رجلاً من أعيان عرب الضهوان([531])، ولم يتعرض لباقيهم– وكان بمكة جماعة منهم يبلغون الخمسين –وذلك بأمر السيد بركات، وحبسهم في دار الزباع بمكة بعد أن زنجرهم وكبلهم بالحديد؛ وذلك لأنهم كانوا يفسدون في الطرقات.

ولما كبرت سن السيد بركات ووهن عظمه كلم مشد جدة الأمي جانبك أن يرسل إلى السلطان ويسأله في ولاية إمرة مكة لولده محمد؛ فإنه ضعيف قليل الحركة .فأرسل جانبك يسأل في ذلك، وأقام بجدة إلى أن فرغ موسم الهندي، فأبطأ عليه القاصد، فتوجه الأمير جانبك إلى وادي مر للسلام على السيد بركات– وكان نازلاً بأرض خالد منه، ضعيفاً جداً – فوصل إليه في ضحى يوم الأحد ثامن عشر شعبان، وأقام عنده إلى ظهر يوم الاثنين تاسع عشر شهر شعبان، وتوجه إلى القاهرة، فتوفي عقيب سفر جانبك في عصر يوم الاثنين
المذكور، وجاء العلم بذلك إلى مكة بعد صلاة العصر، وحمل على أعناق الرجال في سرير ودخل به مكة من أسفلها من باب الشبيكة من ثنية كُدَى– بضم الكاف والقصر –وغسل بمنزله بأجياد، وكفن وطيف به حول الكعبة الشريفة أسبوعاً قبل الضحى، وصُلِّي عليه بعدها عند باب الكعبة، ودفن بالمعلاة في يوم الثلاثاء عشري شعبان بالقرب من قبتي جديه عجلان وقتادة، في فسقية عملت له، وبُني على قبره قبة، وبُني إلى قربها سبيل، وجعل في القبة قراء

يقرأون يوم الجمعة، وأوقف على ذلك وقفاً ولده السيد محمد الذي خلفه في إمرة مكة .وكثر الأسف عليه لوفور محاسنه– رحمه الله وإيانا –ولم يتخلف عن مشهده أحد، وكان ولده السيد محمد ببلاد اليمن أرسله والده صحبة مالك، فأرسل الوزير بُدَيْد في عصر يوم الاثنين المذكور قاصدين أحدهما إلى السيد محمد، والثاني للأمير جانبك يخبرهما بوفاة السيد بركات، وأرسل أيضاً عدة من الخيل إلى جدة؛ لحفظ البلاد، وأن يسيروا مع القافلة من جدة إلى مكة.

ولما كان عصر يوم الثلاثاء المذكور وصل قاصد من الأمي جانبك مشد جدة ومعه مرسوم، وخلعة للسيد محمد بن بركات، وصلا مع القاصد الذي أرسله الأمير؛ فإن الأمير لاقاه في عسفان، ودعي للسيد محمد ابن بركات على زمزم بعد صلاة المغرب في ليلة الأربعاء .ثم إن القائد شهاب الدين بديداً الحسني توجه هو وجماعة من أصحابه إلى حدا من وادي مر، وأقام بها وأرسل إلى الأعراب، واستمر بها إلى آخر يوم الأربعاء خامس رمضان، وتوجه إلى مكة فوصلها في آخر ليلة الخميس، وأخبر أن السيد محمد بن بركات واصل إلى مكة.([532])

وكان السيد بركات– رحمه الله –شهماً، عارفاً بالأمور، فيه خير كثير، واحتمال زائد، وحياء ومروءة طائلة، مع حسن الشكالة والسياسة، والشجاعة المفرطة، والسكينة والوقار، والثروة الزائدة .وله بمكة مآثر وقرب منها :أنه استأجر بمكة رباط بنت التاج بأجياد من مكة في سنة سبع وخمسين فعمره عمارة متقنة في سنة تسع وخمسين، وأوقف منافعه على الفقراء . واشترى المدرة المعروفة بالنعيرية خارج أسفل مكة وسبلها، وجد بئرين بوادي الآبار سنة اثنتين وأربعين، وعمر البئر التي بالأطوى، المعرفة قديماً بمياه مجنة .وزار المدينة الشريفة في سنة أربع وخمسين في قافلة عظيمة كما تقدم، وله نظم، فمنه من قصيدة طويلة، هذا مختارها، وعزاها له جماعة من المحدثين :

يا من بذكرهم قد زاد وسواسي([533])

وقد شغلت بهم عن سائر الناس

وقد تقرر في قلبي محبتهم

وجئتهم طائعاً أسعى على راسي

سألتكم رشفة لي من مشاربكم

تغني عن الراح إذ ما لاح في الكاسِ

لا يملك السور مني غير منخمل

يبدي الوداد لوسواس وخناسِ

ومنها :

إن لاح يوماً له عن صاحب طمعٌ

أضحى يبيع له بخساً بأوكاسِ

ولا تراني بغير الفضل منتجحاً

ولا أقثدم أذناباً على الراسِ

فتاق درياق ما يعني الكهام به

أرعى وأحفظ ما لا يحفظ الناسي

إن قل در البكار المرزمات ترى

سوحي كمشهد أعياد وأعراس

ومنها يعاتب أخاه أبا القاسم:

قد جئت ما جا كليباً في عشيرته

لو أن فينا غلاماً مثل جساسِ

ثم الصلاة على المختار من مضر

ما لاح في كل ليل ضوء مقباسِ

وله أيضاً:

من لصب يشتكي فرط الجوى

ذاك من أسباب لوعات الهوى

ليس لي منهم شفاء أو دوا

غير صبرٍ واستعانٍ بالله

يا مليح الوجه كم هذا الصدود

ما لهذا الهجر عندك من حدود

أشتهي يا مالكاً رِقي تجود

واغتنم أجري كرامة لله

زادت البلوى فهو منها سقيم

قد حرم في الدهر لذات النعيم

ليس يعلم ما به إلا العليم

عالم الأسرار خافيه الله

كاتم الوجه وكاره أن يبيح

حق لي من فقد خلي أن أبيح

يعطي الخلان من غير الصحيح

في هواه مرتقب أمر الله

إن مثلي إن تجنَّنَ لا يُلامْ

من عوز يا سادتي حتى الكلام

كيف لا يصحون حتى بالسلام

يا لها من قتلة يالله

بالزمر أسألك ثم المرسلات

وبنونٍ والقلم والذاريات

ما ترى خيلك علينا غايرات

ناهيات القلب مع أمر الله

وقد مدحه الشعراء بمدائح كثيرة، فمن ذلك قول ابن خبطة ([534])يستغيث الشريف:

أدام الله عزك والمعالي

وبلغك المرام مدى الليالي

أيهضم جانبي يوماً وإني

بجانبك الكريم نظام حالي

فيا مَنْ قدرُهُ قدرٌ رفيعٌ

عظيم شامخ عال وغالي

أتح نظراً إليَّ وجُدْ بنصري

على الأعداء يا مولى الموالي

ودم واسلم بمكة في سرور

مدى الأزمان محمود الخصالِ

والشاعر محمد بن عبد القوي ([535])الذي قال :

ملك إذا قلنا :جواد باسل

فكأنما جئنا ببعض خصالِهِ

ومنها :

بركات يابن المصطفى ووصيه

هذي يميني بالنبي وآلِهِ

ما حُلْتُ عن حبي محياك الذي

أضحى الوجود مبرقعاً بجمالِهِ

ومنها:

لا ترع سمعك للمؤنب واطرح

ما عدَّ عنا في جميع مقالِهِ

لولا نهاك وفيض حلمك ما نجا

إلا قليل من وبيل وبالِهِ

يابن الذي نادى الأذان بفضله

في الخافقين بأوسه وبلالِهِ

في راحتيك من الغمام زمامها

يابا زهير فبُلَّنا ببلالِهِ

ملقاك عيد قبل عيد صيامنا

وجبين وجهك هلَّ قبل هلالِهِ

وعلى الهنا بالعيد يا عيد الورى

في نعمة تحيا إلى أمثالِهِ

واسلم وسد ما أشرقت بوح وما

وافى قمير في بروج كمالِهِ

وقال يمدحه أيضاً، وأنشد للوالد في شعبان سنة أربع وأربعين:

من بُكا المزن مرسلاً كالجمانِ

ضحك الزهر في رياض الجنانِ

ما ترى الروض باسماً عن إقاح

كلآلٍ زُيِّنَ في نيسانِ([536])

وبهارٍ حكى اصفرار نضار

مشقق يحمرُّ كالبرهانِ

وربيع وشَّى الثرى سندسياً

نسجته سحائب الهتانِ

وتغنت فواخت الدوح فيه

فسرت بالحياة في الأغصانِ

تُسْقِطُ الطير نغمة الصوت حساً

طرباً منه كيف بالإنسانِ

ومنها:

قال لي صاحبي وأعجب منه

ما درى أنني من العميانِ

لك عزم على التفرج معنا

في عِلي أو سمار من رهجان([537])

وقد خلّف بركات بن حسن ذرية مباركة ,من أشهرهم :محمد الذي خلفه في السلطنة ,في بنيه انحصرت إمرة مكة دون كل من تقدم من أجداده وإخوانه .أما بنو حسن الآخرين فتيامنوا واستوطنوا) الشواق ,(وكانت تعرف بالسرين ,وبالواديين ,وبالخريقين ,وثم صارت تسمى بهذا الاسم :الشاقة الشامية والشاقة اليمانية ,وكل هذه الأسماء تعني مسمى واحداً ,وهو مجرى السيل.

والأشراف ذوو حسن اليوم هم أهل تلك الديار.([538])

ومن أبناء السيد بركات هذا :إبراهيم ,له دور فيما يأتي.

–60الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان ,وتقدم نسب عجلان

(840–903)هـ1436–1497/م:(

أحد كبار الأشراف القتادات النمويين ,وأحد من زاد في ملك آبائه زيادات كبيرة ,فبلغ ملكه من وادي حرض جنوباً إلى بادية الشام شمالاً ,وضم معظم المنطقة المعروفة– آنذاك – بنجد.

ترجم له عبد العزيز بن فهد ,فقال:([539])

أمير الحرمين الشريفين والحجاز قاطبة ,وحلي بن يعقوب ,بل وجازان؛ فإنه أخذها.

جمال الدين أبو الفرج ابن أمير مكة زين الدين أبي زهير ,أمه الشريفة شقراء ابنة زهير ابن سليمان بن ريان بن منصور بن جمَّاز بن شيحة الحسيني ,ولد في شهر رمضان سنة أربعين وثمانمائة.

ولما طلب السلطان الظاهر جقمق – في سنة خمسين –أن يطأ والده البساط ,هو أو ولده , أرسل ولده هذا إلى القاهرة في صفر ,فوصلها وعاد بالولاية لوالده ,فوصل مكة في جمادى الأولى.

ولما كبر والده وتوهَّن بدنه سأل مشد ([540])جده جانبك الظاهري – في النصف الأوّل من سنة تسع وخمسين –بأن يكاتب السلطان ويسأله قي ذلك؛ فأجيب إلى سؤاله ,ووصل العلم إلى مكة بذلك في يوم الثلاثاء عشري شعبان من السنة ,ثاني يوم موت السيد بركات , ودعي له على زمزم بعد صلاة المغرب ليلة الأربعاء حادي عشر شعبان ,وكان السيد محمد بن بركات غائباً ببلاد اليمن ,فأُرسل إليه فوصل إلى مكة في أثناء ليلة الجمعة سابع رمضان.

فلما كان صبح يوم الجمعة حضر بالحطيم هو والقضاة ,والأمير ,والمجاورون ,والأعيان ,وقرئ مرسوم إلى السيد بركات يتضمن :أنه وردت إليه مكاتبات الأمير جانبك مشدّ جدة بالثناء على المخدوم ,وأنه بلغنا توهُّن المخدوم وضعفه وقلّه حركته، وقد أقمنا ولده جامل الدين محمداً في إمرة مكة وأعمالها، مؤرخ بسادس عشري رجب.

فلما كان يوم الأربعاء رابع شوال وصل قاصد من مصر ومن معه كتاب من السلطان إلى السيد محمد بن بركات بالعزاء في والده، وتوقيعان .فلما كان في صبح يوم الجمعة سادس شوال حضر السيد محمد الحطيم هو والقضاة والأمير والناس، وقرئ المرسومان :أحدهما بولاية السيد محمد بن بركات، مؤرخ بسابع عشري رمضان .والثاني إلى القضاة والأمراء والمجاورين والأعيان بولاية السيد محمد بن بركات لإمرة مكة.

وتوجّه في شوال ([541])سنة ثلاث وستين إلى الشرق.

وفي سنة أربع وستين توجّه إلى الشرق ثم عاد إلى جدَّة.

وفي شوال تنافر هو ووزيره بديد، فخرج بديد إلى جهة الشام في عسكر كثير؛ فاحتاط الشريف على بعض حواصله، وجميع إبله، وجميع عسكراً لغزوه؛ فأذعن بالصلح، وحلِّف على

الطاعة، وسلَّم جميع ما عنده من الخيل والسلاح والزَّانة، وأمر أن يكون في جهة اليمن .ثم اصطلحا في جمادى الآخرة سنة سبع وستين، ودخل مكة.

وأنشد في هذا الصلح الأديب الأوحد البليغ إبراهيم بن مبارك بن سالم بن علي المري الذُّهلي الشيباني القطيفي قصيدة، في سنة ثمان وستين وثمانمائة بالمسجد الحرام، ولم يثبت غير مطلعها وهو :

أقبل السعدُ والنُّحوسُ بُزَّلا

وأمَّنا النور والظلامُ انجلى

وفي سلخ ذي الحجة من سنة خمس وستين توجّه السيد محمد بن بركات زائراً النبيَّ ، فزار وعاد.

وفي جمادى الآخرة سنة تسع وستين توجّه السيد محمد إلى حلي صوب اليمن لتولية محمد بن دريب حلي بعد موت عمه موسى السُّهيمي، فولاَّه وعاد.

وفي ربيع الأول من سنة سبعين توجّه السيد محمد ومعه أهلُه وعسكره إلى المدينة الشريفة في قافلة عظيمة، فيها قاضي القضاة برهان الدين بن ظهيرة، وكثير من جماعته وأهله، والقاضي الحنبلي، وجماعة من التجار .فكانت عدة الشقادف خمسمائة وأربعة وعشرين، والسُّجُر اثنين وتسعين، والمحاير ستين، والزوامل اثنين وتسعين، وستين، والركاب مائة وسبعة وعشرين، والخيل ثمانية وثلاثين، والبالغ ثلاثمائة وثمانين، والحمير خمسمائة وخمسة، والنياق المخاض للشريف عشرين .ودخل المدينة في ربيع الثاني، فأقاموا بها جمعة وعادوا في ربيع الثاني.

وفي شعبان من سنة سبعين توجه السيد محمد نحو الشرق، وعاد في ذي القعدة.

وفي رجب سنة إحدى وسبعين توجّه السيد محمد إلى ينبع لقتال الأشراف ذوي هَجَّان، وذوي إبراهيم في عسكر كثير، وحاصروا المذكورين في بلادهم السُّويق، وقطعوا بعض نخيلهم .فلما رأوا من أنفسهم الغلب نزلت خاتون ابنة هجَّان بن محمد بن مسعود– أخت سبع، وزوجة خنافر بن عقيل ابن وبير ([542])متولى البلاد، في النهار وهي مظلَّل عليها– إلى السيد محمد، واستشفعت عنده فشفعها، ثم عاد إلى مكة في شوال.

وفي هذه السنة أخرج أهل حلي محمد بن دريب عنهم، فأرسل السّد محمد من استولى على البلاد.

وفي ليلة الجمعة ثاني عشري شعبان سنة اثنتين وسبعين ([543])توجّه السيد علي بن بركات من جدَّة إلى مصر براً، ولم يفطن لذلك إلا يوم السبت وصل مخبر إلى جدة، وأخبر أنه رآه بالقفَّين متوجهاً إلى صوب ينبع .فأرسل قاصداً إلى مكة بذلك، فصادف وصول خاله الشريف شامان بن زهير مكة، فتوجّه خلفه إلى ينبع ففاته وترك بها بعض جماعته، فردَّهم شامان، ووصل بهم معه مكة .ثم إن السيد محمداً لما وصل إلى مكة في رمضان لام خاله على ما فعل، وأرسل قاصداً إلى مصر، واتَّهم الشريف المحتسب بمكة، ونائب البلد القائد عبد الله بن بيخا بمواطئتهما لأخيه علي؛ فناهما إلى اليمن.

وفي ثامن ذي القعدة وصل مكة الشريف بساط قاصد السيد محمد ومعه الخبر بأن السيد علياً واصل مكة، وقد أمر السلطان أنه يصطلح هو وأخوه.

ثم جاءنا نجّابكم زهير بكتبكم، ثم السيد زين الدين بساط، وفي كتبكم :أنه خرج بغير علمكم، ولا تعلمون لذلك سبباً، وأن ذلك تعليم ممن يرمي الفتن، والمقصود إرساله .وقد أمرناه بالتجهز إليكم فلا تشوشون ([544])عليه بوجه من الوجوه؛ فإنه استجار بنا، ولا تسمعون فيه كلام المناجيس، وتذكرون كلام الله تعالى :

]القصص [35:وغير ذلك.

وفي تاسع عشري القعدة وصل السيد علي ابن بركات.

واتهم السيد محمد أيضاً محمد بن بديد، وخاله أحمد بن قفيف بمواطئته السيد علياً؛ فأمر بقتلهما بالوادي في سابع المحرم سنة ثلاث وسبعين، فقتلا بين واديي أبي عروة والجموم، وحملا إلى المعلاة، فجهزا ودفنا، ولم ينح عليهما، ورسم السيد محمد بن المختصين بابن بديد، واستولى على كثير من أمواله، ونفى جماعته، وذوي عمر، فباع ذوو عمر جميع أموالهم، وخرجوا كلهم إلى ناحية اليمن.

وفي شعبان سنة ثلاث وسبعين كانت قتلة بين السيد محمد، وزبيد ذوي مالك ([545]) بالقرب من رابغ، فكان الظفر في ذلك له– مع أنه كان في قلة من أصحابه –وقتل من زبيد نحو سبعين رجلاً منهم شيخهم رومي، وفر باقيهم هارباً، فغنم منهم أموالاً كثيرة، يقال إنهم ثلاثة آلاف بعير وغير ذلك .ولم يقتل من أصحاب الشريف إلا أربعة :شريفان من ذوي أبي نمي، وعدوي، وعبد .ثم إن الشريف صالحهم بعد ذلك في سنته، وأعطاهم مالاً، وعاقدهم على مدة، ثم نكث بعضهم قريباً.

وفي ذي القعدة عادت الحسبة للشريف، فإنه كانت خرجت في العام الماضي للباش مغلباي.

وفي المحرم سنة أربع وسبعين غزا السيد محمد جماعة من العرب([546])، وقتل منهم قرب الثلاثين وغنم منهم إبلاً وغنماً كثيراً.

وفي آخر صفر منها توجّه بعسكره من وادي مر إلى جهة الشرق لغزو بعض عرب عتيبة([547])؛ فإنهم قطعوا المجود الذي بينهم وبينه .وأرسل إلى مكة أن يرسلوا له آلة الحرب من دروع، وتجفاف، وغي ذلك؛ فأرسلوا له ذلك .فلما قرب من العرب أُنذروا قبل وصوله بيوم، فحملوا كلهم، ورحل بعضهم، ولحق الباقين قبل سيرهم صبح يوم الثلاثاء سابع عشري صفر؛ فقتل منهم نحو الخمسين رجلاً، وفرَّ الباقون، فغنم منهم نعماً وشاءً كثيراً وغير ذلك، وعاد، نصره الله، سالماً.

ووصله مرسوم وخلعة في جمادى الأولى، وكذا في جمادى الثانية، وكذا فيس رجب مع نائب جدة، ولبس الخلع وقرئت المراسيم.

وبعد الحج من هذه السنة توجه مع حاج بجيلة وحاج عرب شهران إلى أن أواصلهم إلى مأمنهم، ورجع إلى الوادي.

وفي صفر من سنة خمس وسبعين جاءه مرسوم وخلعة، فلبس الخلعة وقرئت المراسيم بالحطيم . وفي يومه سافر هو وعسكره إلى الشرق بنية أن يصالح بني سعد([548])، وغاب ببلاد الشرق نحو ثلاثة أشهر، وعاد بالسلامة.

وفيها، في يو الثلاثاء رابع عشر شعبان، أوقع بجماعةٍ من عرب زبيد تحت جبل صبح، وقتل منهم جماعة.([549])

وفيها- في شوال، أو ذي القعدة- حصل بينه وبين زبيد ذوي مالك كلام فحصل منهم عصيان؛ فأرسل الشريف خاله شامان بن زهير، وأخوين له، أحدهما يقال له على والآخر أصغر منه، مع جماعة، وقال لهم :شيعوا أنكم طالبون الشَّرق، وفي الليلة الفلانية يكون مبيتكم بالموضع الفلاني، وهو بالقرب منهم، وفي صبيحتهما صبِّحوهم .ففعلوا ذلك؛ فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، يقال إن المقتولين نحو الخمسين، وساقوا لهم جملة من المال، وبقوا في تلك الناحية مدَّة وعادوا.

وفيها- في النصف الأول من شعبان -أمر الشريف بتخريج ذوي عجلان([550])؛ فخرجوا ليلة السبت رابع عشر الشهر إلى جُدَّة.

وفيها- في يوم الجمعة ثامن عشر رمضان -توجّه السيد محمد إلى الشرق، وأغار على عرب البقوم في يوم الأربعاء ثالث عشري رمضان؛ فكسرهم وأخذ جانباً من إبلهم، وعاد إلى مكة في ضُحى يوم الأحد سابع عشر القعدة.

وفي ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وصله مرسوم يأتي ذكره .وتوجه إلى الشرق للغزو، وأعطى الشرفاء ذوي أبي نمي ألف دينار، وأمرهم بالتوجه معه، وكان قبل ذلك أرسل خاله وشقيقه علياً إلى الشرق للغزو.

وفيها- في ليلة الأحد ثالث شهر رمضان -وصل الشريف إلى مكة، وكان نازلاً بين جدة وحدا، ووصل قاصد من مصر في البحر، والباش، وبعض الفقهاء، وقرئ مرسومان له، ولبس الخلعة.

وفي ربيع الأول من سنة تسع وسبعين وصل قاصده، ومعه مرسوم وخلعتان له ولولده بركات، فقرئ المرسوم بالحطيم بحضرة القضاة والباش، ولبسا الخلعتين .وفي المرسوم :أن الحجاج وصلوا شاكرين.

وفي المحرم من سنة ثمانين توجه إلى الشرق، ثم عاد إلى مكة في ربيع الأول، ووجد قاصده جاء من مصر، فاجتمع هو والقضاة بالحطيم، وقرئ مرسومه، ولبس هو ولده بركات خلعتين.

وفيها ([551])اجتمع هو والأمراء عند أمير الحاج، واتفقوا على ألا يدخل العراقيُّ بمحمله على العادة، بل يترك ذلك بالزاهر، فأَمروه، ففعل، ثم إنه أعطى لأمير الحاج شيئاً، وكذا الباش فأذنا؛ فحجُّوا به .ولما انقضى الحج رسم الشريف على أمير العراقيين، وبعض جماعته لأجل خلعتيه في العام الماضي وهذه السنة، وعادته فيما يأخذه منه من الذهب في العام الماضي، ولأجل أنه جاء بصدقةٍ، ولم يعط الشريف الثلث على عادته في الصدقات؛ فاعتذر عن الخلعتين بأنه لم يلاقه، وإنما هي بشرط الملاقاة .وعن عادته في الذهب بأنه ردَّه، وعن الصدقة التي جاء بها إنما هي لحمل الضعفاء، وأنه اشترى ببعضها زرابيل للفقراء، ثم أرضوا الشريف وتخلَّصُوا.

وفي أوائل سنة اثنتين وثمانين جمع عسكراً كثيراً جداً، واحتفل له احتفالاً زائداً، وتوجّه إلى جازان من بلاد اليمن؛ لغيظه على صاحبها ,لعلَّه لأمورٍ ,منها :إكرامه لأخيه عليَّ لمَّا وفد عليه مغاضباً لأخيه ,ثم تعدِّيه من البحر إلى سواكن حتى توصل إلى صاحب مصر .ومنها : إيواؤه لمن ينفيه من عسكره ,ومنهم ذوو عمر المقيمون عنده الآن.

فلما وصل إلى جازان حاصرها أياماً يسيرةً .وجاءه المشايخ ودخلوا عليه بالصلح ,فقال لهم السيد محمد :بعد أن جئت إلى هنا فلا بد أن أدخل من باب وأخرج من الثاني ,ولا أحدث

شيئاً .فامتنع صاحب جازان الشريف أبو الغواير ,([552])وقال :لا يمكن ذلك أبداً .وبرز للقتال ,وصفَّ عسكره للحرب .فعزم السيد محمد على ملاقاتهم ,فبينما هو يريد الركوب وإذا بأوائل عسكره تلاقى مع عسكر صاحب جازان ,ورمى بعضُ العسكر ناراً في بيوتهم- وغالبها عشش للداخل من البلاد والخارج -فأرسل الله ريحاً قوية حملت الشَّرر إلى داخل البلاد فأحرقها .فلما رأى ذلك عسكر صاحب جازان هربوا من الباب الثاني ,ثم هرب هو وباقي عسكره ,وخلت البلاد منهم؛ وحينئذ دخلها العسكر ,ونهبوها جميعاً ,وأخربوا الحصن ([553]) ونهبوا جميع ما فيه ,وكان فيه جملة من المتاع والثياب واتلكتب ,وأحرق باقي البلد وخرب سورها ,وجميع ما فيها من الدور خلا المساجد ,وقتلوا كثيراً من الرجال والنساء والولدان صبراً ,واستأثر العسكر كثيراً من النساء الشرفاء وغيرهم وحملوهم معهم إلى بلدانهم .وكان هذا الفعل شنيعاً ,عاد وباله على أهل مكة؛ فإنه قحطت سنين عديدة ,ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم ,وكانت الكسرة في يوم الخميس سابع ربيع الأول ,ووصل الخبرُ إلى مكة بذلك في ليلة الأحد سابع عشر ربيع الأول ,ونودي في صبيحتها بوينة مكة سبعة أيام . فزيّنت .وعاد الشريف وعسكره إلى مكة في هذا الشهر أو الذي يليه .ثم رجع الشريف أبو الغواير إلى بلده بقطعة يؤدِّيها في كل سنة لصاحب مكة ,ولم أتحقق ذلك.

وقال القاضي أبو السعود يهنئ السيد الشريف محمداً بالنصر والسلامة في هذه الوقعة بقصيدة مطلعها:

في صادق الخُبْرِ ما يغني عن الخَبَرِ

وفي اقتناص الصياصي غايةُ الوطرِ

وفي امتلاكِ الصياصي أيُّ منقبةٍ

وفي بلوغ الأماني لذَّة العُمُرِ

ومنها:

ملك له في رحيبٍ الفضل بادرةٌ

وفي حروب الأعادي أيُّ مصطبرِ

قرمٌ هزبرٌ إذا ما شِمْتَ طلعتَهُ

رأيت عجاج بحرٍ غير محتكرِ

إن جال في صهرات الخيل يوم وغّى

تراهم يلصقون الأرض بالطُّرَرِ

وفي ربيع الثاني وصل قاصده الشريف عنقاء ([554])بن وبير من مصر بحراً، واجتمع هو والقضاة والباش، وقرئ مرسومه، وفيه :أن الحاج وصلوا شاكرين داعين على العادة، ولبس خلعته.

وفي سنة أربع وثمانين أمر السيد الشريف- بلغه الله مناه وأهلك أعداه -بعمارة سبيل وصهريج عند بئر شميس([555])، يكون للصادر والوارد، ففعل ذلك، أثابه الله تعالى.

ولما سمع بوصول السلطان- ([556])نصره الله -للحج توجّه هو وولده السلطان هيزع، وقاضي القضاة برهان الدين وولده الجمالي أبو السعود، وأخوه الفخري أبو بكر لملاقاته، فسمعوا بتوجهه للزيارة من ينبع، فاستمروا إلى بدر، فلما أقبل السلطان لاقوه إلى الصفراء أو قربها وسلموا عليه وعادوا معه إلى بدر، فمدّ لهم سماط حلوى وسماط طعام، ثم فارقوه من بدر، وانتظروه بوادي مَرّ إلى أن وصل، فمدَّ له الشريف سماطاً هائلاً، ولاقاه صبيحة دخوله إلى الزاهر هو وأولاده، فخلع عليهم كلهم، ودخلوا معه ركباناً إلى مدرسته ومد له الشريف سماطين صباحاً ومساءً، وقدم له الشريف شيئاً كثيراً من النقد والخيل والإبل، وخرج لرؤيتهما إلى درب اليمن .فلما سافر توجّه هو وأولاده معه إلى الزاهر، فردَّهم منه.

وفي سنة خمس وثمانين توجه هو وأهله إلى الشرق، وتوجّه من هناك إلى المدينة، وزار جدَّه المصطفى ، وتوجّه من هناك إلى وادي الصفراء وقطع نخيلاً لصبح ([557])ولم يلق منهم أحداً، وسبب فعله ذلك أن السلطان أغراه بهم؛ لكونهم قتلوا له مماليك في عوده.

وفي جمادى الأولى استخدم له قوَّاسه ([558])وأُرسل بهم إليه إلى الشرق، وجاء الخبر في جمادى الآخرة أنه غزا عرب بيشة، وقتل منهم جماعة، وغنم دروعاً وإبلاً كثيرة وغير ذلك.

وفيه جاء لمكة بأهله، وهو مودع لنائب جدَّة، فوادعه وسافر بأهله إلى اليمن في ليلة رابع رجب.

وفي أواخر شهر رمضان جاء لمكة محرماً بالعمرة، فطاف وسعى بعض المسعى ماشياً، ثم ركب حتى أكمل سعيه.

وفي أول سنة ست وثمانين توجه إلى مخشوش، وهو بين بدر والينبوع؛ لكون المحل ربيعاً، وأظنه وصل إلى ينبع، وحصل بينه وبين بني إبراهيم صلح، وعاد لمكة هو وأولاده وعياله وعسكره، في يوم الاثنين رابع جمادى الأولى.

وأمرهم ألا يدخلوا بالمحمل، فتركوه بسبيل الجوخي، ثم حمل بعد ذلك بلا ثياب ووضع بالمسجد عند بيت أمير الحاج المصري إلى أن نزل الناسُ من الحج، وأخذه أصحابه.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشري ربيع الأول سنة سبع وثمانين وصل السيد الشريف من الفَريق ([559])وهم بناحية اليمن، وأخبر بمراكب عدة واصلة من الهند وأنها دخلت من باب المندب، ثم توجه في هذا اليوم لناحية الشرق لغزو عرب مطير فأُنذروا ففروا، فعاد ووصل مكة يوم السبت تاسع عشري الشهر، وعاد لأهله.

ثم وصل مكة يوم الخميس خامس عشري ربيع الثاني بعد وصول قاصده إليه من مصر الشريف عنقاء بن وبير ومن معه المتولي للمدينة الشريفة زبيري بن قيس بن ثابت بن نعير بن منصور الحسيني المدني، والشريف يحيى ابن صاحب ينبع سبع بن هجَّان ([560])بن محارب ابن مسعود الينبعي.

وفي يوم الجمعة ثانيه حضر الشريف إلى الحطيم، ومعه القضاة والباش، وإبراهيم بن أخي الشمس بن الزمن، وقرئت المراسيم، مرسوم الشريف يتضمن :أن الحاج وصل سالماً، وهم شاكرون منكم، وأننا شكرنا امتثالكم لمرسومنا بمنع العراقيين، وما تركتموهم يدخلون إلا بشرط

أن يتوجه أميرهم إلينا، وأن جميع ولايات الحجاز تتعلق بك؛ فتولي فيها من تشاء .وأنه بلغنا أنه يؤخذ المكس على الحجاج الواصلين إلى جدة من الشام، وزاد المكس في هذه الأيام، وإنا أرسلنا إليكم في ذلك، فذكرت أنه ليس على ذهنكم شيء من ذلك، وحلفتم بالله أنكم ما تأخذون منه شيئاً، وأن الآخذ له هم العسكر، وإن طلبتم تركه تركناه، وقد طلبنا ذلك .وأنه بلغنا من بعض طلبة العلم أن بمكة يصرف المحلق بالمساعيد، وينادى على ذلك جهاراً ويقال : محلقة بمساعيد، وهذا حرام، وذكروا أحاديث في ذلك، والمقصود ترك ذلك .وأنك مقرب عندنا، وما عندنا أعز منك .وليس هو وولده السيد بركات خلعتين.

وسافر الشريف في ليلة الثلاثاء سادس عشر الشهر إلى اليمن وأرسل في سنة ثمان وثمانين إلى مكة– وهو باليمن –ولديه بركات وهُيزعاً وجمعاً كثيراً من عسكرهما ومن جماعتهما، والأعراب؛ لأجل غزو الحُنَيْش([561])؛ فإنه جاءهم الخبر أنه بالوطاة، فوصلوا مكة يوم السبت خامس صفر الخير، وتوجهوا منها إليه.

وفي يوم الخميس عاشر الشهر وصل الخبرُ إلى مكة بأن الشريف بركات ظفر بعرب الحنيش وأخذ منهم فريقين، وقتل جماعة، ومسك جماعة، ونجا فريقٌ ثالث فيهم الحنيش، ونهبوا حلة الفريقين، وغنموا إبلاً وشاءً كثيراً، وتقاسموا ذلك، ووصلوا لمكة يوم الأحد ثالث عشر الشهر، وسافروا في يومهم إلى الفُرَيْق بناحية اليمن.

ثم وصل لمكة الشريف محمد ونائب جدة الشمسي محمد بن عبد الرحمن في ليلة الثلاثاء سادس عشري الشهر.

وفي يوم الأحد رابع عشري المحرم سنة تسع وثمانين وصل لمكة السيد محمد، وغالب أولاده الذكور الكبار، وبعض جماعته؛ لزيارة قاضي القضاة برهان الدين بن ظهيرة، فإنه حصل له في

قدمه اليسرى وجعٌ منعه من البروز إلى المسجد، وكان يعتريه قديماً ثم تحرَّك عليه في هذا الشهر- عافاه الله وشفاه -ثم عاد إلى أهله في يوم الثلاثاء سادس عشري الشهر.

وفي سنة تسعين- في يوم الأحد ثاني عشري ربيع الآخر- وصل إليه مكة من مصر قاصد الشريف عنقاء بن وبير بن عطاف النمويّ، ومعه الشريف يحيى بن الشريف سبع صاحب ينبع، وفي ثاني يوم وصل الشريف دراج صاحب ينبع، وكان حصل بينه وبين يحيى قتال ونهب في هذا العام تعدَّى فيه درَّاج أولاً على المذكور، وعلى جماعة نفسه، ثم حشدوا له وحصروه ببلده،ثم جاودهم إلى مدة وأعطاهم مبلغاً له صورة على ذلك، ورأى العجز من نفسه.

وفي أول الشهر بعده وصل نائب جدة أبو الفتح المنصوري، ولاقاه الشريف، وقرئت المراسيم بالحطيم، ومضمونها :الوصية عليه، والمساعدة على ما يتحصل للخزانة الشريفة.

وفي سنة إحدى وتسعين كان الشريف متشوشاً من الخطيب محب الدين النويري؛ فإنه يرخي صوته عند الدعاء له، ويختصر جداً، ويقول :هذا هو العادة، وضم إلى ذلك التعريض بالقاضي الشافعي برهان الدين بن ظهيرة، وولده القاضي جمال الدين أبي السعود.

ثم توجّه إلى ينبع لأجل محاربة بني إبراهيم، ثم تلاه ولده السيد بركات في خامس جمادى الأولى، ومعه العسكر .ثم وصل منه قاصد- وهو بالسُّويق -وأخبر أنه تلاقى هو وبنو إبراهيم، وكان النصر فيه له، وولَّى بنو إبراهيم هرباً بعد أن ثبتوا، وقتل منهم نحو الأربعين، وقطعت يد ابن بذال اليمنى، وقتل من جماعة الشريف نزر يسير.

وفي سادس عشرة توجَّه إلى صوب أهله بقديد، بقصد التوجه إلى ينبع؛ فإنه جاء قاصدٌ منها، وأخبره بأن بني إبراهيم مصبحوهم، وكذا جاء كتاب من الشريف عنقاء .فإن الشريف سمع وهو بقديد الخلاف في ينبع، فأرسله ليكشف له الخبر ويطالعه بذلك .ثم وصل إلى مكة في سابع عشري الشهر، وأقام بها إلى تاسع عشري الشهر، وعاد إلى أهله وكان تركهم بشوطان بطريق الوادي، لأجل المرعى والصيد .ثم جاء مكة ليلاً في أواخر شوّال، واجتمع بالقاضي برهان الدين، وعاد من ليلته.

وفي يوم الجمعة ثالث عشر من ربيع الأول من سنة اثنتين وتسعين وصل قاصد السيد محمد الشريف عنقاء بن وبير إلى مكة، ومعه صاحب ينبع الشريف دراج، والشريف يحيى ابن سبع بن هجَّان، وطافوا وسعوا؛ فإنهم كانوا محرمين، وتوجهوا إلى الشريف بعد صلاة الجمعة، وهو بناحية اليمن .وسبب مجيء دراج وابن سبع أن ابن سبع، وابن بذال الإبراهيمي وقفوا للسلطان وأعطوا في ولاية ينبع ثلاثين ألف دينار للسلطان، وأن يسكن المعزول ينبعاً، وإلا يعطي المتولي دراج ذلك ويسكنون البلاد .فقال السلطان :مليح، يروحوا للشريف محمد، أنا ما أعرف إلا هو، إما أن يعطي وإلا يعطون .ووصى السلطان الشريف عنقاء على ولد سبع وعلى ابن بذَّال، فتأخر ابن بذَّال ([562])بينبع.

وفي يوم الخميس رابع جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وصل السيد وأولاده وبعض عسكره إلى قز المكاسة، وعرج هو ومضى من تحت جبل ثور إلى أن وصل إلى مزدلفة، ثم إلى قرب محسر، وجلس هناك بشعب .ودخل أولاده وبعض العسكر إلى مكة، وتوجّه القضاة– إلا الشافعي –وجماعة من جماعته لتعزية الشريف بابنه مهيزع، وعادوا في يومهم.

وفي ظهر الجمعة وصل إلى مكة– والخطيب على المنبر –فصلى، ثم دخل الطواف هو وأولاده فطافوا، ودعا له الريس فوق ظلة زمزم .فقالوا :لم ينشرح بالدعاء، وكأنه لكونه حزيناً .ثم

سافر هو وأولاده وعسكره إلى جهة الشرق للغزو؛ فإنه يقال :إن بعض بني لام خرب بعض حصون خاله شامان، ثم عادوا إلى مكة في خامس رجب، وتوجهوا إلى الصيف.([563])

وفي ثاني المحرم– أو ثالثه –من سنة أربع وتسعين توجّه القائد مفتاح البوقيري– من كبار عبيد السيد محمد –في عسكر سيده، وأخذ جماعة من مكة ممن مرجعهم إلى العرب وسكنوا بمكة، وجعلوا عليهم أسلحتهم وزوادتهم، فمن كان معه ذلك قام به، ومن عجز عن ذلك قام به جماعته الذين ينتمي إليهم من أهل فوق، أو المسفلة، أو الجرارة([564])، أو أهل سوق الليل– سلاحا ومأكلاً –وخرج يريد عرب آل جميل، وهم بجبلهم المقيمين به بالقرب من عرفة ومن الحجاز، وأرسل إلى العريان بأن يسيروا معهم، ومن لا يسير فهو من الشريف في النقا، فأبى كثير من العربان المسير، وانتمى إلى آل جميل عرب هذيل وغيرهم .فلما وصل البوقيري إلى تحت جبلهم ترك الذين أخذهم من مكة وبعض العربان ومعهم خيالان هما :عنان بن قنيد أخو مسعود، وعلي بن رشيد، وتوجّه هو والخيالة وكثير من العسكر إلى الحجاز ليأخذ أهل الحجاز ليسيروا معه عليهم من أعلى الجبل، وليقطع كرماً لهم بالحجاز، وكذا دور لهم .فلما سمع آل جميل بأنه فاعل ذلك نزلوا على الذين تحت الجبل، وقتلوا منهم مقتلة كبيرة، ونهبوهم وتبعوهم للسبي إلى أن أوصلوهم– لعله –إلى قرب عرفة، ومسكوا جماعة ومنهم الخيالان، وأطلقهوهما كرامة للشريف، وتسمَّى هذه الغزوة– أو التي بعدها – مراوة .([565])وجاء الخبر إلى مكة ليلة الجمعة ثامن المحرم، فحصل الضجيج والبكاء من نواحي مكة على المقتولين، وكانوا ثلاثة وأربعين، فبلغ الشريف ذلك، فأمر بخمسين فارساً ملبسين هم وخيلهم، وثلاثمائة راجل، وجميع عرب الدار كقريش، وخزاعة، وبني أسلم– ويقال وهذيل –وأمرهم أن يرحلوا بأهلهم وهوشهم ([566])إلى تحت جبلهم، ويقيموا هناك إلى أن ينزلوا على حكمهم أو يقاتلوا، أو تفنى أزودتهم وينزلوا للقتال أو غيره، ويكون البوقيري ومن معه في طريقهم من جهة الحجاز .وفي أوائل النصف الثاني من المحرم توجّه العسكر من مكة إلى عرب آل جميل([567])، فأقاموا بعرفات، وأرسلوا لجمع من العرب يصلون إليهم.

وفي العشرين من هذا الشهر شرع في هدم المدرسة البنجالية.

وفي يوم السبت تاسع الشهر اجتمع جماعة من العرب العلويين عند الجمال البوني للصلح مع الشريف؛ فإنهم كانوا ناقوا مع عرب آل جميل، فوقع الاتفاق معهم على ألا يعينوهم ولا يشيروا عليهم، وحلفوا على ذلك عند الحجر الأسود.

وفي ليلة الجمعة ثالث عشري رمضان من سنة أربع وتسعين وصل لمكة السيد محمد وولده السيد بركات من وادي مر، وناظر جدة القاضي شمس الدين بن البزادرة من جدة، وكان وصل قبله من جدة لمكة نائب جدة الأمير شاهين الجمالي، واجتمعوا في صبحتها بالحطيم، ومعهم قاضي القضاة الشافعي وغيره، وقرئت المراسيم، ومضمون مرسومه :أن مكاتبتك وصلت إلينا، وبلَّغنا الشريف زين الدين عنقاء الرسالة اليت معه، وفهمنا ذلك، وأنك عندنا معظم، وإن بعدت المسافة، وصاحب الأقطار الحجازية؛ فلتقر عينا ولتبسط يدك .وأرسلنا لك خلعتين أطلسين، وكذلك للسيد زين الدين بركات، فلبسا خلعهما، ثم سافرا في ليلة ثامن عشري الشهر إلى وادي مر وعيدا به.

وفي ليلة سابع ذي القعدة وصل السيد بركات مكة، وسرى من ليله بعسكره إلى جهة الشرق؛ لغزو عرب بني لام– ويقال لهم الروقة –([568])فإنهم مناقون، فلم يصادفوهم، وإنما وجدوا عرباً من ناصرة، أو عرب سبيع، فغنموا منهم إبلاً كثيرة– ويقال إنها يقال –وشياهاً كثية جداً، وعادوا في وسط الشهر.

فاتفق في ليلة الأربعاء سابع عشري الشهر خصام بين فرقتي الحبوش، وهما سحرت وجزل؛ وسببها أن عادة جزل يلعبون على جباجبهم ويرقصون بالشبيكة، فمنعهم نائب جدة تنم

الخازندار؛ لقربهم من بيته، ثم صاروا يلعبون بجبل جزل الذي متعبد الجنيد بلحفه، فشوشا عليه أيضاً؛ لقربهم منه، فمنعهم منه .فلما جاء الشريف بركات شكوا عليه ذلك، فأمرهم أن يلعبوا في ليلة تاريخه عند بيته بأجياد– وأجياد محل لعب سحرت –فلما أخذوا في الدخول إلى أجياد خرجوا عليهم بالسلاح، وجرحوا بعضهم، فسمع السيد بركات بذلك، فأرسل أخاه هيزعاً ليكفَّ بعضهم عن بعض، فما قدر على ذلك؛ لالتحامهم في بعضهم بعضاً وكثرتهم، فصاح إلى أخيه :إني عجزت عنهم، وإن كانت البلاد لهم فاتركهم يقتتلون في بعضهم بعضاً، وإن كانت البلاد لك فانزل إليهم واشنقهم .فنزل وركب فرسه وخرج إليهم، وصاح عليهم فتفرقوا، فأمر بمسك نقيبين لسحرت من كبارهم واستدعى بجبلين، وتوجه هو وأخوه وهما معه إلى درب المعلاة فشنقهما.

وفي يوم السبت تاسع المحرم من سنة سبع وتسعين وصل السيد الشريف وأولاده وكثير من جماعته لأجل عقد القاضي صلاح الدين.

وفي ذي القعدة أيضاً سمعنا أن عرب آل جميل نقوا أيضاً ([569])على الشريف؛ بسبب أن عبد الشريف الموكل بالحجاز– وهو مفتاح البوقيري –سأله العرب في أن يخلي بينهم وبين آل جميل، فقال :بينكم بين .فطلعوا إليهم ونهبوا منهم؛ فحينئذ نقوا، ونزلوا إلى جهة عرفة، فنهبوا لخزاعة إبلاً جملتها خمسة وثلاثون، ونحو ثلاثمائة شاة، وقتلوا رجلاً، ونهبوا حلتهم .ثم إن شخصاً من خزاعة له خمس وعشريون ناقة استفداها منهم بمائة وخمسين ديناراً، وحصل للعرب خوف ورعب منهم.

وفي المحرم سنة ثمان وتسعين جاء قمامة– أحد بني جميل –إلى قاضي القضاة الشافعي الجمالي أبي السعود بن ظهيرة، ودخل عليه في أن يدخل له على الشريف، ويدخل هو وجماعته في

الطاعة على حسب ما يطلبه الشريف .فكتب إلى الشريف؛ فجاء الخبر بأن ينادى له وجماعته بالأمان، وأن يسكنوا الوطاة.([570])

وفي يوم السبت غرة جمادى الأولى سنة تسع وتسعين– واليوم الذي قبله –نادى منادي الشريف :بأن جميع العرب المقيمين بمكة يتوجهون لبلدانهم، ومن أقام بمكة يشنق؛ وسبب ذلك أنه لما حصل الشدة في الغلاء سأل العرب الشريفَ في الفسح في بعضهم بعضاً، ففسح لهم .ثم توسعوا إلى أن صار غالبهم بمكة، وصاروا إذا رأوا أحداً اشترى شيئاً أو حصله، وخرج به إلى بلاده، أو لأصحابه تبعه الآخرون ونهبوه، سواء كان بقرب مكة أو بعيداً منها، وأعطوا ابن قنيد الثلث .فحصل التشويش على الناس؛ فسمع الشريف بذلك؛ فأرسل يأمرهم أن يخرجوهم لبلدانهم، فأُخرجوا، واستراح الناس من فقرائهم؛ لإلحاحهم.

وفي رابع عشر شوال أمر الشريف بشنق أربعة من الكباكبة ([571])بدرب المعلاة، واحد منهم رجل، والباقي شباب.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشري ذي الحجة سافر السيد الشريف محمد إلى وادي مر؛ بقصد الزيارة النبوية، فإنه يقال :إنه نذر ذلك لما وجع في هذه السنة، ومعه بعض أولاده، وتسامع الناس بزيارته، فلحقه– بالوادي وبعده –ناس كثير من جدة والوادي ومكة.

وفي يوم الجمعة خامس عشري ربيع الثاني سنة تسعمائة وصل السيد الشريف مكة هو وأولاده وغيرهم؛ لأجل عقد الجمالي أبي السرور.

وفي إقامته بمكة جاء جماعة، من الكباكبة، ودخلوا على القاضي الشافعي، فكلم لهم السيد بركات، فرضي عليهم، وشرطوا عليهم أشياء، وحلفوهم على ذلك عند الحجر الأسود، ونودي لهم بالصلح.

وفي ليلة الثلاثاء حادي عشر رجب وصل الشريف لمكةة، ومعه أولاده وعسكره؛ بقصد التوجه إلى الشرق لأجل غزو عرب من بني لام، بلادهم ممحلة، وقصدوا أن يربعوا ببلاد الشريف، اسم شيخهم عجلان، وبينه وبين جماعة له آخرين فتنة، فألجؤوه أيضاً إلى هنا، وهو في نحو أربعمائة فارس وأكثر، وأرسل ولده وأخاه إلى الشريف ليستأذناه في ذلك، فبلغ الشريف أنهما واصلان إليه، فأرسل ملحم بن مفتاح المغربي في جماعة إليهما ليقتلوهما قبل أن يصلا إليه، فلقوهما قبل أن يدخلا مكة، فقتلوهما في يوم الاثنين عاشر الشهر، وخرج الشريف وجماعته من مكة في ليلته، فتوافر هو ومن واعده من بني حسين- ([572])غير عدوان الذين دخلوا في وجوههم -فصبحوهم صبيحة الأربعاء بالقرب من السيل([573])، فوجدوهم قد أنذروا في تلك الليلة، أو في ذلك الوقت، فانهزم الرجال على خيلهم، وتركوا عيالهم وغالب مالهم؛ فاشتغل العسكر بالغنيمة، ففاتهم الرجال، وتأسف الشريف لفواته شيخهم، وكان حريصاً عليه؛ فإنه كان من مدة أحد الذين حصروا الشريف وعسكره بالشرق، وأرادوا أخذهم .
فأرضى الشريف مشايخهم- وكانوا ثلاثة هذا أحدهم -بمال جزيل جداً، وأراد الشريف قتله ففاته؛ ولكنه غنم شيئاً كثيراً من الإبل والغنم، والبغال والحمير، والسمن، وبعض خيل، ولم يقتلوا النساء ولا الصبيان.

وفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى إحدى وتسعمائة وصل الشريف إلى مكة ومعه أولاده، وقاصد وصله من مصر أيضاً، ومعه جواب خبر المدينة بأن تحرص على تحصيل حسن بن زبيري صاحب المدينة، الذي أخذ ما في القبة التي بالمسجد النبوي .واجتمع هو وأولاده

والقاضي الشافعي والباش والمحتسب والشريف إسحاق صهر قاوان، وقرئت المراسيم :منها مرسومان للشريف وولده بركات، ولبسا خلعتين، وليس في المراسيم غير الثناء وذكر الخلع.

وفي يوم الاثنين سادس عشري رجب تحقق خبرٌ كان أشيع من أيام، وهو أن عجل ابن عذقاء الامي تعدى- أو زحف -إلى حد صاحب مكة بالشرق، فارتفع عرب شامان في الحرة، وانخذل جماعة من عرب عجل، فظفر بهم الشامانيون- فيما يقال -وقتلوا ابناً له وغيره، وأخذوا له ثمانية وعشرين فرساً، وهو جالس هناك في كثرة.

وفي يوم الثلاثاء خامس المحرم سنة اثنتين وتسعمائة وصلت من الشريف إلى القاضي الشافعي ورقة، وفيها أن القصاد وصلوا إليه، ومعهم مرسوم له وفيه :الإخبار بوفاة السلطان قايتباي، وذلك في يوم الأحد ثامن عشري ذي القعدة، سنة إحدة وتسعمائة، وبولاية ابنه محمد، ولقب بالناصر، وكني بأبي السعادات، وأنه لا يمكن أمير كبير كان أزبك من المجيء لمصر من مكة إلا بمرسوم.

وفي صفر توجه الشريف وأولاده وعياله وعسكره في قافلة كبيرة لزيارة جده المصطفى.

وفي يوم الثلاثاء تاسع ربيع الأول نودي بمكة لذوي حسن، وذوي عجلان ([574])وجميع العساكر بالبروز إلى جدة، والتوجه منها إلى ينبع؛ لأجل بني إبراهيم؛ فإنهم استولوا على بلدهم السويق بمرسوم سلطاني، وسألوا الشريف في الإقامة على تعجيل خمسة آلاف دينار، وإعطاء ألفين في كل سنة، فامتنع إلا إن كانوا يعطون الفرس والدروع، فامتنعوا وقالوا :بينا وبين العرب عداوة.

وفي ثاني عشري الشهر توجه الشريف بركات من جدة إلى ينبع ومعه العساكر، ولم يصرف عليهم إلا ما ينفقونه إلى ينبع .ثم وقع الاتفاق على أن يعطوه ستة آلاف دينار في هذه السنة، وأخذ كثيراً من خيلهم ودروعهم بألفين، وترك لهم ألفاص، وعلى أن يعطوه في كل سنة ثلاثة آلاف دينار .وحمد الناس له ذلك– جزاه الله خيراً، وأدام نصره على أعدائه– وعاد غالب العسكر قبله، وزار هو وولده جده المصطفى بعد الصلح، وكان كلما زار تصدق على أهل المدينة بصدقة لها صورة، تعم أهل السنة– تقبل الله منه آمين –وعاد لمكة فوصلها في ليلة الخميس ثاني عشري جمادى الأولى.

ثم حصل للسيد محمد توعكٌ من حبة طلعت في رقبته تحت أذنه، وكانت قد وقعت لكثير من أسلافه؛ فإن القاضي تقي الدين الفاسي ذكر في ترجمة السيد أحمد بن عجلان المتقدم ذكره من كتابه العقد الثمين :أنه تعلل قبل موته أياماً كثيرة من حبة طلعت عند أذنه، بلغني أن جده رميثة، وجد أبيه أبا نمي ماتا بها .انتهى.

وصار السيد محمد، صاحب الترجمة، يتألم بها إلى أن زاد به الألم، فانتقل من وادي مر إلى وادي الآبار، وتوجه القاضي الشافعي لزيارته بالوادي، ثم بوادي الآبار .واستمر الشريف يتألم لذلك، وزاد به الحال إلى أن قضى نحبه– رحمة الله عليه –في يوم الثلاثاء حادي عشري المحرم الحرام، سنة ثلاث وتسعمائة بوادي الآبار .ووصل الخبر إلى مكة بعد العصر؛ فضجت البلاد لذلك، وحمل في سرير على أعناق الرجال إلى مكة، ووصل به إليها في أثناء ليلة الأربعاء، ومعه أولاده وعسكره، ولحقهم النساء في الفجر، إلا اليسير جداً فوصلوا في ليلة الخميس، وجهز في بيته، وحمل إلى الكعبة الاشريفة، وطيف به أسبوعاً كعادة أسلافه، ومعه بعض أولاده وعسكره .ثم بعد الفراغ وضع عند باب البيت إلى أن صُلِّي الصبح يوم الأربعاء فصلى عليه الناس، وإمامهم قاضي القضاة الشافعي الجمالي أبو السعود بن ظهيرة، بعد أن نادى الريس فوق ظلة زمزم بالصلاة عليه، ووصفه بألقاب حسنة مسجعة، فزاد الناس في

البكاء والنحيب، وشيعه جميع الناس حتى المخدرات من البيوت،والأمير الكبير أزبك، بل خرج معه من البيت .ودفن أمام قبة أبيه– قالوا –بوصية منه، ثم بني عليه بعد ذلك قبة عظيمة شاهقة ليس في المعلاة مثلها، وحضر جميع النساء الذين يبكون إلى المعلاة، وجز كثير منهن شعورهن .ولما فرغ من دفنه رحمه الله رحمة واسعة– نزل أولاده يمشون ومعهم القاضي الشافعي وجماعته، والقاضي المالكي، وكثير من الفقهاء، وجميع العسكر، ونزل النساء وهم يبكون ويدقون، وجلسوا بالمسعى إلى آخر النهار، وطلعوا في العصر وفي صباح كل يوم، ويعودون ويجلسون في المسعى والطرقات، وتعطل البيع والشراء في تلك الأيام إلى يوم الاثنين سابع عشري الشهر، وقرئت الربعات على العادة في المسجد والمعلاة صباحاً ومساء، ويحضرها السادة أولاده، والقضاة والفقهاء وغيرهم، وطلعوا في عصر أول يوم مشاة، ثم بعد ذلك اليوم طلع الأعيان ركباناً، واستمروا إلى يوم الختم، يوم الأحد سادس عشري الشهر .وأنشد الشعراء كثيراً من المراثي، وسيأتي ذكر شيء منها، وجاء الناس من جدة وغيرها يوم مدفنه وبعده للعزاء، وتأسف عليه جميع الناس وبكوه، فرحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح الجنان، بجاه جده محمد سيد ولد عدنان.

ورام الأمير الكبير أزبك– بعد الدفن وهو بالمعلاة– كتابة محضر حينئذ للسيد بركات ولده، واستدعى إليه القاضيين الحنفي والمالكي، وكان الشافعي عنده، ثم ترك؛ فكأنه أشير عليه بعدمه.

ثم أُرسل قاصد بسبب ذلك فجاء لمكة القاضي كاتب السر بدر الدين بن مزهر؛ لتولية ولده السيد بركات في ربيع الآخر، فقرئ مرسومه بالحطيم رابع الشهر ولبس خلعته.

وحصل لصاحب الترجمة ما لم يحصل لأحد من أمراء مكة من الرياسة والحشمة، والهيبة والعظمة والعز والوقار، وكثرة العبيد والعقار؛ بحيث عَمَّر بمكة والأدوية عمائر لم يسبق إليها،

ولا قدر عاقل ولا قوي عليها، وصار كل مكان تُباع ثمرته بقيمة قرية فأكثر في الحال، حتى ضرب بذلك الأمثال، وكانت أيامه كثيرة الأمن والرخاء، وبلده مقصودة من كل الآفاق؛ لحسن الرجاء، ولا زال أمره في نمو ووجاهة، وسعده في ترق ونباهة، وعسكره مشهورين بالشجاعة، منصورين على الأعداء في كل ساعة، مع أنهم لا يخرجون عن أمره؛ ومن وهم منه فساداً زاد في إبعاده وحصره؛ فاستقام بذلك الحال، وخيف منه الذل والوبال، وفاق كثيراً من أسلافه بالصلاة، وبما يجمع له من الجهات، وأذعن له الموافق والمخالف، من كل قاصد لبلده وعاكف.

أبناء محمد :ورزق عدة من الأولاد، والخيول المسومة الجياد .وخلّف من الأولاد جملةً من الذكور والإناث، يزيدون على الثلاثين، غير من مات في حياته .والذكور ستة عشر، وهم : السيد بركات، أمه شريفة اسمها عمرة بنت محمد بن علي بن أحمد بن ثقبة بن رميثة بن أبي نمي .وهزاع أمه مناية الحبشية .وراجح، وشميلة– مات –وقايتباي– مات –ورميثة، أمهم حصل المراد الحبشية .وجازان، أمه زينة بنت رومي الزبيدي .وحميضة، أمه سعاد الحبشية .وأبو الغيث، وقاسم، وناهض– مات –أمهم دام السرور الحبشية، وراجح، وشميلة– مات –وشولق، أمهم شقراء بنت كاسب الزبيدي اليمني .وأبو دعيج– مات –أمه قماري الحبشية .وسيسد، أمه هاجر الحبشية .وزيد– مات –أمه دام العز الحبشية .وإناث..

قلت :وهيزع من ذكره في المتن.

وقد أثنى عليه جماعة من العلماء الفقهاء، والأدباء الشعراء النبهاء، وممن ذكره شيخنا الحافظ شمس الدين السخاوي، في تاريخه» الضوء اللامع لأهل القرن التاسع«، فقال :السيد جمال الدين ملك الحجاز وابن ملوكه، وسلك النظام المرتبط بسلوكه، الطاهر الأصل والأحساب، والظاهر العدل والانتساب، ربيب مهد السعد والسعتادة، ونسيب والأصل والحشمة والسيادة .

السلالة النبوية رداؤه، والأصالة العلوية انتهاؤه وابتداؤه .اجتمع فيه من المحاسن الكثير، وارتفع ذكره بين الصغير والكبير، واندفع به المكروه عن أهل الحرمين ومن إليهما يسير .أمن الله بفضله وعدله في أيامه الطرقات، ومنَّ على المسلمين بحفظهم وما حووه فكان من أعظم الصدقات .حبه للتنزيل غير منكور، وحبه– فضلاً عنه –بالصفاء مأثور مذكور .شيمه طاهرة، وعلمه غير مطوى عن الفئة الفاجرة .لا يصرفه عن إتلاف المفسد صارف، ولا يحرفه عن ائتلاف المرشد تليد ولا طارف .يجول على الأعداء ويصول، ويقول لهم في مخاطباته ما تدهش به العقول .ويتطول ويتفضل حتى انطاعت له عصيات الرؤوس، وأبيات النفوس، وارتاعت من فروسيته وشدة بأسه الحماة الكماة؛ فتخلخلت منهم الضروس .أسعدته درج الصعود، فأصعدته لمراقي السعود، فكان له الظهور بالبرهان أبي السعود، بحيث دانت له ممالكزز وما حولها، وزانت بحرمته تلك الجهات صعبها وسهلها، فلا يجارى ولا يبارى، ولا يجسر أحد لمقاومته في المدن والصحارى .اقتنص المخالفين بخيله ورَجْلِه، وخصص من يألفه لرجولته منهم بتوالي إحسانه عليه وفضله .فالرعايا ما بين راغب فيه ومنه راهب، والمزايا الحسنة مقترنة معه وله تصاحب .فهو شديد بغير عنف، سديد في اللين بغير ضعف .إليه يسعى الأمراء والكبراء، وعليه معول الأغنياء والفقراء .كثير المداراة والاحتمال، غير خبير بالمماراة المجانبة لكرام الرجال، بل هو صابر غير مكابر، متدبر للعواقب، المصاحبة لمن يخاف الله وله يراقب .ولهذه الأوصاف والمآثر تشرفت بذكره المنابر، وخطب بالتنويه باسمه على المنبرين، ونصب رسمه بذينك العلمين؛ ليفوز في الدارين إن شاء الله بالخيرين .وكيف لا وقد اجتمع فيه– بدون لبس، وتخمين وحدس –شرف النسب، وعراقة الأصل في المملكة وعلي الرتب .وصباحة الوجه ونوره، وفصاحة اللسان وتأمله وتصويره .وفضيلة البلد، التي هي الوسيلة لمن أَمَّ وقصد .فهو شريف نسباً وأوصافاً، ولطيف الأدوات المشتمل عليها تودداً وإنصافاً .فالوصوف الرضي لا يستغرف من البيت الطيب، والعرف الذكي غير مستبعد من البلد الصيب .كم أنشأ من دور وقصور وقرب، ترتفع بها الرتب؛ كرباط بمكة معدن الرحمة والبركة، وسبل عديدة .إلى آخر النعوت العجيبة.

يا أهل بيت رسول الله حبكم

فرض من الله في التنزيل أنزلَهُ

كفاكم من عظيم القدر أنكم

من لم يصل عليكم لا صلاة لَهُ([575])

قال ابن خبطة :([576])

صُبِّحْتَ بالخير والإقبال والظفرِ

على عداك ونيل القصد والوطَرِ

يا سيداً مذ وفى وافى الهناء إلى

جمع الخلائق من بدوٍ ومن حضرِ

ومن رقى في ذرى العلياء منزلةً

ما نالها أحدٌ من سائر البشرِ

قدمت كالغيث روَّى الأرض فابتهجت

وجئت كالليث في خُبْرٍ وفي خَبَرِ

وأصبح الكون مسروراً ومغتبطاً

يميس بالتيه في أثوابه الخُضَرِ

يا بن الكرام ويا ذخر الأنام ويا

معطي الأنام ومولي الجود بالبِدَرِ

يا من إذا أنشأتْ جوداً أناملُهُ

على البرية أزرت وابلً المطَرِ

لا غرو من بركات الله أن رُفعت

لك المراتب فوق الأنجم الزُّهُرُ

وهي طويلة، هناك.

وقال أبو الخير محمد بن أبي السعود بن هيرة القرشي يمدح مكان الشريف محمد المسمى بأم شُميلة في أرض حسان([577])، سنة882) هـ :(

بأم شُمَيلة حَسُنَ المقيلُ

وطاب لنا بها الظل الظليلُ

وهبَّ نسيمها الأسنى صحيحاً

وعهدي بالنسيم هو العليلُ

لقد كملت محاسنها فأثنى

لسان الحال في المعنى يقولُ

أهل لرياقتي وصفاء مائي

ونضرة خضرتي يُبغى بديلُ

وهل لمعمِّري بين البرايا

شبيه أو بديل أو مثيلُ

مليك قد سما قنن المعالي

وذل لعزه الصعب المهولُ

هو البطل الهزبر أبو قناعٍ

محمد الأبي المستطيلُ

وقال جراح بن شاجر الحسني السليماني، من أشراف المخلاف، يمدحه :

قلب بسكان ذِرْوِدٍ ([578])عميدْ

ولوعة ما برحت في مزيدْ

ومدمع لولاه يجري دماً

لأنبت النخل وحب الحصيدْ

وحرُّ وجدٍ كامن في الحشا

يبرد عنه حر نار الوعيدْ

على لليلاتٍ تقضت لنا

كنا بها في خفض عيش رغيدْ

نسحب في النعمة أذيالنا

والدهر مطواع على ما نريدْ

وحولنا غيد كمثل الدمى

يبسمن عن دُرِّ وطلع نضيدْ

من كل خود غضة بضة

بهجتها تفضح حوراً وغيدْ

أعارت الشمس سناها كما

أعارت الظبية عيناً وجيدْ

كم من شقي في هواها سعيد

كما به كل قتيل شهيدْ

وقال الفيومي من قصيدة يمدح بها:

محمد أولى الناس بالحمد والثنا

وأشجع ليث في الوغى وهمامُ

ثناء جميل في البرية شائع

وفضل على مر الزمان مقامُ

له راحة فيها من الفقر راحةٌ

إذا مس جدب الفقر فهي غمامُ

ومهَّد أرضَ الله بالعدل والثنا

فصيره للمتقين إمامُ([579])

لئن طاب للعافي ثمار خصاله

فلا عجب إن الأصول كرامُ

لقد ختم الله الكرام بذاته

ولا عجب فالمسك خير ختامُ

وقال نور الدين الحجازي، يرثيه:

رزء أنال المسلمين خبالا

ووهى به الإسلام حتى مالا

ومصيبة رُميتْ بها أمُّ القرى

أهدت إلى أرض الحجاز نكالا

وعزاً تدكدكت القلوب لوقعه

والعقل زلزل بالجوى زلزالا

ومنها:

بوفاة سلطان الحجاز محمدٍ

نجل الأكارم عزة وجلالا

كانوا الأسود مهابةً وحميةً

والسحب جوداً والبدور كمالا

دهراً نودع كل وقت منهم

قمراً فأودع في الصعيد هلالا

ومنها :

لم تقنع الأيام لا عادت بأن

نسفت بحوراً منهم وجبالا

ورثاه أبو الغوائر صاحب جازان، الذي كان بالأمس محارباً، فقال:

ولما أن نعى الناعي إلينا

محمد ثم قال ثوى فلانُ

أصم مسامعاً منا وأبكى

عيوناً دمعهن الأرجوانُ

ولو لم تجر أدمعنا دماءً

نما من ريها أثل وبانُ

وزلزلت البلاد غداة وافى

وخرت من شواهقها الرعانُ([580])

وأما الأرض من جزع فكادت

تمور بنا ولم يثبت مكانُ

وتنفطر السما وتعود مما

ألم كأنها كمداً دخانُ

لفقد محمدٍ علم الهدى من

أصيب برزئه إنس وجانُ

ولما يخل من حزن عليه

أبي بركات نفس أو جنانُ

فتىً هدم الزمان به المعالي

ألايا بئس ما صنع الزمانُ

وهد دعامة الإسلام خطب

هبطن لعظم موقعه القنانُ

لقد أضحت قناة بني معد

بها أود وليس بها سنانُ

وأغمد سيفها الصمصام عنها

وأبدل خيفةً ذاك الأمانُ

فهل نلقى العدو بلا سلاحٍ

إذا حان الضِّراب أو الطعانُ

ومن كمحمدٍ قمر المعالي

إذا ما اشتدت الحرب العوانُ

وكم أخلت خزائنه العطايا

لآمله وأُترعت الجفانُ

ومنها :

لئن يتمت وفود أبي قناع

وعُطِّل بعد مصرعه الخوانُ

وفارق كرهاً ملكاً جسيماً

به ملكَ الأنامَ معاً فدانوا

فإن مصيره جنات عدن

تغازله بها الحور الحسانُ

ألا يا آل حيدرة وطه

وأنتم أيها السَّبْعُ البدانُ

تأسوا بالنبي محمد مَنْ

عليه كرامة نزل القرانُ

وشدوا أزركم بأبي زهير

فنعم المستغاثُ المستعانُ

فلا والله ما حملت شبيهاً

له أبداً ولا وضعت حَصَانُ

ولا وخدت على البيدا قلوصٌ

وجال بمن يحاكيه حِصَانُ

ويا مولى الملوك الشم طرّا

ومن إذا قام طاب به الزمانُ

تجلَّدْ واعتصمْ بالصبر واعلمْ

بأن مصير والدك الجنانُ

وقومك قمْ بهم واخفضْ جناحاً

لهم وأعِنْ جنودك ما استعانوا

فهم عينٌ وأنت لها سوادٌ

وهم كف وأنت لها بنان

فأنت رئيسهم عدلٌ وجارٌ

ومولاهم وإن خشنوا ولانوا

انتهى ما نقلته عن العز بن فهد من الجزء الثاني من غاية المرام، ولما أنه عاصره معاصرة من كان يكتب عنه باليوم والليلة، وكل من جاء بعده عنه نقل، فقد اكتفيت بما كتب، واختصرته اختصاراً غير مخل، وكذلك عملت مع ابنه الذي كتب عنه ابن فهد الابن مجلداً كاملاً.

وما توفيقي إلا بالله

تم الفراغ من الجزء الأول

في يوم السبت الموافق الحادي عشر من ذي القعدة

من سنة 1419 هـ = 9/3/1999 م

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

([1])خلاصة الكلام لزيني دحلان ص (16) الطبعة الأولى سنة 1305) هـ (المطبعة الخيرية.

([2])ص (47) ، ط.(1)

([3])قام محمد هذا سنة (301) ولقب بالثائر، ثم انتهى أمره سريعاً.

([4])هو غير محمد بن سليمان المذكور قبله.

([5])عبد الله هذا يلقب بالمحض، وهو ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط.

([6])العقد الثمين) جعفر.(

([7])إتحاف الورى (2/406) :ط (1) ، جامعة أم القرى.

([8])غاية المرام (1/480) :ط.(1)

([9])سمط النجوم العوالي (4/195) :ط.(1)

([10])العقد الثمين مادة) عسى (وشفاء الغرام.(2/194) :

([11])غاية المرام .(1/482) :ط (1) ، جامعة أم القرى.

([12])ابن أبي طالب.

([13])سمط النجوم العوالي (4/195) :ط (1) ، المطبعة السلفية.

([14])لقد نسي الزركلي عفا الله عنه، فبعد أن قال :الموسوي الحسني، قال :والموسوي نسبة غاية المرام» /1) :موسى الكاظم .«فهذا حسني والكاظم حسيني.

([15])العقد الثمين) حسن (وشفاء الغرام (2/194) :بشيء من التصرف.

([16])أي عصيانه.

([17])لعله مع أعوانهم وعبيدهم.

([18])أهل الحجاز يلقبون العبد بالقائد، وأبو قائد، وقد تأتي معك طبقات القواد الذين صارت لهم سطوة فيما بعد.

([19])كان وادي القرى آنذاك آخر أعمال المدينة مما يلي الشام.

([20])فيما تقدم، قال :ومعه ألف من الأشراف وألف مملوك، ولم يذكر الأعراب، ولعل هذا أقرب إلى واقع ذاك الزمن.

([21])تحدثنا عبر التأريخ أن إذلال المهزوم وإهانته كثيراً ما تقلب النصر هزيمة، وضعاً لتعالي ذلك المغتر.

([22])كان من يلي مكة آنذاك تتبعه السراة إلى نجران أو ما هنالك، وكثيراً ما كانت تتبعه اليمامة، والمدينة، والقصيم؛ وجبلا طيء، كما سترى في كثير مما يتبع من حوادث .

([23])ظلت مكة سنية خالصة لم تعرف الرفض .شفاء الغرام.

([24])عن حلي وبني حرام انظر– إن شئت –كتاب) بين مكة واليمن (لكاتب هذا البحث.

([25])العقد الثمين) شكر.(

([26])ط (1) ،.(4/102)

([27])العقد.(5/15) :

([28])هديل الحمام في تأريخ البلد الحرام) شكر.(

([29])مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي مطبوع.

([30])تأتي أخباره في دولة الهواشم.

([31])خلاصة الكلام (13) :ط (1) ، سنة (1305) ، المطبعة الخيرة بمصر.

([32])من القدم يسمي أهل الحجاز العبد) القائد (لعله رفعاً لمعنويته، وفيما يلحق سترى أن طبقات من القواد ظهرت هنا، وكانت تشبه الأحزاب اليوم، وكان لها وزن سياسي كبير.

([33])تاريخ مكة للسباعي ط (2) ، ص (201) دار مكة للنشر والتوزيع.

([34])بلاد ينبع للطالبة إلهام أكبر، ص (122) في حكم المخطوط، طبع على الآلة الكاتبة على وجه واحد من الورق.

([35])حمزة بن وهاس :الترجمة رقم.(6)

([36])معجم قبائل الحجاز، ذيل بين مكة وبرك الغماد (45) ، وستأتي نصوص في هذا الصد.

([37])قوله المتقدم ذكره :جاء في ص (17) ، قوله :وفي مدة غيبته– يعني أبا الفتوح – عن مكة تغلب على مكة أبو الطيب داود بن عبد الرحمن بن القاسم بن الفاتك عبد الله بن داود بن سليمان بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه.

([38])جعفر هذا غير جعفر المتقدم في الطبقة الأولى) الموسويين.(

([39])العصامي :سمط النجوم العوالي.(4/192) :

([40])انظر عن هذا القائم) هديل الحمام في شعراء البلد الحرام (مادة محمد الناهض، ويقال :محمد الثائر.

([41])الجامع اللطيف.(306) :

([42])كذا منسوبون إلى حسين، ولعله خطأ مطبعي، أو نسخي.

([43])السباعي :تأريخ مكة، ص (201) ط، دار مكة للنشر والتوزيع.

([44])كان ذكره عند ذكر وفاة شكر، وقد قدمنا في البحث السابق اعتقادنا بأن حكم هذا العبد– إن صح –لا يزيد عن يوم أو بعض يوم.

([45])في اعتقادنا أنه لو بقي من الموسويين أحد بعد شكر لما تولى العبد المزعوم حكم مكة.

([46])أمراء المدينة لعارف عبد الغني238 :، نقلاً عن التحفة اللطيفة.

([47])ألحقت هذه الترجمة بعد ختام البحث، فمعذرة عن الخلل.

([48])شفاء الغرام .(2/196) :ط.(1)

([49])أي في مقبرة في المعلاة.

([50])غاية المرام.(1/510/) :

([51])غاية المرام.(1/516) :

([52])ابن عنبة :الرسائل الكمالية.(224)

([53])ابن عنبة توفي سنة 828) هـ 1424 /م.(

([54])عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب.

([55])العقد الثمين ترجمة علي بن عيسى.

([56])خريدة القصر .(3/32) :

([57])الزمخشري العلامة، صاحب الكشاف، ترجمته في) نشر الرياحين.(

([58])هذا البيت غير مستقيم، رغم اجتهاد المحقق فيه.

([59])وكذا نصَّ ابن عنبة ص (225) من المرجع المتقدم.

([60])عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب.

([61])شفاء الغرام (2/196) :ط.(1)

([62])خلاصة الكلام ط (1) ص.(19)

([63])راجعه، ففيه أخبار قيمة.

([64])الأشراف الهواشم :لإبراهيم بن منصور الأمير، ص.(23)

([65])إتحاف الورى.(2/469 :

([66])غاية المرام.(1/509) :

([67])ذلك أن الفاطميين كانوا إسماعيلي المذهب فيزيدون في الأذان) حي على خير العمل.(

([68])يعني بني الحسين السبط.

([69])ترجمته في» نشر الرياحين.«

([70])الجامع اللطيف لابن ظهيرة ط.(307) / (3)

([71])سمط النجوم العوالي (4/199) :، وترجمة العصامي في» نشر الرياحين.«

([72])شكر، كما تقدم معك، آخر أمراء الطبقة الأولى، وليس من بني سليمان أصحاب الطبقة الثانية.

([73])أسقط عبد الله بعد جعفر، وصحف الحسين بالحسن.

([74])صارت لهم دولة في المخلاف السليماني دامت حتى منتصف القرن13) هـ.(

([75])

([76])الزيني، صوابه :الزينبي، نسبة إلى زينب.

([77])المهجم :من تهامة اليمن قديمة كانت قاعدة تهامة الشام، تقع بين وادي مرو ووادي حرض.

([78])تأريخ مكة للسباعي، ط (3) ، دار مكة للشر والتوزيع، ص (202) ، وترجمة السباعي في» نشر الرياحين.«

([79])تأريخ مكة لسباعي، ط (3) ، دار مكة للشر والتوزيع، ص (202) ، وترجمة السباعي في» نشر الرياحين.«

([80])ينحصر الخلافي في تأريخ مكة وفاته بين 486) و487 هـ (ولعله عند التقاء السنتين، فغُمَّ على المؤرخين.

([81])ترجمته في نشر الرياحين.

([82])يرد في بعض المراجع) أصيهيد (بمثناتين تحتيتين، ولعله تصحيف.

([83])عسفان على (80) كيلاً شمال مكة.

([84])شفاء الغرام.(2/197) :

([85])أي أن وفاة أبي هاشم وولاية ابنه قاسم واستيلاء أصبهيد، كلها، بين محرم وشوال سنة487) هـ.(

([86])إتحاف الورى (2/469) :، و.(2/497)

([87])غاية المرام.(1/513) :

([88])الأشراف الهواشم لإبراهيم بن منصور الهاشمي.(138) :

([89])غاية المرام .(1/517) :وهي جمع حرَّاقة.

([90])وتروى :قومي ..الخ، وهو أصح.

([91])وهذا يخالف ما قدمنا في ترجمته.

([92])الحلة إحدى مدن العراق الرئيسة.

([93])لعله) :نَضِر.(

([94])سمط النجوم العوالي.(4/204) :

([95])ضبطه في العقد الثمين) إصْبَهْبَذ.(3/319) (

([96])تأريخ مكة للسباعي206 :، مرجع سابق.

([97])العقد الثمين، مادة) فليتة.(

([98])إتحاف الورى.(2/498) :

([99])غاية المرام.(1/520) :

([100])سمط النجوم العوالي.(4/204) :

([101])خلاصة الكلام :ص .(20)

([102])العقد الثمين :هاشم.

([103])إتحاف الورى.(2/503 :

([104])الجامع اللطيف.(308) :

([105])خلاصة الكلام :ص.(20)

([106])قلت :قول السباعي هذا يعضد القول بأن عبد الله المتقدم هو أخوه.

([107])العقد الثمين :قاسم.

([108])ترجم محقق العقد لعمارة في ذيل هذه الترجمة.

([109])خلاصة الكلام :ص.(20)

([110])السيمط.(4/204) :

([111])كما توقعنا عند ضبط اسم فليتة، ظهر أن الضبط من اجتهاد المحقق، إذ قال في حاشية : (6/465) :كذا يضبط في كثير من المراجع بالتصغير،) مثلاًً تأريخ المستصبر، والنكت العصرية (، وفي بعض فليتة كسفينة، ذكر ذلك صاحب تاج العروس ..الخ، ولعل من ذكرهم ضبطه المحققون اجتهاداً .

([112])الشام عندهم كل ما هو شمال، وكذلك اليمن.

([113])الجلبة :سفينة.

([114])الشرفاء.

([115])قوله :وكان نازلاً بالمربع) كذا المربَّع (بتشديد الموحدة التحتية .وأقول :إن التشكيل إما اجتهاداً من المحقق أو أنه مكان لا أعرفه، فالمعروف) مَرْبَع : (مكان على 40) كيلاًَ (من جنوب شرقي مكة، وكان من متبديات الأشراف .انظر) :معجم معالم الحجاز.(

([116])الجامع اللطيف.(308) :

([117])وهي سنة وفاة أبيه.

([118])له ترجمة في ذيل العقد الثمين.(4/355) :

([119])سمط النجوم.(4/204) :

([120])إتحاف الورى.(2/560) :

([121])جميع مراجعنا ما كان التأريخ فيها بالأرقام، إنما كان بالحروف، نحو سنة سبع وتسعين وخمسمائة، ولكنا استسهلنا الأرقام، وقد ألفها الناس.

([122])الذي يرمي بالنفط.

([123])إتحاف الورى.(2/536) :

([124])نخلة التي يكررها مؤرخو الأشراف هي نخلة الشامية، معجم معالم الحجاز .

([125])إتحاف الورى سنة 579) :و.(597

([126])الجامع اللطيف.(308) :

([127])يلقب :محمداً الثائر.

([128])يلقب :موسى الثاني.

([129])موسى الجون.

([130])عبد الله المحض.

([131])الحسن المثنى، وله ابن يدعى الحسن المثلث.

([132])الميورقي :ترجمته في) نشر الرياحين، في تأريخ البلد الأمين.(

([133])ترجمته في نشر الرياحين.

([134])عين وقرية فيوادي ينبع لا زالت معروفة.

([135])كانت لهم بقية في وادي الصفراء إلى وقت قريب.

([136])من أشهر أشراف ينبع إلى يومنا الحالي.

([137])من ضمد اليوم الأشراف الحوازم.

([138])كذا، ولعله :العسف.

([139])مكان من جياد الصغير.

([140])ترجمته في) زهر البساتين.(

([141])لا يجوز بعد ظهور الإسلام تسمية مدينة الرسول ، يثرب.

([142])يرد هذا الاسم بعدة صور، ولم يتبين صوابه.

([143])بلدة على الطريق من دمشق إلى عمان، قريبة من دمشق.

([144])من بني كلاب من بني عامر الهورانية، الذين يقول فيهم جرير) :فلا كعباً بلغت ولا كلاباً.(

([145])مؤلف كتاب) الروضتين.(

([146])الأهراء :كذا في الأصل.

([147])الوجه :أن يقال) :بتسُّم.(

([148])وادي القرى شمال المدينة، ونخلة قرب مكة، فكيف يلتقيان.

([149])الحميمة :قرية لا زالت معروفة، شمال غرب مكة، في بطن مر الظهران، انظر : معجم معالم الحجاز.

([150])الطشتدار :كانت وظيفة عند المماليك ومن عاصرهم لمن يتولى مغسلة السلطان.

([151])المقاليع :جمع مِقلاع، وهو عمل من الحبال أو الليف يحذف به الحجر، فيكون مداه أبعد من مدى الحذف باليد، ووقعه أقوى.

([152])ورغم ما حصل على الحجاج من فظاعة وأمور لا ترضي الله، فإنه يلاحظ.

)أ (أن ذلك العهد قد جهل الناس حتى صار قتل شخص عند الجمرات لا يتحرج منه مسلم حاج.

)ب (أن كل من له أمر ونهي في الحجاج كان من الأعاجم، ولم يذكر بينهم عربي واحد، رغم أن المزعوم أن الحكومة عربية) الخلافة (ويمثل هذا– فيما يبدو –كثرة الانفصالات عن جسم الدولة، وأصبح لكل بلد أمير حاج ينافس ويقاتل أنداده في بلد الله الحرام، وفي هذا الكتاب صور عديدة مما ذكرنا.

([153])كان يطلق هذا الاسم على جماعة المذهب الإسماعيلي.

([154])هذه القصيدة تروى بألفاظ مختلفة في روايات كثيرة، إلاّ أن معانيها متقاربة.

([155])الحقيقة أن الخلافة آنذاك لم تعد تستحق مثل هذا، فما كان للخليفة– في بغداد – أمر حتى على البصرة، ولا على الموصل، فهو– فقط –كان خليفة محافظة بغداد.

([156])كيف يكون هذا، وهو ملك سنة597) هـ (ومات سنة617) هـ (يكون هذا عشرين سنة فقط.

([157])هذا التعبير غير مستقيم.

([158])ويقال :الريحاني.

([159])أعتقد أن الصواب هو) :وهم غمُّوا فؤادي بالغَميم (لأن الغميم مكان معروف في الحجاز، ولا معنى للعميم بالمهملة.

([160])قد تقدمت.

([161])أبو سعد :الحسن بن علي بن قتادة.

([162])ويقال :الريحاني.

([163])نسابو الأشراف يقولون بعكس ذلك، أي أن علياً الأكبر هو جد النمويين، وأن علياً الأصغر هو جد الأشراف ذوي علي، وهؤلاء ليس لهم ذكر اليوم في الحجاز.

([164])لا يوجد اليوم أحد من الأشراف في خليص، غير الأشراف ذوي عنان في إحدى قرى المحافظة، وهم هؤلاء، وسيأتي خبرهم.

([165])نخلة التي تتردد في تأريخ الأشراف هي :نخلة الشامية .انظر) معجم معالم الحجاز أو ودية مكة.(

([166])كان يقال لذريته الأشراف ذوي علي، كانوا موجودين في القرن التاسع الهجري وكانت لهم أموال في الهدة، شمال مكة.

([167])الرسائل الكمالية.(239) :

([168])العصامي :عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي.(1111–1049) :

([169])صاحب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، اسمه أحمد بن علي بن مهنا الموسوي، ت828) هـ.(

([170])سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي.(4/208) :

([171])ما بين المعقوفتين فيه مغايرة عما في عمدة الطالب، ولعل العصامي كره بعضه، وأخذ بعضه بالمعنى.

([172])بل له أخ تقدم ذكره اسمه أبو موسى عيسى بن إدريس.

([173])انظر بين مكة واليمن.

([174])الدر الكمين (1/716) :ط (1) ، عمر بن فهد الهاشمي، تحقيق عبد الملك بن دهيش، سنة 1421) هـ 2000 /م .(

([175])سيأتي بحث عن القواد فيما بعد، وكيف أنهم أصبحوا طوائف وأحزاباً يخشى جانبهم.

([176])الوادي :إذا أطلق في مكة يعني) مر الظهران .(انظر) معجم معالم الحجاز.(

([177])حلي بن يعقوب :مخلاف جنوب مكة، وكذلك المخلاف السليماني .انظر) بين مكة واليمن.(

([178])كان والي ينبع، ابنه إدريس بن الحسن بن قتادة.

([179])لم أتبينها، غير أن بعض المؤرخين نص على أن الوقعة كانت بالحديبية، فلتكن.

([180])نسبة إلى سيده الناصر العباسي.

([181])كذا في الأصل، وسوف نوضح بعده، من هو أخو قتادة، عم الحسن.

([182])العصامي :سمط النجوم العوالي.(4/214) :

([183])معناه :أبيض الرأس.

([184])كذا، والظاهر أن كلمة) عرفة (زائدة، وأن آق باش قتل بمكة كما تقدم.

([185])قدمنا ذيل ص62 ، اسم آخ آخر لقتادة، هو عيسى بن إدريس.

([186])سمط النجوم.(4/207) :

([187])العقد، مادة حسن.

([188])انظر :نسب حرب، بحثاً مطولاً عن زبيد.

([189])مادة الحسن بن علي.

([190])لاحظ ان هذا يتعارض مع ما ذكر قبله.

([191])الحرون– أصلاً –الجمل الذي إذا برك يرفض القيام، لقب الرجل بذلك على بروكه في الحرب وإبائه الانهزام.

([192])قالوا عن الحرون الفارس الممدوح عندما فر طاحت عمامته، فصار يجرها خلفه.!

([193])وبعض الفعل يشبهه الجنون، وهو أليق.

([194])يصول بأربعين.

([195])ص (37) ط سنة 1305) م.(

([196])ص / (47) ط (1) ،1305) هـ.(

([197])هذا الأمر يحتاج إلى وقفة، ففي القرن السابع الهجري كان آل يعقوب أمراء حلي الكنانيون الحراميون– نسبة إلى بني حرام –كانوا في أوج قوتهم .

([198])مادة :راجح.

([199])كانت كلمة) العرب (عندهم تعني البادية.

([200])كان حق رسمه هكذا) مملوكاً.(

([201])لا يعرف اليوم، انظر معجم معالم الحجاز.

([202])أي وستمائة.

([203])الخريقين، والسرين، والواديين، والآن الشاقتين، كلها واحد.

([204])سيأتي شرحه.

([205])السرين :آثار مدينة على ساحل البحر الأحمر، جنوب الليث على نحو من 43) كيلاً .(أوفيت بحثها في كتابي) بين مكة واليمن (ص.(59)

([206])خلاصة الكلام :ص (27) ط (1) سنة1305) هـ 1887 /م.(

([207])ظلت ينبع ملجأ لآل الحسن بن قتادة من عهد حسن نفسه إلى يومنا الحالي، وكانوا أمراؤها قروناً.

([208])العصامي (4/220) :و.(221

([209])المبارك :قرية لا زالت عامرة بأعلى مر الظهران، شمال شرقي مكة على نحو 36) كيلاً.(

([210])في خلاصة الكلام :إدريس بن علي بن قتادة، وفي العقد :إدريس بن قتادة، وسيأتي.

([211]) (4/221).

([212])العقد الثمين :إدريس.

([213])سنناقش فيما يتبع أنه ليس ابن أخيه.

([214])ديرة واسعة شمال مكة على الطريق العامة، على مائة كيل من مكة، راجع) معجم معالم الحجاز (و) على طريق الهجرة.(

([215])خلاصة الكلام :ص .(27) مرجع سابق.

([216])السمط.(4/221) :

([217])السرجة :جبل وصله اليوم عمران مكة في جنوبيها، يمتد من ثنية الميثب جنوب المجزرة اليوم وحلقة الخضار والغنم بسفحه الغربي، وبطحاء قريش بسفحه الشرقي، وقوز المكاسة، ويقول أهل مكة) الناكسة (لا زال معروفاً شمال هذه الحلقة .

([218])الجامع اللطيف.(313) :

([219])العقد الثمين :مادة) محمد بن حسن.(

([220])مكانان من أسفل مكة.

([221])جملة :ولم يزل ...الخ، غير مفهومة.

([222])كتاب العقود اللؤلؤية للشيخ علي بن الحسن الخزرجي، ط سنة 1329) هـ / 1911م (، في مجلدين، وفيه بعض أخبار أبي نمي.

([223])ترجمته في هديل الحمام.

([224])البشام :شجر طيب الرائحة، ينبت في الجبال، تتخذ منه المساويك.

([225])لا يجوز القسم بغير الله، ولكنه أمر شاع في زمانهم.

([226])هذا غلو قبيح.

([227])ترجمته في هديل الحمام.

([228])أمرالهم، وبه يستقيم البيت.

([229])لعل أرض حسان المذكورة بمر الظهران منسوبة إليه، فإنها مجاورة للدكناء التي اتخذ منها الأشراف شبة قاعدة.

([230])الجديد :قريتان في وادي مر الظهران، والمقصودة هنا– فيما يبدو –قرب الحميمة، بين الركاني وبرصمدة.

([231])هذه الثنية تسمّى اليوم) :فَجّ الرحا (تأتي الدكناء من الجنوب العدل.

([232])كبير الرواجحة الشريف سعيد يعارض هذا القول– الذي عليه نسابة الأشراف – ويقول إنهم من آل أبي نمي الثاني، وليس كذلك.

([233])خلاصة الكلام :ص (29) ، مرجع سابق.

([234])تقدم في تذييل سابق.

([235])الدرر الكامنة) مادة غيث.(

([236])هو أبو نمي الأول .

([237])إدريس عم أبي نمي.

([238])العقد الثمين :حميضة.

([239])القواد :هم الموالي الذين تحرروا وتناسلوا أو تحزبوا، فصاروا في عهد أبناء أبي نمي إلى عهد الدولة العثمانية) نحو 200 سنة (، قوة كبيرة ذات ثقل سياسي، كلما مالت إلى أحد المتنازعين رجحت كفته، فصار خطرهم على الأشراف وأهل مكة عظيماً .وأشهر هذه الأحزاب، كان :العمرة، بنو عمر، وهم منسوبون إلى جدهم عمر، والحميضات والعجلانية، موالي عجلان بن رميثة، والحسنة، موالي حسن ابن عجلان واليواسفة، بنو يوسف المكي.

([240])لعله محمد بن إدريس بن قتادة، فقد كان أبوه شريكاً لأبي نمي، وصهراً له.

([241])حلي بن يعقوب، تقدم ذكره.

([242])سبق أن بينا أن نخلة التي تتردد في تأريخ الأشراف، هي نخلة الشامية، المعروفة اليوم بالمضيق.

([243])تقدم التعريف.

([244])مدينة أثرية في تهامة زهران، انظر) :بين مكة وبرك الغماد.(

([245])هذا الأمير لم أجد من المؤرخين من ترجم له، ولا من ذكر له شعراً، رغم أنه لا يذكر إلا قيل :شميلة الشاعر، وقد ترجم صاحب العقد لحفيد له اسمه شميلة بن محمد بن حازم بن شميلة بن أبي نمي محمد ...الخ .ولشميلة الشاعر حفيد آخر اسمه واصل بن واصل بن شميلة قتل سنة978) هـ.(

([246])ترجمته في هديل الحمام.

([247])ترجمته في هديل الحمام.

([248])كذا في المطبوعة، والوجه غيره.

([249])بني سعيد، ويعرفون اليوم بالسعايد، واحدهم سعيدي، قبيلة من هذيل، لهم الجبال الواقعة بين النخلتين.

([250])كذا في المطبوعِ، ولعله) وادي بني سعيد (المشار إليه آنفاً.

([251])أي الأشراف بنو حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

([252])قوله :دعاء مبتدع .في كل زمان ومكان يدعى للحكام على المنابر، فلا ينكر . ولكن العدو ينكر على خصمه ما يراه ضده، وإلاّ فإن أول هذا الدعاء) اللهم صلِّ (...الخ من أحسن الأدعية.

([253])إن التكرار في أخبار الأشراف، وخاصة أبناء أبي نمي، عائد إلى سببين :أولهما : اشتراكهم في الحوادث .وثانيهما :كون هذه التراجم فردية، فلا بد من ذكر كل شريف في بابه.

([254])ترجمته في هديل الحمام.

([255])خلاصة الكلام :ص.(31)

([256])اعتمدت كثيراً، في تراجم الأشراف الأولين على كتاب العقد الثمين، لسببين :لأن الفاسي ابن هذا البلد، فهو أعلم من أهل الأقطار بحوادث بلده، ولأنه كثير الاستقصاء، عميق البحث، فيه حيدة، هي زين المؤرخ .

([257])هم فرع قديم من الأشراف، لم أتبين إلى مَنْ مِن سلالة الحسن بن علي يرجعون.

([258])العقد الثمين) رميثة .(

([259])تقدم في ترجمة حميضة.

([260])كانت من عشائر الشرقية بمصر.

([261])بلدة عامرة في أقصى شمال غرب الحجاز .انظر معجم معالم الحجاز.

([262])هي مدينة العقبة، ميناء الأردن اليوم.

([263])يقال) :حرب (مجرداً، ولا يقال :آل حرب وبنو حرب .انظر عنهم كتاب) نسب حرب.(

([264])لا تعرف اليوم.

([265])أي رجاله) مشاة.(

([266])ترجمته في هديل الحمام .وهناك القصيدة أيضاً.

([267])يلمح إلى أبناء هارون :شبر وشبير ومشبر.

([268])ترجمته في هديل الحمام.

([269])كذا فراغ في أصل المرجع، وظاهر أن الكلمة) منها.(

([270])على نحو (120) كيلاً شمال مكة .أنظر :معجم معالم الحجاز.

([271])الدرر الكامنة (2/204) ، مادة رميثة.

([272])خلاصة الكلام :ص (31) مرجع سابق .

([273])سمط النجوم .(4/230) :

([274])عمدة الطالب .(126) :

([275])تأريخ الحلة .(1/91) :

([276])نفس المرجع.(1/94) :

([277])عمدة الطالب :الرسائل الكمالية ص (243) ، الناشر مكتبة المعارف بالطائف، ولم تذكر سنة الطبع.

([278])كان زيد سلطاناً على سواكن ثم ذهب إلى العراق، فلعل هذا الزواج كان آنذاك .

([279])كذا في المطبوع.

([280])تقدمت ترجمته.

([281])سواكن :جزيرة مجاورة لبر السودان على البحر الأحمر، يخاض إليها في الماء، ثم وصلت بسكة حديد إلى الخرطوم .كانت ميناء السودان الرئيس، ثم انشأ الإنجليز) بورت سودان (فتقلصت سواكن.

([282])نفس المرجع المتقدم في ترجمة عبد الله، ونفس الصفحة.

([283])عمدة الطالب :الرسائل الكمالية :ص.(242)

([284])كذا قال ابن عنبة، ولم أتعقبه.

([285])القواد العمرة، من الموالي الذين كوَّنوا قوة في الحجاز كان لها دور قتالي فعال، كان من مشاهيرهم :ودي بن أحمد بن سنان بن عبد الله بن عمر بن مسعود العمري، قتله الأشراف بالشعبية سنة797) هـ (في غارات كانت بينهم، ثم اضمحلت تلك الفرق فيما بعد القرن التاسع، ولا تعرف هلم اليوم بقايا.

([286])نشر الرياحين (1/205) :، ط (1) ، دار مكة للشر والتوزيع.

([287])ساية :وادي حجازي /وهو الجزع الأعلى من وادي خليص .انظر معجم معالم الحجاز.

([288])خيف بني عمير في وادي الزبارة أعلى مر الظهران.

([289])بياض في الأصل.

([290])بياض في الأصل.

([291])بياض في الأصل.

([292])الجلاب :سفن كان يجلب فيها التجار بضائعهم.

([293])زبيد :قبيل من حرب .انظر :نسب حرب.

([294])سواكن :تقدم التعريف بها في أخبار زيد بن أبي نمي.

([295])تقدم ذكره.

([296])العذيب :انظر معجم معالم الحجاز.

([297])هذه من مبالغات الشعراء، ولو قال :الشجر، كان أحسن.

([298])ونجد في هذه الأخبار أن مبارك بن عطيفة ملك سواكن بعد عمه زيد.

([299])ترجمته في هديل الحمام.

([300])أبو سعد :الحسن بن علي بن قتادة، تقدم خبره.

([301])حيدر :حيدرة، الإمام علي كرم الله وجهه.

([302])ترجمته في هديل الحمام.

([303])كذا في المطبوعة، ولعله) سماحةً بسماحِهِ .(

([304])العقد الثمين :مادة) مغامس.(

([305])أي وسبعمائة.

([306])العقد الثمين.(3/395) :

([307])واديان بين حلي وجازان، انظر) بين مكة واليمن.(

([308])نجَّلَها :أدخلها المرسى، يسمى المنجل، والجبأ عطية بلا مقدار معين.

([309])سند ومغامس.

([310])كل هذه الخمسينات بعد السبعمائة.

([311])ترجمته في هديل الحمام.

([312])عَذْبَةٌ، والعذبة :أن يعصب الرجل العمامة على رأسه، ويبقي لها ذيلاً إلى الخلف، فهذا الذيل يسمى عذبة.

([313])منجد :رميثة، وقد تقدم.

([314])أي في عهد الفاسي.

([315])ينبع لا تدخل عليها أداة التعريف) أل .(

([316])ترجمته في) هديل الحمام .(

([317])هذا البيت لا يستقيم إلاّ هكذا) :فلا تسألاه غير عن أم معبدِ (ولعل في الأصل غلطاً نسخياً.

([318])أهل الحجاز يسمُّون الحج) الموسم.(

([319])كان في ذلك العهد قد فشت البندقية، ولكن لم نر مؤرخي مكة ذكروها.

([320])ترجمته في هديل الحمام.

([321])انظر ذكرهم، وفيه بعض التفصيل، في) بين مكة وبرك الغماد.(

([322])العقد الثمين) غانم.(

([323])يعرف اليوم بوادي فاطمة.

([324])قصد مؤرخو مكة بهذا اللفظ :كل ما جنوب مكة كالليث وحلي ...الخ.

([325])كانت الساعة الثالثة من النهار ضحى.

([326])خيف بني شديد :يعرف اليوم بخيف الرواجحة.

([327])أي :ادخلها املنجل، وهو المرسى.

([328])الجبلة بالتحريك :سفينة لجلب البضائع.

([329])أحد القواد الزباعة.

([330])بنو شعبة :فرع من كنانة .انظر) بين مكة واليمن.(

([331])لا أعرفها اليوم.

([332])الجربيَّة :أن يزور المسلمون المسجد النبوي في شهر رجب.

([333])البرقة، بضم الباء :بقايا عين وقرية شرقي الجموم رأي العين.

([334])قال محقق العقد :كذا في الأصل، فلعلّها من الصريخ، الاستنجاد .

([335])في ترجمة مبارك بن عطيفة، المتقدمة.

([336])القواد العمرة :من أكبر أحزاب العبيد في ذلك الوقت.

([337])نسبة إلى بني حرام، فرع من كنانة .انظر) بين مكة واليمن.(

) ([338])بين مكة واليمن .(

([339])لعله :بتوليبهم ولده، ...الخ .

([340])تقدم في أول هذا الكتاب.

([341])كذا في المصدر، ولعله) :ورتب فيها الشريف حسن، أحمد بن دريب، أو ابن أحمد بن دريب (، وبهذا يستقيم المعنى .

([342])هذا الكلام فيه خلط .انظر هذه المواد بمعجم معالم الحجاز.

([343])تقدم خبره.

([344])تاريخ الحلة.(1/94) :

([345])أرض خالد وأرض حسان والدكناء :أماكن متجاوزة بين الدوح والشماسي وبرصمدة، في وسط مر الظهران بين الجموم وحداء، ولها طريق مختصر إلى مكة لا يزيد عن ساعتين للماشي، كان يسمَّى الثنيَّة، ويسمّى اليوم) فَجّ لرحا (سلكه مؤلف هذا الكتاب مرات بالمطية، وراجلاً .

([346])خلاصة الكلام :ص (33) مصدر سابق.

([347])انظر ترجمة سند التالية .

([348])تقدم في ترجمة عجلان.

([349])مادة أحمد.

([350])ذلك أنهم كانوا يعدون مماليكهم بمثابة الجيش، ولم يتخذوا الجنود لمعاونة السلطان .

([351])انظر الرد عليهم في كتابي الميضاح، الترجمة الكاملة في العقد الثمين، مادة محمد بن أحمد .

([352])هذه البدعة لأول مرة تذكر في تأريخ الحجاز، وكانت شائعة في العراق، فبئست القدوة السيئة .

([353])اليثنى، صوابها البثنة، لأن لها تضاير، وهي مندثرة اليوم، والبحرين والحميمة، لا تزالان معروفتين، ولكن جريانهما انقطع في أواخر القرن14) هـ.(

([354])العقد الثمين.(7/85) :

([355])غير معروف اليوم.

([356])أدركنا الناس وهذه الصهاريج المصدر الأول لسقي أهل جدة، وهي حفر تعمل في الخبت، وتنقر في الحجر، ويسلط عليه ماء المطر فتمسكه.

([357])تقدمت الإشارة إلى القواد.

([358])انظر معجم معالم الحجاز.

([359])لا تزال معروفة قرب البحرين.

([360])العقد الثمين .(6/206) :

([361])تعرف اليوم ببني مالك .انظر معجم قبائل الحجاز.

([362])كل الأشراف الذين يتداولون الحكم آنذاك من آل أبي نمي، بمن فيهم المترجم هنا .

([363])الأصيلة :مزرعة تسقى من العين الجارية.

([364])كذا في الأصل.

([365])الكنبوش :وقاية سرج الحصان.

([366])زبيد :بضم الزاي :انظر نسب حرب.

([367])الشام :اصطلاح عند أهل الحجاز لكل ما هو شمال، وهو قديم، كان ينادي به عمر :يا أهل الشام شامكم.

([368])بحرة :بلدة بين مكة وجدة، لا يدخل عليها) ال (التعريف.

([369])انظر :معالم مكة التأريخية.

([370])كلهم من القواد العمرة .

([371])الشجار :وثر يوضع على المطية، يسميه أهل الحجاز) مقصور (لأن له غزالاً واحداً.

([372])عبد الكريم بن أبي سعد الحسن بن علي الأصغر .

([373])القائل :تقي الدين الفاسي، والشاعر مترجم في هديل الحمام.

([374])مادة محمد بن عجلان .

([375])أحد القادة المصريين.

([376])أحد أمراء بني رسول .

([377])ترجمته في نشر الرياحين، مادة) محمد .(

([378])العقد الثمين.(6/430) :

([379])قدمت ترجمة أحمد .

([380])دار كانت بجوار المسجد الحرام من الجهة الشرقية، لعجلان بن رميثة، دخلت في المسجد.

([381])أي شعر بهم.

([382])مر الظهران

([383])بنو إبراهيم :من أشراف ينبع، وليسوا من جهينة كما وقع في كتابنا) معجم قبائل الحجاز.(

([384])هذه الوشايات والدسائس ما كانت في أسلافهم، فلعلها تسربت إليهم من المماليك.

([385])بنو الحسين بن علي، رضي الله عنهما.

([386])توفي سنة833) هـ (وستأتي ترجمته، ومن ذريته الأشراف ذوي عنان.

([387])الضوء اللامع.(6/147) :

([388])العقد الثمين :مادة علي بن مبارك.

([389])قلعة الجبل من الشهرة بمكان يغني عن تعريفها، والجبل :المقطم المشرف على القاهرة.

([390])الضوء اللامع.(5/149) :

([391])العقد الثمين في تأريخ البلد الأمين للفاسي.(6/116) :

([392])كان مخلاف حلي هو نفس محافظة القنفذة اليوم .انظر) بين مكة واليمن.(

([393])العقد الثمين.(4/86) :

([394])المأزمان :بني عرفة ومزدلفة، انظر :معجم معالم الحجاز.

([395])السُّويق :في ينبع، وعسفان قرب مكة، ولكن لعلها ما يسميّه الحجاج عقبة السَّويق، وهي على بعد (120) كيلاً من مكة شمالاً، بينها وبين عسفان (40) كيلاً.

([396])هي الشميسي اليوم.

([397])العد :انظر معالم مكة.

([398])انظر :معجم معالم الحجاز.

([399])أمير حلي.

([400])الزبارة التي وقعت فيها الوقعة :بجوار قرية أبي عروة، وليست كما ذكرتها في معجم معالم الحجاز، تلك أخرى .

([401])الجبا عند أهل الحجاز، هو ما يسميه النجديون) شرهة (، فهو عطاء بلا مقابل .

([402])تقدم الكلام عن القواد.

([403])يقول أهل الحجاز :نجَّلت الباخرة، أي رست على الميناء.

([404])الجلاب :سواعي تحمل البضائع في البحر.

([405])النجاب :مرسال ينقل الأبار، كالبريد.

([406])حازم هذا :ابن شميلة الشاعر، وقد تقدم.

([407])أم الدمن :قرب خليص، ولم تعد معروفة.

([408])البقوم :قبيلة مشهورة، انظر :معجم قبائل الحجاز.

([409])بنو نمير :من ثقيف :انظر الذي قبله.

([410])ذوي راجح بن أبي نمي الأول.

([411])البرقة :تنظر إليها من الجموم مطلع شمس.

([412])أي عانى، وهي هدنة الحرب .

([413])الحسن بن عجلان نفسه من آل أبي نمي، ولكن هذا اصطلاح.

([414])انظر :معالم مكة.

([415])أمير حلي من بني حرام، وهي فرع من كنانة، ولكن هذا كما قالوا :قريش وكنانة.

([416])ترجم له الفاسي :ج.(3)

([417])أورد العصامي القصيدة، وقصائد أخر، سمط النجوم العوالي .(4/262) :وانظر) :بين مكة واليمن.(

([418])بين مصر وفلسطين.

([419])عيون من وادي فاطمة.

([420])البنقال، وتسمى اليوم) بنقلادش.(

([421])أي وثمانمائة، وهذا تأريخ أول أحداث هذه الوظيفة، أي نائب السلطنة.

([422])هؤلاء من أشراف المدينة.

([423])قتله أحد قبيلة مطير، في الصحراء، شرق المدينة.

([424])منذ أن انتقلت الخلافة العباسية إلى مصر، لم يكن لها أمر ولا نهي، إنما مجرد صورة يتزين بها المماليك !وهذا أول خليفة يتحرك فيأمر وينهى.!

([425])دخلت هذه الأماكن كلها في المسجد الحرام.

([426])الكنبداوي :انظر معجم معالم الحجاز) .التضباوي.(

([427])افرنتي = إفرنجي :عملة كانت متداولة.

([428])الزلة :المرور .يقولون :زل :أي مر.

([429])أي رُمَيثة.

([430])جدة :بضم الجيم.

([431])الزالة :المارة.

([432])تقدم الحديث عنهم.

([433])لدريد بن الصمة، أمثال الشعر العربي.

([434])الدكناء وأرض حسان، وأرض خالد، وأم شميلة، كلها كانت بلين الجموم والبحرين بوادي فاطمة، المسافة نحو ستة أكيال طولاً بعرض ثلاثة، تقريباً .

([435])عين كانت جارية .انظر :معجم معالم الحجاز.

([436])حَدّاء :قريبة جداً من الركاني.

([437])رسالة ركيكة، لم انقلها، راجعها في المصدر.

([438])الخريقين، بالقاف، ويعرفان اليوم بالشاقتين.

([439])الوجه :جانباً كبيراً، لأنه مفعول.

([440])يعرف اليوم بوادي بني عمير ووادي الزبارة.

([441])الشرف، والشرفاء :الأشراف .

([442])عمر، المذكور هنا، هو جد القواد العمرة.

([443])الكارم :تجارة العطورات والبهارات .

([444])الأحسبة :انظر) بين مكة واليمن.(

([445])قافلة عُقَيل :قوافل تجارية كان يترأسها تجار القصيم، وتتاجر مع الشام ومصر وغيرهما، وهذا أولا ذكر لها في تأريخ الحجاز.

([446])كذا يقول أهل مكة للتتار.

([447])لعله) متخفرين.(

([448])تسمّى اليوم كاليكّتَا، وتقول العرب) :كلكتّة (إحدى عواصم الأقاليم في شرق الهند.

([449])كان يقال لهم :القواد العجلانية، والقواد الحسنة.

([450])إتحاف الورى.(4) :

([451])العقد /ذيل.(4/150) :

([452])غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام.(2/344) :

([453])ترجمته في هديل الحمام.

([454])العز بن فهد :غاية المرام.(2/364) :

([455])ترجمته في هديل الحمام.

([456])هديل الحمام) عبد القوي.(

([457])غاية المرام.(2/378) :

([458])تقع قرية الخوار شمال مكة، على 135) كيلاً (، شرق قاعدة خليص على 15) كيلاً (، وتصلها بمكة طريق مزفتة، وهذا طريقها الأطول، كان لها طريق طوله 120) كيلاً (، لم يزفت.

([459])الضوء اللامع.(5/272) :

([460])أي بمرض الطاعون.

([461])غاية المرام.(2/483) :

([462])أي وثمانمائة.

([463])كان يقال لهم :القواد العجلانية، ولموالي ابنه :القواد الحسنة.

([464])غاية المرام.(2/474) :

([465])هذه الرواية وغيرها كثير تتكرر لحدوثها في تراجم أناس يشتركون في حوادث، ولا بد أن يذكر لكل شخص ما يوضح سيرته.

([466])ملك اليمن، آنذاك.

([467])سنة818) هـ.(

([468])أشراف ينبع.

([469])أي وثمانمائة.

([470])شهران العريضة :انظر) بين مكة واليمن .(

([471])ميلب :كان يتردد في أسماء الأشراف حقبة ما بين القرنين السابع والتاسع.

([472])وبهذا يظهر أن أول من أجيز له من أبناء الأشراف، هم :أبناء حسن بن عجلان.

([473])هرمز :مدينة إيرانية تشرف على أول مضيق في الخليج الإسلامي مما يلي بحر عمان، وبها سمي ذلك المضيق) مضيق هرمز .(وكان هذا الخليج يسمى) الخليج الفارسي (، ثم سمي نحو سنة1376) هـ) (الخليج العربي (، ومال بعض الإسلاميين إلى تسميته الخليج الإسلامي، حلاً للنزاع بين العرب والفرس، ولأن شواطئه كلها أرض إسلامية.

([474])عُقيل :اسم أطلق على القوافل التي كانت تجوب بلاد العرب للتجارة، وكان آخر معاقلهم إقليم القصيم، ثم قضت عليها السيارات في النصف الأخير من القرن14) هـ.(

([475])غاية المرام.(2/487) :

([476])أي وثمانمائة.

([477])بركه :حاله أو أوده.

([478])ترجمته في) هديل الحمام.(

([479])الخضارم :الماء الكثير.

([480])جاود :عقد هدنة.

([481])سبق أن قلنا إن معظم ما يتردد هنا من معالم ينظر عنها) معجم معالم الحجاز.(

([482])الباشة :الكَبَبْشَة، في عرفنا اليوم، ولكن الباشة أرق وألطف.

([483])سنبوق أو سنبوك :مركب بحري صغير.

([484])سفينة شراعية.

([485])هديل الحمام :محمد بن عبد القوي.

([486])غاية المرام.(2/498) :

([487])الفصل :مرض الطاعون.

([488])سبقت الإشارة إليه.

([489])غاية المرام .(2/470) :باختصار غير مخلِّ .

([490])هذا يشهد أن الأشراف الرواجحة هم أقدم من أبي نمي الثاني، فهذا الخبر قبل مولده بنحو (90) سنة، وأبو نمي الوارد مع ذكرهم هو أبو نمي الأول.

([491])ذوو عمر وذوو حسن :من القُوّاد.

([492])أي من المترجم هنا.

([493])غاية المرام.(2/392) :

([494])انظر معجم معالم الحجاز.

([495])والد عبد العزيز بن فهد.

([496])مؤرخو مكة كانوا يسمون كل ما هو جنوب مكة يمناً وما هو بيمن، فيمن بني حسن كان الليث والشواق وما هنالك .

([497])مثل هذه النصوص تتكرر بالضرورة حيث يبين حال الأمير مع سلفه، فتذكر في الترجمتين، وربما تكرر في أكثر من ترجمة تكرار الشراكة بين الأشراف في الحكم.

([498])له ترجمة، ذيل غاية المرام.(2/401) :

([499])المعالم الواردة ف هذا الكتاب يطول استقصاء التعليق عليها، لذا نظر عنها) معجم معالم الحجاز.(

([500])ذيل غاية المرام.(2/403) :

([501])تقدمت ترجمته.

([502])وبير بن محمد بن عاطف بن أبي دعيج بن أبي نمي الحسني، تقدمت ترجمة عاطف .توفي وبير سنة860) هـ .(من الأشراف ذوي عنقاء .على أن عاطفاً هو ابن أبي نمي الأول، فلعل أبا دعيج لقب له.

([503])انظر :معجم معالم الحجاز.

([504])انظر :معجم معالم الحجاز.

([505])انظر :معجم قبائل الحجاز.

([506])حادثة :عرفت بالجديدة، عين قرب البرابر، كانت حية سنة1369) هـ.(

([507])هذا غير صحيح البتة، انظر) نسب حرب.(

([508])مدرج علي :هي ثنية عسفان) ثنية غزال.(

([509])التنزه :حدوث النزاع فجأة .

([510])انظر) :بين مكة واليمن.(

([511])صخرة بن مقبل بن مخبار، من بني هجار، من ذرية الحسن بن قتادة، أمراء ينبع، توفي846) هـ.(

([512])المراكب المسمارية :التي تسمر ألواحها بالمسامير، عكس التي تربط ألواحها بالحبال.

([513])أمج :هو وادي خليص .انظر :معجم معالم الحجاز .أمج وخليص.

([514])ذوو عجلان والأشراف واحد، وبركات هذا هو حفيد عجلان، فهذا التعبير)مجعلك (أي في غاية الركاكة.

([515])انظر) بين مكة واليمن (على بعد المسافة إلى هناك.

([516])لعله الحشا، بالمعجمة.

([517])انظر) معالم مكة (مجنة.

([518])البوباة :انظر) معجم معالم الحجاز (وكذلك كل المعالم الواردة هنا ما لم نشرحها.

([519])التي اقتلع فرسانها من فوقها، ولكن هذه ليست ديار مطيرا .!

([520])عملة كانت سائدة.

([521])النزلة :عدد من البيوت متجاورة.

([522])من القواد العمرة، وقد تقدم خبرهم.

([523])من القواد العمرة، وقد تقدم خبرهم.

([524])سموا :القواد العجلانية.

([525])مطعم الطير :انظر حاشية غاية المرام.(2/439) :

([526])انظر ذيل :غاية المرام.(2/443) :

([527])انظر :بين مكة واليمن126) ،.(163

([528])حافطتين.

([529])حمزة بن المتوكل :من الخلفاء العباسيين في مصر، وهذا أول من استطاع أن يعزل ويولي من خلفاء مصر.

([530])إعلان الحرب.

([531])بطن من هذيل .انظر) :معجم قبائل الحجاز.(

([532])ترجمة محمد بن بركات، تتبع هذا.

([533])ذكرها في ترجمته– كشاعر –في هديل الحمام :بركات .

([534])ترجمته في هديل الحمام.

([535])ترجمته في هديل الحمام.

([536])أنواع من زهور الصحراء، ونيسان :من شهور الربيع التي تكثر فيها الزهور، يوافق بالإفرنجي) أبريل.(

([537])معالم من وادي نعمان، شرق مكة.

([538])انظر) بين مكة واليمن .(للمؤلف .ومعجم قبائل الحجاز.

([539])غاية المرام (2/506) :، في نحو (127) صفحة، حاولنا اختصارها بما لا يخل.

([540])المشد، وتقول عرب اليوم المشدِّي :القائم على العمل.

([541])في إتحاف الورى :غزا عرب البقوم، ولاحظ :إن الأشراف ما كانوا يغزون إلا من منع الزكاة.

([542])توفي سنة875) هـ.(

([543])أي وثمانمائة.

([544])كذا في المرجع.

([545])زبيد ليسوا ذوي مالك، إنما مالك أحد أشهر شيوخهم .انظر :نسب حرب .

([546])يقصد البقوم.

([547])عن البقوم وعتيبة :انظر معجم قبائل الحجاز.

([548])معجم قبائل الحجاز.

([549])وضحنا ذلك في) نسب حرب.(

([550])ذوو عجلان هؤلاء، هم موالي الشريف عجلان الذين مات عنهم فكوَّنوا حزباَ ً، وسُموا القواد العجلانية.

([551])أي881) هـ.(

([552])أحد السادة القطبية المعروفين في المخلاف السليماني.

([553])قلعة الدوسرية، انظر) :بين مكة واليمن.(

([554])هو جد الأشراف العناقوة .

([555])كما قلنا مراراً :يراجع في مثل هذه المعالم :معجم معالم الحجاز.

([556])هو قايتباي المملوكي.

([557])معجم قبائل الحجاز.

([558])القواس :الذي يحضر الناس بالقوة.

([559])الفَرِيق :بالنسبة لبيوت الشَّعْر كالقرية لأهل المدر.

([560])من أشراف ينبع .

([561])روي لي أن الحنيش هذا كان شيخ بالحارث الأزديين المقيمين جنوب الطائف.

([562])ابن بذال :أحد أشراف ينبع.

([563])أي صيف النخل، وقت الجني.

([564])لعلها :القراراة، حي من مكة.

([565])مراوة :انظر معجم معالم الحجاز، وكذلك القرارة وأي معلم يرد في هذا الكتاب.

([566])الهوش :الأغنام وما في حكمها.

([567])انظر معجم قبائل الحجاز.

([568])اروقة من عتيبة، وبنو لام من طيء، انظر :المرجع السابق، أما بنو لام فكانت أدنى ديارهم) عفيف.(

([569])النقا– هنا :–إعلان الحرب .

([570])الوطاة :السهل .لأنهم عند المحاربة يصعدون الجبال يحتجون فيها.

([571])أهل جبل كبكب، من هذيل.

([572])لعلهم بنو حسن، إذ أن ديار بني حسين المدينة.

([573])انظر :معجم معالم الحجاز.

([574])المقصود– هنا –القواد الحسنة والعجلانية، وإلا فإن الشريف نفسه هو ابن بركات بن حسن بن عجلان، فهو علاجين حسني.

([575])هو قول الإمام الشافعي، أو مأخوذ منه.

([576])تقدم تعريفه، وترجمته في) هديل الحمام.(

([577])أرض حسان :كانت قرية المعروفة اليوم باسم الدوح الكبير، والمعتقد أن أم شميلة معروف مكانها اليوم غرب بلدة الجموم بسفح جبل سِدْر.

([578])المشهور) زرود (بالزاي المعجمة، من محطات حاج العراق.

([579])هذان البيتان فهيما إقواء .

([580])الرعان :الجبال الشواهق.

أولاً :ذكر دولة الأشراف الموسويين

نسبة إلى جدهم موسى، المذكور في أول ترجمة بعد هذا.

وهذه الأسرة حكمت الحجاز وأجزاء من الشام ودامت نحو خمس وتسعين سنة فقط – 358)
453هـ 1061 – 698/م (وإليك ذكر أمرائهم.

* * *

1-الشريف جعفر بن محمد

قام سنة 358) هـ968/م:(

هو جعفر بن محمد بن الحسين، وقيل :جعفر بن الحسين بن محمد الثائر ابن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجَوْن بن عبد الله المَحْض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما.

كذا ذكره الدحلان في) خلاصة الكلام([1])(، ثم قال :تغلب جعفر المذكور على مكة زمن الإخشيد، قبل أن يملك العُبيديون) الفاطميون (مصر، بعد موت كافور، وكان موت كافور سنة ثلاثمائة وست وخمسين، وتغلب جعفر سنة358) هـ(، وقيل سنة ست وخمسين، وقيل ثلاثمائة وستين، ثم ذكر أسباباً، ولم يذكر نهاية ولايته، إنما قال :ولما توفي جعفر المذكور تلوى ابنه) عيسى بن جعفر (ودامت ولايته إلى سنة ثلاثمائة وأربع وثمانين384) هـ .(ولم يذكر بداية ولاية عيسى ليستدل بها على نهاية ولاية أبيه، ولم يذكر ولادة أحد منهما ولا وفاة جعفر، كما ألمحنا.

وذكره تقي الدين الفاسي، فقال :جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد، وبقية النسب كما تقدم، إلاّ أن الفاسي حذف الألقاب، كالثائر والثاني والجَوْن، الخ...

ثم قال :أمير مكة، كذا نسبه ابن حزم في الجمهرة([2])، وقال– أي ابن حزم :–إنه غلب على مكة في أيام الإخشيدية، وولده إلى اليوم – في عهد ابن حزم –ولاة مكة، منهم عيسى ابن جعفر المذكور، لا عقب له، وأبو الفتوح الحسن بن جعفر المذكور، وشكر بن أبي الفتوح،

وقد انقرض عقب جعفر المذكور، لأن أبا الفتوح لم يكن له ولد إلاّ شكر، ومات شُكر ولم يولد له قط.

وذكر شيخنا ابن خلدون– الكلام للفاسي –في تأريخه، في نسب جعفر والد عيسى وأبي الفتوح، ما يخالف ما ذكره ابن حزم، لأنه لما نسبه قال :هو جعفر بن أبي هاشم الحسن بن محمد بن سليمان بن داود، وذكر أن محمد بن سليمان، جد جعفر، قام بمكة سنة إحدى وثلاثمائة([3])، وخطب في موسمهما لنفسه بالإمامة ودعا لنفسه، وخلع المقتدر العباسي.

وذكر أن محمد بن سليمان هذا من ولد محمد ابن سليمان الذي دعا لنفسه بالمدينة، أيام المأمون ([4])وتسمى بالناهض، وذكر أن سليمان والد محمد بن سليمان الذي تسمى بالناهض هو سليمان بن داود بن عبد الله بن الحسن ([5])بن علي بن أبي طالب .آخر ما روى الفاسي.([6])

ولم يذكره ابن فهد، تلميذ الفاسي، لم يذكره باسمه، إنما قال :سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة فيها خُطب بالحرمين واليمن للمعزِّ أبي تميم معد بن المنصور العبيدي) الفاطمي (صاحب مصر، وبطلت الخطبة لبني العباس.([7])

وهذا وإن لم يكن تصريحاً بقيام جعفر إلاّ أنه تلميحاً لذلك، وابن فهد هو تلميذ الفاسي، ويستغرب أن يسكت عن من ذكره شيخه.

ولكن ابنه، العز بن فهد، ذكره نقلاً عن العقد الثمين، فقال :جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد، كما تقدم عند الفاسي، ثم قال عن الفاسي أيضاً :وذكر شيخنا ابن خلدون أن جعفر

والد عيسى وأبي الفتوح سار إلى المدينة فملكها، وخطب للمعز العُبيدي لما سمع تملكه بمصر، فأرسل إليه) العُبَيدي (بالولاية.([8])

أما العصامي صاحب) سمط النجوم العوالي (فقد قال ...:فمذ ملك مصر– أي المعز –بادر جعفر بن الحسن بن محمد بن سليمان بن داود، وكان بالمدينة، فملك مكة ودعا للمعز، فكتب له بالولاية .([9])ولعل في هذا وهماً من العصامي يرحمه الله.

إلاّ أنه لم يختلف عمن سبقه في أن عيسى ولي الأمر بعد أبيه إلى أن توفي سنة384) هـ (ثم ولي الأمر بعده أخوه أبو الفتوح بن جعفر.

ونرى أن المرجح في نسبه هو :جعفر بن محمد بن الحسن، وبقية النسب كما تقدم في أول البحث .وهو أول مؤسس للشرافة في مكة كما قدمنا، وليس هو من كبار الأشراف المصنف هذا البحث من أجلهم ولكن له شرف الريادة والتأسيس، ولذا كان الافتتاح به أليق، وقد بقيت الشرافة بعده في ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما نحو من ألف سنة إلا قليلاً . فهو من الأشراف الحسنيين كأبي العباس في العباسيين.

وبالإجمال فأخباره قليلة، ومؤرخوه ينقل بعضهم عن بعض، وشذ فيه العصامي، كما رأيت، بما لم يأت به غيره.

وقد خلف ولدين هما :عيسى وأبا الفتوح، الذي سيأتي بعد ها، إن شاء الله .ويلاحظ أن جعفر هذا هو مؤسس الطبقة الموسوية، نسبة إلى جده موسى، كذا قال الدحلان في خلاصة الكلام، ثم قال :وهم أول من ملكها من الأشراف الحسنيين، أي أنها الطبقة الأولى.

بينما عده العصامي من السليمانيين، والصواب ما قاله الدحلان، إذ أن طبقة السليمانيين جاءت بعد طبقة الموسويين كما سترى في البحوث المقبلة، إن شاء الله، بعد أن نذكر انقراض هذه الطبقة الموسوية بوفاة الشريف شكر.

2- الشريف عيسى بن جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى، وبقية النسب كما تقدم في أخبار أبيه، في البحث السابق 384-) هـ - 994/م:(

ولي مكة بعد أبيه، ولم أر من أرخ وفاة أبيه وهي السنة التي ولي فيها عيسى الشرافة، ولكن مؤرخيه يؤرخون وفاته بسنة أربع وثمانين وثلاث مائة، أي أن ولايته وولاية أبيه عن سنة 358 -384)هـ 26 = (سنة، ثم ولي بعده أخوه أبو الفتوح الآتي خبره.

قال الفاسي :([10])جاءت جيوش العزيز صاحب مصر، مكة والمدينة، سنة366) هـ .(وضيَّقوا عليهم) أي على أهل الحجاز (وذلك بسبب الخطبة، ولا زالوا محاصرينهم، حتى خُطِب للعزيز بمكة، وأميرها إذ ذاك عيسى بن جعفر، والمدينة، وأميرها إذ ذاك طاهر بن مسلم ... الخ .ودامت ولايته على مكة إلى سنة384) هـ (على ما ذكر ابن خلدون .وذكر ابن حزم في الجمهرة ما يُفهم أنه ولي مكة بالجملة ...الخ.

ولم يذكر ابن فهد عيسى هذا سنة384) هـ (ولا قبلها، رغم أنه تلميذ التقي الفاسي، وإنما ذكر ولاية أخيه أبي الفتوح في هذه السنة، أي بعد وفاته) وفاة عيسى.(

أما ابنه العز بن فهد فقد نقل ما تقدم عن الفاسي مختصراً.([11])

أما العصامي، فيقول- ...عن حوادث :-360 ثم وقعت الفتنة بين بني الحسن، أهل مكة وبني الحسين، أهل المدينة، وزحف أهل المدينة مع أمير المعز لدين الله العُبيدي) الفاطمي (صاحب مصر، ليقيموا له الخطبة بمكة، فجاءت القرامطة مدداً لبني حسن بمكة، فانهزم أهل المدينة، ثم وقعت الفتنة بين بني الحسن، وبني جعفر([12])، وحصلت بينهم دماء، وبعث المعز العُبيدي من أصلح بينهم وتحمل ديات القتلى الفاضلة من مال المعز، فمذ ملك مصر بادر جعفر بن الحسن بن سليمان بن داود([13])، وكان بالمدينة، فملك مكة ودعا للمعز العبيدي فكتب له بالولاية .وأقول :انفرد العصامي رحمه الله بنسبة بني جعفر هؤلاء إلى سليمان ابن داود، ولذا فهو قد بوب لهم باسم) السليمانيين (بينما أجمع مؤرخو الأشراف على نسبتم إلى موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجَوْن، وسموهم طبقة الأشراف الموسوية، وجعلوا طبقة الأشراف السليمانيين بعدهم ثم الهواشم ثم بني قتادة، وكل ذبك سيتبع إن شاء الله، ثم يقول :ثم مات جعفر بن الحسن بن محمد بن سليمان بن داود فوليها بعده ابنه عيسى، وساق النسب الذي علقنا عليه آنفاً.

ووافق من تقدمه بأنه سنة384) هـ (مات عيسى المذكور وخلفه أخوه أبو الفتوح .

وعيسى أخباره قليلة كأبيه، وهذا دأب المؤرخين في كل عهد يحدث فجأة.

-3الشريف أبو الفتوح:

-430)هـ 1038 - /م:(

الحسن بن جعفر بن محمد بن الحسن، وبقية النسب تقدمت في ترجمة أبيه([14])، سلطان الحجاز وموحده، المبايع بالخلافة، يعتبر المؤسس الحقيقي للشرافة في مكة.

قال شيخ مؤرخي مكة، تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاس– نسبة إلى فاس في المغرب –المكي832 – 775) هـ :(الحسن ابن جعفر بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الحسني المكي، أبو الفتوح.([15])

أمير مكة، وليها بعد أخيه عيسى، في سنة384) هـ (ودامت ولايته عليها ستاًَ وأربعين سنة . وذكر جماعة من المؤرخين :أن أبا الفتوح هذا خرج عن طاعة الحاكم العُبيدي، ودعا إلى نفسه، وخُطِب له بالخلافة، وتلقب بالراشد، وسبب ذلك :أن الحاكم قَتل الوزير أبا القاسم المعروف بابن المغربي، فهرب أبو القاسم وقصد آل الجراح الطائي بالرملة، ولزم حسان بن مُفَرِّج، فأجاره ومنع الطلب عنه، وف ذلك يقول أبو القاسم:

فإِنِّي أتيتُ ابنَ الكريم مَفَرِّجٍ

فأطلق من أَسْرِ المهموم عقالي

وحمل الوزير أبو القاسم آل الجرَّاح على مباينة الحاكم([16])، وكان الحاكم قد ولّى مملوك أبيه) يازُخْتكين (الرملة بعد هروب الوزير أبي القاسم إليها، وسيَّر معه جيشاً، وجعه عليهم، ولما بلغ ذلك الوزير، حسَّن لحسان بن مفرج قتاله، فأغار عليه) فهزمه (وذبحه صبراً بين يديه.

فعند ذلك قال الوزير لحسّان :الآن قد قطعت ما بينك وبين الحاكم، ولم يبق لصلحك من موضع، ولا لك إلى الرجوع إلى طاعته مكان .وهذا أبو الفتوح أمير مكة والحجاز، في بيته

وفضله وكرمه بمكان رفيع، تنصِّبه إماماً، وتقوم معه على الحاكم، فأمر حسان أبا القاسم بالتوجه إليه، فلما وصل إليه أطمعه في الرئاسة والخلافة، وضمن له الوفاء بما بذله حسّان بن المفّرج من الطاعة، ثم سار أبو الفتوح، وأبو القاسم قاصدين آل الجراح، ومعه- أي أبو الفتوح -نحو ألف فارس من بني حسن([17])، ونحو ألف عبد من قوَّاده([18])، فلما قرب الرملة، تلقاه حسان وأبوه مفرج وسائر وجوه العرب، وقبلوا الأرض بين يديه، ونزل في دارهم، وخطب له على منبر الرملة الخطيب ابن نُباتة.

ولما بلغ ذلك الحاكم اشتد عليه وقلق وعلم أن أبا الفتوح أهل لما أُهل له من الخلافة، فعدل عن الحرب إلى الخدعة، وعلم أن آل الجراح بينهم اختلاف في الرئاسة، فأرسل إليهم الأموال إلى الصغير والكبير والعظيم والحقير، وبعث إلى حسان بخمسين ألف دينار، وكتب إليه يغالطه في أمر) يارتكين (ويسهله، فأصبح أبو الفتوح وقد عرف تغير نياتهم، فقال للوزير أبي القاسم :أغويتني وأخرجتني إلى هؤلاء القوم الغدارين، فيجب عليك أن تخلصني وتسهل سبيلي إلى الحجاز، ومتى لم تفعل اضطررت إلى أن أركب فرسي، وأركب التغرير في طلب النجاة . وطال الأمر على أبي الفتوح، فركب فرسه إلى المفرّج والد حسان سراً، وقال له :إني فارقت نعمتي، وكاشفت مقامكم، ولي في عنقك مواثيق وأنت أحق من وَفَّى، لمكانك من قومك ورئاستهم، وأن خير ما ورّثه الإنسان ولده، ما يكون له الحمد والشكر وحسن الذكر، وأرى حساناً ولدك قد أصلح نفسه مع الحاكم، واتبعه أكثر أصحابه، وما أريد إلاّ العود إلى الوطن .فوعده المفرج السلامة، وركب معه وسيره إلى وادي القُرَى([19])، فتلقاه أصحابه.

يقول التقي :وذكر صاحب) الدول المنقطعة :(هذه القضية، وفيها مخالفة لما سبق ذكره، مع زيادة وفوائد- فيذكر ما لم يختلف عما سبق -حتى يقول :فأظهر ذلك، أي أبو الفتوح ودعوته الخلافة، وبايعه أهل الحرمين، وفارقه الوزير بمكة وسار إلى الرملة، فاجتمع بمفرج بن دغفل بن الجراح الطائي، وبنيه حسان ومحمود وعلي، وبايعهم لأبي الفتوح- أي على

الخلافة –ولما تقرر ذلك طلع على المنبر يوم الجمعة وخطب الناس، فقال :أول ما استفتح به في تحريض الناس على خلع الحاكم، أن قرأ وهو يشير إليهم:

ولما فرغ من أخذ البيعة– أي الوزير –على آل الجراح، عاد إلى مكة وحمل أبا الفتوح على السير معه إلى الرملة، فسار فيمن معه من الأعراب ([20])فتلقاه مفِّرج وأولاده، وترجلوا له، وقبلوا الأرض، ومشوا في ركابه .ودخل الرملة وتغلب على أكثر بلاد الشام، فبعث الحاكم إليهم جيوشه مع مملوك أبيه) ياروخ تكين(، فحمل الوزير أبو القاسم حسان بن مفرج على أن اعترضه عند فج) داروم(، وواقعه وأسره، ونقله إلى الرملة أسيراً وانتهبه، وسمع غناء جواريه

وحظاياه وهو مقيّد معه في مجلسه، وارتكب– أي حسان –منه فواحش عظيمة([21])، ثم قتله صبراً بين يديه .وبقي الشام أُكلة لبني الجراح، ولم يمكن الحاكم أخذه إلا بالملاطفة .ثم ذكر ما تقدم من إرشاء الحاكم آل الجراح وقنوع أبي الفتوح من الغنيمة بالإياب .ثم يقول الفاسي :وفي هذا الخبر مخالفة للخبر الأول من أوجه.

ثم يورد أقوالاً للذهبي يرحمه الله، لا تخرج عما تقدم، إلاّ قوله :إن هذه الحادثة كانت سنة 381)هـ(، ولا أرى ذلك لإجماع مؤرخي مكة على أن عيسى بن جعفر توفي سنة384) هـ (فخلفه أخوه حسن أبو الفتوح .وكذلك وَهَّمَ الفاسي هذا الرأي، وقال :إن الحاكم لم يكن إذ ذاك381) هـ (خليفة، وإنما كان خليفة على مصر أبوه العزيز، وبعده ولي الخلافة) الحاكم (في سنة386) هـ.(

وذكر سبط ابن الجوزي في) المرآة (وغيره من المؤرخين، إنها– أي خلافة أبي الفتوح –في سنة إحدى وأربع مائة.

وعليه يدل كلام ابن أبي المنصور في كتابه» الدول المنقطعة.«

ورأيت– قال التقي –في تأريخ شيخنا ابن الفرات :إن عصيان أبي الفتوح على الحاكم كان سنة402) هـ(، وأن فيها قتل الحاكم أحمد بن أبي العلاء، مولى أبي الفتوح أمير مكة، لأنه كان يستوشي أخباره وينقلها إلى مولاه، وكان مولاه أقامه لذلك، وأقر عليه بذلك عطار .ثم ينقل شيخ مؤرخي مكة التقي عن بيبرس الداودار :أن عصيان أبي الفتوح كان في سنة 405)هـ(، وذكر النويري أنها في سنة403) هـ.(

وذكر ابن خلدون :أن آل الجراح قبضوا على أبي الفتوح وأسلموه إلى الحاكم، وأنه راجع الطاعة فعفى عنه، واستغرب الفاسيُّ هذا الخبر، ورأوه كذلك .وذكر ابن خلدون :أن أبا الفتوح سار إلى المدينة النبوية وأزال عنها إمرة بني مهنا) الحُسَينيين (وذلك سنة390) هـ (بأمر الحاكم ثم رجع إلى مكة وعظم شأنه.

وذكر أن القادر العباسي، راسل أبا الفتوح يأمره بالطاعة ويعده ببقاء الإمرة في ذريته، فأرسل كتبه إلى الحاكم، فأرسل إليه بالمال والخلع، فقسم ذلك في قومه .وذكر أبو عبيد البكري :أن الحاكم أنفذ إلى أبي الفتوح سجلا تنقّص فيه بعض الصحابة رضي الله عنهم، وجرح به بعض أزواج النبي ، فانفذ الأمير– يعني أبا الفتوح –إلى القاضي الموسوي، أظنه إبراهيم بن إسماعيل، وهو قاضي مكة وما والاها([22])، وأمره بقراءته على الناس، فغضب لذلك المجاورون من القاطنين وغيرهم من قبائل العرب([23])، فلما بلغ ذلك القاضي، أرجأ الخروج وتباطأ، وذلك في سنة395) هـ.(

ثم يذكر الفاسي قصة ذلك المصري الذي اعتدى على الحجر الأسود، فثأر الناس على حاج مصر، ذلك سنة413) هـ (فتدخل أبو الفتوح وكف الناس عن المصريين، وهذا الخبر مبسوط بأكثر من هذا في كثير من التواريخ) .شفاء الغرام.(2/195 :

وعن أبي عبيد البكري– المسالك والممالك –أن أبا الفتوح في سنة412) هـ (حشد قبائل العرب، وحارب رجلاً من بني حرام– من كنانة –استولى على مدينة حلي ([24])ودعا إلى نفسه، فأخذها أبو الفتوح منه.

وكانت وفاة أبي الفتوح هذا سنة430) هـ (على ما ذكره ابن الأثير .أي أن إمرته على عموم الحجاز دامت (36) سنة.

ثم خلفه ابنه شكر كما سيأتي إن شاء الله.

وأخبار أبي الفتوح كثيرة، ولعلنا نزيدها ضوءاً في أخبار ابنه الآتية.

-4الشريف شُكر بن أبي الفتوح واسمه محمد، ويكنى أبا عبد الله، ويلقب تاج المعالي
453 –)هـ 1061 – / م :(

شُكْر بن الحسن بن جعفر بن محمد بن الشريف الحسني الموسوي، وبقية النسب تقدم في خبر جده جعفر بن محمد .ولي إمرة الحرمين بعد وفاة أبيه أبي الفتوح الحسن بن جعفر سنة 430)هـ1038/م(، ودامت ولايته ثلاثاً وعشرين سنة، وقوي أمره، فحكم ما بين جبلي طيء إلى أواسط سراة الحجاز، كان أديباً شاعراً شجاعاً، له طرائف وغرائب، وحكم.

جاء في العقد الثمين– نقلاًَ عن صاحب الجمهرة ..([25])–وذكر أنه انقرض عقب جده جعفر، لأن أباه أبا الفتوح لم يولد له إلاّ وهو– أي شكر –ومات هو ولم يولد له قط . وذكر أن أمر مكة صار إلى عبدٍ له .أ هـ .وذكر ابن خلدون :([26])إنه جرت له مع أهل المدينة حروب وخطوب، ملك أثناءها المدينة الشريفة، وجمع بين الحرمين .وغالب مؤرخيه على أنه ملك الحجاز ثلاثاً وعشرين سنة، وكانت وفاته سنة453) هـ(، وانقرضت به دولة السليمانيين من مكة، وجاءت دولة الهواشم.

كذا قال /بينما المجمع عليه في تأريخ مكة– إلاّ من شذ –أن جعفر وبنيه يسمون طبقة الموسويين، وجاء بعدهم طبقة السليمانيين ثم الهواشم الطبقة الثالثة، وسترى محاولتنا آتياً في هذا الصدد.

وشكر هذا هو الذي يزعم بنو هلال ([27])بن عامر، أنه تزوج الجازية بنت سرحان، من أمراء الأثبج منهم، وهو خبر مشهور بينهم في قصص وحكايات يتناقلونها، ولهم فيها أشعار من جنس لغتهم، ويسمونه الشريف أبو هاشم .أ هـ.

قلت :وكانت مدة إمارة شكر معاصرة جلاء بني هلال من جزيرة العرب أو قريبة منها . وكانت وفاة شكر في رمضان من نفس التأريخ المذكور آنفاً.

ومن شعر شكر المشهور ما أنشده الباخرزي في الدمية، والعماد في الخريدة:([28])

وصلتني الهمومُ وصلَ هَواك

وجفاني الرقادُ مثلَ جفاكِ

وحكى لي الرسولُ أنكِ غَضْبى

يا كفى اللَّهُ شرَّ ما هو حاكِ

ومنه :

قوِّض خيامَكَ عن دارٍ أُهِنْتَ بها

وجانب الذلَّ إن الذلَّ مُجْتنبُ

وارحل إذا كانت الأوطانُ مضيعةً

فالمندَلُ الرطبُ في أوطانِهِ حطبُ

ويعقب صاحب العقد، قائلاً :وهذان البيتان ليسا له ...الخ.

ثم يقول :وما ذكره ابن حزم، من أنه لم يولد لشكر، فيه نظر، لأن صاحب المرآة([29])، نقل عن محمد الصابي، أن أبا جعفر محمد ابن أبي هاشم الحسيني) الحسني (أمير مكة([30])، كان صهر شكر على ابنته .أ ه.

وعندما تحدث الدحلان عن شكر وأبيه خلط في آخر ترجمة أبيه بينهما، فذكر أن البيتين :)وصلني الهموم ..الخ (لأبي الفتوح ولعله وهم .ثم يقول :([31])ثم ولي مكة بعد أبي الفتوح ابنه شكر، الملقب بتاج المعالي واسمه محمد ويكنى أبا عبد الله .وكان جواداً عظيم القدر، وفقد عليه بعض العرب، وكانت تحت العربي فرس مشهورة عجيبة الخلق فأعجبت الشريف شكراً، لكن لم يسعه طلبها من العربي لكونه نزل عليه ضيفاً، فلما رجع ذلك العربي إلى أهله أرسل إليه الشريف شكر بعض قواده بمائة دينار، وقال :انزل عليه في بعض الطريق واشتر منه الفرس لك لا لي، ولا تذكرني له، فأدرك القائد ذلك العربي في بعض المنازل فنزل عليه، فلما عرفه أكرمه وفرح به، فأتاه بعد ساعة بلحم فأكل ونام، وفي الصباح ذكر له ما جاء من أجله وأنه يريد شراء الفرس، فأتاه العربي بجلده وأكرعها، وقال :إنك لما نزلت علينا

البارحة كرهنا أن لا نذبح لك، فما وجدنا غير الفرس، فذبحناها، فشكر له القائد ذلك، وأسلمه المائة الدينار ورجع إلى الشريف شكر وأخبره، فقال له :أحسنت، ولو رجعت بالدراهم ألحقتك بالفرس، وأما الآن فأنت حر لوجه الله ([32]) !ثم ذكر وفاته في رمضان سنة 453)هـ (وخالف ذلك صاحب عمدة الطالب فقال :سنة464) هـ (فلعله خطأ من الناسخ . ثم ذكر البيتين) قوض خيامك(، وقد تقدما ونفيهما عنه، مع ملاحظة أن الدحلان نسب البيتين) وصلتني الهموم (إلى أبي الفتوح، وهذا خلاف ما في دمية القصر الذي هو المرجع الأصلي فيهما.

ولم يخرج في باقي أخباره عما قدمنا سابقاً.

أما العصامي فيسمي كل من تقدم بالسليمانيين، والحقيقة أن الطبقات الأربع :آل جعفر بن محمد، الذين يلقبون) بالموسويين(، والسليمانيون، والهواشم، والقتاديون، كلهم يرجع نسبهم إلى موسى الجون .فجعفر مؤسس الطبقة الموسوية، هو جعفر بن محمد بن حسين بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله الرضى بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنَّى ابن الحسن السبط.

والسليمانيون هم بنو أبي الطيب– واسمه داود –ابن عبد الرحمن بن القاسم بن أبي الفاتك بن داود بن سليمان بن عبد الله الرضى ابن موسى الجون .والهواشم، هو بنو أبي هاشم– واسمه محمد– ابن جعفر بن محمد بن عبد الله بن أبي هاشم بن حسين الأمير ابن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله الرضى بن موسى الجون .ومن مؤرخيهم من يرى أن الهواشم نسبة إلى أبي هاشم بن حسين الأمير، وكلاهما على شجرتهم، وسنعود إلى ذلك.

وبنو قتادة، هم بنو قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبد الله الأكبر بن محمد الثائر بن موسى الثاني ...الخ .فكلهم موسويون، ولكنهم نسب كل منهم إلى جده الأدنى تفريقاً عن غيره، ولما أن بني جعفر بن محمد أول من ملك الحجاز انتسبوا إلى موسى نسب اعتزاز، ودفعاً للاشتباه كيلا يظن أنهم بنو جعفر بن أبي طالب .ونجد أن الشيخ أحمد السباعي عندما رأى العصامي بوب لبني جعفر بالسليمانيين أهمل التبويب لهم، وبينما هو– كما سيأتي –بوب للسليمانيين باسم) الطبقة الثانية من الأشراف) (السليمانيون.([33]) (

ومن آخر ما حقق في تأريخ مكة كتاب إتحاف الورى لابن فهد، فجاء في حوادث سنة 453)هـ (وفيها :مات أمير مكة شكر بن أبي الفتوح الحسني في رمضان، وبه انقرضت دولة السليمانية، وولي بعده إمرة مكة عبدٌ له، هكذا ذكر ابن حزم في الجمهرة، وقال صاحب مرآة الزمان– نقلاً عن محمد بن هلال :–إنه ولي مكة بعد شكر بنو أبي الطيب الحسنيون.

الخلاصة :

–1الخلط بين الطبقات التي حكمت، راجع إلى عدة أسباب :

)أ (عدم دقة التدوين في ذلك الزمن، فنرى معظم مؤرخي مكة ينقلون عن ابن حزم، وهو على فضله عاش بعيداً عن الحجاز، تأتيه الأخبار من غث وسمين، وقد رددنا عليه في) معجم قبائل الحجاز (ما قاله عن كثير من تلك القبائل، فقد أفنى قبائل لا زالت بقضها وقضيضها في ديارها وبنفس أسمائها وأسماء فروعها.

)ب (كون هذه الأسر ترجع كلها إلى جد واحد، فيسمي الناس هؤلاء بني فلان، وقد يسمون بني عمهم بنفس الاسم .وقد ركزنا على تسلسل الأشخاص بصرف النظر عن اختلاف الطبقات.

–2حكمت الطبقة الموسوية، التي فرغنا الآن من أخبار آخرها) شكر(، مدة (95) خمس وتسعين سنة، من453 – 358) هـ(، وأولها جعفر بن محمد، وآخرها شكر بن أبي الفتوح الذي انقرضت الدولة بموته، وبدأ حكم السليمانيين أو آل أبي الطيب.

–3الخوض في عبد شكر بلا علم، فلا اسمه معروف، ولا مدته، ولا العقل يهضم أن يحكم مكة عبد، وهي مشحونة بأسر الأشراف، فلا هم يرضون بذلك، ولا الناس تقبل إمامة عبد، ولا الشرع يجيز ذلك.

ولكن الذي يتبادر إلى الذهن– إن صحَّت الرواية –فإن العبد تجرأ فور وفاة سيده فقام بالأمر، ثم أُسكت أو قضي عليه خلال ساعات، ولا أظنها أياماً، ولولا أمانة التأريخ ما ذكره كثير من مؤرخي مكة.

إلاّ أن السيدة إلهام سراج عمر أكبر، في رسالتها لنيل درجة الماجستير عن بلاد ينبع، جاءت بخبر ما رأيته قبل هذا، وهو أن عبد الشريف شكر الذي خلفه اسمه) :طِراد بن أحمد (([34])وإحالته على غاية المرام(1/497) :، وعلى السباعي .(1/201) :ولكن بمراجعة المرجعين لم يوجد فيهما اسم العبد الذي دعته إلهام) طراد بن أحمد (وما ذكره من سبقها، فمن أين أتت بهذا الاسم؟ وترى بعد هذا روايتها عن حمزة بن وهاس التي ناقشناها هناك .([35])ولم أنقل عن هذه الرسالة إلا هاتين الروايتين لغرابتهما، ولم تأتيا بشيء.

ثانياً :دولة الأشراف السليمانيين

5-الشريف أبو الطِّيب، وقومه السليمانيون، ودولتهم من455-453) هـ1063-1061 /م :(

وهم الطبقة الثانية من أشراف الحجاز .ينسب الأشراف السليمانيون إلى جدهم سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما.([36])

سكن السليمانيون مكة المكرمة بجوار بني عمهم الموسويين، فلما توفى شكر بن أبي الفتوح الموسوي، سارع السليمانيون إلى الاستيلاء على الحكم، فكونوا دولة لم تدم طويلاً كما سيأتي، فهاجمهم بنو عمهم الهواشم فانتزعوا ملك مكة منهم، فجلى السليمانيون إلى المخلاف السليماني) منطقة جازان اليوم (فانتشروا هناك ثم صارت لهم دول في ذلك المخلاف، ولهم اليوم فروع منتشرة في منطقة جازان ومحافظة القنفذة التابعة إمارة مكة المكرمة، من أهمها :آل القطبي، وآل الخواجي، وآل الذروي وغيرهم، وفي محافظة القنفذة ::آل ابن حمزة، الفداحية، آل شبير، وغيرهم.

أبو الطيِّب :يقول صاحب العقد الثمين، في باب الكنى :(8/57) :أبو الطيب ابن عم أبي الفتوح الحسني أمير مكة.

ذكر بعض المؤرخين أن الحاكم العبيدي ولاه الحرمين لما خرج ابن عمه أبو الفتوح عن طاعته ولعله، والله أعلم، أبو الطيِّب بن عبد الرحمن بن قاسم بن أبي الفاتك بن داود ابن سليمان بن عبد الله بن عبد الله بن موسى ابن عبد الله بن الحسن) المثنى (بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

قلت :هذا التسلسل– فيما يبدو –هو الصواب، غير أن محقق العقد، قال :كذا تكرر عبد الله،– أي عبد الله بن عبد الله –في الأصول، وقد ذكر ابن حزم في الجمهرة أولاد موسى بن عبد الله بن الحسن ...الخ، ولم يتكرر فيها عبد الله كما تكرر في) أصول العقد الثمين.(

وتمام نص الفاسي في العقد :هكذا رأيت أبا الطيّب هذا منسوباً في حجر بالمعلاة، مكتوب فيه إنه قبر يحيى بن الأمير المؤيد بن الأمير قاسم بن غانم بن حمزة بن وهَّاس بن أبي الطيب، وساق بقية النسب كما سبق.

وذكر ابن حزم في الجمهرة– القول للفاسي –أبا الطيب هذا، وساق نسبه كما ذكرنا، إلا أنه أسقط– في النسخة التي رأيتها في الجمهرة –قاسماً، بين عبد الرحمن وأبي الفاتك، ويسمى أبا الفاتك عبد الله.

وذكر أن لعبد الرحمن اثنين وعشرين ذكراً، فذكرهم وذكر أبا الطيب فيهم، ثم قال :سكنوا كلهم أذَنَة، حاشا نعمة وعبد الحميد وعبد الكريم، فإنهم سكنوا أمج بقرب مكة .ولعل سكناهم أذَنَة للخوف من أبي الفتوح بسبب تأمُّر أبي الطيب بعده .وأستبعد– والله أعلم –أن

يكون الذي ولاّه الحاكم عِوَض أبي الفتوح أبا الطيب بن عبد الرحمن، لكون ابن جرير لم يذكر لأبي الطيب بن عبد الرحمن ولاية.

وذكره الشريف النسابة محمد بن محمد بن علي الحسيني في» أنساب الطالبيين «من بني أبي الفاتك هذا، وعد فيهم قاسماً وعبد الرحمن، قال :في كل منهما له عدد، إلا أنه قال في عبد الرحمن :أعقب من ولده لصلبه أحد عشر ذكراً، فيحتمل أن يكون والد أبي الطيب كما ذكر ابن حزم، ويحتمل أن يكون عم أبيه، واشتركا في الاسم .انتهى ما نقلناه على صاحب العقد الثمين .وهنا تعلقيان :

-1ذَيَّل محقق العقد على) أَذَنة (فقال :بالتحريك، ويقال أيضاً بكسر الذال، بلد من الثغور قرب المصيصة .قلت :وكان يذكر لفظ) أَذَنة (قرب حائل .وفي فلسطين) أُذْنة (قرية آهلة رأيتها سنة(1377) ، أما أذنة الثغور فتعرف اليوم باسم) أَطَنة :(وفي المعاهدات بين الحسين بن علي والإنجليز حددت بلاد العرب الواجب تحريرها من عدن إلى أطنة، وهذه كانت من بلاد الروم، فيستبعد أن يستوطنها الأشراف آنذاك، ولعل الصواب) أُذنة (في فلسطين لأنها من بلاد الشام.

-2قوله :حاشا :نعمة وعبد الحميد وعبد الحكيم، فإنهم استوطنوا أمج.

أقول :يعرف أمج اليوم بخُليص، وليس فيه أحد من هذه السلالة.

أما صاحب خلاصة الكلام فقد قال– في معرض كلامه –عن شكر المتقدم :ولم يخلف بعده إلا بنتاً، فولي الأمر بعده) عبدٌ له(، فغضب لذلك بنو الطيب المتقدم ذكره ([37])فانتزعوا

الملك منه، ووقعت بينه وبين بني أبي الطيب مظالم وأشياء يطول الكلام بذكرها، وكان ممن ولي مكة من بني الطيب محمد بن أبي الفاتك بن عبد الرحمن بن جعفر.([38])

وفي سنة455) هـ (قدم إلى الحج صاحب اليمن علي بن محمد الصليحي، فدخل مكة في سادس ذي الحجة وملكها وانتزعها من بني أبي الطيب، واستعمل العدل والإحسان لأهل مكة فرخصت الأسعار واستراح الناس جداً وكثر الدعاء له، واستمر بمكة إلى يوم عاشوراء، وقيل إلى ربيع الأول، فقام الأشراف الحسنيون عليه، وقالوا له :أخرج إلى بلدك واجعل لك بمكة نائباً .فجعل على مكة محمد بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن هاشم .انتهى مختصراً .
)خلاصة الكلام.(18 :

قلت :وفي هذا التأريخ بدأت دولة الهواشم، الطبقة الثالثة من أشراف الحجاز.

أما العصامي فيذكر ما فيه بعض الخلاف عما تقدم، فيعقد عنواناً بارزاً، فيقول :

ذكر دولة السليمانيين، ومنهم آل أبي الطيب :([39])

قال ابن خلدون :وكان كبيرهم آخر المائة الثانية محمد بن سليمان، وليس هو سليمان ابن داود بن المثنى، لأن ذاك ذكر ابن حزم أنه قام بالمدينة أيام المأمون، وبين العصرين نحو مائة سنة، فيبعد أن يكون محمد بن سليمان هذا هو محمد بن سليمان بن داود القائم بالمدينة، إلا أنه من ولده.([40])

كان أول من خطب لنفسه بالإمامة محمد ابن سليمان) هذا (سنة 301) م (أيا المقتدر العباسي، وخلع طاعة العباسيين وخطب في الموسم، فقال :

الحمد لله الذي أعاد الحق إلى نظامه، وأبرز زهر الإيمان من أكمامه، وكمَّل دعوة خير الرسل بأسباطه لا ببني أعمامه، صلى الله عليه وعلى آل الطاهرين، وكف عنهم ببركته إساءة المعتدين وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم الدين، ثم أنشد :

لأطلبنّ بسيفي ما كان للحق دينا

وأسطونّ بقومٍ بغوا وجاروا علينا

يهدون كلّ بلاءٍ من العراق إلينا

وكان يلقب بالزيدي نسبة إلى نحلته من مذهب الإمامية.

قلت :وهذا الثائر في نهايته غموض، فلم أجد من ذكر هذه النهاية، غير أن أمره لم يدم طويلاً، ولعله قتل في تلك السنة أو التي بعدها .والله أعلم.

أما محمد بن جار الله أو محمد جار الله ابن محمد نور الدين، صاحب الجامع اللطيف، فيقول :([41])ثم ولي مكة بعد شكر بنو أبي الطيب الحسينيون([42])، وهم الذين يقال لهم السلمانيون، من جماعة شكر، ولم يذكر الفاسي عدتهم) أي مدة حكمهم(، ثم ولي مكة علي بن محمد الصُّليحي صاحب اليمن، وذلك في سنة455) هـ (في شهر ذي الحجة، وأظهر العدل) ...إلى آخر قصة الصليحي المتقدمة .(ثم ولي بعده نائباً أبو هاشم محمد بن جعفر بن محمد) ...إلى آخر ما سيأتي في دولة الهواشم .(أما الشيخ السباعي ([43])شيخ مؤرخي مكة في هذا العصر، فذكر دولة السليمانيين، فقال :الطبقة الثانية من الأشراف» السليمانيون.«

ولم يدم حكم العبد طويلاً في مكة([44])، لأن السليمانيين، أصحاب الطبقة الثانية من الأشراف، لم يلبثوا أن قبضوا على أزمة الأمر بعد أن أجلوا العبد عن الحكم، وأجلوا بذلك جميع الموسويين من الأشراف حكام الطبقة الأولى.([45])

ثم يقول :ولم يتمتع السليمانيون طويلاً بهذا الحكم، فقد اقتحم عليهم الصليحي صاحب اليمن بعد سنتين من استئثارهم بالحكم، ولم يذكر مؤرخو مكة أسماء من تولى مكة منهم إلاّ اسم محمد بن عبد الرحمن من أحفاد أبي الفاتك .أ هـ، ما قاله السباعي .وقد ذيل في هامش ص (201)بقوله :هم أولاد سليمان بن عبد الله بن موسى الجون ..الخ.

قلت :وظاهر الغموض في تأريخ هذه الأسرة، ولعل ذلك يرجع إلى عدة عوامل، منها :

-1عدم وجود مؤرخين آنذاك في مكة يرصدون الحوادث أولاً بأول.

-2حداثة الدولة، ذلك أن قصر مدة الدولة لا يمكِّن المؤرخ من تدوين حوادثها، بل إن قصر المدة مما يزهد في ذلك، لعدم انتفاع الناس بها وعدم استقطابها للفئات النابهة، كما أن الدولة المتغلبة كثيراً ما تصل إلى هذا المكان بالإكراه وإرهاب الأمة، وقسرها، كما هو مشاهد في كل عهد جديد، مما يجعل الدولة مبغضة من فئات الأمة، ولذا فهم إما يهملونها أو يلصقون بها ما لم تأت، وهذا مقروء ومشاهد، إلا أن هذه الأسر الشريفة لها أثر روحي قد يجعل الكثيرين يتورعون من بهتها ومنابذتها، فيكون إهمالها أهون عليهم.

-3خمول سبق قيام الدولة لما كان يتلقاه العلويون من الدولة العباسية من سجن وتشديد بلغ من القسوة أن ولد لنا الباطنية والمدعية، ولذا أُبهم على المؤرخين الأمر واختلفوا في

عدهم إلى موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى، على أن ذريتهم اليوم يحتفظون بمشجرات صحيحة وسليمة العد، لا يتطرق إليها الشك.

وأخيراً لم أرد من ذكر ولادة أبي الطيب ولا وفاته، ولم يصرح أحد أنه استلم الحكم إلا ما تقدم في أخبار أبي الفتوح، وخروجه على العُبيدي.

ولم أر من ذكر مدى اتساع دولة السليمانيين، غير أنه من الواضح أنهم لم يجمعوا بين الحرمين، يؤخذ ذلك من قول صاحب تأريخ أمراء المدينة المنورة :([46])حيث ذكر أن محمد بن جعفر– أحد طبقة الهواشم –أمير الحرمين سنة463) هـ(، وأول ولايته لمكة سنة455) هـ(، وهو ما سيأتي إن شاء الله.

أي أن محمداً هذا هو الذي ورث السليمانيين ثم لم يبسط نفوذه على المدينة إلا بعد ثمان سنين، فلوا أن السليمانيين كانوا قد جمعوا بين مكة والمدينة كان مستبعداً انفصال المدينة في هذه السنوات، والله أعلم.

انتهى بحث آل أبي الطيب من الأشراف السليمانيين، وبنهايته انتهت الطبقة الثانية من أشراف الحجاز.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

–6الشريف ابن وهَّاس –) ([47])هـ – /م :(

حمزة بن وهّاس بن أبي الطيب، الشريف السليماني، الشهير بابن وهاس، ممن حكم مكة أو ترأس السليمانيين في آخر عهدهم.

لم أجد من ترجم له فيما بين يدي من مراجع، ولكن له نبذاً هنا وهناك، وذكره عند السادة السليمانيين نابه، ويعدونه أشهر أسلافهم بعد جدهم سليمان، وإن كان جده أبو الطيب أشهر منه عند المؤرخين .ونظراً لهذه الشهرة لم يسعني تجاهله، فإليك نبذاً مما ورد عنه في بعض تواريخ مكة.

التقي الفاسي، لم يذكره في العقد رغم أنه ذكر حفيده الآتية ترجمته، ولكنه ذكره في شفاء الغرام([48])، فقال– بعدما ذكرناه في ترجمة أبي هاشم اللاحقة :–فقصده الحسنيون بنو سليمان مع) حمزة ابن أبي وهاس (كذا قال الفاسي) ابن أبي وهاس(، والصواب ابن وهاس من طرق كثيرة، منها :ترجمة حفيده التالية .ثم يقول :ولعل بني أبي الطيب المشار إليهم في هذا الخبر، من أولاد الطيب الذي ذكرنا نسبه، ولعل حمزة ابن أبي وهاس) ابن وهاس (المذكور في هذا الخبر أيضاً حفيد أبي الطيب المشار إليه، لأن ذلك يوافق ما في الحجر الذي رأيته بالمعلاة .([49])والله أعلم.

ثم أحال الفاسي على) المرآة (حوادث سنة455) هـ .(فإذا كان يقصد مرآة الجنان لليافعي، فإن هذا الخبر لم يرد في حوادث السنة المذكورة، ولا قبلها بسنوات ولا بعدها بمثل ذلك، وهي السنوات التي كان للصليحي كلمة فيها على مكة.

وقال عبد العزيز بن فهد– ([50])ولعله عن الفاسي نقل، بعد خبرصص :– أفام نائباً عنه بمكة محمد بن أبي هاسم، فقصده الحسنيون بنو سليمان مع حمزة بن أبي وهاس ..إلى آخر رواية الفاسي المتقدمة.

ثم قال :([51])وذكر صاحب المرآة ما يقتضي أن بني أبي الطيب ملكوا مكة بعد شكر، وهذا خبر تقدم وبعده ما يوضحه .في مكان آخر ,قال :([52])وهذا الذي ذكره صاحب المرآة يتضمن ولاية ابن أبي الطيب لمكة بعد شكر، ثم ولاية الصليحي لها، ثم ولاية ابن أبي وهاس.

وفاته :بما أنه لم تصل إلينا ترجمة لحياته، فمن الحاصل ألا يكون لدينا تأريخ لوفاته، ولكن من الثابت أنه عاصر كلاً من أبي هاشم محمد بن جعفر، وأمير اليمن :علي بن محمد بن علي الصُّلَيْحي، فالأول توفي سنة 586) أو587 هـ(، أما الثاني) الصُّلَيْحي (فقد توفي سنة 573)هـ.(

ولكن يبدو أن المرآة التي ذكرها الفاسي هي) مرآة الزمان (لسبط ابن الجوزي المتوفى سنة 654)هـ (وهو كتاب ليس بين يدي، ولكن لا أعتقد أن الفاسي ترك مما يخص حمزة شيئاً في ذلك المرجع.

أما ابن عنبة، فقال :أبو الطيب داود بن عبد الرحمن، وذكر أنهم في عهده في المخلاف، وعد منهم بني وهاس، وسبعة بطون غيرهم.([53])

ثم قال :وأعقب وهاس بن أبي الطيب :محمداً وحازماً ومختاراً وصالحاً وحمزة .ولحمزة بن وهاس هذا صارت مكة، بعد وفات شكر.

ثم قال :وقامت الحرب بين بني موسى الثاني) الهواشم (وبين بني سليمان مدة سبع سنين، حتى خلصت للأمير محمد بن جعفر أبي هاشم، ولم يملكها من بني سليمان سوى حمزة بن وهاس.

قال مؤلفه :وهذا النص فيه :

-1إنه حمزة بن وهاس، وليس كما قال الفاسي) ابن أبي وهاس.(

-2غالب هذا النص لم يرد في تواريخ مكة المتقدمة، وما ورد هنا يشوبه التشويش، وقول ابن عنبة عليه المعول لأن رسالته هذه متخصصة في أنساب آل أبي طالب .([54])وبهذا يكون قد انجلى كثير من الغموض الذي كان يكتنف هذا البحث، ولكن تظل وفاة ابن وهاس غي معروفة لدينا، ولعل ذلك يعود إلى انتقاله إلى اليمن، وبعده عن المؤرخين فغمض عليهم.

وجاء في رسالة الطالبة إلهام سراج عمر أكبر، المقدمة لنيل درجة الماجستير في) بلاد ينبع (لسنة 1419) هـ 1999/م (جاء ذيلاً ص) :(122) حمزة بن وهاس هو أبو الطيب داود بن عبد الرحمن بن قاسم بن أبي الفاتك عبد الله بن داود بن سليمان ...الخ.

قلت :كيف يكون حمزة أبو الطيب داود ..الخ؟ وأحلت على ابن عنبة ص224) ، .(225 ولكن محل الإحالة لم يظهر فيه ما ذكرت، بل قال :وأعقب وهاس بن أبي الطيب ستة رجال .ومعنى ذلك :أن حمزة بن وهاس بن أبي الطيب .والله أعلم.

7–الشريف علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس بن أبي الطيب، يكنى أبا الحسن، ويعرف بابن وهاس، من الأشراف السليمانيين، وكان من آخر من بقي منهم في مكة –   ) .
550هـ 1155 –   /م.(

ذكره التقي الفاسي([55])، نقلاً عن العماد في الخريدة([56])، فقال :من أهل مكة وشرفائها وأمرائها، من بني سليمان بن حسن، وكان ذا فضل غزير، وله تصانيف مفيدة، وقريحة في النظم والنثر مجيدة .قرأ على الزمخشري ([57])بمكة وبرز عليه، وصرفت أعنة طلبة العلم بمكة إليه .توفي في أول ولاية الأمير عيسى ابن فليتة أمير مكة، في سنة ست وخمسمائة، وكان الناس يقولون :ما جمع الله بين ولاية عيسى، وبقاء علي بن عيسى.

أنشدني له من قطعة :

أهلا بها من بنات فكر

إلى أبي عذرهن صاد([58])

وله مرثية في الأمير قاسم، جدّ الأمير عيسى .انتهى ما ذكره العماد من خبره، وسنذكر هذه في ترجمة قاسم.

ومن شعره ما ذكره الحافظ أبو طاهر السلفي في» معجم السفر «له، وقد روينا عن الحافظ أبي طاهر السلفي .قال :أنشدنا أبو بكر شهم بن أحمد بن عيسى الحسني المكي بديار مصر .وذكر أنه كتب عنه أشياء من الشعر لابن وهاس لغرابة اسمه، قال :أنشدني أبو الحسن علي بن حمزة لنفسه بمكة :

وسائلةٍ عني أهَلّ هو كالذي

عهدنا صرومَ الحبلِ ممن يجاذِبُه

أم ارتجعتْ منه الليالي وربما

تُفَلِّلُ من حد اليماني مضاربُهْ

فقلت لها إني لترَّاكُ منزٍ

إلى حبيب حين يزوَرُّ جانبُهُ

ومن شعره ما مدح به شيخه أبا القاسم الزمخشري حيث يقول :

وأحرِ بأن تزهو زمخشَر بامرئ

إذا عُدَّ من أُسدِ الشرا زَمَخَ الشرا

جميعُ قرى الدنيا سوى القريةِ التي

تبوأها داراً فِداءَ زمخشرا

وللزمخشري في ابن وهاس يمدحه:

ولولا ابنُ وهاس وسابق فضلِهِ

رعيتُ هشيماً وانتقيت مُصَرَّدا

ولأجل ابن وهاس صنف ابن حزم» الكشاف.«

وبلغني عن شيخنا القاضي مجد الدين الشيرازي، أن ابن وهاس هذا، اسمه :عُلَيّ([59])، بضم العين المهملة وفتح اللام تصغير علي، وهذا بعيد أن يقع من الأشراف، لفرط حبهم في علي رضي الله عنه، فلا يصغرون اسمه، ولم أر ذلك في شيء من الكتب المؤلفة في» المؤتلف خطأً والمختلف لفظاً «وقد ذكروا فيها من هو دون ابن وهاس، والله أعلم.

وكان ابن وهاس هذا إمام الزيدية بمكة، كذا ذكر ابن المستوفي في» تاريخ إربل «في إسناد حديث رواه عن الشريف تاج العلاء أبي زيد الأشرف بن الأعز بن هاشم الحسيني عنه، عن أبي طاهر المخلص، وقال :هكذا أملى علينا هذا الحديث، تاج العلاء، وقد سقط بين »السليماني «يعني ابن وهاس، وأبي طاهر، لأنه لا يتصور أن يكون السليماني أدرك أبا طاهر . انتهى.

ومن الفوائد المنقولة عن ابن وهاس، أن» وادي الزاهر «أحد أودية مكة المشهورة، فيما بين التنعيم ومكة، هو» فخ «الذي ذكره بلال رضي الله عنه في شعره.

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة

بفخ وحولي إذخر وجليل

قال ومؤلفه :وقد علق على الترجمة محقق العقد الثمين، هكذا :وقد ترجم له أيضاً الصفدي في الوافي بالوفيات) القسم المخطوط (وقال» :توفي سنة نيف وخمسين وخمسمائة، وهو في عشر الثمانين وأصله من اليمن.«

كما ترجم له عمارة اليمني في آخر كتابه» المختصر المفيد في أخبار زبيد «قسم الشعراء . وذكره ياقوت في معجم البلدان) مادة زمخشر (حين تحدث عن ابن حزم .وكذلك فعل القفطي في إنباه الرواة.(3: 365)

قال مؤلفه :أما تسميته بعُلي، بالتصغير، فلعلها كانت من باب تدليل الوالدين في صغره، فهذه من عادة العرب عامة وأهل الحجاز خاصة، فهم يدللون واصلاً بوصيل، ومن حُمِّد بحُمَيْد أو حُمَيْدان ..الخ .أما قول صاحب الوافي بالوفيات :وأصله من اليمن .قد لجأوا إلى المخلاف السليماني، فظنه موطنهم الأصلي، وأن علياً هذا كان مجاوراً بمكة، وليس كذلك، فهو من السليمانيين الذين صارت لهم دولة بمكة، تحدثنا عنهم قبيل هذا.

ثالثاً :دولة الأشراف الهواشم

الأشراف الهواشم، الطبقة الثالثة من أشراف الحجاز

من سنة 597 – 456) هـ 1200 –1063 /م(

أي نحو (142) سنة هجرية

***

يسمون الهواشم ويسمون الأمراء، أما تسميتهم بالهواشم فنسبة إلى جدهم محمد أبي هاشم مؤسس دولتهم، الآتي ذكره، أما تسميتهم بالأمراء فنسبة إلى جدهم :الحسين الأمير، قال ابن عنبة :وأما محمد الأكبر بن موسى الثاني، ويقال له :الثائر، فأعقب من صلبه خمسة رجال وهم :عبد الله الأكبر والحسين الأمير ..الخ([60])، وذريتهم اليوم منتشرون في مكة ومر الظهران، وينتسبون :الأشراف الهواشم، والأشراف الأمراء.

–8الشريف أبو هاشم محمد بن جعفر

586–)أو587 هـ 1190– /أو1191 م:(

سبق معك في البحث السابق قصة الصليحي صاحب اليمن، واستيلاؤه على مكة والحج بالناس سنة455) هـ(، فلما قضى حجه، يقول الفاسي :وأقام إلى يوم عاشوراء– أي سنة 456)هـ –(وراسله الحسنيون، وكانوا قد أبعدوا عن مكة :اخرج من بلدنا ورتّب منا من تختاره، فرتّب محمد بن أبي هاشم في الإمارة، ورجع إلى اليمن .ومحمد ابن أبي هاشم صهر شكر على ابنته، وأمّره على الجماعة– أي الصليحي –وأصلح بين العشائر، واستخدم له العساكر، وأعطاه مالاً وخمسين فرساً وسلاحاً ..الخ.([61])

قلت :ويكاد يجمع المؤرخون على أن محمداً هذا هو محمد أبو هاشم بن جعفر بن محمد أبي هاشم بن عبد الله بن محمد أبي هاشم بن الحسين الأمير بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله بن موسى الجَون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب.

ودامت ولاية أبي هاشم ثلاثين سنة، أي من486–456) هـ.([62]) (

ولكن حفيد هؤلاء الهواشم الشاب :إبراهيم بن منصور، مؤلف كتاب) :الأشراف الهواشم الأمراء ([63]) (يستدرك قائلاً :وهم من بني أبي هاشم محمد الأمير بن الحسين الأمير بن محمد الثائر بن موسى الثاني– إلى آخر ما تقدم –ثم :وأول من تولى إمرة مكة منهم أبو هاشم الأصغر محمد بن عبد الله بن أبي هاشم محمد الأمير بن الحسين الأمير، بخلاف ما قرره المؤرخون من أن طبقة الهواشم عرفت من عهد أبي هاشم محمد بن جعفر.([64])

وإتمام رواية الفاسي في شفاء الغرام ...:وأقام محمد ابن أبي هاشم بمكة نائباً عنه) الصليحي (فقصده الحسنيون بنو سليمان مع حمزة بن أبي وهاس، فلم يكن له به طاقة فحاربهم وخرج

من مكة فتبعوه، فرجع فضرب واحداً منهم ضربة فقطع ذراعه وفرسه وجسده ووصل)السيف (إلى الأرض، فدهشوا ورجعوا عنه، وكان تحت فرس تسمى» دنانير «لا تكل ولا تمل، وليس لها في الدنيا شبيه .ومضى إلى وادي ينبع وقطعه الطريق عن مكة ...إلى أن يقول :ولعل حمزة بن وهاس المذكور في هذا الخبر حفيد أبي الطيب المشار إليه.

وذكر شيخنا ابن خلدون ما يقتضي أبن ابن أبي هاشم ولي مكة في سنة454) هـ (بعد أن قاتل السليمانيين) قوم شكر (وغلبهم ونفاهم عن الحجاز، والله أعلم بذلك.

وعاد ابن أبي هاشم بعد خروجه من مكة إلى إمرتها، ودامت ولايته عليها– فيما أحسب – إلى أن مات في سنة بضع وثمانين، كما ذكر ابن الأثير وغيره، ورأيت في تأريخ ابن الأثير أن هؤلاء) التركمان (طلبوا من ابن أبي هاشم أموال الكعبة التي أخذها وأنهم نهبوا مكة ..الخ . وهو– أي أبو هاشم –أول من أعاد الخطبة العباسية بمكة، بعد قطعها من الحجاز نحو مائة سنة، ونال بسبب ذلك مالاً عظيماً من السلطان الب أرسلان السلجوقي، فإنه خطب له بمكة بعد القائم الخليفة العباسي،) خلافته468 – 422 :هـ(، وصار بعد ذلك يخطب حيناً للمقتدي بن القائم العباسي، وحيناً للمستنصر العُبَيدي صاحب مصر، ويقدم في ذلك من تكون صلته أعظم، ولعل ذلك سبب إرسال التركمان إلى، وذكر شيخنا ابن خلدون أن مدة إمرته على مكة ثلاثون سنة، وأنه ملك المدينة، انتهى عن شفاء الغرام بقليل من الاختصار.

أما النجم ابن فهد، فيقول في حوادث سنة456) هـ :(فيها في المحرم بعث الأشراف الحسنيون إلى علي بن محمد الصليحي– وكانوا قد هربوا عن مكة لما دخلها الصليحي :–أن أخرج من بلادنا ورتّب منا من تختاره .فرتب أبا هاشم محمد بن جعفر ابن محمد بن عبد الله ابن أبي هاشم محمد بن الحسين) الأمير ...(الخ النسب المعروف .وكان صهر شكر بن أبي الفتوح علي ابنته، وأمرَّه– أي الصليحي –على الجماعة، إلى آخر ما نقلناه سابقاً عن رحل إلى اليمن

متخوفاًَ من الأشراف العلويين، لأنهم تجمعوا، فكان أن وقع الوباء في أصحابه، فمات منهم سبعمائة رجل، ولم يبق منهم إلاّ نفر يسير، فأقام بمكة– نائباً عنه –أبا هاشم ثم سار الى اليمن .([65])ثم الرواية المتقدمة، وقصة محاربة السليمانيين له، وفرسه دنانير وضربة السيف البتار، وسفره إلى ينبع ...الخ.

ونراجع كتاب العز بن فهد ([66])فنجده لم يشذ عن أبيه ومن تقدمه، فينقل عن صاحب المرآة حج الصليحي سنة455) هـ(، وما فعله الصليحي وما فعله الأشراف في نهاية الحج، وتولية محمد بن جعفر الأمير.

إلا أن العز يورد :وذكر بعضهم أنه لما افتتح الخطبة العباسية قال:

الحمد لله الذي هدى بأهل بيته إلى الرأي المصيب، وعوّض بنيه بلبسة الشباب بعد المشيب، وأمال قلوبنا إلى الطاعة، ومتابعة أهل الجماعة .وترك الأذان بحي على خير العمل ([67]) وكان فعله ذلك سنة462) هـ.(

ثم يقول :فلما لم يصل– في سنة467) هـ –(من جهة الخليفة العباسي ما كان يصل لأمير مكة، قطع خطبة المقتدي العباسي، وصادف مع ذلك أن المستنصر) العبيدي (أرسل إليه بهدايا وتحف ليخطب له، وقال له :إنما كانت أيمانك وعهودك للقائم وللسلطان ألب أرسلان، وقد ماتا، فخطب للمستنصر، ثم قطع خطبته في سنة468) هـ (وخطب للمقتدي :عبد الله بن محمد الذخيرة بن القائم العباسي .وصار يخطب تارة لبني العباس وتارة لبني عبيد .قال العز بن فهد :ثم هرب ابن أبي هاشم من مكة في سنة484) هـ (إلى بغداد لما استولى عليها التركمان الذين أرسلهم السلطان ملكشاه عبن ألب أرسلان السلجوقي للاستيلاء على الحجاز واليمن، إلى أن يقول :وذكر شيخنا ابن خلدون أن ابن أبي هاشم هذا جمع جموعاً من

الترك، وزحف بهم إلى المدينة، وأخرج منها بني حسين ([68])وملكها، وجمع بين الحرمين، وأن ولايته كانت (33) سنة.

ثم يقول :ووقع في النسخة التي رأيتها من تأريخ شيخنا ابن خلدون– في نسب ابن أبي هاشم هذا –سقط وتخبيط في نسبه، لأنه أسقط بن جعفر وأبي هاشم محمد بن عبد الله، وصحّف الحسين والد أبي هاشم بالحسن، والصواب ما ذكرناه، أي الحسين الأمير .ابن ظهيرة قال :([69])ثم عاد محمد بن جعفر إلى مكة بعد خروجه، واستمر متولياً إلى أن مات في سنة487) هـ (وهو أول من أعاد الخطبة العباسية بعد أن قطعت نحو مائة سنة .وقد بالغ ابن الأثير في ذمه، فقال :ما له ما يمدح به .قال الفاسي :ولعل ذلك لنهبه الحاج، وقتله خلقاً كثيراً منهم في سنة ست وثمانين، وذكر ابن خلدون أن إمرته على مكة كانت ثلاثين سنة، وأنه ملك المدينة.([70])

أما العِصامي فكعادته عقد فصلاً، قائلاً :هؤلاء الهواشم من ولد أبي هاشم محمد بن الحسن بن الحسن بن محمد بن موسى) الثاني([71])(، وبقية النسب كما هو معروف، وقد قدمناه.

قلت :قول العصامي محمد بن الحسن، لعله يقصد جد جد المترجم هنا، وهو أبو هاشم محمد بن الحسين الأمير بن محمد الثائر بن موسى الثاني .وجملة) الحسن بن الحسن (فيها :الحسن الأول مقحم لا أصل له، والحسن الثاني صوابه الحسين، وهو أول من لقب بالأمير، ولذا تنتسب ذريته اليوم الأمير .وهذا النسب متفق عليه إلى علي كرم الله وجهه.

ثم يقول العصامي :ولما مات شكر ذهبت الرئاسة من بني سليمان ([72])لأن شكراً آخرهم ولم يعقب .وتقدم فيهم طراد بن أحمد، ولم يكن من بيت الإمارة، وإنما كانوا يؤملونه لإقدامه ورأيه وشجاعته، وسبقت الإشارة إليه، ولكن العصامي هنا لم يقل أن طراداً هو عبد شكر، ثم

إنه ورد في غير مكان الإحالة، وعلى كل حال فإلماح الأخت هيام له ما يبرره مع غموض في قصة عبد شكر .وكان رئيس الهواشم يومئذ أبا هاشم محمد بن جعفر بن أبي هاشم محمد بن الحسن) الحسين ([73])(بن محمد ...اله، وكان قد ساد في الهواشم وعظم ذكره .فاقتتلوا سنة أربع وخمسين وأربع مائة، بعد موت شكر، فهزم الهواشم بني سليمان وطردوهم عن الحجاز، فساروا إلى اليمن، وكان لهم به ملك.([74])

فاستقل بإمارة مكة الأمير أبو هاشم محمد بن جعفر بن أبي هاشم محمد بن الحسن ([75]) المذكور، وخطب للمستنصر العبيدي .ثم ابتدأ الحاج العراقي سنة456) هـ (بنظر السلطان ألب أرسلان السلجوقي حين استولى ذلك فبذل المال وأخذ رهائن من العرب، وحج بالناس أبو الغنائم نور الهدى الزيني ([76])نقيب الطالبيين، ثم جاور في السنة التي بعدها واستمال الأمير أبا هاشم عن طاعة العبيديين، فخطب لبني العباس سنة ثمان وخمسين وأربع مائة458) هـ(، وانقطعت ميرة مصر عن مكة، فعذله أهله عما فعل، فرد الخطبة للعبيديين، ثم خاطبه القائم العباسي وعاتبه وبذل له الأموال فخطب له سنة462) هـ (بالموسم فقط، وكتب للمستنصر العبيدي الزيني– المتقدم –سنة463) هـ (أميراً على الركب العراقي ومعه عسكر ضخم لأمير مكة من عند ألب أرسلان، وثلاثون ألف دينار، وتوقيع بعشر آلاف دينار، واجتمعوا بالموسم، وخطب الأمير أبو هاشم للقائم العباسي، فقال :الحمد لله الذي هدانا أهل بيته إلى الرأي المصيب، وعوض بنيه لبسة الشباب بعد لبسة المشيب .وأما قلوبنا إلى الطاعة، ومتابعة الجماعة .فانحرف المستنصر ابن الظاهر بن الحاكم العبيدي) الفاطمي (صاحب مصر عن الهواشم، ومال إلى السليمانيين، وكتب إلى علي بن محمد الصليحي صاحب دعوتهم باليمن أن يعينهم) السليمانيين (على استرجاع ملكهم، وينهض معهم إلى مكة، فنهض وانتهى إلى المهجم([77])، وكان سعيد بن نجاح الأحول موتوراً من الصليحي قد جاء من الهند ودخل صنعاء فثار بها واتبع الصليحي وهو ف سبعين رجلاً والصليحي في خمسة آلاف فبيته بالمهجم وقتله.

ومعاصرنا أحمد السباعي، عقد فصلاً أيضاً، فقال :

الطبقة الثالثة من الأشراف» الهواشم.([78])«

ثم قال :ولم يطل مقام الصليحي في مكة إلى أكثر من شهر واحد لأنه ما لبث أن اختار لحكمها مؤسس الطبقة الثالثة؛ أبا هاشم محمداً بن جعفر بن محمد حفيد الحسين الأمير، وهو يجتمع مع الحسين هذا في الطبقة الأولى، كما يجتمع مع الطبقتين الأولى والثانية في جده الثامن عبد الله بن موسى الجون.

وقد زوده الصليحي بالمال والسلاح وأفرد له جيشاً يستعين به على امن البلاد .إلى أن يقول –ص :–(204) وهكذا ظل العباسيون والفاطميون يتناوبون استرضاء أبي هاشم بالهدايا والأموال عدة سنوات إلى أن كان عام484) هـ (حيث رأى العباسيون أن الفاطميين استطاعوا أن يستميلوه إليهم فقرروا أن يعاملوه بالعنف، فأرسلوا قوة من التركمان لقتال مكة فقاتلها أبو هاشم قتالاً عنيفاً، ثم يئس من النصر ففر إلى بغداد، ولعله أراد بذلك أن يسترضي العباسيين.

وعانت مكة كثيراً من الضيق والغلاء والشدة في هذا العهد، وذلك نتيجة طبيعية للنزاع الذي جرته الدعوة على منبر هذا البلد بين قوتين .وظل أبو هاشم في أخريات أيامه يدعو للعباسيين إلى أن توفي سنة487) هـ.([79])(

وبوفاة أبي هاشم انتقل الحكم إلى ابنه قاسم، كما سيتبع.([80])

وإذا كان لنا أن نرجع إلى مرجع معاصر هو) تأريخ أمراء البلد الحرام (للشيخ عبد الفتاح رواه ([81])نجده قال– يذكر الصليحي :–واستمر بمكة إلى يوم عاشوراء، وقيل إلى ربيع الأول أي سنة456) هـ (فقام عليه الأشراف الحسينيون، وقالوا :اخرج إلى بلدك، فجعل على مكة الشريف محمد بن جعفر ...الخ، قلت :قوله) الحسينيون، كذا (وصوابه) الحسنيون(، لأن أشراف مكة كلهم من ذرية الحسن بن علي رضي الله عنهما، أما الحسينيون فهم أشراف المدينة .ولم يتعرض مترجموه لنواحيه الاجتماعية، مثل :الزواج والأبناء ونحو ذلك.

–9الشريف قاسم بن محمد أبي هاشم، وباقي الترجمة في ت ترجمة أبيه المتقدمة قبل هذا
518–)أو 517 هـ 1124 – /م أو 1123 م:(

الفاسي، قال :وولي مكة بعد أبي هاشم قاسم بن محمد مدة يسيرة، ثم وليها بعده :أصبهيد)أصبهيد ([82])(بن سارتكين، لأنه في هذه السنة استولى على مكة عنوة، وهرب منها قاسم المذكور، وأقام بها أصبهيد إلى شوال سنة487) هـ .(ثم أن قاسماً جمع عسكراً وكسر أصبهيد بعسفان([83])، فانهزم أصبهيد إلى الشام فدخل قاسم مكة، ودامت ولايته عليها، فيما علمت، حتى مات سنة518) هـ.(

هكذا ذكر وفاته ابن الأثير وغيره، ووجدت) لا زال الكلام للفاسيُّ (بخطي فيما نقلته من تأريخ الإسلام للذهبي أنه توفي سنة518) هـ (ووجدت أيضاً ذلك فيما نقلته من تأريخ ابن خلدون في ترجمته، واستمرت إمرته ثلاثين سنة على الاضطراب .انتهى.([84])

قلت :بين وفاته ووفاة أبيه اثنتان وثلاثون سنة، كلها حكم فيها ما عدا أصبهيد، أقل من سنة.

وقال ابن فهد الأبُ :سنة سبع وثمانين وأربع مائة، فيها مات أمير مكة محمد أبو هاشم ... فولي بعده قاسم ابنه، ثم استولى على مكة أصبهيد بن سرتكين عنوة، وهرب عنها صاحبها الأمير قاسم([85])، إلى آخر ما روينا عن شفاء الغرام آنفاً.([86])

ويذكر ابن فهد في حوادث سنة515) هـ :(فيها ظهر بمكة إنسان علوي من فقهاء النظامية ببغداد، وأمر بالمعروف فكثر جمعه، ونازع أمير مكة قاسم، فقوي أمره، وعزم على أن يخطب لنفسه فعاد ابن أبي هاشم وظفر به، ونفاه عن الحجاز إلى البحرين.

قلت :في هذا الخبر :أن أمير مكة قاسم كان قد خرج من مكة خوفاً من هذا العلوي، وأن قاسماً عندما ظفر به نفاه إلى البحرين، ولم يقتله باعتباره إرهابياً، كما يفعل الناس اليوم.!

النظامية :مدرسة في بغداد، أسسها نظام الملك الحسن بن علي الملقب بنظام الملك قوام الدين الطوسي سنة457) هـ .(خرَّجت علماء جهابذة .البحرين :كان اسماً للإقليم الممتد من قطر إلى الكويت .أما جار الله– في الجامع اللطيف –فقد جاء بنفس ما ذكره الفاسي تماماً.

وقال العز بن فهد :([87])قاسم بن محمد بن جعفر بن أبي هاشم بن محمد بن الحسن بن محمد بن موسى الثاني.

قلت :قوله :جعفر بن أبي هاشم بن محمد، أبو هاشم هو محمد لا ابن محمد .ثم أسقط عبد الله ومحمد أبا هاشم الجد .أما قوله :أبو هاشم بن محمد بن الحسن .الحسن صوابه الحسين الأمير، وهذا تصحف عند غير واحد.

فترجمه القاسم، هي :القاسم بن محمد أبي هاشم بن جعفر أبو الفضل بن محمد أبي هاشم بن عبد الله بن أبي هاشم محمد ابن الحسين الأمير بن محمد الثائر بن موسى([88])، وبقية العد لا خلاف فيه.

وكناه العز أبا محمد، وقال- نقلاً عن النويري في تأريخه في أخبار سنة اثنتي عشرة وخمسمائة :-أن أبا محمد قاسماً أمير مكة عمّر مراكب حربية، وشحنها بالمقاتلة، وسيرهم إلى عيذاب، فنهبوا مراكب التجار، وقتلوا جماعة منهم، فحضر من سلم من التجار إلى باب الأفضل- يعني أمير الجيوش وزير الديار المصرية -وشكوا ما أخذ منهم، فأمر بعمارة حراريق ([89]) ليجهّزها له، ومنعه الناس أن يحجوا في سنة514) هـ (وقطع الميرة عن الحجاز، فغلت الأسعار .وكان الأفضل قد كتب إلى الأشراف بمكة يلومهم على فعل صاحبهم، وضمَّن كتبه التهديد والوعيد، فضاقوا بذلك ذرعاًَ ولاموا صاحبهم .فكتب الشريف قاسم يعتذر، والتزم برد المال إلى أربابه، ومن قتل من التجار رد ماله لورثته، وأعاد الأموال في سنة خمس عشر . إلى أن يقول :وفي تأريخ ابن الأثير أنه توفي في سنة517) هـ .(ومن شعره في وصف حرب فخر فيه بقومه :

قوم إذا خاضوا الهجاج حسبتهم([90])

ليلاً وخلت وجوههم أقمارا

لا يبخلون برفدهم عن جارهم

عدل الزمان عليهم أو جارا

وإذا الصريخ دعاهم لملمةٍ

بذلوا النفوس وفارقوا الأعمارا

وإذا زناد الحرب أكبت نارها

قدحوا بأطراف الأسنة نارا

أما العلامة السيد أحمد بن زيني دَحْلاَن :واستمر محمد بن جعفر) أي والد قاسم (إلى أن توفي سنة484) هـ ([91]) (فولي مكة) القاسم ابن محمد بن جعفر (كذا قال الفاسي، وقال غيره :وهذا البطن يقال لهم الهواشم، ولم يزل القاسم على مكة حتى هجم) الأصهيد (كذا) أ ص هـ ي د (في أوائل السنة المذكورة، أي487) هـ (فهرب القاسم وأقام) الأصهيد (بمكة إلى شوال487) هـ (فجمع القاسم جموعاً وكبس الأصهيد سنة488) هـ (واستمر القاسم والياً على مكة إلى أن توفي في صفر518) هـ(، وقيل517) هـ.(

وكان القاسم بن محمد هذا أديباً شاعر، ثم روى له:

قومي إذا خاضوا العجاج حسبتهم ...الشعر المتقدم.

قلت :وقوله، وقال غيره :القاسم بن شُمَيل ...الخ، تفرد الدحلان بهذا، وإذا كان له مخرج فإن شميلاً مات في حياة أبيه أبي هاشم، ونشأ القاسم في حجر جده فنسب إليه ونسي أبوه، وهذا مشاهد ولكنه شاذ.

أما صاحب السمط، فيقول :ثم ولي بعده– أي محمد بن جعفر –ابنه القاسم فكثر اضطرابه، ومهد بنو زيد أصحاب الحلة ([92])طريق الحاج العراقي فاتصل حجهم وحج سنة اثنتي عشرة وخمسمائة) نظر الخادم ([93]) (من قبل المسترشد العباسي، بركب العراق وأوصل الخلع والأموال إلى مكة، وأمن الاضطراب الذي وقع في ولايته استيلاء) اصبهبذ (كذا) أ ص ب هـ ب ذ (بن ساركتين على مكة في أواخر سنة487) هـ (فهرب القاسم، إلى آخر الرواية المتكررة عن) أصبهيد .(ثم يقول :إلى أنه تفي سنة518) هـ.([94]) (

السباعي :وهو أكثر ميلاً لسرد الأحداث وشرح الأحوال الاجتماعية، قال :وبوفاته– أي محمد بن جعفر –تولى الإمارة ابنه قاسم، وظل أمر مكة في عهده عرضة للفتن التي تعرض لها أبوه قبله، من جراء احتكاك العباسيين بالفاطميين في شأن الخطبة.

وفي هذه الأثناء هجم على مكة) أصبهيد(، كذا بمثناتين تحت، وأجلى قاسماً عنها، ثم ما لبث قاسم أن أعاد الكرة على مكة وأجلى أصبهيد ([95])عنها في عام488) هـ .(وظل قاسم على إمرة مكة إلى أن توفي في عام518) هـ (بعد أن حكم مكة نحواً من (35) سنة (وكان أديباً شاعراً، وأورد له :

قومي إذا خاضوا العجاج...

الشعر المتقدم.([96])

ولم أر من مؤرخيه من ذكر بنيه غير ابنه فليتة الآتي بعد.

قلت :قوله وقول غيره أن قاسماً حكم (35) سنة لا يستقيم، فأبوه توفي سنة486) هـ (على أبعد تقدير، وهو توفي سنة518) هـ (فيكون الحساب 32 = 486–518 :سنة فقط، داخل في ذلك المدة التي حكمها التركمان بقيادة أصبهيد .والله أعلم.

–10الشريف فليتة بن قاسم :

527 –)هـ 1132– /م:(

فَلِيتَةُ بن قاسم محمد أبي هاشم، المتقدم :

ترجم له الفاسي– في العقد :فليته– قائلاً :فُلَيتة بن قاسم بن أبي هاشم محمد بن جعفر ابن أبي هاشم محمد بن الحسن) الحسين الأمير(،إلى آخر نسب الهواشم المتقدم.

أمير مكة .هكذا سمّاه غير واحد، منهم القادسي والذهبي، وبعضهم يقول :أبو فُلَيتة، وممن قال بذلك الذهبي أيضاً، وذكر أنه خلف أباه فأحسن السياسة، وأسقط المكس عن أهل مكة .وذكر ابن الأثير أنه كان أعدل من أبيه وأحسن سيرة.

وتوفي يوم السبت الحادي والعشرين من شعبان سنة527) هـ(، وكان له أولاد منهم شكر، ومفرِّج، وموسى، وترجم كلاًّ منهم بالأمير، وما عرفت شيئاً عن حالهم سوى ذلك .أ هـ . قول الفاسي.([97])

قلت :بل كان له نحو عشرة من الولد :الثلاثة المقدم ذكرهم، وهاشم وعيسى ومالك، وكلهم حكم بعد أبيهم، وسيأتي ذكرهم، وحسين، وفيه انحصرت بطون الهواشم الموجودين اليوم في

مكة وفي الدَّوْح من مر الظهران .وقال الشريف إبراهيم بن منصور الأمير :إنهم عشرة أي بإضافة ثلاثة إلى من قدمنا.

قلت :وقوله) الحُسيني (صوابه) الحَسَنِي (نسبة إلى الحسن.

ونجد ابن عنبة، وهو يترجم لفليتة، يذكر من أبنائه :يحيى وعبد الله، وهما غير من ذكرنا، فهؤلاء تسعة معدودون بأسمائهم، والله أعلم .ويتفق ابن عنبة أن وفاة فليتة كانت عام 527)هـ .(ابن فهد، قال– في حوادث سنتي 517) و518 هـ :–(فيها517) هـ (توفي أمير مكة أبو محمد قاسم بن أبي هاشم محمد بن جعفر ..الخ في اليوم السابع عشر من صفر، وولي بعده ابنه فليتة، فأحسن السياسة وأسقط المكوس ...الخ ما تقدم، ولكنه قال :وقيل)أبو فليتة ([98]) (ولعله وهم .وكذلك قال ابن ظهيرة :فليتة، وقيل أبو فليتة .وطابق تأريخ وفاته527) هـ.(

أما العز ابن فهد، فقد نقل ما قدمناه من قول الفاسي، واكتفى به.([99])

أما العصامي، فبعد ذكره وفاة أبيه، قال :ثم ولي بعده فليتة، وقيل أبو فليتة، فافتتح بالخطبة العباسية، وحسن الثناء عليه بالعدل، ووصل) نظر الخادم (أميراً إلى مكة على الحاج ومعه الأموال والخلع، ثم استمر فليتة إلى أن مات سنة527) هـ (وكانت مدته عشر سنين .([100])أما الدحلان فنعته بالأديب الشاعر، ولم يزد على من تقدم بشيء([101])، ولم يورد له شعراً.

وهكذا لم يختلف مؤرخو فليتة في شيء من أموره.

ما صحة اسم فليتة؟ !كل من تقدم كتب اسمه هكذا) فليتة (رسماً غير مشكّلاً، ما عدا العقد الثمين فقد ذكره مشكّلاً) فُلَيْتَة(، فلا أدري أهو بقلم الفاسي أو كان اجتهاداً من المحقق، وأميل إلى أنه من المحقق لأن الفاسي ذكره في شفاء الغرام (2/197) ولم يشكله .أما رسماً فقد قال بعضهم) فليتة، كسفينة (أي بالتكبير، وقال آخرون الغالب أنه بالتصغير، أما القول بأنه فليتة وقيل أبو فليتة، فظهر أنه قول الذهبي في دول الإسلام، فنقله عنه الفاسي، وتناقله مؤرخو مكة عن الفاسي، ومؤرخو مكة– بطبيعة الحال –ينقل بعضهم عن بعض.

أما المسموع من عامة الأشراف وأهل مكة، فهو بالتكبير، فإلى عهد قريب تسمى ذرية هذا الأمير) سادة فَلِيتة (ثم حذفوا كلمة بني تخففاً وكذلك أداة التعريف من السادة، فقالوا) :سادة فَلِيتة (أي السادة بنو فليتة .وكلمتا السادة والأشراف مترادفتان، الشريف سيّد، والسيّد شريف، فنجد السليمانيين– المتقدم ذكرهم –في المخلاف والقنفذة يدعون السادة، بل أن المجايشة، وهم من نسل أبي نمي الأول، يسمى أحدهم سيداً.

وسواء كان اسم هذا الشريف بالتكبير أو بالتصغير، فإنه اسم علم لا نبزاً ولقباً .والاسم لا يشين الإنسان ولا يزينه، بل الإنسان هو الذي يزين الاسم أو يشينه بأفعاله، ولعل أفعال هذا الأمير الحسان هي التي جعلته يعطي اسمه لذريته.

فإنك– مثلاً –في اليمن عندما تقول :الأهدل، أو الأكوع، أو الحبشي، تقابل هذه الأسماء بالتجلة والاحترام، رغم أنها ألقاب ربما كان من أطلقت عليهم كانوا يتبرمون بها، ولكن ذراريهم جعلت منها رموزاً لها رنين كرنين الذهب.

ولا على إخواننا الهواشم، بعد هذا المجد المؤثل، أن يتسموا بأي اسم فإنهم سيزينونه ويجعلون له من فعالهم حلية وبهاء.

11-الشريف هاشم بن فليتة 549-) أو 551 هـ 1154 - /أو 1156 م :(

ترجمة الفاسي فقال :([102])

هاشم بن فُليتة بن قاسم بن محمد بن جعفر ..الخ النسب المتقدم المعروف.

أمير مكة .أظنه ولي إمرة مكة بضعاً وعشرين سنة، لأنه ولي بعد وفاة أبيه في شعبان سنة 527)هـ(، حتى مات سنة549) هـ (كما هو مقتضى كلام ابن خلكان، وقيل إنه توفي وقت العصر من يوم الثلاثاء حادي عشر المحرم، سنة551) هـ (ودفن ليلة الأربعاء الثاني عشر من المحرم، وقد بقي من الليل ثلثه، وولي بعده الأمير قاسم) ابنه.(

فكان بين هاشم بن فُليتة هذا وبين الأمير نظر الخادم، أمير الحج العراق فتنة، فنهب أصحاب هاشم الحجاج، وهم في المسجد الحرام يطوفون ويصلون، وذلك في سنة539) هـ (وكان في ولايته على مكة، وقعة بعُسفان ذكرها ابن البرهان) الطري(، وذكر أنها كانت يوم الأحد الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة527) هـ .(قال :وانهزم عبد الله وعسكره، وما عرفت عبد الله هذا، وأتوهم أنه قريب لهاشم بن فليتة، وما عرفت سبب هذه الفتنة أيضاً.

قلت :هذه الوقعة في سنة وفاة أبيه الذي توفي كما تقدم في شعبان من هذه السنة، أي في أول سنة بل في الشهور الأولى لولاية هاشم، فيظهر أن سببها التنازع على الولاية، ولعل عبد الله هذا هو أخوه عبد الله بن فليتة المتقدم ذكره، يعضد هذا الرأي أن الطبري اكتفى باسمه لشهرته وقربه من الأمير، والله أعلم، أما ابن فهد فيورد ما تقدم ويكتفي به.([103])

ويذكر ابن ظهيرة فليتة، قائلاً :ثم ولي مكة بعده ابنه هاشم، واستمر متولياً إلى أن مات سنة 549)هـ (وقيل551) هـ (ولم يختلف عليه اثنان مدة ولايته، ثم ولي بعده ابنه قاسم.([104])

قلت :قوله :لم يختلف عليه اثنان، يرده ما تقدم من وقعة بينه وبين عبد الله.

أما الدحلان فيقول– بعد ذكر وفاة فليتة :–فولي مكة ابنه هاشم، وفي سنة539) هـ (نهب هاشم بن فليتة الحج العراقي بالحرم وهم يطوفون، لفتنة وقعت بينه وبين أمير الحاج العراقي . ودامت ولاية هاشم إلى سنة549) هـ (وقيل إلى سنة551) هـ (فتوفي.([105])

أما السباعي فيقول :بوفاة فليتة اختلف أبناؤه على الحكم فنشب بينهم القتال، واستطاع أحدهم) هاشم (أن يتغلب بسيفه عليهم وأن يستأثر بالحكم .إلى :وقد دام حكمه نحو (18) سنة وتوفي في545) هـ(، ويذكر صاحب النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب أن هاشماً دعا للعباسيين في إمارته.([106])

قلت :تفرد السباعي بالقول إنه توفي سنة545) هـ .(ويذكر ابن عنبة لهاشم من الولد :قاسم، وقد ولي بعده، وسيأتي إن شاء الله.

–12الشريف القاسم بن هاشم :

556–   )هـ 1160 –   /م :(

ترجم له الفاسي ([107])ترجمة مطولة، فقال :قاسم بن هاشم بن فليتة بن قاسم بن محمد بن جعفر الحسني، أمير مكة المعروف بابن أبي هاشم .ولي بعد أبيه، واختلف في تأريخ ولايته،

فذكر عمارة اليمني ([108])الشاعر، في تأليف له سماه) النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية (ولايته مع شيء من خبره .قال :سنة549) هـ(، وفي هذه السنة) في الموسم (مات أمير الحرمين هاشم بن فليتة، وولي الحرمين ولده قاسم، فألزمني السفارة عنه، والرسالة إلى الدولة المصرية .إلى أن يقول :ألزمني أمير الحرمين) أي قاسم (الترسُّل عنه إلى الملك الصالح، بسبب جناية جناها خَدَمُه على حاج مصر والشام، وهو مال أُخذ منهم بمكة ...الخ، وذكر عمارة في أخبار الناصر بن صالح طلائع بن زُريك، أنه قام عن الحجيج بما يستاديه منهم أمير الحرمين، وسيّر على يد الأمير شمس الخلافة، إما خمسة عشر ألف أو دونها، إلى أمير الحرمين قاسم بن هاشم، برسم إطلاق الحاج.

ثم يقول الفاسي :ووجدت بخط الفقيه جمال الدين بن برهان الطبري، أن الأمير قاسم بن هاشم ولي بعد أبيه يوم الأربعاء ثاني عشر محرم، سنة551) هـ (وما اختلف عليه اثنان، وأنه أمّن البلاد .وفي ولاية قاسم هذا، دخلت هُذيل إلى مكة ونهبوا، وذلك في سنة553) هـ (على ما وجدت بخط ابن البرهان أيضاً .ووجدت بخطه أن قاسماً قتل يوم السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة556) هـ(، ولم يذكر من قتله، ولا سبب قتله .وذكر ذلك ابن الأثير في كامله، مع شيء من خبر قاسم هذا، لأنه قال في أخبار سنة556) هـ :(كان أمير مكة هذه السنة قاسم ابن فليتة بن قاسم بن أبي هاشم العلوي الحسني، فلما سمع بقرب الحج من المدينة، صادر المجاورين وأعيان أهل مكة وأخذ كثيراً من أموالهم، وهرب خوفاً من أمير الحاج أرغن، وكان قد حج هذه السنة زين الدين علي ابن بالتكين صاحب جيش الموصل .. إلى أن يقول :فلما وصل أمير الحاج إلى مكة، رتب مكان) قاسم (ابن فليتة عمه عيسى بن قاسم ..الخ، فبقي كذلك إلى شهر رمضان، ثم إن قاسمك بن فليتة، جمع جمعاً كثيراً من العرب، فاتبعوه، فسار بهم إليهم، فلما علم عمه فارقها، ودخلها قاسم، وأقام بها أميراً أياماً، ولم يكن له مال يوصله إلى العرب، ثم إنه قتل قائداً معه كحسن السيرة، فتغيرت نيات

أصحابه، فكاتبوا عمه عيسى، فقدم عليهم، فهرب قاسم وصعد جبل أبي قبيس، فسقط عن فرسه فأخذه أصحاب عيسى فقتلوه.

فسمع عيسى، فعظم عليه قتله، وأخذه وغسّله ودُفِنَ بالمعلاة عند أبيه فليتة، واستقر الأمر لعيسى .ثم يقول الفاسيُّ :وما ذكره ابن الأثير يقتضي أن قاسم بن هاشم إنما توفي في سنة سبع وخمسين) وخمسمائة(، وهو يخالف ما سبق من أنه توفي27/5/656) هـ .(والصواب في نسبته :قاسم بن هاشم بن فليتة، لا قاسم بن فليتة، كما ذكر ابن الأثير .انتهى ما أورده الفاسي بشيء من التصرف.

ويلاحظ الآتي :

-1على ما روى الفاسي، فإن قاسماً لم يدرك حج556) هـ(، إذ هرب خوفاً من الحاج، وكما نَبَّه الفاسي آنفاً فإن قاسماً مات على رواية ابن الأثير- ما يفهم من السياق -سنة 557)هـ.(

-2قوله :ابن فليتة، وقوله :عند أبيه فليتة، وهمٌ نبه عليه الفاسي أيضاً، آنفاً.

-3اتضح سبب قتله الذي قال في صدر الترجمة أنه لا يعرف من قتله ولا سبب قتله.

-4عيسى ليس ابن قاسم، بل ابن فليتة، وهو، أي عيسى، عم صاحب الترجمة.

-5قوله :توفي في السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة656) هـ(، صوابه سنة556) هـ (إن لم يكن557) هـ.(

6-إن مكة والمدينة يسمى جمعهما الحرمين منذ القرن السادس، بخلاف من عزا ذلك إلى العثمانيين الذين لم يملكوا الحجاز إلاّ في القرن العاشر.

7-إن من جمع بين مكة والمدينة يسمى أمير الحرمين.

أما الدحلان فيجعل عودة قاسم بن هاشم إلى مكة بعد فراره، جعلها سنة 557)هـ([109])(، وبقية ما عنده، هو ما قدمنا .والقول بعودته سنة557) هـ (هو الصواب : إذ أنه فر عن الحاج سنة556) هـ(، أي آخر السنة .ويقول العصامي :([110])ثم قتل قاسم سنة556) هـ (أما السباعي فيقول :

وبوفاة قاسم) ابن فليتة (تولى الأمر بعده ابنه هاشم، وكان في مثل شكيمة أبيه وبأسه، وقد ورث عنه كره العباسيين ...إلى أن يذكر سفارة عمارة اليمني، وينشد مطلع قصيدة عمارة :

ورحنَ من كعبة البطحاء والحرم

وفداً إلى كعبة المعروف والكرم

ثم يجعل هروب هاشم سنة555) هـ(، ويذكر الفتنة السابقة، وما نقله عن الفاسي وغيره.

13-الشريف عيسى بن فَلِيتَة ([111])

570 –)هـ1174 – /م):

ترجم له في العقد الثمين :عيسى، فقال :عيسى بن فليتة بن قاسم بن محمد بن جعفر المعروف بأبي هاشم .أمير مكة .ولي غمرة مكة في آخر سنة556) هـ (بعد ابن أخيه قاسم بن هاشم بن فليتة، وذلك على ما ذكر ابن الأثير إن قاسماً) ...إلى آخر ما روينا في ترجمة قاسم قبله، فأغنى عغن التكرار .(وقتل قاسم على ما تقدم، فيقول :واستقر الأمر لعيسى، ومن خبر عيسى .ولم يذكره ابن الأثير في تأريخه، ما وجدته بخط بعض المكيين، وهو أنه حصل بين عيسى بن فليتة وبين أخيه مالك بن فليتة، اختلاف في أمر مكة غير مرة، في هذه السنة. وتخلف بمكة، وحج مالك، ووقف بعرفة، وبات الحاج بعرفة إلى الصبح، وخاف الناس، خوفاً شديداً، فلما كان يوم عاشوراء من سنة566) هـ (دخل الأمير مالك وعسكره إلى مكة، وجرى بينهم وبين عيسى وعسكره فتنة إلى وقت الزوال، ثم أُخرج الأمير مالك واصطلحوا بعد ذلك، وسافر الأمير مالك إلى الشام ([112])وجاء من الشام في آخر ذي القعدة، وأقام ببطن مَرّ أياماً، ثم جاء إلى الأبطح هو وعسكره، وملك خدام الأمير مالك وبنو داود وعسكره، وأخذوا جلبة ([113])وصلت إليها، فيها صدقة من قبل شمس الدولة، وجميع ما مع التجار الذين وصلوا في الجلبة، ونزل مالك في المربع هو والشُّرَف([114])، وحاصر مكة أياماً، ثم جاء هو والشُّرَف من المعلاة، وجاء هذيل والعسكر من جبل أبي الحارث، فخرج إليهم عسكر الأمير عيسى فقاتلوهم فقتل من عسكر الأمير مالك جماعة، ثم ارتفع إلى خيف بني شديد .أ هـ .قال الفاسي أيضاً :ووجدت بخط بعض أصحابنا، فيما نقله من مجموع للفخر بن سيف، شاعر عراقي، ما نصه :دخلت على الأمير عيسى بن فليتة الحسني، وكنت كثير الإلمام به، والدخول عليه، لكونه لا يشرب مسكراً، ولا يسمع الملاهي، وكان يجالس أهل الخير، ولم ير في سِيَر من تقدمه من الولاة مثل سيرته، وكان كريم النفي واسع الصدر كثير الحلم، فقال :أنشدني شيئاً من شعرك، فقلت :قد علمت بيتين الساعة في مدحك.

فقال :أنشدني ما قلت، فأنشدته :

أضحت مكارمُ كعبةً ولقد

تعجّب الناس من ثنتين في الحرم

فهذه تحبط الأوزار ما برحت

وهذه تشمل الأحرار بالنعَمِ

قال :فاستحسنهما غاية الاستحسان، وقال :ودخلت عليه في سنة ستين وخمسمائة، وكنت مجاوراً أيضاً، وكان نازلاً) بالمربع([115])(، فوجدت عنده أخاه مالكاً، وكان ذلك اليوم الثاني عشر من ذي القعدة من السنة المذكورة، ونحن في حديث الحاج، وتوجههم إلى مكة، فأنشدته في قصيدة أولها :

حملت من الشوق عبئاً ثقيلاً

فأورث جسمي المعنَّى نحولا

وصيرني كلفاً بالغرا

م أندب ربعاً وأبكي طلولا

نشدتكما اللَّهَ يا صاحبيّ

إن جزتما بلوى الطلح ميلا

نسائل عن حيهم بالعرا

ق هل قوضت أم تراهم حلولا

فقال لي :لا إن شاء الله قوضت وتوجهت إن شاء الله تعالى بالسلامة ...الخ.

وجرى في ولاية عيسى حوادث، منها :في سنة557) هـ (بمكة فتنة بين أهلها والحجاج العراقيين، كان أن قتل من الطرفين جماعة، وأخذ من جمال الحاج نحو ألف، فرجع أمير الحاج، ولم يدخل مكة أثناء النزول من منى، وزل الزاهر يوماً واحداً، وخرج الحاج العراقي على حالة سيئة .وأصاب مكة غلاء شديد حتى أكل الناس الميتة والدم، ومنها سيل عظيم دخل من باب بني شيبة.

وكانت وفاة عيسى بن فليتة هذا، في الثاني من شعبان سنة سبعين وخمسمائة .انتهى ما أورد الفاسي باختصار في بعضه.

وكان لعيسى أولاد، منهم :مُكثَّر، وداود، وكلاهما حكم بعده، وسيأتي ذكرهما.

أما صحة نسبه فبمثل هذا رواه ابن عنبة، في عمدة الطالب.

قال ابن ظهيرة([116])، بعد أن ذكر مقتل القاسم بن هاشم المتقدم :واستقر الأمر بعده لعمه عيسى بن فليتة إلى أن مات سنة سبعين وخمسمائة .أما زيني دحلان فنقل ما تقدم عن الفاسي، وقال :واستمر أمر عيسى إلى سنة خمسمائة وخمس وستين، فنازعه أخوه مالك بن فليتة، وذكر نحو ما تقدم.

-14الشريف داود بن عيسى :

589-)هـ 1193- /م :(

ترجمه في العقد الثمن /داود، فقال :داود ابن عيسى بن فليتة بن قاسم ..الخ، أمير مكة .ثم ما خلاصته :إنَّ داود هذا ولي مكة بعد أبيه بعهد منه، في أوائل شعبان سنة570) هـ (([117])، فأحسن السيرة وعدل في الرعية، فلما كان ليلة منتصف رجب من سنة571) هـ (أخرجه منها أخوه مكثر، ولحق داود بوادي نخلة، ثم عاد، واصطلح مع أخيه في نصف شعبان من هذه السنة، وكان الذي أصلح بينهما، شمس الدولة أخو السلطان صلاح الدين، لما قدم من اليمن، فلما انقضى الحج من هذه السنة، سلمت مكة إلى داود هذا، بعد أن أخرج منها أخوه مكثر، لما وقع بينه وبين طاستكين([118])، وأسقط داود جميع المكوس . ورحل الحاج بعد أن أخذ على داود المواثيق ألا يغير شيئاً مما شرط عليه، وكانت مكة سلمت قبله للأمير قاسم الحسيني أمير المدينة، وأقام فيها ثلاثة أيام، فلما عجز قاسم بن مهنّا عنها سلمت إلى داود المذكور.

ولم تطل ولاية داود، لأن أخاه مكثراً استولى عليها فكان أميرها سنة572) هـ (ثم عاد داود إلى إمرة مكة، وما عرفت متى كان عوده إليها) القول للفاسي(، إلاّ أنه كان والياً بها سنة 587)هـ(، وفيها عزل عنها، وأخذ ما في الكعبة من الأموال ...الخ، عزله أمير الحاج العراقي

وولى أخاه مكثراً، وأقام داود بنخلة، إلى أن توفي في رجب سنة589) هـ .(وهو وآباؤه الخمسة أمراء مكة .انتهى قول الفاسي بشيء من التصرف.

والذين وُلّوا مكة من آبائه أربعة :أبوه عيسى، وجده فليتة، وجد عيسى قاسم، وجد فليتة محمد بن جعفر، وهو الخامس .ولداود ابن اسمه أحمد.

قلت :ونسبه المتقدم أثبته ابن عنبة في) عمدة الطالب (والشريف إبراهيم بن منصور في كتابه)الأشراف الهواشم.(

ويذكر العصامي سبب عزل داود المتقدم([119])، فيقول :وسبب عزله أن أم الناصر الخليفة العباسي حجت في زمنه، ثم أنهت إلى ابنها الناصر عن داود ما اطلعت عليه فعزل.

أما ابن فهد([120])، فيجعل موت داود يوم الاثنين رابع عشر شعبان، أي من سنة 589)هـ (بنخلة كما تقدم، وتابعه ابنه العز نقلاً– على تأريخ الوفاة.

-15الشريف مُكَثِّر بن عيسى

600 –)هـ 1203– /م):

هكذا ضبطه محقق العقد الثمين، بتشديد المثلثة المكسورة، والشائع عند مؤرخي مكة) :مُكثِر (وكذلك ضبطه الزركلي في الأعلام) :مُكَثِّر بن عيسى بن فليتة (الخ الترجمة .وقال الزركلي في الحاشية المطولة عن مكثر ..:ولم أجد ما يعول عليه في ضبط) مكثر (بتخفيف الثاء أو تشديدها، إلا أن الفيروز أبادي يقول في مادة كثر :وسمّوا كثيرة ومكثّراً بالتشديد، كمحدّث،

ولم يذكر التخفيف، واستدركه الزبيدي في تاج العروس، فقال :وكمحسن، أي بكسر الثاء المخففة.

قال كاتبه :أظنه كذلك، ولم أر العرب سمت قبل ولا بعد هذا الرسم على أي ضبط كان، إلاّ ما لم يقع بيدي.

ترجمه في العقد الثمين، فقال :مُكَثِّر بن عيسى بن فليتة بن قاسم بن محمد بن جعفر الحسني المكي، وبقية نسبه تقدم في ترجمة جده الأعلى محمد بن جعفر المعروف بابن أبي هاشم أمير مكة .كانت ولاية مكثر لمكة مدة سنتين، وكان يتداول إمرتها هو وأخوه داود، وقد خفي علينا مقدار مدة ولاية كل منهما، مع كثير من حالهما، وكانت إمرة مكة فيه وفي أخيه داود نحو ثلاثين سنة، وبمكثر انقضت ولاية الهواشم من مكة، ووليها بعده أبو عزيز– سيأتي – وذلك في سنة597) ه([121]) (، على ما ذكر الميمورقي، نقلاً عن عثمان بن عبد الواحد العسقلاني المكي، أو في سنة ثمان وتسعين، كما ذكر الذهبي، أو في سنة تسع وتسعين وخمسمائة، كما ذكر ابن محفوظ .أما ولاية مكثر على مكة فكانت في سنة571) ه .(ثم ذكر الفاسي ما حدث في عهد داود وقد ذكرناه، إلى أن يقول :وكان الخليفة قد أمر أمير الحاج بعزل مكثر وإقامة أخيه داود مكانه، وسبب ذلك أنه قد بنى قلعة على جبل أبي قبيس، إلى ...فهرب مكثر، فقصد إلى القلعة التي بناها، فحصروه بها، ففارقها، وولي أخوه داود الإمارة، إلى آخر ما تقدم في حوادث الأخوين.

ثم يقول :ومن أعجب ما جرى، أن إنساناً زرّاقاً ([122])ضرب داراً بقارورة نفط فأحرقها وكانت لأيتام، فاحترق ما فيها، ثم أخذ قارورة أخرى فأتاه حجر فأصاب القارورة فكسرها فاحترق الزراق بها، فبقي ثلاثة أيام يتعذب ثم مات.

ويذكر ابن جبير صاحب الرحلة :أن خطيب مكة كان يدعو لمكثر بعد الخليفة الناصر العباسي وقبل صلاح الدين، وقال :إن مكثراً ممن يعمل غير صالح.

ويذكر ابن جبير أن الحجاج كان يؤخذ منهم مكس في عيذاب، وذكر فظائع يعملها عمال مكثر، إلى أن محا السلطان صلاح الدين ذلك، وعوض مكثراً عنه.

ثم يقول ابن جبير :وكان زوال هذه البدعة القبيحة على يد السلطان صلاح الدين في سنة 572)هـ (ثم ذكر كتاب صلاح الدين إلى مكثر، يعظه، ثم يهدده إن لم يرتدع.

وتوفي مكثر سنة600) هـ (بعد أن استولى قتادة على مكة بواسطة ابنه) حنظلة أو عزيز (سنة597) هـ (فذهب إلى نخلة) الشامية (فبقي هناك حتى مات، وفي سنة وفاته خلاف قد يأتي .ويرجح الفاسي وفاته سنة600) هـ (إذ يقول :وذكر بعضهم أنه مات سنة589) هـ (وذكر بعضهم أنه مات سنة590) هـ(، وكلا القولين وهم، والذي مات في هذا التأريخ أخوه داود، والله أعلم .انتهى قول الفاسي، بتصرف واختصار.

ابن فهد قال :([123])فيها– سنة571) هـ –(في ليلة النصف من رجب، خرجت خوارج على داود بن عيسى بن فليتة، ففارق منزله، وسار إلى وادي نخلة([124])، وولي أخوه مكثر مكة عوضه، ولم يتغير عليه أحد، فلما كان ليلة النصف من شعبان– أي –572 قدم من اليمن شمس الدولة توران شاه، أخو صلاح الدين، فاجتمع به الأمير داود والأمير مكثر بالزاهر، وأصلح بينهما ..الخ ما تقدم في ترجمة داود، وهروب مكثر.

ويذكر ابن فهد في سنة579) هـ (إن الأمير سيف الإسلام أخا صلاح الدين حضر إلى المسجد الحرام وفتح له باب الكعبة، فدخله مع الأمير مكثر .([125])ثم انقرضت دولة

الهواشم بني فليته وانتزع مكة من مكثر أبو عزيز قتادة ابن إدريس، وسبب انتزاعها ما كان عليه أمراؤها الهواشم من انهماك على اللهو، وتبسطهم في الظلم، وإعراضهم عن صونها ..الخ.

ولم تشذ بقية المراجع التي ترجمته مكثراً عما تقدم، فتركنا ما فيها لعدم كثرة التكرار.

إلاّ أن ابن ظهيرة ذكر شيئاً، إذ قال :ثم انفرد بها مكثر عشر سنين متوالية، آخرها سنة 597)هـ(، أي سنة استيلاء قتادة عليها، ثم يقول :وهو– مكثر –آخر أمراء مكة المعروفين بالهواشم.([126])

قال كاتبه :والمتفق عليه أن سنة597) هـ (هي نهاية دولة الهواشم، وبداية دولة بني قتادة، وإن وفاة مكثر هي سنة600) هـ(، والخلاف فيها غير معتبر .فإذا عرفت أن دولة الهواشم بدأت بأبي هاشم محمد بن جعفر سنة456) هـ(، وانقرضت على يد مكثر بن عيسى سنة 597)هـ (عرفت أن مدتها هي (141) سنة قد تزيد شهوراً .والله أعلم.

رابعاً :دولة الأشراف بني قتادة

1-الشريف قَتَادة بن إدريس

617 – 527)هـ 1219 – 1132 /م:(

تقدم معك انقراض دولة الهواشم سنة 597) هـ 1200 = م(، وذلك باستيلاء قتادة بن إدريس على مكة، قيل بواسطة ابنه عزيز، وقيل بواسطة ابنه حنظلة، وقيل :بل هجم هو عليها فلم يشعروا إلاّ وهو معهم، وسنلقي ضوءاً فيما بعد على هذين الابنين) عزيز وحنظلة(، وقتادة هذا هو جد الأشراف القتاديين أو أشراف الحجاز) مجازاً (إذ أن معظم أشراف الحجاز اليوم من عقبة إلاّ بضع أسر، وظل بنوه يتوارثون أمر الحجاز إلى سنة1344) هـ(، أما إخوانهم الحسينيون فقد كانوا يستقلون بالمدينة مدداً محددة.

من هو قتادة؟ ترجم له تقي الدين صاحب العقد الثمين ترجمة ما رأيت أحداً أتى بمثلها، ولذا نقلتها مع ملاحظة :

1-حذفت، اختصاراً، أشياء لا تخل بالترجمة.

2-ذيلت عليها لتعريف ما غمض على المحقق أو أخطأ فيه لعدم درايته الميدانية.

3-صححت بعض الأخطاء المطبعية أو النسخية.

4-علقت على موضوع بنيه ومن تفرع منهم.

يقول التقي :قتادة بن إدريس بن مطاعن ابن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد ([127])بن موسى ([128])بن عبد الله بن موسى ([129]) بن عبد الله ([130])بن الحسن ([131])بن الحسن بن علي بن أبي طالب، يُكنى أبا عزيز الينبعي المكيّ .ويقال له :نابغة بني حسن، صاحب مكة وينبع، وغير ذلك من بلاد الحجاز.

وَلِي مكة عشرين سنة أو نحوها، على الخلاف في مبدأ ولايته بمكة، هل هو سنة سبع وتسعين وخمسمائة، على ما ذكر الميورقيّ([132])، نقلاً عن القاضي فخر الدين عثمان بن عبد الواحد العَسْقلاني المكي([133])، أو هو سنة ثمان وتسعين كما ذكر الذهبي في العبر، أو هو سنة تسع وتسعين، بتقديم التاء على السين، على ما ذكر ابن محفوظ، وذلك بعد ملكه لينبع، وكان هو وأهله مستوطنين نهر العلقميَّة ([134])من وادي ينبع، وصارت له على قومه الرئاسة فجمعهم وأركبهم الخيل، وحارب الأشراف بني حراب، من ولد عبد الله بن الحسن بن الحسن، وبني علي، وبني أحمد([135])، وبني إبراهيم([136])، ثم إنه استألَف بني أحمد، وبني إبراهيم، وذلك أيضاً بعد ملكه لوادي الصَّفراء، وإخراجه لبني يحيى ([137])منه، وكان سب طعمه في إمرة مكة، على ما بلغني، ما بلغه من انهماك أمرائها الهواشم بني فليته على اللهو، وتبسطّهم في الظلم، وإعراضهم عن صونها ممن يريدها بسوء، اغتراراً منهم بما هم فيه من العز والهسف ([138])لمن عارضهم في مرادهم، وإن كان ظلماً أو غيره، فتوحش عليهم لذلك خواطر جماعة من قوّادهم، ولما عرف ذلك منهم قتادة، استمالهم إليه، وسألهم المساعدة على ما يرونه من الاستيلاء على مكة، وجرَّاهُ على المسير إليها مع ما في نفسه، وقيل :إن بعض الناس، فزع إليه مستغيثاًً به في ظلامة ظُلمها بمكة، فوعده بالنصر، وتجهّز إلى مكة في جماعة من قومه، فما شعر به أهل مكة، إلا وهو بها معهم، وولاتهم على ما هم فيه من الانهماك في اللهو، فلم يكن لهم بمقاومته طاقة، فملكها دونهم، وقيل إنه لم يأت

إليها بنفسه في ابتداء ملكه لها، وإنما أرسل إليها ابنه حنظلة فملكها، وخرج منها مكثر بن عيسى بن فليتة إلى نخلة، ذكره ابن محفوظ، وذكر أن في سنة ستمائة، وصل محمد بن مكثر، وتقاتلوا عند المتكا([139])، وتمّت البلاد لقتادة، وجاء إليها بنفسه بعد ولده حنظلة.

وذكر ابن الأثير، أن في سنة إحدى وستمائة، كانت الحرب بين قتادة الحسني أمير مكة المشرفة، وبين الأمير سالم بن قاسم الحسيني أمير المدينة، ومع كل واحدٍ منهما جمع كثير، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكانت الحرب بذي الحليفة بالقرب من المدينة، وكان قتادة قد قصد المدينة ليحصرها ويأخذها، فلقيه سالم بعد أن قصد الحجرة الشريفة النبويّة، على ساكنها السلام، وصلى عندها ودعا، وسار فلقيه، فانهزم قتادة، إلى من مع سالم) من الأمراء(، فأفسدهم عليه، فمالوا إليه وحالفوه، فلما علم سالم ذلك، رحل عنه عائداً إلى المدينة، وعاد أمر قتادة يقوى.

وقد ذكرك ابن سعيد مؤرخ المغرب والمشرق([140])، حرب قتادة وصاحب المدينة في هذه السنة، وأفاد فيه ما لم يفده ابن الأثير، فنذكر ذلك لما فيه من الفائدة، ونص ما ذكره قال : وفي سنة إحدى وستمائة، كانت بالحجاز، وهي من البلاد التي يُخطب فيها للعادل بن أيوب، وقعة المصارعِ، التي يقول فيها أبو عزيز قتادة الحسني صاحب مكة :

مصارعَ آلِ المصطفى عُدْتِ مثلما

بدأتِ ولكن صِرْتِ بين الأَقاربِ

قتل فيها جماعة من الفاطميين، وكان أمرها على ما ذكره مؤرّخو الحجاز :أن أبا عزيز، هجم من مكة على المدينة النبوية، فخرج له صاحب المدينة سالم بن قاسم الحسيني، فكسره أبو

عزيز، وحصره أياماً، وكان سالم في أثناء ذلك يحسن سياسة الحرب، ويستميل أصحاب أبي عزيز، إلى أن خرج عليه، وهو مغتر متهاون به، فكسره سالم وأسر جمعاً من أصحابه، وتبعه إلى مكة فحصره فيها على عدد أيام حصاره بالمدينة، وكتب إليه :يا بن العم، كسرة بكسرة، وأيام حصار بمثلها، والبادي أظلم، فإن كان أعجبكم عامكم، فعودوا ليثرب في القابل.([141])

وذكر أبو شامة شيئاً غير هذا من خبر قتادة مع أهل المدينة، لأنه قال بعد أن ذكر أن المعظم صاحب دمشق عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب، حجّ في سنة إحدى عشرة وستمائة، ولما عاد إلى المدينة شكا إليه سالم من جَوْرِ قَتادة، فوعده أن يُنجده عليه، ثم قال : فجهّز جيشاً مع الناهض بن الجرخي ([142])إلى المدينة، والتقاهم سالم فأكرمهم، وقصدوا مكة، فانهزم قتادة منهم إلى البرية، ولم يقف بين أيديهم .انتهى.

وقال أبو شامة في أخبار سنة اثنتي عشرة وستمائة :ووصل الخبر من جهة الحجاز، بنزول قتادة صاحب مكة على المدينة حرسها الله تعالى، تاسع صفر، وحصرها أياماً، وقطع ثمرها جميعه، وكثيراً من نخيلها، فقاتله من فيها، وقتل جماعة من أصحابه، ورحل عنها خاسراً .وقال في أخبار هذه السنة أيضاً :وفي ثالث شعبان، سار الأمير سالم صاحب المدينة بمن استخدمه من التركمان، والمراحل إليها من المخيم السلطاني بالكسوة([143])، ثم توفي بالطريق قبل وصوله إلى المدينة، وقام ولد أخيه جمّاز بالإمرة بعده، واجتمع أهله على طاعته، فمضى بمن كان مع عمه، لقصد قتادة صاحب مكة، فجمع قتادة عسكره وأصحابه، والتقوا بوادي الصفراء، فكانت الغلبة لعسكر المدينة، فاستولوا على عسكر قتادة قتلاً ونهباً، ومضى قتادة منهزماً إلى ينبُع، فتبعوه وحصروه بقلعته، وحصل لحميد بن راجب من الغنيمة، ما يزيد على مائة فرس، وهو واحد من جماعة كثيرة من العرب الكلابيين([144])، وعاد الأجناد الذين كانوا مضوا مع الأمير سالم من الشام، من التركمان وغيرهم، صحبة الناهض بن الجرخي خادم

المعتمد، وفي صحبتهم كثير مما غنموه من أعمال قتادة، ومن وقعة وادي الصفراء، من نساءٍ وصبيان، وظهر فيهم أشراف حسنيون وحسينيون، فاستعيدوا منهم، وسلِّموا إلى المعروفين من أشراف دمشق، ليكلفوهم ويشاركوهم في قسمهم من وقفهم .انتهى.

وهذا الخبر يقتضي أن سالماً لم يحضر القتال الذي كان بين قتادة والعسكر، الذي أنفذه المعظم لقتال قتادة، نصرة لسالم، لموت سالم في الطريق، وأنه سار مع العسكر من دمشق إلى أن مات بالطريق، والخبر الأول يقتضي أن سالماً حضر مع العسكر قتالهم لقتادة، ويقتضي أيضاً أن سالماً لم يسر مع العسكر من دمشق، وإنما لقيهم بالمدينة أو في الطريق .وهذا الخبر نقله أبو شامة عن صاحب مرآة الزمان، وما ذكره أبو شامة أصوب مما ذكره عن صاحب المرآة، لاتحاد القصة .والله أعلم.

وذكر أبو شامة ([145])سبب إنجاد المعظم لسالم على قتادة، لأنه قال لما ذكر حج المعظم : وتلقاه سالم امير المدينة وخدمه، وقدم له الخيل والهدايا، وسلم إليه مفاتيح المدينة، وفتح الأهراء([146])، وأنزله في داره، وخدمه خدمةً عظيمة، ثم سار إلى مكة، فوصلها يوم الثلاثاء سادس ذي الحجة .ثم قال أبو شامة :قال أبو المظفر سبط ابن الجَوزي :والتقاه قتادة أبو عزيز أمير مكة، وحضر في خدمته .قال أبو المظفر :وحكى لي رحمه الله– يعني المعظم – قال :قلت له– يعني قتادة :–أين ننزل؟ فأشار إلى الأبطح بسوطه، وقال :هناك .فنزلنا بالأطح، وبعث إلينا هدايا يسيرة.

وذكر أبو شامة خبراً اتفق لقتادة وقاسم بن جماز أمير المدينة، ونص ما ذكره في أخبار سنة ثلاث عشرة وستمائة :فيها وصل الخبر بتسليم ([147])نواب الكامل الينبع، من ناب قتادة، حماية له من قاسم بن جماز صاحب المدينة، وبأن قاسم بن جماز أخذ وادي) القرى (ونخلة

من قتادة([148])؛ وهو مقيم به ينتظر الحاج، حتى يقضوا مناسكهم، وينازل هو مكة بعد انفصالهم عنها.

وذكر ابن محفوظ شيئاً من خبر قتادة وقاسم، لأنه قال :سنة ثلاث عشرة وستمائة، كان فيها وقعة الحميمة([149])، جاء الأمير قاسم الحسيني بعسكر من المدينة، وأغار على جدة، وخرج له صاحب مكة قتادة، والتقوا بين القصر والحميمة، وكانت الكسرة على قاسم، وكان ذلك يوم النحر في هذه السنة.

هذا ما علمته من حروب قتادة مع أهل المدينة .وفي ترجمة ابنه حسن بن قتادة، أن أباه قتادة في سنة موته ÷جمع جموعاً كثيرة، وسار عن مكة إلى المدينة، ولما نزل بالفرع، سير على الجيش أخاه، وابنه حسناً لمرض عرض له، وما عرفت خبر عسكر قتادة هذا مع أهل المدينة، وكان بين قتادة صاحب مكة، وثقيف أهل الطائف، حرب ظهر فيه قتادة على ثقيف، وبلغني أنه لما ظهر على هرب منه طائفة منهم، وتحصّنوا في حصونهم، فأرسل إليهم قتادة يستدعيهم للحضور إليه، ويؤمِّنهم وتوعدَّهم بالقتل إن لم يحضروا إليه، فتشاور ثقيف في ذلك، ومال أكثرهم إلى الحضور عند قتادة، خيفة أن يهلكهم إذا ظهر عليهم، فحضروا عند قتادة، فقتلهم واستخلف على بلادهم نواباً من قبله، وعضدهم بعبيد له، فلم يبق لأهل الطائف حيلة فيقتل جماعة قتادة، وهي أنهم يدفنون سيوفهم في مجالسهم، التي جرت عادتهم بالجلوس فيها مع أصحاب قتادة، ويستدعون أصحاب قتادة للحضور إليهم، فإذا حضروا إليهم وثب كل من أهل الطائف بسيفه المدفون، على جليسه من أصحاب قتادة، فيقلته به، فلما فعلوا ذلك، استدعوا أصحاب قتادة إلى الموضع الذي دفنوا فيه سيوفهم، وأوهموهم أن استدعاءهم لهم بسبب كتاب ورد عليهم من قتادة، فحضر إليهم أصحاب قتادة بغير سلاح، لعدم مبالاتهم بأهل الطائف، لِما أوقعوا في قلوبهم من الرعب منهم، فلما اجتمع الفريقان واطمأنت بهم المجالس، وثب كل من أهل الطائف على جليسه، ففتك به، ولم يَسلم من

أصحاب قتادة إلا واحد، على ما قيل، هرب ووصل إلى قتادة، وقد تخبَّل عقله لشدة ما رآه من الروع في أصحابه، وأخبر قتادة بالخبر، فلم يصدقه وظنه جن لِما رأى فيه التخبُّل .
وكان حرب قتادة لهل الطائف، في سنة ثلاث عشرة وستمائة، على ما ذكر الميورقي وذكر أن في هذه الواقعة، فُقد كتاب النبي لأهل الطائف، لما نهب جيش قتادة البلاد، ونص ما ذكره الميورقي في ذلك، قال :قال لي تميم بن حمدان الثقفي العوفي :قُتل أبي رحمه الله، في نوبة قتل الشريف قتادة لمشايخ ثقيف، بدار بني يسار، من قرى الطائف، ونهب الجيش البلاد، ففقدنا الكتاب في جملة ما فقدناه، وهو كان عند أبي، لكونه كان شيخ قبيلته .قال قاضي الطائف يحيى بن عيسى :قُتل أبي لثلاث عشرة من جمادى سنة ثلاث عشرة وستمائة .انتهى.

وقال أبو المظفر :وفي عاشر محرم، وصل حُسن الحجاز، من مكة سائقاً للحاج، وأخبر بأن قتادة صاحب مكة، قتل المعروف بعبد الله الأسير، ثم وصل كتاب من مرزوق الطشتدار ([150])الأسدي، في الخامس والعشرين من المحرم، وكان حاجباً، يخبر فيه بأن قتادة قتل إمام الحنفية وإمام الشافعية بمكة، ونهب الحاج اليمنيين.

وقال أيضاً سنة ثمان وستمائة :فيها نهب الحاج العراقي، وكان حجّ بالناس من العراق، علاء الدين محمد بن ياقوت، نيابةً عن أبيه، ومعه ابن أبي فراس، يثقّفه ويدبره، وحج من الشام، الصمصام إسماعيل، أخو سِياروج النجمي على حاج دمشق، وعلى حاج القدس الشجاع علي بن سلار، وكانت ربيعة خاتون) بنت أيوب (أخت العادل في الحج، فلما كان يوم النحر)بمنى (بعد رمي الناس الجمرة وثب بعض الإسماعيلية، على رجل شريف من بني عمّ قتادة، أشبه الناس به، وظنوه إياه، كان مع أم جلال الدين، وثار عبيد مكة والأشراف، وصعدوا على الجبلين بمنى، وهلّلوا وكبّروا، وضربوا الناس بالحجارة والمَقاليع ([151])والنُشاب، ونهبوا الناس يوم العيد والليلة واليوم الثاني، وقتل من الفريقين جماعة، فقال ابن أبي فراس لمحمد ابن ياقوت :ارحلوا بنا إلى الزّاهر، إلى منزلة الشاميين، فلما حصلت الأثقال على الجمال، حَمل

قتادة أمير مكة والعبيد، فأخذوا الجميع إلا القليل .وقال قتادة :ما كان المقصود إلا أنا، والله لا أبقيت من حاج العراق أحداً، وكانت ربيعة خاتون بالزاهر، ومعها ابن السلار، وأخو سياروج، وحاج الشام، فجاء محمد بن ياقوت أمير الحاج العراقي، فدخل خيمة ربيعة خاتون مستجيراً بها، ومعه خاتون أم جلال الدين، فبعثته ربيعة خاتون مع ابن السلار، إلى قتادة تقول له :ما ذنب الناس !قد قتلت القاتل، وجعلت ذلك وسيلةً إلى نهب المسلمين، واستحللت الدماء في الشهر الحرام، في الحرام، والمال، وقد عرفت من نحن، والله لئن لم تنته، لأفعلنّ، ولأفعلنّ .فجاء إليه ابن السلار، فخوَّفه وهّدده، وقال :ارجع عن هذا، وإلاَّ قَصدك الخليفة من العراق ونحن من الشام، فكفَّ عنهم، وطلب مائة ألف دينار، فجمعوا له ثلاثين ألفاً من أمير الحاج العراقي، ومن خاتون أم جلال الدين، وأقام الناس ثلاثة أيام حول خيمة ربيعة خاتون، بين قتيل وجريح ومسلوب وجائع وعُريان، وقال قتادة :ما فعل هذا إلا الخليفة، ولئن عاد قرُب أحد من بغداد إلى هنا، لأقتلن الجميع .ويقال إنه أخذ من المال والمتاع وغيره، ما قيمته ألفا ألف دينار، وأذن للناس في الدخول إلى مكة، فدخل الأصحاء الأقوياء، فطافوا وأي طواف، ومعظم الناس ما دخل، ورحلوا إلى المدينة، ودخلوا بغداد على غاية الفقر والذل والهوان، ولم ينتطح فيها عنزان .انتهى.

وكلام أبي شامة، يقتضي أن العراقيين لما دخلوا للالتجاء بالحجاج الشاميين، كان الشاميون نازلين بالزهر، وكلام ابن الأثير، يقتضي أن ذلك وقع والشاميون بمنى، ثم رحلوا جميعاً إلى الزَّاهر، وهذا أشبه بالصواب.

وأما قول أبي شامة :ولم ينتطح فيها عنزان، فسببه أن قتادة، أرسل إلى الخليفة ببغداد يسأله العفو، فأجيب إلى سؤاله، وسيأتي ذلك إن شاء الله تعالى قريباً.([152])

وذكر ابن سعيد المغربي هذه الحادثة، وذكر فيها أن أصحاب قتادة، فعلوا بمن كان من الحجاج في مكة، مثل ما فعلوا فيهم بمنى، وذكر أن الأشراف قتلوا القاتل بمنى، وظنّوا أنه حشيشي([153])، وذكر ابن سعيد شيئاً مما كان بين قتادة وأهل العراق، بسبب هذه الحادثة، وأفاد في ذلك ما لم أره لغيره فنذكره، ونصّ ما ذكره في أخبار سنة تسع وستمائة : وصل من قبل الخليفة الناصر، إلى أبي عزيز الحسني صاحب مكة، مع الرَّكب العراقي، مال وخلع وكسوة البيت على العادة، ولم يظهر له الخليفة إنكاراً على ما تقدم من نهب الحاج، وجعل أمير الركب يستدرجه ويخدعه، بأنه لم يصح عند الديوان العزيز، إلا أن الشرفاء، وأتباعهم نهبوا أطراف الحاج، ولولا تلافيك أمرهم، لكان الاصطلام .وقال :يقول لك مولانا الوزير :وليس كمال الخدمة الإمامية، إلا بتقبيل العتبة، ولا عزّ الدنيا والآخرة، إلا بنيل هذه المرتبة، فقال له :أنظر في ذلك، ثم تسمع الجواب .واجتمع ببني عمه الأشراف، وعرَّفهم أن ذلك استدراج لهم وله، حتى يتمكن من الجميع، وقال :يا بني الزهراء، عزكم إلى آخر الدهر، مجاورة هذه البنية والاجتماع في بطائحها، واعتمدوا بعد اليوم، أن تعاملوا هؤلاء القوم بالشر، يوهنوكم من طريق الدنيا والآخرة، ولا يرغبوكم بالأموال والعَدد والعُدد، فإن الله قد عصمكم وعصم أرضكم بانقطاعها، وإنها لا تبلغ إلا بشق الأنفس، قال :ثم غدا أبو عزيز على أمير الركب، وقال له :اسمع الجواب، ثم أنشده ما نظمه في ذلك :

ولي كفٌّ ضرغام أصولُ ببطشها

وأشري بها بين الورى وأبيعُ

تظلُّ ملوكُ الأرض تلثم ظهرَها

وفي بطنها للمجدبين ربيعُ

أأَجعلها تحت الثرى ثم أبتغي

خلاصاً لها إِنِّي إذاً لرقيعُ

وما أنا إلا المسكُ في كل بلدةٍ

أضوعُ وأما عندكم فأضيعُ([154])

فقال له أمير الرَّكب :يا شريف، أنت ابن بنت رسول الله ، والخليفة ابن عمك، وأنا مملوك تركي، لا أعلم من الأمور التي في الكتب ما علمت، ولكني قد رأيت أن هذا من شرب العرب، الذين يسكنون البوادي، ونزعات قطّاع الطريق ومخيفي السبيل، حاش لله أن أحمل هذه الأبيات عنك إلى الديوان العزيز، فأكون قد جنيت على بيت الله، وبني بنت نبيه ، ما أُلعن عليه في الدنيا، وأُحرق بسببه في الآخرة، والله لو بلغ هذا إلى حيث أشرت، لترك كل وجهٍ، وجعل جميع الوجوه إليك حتى يفرغ منك، ما لهذا ضرورة، إنه قد خطر لك أنهم استدرجوك، لا تسر إليهم، ولا تمكن من نفسك، وقل جميلاً، وإن كان فعلك ما علمت .
قال :فأصغى إليه أبو عزي، وعلم أنه رجل عاقل ناصح، ساع بخير لمرسله وللمسلمين، فقال : كثر الله في المسلمين مثلك، فما الراي عندك؟ قال :أن ترسل من أولادك من لا تهتم به إن جرى عليه ما يتوقعه، ومعاذ الله أن يجري إلا ما تحبه، وترسل معه جماعة من ذوي الأسنان والهيئات من الشرفاء، فيدخلون مدينة السلام، وفي أيديهم أكفانهم منشورة، وسيوفهم مسلولة، ويقبلون العتبة، ويتوسلون برسول الله ، وبصفح أمير المؤمنين، وسترى ما يكون من
الخير ([155])لك وللناس، والله لئن لم تفعل هذا، لتركبنَّ الإثم العظيم، ويكون ما لا يخفى عنك، قال :فشكره ووجه صحبته ولده وأشياخ الشرفاء، ودخلوا بغداد على تلك الهيئة التي

رسم، وهم يضجون ويبكون ويتضرعون، والناس يبكون لبكائهم، واجتمع الخلق كأنه المحشر، ومالوا إلى باب النوبي من أبواب مدينة الخليفة، فقبلوا هنالك العتبة، وبلغ الخبر الناصر، فعفى عنهم وعن مرسلهم، وأُنزلوا في الديار الواسعة، وأُكرموا الكرامة التي ظهرت واشتهرت، وعادوا إلى أبي عزيز بما أحبَّ، فكان بعد ذلك يقول :لعن الله أول رأي عند الغضب، ولا عدمنا عاقلاً ناصحاً يثنينا عنه.

وذكر ابن محفوظ :أن قتادة أرسل إلى الخليفة ولده راجح بن قتادة في طلب العفو، وكلامه يقتضي أن ذلك وقع بإثر الفتنة .وذكر ابن الأثير ما يوافق ذلك، وما ذكره ابن سعيد، يقتضي أن ذلك بعد سنةٍ من الفتنة والله أعلم.

وقد ذكر قتادة جماعة من العلماء في كتبهم، وذكروا ما فيه من الأوصاف المحمودة والمذمومة، مع غير ذلك من خبره، فنذكر ما ذكروه لما فيه من الفائدة.

قال المنذري في التكملة :كان مهيباً) وقوراً (قويّ النفس) شجاعاً (مقداماً فاضلاً، وله شعر . قال :وتولَّى إمرة مكة مدة، رأيته بها وهو يطوف بالبيت شرفه الله تعالى، ويدعو بتضرع وخشوع كثير .قال :وكان مولده بوادي ينبع، وبه نشأ .وذكر أنه قدم مصر غير مرة، وأن أخاه أبا موسى عيسى بن إدريس، أَملى عليه نسبه هذا، يعني الذي ذكرناه حين قدم مصر.

وقال ابن الأثير :وكانت ولايته قد اتسعت، من حدود اليمن إلى المدينة النبيّ ، وله قلعة ينبع بنواحي المدينة، وكثر عسكره، واستكثر من المماليك، وخافه العرب في تلك البلاد خوفاً عظيماً .وكان في أول أمره لما ملك مكة حرسها الله تعالى، حسن السيرة، أزال عنها العبيد المفسدين، وحمى البلاد، وأحسن إلى الحجاج وأكرمهم، وجدد المكوس بمكة، وفعل أفعالاً شنيعة، ونهب الحاجّ في بعض السنين كما ذكرنا.

وقال ابن سعيد، بعد أن ذكر وفاته وشيئاً من حال أجداده :وكان أبو عزيز أدهى وأشهر من مَلَك مكة منهم، وكان يخطب للخليفة الناصر، ثم يخطب لنفسه بالأمير المنصور، ودام ملكه نحو سبع وعشرين سنة([156])، وكان قد ابتاع المماليك وصيرهم جنداً يركبون بركوبه، ويقفون إذا جلس على رأسه، وأدخل في الحجاز من ذلك ما لم يعهده العرب وهابته، وكان متى قصد منهم فريقاً، أمر فيهم وهابته، وكان متى قصد منهم فريقاً، أمر فيهم بالسِّهام، فأطاعته التهائم والنجود، وصار له صيتٌ في العرب لم يكن لغيره، وكانت وراثته الملك عن مكثر بن قاسم بن فليتة الذي ورثه عن آبائه المعروفين بالهواشم، ولم يكن أبو عزيز من الهواشم، إلا من جهة النساء، وظهر في مدة مكثر، فورث ملكه، واستقام أمره، ثم استقام الأمر في عقبه إلى الآن .قال :وكان أبو عزيز في أول أمره، حسن السيرة، صافي السريرة، فلما وثب على شبيهه وابن عمه، الرجل الذي توهم أنه من العراق وقتله، انقلبت أحواله، وصار مبغضاً في العراقيين، وفسدت نيته على الخليفة الناصر، وساءت معاملته للحجاج، وأكثر المكوس والتغريم في مكة، حتى ضج الناس، وارتفعت فيه الأيدي بالدعاء، فقلته الله تعالى على يد ابنه حسن بن قتادة .ثم قال ابن سعيد :وكان أبو عزيز، أديباً شاعراً– وقد تقدّم شعره الذي قاله، عندما حاول الإمام الناصر وصوله إلى بغداد –قال :ولما قتلت العرب في الركب العراقي، حين أسلمه أميره المعروف بوجه السبع وفرّ إلى مصر بسبب عداوة جرت بينه وبين الوزير العلوي، كتب ابن زياد عن الديوان العزيز :إلى أبي عزيز، وغير خَفيٍّ عن سمعك، وإن خفي عن بصرك. فيك إلا جاوره ([157])في آرامٍ بكل ريم، وغشيان حرب بين الحرمين، حتى عَمُّوا قلب كل محرم كالعميم .فكان جواب أبي عزيز :أما ما كان بأطراف نجد، فالعتب فيه راجع على من قرب من خدام الديوان العزيز الكاف، وأما ما ارتكبوه بين الحرمين، فهو مشترك بين الحسن والحُسين، قال :وكأنهم رأوا في هذه الكلام استخفافاً لم يحتمله الديوان العزيز، فكانت أول الوحشة حتى أظهر التوبة، وأرسل ابنه والأشراف بأكفانهم

منشورة بين أيديهم وسيوفهم مجردة، وذكر وزيره النجم الزنجاني ([158])أن أبا عزيز، وقع بالفصل الذي كتب إليه من بغداد، ولم يزل هجِّيراه، إلى أن أنشده فيما نظمه :

بآرامٍ فُتنتَ بكل ريم

وهم عمُّوا فؤادي بالعميمِ([159])

وفي وادي العقيق رَأَوا عقوقي

كما حطموا ضلوعي بالحطيمِ

فأتى بما لا يخفى انطباعه فيه.

ومن مختار شعره، قوله:

أيُّها المعرض الذي قوله إن

جئت أشكو فضحتني في الأنامِ

فأرِح نفسك التي قد تعيَّت

أرحْني من بث هذا الغرامِ

كان هذا يكون قبل امتزاجي

بك مزج الطلا بماء الغمامِ

ليس لي من رضاك بُدٌّ وقصدي

يومَ عيدٍ من سائر الأيامِ

وقال أبو سعيد أيضاً :قال الزنجاني :ومما يجب أن يؤرَّخ من محاسن الأمير أبي عزيز، أن شخصاً من سرو اليمن، يعرف بنابت بن قحطان، ورد برسم الحج، وكان له مال يتاجر فيه، فتطرق إليه أبو عزيز، بسبب احتوائه عليه، قال :فبينما هو يتمشَّى في الحرم، إذ سمع شخصاً يقول، وهو يطوف بالبيت :اللهم بهذا البيت المقصود، وذلك المقام المحمود، وذلك الماء المورود، وذاك المزار المشهود، إلا ما أنصفتني ممن ظلمني، وأحوجت إلى غيرك، من إلى الناس أحوجني، وأريته بعد حلمك أخذك الأليم الشديد، ثم أصليته نارك، وما هي من الظالمين ببعيد .فارتاع أبو عزيز، ثم حمله طبعه وعادته، على أن وكل به من يعنفه، ويحمله إلى السجن بعنف، وانصرف إلى منزله، وكان له جارية حبشية، نشأت بالمدينة، فقالت :يا أمير حرم الله، إن لك الليلة لشأناً، فأخبرها بخبر الشخص، فقالت :معاذ الله يا ابن بنت رسول الله، أن تأخذك العزة بالإثم، رجل غريب قصد بيت الله، واستجار بحرم الله، تظلمه أولاً في ماله، ثم تظلمه آخراً في نفسه، أين عزبت عنك المكارم الهاشمية والمراح النبوية، غير هذا كلامها في خاطره، وأمر بإحضار الرجل، فلما حضر، قال له :اجعلني في حلٍّ، قال :ولمِ؟ قال :لأني ابن بنت رسول الله، فقال :لو كنت ابن بنت رسول الله، ما فعلت الذي فعلت، حين ولاَّك الله أمر عباده وبلاده، فاستعذر أبو عزيز وقال :قد تُبت إلى الله، وصدقتن عليك مالك، فقال الرجل :نعم، الآن أنت ابن بنت رسول الله ، وأنا فقد تصدقت بجميع ذلك

المال، شكراً لله تعالى على أن أعتق من العار والنار، شخصاً يعتزي إلى ذلك النسب الكريم . فقال أبو عزيز :الحمد لله على كل حال، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم استدعى شاهدين ونص عليهما الحكاية، ثم قال :فاشهدوا أني قد أعتقت هذه الجارية، ووهبت لها من المال كذا وكذا، فإن أراد هذا اليمني أن يتزوجها، فعلي صداقها عنه، وما يتجهزان به إلى بلاده، وما يعيشان به هناك في نعمةٍ ما شاء الله، فقال اليمني :قد قبلت ذلك، ولم ينفصلا إلى بلاده إلا بها انتهى.

وقال أبو شامة في أخبار سنة سبع عشرة وستمائة :وفيها) في جمادى الأولى (مات بمكة أبو عزيز قتادة بن إدريس أمير مكة، الشريف الحسني الزَّبدي، كان عادلاً منصفاً، نقمة على عبيد مكة والمفسدين، والحاجّ في أيامه مطمئنون، آمنون على أنفسهم وأموالهم .وكان شيخاً مهيباً طوالاً، وما كان يلتفت إلى أحدٍ من خلق الله، ولا وطئ بساطاً لخليفةٍ ولا غيره، وكان يُحمل إليه في كل سنة من بغداد، الخلع والذهب، وهو في داره) بمكة(، وكان يقول :أنا أحق بالخلافة) من الناصر لدين الله (ولم يرتكب كبيرة على ما قيل :وكان في زمانه يؤذن في الحرم »بحيّ على خير العمل«، على مذهب الزيدية، وكتب إليه الخليفة يستدعيه ويقول :أنت ابن العم والصاحب، وقد بلغني شهامتك وحفظك للحاجّ، وعدلك وشرف نفسك، وعفتك ونزاهتك، وقد أحببتُ أن أراك وأشاهدك، وأحسن إليك، فكتب إليه.

ولي كَفٌّ ضرغام..

الأبيات الأربعة.([160])

إلا أنّ فيما ذكره أبو شامة فيها مخالفة لما سبق، في لفظياتٍ يسيرة، منها أنه قال :

ولي كف ضرغام أذل ببطشها

ومنها:

أأجعلها تحت الرحى.

ومنها :

وما أنا إلا المسك في كل بقعة

يضوع وأما عندكم فيضيعُ

ففي هذا البيت، مخالفة لما سبق في ثلاث لفظات، والمعنى في ذلك كله متقارب.

وذكر ابن الجوزي في كتاب» الأذكياء «ما يقتضي أن بعض هذه الأبيات لغير قتادة، لأنه قال :كان لأحمد بن الخصيب، وكيل له في ضياعه، فرفع إليه عنه جناية، فعزم على القبض عليه، والإساءة إليه فهرب، فكتب إليه أحمد يؤمنه ويحلف له على بطلان ما اتصل إليه، ويأمره بالرجوع إلى عمله، فكتب إليه :

أنا لك يا ذا سامعٌ ومطيعُ

وإني لما تهوى إليه سريعُ

ولكن لي كفّا أعيش ببطشها

فما أشتري إلا بها وأبيعُ

أأجعلها تحت الرحى ثم أبتغي

خلاصاً لها إني إذاً لرقيعُ

ورأيت من ينسب هذه الأبيات لأبي سعد ابن قتادة، واعتمد في ذلك على ورقةٍ رأيتها معه : أنّ أبا سعد ([161])علي بن قتادة، توجه إلى العراق، فلما أشرف على نخيل بغداد أو غيرها من البلاد– الشك مني –رجع وقال هذه الأبيات، ولا دلالة في ذلك، لاحتمال أن يكون أبو سعد، قالها استشهاداً، والله أعلم.

ولم أرَها معزوة لأبي سعد، إلاّ في هذه الورقة، وقد عزاها ابن سعيد وأبو شامة وغيرهما، لقتادة كما ذكرنا، وفي ذلك النظر الذي ذكرناه من كلام ابن الجوزي.

وذكر المنذري :أن قتادة توفي في آخر جمادى الآخرة، من سنة سبع عشرة وستمائة بمكة . وذكر وفاته في هذه السنة :أبو شامة والذهبي، وابن كثير، وقالوا :إنه مات في جمادى الأولى.

وذكر ابن الأثير في» الكامل :«أنه توفي سنة ثمان عشرة وستمائة، في جمادى الآخرة، قال : وكان عمره نحواً من تسعين سنة.

وقد سبق في ترجمة ابنه حسن بن قتادة، أن الملك المسعود صاحب اليمن، لما مَلَك مكة بعد غَلَبِه لحسن بن قتادة أمر بنبش قبر قتادة وإحراقه، فوجدوا في القبر تابوتاً ليس فيه شيء، فعرف الناس بذلك، أن حسناً قتل أباه، ودفن التابوت في قبره، ليخفي أمره، ويقال : إن سبب قتل حسن بن قتادة لأبيه، أنَّ أباه قتادة، توعَّده بالقتل، لما بلغه أنه قتل عمه، بعد أن ندبه أبوه بجيش إلى المدينة مع ابنه حسن، وبلغ ذلك حسناً، فدخل على أبيه بعد عوده من المدينة، فبالغ أبوه في ذمّه وتهديده، فوثب إليه حسن فخنقه لوقته .هذا معنى ما ذكره ابن الأثير، في سبب قتل حسن ابن قتادة لأبيه، وصورة قتله.

ونقل ابن سعيد المغربي، عن سليمان بن الزنجاني([162])، وزير قتادة، أن أخا حسن بن قتادة وأقاربه، يزعمون أن حسن قتل أباه خنقاً، واستعان على ذلك بجارية كانت تخدم أباه، وعلام له في إمساك يديه، ثم قتلهما) بعد ذلك (ليخفي سبب قتله أبيه، وزعم أن قتله الغلام والجارية، لكونهما قتلا أباه.

ورأيتُ ما يقتضي، أن حسن بن قتادة قتل أباه بالسم، والله أعلم أي ذلك كان .وقيل إن قتادة بلغ تسعين سنة، فيتحصّل في سنه قولان، أحدهما :أنه تسعون، والآخر أنه نحو تسعين . وهذا القول ذكره ابن الأثير والأول ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام، ويتحصّل في سنة وفاته قولان، أحدهما :أنه سنة سبع عشرة، والآخر :أنه سنة ثمان عشرة وستمائة .ويتحصل في شهر وفاته قولان، أحدهما :إنه جمادى الأولى، والآخر :أنه جمادى الآخرة، من سنة سبع عشرة . ويتحصّل في صفة قتله قولان، أحدهما :أنه خنق، والآخر :أنه سمَّ، والله أعلم بالصواب.

وكان لقتادة من الولد :حسن، الذي وليَ إمرة مكة بعده، وراجح، وهو الأكبر الذي كان ينازع حسن في الإمرة، وعليّ الأكبر، جدُّ الأشراف المعروفين بذوي علي، وعلي الأصغر، جد أبي نمي([163])، جدّ الأشراف ولاة خُلَيص([164])، ولكلٍ من أولاده هؤلاء ذرية إلى الآن.

ومما صنع قتادة أيام ولايته على مكة، أنه بَنى عليها سوراً من أعلاها على ما بلغني، وأظنه سُورها الموجود اليوم، وبلغني أن الذي بوادي نَخْلَة ([165])الشامية، فيما بين التَّنْضُب وبِشْراً، بناء على هيئة الدروب في مسيل الوادي، ليُمكسَ عنده حجاج العراق، وآثار هذا البناء فيه إلى الآن، وأنه بنى على الجبل الذي بأسفل السبط، من وادي نخلة المذكورة، مصبًّا على جبل يقال له العطشان، وآثار ذلك باقية إلى الآن، والله أعلم.

قال مؤلفه :كل ما قبل هذا منقول من كتاب الفاسي المسمّى» :العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين «ولعلنا نضيف إليه أية فائدة تحصل من مؤرخي مكة المتأخرين عن الفاسي، رغم أنهم كلهم عنه نقلوا.

بنو قتادة :

أولاً :من تقديم ذكرهم آنفاً، فنقول :

–1حسن بن قتادة، وستأتي أخباره بعده، ومن ذريته اليوم الأشراف ذوو) هجار (أشراف ينبع.

–2راجح :ستأتي أخباره، ولا تعلم اليوم له ذرية.

3- علي الأكبر :والد أبي سعد حسن، وهذا يعني أن غالب أشراف الحجاز اليوم من ذريته، لأن كل من حكم الحجاز بعده هم من ذرية أبي سعد، ثم أبي نمي ...الخ.

4- علي الأصغر :والد الأشراف ذوي علي ([166])الذين في عهد الفاسي، وقد خفي اليوم ذكرهم، كما خفي ذكر بني عبد الكريم، أما بنو علي وبنو عبد الكريم الموجودون في يومنا هذا فهم من الأشراف ذوي بركات بن أبي نمي الثاني، والبون واسع بين العهدين.

ثانياً -فيما مر بك أن لأبي عزيز ابنين، هما :

1- عزيز، وبه يكنى :وقيل هو الذي استولى على مكة لأبيه، وقيل :إنه مجرد كنية، والله أعلم.

2- حنظلة :وقيل إنه هو الذي استولى على مكة، بل جزم بذلك في) اتحاف فضلاء الزمن (وهذان ما رأينا من ذكر لهما ذرية، ولما أن ذكر عزيز قليل، فلعله لقب لحنظلة، وغريب من الفاسي أن أسقط حنظلة من أبناء أبي عزيز رغم أنه ذكره أكثر من مرة.

3- وله ابن اسمه إدريس، لم يذكره الفاسي إلا مفرداً مع أنه ملك، وسيأتي ذكره .فهؤلاء سبعة.

ثم رأيت ابن عنبة ([167])قد أتى بشيء، أما أن التقي لم يأت به أو أنه عند ابن عنبة أحسن، ولعل الفاسي لم يطلع عليه لحكم المعاصرة، ولكن ما في عمدة الطالب شوش عليه

كثير من تغيير الكلمات والتطبيع وقلة وضوح المطبوع، ثم راجعت تأريخ العصامي ([168]) فوجدته قد احتوى على ما قاله صاحب عمدة الطالب.([169])

قال العصامي :([170])قال صاحب عمدة الطالب :كان قتادة جباراً فتاكاً فيه قسوة وتشدد، وحزم، وكان الخليفة في زمانه الناصر العباسي، فاستدعى الناصر الشريف قتادة إلى بغداد ووعده ومناه فأجابه إلى ذلك، وسار إلى أن وصل إلى العراق] ثم إلى مشهد الفروي، فخرج أهل بغداد لتلقيه، وكان ممن خرج في غمار الناس رجل درويش معه أسد مسلسل ([171])[فلما نظر إليه الشريف قتادة تطير، وقال :ما لي ولبلد تذل فيها الأسود؟ فرجع إلى الحجاز، وكتب إلى الخليفة بقوله :

بلادي ولو جارت عليّ مريفة

ولو أنني أعرى بها وأجوعُ

ولي كف ضرغام إذا ما بسطتها

بها اشتري يوم الوغى وأبيعُ

أأتركها تحت الرهان وابتغي

بها بدلاً إني إذاً لرقيعُ

وما أنا إلا المسك في غير أرضكم

أضوعُ وأما عندكم فأضيعُ

فلما وقف الناصر على هذه الأبيات، استشاط غضباً وامتلأ حنقاً وحرباً، وكتب إلى الشريف قتادة يقول :

أما بعد :فإذا نزع الشتاء جلبابه، ولبس الربيع أثوابه، قاتلناكم بجنود لا قبل لكم بها، ولنخرجنكم منها أذلة وأنتم صاغرون.

فلما قرأ الكتاب الشريف قتادة ارتاع لذلك أشد ارتياع، وأرسل إلى بني عمه بني الحسين)ابن علي (بالمدينة يستنجدهم، ويسألهم المعونة، وصدَّر الكتاب بقوله ..

بني عمنا من آل موسى وجعفر

وآل حسين كيف صبركم عنَّا

بني عمنا إنا كأفنان دوحة

فلا تتركونا يتخذنا الفنا فنّا

إذا ما أخٌ خلى أخاه لآكلٍ

بدا بأخيه الأكل ثم بذا ثنّى

فأتته منهم رجال النجدة ذوو العدد والعدة، فلما أقبلت تلك الكتيبة الناصرية، كسرها وبدد شملها وقهرها، فلما بلغ ذلك الناصر العباسي، وإلى عليه الإنعامات الكاملة، وأقطعه الإقطاعات الطائلة.

وقال صاحب عمدة الطالب، أيضاً :ولقتادة إخوة وعمومة، وأعقب هو من) تسعة رجال (ويقال لعقبه القتادات .ولكن لم يعدد أسماء أبناء قتادة ولم يذكر منهم إلاّ حسناً وراجحاً.

أما إخوته، فلم أر من ذكر منهم إلاّ) صرخة بن إدريس (([172])وسيأتي في ترجمة حسن ابن قتادة الآتية .أما أعمامه، فلم أر من ذكر منهم إلاّ) ثعلب بن مطاعن بن عبد الكريم (وبقية النسب تقدم في قتادة، وبنو ثعلب يعرفون اليوم بالأشراف الثعالبة، ولهم قرية الغالّة، على مقربة من بلدة الليث مما يلي الشام.([173])

قال مؤلفه :قد عددنا فيما تقدم سبعة من أبناء قتادة، ثم رأيت صاحب الدار الكمين ذكر لقتادة ولداً لم يذكره غيره، قال :حُميد بن أبي عزيز قتادة ..الخ.

ولي مكة نيابة عن والده في سنة سبع وتسعين وخمس مائة، أو في التي بعدها أو في التي بعدها.([174])

وبوجود هذا الابن الثامن تظهر صحة قول صاحب عمدة الطالب.

-17الشريف الحسن بن قتادة

623-)هـ 1226- /م:(

وبقية النسب تقدم آنفاً في ترجمة أبيه قتادة نابغة بني حسن.

ولي مكة بعد أبيه نحو ثلاث سنين .قال مؤرخوه- لما مات قتادة :-ملك بعده الحسن هذا، فقام أخوه راجح بالمطالبة بالملك، فصار يقيم بظاهر مكة، وينازع أخاه حسناً، فلما سار حجاج العراق، وكان أميرهم مملوكاً اسمه آقباش، فقصده راجح بن قتادة، وبذل له وللخليفة الناصر العباسي مالاً على أن يملكه مكة فأجابه إلى ذلك، فوصلوا إلى مكة، ونزلوا الزاهر، فتقدموا إلى مكة محاربين لصاحبها حسن، وكان مع راجح جموع من العرب وغيرهم، فخرج إليهم الحسن وقاتلهم، وقتل آقباش وعلقوا رأسه، فانهزم عسكر أمير الحاج، ولكن الحسن أجار الحجاج من القتل والنهب.

فلما وصلت أخبار هذه الحوادث إلى الخليفة الناصر عظم عليه الأمر فأرسل إليه حسن يعتذر، فعفا عنه الخليفة .وقيل :بل إن راجحاً اجتمع بآق باش في عرفات، وطلب مساعدته في توليه إمرة مكة، وقال :أنا أكبر ولد قتادة، فلم يجبه إلى ذلك، ولكن حسناً ظن أن آقباش قد ولّى راجحاً فأغلق أبواب مكة.

وقال ابن الأثير- :في أخبار سنة عشرين وستمائة -في هذه السنة سار الملك المسعود أتسز بن الملك الكامل محمد إلى مكة، وصاحبها حينئذ حسن بن قتادة، وكان حسن قد أساء السيرة إلى الأشراف والمماليك الذين كانوا لأبيه([175])، وقد تفرقوا عنه، ولم يبق عنده غير أخواله من عنزة، فوصل المسعود إلى مكة رابع ربيع الآخرة، فلقيه الحسن، وقاتله بالمسعى ببطن مكة، فكانت الغلبة للمسعود، وانهزم حسن، وملكها صاحب اليمن ونهبها عسكره، قال بعض المجاورين :إنهم نهبوها حتى أخذوا الثياب من على الناس، وأمر صاحب اليمن أن ينبش

قبر قتادة ويحرق، فنبشوه، فظهر التابوت الذي دفنه ابنه الحسن، والناس ينظرون إليه، فما وُجد فيه شيء، فعلموا أن الحسن دفن أباه سراً وإنه لم يجعل في التابوت شيئاً، وذاق الحسن عاقبة قطيعة الرحم وعجل الله له العقوبة، وزال عنه ما قتل أباه وعمه وأخاه من أجله ! وذكر ابن محفوظ أن إخراج الحسن بن قتادة من مكة، كان سنة619) هـ(، وذكر ذلك غيره.

قال :وصل الملك المسعود، إلى مكة– كما مر –وخرج حسن، فتسلمها السلطان وراجح بن قتادة معه، ورد السلطان على أهل الحجاز جميع أموالهم ونخلهم، وما كان أخذ من الوادي جميعه([176])، ومن مكة، وولّى راجحاً حلي ([177])ونصف المخلاف، واستناب السلطان على مكة الأمي نور الدين بن علي ابن رسول، ورتب معه ثلاثمائة فارس ..الخ.

أما حسن فإنه راح إلى ينبع ([178])وجاء بجيش، وخرج إليه نور الدين وكسره على الخربة.([179])

...سنة623) هـ(، وفيها توفي حسن بن قتادة امير مكة، وكان قد ولي الإمارة بعد أبيه . ويقال :إنه دخل على أبيه وهو مريض فقتله خنقاً، وولي الإمارة مغالبة، وكان سيء العشرة والسيرة ظلوماً مقداماً، وهو الذي قتل أمير الحاج آقباش في سنة617) هـ(، وأحدق في مكة أموراً منكرة، فأريد القبض عليه، فخرج على أقبح صورة، فقصد الشام فلم يلتفت إليه، فتوجه إلى العراق، ووصل إلى بغداد، فأدركه أجله، في الجانب الغربي على دكة هناك .فلما عُلم به غُسل وكُفّن، ودفن في مشهد موسى) الكاظم.(

وقيل :لما وصل بغداد همَّ أهل بغداد بقتله قوداً بآقباش الناصري([180])، ولكن عاجلته المنية، قبل قتله.

أما ما قيل من قتل حسن بن قتادة أباه وأخاه وعمه، فقد ذكر ابن الأثير صورة ذلك، فقال :وقيل في موت قتادة أن ابنه حسناً خنقه، وسبب ذلك أن قتادة جمع جموعاً كثيرة، وسار يريد المدينة، فنزل بوادي الفرع وهو مريض، وسير أخاه على الجيش ومعه ابنه الحسن، فلما أبعدوا بلغه أن عمه) الحسن ([181]) (قال لبعض الجند :إن أخي مريض، وهو ميت لا محالة، وطلب منهم أن يحلفوا له ليكون هو الأمير بعد أخيه قتادة، فحضر الحسن عنده، واجتمع إليه كثير من الأشراف والمماليك الذين لأبيه، فقل حسن لعمه :قد فعلت كذا وكذا .قال :لم أفعل .وأمر حسن الحاضرين بقتله، فلم يفعلوا، فأمر غلامين له فجعلا عمامته في حلقه، ثم قتله، فلما سمع قتادة الخبر حلف ليقتلن ابنه، فكتب بعض أصحاب حسن إليه يعرفه الحال بقوله :ابدأ به قبل أن يقتلك، فعاد الحسن إلى مكة، فوثب على أبيه فخنقه، وخرج إلى الحرم، وأخذ البيعة من الأشراف .ثم إنه أحضر تابوتاً ودفنه ليظن الناس أنه مات، وكان قد دفنه سراً .فلما استقرت الإمارة له، أرسل إلى أخيه من ينبع يستدعيه، على لسان أبيه، وكتم موت أبيه عنه، فلما حضر أخوه قتله، واستقر أمره، فارتكب أمراَ ً عظيماً، قتل أباه وعمه وأخاه، وذلك في أيام يسيرة، وقيل :إن حسناً واطأ جارية كانت تخدم أباه، فأدخلته عليه ليلاً .وقال الزنجاني مؤرخ الحجاز، وكان وزيراً لأبي عزيز) قتادة :(وإخوته وأقاربه يزعمون أنه) أي حسن (قتل أباه خنقاً، واستعان بجارية وغلام في إمساك يديه، ثم قتلهما بعد ذلك لئلا يخرج الخبر، وزعم للناس أنهما قتلا أباه.

ثم يقول التقي الفاسي :ثم رأيت للحسن مكرمة صنعها بمكة، وهي أنه رد الموضع المعروف برباط الخرازين بالمسعى، الذي هو وقف على رباط السدرة بمكة، إلى فقراء الرباط المذكور بعد الاستيلاء عليه .انتهى، عن العقد الثمين، مادة حسن بن قتادة، باختصار.

وبمراجعة العصامي- رغم أنه ناقل في هذا الباب عن الفاسي- نجد عنده ما يضاف([182])، فقد قال :ثم وليها حسن بن قتادة عام سبع عشرة وستمائة، ووقع فيها قتال بينه وبين آق باش أمير الركب العراقي وهو مملوك تركي للناصر العباسي، عقد له الولاية على مكة وعلى كل بلد يدخلها، وسبب القتال أنه لما ورد آق باش ([183])أميراً، تعرض له راجح بين مكة وعرفة، فأمسكه الأمير المذكور) آق(، فأرسل أخوه حسن إلى الأمير موعداً له بمال جزيل لو سلم إليه أخاه راجحاً، فقال راجح للأمير :أنا أعطيك أضعاف ما وعدكم على أن تعينني أميراً على مكة، فوعده بذلك، فأرادا جميعاً- راجح وآق باش -دخول مكة فمنعهما حسن فوقعت الحرب، فصعد آق باس على جبل عرفة ([184])بما عنده من المنعة، فاحدقت به أعراب الشريف حسن فقتل وعلق رأسه في ميزاب الكعبة، وقيل رفع على رأس رمح في المسعى ...الخ ما عند العصامي.

ومع اكتفائنا بما تقدم من النقل إلاّ أنني أردت أنا أناقش روايات المؤرخين هنا، وهي التي أكثر فيها على حسن من فعل الجرائم فأقول :

-1كل الروايات التي نسبت إليه فيها جرائم، جاءت بصيغ التمريض) قيل ويقال وقالوا ... الخ (حتى الزنجاني وزير قتادة لم يقل قال لي فلان أو فلانة.

-2هل كان بيت قتادة- وهو ملك الحجاز -خالياً من الرواد حتى يقوم حسن بكل هذه الأفعال دون أن يراه أحد؟ فأين زوجاته وخدمه، بل أين حرسه؟.

-3حسن قتل أباه ودفنه خفية، ودفن التابوت فارغاً !من ساعده على حمل أبيه ودفنه ودفن التابوت، فإذا قيل :الغلامين المذكورين ساعداه قبل قتلهما، فهل يكون هذا في بطن مكة، ويكون بسرية لا يراها إلاّ الله؟.!

4-والعجب من مؤرخي مكة أنهم لم يذكروا اسم معه ولم يذكروا اسم أخيه الذي قتله.!

فمن هو أخو قتادة؟ !ذكر المؤرخون ونسّابوا آل أبي طالب لقتادة أخاً واحداً هو)صرخة :([185])(قال العصامي وغيره :وكان لإدريس) ابن مطاعن (ابنان :قتادة النابغة وصرخة .فأما صرخة فولده بينبع يعرفون بالشكرة .([186])أما إخوة حسن فكما تقدم : راجح منافسه، ولم يقتل، والآخر جد الأشراف النمويين، لم يقتل، وإدريس، حكم بعد ذلك بمدة، فلم يبق إلا حنظلة، فإذا صدقت الرواية فإنه هو المقتول.

أما عزيز فأمره ليس بالقوي، لعله مجرد كنية لقتادة كعادة العرب يكنون أبناءهم وهم صغار، فإذا كبر وأنجب تجنب التسمية بتلك الكنية، ومن أمثال ذلك :أبو بكر، أم حبيبة، وأم عبد الله، رضي الله عنهم.

5-وأخيراً- ومقارنة بما نسمع من الدعايات في زمننا الحاضر -ألا تكون هذه إشاعات ألصقها به أخوه راجح لينفضَّ الناس من حوله؟.!

جائز هذا، ولا أرى اجتماع تلك الجرائم جائز، والله أعلم، وهو الهادي إلى الصواب.

أبناء حسن بن قتادة :

ذكر له مؤرخوه :إدريس، أمير ينبع .وأحمد ومحمد وجماز، والأخير قد يذكر مع بعض بنيه فيما يتبع، وظلت إمرة ينبع في بني حسن هذا قروناً عديدة، والموجود اليوم منهم) الأشراف

ذوو هجا (هجار :بالتخفيف وكسر الهاء، وهم من ذرية إدريس بن حسن ابن قتادة، والله أعلم.

-18الشريف أبو سعد الحسن بن علي:

651-)هـ 1253- /م :(

الأمير الشجاع الذي رد لإمارة آل قتادة شبابها بعد أن كادت تضمحل .ترجم له التقي الفاسي([187])، فقال :

الحسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن) وبقية النسب في قتادة.(

أبو سعد، صاحب مكة وينبع .ولي إمرة مكة نحو أربع سنين، وسبب استيلائه على مكة، أن بعض كبار العرب من زبيد([188])، حَسَّن له الاستيلاء عليها، من قوات صاحب اليمن، وكانوا فرقتين، تخرج واحدة إلى أعلى مكة، والأخرى إلى أسفلها كل يوم، فحمل أبو سعد على إحدى الفرقتين فكسرها، فضعفت الأخرى عنه، فاستولى على مكة، وقبض على الأمير الذي كان بها من جهة صاحب اليمن، وكان صاحب اليمن قد أمره- أي أمر أبا سعد - بالإقامة بوادي مرّ) مر الظهران(، ليساعد عسكره الذي بمكة بقيادة ابن المسيب، فأخذ أبو سعد ما كان مع ابن المسيب من خيل وعدد ومماليك، وأحضر أعيان الحرم، وقال :ما لزمته إلاّ لتحققي خلافه على مولانا السلطان الملك المنصور، وعلمت أنه أراد الهرب بهذا المال إلى العراق، وأنا غلام مولانا السلطان، والمال عندي محفوظ، والخيل والعدد، إلى أن يصل مرسوم السلطان .فوردت الأخبار بوفاة المنصور.

وقوي بموت المنصور أمر أبي سعد، فاستقل بمكة، ودامت ولايته عليها حتى قتل ..الخ .وكان قبضه على ابن المسيّب يوم الجمعة لسبع خلون من ذي القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة . وقيل في آخر شوال سنة سبع وأربعين وستمائة، والخلاف بين المؤرخين في تأريخ استيلائه على مكة، لا يخرج عن شهري شوال والقعدة من هذه السنة.

وذكر أيضاً :أن صاحب اليمن لما استولى على مكة في شهر رمضان سنة تسع وثلاثين،)وستمائة (بعث إلى صاحب ينبع أبي سعد هذا، فلما أتاه أكرمه وأنعم عليه واستخدمه واشترى منه قلعة ينبع، وأمر بخرابها، حتى لا تبقى قراراً للمصريين، وجعله بالوادي) وادي فاطمة اليوم (مساعداً لنوابه على مكة .

وتوفي أبو سعد لخمس من شوال سنة651) هـ(، وفي معجم رمضان ابن مسدي :أن أبا سعد هذا قتل في أوائل رمضان سنة إحدى وخمسين وستمائة.

وفي تاريخ ابن الفرات :أن أبا سعد قتل لثلاث خلون من شعبان سنة651) هـ.(

وقال ابن مسدي– في حق أبي سعد :–كان فاضل الأخلاق طيب الأعراق، شديد الحياء، كثير الحباء، جمع الشجاعة والكرم والعلم والعمل، وكان يشعر وينظم وينثر، إلاّ أنه نزع بآخرةٍ إلى هوى نفسه، واغتر يومه بأمسه، فحار عما كان عليه من الحزم، وحل عروة العزم، فأتي من مأمنه ...الخ.

ومن شعر أبي سعد على ما يقال :

خذوا قودي من أسير الكِلَلْ

فوا عجباً من أسيرٍ قَتَلْ

انظر هذه القصيدة والكلام عليها في) هديل الحمام في تاريخ البلد الحرام.([189])(

وأبو سعد بن علي هذا هو والد عبد الكريم، جد الأشراف ذوي عبد الكريم، ووالد أبي نمي)الأول (صاحب مكة .انتهى بشيء من التصرف بالزيادة والاختصار، عن العقد الثمين) حسن بن علي.(

قلت :

-1الأشراف ذوي عبد الكريم، المشار إليهم هنا، لا وجود لهم اليوم في حج وكانوا يعرفون إلى سنة810) هـ(، ثم اضمحلوا، والأشراف ذوي عبد الكريم المعروفون اليوم، هم منم ذرية بركات بن أبي نمي الثاني محمد بن بركات.

-2غير عبد الكريم وأبي نمي) الأول (لحسن هذا ابن اسمه راجح.

وإذا كان كما أسلفنا أن شيخ الإسلام السيد زيني دحلان، هو الأكثر اختصاصاً بتأريخ الأشراف، فلا بد أن يكون عنده زيادة نص أو إيضاح ..الخ.

فهو يقول :عن استيلاء صاحب اليمن على مكة :وأعرض عن راجح وأرسل يطلب الشريف أبا سعد الحسن بن علي بن قتادة، وولاه مكة([190])، فذهب الشريف راجح إلى المدينة، واستنجد أخواله من بني حسين على ابن أخيه الحسن بن علي) أبي سعد (فأنجدوه فخرج

راجح معهم من المدينة، ومعهم سبع مائة فارس، قاصداً مكة، ومعهم الأمير عيسى الملقب بالحرون([191])، وكان فارس بني حسين في زمانه، فبلغ ذلك الشريف أبا سعد، وكان ابنه أبو نمي في ينبع، فأرسل إليه يطلبه، وعمر أبي نمي في ذلك الحين سبع عشرة سنة أو ثماني عشرة، فخرج في أربعين من ينبع إلى مكة، فصادف القوم سائرين، فحمل عليهم بالأربعين فهزمهم، ورجعوا مغلوبين، وفي ذلك يقول السيد جعفر بن محمد بن معِيّة الحسني، وهو إذ ذاك لسان بني حسن في العراق :

ألم يبلغك شان بني حسينٍ

وفرُّهم وما فعل الحرون([192])

فيالله فعل أبي نميٍّ

وبعض الناس ([193])يشبهه الجنون

يصف بأربعين ([194])على مئين

وكم من كثرةٍ ظلّت تهون

وبقية الخبر في ترجمة أبي نمي، لأنه له.

وكان أبو سعد من الشجاعة بالمحل الأعلى، وكانت أمه أم ولد حبشية، فيحكى أنه في بعض حروبه، فلحقته وهي في هودج فدعته، وقالت :يا بني إنك تقف اليوم موقفاً إن ظفرت فيه

قال الناس :ظفر ابن رسول الله، وإن هربت قالوا :هرب ابن السوداء، فانظر لنفسك، فإنه لا موت قبل فراغ الأجل .

ثم يسوق الدحلان ما لا يخالف ما تقدم .ثم :وفي سنة651) هـ (قدم الشريف) جمّاز ابن حسن بن قتادة (من دمشق في عسكر من الملك الناصر، فدخل مكة في رمضان، وقتل الحسن بن علي) ابن عمه ...الخ(، وبقية الخبر في ترجمة جمّاز اللاحقة.

انتهى بتصرف من) خلاصة الكلام.([195]) (

ولم أر غير الفاسي والدحلان– من المؤرخين –من ذكر فيه ما تجب إضافته.

–19الشريف جَمَّاز بن حسن بن قتادة.

لم تذكر وفاته، إلاّ أنه كان حياً سنة 653) هـ 1255 /م:(

ترجمه في العقد الثمين، فقال :

أمير مكة، وليها بعد قتله لأبي سعد) المتقدمة ترجمته قبله(، وذلك سنة651) هـ (وأخذ مكة، وأقام بها إلى آخر يوم من ذي الحجة، فتسلمها منه راجح بن قتادة عم أبي سعد المتقدم)وهو أيضاً عم جمّاز مدار البحث.(

ونقل عن ابن خلدون :أن جمّاز بن حسن هذا، سار إلى الناصر يوسف بن العزيز الظاهر صاحب الشام وحلب، يستعين به على أبي سعد بن علي بن قتادة، وأطعمه بقطع الخطبة عن صاحب اليمن، فجهز له عسكراً، وسار به إلى مكة.

فلما وصل إليها نقض عهد الناصر، واستمر يخطب لصاحب اليمن، فلما كان في سنة 653)هـ(، أخرجه منها راجح بن قتادة، فلحق بينبع.

ثم يقول الفاسي :هكذا وجدت هذه الحكاية، وهي على ظاهرها لا تستقيم، لأنها تقتضي أن جمّازاً هذا ولي مكة في حياة ابن عمه أبي سعد، والمعروف أنه إنما وليها بعد قتل أبي سعد، ولا تستقيم هذه الحكاية، إلاّ أن يكون جمّاز استعان بالملك الناصر على أبي نمي بن أبي سعد، ويكون ذكر أبي نُميّ سقط سهواً.

وفي هذا التأويل بُعد .وجمّاز هذا هو جد الأشراف ولاة ينبع في عصرنا، أيّ عصر الفاسي سنة832) هـ .(انتهى بتصرف بسيط من العقد الثمين) جمّاز.(

المؤلف :وهم اليوم يسمون بني) هِجار (الجيم مخفف.

وفي خلاصة الكلام :([196])وفي سنة651) هـ (قدم الشريف جماز بن حسن بن قتادة من دمشق، في عسكر من الملك الناصر، على أنه يأخذ له مكة، ويخطب له بها، فدخل في رمضان، واستولى عليها، وقتل الحسن بن علي بن قتادة، ثم نقض العهد السابق مع الناصر، وخطب للملك المظفّر صاحب اليمن، واستمر إلى الحج، فقدم عمه الشريف راجح بن قتادة بجيش، واستولى على مكة، وخرج جماز بلا قتال، وكانت هذه الولاية لراجح آخر ولاياته.

المؤلف :ومن خلاصة الكلام، استفدنا :أن جمّازاً دخل مكة في رمضان، وقتل ابن عمه والناس صيام، في بلد الله الحرام، فجوزي بزوال ملكه قبل أن يتم أربعة أشهر، فنعوذ بالله من الحوب.

ومنه عرفنا أن ابن راجح قتادة عاد إلى مكة بعد ملك أبي سعد وجماز، وملكها آخر ولاية سترى في ترجمة ابنه غانم التالية.

ثم لم أر من ذكر وفاة جماز هذا، ولا عد بنيه، غير أن أشراف ينبع ذوي هجار ينتسبون إليه كما تقدم.

20-الشريف راجح بن قتادة) ت 654 هـ 1256 /م):

الشريف راجح بن قتادة بن إدريس بن مطاعن، وبقية النسب تقدم في ترجمة أبيه قتادة.

كان راجح أكبر أولاد قتادة، ولكن حسناً حاز الإمارة عنه، فظهر راجح مظهر المغبون، وكثرت حركته، واستنجد بالكثيرين، ولكن لم يوفق للإمرة المستقلة .وجاء ذكره في التأريخ أعطر من ذكر أخيه المتقدم، ولعل له دوراً في تشويه سمعة أخيه .ولا يكاد راجح هذا يعرف بين المؤرخين إلاّ بأمير السِّرين، فقد حازها طيلة حياته، وولي أيضاً معها مخلاف حلي وشيء من المخلاف السليماني حسب النصوص اللاحقة .([197])ترجم له تقي الدين صاحب العقد الثمين ([198])ترجمة استوعبت جل أخباره إن لم تكن كلها، فإليكها مع إلحاقات وتعقيبات، وشيء يسير من الاختصار :

قال الفاسي :راجح بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم الحسني المكي، أمير مكة . ولي إمرتها أوقاتاً كثيرة كما سيأتي بيانه، وجرى له في ذلك أمور نشير إليها :

لأنه لما مات أبوه، رام الإمرة بمكة، فلم تتهيأ له الغلبة أخيه حسن بن قتادة على ذلك.

وذكر ابن الأثير :أنه لما ملك أخوه حسن مكة، كان مقيماً في العرب ([199])بظاهر مكة، يفسد وينازع أخاه حسناً في ملك مكة .فلما سار حجاج العراق، كان الأمير عليهم، مملوك ([200])من مماليك الخليفة الناصر لدين الله اسمه آقباش، فقصده راجح بن قتادة، وبذل له وللخليفة مالاً ليساعده على ملك مكة، فأجابه إلى ذلك .ووصلوا إلى مكة، ونزلوا بالزاهر، وتقدم إلى مكة مقاتلاً لصاحبها حسن، وكان قد جمع جموعاً كثيرة من العرب وغيرهم، فخرج إلى من مكة وقاتله .وذكر ما سبق في ترجمة حسن بن قتادة، من قتل أصحابه لآقباش.

وذكر ابن محفوظ :أن راجح بن قتادة باين أخاه حسن بن قتادة، لما ملك مكة بعد موت أبيه .فلما كان الموسم الذي نمات فيه أبوه، تعرض راجح لقطع الطريق بين مكة وعرفه، فمسكه أمير الحاج، وأقام معه على الحوطة، فأرسل إليه صاحب مكة– يسعني حسن بن قتادة – يقول له :سلِّمه إلي وأسلم إليك مالاً جزيلاً، فاتفقا على ذلك .فقال راجح للأمير : أنا أدفع إليك أكثر مما يدفع، فأجابه إلى ذلك، وعزم الأمير آقباش على جبل الحبشي([201])، وهرب راجح إلى جهة اليمن، ثم توجه إلى الملك المسعود ملك اليمن.

وذكر أيضاً :أن الملك المسعود، لما ملك مكة، ولَّى راجحاً حلي ونصف المخلاف.

وولي راجح بن قتادة مكة غير مرة، في زمن الملك المنصور صاحب اليمن، مع عسكر الملك المنصور، وجرى بينهم وبين عسكر صاحب مصر الملك الكامل، وابنه الملك الصالح أيوب في ذلك أمور، ذكرها جماعة من المؤرخين، منهم ابن البزوري؛ لأنه قال في ذيل المنتظم لابن الجوزي في أخبار سنة تسع وعشرين وسبعمائة :في ربيع الآخر، تغلَّب راجح بن قتادة العلوي الحسني على مكة، وأخرج عنها المتولي عليها من قبل الملك الكامل زعيم مصر، فبلغ ذلك مستنيبه، فنفذ له عسكراً نجدة له، فعرف ذلك راجح فخرج عنها.

وقال في أخبار سنة ثلاثين وستمائة :في محرم منها، جمع راجح بن قتادة جمعاً عظيماً، وقدم مكة شرفها الله تعالى، فدخلها واستولى عليها، وطرد عنها من كان بها من عسكر الملك الكامل زعيم مصر، وأمده الملك المنصور عمر بن علي بن رسول زعيم اليمن بعساكره، وأخرج عنها متوليها الطغتكين، من قِبَل الكامل.

وفي هذه السنة، وصل عسكر مصر إلى مكة واستولى عليها، وأخرج عنها أميرها راجح بن قتادة، وعدلوا في أهلها وأحسنوا السيرة.

وفي أوائل صفر سنة ثلاث وثلاثين، وصل الحاج، وأخبروا بطيب حجهم، وأن الملك الكامل نفذ بعض زعمائه في ألف فارس إلى مكة، فأخرجوا عنها راجح بن قتادة واستولى عليها.

وذكر النويري في كتابه نهاية الأرب، بعض ما ذكره ابن البزوري من خبر راجح بن قتادة، وأفاد في ذلك ما لم يفده البزوري؛ لأنه ذكر أن في صفر سنة ثلاثين وستمائة، تسلم راجح بن قتادة مكة، وكان قصدها في سنة تسع وعشرين، وصحبته عسكر صاحب اليمن الملك المنصور، وكان الأمير فخر الدين بن الشيخ بمكة، ففارقها.

وذكر أن في سنة اثنتين وثلاثين، توجه الأمير أسد الدين جفريل إلى مكة، وصحبته سبعمائة فارس، فتسلمها في شهر رمضان، وهرب منها راجح بن قتادة، ومن كان بها من عسكر اليمن.

فاستفدنا من هذا، تعيين مقدار عسكر الكامل الذي أنفذه ىى مكة، في سنة اثنتين وثلاثين وستمائة، وتعيين أميره، وتعيين استيلائهم على مكة، ووقت خروج راجح منها، وكل ذلك لا يفهم مما ذكره ابن البزوري .واستفدنا مما ذكره في أخبار سنة ثلاثين([202])، أن استيلاء راجح بن قتادة على مكة فيها، كان في صفر من هذه السنة، وهو يخالف ما ذكره ابن البزوري في تاريخ استيلاء راجح على مكة في هذه السنة، وأن الأمير فخر الدين بن الشيخ، كان بمكة في هذه السنة.

وذكر ابن محفوظ هذه الأخبار، وأفاد فيها ما لم يفده غيره؛ لأنه قال :سنة تسع وعشرين وستمائة، جهز الملك المنصور في أولها جيشاً إلى مكة وراجح معه، فأخذها، وكان فيها أمير الملك الكامل، يسمى شجاع الدين الدغدكيني، فخرج هارباً إلى نخلة، وتوجه منها إلى ينبع، وكان الملك الكامل وجه إليه بجيش، ثم جاء إلى مكة في رمضان، فأخذها من نواب الملك المنصور، وقتل من أهل مكة ناساً كثيراً على الدرب، وكانت الكسرة على من بمكة.

وقال أيضاً في سنة ثلاثين وستمائة :ثم جاء الشريف راجح بعسكر من اليمن، فأخرج من كان بمكة من المصريين بالإرجاف بلا قتال، وفي آخرها حج أمير من مصر، يقال له الزاهد، في سبعمائه فرس، فتسلم مكة وحج بالناس، وترك في مكة أميراً يقاتل له ابن المجلى، في خمسين فارساً، أقام بمكة سنة إحدى وثلاثين.

وذكر بعض العصريين في بعض تواليفه، شيئاً من خبر الأمير راجح بن قتادة لمكة، في زمن الملك المنصور صاحب اليمن، وما جرى لراجح وعسكر المنصور، مع عسكر الملك الكامل، وابنه الملك الصالح؛ لأنه ذكر أن الملك المنصور، لما تسلطن باليمن بعد الملك المسعود، بعث راجح بن قتادة، وابن عبدان، في جيش إلى مكة، فنزلوا الأبطح، وراسل راجح أهل مكة، وذكَّرهم إحسان المنصور إليهم، أيام نيابته بمكة عن المسعود، فمال رؤساؤهم إليه، وكانوا حالفوا طغتكين، متولي مكة من قبل الملك الكامل صاحب مصر، بعد أن أنفق عليهم، فلما عرف طغتكين ذلك، هرب إلى ينبع، فاستولى راجح وأصحابه على مكة المشرفة، وذلك في ربيع الآخر من سنة تسع وعشرين وستمائة .ولما عرف بذلك صاحب مصر الملك الكامل، بعث إلى مكة عسكراً كثيفاً، مقدمهم الأمير فخر الدين بن الشيخ، فتسلموا مكة، وقتل ابن عبدان وجماعة من أهل مكة، ثم عن راجحاً جمع جمعاً، وأمده صاحب اليمن بعساكر، وقصد مكة فتسلمها في صفر سنة ثلاثين، وخرج منها فخر الدين بن الشيخ .فلما كان في آخر هذه السنة، وصل من مصر أمير يقال له الزاهد، في سبعمائة فارس، فتسلم مكة وحج بالناس .فلما كانت سنة إحدى وثلاثين، جهز الملك المنصور عسكراً جراراً وخزانة إلى راجح، فنهض الشريف راجح في العسكر المنصوري، وأخرجوا العسكر المصري، ثم إن راجحاً هرب من مكة، لما قدمها المنصور حاجاً في هذه السنة، لما قدمها المنصور حاجاً إلى اليمن، وأرسل المنصور إلى راجح في سنة اثنتين وثلاثين، بخزانة كبيرة على يد ابن النصيري، وأمره باستخدام الجند، فلم يتمكن راجح من ذلك، لوصول العسكر المصري، الذي أنفذه الكامل مع الأمير جفريل المقدم ذكره، وتوجه راجح وابن عبدان إلى اليمن .فلما كانت سنة ثلاث وثلاثين، بعث المنصور عسكراً من اليمن، مقدمهم الأمير الشهاب ابن عبدان، وبعث بخزانة إلى راجح، وأمره باستخدام العسكر، ففعل .فلما صاروا قريباً من مكة، خرج إليهم العسكر المصري، والتقوا بمكان يقال له الخريقين ([203])بين مكة والسَّرَّيْن، فانهزمت العرب أصحاب راجح، وأسر ابن عبدان، وبعث به إلى مصر مقيداً، ثم انهزم العسكر المصري من مكة، لما توجه راجح إلى مكة في صحبة المنصور، وذلك في سنة خمس وثلاثين، وأقام عسكر المنصور بمكة

سنة ست وثلاثين، ولا أدري هل كان راجح معهم أم لا، ثم خرج العسكر المنصوري في سنة سبع وثلاثين من مكة، لما وصل إليها الشريف شيحة بن هاشم بن قاسم ابن مهنا الحسيني أمير المدينة، في ألف فارس من مصر، فجهز المنصور راجحاً وابن النصيري في عسكر جرار .فلما سمع به شيحة وأصحابه هربوا من مكة، ثم أخذها العسكر المصري في سنة ثمان وثلاثين .فلما كانت سنة تسع وثلاثين، جهز المنصور جيشاً كثيفاً إلى مكة مع راجح، فبلغه أن صاحب مصر الصالح أيوب بن الكامل، أنجد العسكر المصري الذي بمكة بمائة وخمسين فارساً، فأقام راجح بالسَّرَّين، وعرف المنصور الخبر، فتوجه المنصور في جيش كثيف، فدخل مكة في رمضان من سنة تسع وثلاثين، بعد هرب المصريين، واستناب بمكة مملوكه فخر الدين الشلاح، ولا أدري هل استناب معه راجحاً أم لا، والظاهر أنه لم يستنبه، ثم عاد راجح لإمرة مكة؛ لأن ابن محفوظ ذكر انه تسلم مكة في آخر يوم ذي الحجة سنة إحدى وخمسين وستمائة، لما انتزعها من جماز بن حسن بن قتادة بلا قتال .وذكر أن راجحاً أقام بمكة متولياً، حتى أخرجه منها ولده غانم بن راجح، في ربيع الأول من سنة اثنتين وخمسين.

وذكر شيخنا ابن خلدون :أن راجحاً عاد إلى مكة في سنة خمس وثلاثين مع الملك المنصور، وخطب له بعد المستنصر الخليفة العباسي، واستمر إلى سنة سبع وأربعين، فتوجه إلى اليمن هارباً لما استولى عليها ابن أخيه أبو سعد بن علي بن قتادة، وسكن الرين، يعني الموضع المعروف اليوم بالواديين([204])، ثم قصد مكة في سنة ثلاث وخمسين، وانتزعها من جماز بن حسن.

قلت :هذا فيه نظر من وجوه:

منها :أن راجحاً لم يستمر على مكة من سنة خمس وثلاثين، إلى سنة سبع وأربعين :لأنه وليها في هذه المدة جماعة، كما تقدم بيانه.

ومنها :أن راجحاً لم ينتزع مكة من جماز في سنة ثلاث وخمسين، وإنما انتزعها قبل ذلك، كما تقدم بيانه في هذه الترجمة، وترجمة جماز.

وكانت وفاة راجح في سنة أربع وخمسين وستمائة، على ما ذكره الميورقي فيما وجدت بخطه، ولم أستفد ذلك إلا منه .وبلغني أنه كان مفرطاً في الطول، حيث تصل يده وهو قائم إلى ركبته .انتهى قول التقي الفاسي.

المؤلف :إنما نقلت هذا النص بطوله عن صاحب العقد ولم أحذف منه إلاّ ما لا فائدة فيه، وذلك لأمور، منها :

1- لترى جد الشريف راجح ومثابرته على أمر مكة رغم تلك الهزائم المتكررة، حتى وافاه الأجل.

2- لترى ما وصل إليه الناس، وخاصة حكام الشطوط من التلاعب بأمر مكة، وهَوَان أهلها عليهم بحيث صارت تخرج من يد ذا إلى يد ذاك في السنة الواحدة عدة مرات، ويقتل أهلها في الطرقات، وتنهب منهم حتى ثيابهم.

3- إن القوى بين مصر واليمن كانت متكافئة، بحيث كل من يهجم على مكة يغلب من كان فيها، ويبطش بأهل الله وجيرانه، حتى أن حمام الحرم كان يصاد في وسط المسجد الحرام.

4- غياب الخلافة عن هذا النزاع، وكأنها كما قال الشاعر :

ويقضي الأمر، حين تغيب تَيْمٌ :

ولا يستأمرون وهم شهود

-5وظاهرة غريبة، وهي أننا لا نجد ذكراً لأحد من الأشراف، إلى صف راجح، بينما نجده -فيما سيأتي -يهب للصلح بينهم إذا تنازعوا.

خاتمة راجح :وخاتمته أن آخر من أقصاه عن إمرة مكة ابنه غانم، ولا تستقيم أخبار راجح إلا بعد قراءة أخبار ابن أخيه أبي سعد ابن علي، فأخبار راجح وأبي سعد وجماز ابن حسن وغانم بن راجح متداخلة، وشكك بعض المعاصرين أن يكون راجح قد ولي مكة، وإنما كان صاحب السَّرَين من سنة 629) هـ1231 /م (إلى أن مات سنة 654) هـ1256 /م(، وما يؤخذ من نصوص المتقدمين أولى.

قلت :والقول إنه صاحب السرين ([205])إلى أن مات، لا يتنافى مع ولاية مكة، إذ يبد أن راجحاً جعل السرين قاعدة أمينة له، يلجأ إليها كلما غلب، ولكن من الواضح من كل ما قيل عن راجح إنه لم يلي مكة ولاية مستقلة، إلا اللهم آخر ولاية التي كرده منها ابنه غانم -التابع خبره -أما قبله فكانت كل ولاياته تحت رماح اليمنيين، إذا أقبلوا أقبل معهم وإذا انهزموا انهزم معهم، أما الأخيرة فلو لم تكن استقلالاً ما استطاع ابنه التغلب عليه، ولقاتله جنود ملك اليمن.

وبقراءة أخبار ابن أخيه الآتية يتضح شيء آخر.

وفي ترجمة جماز الآتية، قال شيخ الإسلام أحمد بن زيني دحلان :

واستمر إلى الحج- أي جماز بن حسن بن قتادة- فقدم عمه راجح بن قتادة بجيش، واستولى على مكة، وخرج منها جماز، بلا قتال، وكانت هذه الولاية للشريف راجح آخر ولايته بمكة، واستمر فيها إلى شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وستمائة، فهجم على مكة ابنه) غانم بن راجح (وانتزع الملك من أبيه، وتوفي الشريف راجح سنة654) هـ ...(الخ .([206])فإذا عرفت أن الشيخ الدحلان أكثر مؤرخي مكة اختصاصاً بالأشراف، عرفت منه أن راجحاً أحد أمراء مكة، وأن آخر ولاية له انتزعها منه ابنه غانم الآتية ترجمته، وأن راجحاً توفي سنة 654)هـ 1256/م.(

والعصامي يقول- في أخبار جماز :-فلما كان آخر يوم من ذي الحجة651) هـ (قدم عمه راجح بن قتادة ففر منه جماز بلا قتال إلى ينبع .([207])ثم وليها راجح، واستمر إلى سنة 652)هـ(، فلما كان شهر ربيع منها هجم عليه ابنه غانم بن راجح، وأخرجه منها بلا قتال، فوليها غانم إلى شهر شوال، ثم وليها أبو نمي.([208])

أين دفن راجح " لم أر من ذكر أين توفي راجح وأين دفن، ولكنه بعد أن ترك إمرة مكة ظل يتردد- لعله من السرين -على مكة، وقد أصلح بين أخيه إدريس وحفيد أخيه أبي نمي الأول :محمد بن حسن بن علي بن قتادة، ثم مات بنفس السنة، فلعله مات في مكة.

أبناؤه :لم يذكر مؤرخوه أحداً من أبنائه في ترجمته، ولكن ذكروا ابنه غانم كأمير لمكة.

ويبدو أن راجحاً عمّر طويلاً، إذ أن أباه مات سنة617) هـ (ومات هو سنة654) هـ(، فإذا عرفت أن أباه بلغ التسعين عاماً، وأن راجحاً أكبر بنيه كما كان يزعم، فكم كان عمره

عندما توفي؟ !!ولم أسمع أن له ذرية باقية في الحجاز، أما الرواجحة المعروفون اليوم بوادي فاطمة فيقول نسابو الأشراف إنهم ذرية راجح بن أبي نمي الآتي ذكره، أما الذين في محافظة القنفذة فهم من نسل الحسن بن أبي نمي الثاني، أبوهم راجح بن محمد بن مساعد بن مسعود بن الحسن بن أبي نمي حمد بن بركات.

-21الشريف غانم بن راجح بن قتادة

كان حياً سنة 652) هـ 1254 /م:(

قال صاحب العقد :أمير مكة .تسلمها من أبيه في ربيع الأول سنة652) هـ (بغير قتال، وأقام بها إلى شوال، فأخذها منه أبو نمي، وإدريس بن قتادة، ولم يقتل منم إلا ثلاثة أنفس، منهم :عالي شيخ المبارك) .([209])بتصرف عن العقد الثمين) غانم.((

أما صاحب خلاصة الكلام، فقد قال- بعد ما رويناه في ترجمة جماز آنفة الذكر :-واستمر فيها- أي راجح -إلى شهر ربيع الأول سنة652) هـ(، فهجم على مكة ابنه) غانم بن راجح (وانتزع الملك من أبيه، وتوفي الشريف راجح سنة654) هـ .(واستمر غانم بن راجح إلى شوال من نفس السنة، فانتزعها منه أبو نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة، وعمه إدريس بن قتادة([210])، بعد قتال بنيهم مات فيه ثلاثة أنفار) أشخاص (واستمر إلى الخامس والعشرين من ذي القعدة، فجاء بجيش) المبارز بن علي بن الحسن بن برطاس (من الملك المظفر صاحب اليمن ...الخ.

وبهذا تكون ولاية غانم المذكور :بين ربيع الأول وشوال من سنة652) هـ (أما الذي استمر إلى الخامس والعشرين من ذي القعدة، فهو الحرب بين الشريفين إدريس وأبي نمي وبين ابن برطاس، وسيأتي في ترجمتهما.

ونلاحظ في ترجمة الشريكين :إدريس وأبي نمي محمد بن الحسن، ما يأتي :

-1ينص في العقد الثمين أن إدريس هذا هو ابن قتادة، وهو في هذه الحالة ليس عم أبي نمي إلا مجازاً، إذ هو عم أبيه، بينما نص صاحب خلاصة الكلام أن إدريس هذا هو ابن علي بن قتادة، فهو في هذه الحالة عم أبي نمي حقيقة، فإلى ترجمتهما المقبلة.

-2إن الشراكة بينهما أول شراكة في الحكم بين شخصين ليسا أباً وابنه، ثم سوف تتكرر كثيراً في) تأريخ الأشراف.(

ويقول العصامي ...:([211])ثم وليها راجح بن قتادة، واستمر إلى سنة652) هـ(، فلما كان شهر ربيع الأول منها، هجم عليه ابنه غانم بن راجح، وأخرجه بلا قتال.

فوليها غانم في شهر ربيع الأول، واستمر إلى شوال من السنة المذكورة، ثم وليها أبو نمي، وعمه إدريس بن حسن بن قتادة، وأخرج غانم منها، أي في شوال من نفس السنة، وحكمه نحو سبعة أشهر .وهنا خلاف آخر في إدريس، فالعصامي يقول :إدريس بن حسن بن قتادة، وفي ترجمته المقبلة سنحقق من هو إدريس هذا، إن شاء الله.

-22الشريف إدريس بن قتادة بن إدريس بن مطاعن :ت 669) هـ 1270/م:(

قال السيد تقي الدين الفاسي :([212])

أمير مكة، ولي إمرتها نحو سبع عشرة سنة، شريكاً لابن أخيه ([213])أبي نمي في أكثر هذه المدة، وانفرد بها وقتاً يسيراً، وجرت بينهما أمور .فمن ذلك :أن أبا نمي أخذ مكة في سنة 654)هـ(، لما راح إدريس إلى أخيه راجح بن قتادة، ثم جاء هو وراجح إلى مكة، وأصلح راجح بن أبي نمي وإدريس .ومنها أن في سنة667) هـ(، وقع بين أبي نمي وإدريس خُلف، فأخرج أبو نمي إدريس من مكة .فجمع إدريس وحشد، ثم اصطلحا .وفي سنة669) هـ(، وقع بين إدريس وأبي نمي خُلْف، استظهر فيه إدريس على أبي نمي، فتوجه أبو نمي إلى ينبع، واستنجد بصاحبها، وجمع وحشد والتقيا وتحاربا، وظفر أبو نمي بإدريس، فألقاه عن جواده، ونزل وحز رأسه.

ووجدت بخط الميورقي– القول للفاسي –ما يقتضي أن قتل أبي نمي إدريس في آخر ربيع الآخر أو في جمادى الأولى669) هـ(، لأنه ذكر أن في ربيع الأول سنة669) هـ (قتل ولد لأبي نمي، وطرد أبوه، وبعد قتله بأربعين يوماً قتل أبو نمي عمه إدريس.

وذكر ابن محفوظ، أن الحرب الذي قتل فيه إدريس، كان بخليص([214])، بعد أن استبد دون أبي نمي بإمرة مكة أربعين يوماً .وأول ولايتهما مكة– كما تقدم –أخذهما إياها من غانم بن راجح، بقتال قتل فيه ثلاثة نفر، وذلك سنة652) هـ(، وأقاما بها إلى الخامس والعشرين من ذي القعدة من نفس السنة، ثم أخرجهما ابن برطاس بعد قتال بينهم، ثم أخذها إدريس وأبو نمي من ابن برطاس بعد قتال في سنة653) هـ .(ولم يبين ابن محفوظ الشهر الذي أخرج فيه إدريس وأبو نمي ابن برطاس من مكة، وهو في المحرم سنة653) هـ (على ما ذكر الميورقي، وذكر أن في هذا الحرب سفكت الدماء بالحِجر من المسجد الحرام.

قال مؤلفه :أي أن ابن برطاس لم تزد مدته عن شهرين اثنين.

ووجدت– القول للتقي –بخط الميورقي ما يقتضي أن إدريس وأبا نمي، وليا مكة مشتركين نحو أربع عشرة سنة، مع المودة والمصاهرة، لأنه قال في أخبار سنة669) هـ (قتل أبو نمي عمه إدريس بعد نحو أربع عشرة سنة، في مصاهرة وولاية إمرة مكة في صحبة ومودة) .بتصرف يسير عن العقد الثمين /إدريس.(

ويقول السيد زيني دحلان– :([215])في حوادث سنة652) هـ :(واستمر بها غانم بن راجح إلى شوال، فانتزعها منه أبو نمي وعمه إدريس) بن علي بن قتادة (إلى أن يقول :فجاء ابن برطاس بجيش، وذكر أن الشريفين هزماه وأسراه، ثم افتدى نفسه وذهب إلى اليمن، ولم يأت بشيء يضاف إلى ما تقدم.

أما العصامي فلم يأت أيضاً بكثير فائدة تضاف على ما تقدم، غير أنه قال :([216])ثم وليها أبو نمي بن أبي سعد وعمه إدريس بن) حسن بن قتادة (وأخرج غانم بن راجح منها.

وأبو نمي هذا هو والد أبي سعد الحسن المذكور، ثم يذكر جش ابن برطاس، فيقول :وتقاتلوا بالسرجة ([217])من قوز المكاسة، وذكر ما تقدم من روايات، وما يلحق في ترجمة أبي نمي . إلى قوله :محمد بن أبي سعد وعمه الشريف حسن بن قتادة .

المناقشة :

-1قال الفاسي :إدريس بن قتادة، وجعله عم أبي نمي، فأقول :هو- على هذا -عمه مجازاً لا حقيقة، لأن إدريس هذا هو أخو جد أبي نمي، أي عم أبيه، ومثل هذا من عادة أهل الحجاز أن يسموه عماً.

-2قول السيد أحمد بن زيني دحلان :إدريس بن علي بن قتادة، لعله عزه أن رأى المؤرخين يسمونه عم أبي نمي، فظنه عمه لزماً، فإذا هو أخو أبي سعد بن علي، وهذا وهم.

-3قول العصامي :إدريس بن حسن بن قتادة، وقوله عمه حسن بن قتادة، فهذا وهم ظاهر ويستثنى كلياً.

-4ونرى العز بن فهد يتابع الفاسي وينقل عنه حرفياً) إدريس بن قتادة.(

-5أما ابن ظهيرة .([218])فيؤكد أنه إدريس بن قتادة، ثم يقول :ثم انفرد أبو نمي بالولاية في سنة654) هـ (لذهاب عمه إدريس إلى أخيه راجح بن قتادة، ثم عاد إدريس لمشاركة أبي نمي، ثم ولي مكة أولاد حسن بن قتادة، وأقاموا ستة أيام، وقبضوا على إدريس ..الخ.

قلت :وهكذا نص ابن ظهيرة على أن راجح بن قتادة أخو إدريس، فإذا هو) إدريس بن قتادة بن إدريس بن مطاعن (وبقية النسب تقدم في أبيه.

ولا ينظر إلى تلك المخالفات فإنها مجرد أوهام.

ونلاحظ أنه لا يكاد يلي أمراً من الأمور شريكان إلا اختلفا فالشراكة ثقيلة على النفوس، والاستبداد من طبائع البشر، إلاّ أن ترد عن قوة أو نظام معتبر، وكثيراً ما يخرق النظام في مثل هذه الأمور ..

6- يستدرك على العصامي قوله :وهو والد أبي سعد، فلعله من أغلاط النساخ أو المطابع فإنها ورثت النساخ في مثل هذا، وإلاّ فإن أبا نمي هذا هو ولد أبي سعد وليس والده، ولإدريس هذا ولد اسمه محمد، حكم مكة، ويقول الأشراف الحاميد- بينع اليوم :-إنهم من ذرية إدريس هذا، ولكنهم يعتقدون أن اسم أبيهم محمود، ولعله محمد هذا، والله أعلم.

23- الشريف أبو نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة .ت701) هـ / 1301م :(

ويكنى أبا مهدي، ويلقب نجم الدين، وتغلب عليه وعلى أبيه كنيتاهما، فلا يعرف إلا بأبي نمي، وأبوه بأبي سعد، فلما جاء أحد أحفاده) أبو نمي بن بركات (مُيِّز بأبي نمي الثاني، وميز هذا بالأول.

ترجم له التقي الفاسي، فقال :([219])ولي مكة نحو خمسين سنة، إلاّ أوقاتاً يسيرة زالت ولايته عنها، يأتي ذكرها.

وذكر صاحب» بهجة الزمن «في مدة ولايته لمكة ما ذكرناه في مدة ولايته لها، بزيادة في ذلك لأنه قال :واستمرت إمرته على مكة ونواحيها ما ينوف على خمسين سنة.

وما ذكره من :أن ولاية أبي نمي على مكة ونواحيها ينيف على خمسين سنة :فيه نظر، لأنه لم يل إلا بعد أبيه، وبين وفاتيهما تسع وأربعون سنة وأشهر، وغايتها خمسين على الخلاف في تاريخ شهر موت والده أبي سعد، إلا أن يكون أبو نمي :ولي غمرة مكة نيابة عن أبيه، ويضاف ذلك إلى ولايته بعده فلا إشكال.

واستقل أبو نمي بغمرة مكة في أكثر المدة المشار إليها، وشارك عمه إدريس بن قتادة في بعضها.

وولايته المشتركة سبع عشرة سنة أو نحوها، وولايته المستقلة إحدى وثلاثون سنة أو نحوها.

وقال الذهبي في ذيل سير النبلاء له في ترجمة أبي نمي- هذا:-

وكانت ولايته نحواً من أربعين سنة بعد عمه- الذي قتله.

وفيما ذكره الذهبي نظر، لأن عمه المشار إليه هو إدريس بن قتادة، وكانت وفاته سنة تسع وستين وستمائة، على ما وجدت بخط الميورقي، وذكر ذلك غير واحد من المؤرخين.

ومقتضى ما ذكرناه من تاريخ وفاة إدريس ابن قتادة :أن تكون ولاية أبي نمي بعده إحدى وثلاثين سنة وأشهراً، إلا أن أبا نمي لم يعش بعد عمه إدريس إلا المدة التي أشرنا إليها كما سيأتي في تاريخ وفاة أبي نمي.

وقد وجدت ما يوهم الاختلاف في ابتداء ولايته؛ لأن ابن محفوظ ذكر- فيما وجدت بخطه - أن في شوال سنة اثنتين وخمسين :جاء الشريفان أبو نمي وإدريس، وأخذا مكة من غانم بن

راجح بن قتادة بالقتال، ولم يقتل بينهم إلا ثلاثة أنفس .منهم :عالي شيخ المبارك .وأقاما بها إلى الخامس والعشرين من ذي القعدة، فجاء ابن برطاس المبارز بن علي من اليمن، فأخذها منهم، وتقاتلوا بالسرجة من قوز المكاسة([220])، وكان معهما جماز بن شيحة وصاحب المدينة .وحج بالناس تلك السنة ابن برطاس، ولم يزل مقيماً بمكة إلى آخر السنة.

ووجدت بخط الميورقي :

وولي أبو نمي بعد قتل أبيه أبي سعد في المحرم سنة ثلاث وخمسين وستمائة.

وهذا وإن أوهم الخلاف في تاريخ ابتداء ولاية أبي نمي بمكة فليس خلافاً في الحقيقة، لإمكان الجمع بين ما ذكره ابن محفوظ في ابتداء ولايته، وبين ما ذكره الميورقي في ابتدائها.

وذلك :أن يحمل كلام الميورقي على :أنه أراد ولاية أبي نمي بمكة بعد خروج ابن برطاس منها .ويحمل ما ذكره ابن محفوظ على :ولاية أبي نمي التي بعد غانم بن راجح.

ويؤيد ذلك :أن الميورقي، وابن محفوظ :ذكر كل منهما ما يقتضي :أن أبا نمي ولي مكة بعد ابن برطاس في سنة ثلاث وخمسين وستمائة؛ لأن الميورقي قال :ثم استحكم أبو نمي وعمه إدريس على مكة، فأخرج الشرفا الغز بسفك دماء خيل ابن برطاس الوالي لها من جهة اليمن .وامتلأ الناس رعباً، وسفكت الدماء بالحِجر يوم السبت لأربع ليال بقين من المحرم سنة ثلاث وخمسين وستمائة.

وذكر في موضع آخر نحو ذلك باختصار بالمعنى.

وقال ابن محفوظ– فيما وجدت بخطه :–سنة ثلاث وخمسين وستمائة جاء أبو نمي وإدريس ومعهم جماز بن شيحة صاحب المدينة .فدخلوا مكة، وأخذوها من ابن برطاس بعد القتال.

وذكر بعض العصريين حرب بين ابن برطاس، وأب نمي، وإدريس، الحرب الأول والحرب الثاني . وذكر :أنه أسر في الثاني، ثم خلص لافتدائه نفسه.

وسنوضح ذلك أكثر من هذا في ترجمته.

وجرى بين أبي نمي وعمه إدريس بسبب مكة أمور :

منها :أن أبا نمي في سنة أربع وخمسين وستمائة :أخذ مكة من عمه إدريس، وكان شريكه فيها، لما راح إدريس إلى أخيه راجح ابن قتادة .ثم جاء إدريس مع راجح بن قتادة، وأصلح راجح بن بن قتادة وأبي نمي.

ومنها :أن أبا نمي– في سنة سبع وستين :–أخرج عمه إدريس من مكة، وانفرد بالإمرة، وخطب لصاحب مصر الملك الظاهر بيبرس الصالحي البندقداري، وكتب إليه أبو نمي– يذكر له :–أنه لما شاهد من عمه إدريس ميلاً إلى صاحب اليمن، وتحاملاً على دولته :أخرجه من مكة، وانفرد بالإمرة، وخطب له، وسأل مرسومه إلى أمراء المدينة :ألا يتخذوا عمه عليه . فاشترط عليه صاحب مصر :تسبيل بيت الله للعاكف والباد، وأن لا يؤخذ عنه حق، ولا يمنع زائر في ليل أو نهار، وأن لا يتعرض إلى تاجر ولا حاج بظلم، وأن تكون الخطبة والسكة له، ولأبي نمي على ذلك :عشرون ألف درهم في كل سنة .

فلما ورد جواب أبي نمي إلى صاحب مصر بالتزام ذلك، كتب له تقليداً بالإمرة بمفرده.

ومنها :أن إدريس بن قتادة بعد إخراج أبي نمي له من مكة، حشد وجمع، وتوجه إلى مكة المشرفة، ثم اصطلح مع أبي نمي،

واتفقا على طاعة صاحب مصر، وكتب إليه إدريس يعرفه بذلك.

ومنها :أنه في سنة تسع وستين وستمائة :وقع بين أبي نمي وعمه خلف، فاستظهر إدريس على أبي نمي .وخرج أبو نمي هارباً من بين يدي عمه، ووصل ينبع، واستنجد بصاحبها، وجمع، وحشد، وقصد مكة .فالتقى هو وعمه إدريس وتحاربا، فطعن أبو نمي إدريس فألقاه عن جواده، ونزل إليه، وجز رأسه، واستبد بالإمرة.

ذكر هذه الحادثة بمعنى ما ذكرناه القطب اليونيني في ذيل المرآة.

وذكر :أن في آخر جمادى الأولى من السنة المذكورة :وصل النجابون إلى مصر من عند أبي نمي، وأخبروا بذلك.

ووجدت بخط الميورقي :ما يشهد لبعض هذه القضية بزيادة فائدة؛ لأنه ذكر :أن في ربيع الأول سنة تسع وستين قتل ولد لأبي نمي وطرد أبوه، وبعد قتله بأربعين يوماً قتل أبوه عمه إدريس .وجرى بين أبي نمي، وجماز بن شيحة، صاحب المدينة أمور تتعلق بولاية مكة.

منها– على ما وجدت بخط الميورقي –أن عيسى بن الشيخ جرير قال :أخرج الأمير جماز بن شيحة الحسني أبا نمي من مكة– شرفها الله تعالى –في آخر صفر سنة سبعين وستمائة، وجاءت مواليه سنة سبعين وستمائة، أبو نمي مطرود، وأكمل لقتل ولده سنة .ثم رجع أبو نمي

إلى مكة في ربيع وهزم جماز ابن شيحة الحسيني، ثم جاء الحسيني لإخراج أبي نمي في شعبان سنة ثلاث وسبعين، فأعطاه أبو نمي ورجع، وخلى بينه وبين قتلة أبيه أبي سعد.

ووجدت بخط ابن محفوظ :ما يشهد للقضية التي كانت بين أبي نمي، وجماز بن شيحة فقي سنة سبعين بزيادة فائدة .لأنه ذكر :أن في سنة سبعين وستمائة وصل جماز- يعني صاحب المدينة -وغانم بن إدريس، وأخذا مكة، وبعد أربعين يوماً أخذها منهم أبو نمي .انتهى.

وفي هذا فائدة لا تفهم من كلام الميورقي، وهي :أن مدة إخراج أبي نمي من مكة أربعين يوماً.

وفيه فائدة أخرى :وهي :أن غانم بن إدريس كان مع جماز في هذه القضية، وغانم ابن إدريس هو :غانم بن حسن بن قتادة.

ويدل لذلك :ما وقع في الخبر الذي ذكره الميورقي من :أن جماز بن شيحة خلى بن أبي نمي وقتلة ابنه.

وقتلة ابنه هم :أولاد حسن بن قتادة .ومنهم :إدريس بن حسن، والد غانم بن إدريس المحارب لأبي نمي.

ومنها- على ما وجدت بخط المؤرخ شمس الدين محمد بن إبراهيم الجزري الدمشقي -أن في التاسع عشر من شهر ربيع الآخر سنة خمس وسبعين كانت وقعة بين أبي نمي صاحب مكة، وبين جماز بن شيحة صاحب المدينة، وبين صاحب ينبع إدريس ابن حسن بن قتادة، فظهر عليهما أبو نمي، وأسر إدريس، وهرب جماز .وكانت الوقعة في مر الظهران .وكانت عدة من

مع أبي نمي :مائتي فارس ومائة وثمانين راجلاً، ومع إدريس وجماز :مائتين وخمسة عشر فارساً، وستمائة راجل.

ومنها، على ما وجدت بخط ابن محفوظ :–أن في سنة سبع وثمانين :جاء جماز بن شيحة وأخذ مكة، وأقام بها إلى آخر السنة، وأخذها منه نواب أبي نمي.

وقد اختصر ابن محفوظ هذه الواقعة.

وقد وجدتها أبسط من هذا في وريقة وقعت لي– لا أعرف كاتبها –فيها :أن جماز ابن شيحة أمير المدينة، تزوج خزيمة بنت أبي نمي، وبنى بها في ليلة السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين وستمائة، ثم حاربه جماز– المذكور 0بعد ذلك، وطلب من السلطان الملك المنصور عسكراً .فسير عسكراً تقدمه أمير، يقال له :الجكاجكي .فتوجهوا إلى مكة وأخذوها، وأخرجوا أبا نمي منها.

وخطب لجماز، وضربت السكة باسمه، وذلك في سنة سبع وثمانين، وبقيت في يده مدة يسيرة.

ثم إن امرأة يقال لها أم هجرس، من صبايا خزيمة سقت الأمير جماز سمًّا، فاضطرب له جسمه، وحصل من الجكاجكي مراسلة إلى أبي نمي في الباطن، فعرف جماز أنه مغلوب، فرحل عن مكة، ووصل إلى المدينة، وهو عليل من السم فلم يزالوا يعالجونه حتى برئ .وأرسل الأمير جماز بالجكاجكي مقيداً إلى السلطان، فحسبه، ولم يزل في يد أبي نمي إلى أن توفي.([221])

قلت :الملك المنصور– المشار إليه –هو :قلاوون الصالحي .ولعل سبب إنجاده لجماز علي أبي نمي عدم وفاء أبي نمي باليمين التي حلفها للمنصور قلاوون .ويبعد جداً أن يعين أحداً على أبي نمي مع وفاء أبي نمي باليمين المذكورة؛ لأن الملوك تقنع من نوابهم بالطاعة، وإظهار الحرمة سيما نواب الحجاز.

وهذه نسختها على ما وجدت في تاريخ شيخنا ناصر الدين بن الفرات العدل الحنفي .وهي :

أخلصت يقيني، وأصفيت طويتي، وساويت بين باطني وظاهري في طاعة مولانا السلطان الملك المنصور وولده السلطان الملك الصالح، وطاعة أولادهما ووراثي ملكهما، لا أضمر لهم سوءاً ولا غدراً في نفس، ولا مال، ولا سلطنة.

وإني عدو لمن عاداهم، صديق لمن صادقهم، حرب لمن حاربهم، سلم لمن سالمهم.

وأنني، لا يخرجني عن طاعتهم طاعة أحد غيرهما، ولا التفت في ذلك إلى جهة غير جهتهما، ولا أفعل أمراً مخالفاً لما استقر من هذا الأمر، ولا أشرك في تحكيمهما علي ولا على مكة المشرفة، وحرمها، وموقف حلها زيداً ولا عمراً.

وأنني، ألتزم ما اشترطته لمولانا السلطان، وولده في أمر الكسوة الشريفة المنصورية الواصلة من مصر المحروسة، وتعليقها على الكعبة المشرفة في كل موسم، وأن لا يتقدم علمه علم غيره.

وأنني، أسبل زيارة البيت الحرام أيام موسم الحج وغيرها للزائرين، والطائفين، والبادين، والعاكفين اللائذين بحرمه، والحاجين، والواقفين.

وأنني، أجتهد في حراستهم من كل عاد بفعله، وقوله

]العنكبوت.[67:

وأنني، أؤمنهم في شربهم، وأعذب لهم مناهل شربهم.

وأنني– والله –أستمر بتفرد الخطبة والسكة بالاسم الشريف المنصوري، وأفعل في الخدمة فعل المخلص الولي.

وأنني– والله –أمتثل مراسيمه امتثال النائب للمتنسيب، وأكون لداعي أمره أول سامع مجيب.

وأنني، ألتزم بشروط هذه اليمين من أولها إلى آخرها، لا أنقضها.

وكان حلف أبي نمي لهذه اليمين في سنة إحدى وثمانين وستمائة، على ما ذكره شيخنا العدل ناصر الدين بن الفرات.

وقد رأيت ما يدل على أن أبا نمي لم يف ببعض هذه اليمين، لأن وجدت بخط ابن محفوظ :

أن في آخر يوم ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وستمائة، خطب للملك المظفر صاحب اليمين، وقطعت خطبة خليل بن المنصور بعد أن خطب له في أولها.

وهذا إنما يصدر عن أبي نمي، ولعل أبا نمي تأول أن الأشرف خليل بن المنصور قلاوون لم يدخل في يمينه المنصور وابنه الصالح، لكون الأشرف لم يسم فيها .فإن كان تأول ذلك، فهو تأول غير مستقيم لدخوله في قوله في اليمين :وطاعة أولادهما.

وأظن أن الحامل لأبي نمي على تقديم صاحب اليمن على صاحب مصر كون صلته أعظم من صلة صاحب مصر، لأن العاقل لا يفعل أمراً يلحقه فيه ضرر إلا لنفع أكبر .وكانت صلة صاحب اليمن لأبي نمي عظيمة، على ما وجدت في مقدارها، لأن بعض الناس ذكرها، وذكر شيئاً من حال صاحب اليمن بمكة، وحال أبي نمي معه، وذلك مما يحسن ذكره هنا، ونص ذلك :

وقد كان الملك المؤيد لما تسلطن جهز تلك السنة علمه المنصور، ومحمل الحج السعيد، صحبة القائد ابن زاكي، فتلقاه الشريف أبو نمي صاحب مكة بالإجلال والإكرام، وخفقت ذوائب العلم المنصور على جبل التعريف بعرفة، وأعلن مؤذنه على قبة زمزم بمناقب السلطان على رؤوس الأشهاد .وسمع تلك الأوصاف من ضمه ذلك المقام الشريف، وحلف للسلطان الملك المؤيد الأيمان الغليظة، وكتب على قميصه :ما يقتضي ما جرت به العادة.

ووصل إلى الشريف– المذكور –ما اقتضته المواهب السلطانية مما كان قرره الخليفة من العين، والغلة، والكساوي، والطيب من المسك، والعود، والصندل، والعنبر والثياب الملونة، والخلع النفيسة.

وكان مبلغ العين :ثمانون ألف درهم، ومبلغ الغلة :أربعمائة مد .انتهى من كتاب» العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية «لبعض مؤرخي اليمن في عصرنا.([222])

والذي يصل لصاحب مكة من صاحب اليمن :نحو ربع ذلك أو أقل، ومبلغ الطعام المذكور بكيل مكة ألف غرارة ومائتا غرارة مكية .وذلك في عصرنا.

والخليفة- المشار إليه -هو الملك المظفر، والد الملك المؤيد.

ووجدت بخط ابن محفوظ أيضاً :

أن أمير الركب في سنة اثنتين وتسعين وستمائة استحلف أبا نمي على الرواح إلى مصر، فأعطاه ألف دينار .فعزم في سنة ثلاث وتسعين، ثم رجع من ينبع لما بلغه موت الأشرف.

ووقع من أبي نمي في حق الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر ما أوجب انحرافه منه غير مرة.

منها :أن أبا نمي وعمه إدريس أخرجا نائباً كان للملك الظاهر، يقال له :مروان، نائب أمير جاندار في سنة ثمان وستين وستمائة .وكتب إليه الملك الظاهر غير مرة بالرضا عما ارتكبه أبو نمي مما لا ينبغي فعله.

منها :في سنة خمس وسبعين وستمائة، لأني وجدت بخط الميورقي:

أهان الله ولاة مكة بكتاب من والي مصر يزجرهم فيه عن الجور في آخر سنة خمس وسبعين وستمائة.

قلت :ووالي مصر في هذا التاريخ هو الظار بيبرس، ووالي مكة في هذا التاريخ هو أبو نمي.

ووجدت في تاريخ شيخنا ابن خلدون:

أنه كان بين أبي نمي، وبين الملك الظاهر بيبرس صاحب مصر منافرة، فكتب إليه الظاهر كتاباً منه:

من بيبرس سلطان مصر إلى الشريف الحسيب النسيب أبي نمي محمد بن أبي سعد.

أما بعد :فإن الحسنة في نفسها حسنة، وهي من بيت النبوة أحسن، والسيئة في نفسها سيئة، وهي من بيت النبوة أوحش.

وقد بلغنا عنك أيها السيد أنك آويت المجرم، واستحللت دم المحرم، ومن يهن الله فما له من مكرم، فإن لم تقف عند حدك وإلا أغمدنا فيك سيف جدك .والسلام.

فكتب إليه أبو نمي:

من محمد بن أبي الفتوح سعد إلى بيبرس سلطان مصر.

أما بعد :فإن المملوك معترف بذنبه تائب إلى ربه، فإن تأخذ فيدك لأقوى، وإن تعفو فهو أقرب للتقوى، انتهى.

وبعض الناس يذكر في كتاب بيبرس إلى أبي نمي غير ما سبق، وذكر :أنه كتب إليه يقول له :

إنه بلغنا عنك أيها السيد، أنك أبدلت حرم الله بعد الأمن بالخيفة، وفعلت ما يحمر الوجه، ويسود الصحيفة.

ولعل ذلك كتب مع الألفاظ السابق ذكرها، فحفظ بعضهم الأول فقط، وحفظ بعضهم الثاني فقط، وظن ظان أنهما كتابان وهما واحد، والله أعلم.

ووقع في زمن أبي نمي فتن بعضها بينه وبين أمير الحاج، وبعضها بين الحجاج وأهل مكة ذكرناها في تأليفنا» شفاء الغرام ومختصراته «ونشير هنا لشيء منها باختصار.

فمنها :أنا أبا نمي صدّ الحاج عن دخول مكة، لوحشة بينه وبين أمير الحاج، فنقب الحجاج السور، وأحرقوا باب المعلاة، ودخلوا مكة هجماً بعد فرار أبي نمي منها.

وذلك في موسم سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

ومنها :أن في سنة تسع وثمانين، حصل بين أهل مكة والحجاج فتنة في المسجد الحرام، قتل فيها من الفريقين فوق أربعين نفراً– فيما قيل –ونهبت الأموال، ولو أراد أبو نمي نهب الجميع لفعل إلا أنه تثبت.

وقد أثنى على أبي نمي غير واحد من العلماء مع ذكرهم لشيء من أخباره، منهم الحافظ الذهبي، لأنه قال في» ذيل سير النبلاء «في ترجمة أبي نمي :

شيخ ضخم، أسمر، عاقل، سايس، فارس، شجاع، محتشم، تملك مدة طويلة، ولد عدة أولاد، وفيه مكارم وسؤدد.

وذكره لي أبو عبد الله الدباهي فأثنى، وقال :لولا المذهب لصلح للخلافة، كان زيدياً كأهل بيته.

وقال القاضي تاج الدين عبد الباقي اليماني في كتابه» بهجة الزمن في تاريخ اليمن«، بعد أن ذكر وفاة أبي نمي :

وكان أميراً، كبيراً، زعيماً، ذا بخت وحظ في الإمرة، يرغب إلى الأدب وسماعه، وله الإجازات السنية للشعراء الوافدين عليه بإطلاق الخيل الأصايد في مقابلة القصائد.

وللأديب موفق الدين علي بن محمد الحندودي ([223])في أبي نمي- هذا -من قصيدة يمدحه بها، أولها :

أقاتلتي بغير دم ظلامه

أما قود لديك ولا غرامه

بخلت عليَّ منك بدرِّ ثغر

تقبله الأراكة والبشامه([224])

ولو أن الفريق أطاع أمري

لما احتار الرحيل على الإقامه

وكم بالظعن يوم مضاحكات

عدمنا من قلوب مستهامه

وبين أكلَّة الحادين شمس

قرعْتُ لبينها سِني ندامه

ومنها :

لقد جربت هذا الدهر حتى

عرفت به السماح من الملامه

بريد إقامتي فيهم قويم

وما لي بين أظهرهم إقامه

خداع ثمامة بين أثال فيهم

معاينة وكذب أبي ثمامه

منها في المدح:

وفي الحرم الشريف خضم جود

كأن البحر أنحله النظامه

أما والحجر والحجرات مني

وبيت الله ثالثه قسامه([225])

لئن نزلت بسوح أبي نمي

لقد نزلت على كعب بن مامه

بأبلج أين منه البدر نوراً

وحسناً في الجمال وفي الوسامه

وذو كرم وزنت الناس طراً

بخنصره فما وزنوا قلامه

ومنها :

أبا المهدي كم لك من إياد

كشفت بها عن الصادي أوامه

وكم لك من وقائع ذكرتنا

بوقعة خالد يوم اليمامه

عمرت تهامة بالعدل حتى

تمنت نجد لو كانت تهامه

حقيق أن يسأل بك المصلي

ويدعو في الأذان وفي الإقامه([226])

وأن تعطي القضيب وأي حق

لغيرك في القضيب وفي الإمامه

وقد مدحه الأديب عبد الواحد القيرواني بأشعار حسنة([227])، أجاد فيها عنه.

ونظم كثيراً، على ما نقله الصلاح الصفدي، عن أبي حيان.

ووقفت له في بعض المجاميع على قصيدة جيدة يمدحه بها، أولها :

خليلي هيا فانظر ذلك البرقا

تبدى لنا يهفو على طرف البرقا

فمن مبلغ عني بلادي وأهلها

ولم تأل لي عنهم غوادي النوى سحقا

بأني لم أنفك للخرق قاطعاً

إلى أن وصلت السيد الملك الخرقا

وأن صروف الدهر عني تماسكت

لأني قد استمسكت بالعروة الوثقا

نداً لأبي المهدي هديت لنيله

وأحرزت ما قد جل منه وما دقا

وطلقت أمراً لهم ([228])حين لقيته

وقابلت في ساحته وجهه الطلقا

هو ابن أبي سعد الزكي ولاده

ولم يزك فرعاً غير من قد زكا عرقا

من القوم يستشفي بمسح أكفهم

لداء ومنها أو بها الغيث يستسقا

لهم كرم سهل المنال وإنما لهم

شرف وعر المسالك والمرقا

وبلغني :أنه لما مات أبو نمي امتنع الشيخ عفيف الدين الدلاصي من الصلاة عليه، فرأى في المنان السيدة فاطمة بنت النبي رضي الله عنها، وهي بالمسجد الحرام والناس يسلمون عليها، فجاء ليسلم، فأعرضت عنه– ثلاث مرات –ثم إنه تحامل عليها، وسألها عن سبب إعراضها عنه، فقالت له :يموت ولدي ولا تصلي عليه؟ فقال لها– ما معناه :–إنه ظالم .انتهى بالمعنى.

وذكر اليافعي في تاريخه نقلاً عن حميضة ابن أبي نمي أنه قال :إن لأبيه خمس خصال :العز، والعلم، والكرم، والشجاعة، والشعر.

ومن شعر أبي نمي على ما ذكر بيبرس الداودار في تاريخه، وذكر :أنه كتب به إلى الملك المنصوري لما تسلطن بعد الملك العادل كتبغا المنصوري في سنة ست وتسعين وستمائة.

أما وتعادى المقربات الشوازب

بفرسانها في ضيق ضنك المقانبِ

وبالجحفل الجرار أفرط جمعه

كأسراب كدرى في سوار قواربِ

وبالزرد الموصوف ضمت عصوبه

على كل ماضي العزم خيف المحاربِ

وبالبيض والبيض الرقاق ألية

لبتر عداتي حلفه غير كاذبِ

لقد نصر الإسلام بالملك الذي

ترعرعِ من شيم الملوك السناجبِ

حسام الهدى والدين منصوره الذي

رقا في سماء المجدِ أعلى المراتبِ

ملوك جهات الأرض يعفوا لعزه

فمرهوبها من سيفه أي راهبِ

تفرد بالملك العظيم فلم تزل

له خضعاً صيد الملوك الأغالبِ

مضى كتبغا خوف الحمام وقد أتت

إليه أسود الخيل من كل جانبِ

وأحييته بالعفو منك وزدته

لباس أمان من عقاب العواقبِ

وأحرزت ملك الأرض بالسيف عنوة

وعبَّدت من في شرقها والمغاربِ

توليت هذا الأمر في خير طالع

لأسعد نجم في السعادة ثاقبِ

وكان لأبي نمي هذا من الأولاد الذكور أحد وعشرون ذكراً، واثني عشر أنثى، على ما ذكر الشهاب أحمد بن عبد الوهاب النويري في تاريخه.

وذكر أنه لامات عن هذا العدد، وعن أربع زوجات لم يسم احداً من الأولاد .والذي عرفت اسمه من أولاد أبي نمي :حسان([229])، وحمزة، وحميضة، وراجح، ورميثة، وزيد، وزيد آخر، وسيف، وشميسلة الشاعر، وعبد الله له ذرية بالعراق، وعبد الكريم، وعاطف، وعطاف، وعطيفة، ومقبل، ولبيدة، ومنصور، ومهدي، ونمي، وأبو دعيج، وأبو سعد، وأبو سويد، وأبو الغيث، وآخرهم وفاة :سيف .وهي تدل على أنهم ثلاثة وعشرون ذكراً.

وأظن :أن نمي ليس ولدا لأب نمي، وإنما كُنِّي به لمعنى آخر، فظن ظان أنه كني بذلك، لأن له ولداً يسمى نمياً .والله أعلم.

وما ذكره في عددهم يوهم خلاف ما ذكره النويري في عددهم، ويمكن التوفيق بأن يكون الزائد على ما ذكره النويري مات قبل أبي نمي، والله أعلم.

أخبرني بمجموع ما ذكرته من أسماء أولاد أبي نمي غير واحد من أشياخنا وغيرهم .وليس كل منهم أخبرني بهذه الأسماء، وإنما كل منهم ذكر لي بعضها، فتحصل لي من مجموع ما قالوه هذه الأسماء.

وذكر النويري :أنه توفي في رابع صفر سنة إحدى وسبعمائة.

وذكر وفاته في هذا التاريخ قاضي مكة نجم الدين الطبري، بزيادة فوائد تتعلق بأبي نمي هذا، ولنذكر كلامه بنصه .لذلك قال– في كتاب كتبه إلى بعض أهل اليمن بخطه، يخبر فيه بوفاة أبي نمي، وغير ذلك :–

أن أبا نمي حُمَّ في ليلة الأحد العشرين من المحرم، وكان معه خراج في مقاعده وفي مواضع من بدنه، فلم يزل مريضاً حتى مات في يسوم الأحد رابع صفر وغسل بالجديد([230])، وحمل في محمل، ودخل به إلى مكة من درب الثنية([231])، وطيف به حول البيت، وخرج به من درب المعلاة، ودفن خارجاً عن قبة أبيه وجده الأعلى، وهو :قتادة.

وكان أميراً عظيماً، وحصل بالوادي وبمكة من الحزن والبكاء والضجيج ما لم ير مثله.

فسبحان الحي الذي لا يموت، لا إله إلا الله الحي القيوم.

ورأيت في» ذيل سير النبلاء «للذهبي في ترجمة أبي نمي، أنه توفي في ذي الحجة سنة إحدى وسبعمائة.

وهذا وهم من الذهبي إن لم يكن من الناسخ، لأن القاضي نجم الدين قاضي مكة قال :إنه توفي في يوم الأحد رابع صفر سنة إحدى وسبعمائة، وهو أقعد الناس بمعرفة ذلك، فيعتمد قوله فيه، كيف وما ذكره النويري في تاريخ وفاة أبي نمي يعضد قول نجم الدين الطبري.

وذكر الذهبي :أنه كان في أثناء السبعين .باختصار يسير عن) العقد الثمين.(

المؤلف :وجلُّ أشراف الحجاز اليوم من ذرية هذا الملك، إذ تكاثر أحفاده فملأ وابر الحجاز، وخاصة حسن بن عجلان، ثم أبو نمي الثاني اللذين انحصر ملك الحجاز في عقبهما .ولم ترد في هذه الترجمة قصة مشاركته لأبيه الإمرة، وهي قصة طريفة، فيها بطولات نحن اليوم أحوج ما نكون لها، وقد وردت مفصلة في ترجمة أبيه قبله، فرأيت عدم تكرارها، فراجعها هناك.

ولم أجد في تواريخ من جاء بعد التقي كثير فائدة، لأنهم عنه نقلوا أخبار أبي نمي، أو عن من نقل هو عنه.

من له عقب من ذرية أبي نمي :

-1راجح :جد الأشراف الرواجحة بخيف الرواجحة بوادي فاطمة.([232])

-2أبو دُعيج :من ذريته الأشراف العناقوة، المعروفون اليوم في الحجاز ومصر.

-3سيف :من ذريته الأشراف المجايشة من الليث، وهم بنو محمد المجايش بن حسن بن سيف بن أبي نمي محمد بن أبي سعد.

-4أما رُميثة -الآتية ترجمتهُ -فجل أشراف الحجاز اليوم من عقبه، كما سترى مما يأتي من أخبارهم، وكل من ولي مكة بعده وبعد إخوته يرجع إليه.

-24الشريف أبو الغَيث بن أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة .ت 714)هـ 1314 /م):

قال في الخلاصة- ([233])بعد ذكر وفاة أبي نمي المتقدمة سنة701) هـ :(ثم بعد وفاته استمر والداه حميضة ورميثة إلى الموسم،) أي حج عام701) هـ .(وفي هذه السنة حج الأمير بيبرس صاحب الكرك، فلما كان بمكة اجتمع به) عطيفة أبو الغيث (ابنا أبي نمي، وشكيا إليه أن أخويهما ظلماهما، واستبدا بإمارة مكة، وإنهما قهراهما، وأنالاهما الخسف، فولاّهما الأمير بيبرس على مكة، وقبض على حميضة ورميثة، وصحبهما معه إلى مصر، وقيل وليها أبو الغيث ومحمد بن إدريس بن قتادة، وفي سنة سبعمائة وثلاث عاد رميثة وحميصة من مصر، واليين على مكة.

وأظهرا العدل، ثم رجعا إلى الجور، فبعث إليهما صاحب مصر جيشاً فانهزما ثم عادا في سنة اثنتي عشر وسبعمائة، وفي سنة سبعمائة وثلاث عشرة، وصل عسكر من صاحب مصر ومعهم ثلاثمائة فارس، ومعهم أبو الغيث، فلما سمع بهم حميضة ورميثة قرار إليه حلي([234])، واستولى أبو الغيث على مكة، وقصد حلياً بمن معه في طلب حميضة ورميثة فلم يظفربهما، لأنهما بالسراة، فرجع إلى مكة، ثم أن أبا الغيث كتب للجيش خطاً بأنه غني عنهم، فلما بلغ حميضة رجوع الجيش قصد أبا الغيث وانتزع منه مكة، وقتله على فراشه، ذلك سنة 714)هـ .(لانتهى ما انتخبناه من خلاصة الكلام، بشيء من الاختصار والإيضاح.

وزاد العصامي على الجيش المذكور آنفاً، قائلاً :وصل عسكر من صاحب مصر، نحو ثلاثمائة فارس، وأمدهم صاحب المدينة بخمسمائة فارس، ووصل معهم أبو الغيث ..إلى آخر ما تقدم.

أما الفاسي، صاحب التراجم المطولة لإخوته وأجداده، فأراه قصّر في حق أبي الغيث، وحتى وفاته لم يذكرها، ولعلر ذلك لقصر مدة أبي الغيث، وملابسات قتله.

قال التقي :الأمير عماد الدين، أمير مكة، ولي إمرتها سنة إحدى وسبعمائة، شريكاً لأخيه عُطيفة، وقيل لمحمد بن إدريس) أبن قتادة(، كما ذكر صاحب بهجة الزمن، ذكر أنه أخرج محمد بن إدريس، واستبد بالإمرة، وجرت بينهما حروب كثيرة قتل فيها جماعة من الأشراف، ثم عزل في الموسم من سنة أربع وسبعمائة، بأخويه رُميثة وحميضة.

ثم ولي الإمرة في سنة ثلاث عشرة وسبعمائة، ووصل فيها إلى مكة ومعه عسكر جرار، فيه ثلاثمائة وعشرون فارساً من الترك، وخمسمائة فارس من أشراف المدينة، خارجاً عن من يتبعهم من المتخطفة.

فلما علم به أخواه هرباً إلى صوب حلي ابن يعقوب، فسار إليهما في سنة714) هـ /(فلم ير لهما أثراً، لأنهما لحقا بالسراة.

ثم إن الجيش التركي أقام مع أبي الغيث شهراً، ثم ضاق منهم، وقصر في حقهم، وصار يتكسب عليهم، وكتب لهم بالاستغناء عنهم، فتوجه إليه أخوه حميضة بعد جمعة فحاربه، فقتل من أصحاب بن قتادة نحو خمسة عشر رجلاً، ومن الخيل أكثر من عشرين، أبو الغيث، ولحق بأخواله من هذيل، بوادي نخلة، وأرسل إلى السلطان هدية، فوعده بنصره، ثم التقى مع أخيه حميضة .وكانت هذه الوقعة في رابع الحجة سنة714) هـ (بقرب مكة .انتهى.

قلت :ولم يذكر الفاسي تأريخ قتله، ولكن ذكره ابن عنبة، وعنه نقل من جاء بعده.

ولم يذكر من ترجم) له اسماً (غير أبي الغيث، فيبدو أن اسمه كنيته.

أما ابن حجر، الذي خصص كتابه لوفيات أصحاب هذه المائة) المائة الثامنة (فلم يذكر عن أبي الغيث إلاّ ثلاث أسطر، ولكنه خالف في سنة الوفاة، فقال :سنة715) هـ([235])(، وخصص فقال :قتل في المعركة، والصواب قول ابن عنبة أن أخاه حميضة قتله صبراً وغيلة، والله أعلم.

25-الشريف محمد بن إدريس كان حياً سنة 701) هـ1301/م :(

ترجمه تقي الدين الفاسِيُّ، فقال :

محمد بن إدريس بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم، الحسني، المكي .أمير مكة.

ذكر الشيخ تاج الدين عبد الباقي بن عبد المجيد اليمني، في كتاب» بهجة الزمن في تاريخ اليمن «أن الأمير بيبرس الجاشنكير لما حج في سنة إحدى وسبعمائة أمَّر بمكة أبا الغيث، ومحمد بن إدريس وخلفهما لصاحب مصر.

فأقام أبو الغيث أياماً، وأخرج من مكة محمد بن إدريس، واستبد بالإمرة، وجرت بينهما حروب كثيرة، وقتل فيها جماعة من الأشراف.

وكاتب أبو الغيث السلطان– يعني :المؤيد صاحب اليمن –وبذل الخدمة والنصيحة والرهينة، فقبل ذلك منه .انتهى.

ولم يزد الشيخ تاج الدين المذكور في نسب محمد بن إدريس المذكور على اسم أبيه.

ورأيت ما يخالف ما ذكره في تأمير الجاشنكير لمحمد بن إدريس هذا بمكة، لأن كلام بيبرس الدوادار في تاريخه يدل على أن الأمير بيبرس إنما أمَّر بمكة في هذا التاريخ أبا الغيث، وأخاه عطيفة ابني أبي نمي .والله أعلم بالصواب.

وبلغني :أن أبا نمي ([236])أمير مكة جعل لمحمد بن إدريس هذا ربع ما يتحصل لأمير مكة في كل سنة، ولكنه لم يجعل له ولاية بمكة .وأن أبا نمي كان كثير الاغتباط بمحمد ابن إدريس هذا، ويقول فيه– لكثرة اغتباطه به إذا رآه :–هنيئاً لمن هذا ولده .وأن بعد موت أبي نمي، أشار بعض الناس على أولاد أبي نمي بقتل محمد بن إدريس هذا، وقال لهم :لا يتم لكم معه أمر إلا إن قتلتموه .فتشاوروا في ذلك، وذكروه لحميضة بن أبي نمي، فلم يوافق على ذلك حميضة، وأعرضوا عن قتل محمد بن إدريس .

وكان بعد ذلك بين إخوته، أولاد إدريس، وأولاد أبي نمي حروب كثيرة، منها :في شهر واحد، شهر رمضان بضع وعشرون لقية .والله أعلم بحقيقة ذلك .العقد الثمين مادة محمد.

قال مؤلفه :كان إدريس والد محمد هذا شريكاً لأبي نُمي، وهو عمه([237])، ثم إن أبا نُمي ظفر بإدريس فقتله– كما تقدم في ترجمة كل منهما –فلعل ربع المتحصل الذي ذكره الفاسي آنفاً ترضية وتألفاً لأبناء عمه إدريس، والله أعلم.

–26الشريف حُميضة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة، عز الدين . ت 720) هـ 1320/م:(

تنافس الحكم بعد أبي نمي محمد بن أبي سعد، أربعة من بنيه، هم :حُميضة ورُميثة وأبو الغيث وعُطيفة .وكان اسم حُميضة) نجّاد.(

فجاء تاريخهم متداخلاً، يوضح بعضه بعضاً، ولكن منهجي إفراد كل أمير بترجمة مستقلة، ولو تكررت بعض الحوادث نتيجة تداخل الأحداث، من حيث الشراكة أو التداول أو المنازعة . وكان حُميضة موصوفاً بالشجاعة الفائقة والعزم الصارم، كما سترى فيما يلحق.

قال التقي الفاسي :([238])ولي إمرة مكة إحدى عشرة سنة، ونصف السنة أو أزيد، في أربع مرات، منها مرتان شريكاً لأخيه رميثة، ومرتان مستقلاً، والمرتان اللتان شارك فيهما أخاه نحو عشر سنين، إحداهما عشرة أشهر متوالية، بعد موت أبيه، في سنة موته، وهي سنة إحدى وسبعمائة، والثانية نحو تسع سنين، بعد الأولى بسنتين أو ثلاث .وكانا ولياها بتوصية ورضى من أبيهما قبيل موته، ولم يزالا شريكين حتى عزلا عنها في موسم سنة701) هـ (بأخويهما أبي الغيث وعُطيفة، وقبض عليهما الأمراء القادمين إلى مكة في الحج، وأرسلا إلى مصر، وسجنا تأديباً لهما على ما صدر منهما في حق أخويهما عطيفة وأبي الغيث، ثم ولي عطيفة وأبو الغيث إمرة مكة .وذلك أن الأشراف والقواد ([239])اختلفوا بعد موت أبي نمي، فمال قوم إلى حميضة ورميثة ومال آخرون إلى أخويهما عطيفة وأبي الغيث .وحبس حميضة ورميثة أخويهما عطيفة وأبا الغيث، ثم خرج المحبوسان فركنا إلى بعض الأشراف والقواد، فمنعوهما، ولما وصل الحاج المصري تلقاهم أبو الغيث فمالوا إليه، فلما قضي الحج، لزم أمير الحاج بيبرس الجاشنكير حميضة ورميثة وسار بهما إلى مصر، وأمَّر بمكة أبا الغيث ومحمد بن إدريس.([240])

وفي أخبار سنة704) هـ (حج ركن الدين بيبرس وأمراء من مصر، ومعهم رميثة وحميضة، فلما انقضى الحج، أبلغ بيبرس عطيفة وأبا الغيث أن ملك مصر أعاد أخويهما رُميثة وحُميضة إلى إمرة مكة، فرفضا، وحصلت منافرة .واستمر حميضة ورميثة في الإمرة، وأظهرا حسن السيرة وجميل السياسة، وأبطلا شيئاً من المكوس.

وفي سنة708) هـ (ظهر منهما التعسف .وفي سنة710) هـ (حج من مصر عسكر قوي فيه أمراء، يريدون لزم الشريفين حميضة ورميثة، فلما علما بذلك، هربا من مكة، فلما خرج العسكر عادا إلى مكة .وفي سنة712) هـ (حج الملك الناصر، ومعه مائة فارس وستة آلاف مملوك، فخرج حميضة ورميثة من مكة، خوفاً منه، ثم عادا إلى مكة بعد خروجه.

ثم خرجا سنة713) هـ (إلى صوب حلي ([241])ابن يعقوب، لوصول أبي الغيث من الديار المصرية، ومعه عسكر جرار، فيهم من المماليك الأتراك، ثلاثمائة وعشرون فارساً، وخمسمائة فارس من أشراف المدينة، خارجاً عما يتبع هؤلاء من المتخطفة والحرامية.

وفي المحرم سنة714) هـ (سار أبو الغيث و)طُقصبا (إلى صوب حلي بن يعقوب، وراء حميضة ورميثة، ووصل أبو الغيث وطقصبا إلى حلي، ولم يدخلاها.

وفي سنة713) هـ (جرد السلطان جماعة من الأمراء إلى مكة، وتوجهوا في شوال، وجرد من دمشق الأمير سيف الدين، وذلك بسبب شكوى الحجاج والمجاورين من أميري مكة حميضة ورميثة .وجهّز أخاهما أبا الغيث مع الجيش .فلما وصل الجيش فارقها حميضة، ثم إن أبا الغيث قصر في حق العسكر، ثم كتب بالاستغناء عنهم، فلما علم حميضة بفارقة الجيش، عاد

إليها بجمع، وقاتل أبا الغيث، ففارق أبو الغيث مكة، ولحق بأخواله من هذيل بوادي نخلة([242])، وأرسل حميضة إلى السلطان رسولاً وخيلاً للتقدمة، فاعتقل السلطان رسوله.

وذكر صاحب المقتفى :أن هذه ولاية حميضة الثالثة، وذكر أنه في يوم الثلاثاء رابع ذي الحجة، من سنة714) هـ(، وقعت حرب بين حميضة وأبي الغيث، بالقرب من مكة، بفانتصر حميضة، وجُرِح أبو الغيث، ثم ذُبح بأمر أخيه .وكان جماعة أبي الغيث أكثر عدداً، ولكن رُزِق حميضة النصر، واستقر بمكة .وعام715) هـ(، بلغ حميضة وصول عسكر مع أخيه، فلما قاربوا مكة نزح عنها، وأخذ المال والنقد والبز، وهو حمل مائة جمل، وأحرق الباقي في الحصن الذي في الجديد .([243])ووصل العسكر إلى مكة يوم السبت منتصف رمضان، وأقاموا بها ثلاثة عشر يوماً، ثم توجهوا إلى الخليف([244])، وهو حصن التجأ حميضة إلى صاحبه، وصاهره، لعله يحتمي به، فواقع العسكر حميضة وصاحب الحصن، وأخذ جميع أموال حميضة وخزانته، ونهب الحصن وأحرق، وأُسر ولد حميضة، وعمره 12) سنة(، وسلم إلى عمه رميثة، واستقر رُميثة بمكة، ونجا حميضة بنفسه، ولحق بالعراق.

وفي أخبار سنة716) هـ (وصل الخبر بأن الشريف حميضة قد لحق بخَرْبندا بالعراق، وبقي عنده شهراً، وطلب منه جيشاً يغزو به مكة .وساعده جماعة من الرافضة على ذلك، وجهزوا له جمعاً من خراسان، فقد الله أن يموت خربندا، فبطل ذلك .ثم إن محمد بن عيسى أخا مهنا، هو وجمع من العرب، وقعوا على حميضة وعلى الدلقندي، وهو رجل من الرافضة، من أعيان دولة التتار قد قام بنصر حميضة، وجمع له أموالاً ورجالاً، على أن يأخذ له مكة، ويقيمه بها.

وفي أخبار717) هـ :(في هذه السنة، وصل كتاب الأمير أسد الدين رميثة أمير مكة إلى الأبواب السلطانية يتضمن أن أخاه عز الدين حميضة، قدم من بلاد العراق، وكان قد

انسحب إليها، والتحق بخربندا– كما تقدم .وأنه وصل الآن إلى فرس واحد، ومعه اثنان من أعيان التتار، وهما درقندي– وقيل فيه دقلندي –وملك شاه، ومعهم ثلاثة وعشرون راحلة، وأنه كتب إلى أخيه رُميثة يستأذنه في دخول مكة، فمنعه إلا بعد إذن السلطان .فكتب السلطان إلى حميضة أنه إن حضر إلى الديار المصرية، على عزم الإقامة بها، قابله بالأمان وسامحه بذنوبه السالفة، وأما الحجاز فلا يقيم به .وكتب إلى درقندي وملك شاه بالأمان، وأن يحضرا، وأخبر من وصل أنهم لَقَوا في طريقهم شدّة من العراق إلى الحجاز، وأن العربان نهبوهم، فنهب لدرقندي أموال جمة، وأنه وصل على فرس واحد مسافة عشرين ليلة .وقد حكى عن الأمير محمد بن عيسى أخي مهنا، أن الملك خربندا كان قد جهز دقلندي المذكور، في جمع كثير مع عز الدين حميضة، قبل وفاته، إلى الحجاز، لنقل الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، من جوار النبي ، وأن الأمير محمد المذكور، جمع من العربان نحو أربعة آلاف فارس، وقصد المقدم ذكره، وقاتله ونهبه، وكسب العسكر منهم أموالاً جمة عظيمة من الذهب والدراهم، حتى إن فيهم جماعة، حصل للواحد منهم نحو ألف دينار، غير الدواب والسلاح وغير ذلك، وأخذوا الفؤوس والمجارف التي كانوا قد هيؤوها لنبش الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما .وكان ذلك في ذي الحجة سنة ست عشرة وسبعمائة.

ثم قال :ولما ورد كتاب الأمير أسد الدين رُميثة بما تقدم، ندب السلطان إلى مكة، شرفها الله تعالى، الأميرين سيف الدين أيتمش المحمدي، وسيف الدين بهادر.

وتوجها إلى مكة لإحضار حميضة، ومن حضر من التتار، فتوجّها قفي يوم السبت سادس عشر ربيع الأول بمن معهما، فوصلا إلى مكة، وأرسلا إلى حميضة في معاودة الطاعة، وأن يتوجه معهما إلى الأبواب السلطانية، فاعتذر أنه ليس معه من المال ما ينفقه على نفسه ومن معه في سفره، وطلب منهما ما يستعين به على ذلك، فأعطياه .فلما قبض المال تغيب .

وعادا إلى القاهرة، فوصلا في يوم الأحد السادس والعشرين من جمادى الآخرة من السنة، يعني سنة سبع عشرة.

ثم قال في أخبار سنة ثماني عشرة وسبعمائة :وفي صفر في هذه السنة، وردت الأخبار من مكة شرفها الله تعالى، أن الأمير عز الدين حميضة بن أبي نمي، بعد عود الحاج من مكة، وثب على أخيه الأمير أسد الدين رميثة بموافقة العبيد، وأخرجه من مكة، فتوجه رميثة إلى نخلة، وهي التي كان بها حميضة، واستولى حميضة على مكة شرفها الله تعالى .وقيل إنه قطعه الخطبة السلطانية، وخطب لملك العراقين، وهو أبو سعيد بن خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو، فلما اتصل ذلك بالسلطان، أمر بتجريد جماعة من أقوياء العسكر .فجرّد الدين بَهادر الإبراهيمي، وجماعة من الحلقة، وأجناد الأمراء، من كل أمير مائة، فارسين، ومن كل أمير طبلخانة، جندياً، وأمر بالمسير إلى مكة، وأن لا يعودوا إلى الديار المصرية، حتى يظفروا بحميضة، فتوجهوا في العشر الأواخر من شهر ربيع الأول في هذه السنة.

وذكر أن الإبراهيمي لما توجّه لمحاربة حميضة والقبض عليه، ركب إليه، وتقاربا من بعضهما بعض، وباتا على ذلك، ولم يقدر الإبراهيمي على مواجهة حميضة، فاقتضى ذلك القبض على مواجهة حميضة، فاقتضى ذلك القبض على الإبراهيمي وعلى رميثة؛ لأنه نسب إلى مواطأة أخيه حميضة، وأن الذي يفعله منم التشعيث باتفاق رميثة، وجهزا إلى الديار المصرية.

وهذه ولاية حميضة الرابعة التي أشرنا إليها، ولم يزل حميضة مهججاً والطلب عليه، وأهل مكة خائفون من شره.

وذكر اليافعي :أنه قصد مكة بجيش يريد أخذها، وقتل جماعة من أهل مكة والمجاورين بها، فخرج إليه أخوه عطيفة، وكان قد استقر في إمرة مكة بعد القبض على أخيه رميثه، لاتهامه

بممالأة حميضة، ومع عطيفة أخوه عطاف، وآخر من إخوته، وعسكر ضعيف، فنصرهم الله عليه، وكسروه، ثم قُتل بعد كسرته بأيام.

وقد ذكر خبر مقتل حميضة، صاحب نهاية الأرب، وأفاد في ذلك ما لم يفده غيره، وقد رأيت أن أذكر كلامه لذلك، قال في أخبار سنة عشرين وسبعمائة :كان السلطان لما كان بمكة شرفها الله تعالى، سأله المجاورون بمكة ومن بها من التجار، أن يخلف عسكراً يمنع عز الدين حميضة بن أبي نمي إن هو قصد أهل مكة بسوء، فجرد ممن كان معه الأمير شمس الدين) آق (سنقر ومعه مائة فارس، فأقام بمكة، فلما عاد السلطان إلى قلعة الجبل، جرَّد الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب، وكان هو من الأمراء مقدّمي الألوف، ببعض عدته، وجرد معه جماعة من المماليك السلطانية، وكانت عدة من توجه مائة فارس، وخرج من القاهرة في يوم الأربعاء السادس من شهر ربيع الأول هذه السنة، ووصل إلى مكة شرَّفها الله تعالى، وأقام بها ومنع أهلها من حمل السلاح، السكين فما فوقها، وبعث إلى الأمير عز الدين حميضة، وكان بقرب نخلة، يستميله إلى الطاعة والتوجّه إلى الأبواب السلطانية، فسأل رهينةً عنده من الأمير ركن الدين يكون عند أهله ويحضر، فأجاب الأمير ركن الدين إلى ذلك، وجهز أحد أولاده، وهو الأمير عليّ، وجهز معه هدية لحميضة، ولم يبق إلا أن يتوجّه، فأتاه في ذلك اليوم رجل من الأعراب، وأخبره بقتل حميضة، فأنكر وقوع ذلك، وظن ذلك مكيدة لأمر ما، لكنه توقف عن إرسال ولده حتى يتبين له الحال .فلما كان في مساء ذلك اليوم، طرق باب المعلاة بمكة، ففتح، فإذا مملوك اسمه أسندمر، وهو أحد المماليك الثلاثة الذين كانوا قد التحقوا بحميضة من مماليك الأمراء كما تقدم، وهو راكب حجرة حميضة التي تسمى جمعة– وكان السلطان قد طلبها من حميضة، فشح بإرسالها –وأخبر أنه قتل حميضة، اغتاله وهو نائم، وجرّد سيفه وإذا بِه أثر الدم، وذلك في جمادى الآخرة، يعني من سنة عشرين ناصر الدين محمداً وشهاب الدين أحمد، إلى الأبواب السلطانية بهذا الخبر، فوصلا إلى السلطان فأنعم عليهما .وجهَّز الأمير ركن الدين متن تَوجه لإحضار سلب حميضة، والمملوكين،

وقيل :إن الثالث مات، وهو مملوك الأمير سيف الدين بكتمر الساقي، فألزم صاحب نخلة بإحضاره وتوعده إن تأخر، فاحضره، واستمر الأمير ركن الدين بمكة، إلى أن عاد الجواب السلطاني بطلبه، فتوجّه من مكة شرفها الله تعالى، في مستهل شعبان، وصحبته المماليك الثلاثة، الذين كانوا قد هربوا، وكان وصوله إلى الأبواب السلطانية، في العشر الأول من شهر رمضان.

فلما وصل شمله الإنعام والتشريف، فأمر السلطان بقتل أسندمر قاتل حميضة، قوداً به، في شوال من السنة.

وقال صاحب المقتفى، في أخبار سنة عشرين وسبعمائة :وفي هذه السنة، قُتل الأمير عز الدين حميضة بن الأمي الشريف أبي نمي صاحب مكة .وكان قد خرج عن طاعة السلطان، وولى السلطان بمكة أخاه سيف الدين عطيفة، وبقي هو في البرية، والطلب عليه، وأهل مكة خائفون من شرّه، وكان شجاعاً قامعاً لأهل الفساد ,.وكان في السنة الماضية، سنة حج السلطان، هرب من مماليكه ثلاثة، ولجأوا إلى حميضة، ثم إنهم خافوا من دخوله في الطاعة، وأنه يرسلهم إلى حضرة السلطان، فقتلوه، وتوجهوا في وادي بني شعبة، وحضروا إلى مكة، فقيد الذي تولى القتل منهم، وأرسل إلى الديار المصرية فاعتقل، ثم قتل في شوال.

وذكره الذهبي في ذيل سير النبلاء، قال :كان فيه ظلم وعنف، ثم قال :وقتل كهلاً.

وذكر اليافعي في تاريخه :أنه رأى في المنام قبيل قتل حميضة، كأن القمر في السماء قد احترق بالنار .قال :وأظنه سقط إلى الأرض .وهذه مزيّة.

وذكر اليافعي :أن حميضة كان يقول :لأبي خمس فضائل :الشجاعة، والكرم، والحلم، والشعر، والسعادة .فالشجاعة لعطيفة، والكرم لأبي الغيث، والحلم، والشعر لشميلة([245])، والسعادة لي، حتى لو قصدت جبلاً لدهتكه.

وللأديب موفق الدين عليّ بن محمد الحنديدي ([246])من قصيدة يمدح بها الشريف حميضة بن أبي نمي، هذا أولها :

قدح الوجد في فؤادي زناداً

منع الجفن أن يذوق الرقادَ

وفؤاد الشجي يوم إلالِ

ساقه سائق الظعون وقادا

بدَّلني بالوصل هجراً وبالزو

رة صدًّا وبالتداني بعادا

وتمادى بها الجفاء وما

كان لها في الجفا أن تمادى

يا معيد الحديث عد فيه عنهم

ما ألذَّ الحديث عنهم معادا

هات بالله يا محدث حدث

بجياد جاد الغمام جيادا

بلداً بالشَّريف شرفه اللّ

ـه بقاعاً شيحانه ووهادا

ملك من قتادة ملك الأَر

ض نصالاً محشودةً وصعادا

إن أكن في حميضة زدت في المد

ح فقد زاد في نوالي وزادا

رجل سالم المسالم في اللّ

ـه وفي الله للمعادين عادا

عاد أبدا أولى فوالى تغالى

عزَّ أعطى سطا أفاد أبادا

جاد أغني علا سما جل جلا

ظلم الظلم عدله ساد سادا

حسن الصمت ليس حسن أن تسـ

ـمع إلا في مثله الإنشادا

ابن بنت النبيّ لم يجعل اللّـ

ـه سواكم لأَرضه أوتادا

ومنها :

يا ركاب الآمال ويحك بالنجـ

ـحِ بحصن الجديد أمي نجادا

يا جواداً ما زرت مغناه إلا

أُبْتُ من عنده أقود جوادا

كل شعر أتاكم غير شعري

يا أبا زيد ليس يسوي المدادا

وله فيه أيضاً :

إن الفريق النازلين في منى

غاية سول القلب مني والمنا

هم أَوقفوا جفني على سبل البكا

فصِرت بالأَربع أبكي الدمنا

ومنها :

ومخشفٍ طاف فطفنا حوله

ندعو إذا يدعو ونعنو إذا عنا

جنى علينا طرفه لكننا

لا نستطيع أخذه بما جنا

رضيته فليقض ما شاء ولو

لم يقض بالعدل علينا ولنا

وسائلٍ بالخيف من طلَّ له

من المحبين دم قلت أنا

يا حسن الناظر إن ناظري

لم ير من بعدك شيئاً حسنا

ومنها :

إن الحجاز لست أرضى غيره

أضاً ولا أبغي سواه مسكنا

ومن بني النَّجم نمىً أنجم

طبَّقت الأَرض سناءً وسنا

وسادة بفنون أموال العدا

بعد النفوس بالمواضي والقنا

أهل المساعي والصفا وزمزمٍ

والمَشعرين والمصلَّى ومنى

إن العطايا من يدي حميضة

أعطين بعد الفقر من كفي الغنا

خليفة لا يخلف الوعد ولا

يضنُّ عن سائله بما اقتنى

إمام حقٍّ جدَّ في الله فما

في الله مذ جدَّ وهي ولا ونا

عارٍ من العار عليه حلة

مرموقة أثناؤها من الثَّنا

أخاف في الله تعالى من بغى

وأمَّن الخائف حتَّى أمنا

أحسن ابنا حسنٍ سجيَّةً

أيقظهم عيناً وأوعى أُذنا

هو ابن من أسرى به الله ومَنْ

من قاب قوسين تدلى ودنا

وابن الذي به اللات آلت

إلى شر مآل ولعزى أوهنا

يابن أبي الفدا إذا تبسمت

بيضك أبكين العدا والبُدُنا

إذا سألتُ المكرمات منكم

سالتْ علينا من هنا ومن هنا

يا عارض الجود الذي شِمْتُ سنا

بارقه اسقِ ربوعي مُزَنا

لا زلتَ في كل أوانٍ ممطراً

على جميع الخلق غيثاً هتنا

وللأديب عفيف الدين عبد الله بن عليّ بن جعفر ([247])فيه مدحاً، قصيدة أولها :

تحدَّثي يا رياح الشيحِ والغارِ

عما تحملتُ من علمٍ وأخبارِ

منها :

أبقى لي الشوق دمعاً من تذكركم

مثل الصبير وقلباً غير صبارِ

فيا أخلايَ هل تجزون ذا وَلَهٍ

وجداً بوجد وتذكاراً بتذكارِ

وقد تهيج صبابات الفؤاد لكم

سجع الحمام وومض البارق الساري

ما زال دمعي يبدي ما أكتّمِه

حتى تشابه إعلاني وإسراري

لا تحسبوني أُنسيتُ المواثق بل

حفظتها حفظ عز الدين للجارِ

حميضة الحسني الندبُ خيرُ فتى

كاسٍ من الحمد بل عارٍ من العارِ

سلالة من رسول الله أنجبه

زاكٍ ومختار أصلٍ وابن مختارِ

من آدمٍ ببني الله متصلاً

أصلاً بأصلٍ وأثماراً بأثمارِ

ما مَنْ تسمَّى عليًّا كالوصي ولا

ما كل جعفر في الدنيا بطيارِ

فلا خلا الدهر من ملكٍ مناقبه

وشخصه مثل إسماعٍ وإبصارِ

فما رأى وجهه الميمون ذو أملٍ

إلا تبدل إيساراً بإعسارِ

ومنها :

قلدتني وأخوك الندب قلدني

ما ليس معروفه يلقى بإنكارِ

يا كعبتان أمام الكعبة اعتمرا

لقد تمسكت من كلٍ بأستارِ

لا زال سوحكما العاري كساحتها

نعم المآب لحجاجٍ وزوارٍ

انتهى باختصار يسير من العقد الثمين) حميضة (ولنا تعليق في نهاية البحث.

أما شيخ الإسلام أحمد زيني دحلان، فبعد موافقته على ما قدمنا، ذكر ما فيه زيادة إيضاح، فقال :وهرب حميضة إلى العراق وقصد السلطان خدابند من سلاطين التتار وكان مسلماً فأكرمه وأنعم عليه، فلما رأى إقباله عليه حسن له أن يعينه على أخذ مكة ووعد بأن يخطب له بها، فعين له عشرة آلاف من العسكر، وأمر عليهم السيد طالباً الأفطس، وأرسل الشريف حميضة إلى أمراء العرب فأجابوه وأهم ذلك أهل الشام فلجؤا إلى أمراء طي وهم عرب كثيرون فاتفق وفاة السلطان خدابند في أثناء ذلك، وكان بين وزيره رشيد الدين وبين السيد طالب الأفطس عداوة، فكاتب الوزير العسكر وذكر لهم موت السلطان فحصل فيهم الاختلاف وثارت عليهم العرب الذين مع الشريف حميضة، فنهبت العرب العسكر وكانت بينهم مقتلة، وقاتل الشريف حميضة العرب قتالاً شديداً يومئذ حتى قال الأفطس :ما زلت أسمع بحملات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حتى شاهدتها من الشريف حميضة معاينة .ثم

إن الشريف حميضة قدم مكة ومعه ثلاثة وعشرون راحلة وكتب إلى أخيه رميثة يستأذنه في دخول مكة فامتنع أن يدخله إلا بإذن السلطان، فكتب إلى السلطان بمصر يعرفه بذلك وأنه ليس مع أخيه إلا فرس واحدة فكتب إليه السلطان إن وافق أن يأتي إلى أبوابنا ويقيم عندنا فأمنه وسامحه بذنوبه السالفة، وأما الحجاز فلا يقيم فيه .وكتب السلطان بالأمان لحميضة وأرسله مع عدة من الأتراك لإحضار حميضة .فلما وصلوا اعتذر حميضة بعدم القدرة على السفر وتغيب عنهم فرجعوا إلى مصر واستمر رميثة إلى انقضاء السنة، فلما كان يوم الأحد سادس جمادى الآخرة سنة سبعمائة وثمانية عشر أقبل وخطب حميضة لملك العراق وهو ابن خدابند أبي سعيد، وقيل إن استيلاء هذا كان برضا من رميثة .فجهز الملك الناصر جيشاً من مصر وأمرهم أن لا يعودوا إلا بعد القبض على حميضة، فلم يظفروا به، بل ترك مكة وفر منها وبقي مهججاً إلى أن قتل بالشرق .قيل إن الملك الناصر دس عليه من قتله غيلة . وقيل إن جيش الناصر تبعه حتى أدركوه فقتلوه .وبقي رميثة الذي بعث به الناصر، وولى الناصر سنة تسعة عشرة) عطيفة بن أبي نمي.(

انتهى باختصار، من خلاصة الكلام، ص.(30 /29)

ونجد العلامة ابن حجر صاحب الدرر الكامنة، يسهم في أخبار حميضة، فنورد له هنا :

حميضة بن أبو نمي محمد بن حسن بن علي بن قتادة بن إدريس الحسني الشريف عز الدين أمير مكة .كان هو وأخوه رميثة وليا إمرة مكة في حياة أبيها سنة701) هـ (ثم استقلا بالإمرة واستمرا إلى الموسم، فحج بيبرس تلك السنة فلما كان فقي طواف الوداع كلمه أبو الغيث وعطيفة في أمر أخويهما حميضة ورميثة وأنهما منعاهما ميراثهما وسجناهما حتى فر منهما، فأنكر عليهما بيبرس فقال له حميضة :يا امير نحن نتصرف في إخوتنا وأنتم قد قضيتم حجكم فلا تدخلوا بيننا .فغضب بيبرس وقبض على حميضة ورميثة وحملهما إلى القاهرة وأقام أبا

الغيث وعطيفة عوضهما ([248])وسجنا بالقلعة ثم أفرج عنهما في أوائل سنة ثلاث وخلع عليهما وأكرما وتوجها إلى مكة، ففر أبو الغيث ثم وقع بينهما، فذبح أبو الغيث بابن حميضة في ذي الحجة سنة714) هـ (وكان قبل ذلك قد وقع له مع أمير الركب الذي حج سنة (707)مقاتلة فانهزم حميضة ثم رجع بعد رحيلهم إلى مكة، وكثر ظلمه بها فجرد له عسكراً في سنة713) هـ (ففر إلى حلي، فقرر أخوه أبو الغيث مكانه فلما رجع العسكر عاد حميضة وقتل أخاه، ثم قدم العسكر مع رميثة ففر حميضة مختفياً في زي امرأة، ولحق بخربندا بالعراق فتلقاه وأكرمه وبالغ في الإحسان عليه وندب معه أربعة آلاف فارس وراسل أخاه رميثة أن يأذن له أن يدخل مكة ويشارك في الإمرة كعادته فامتنع، وكاتب الناصر فأجابه بأن لا يفعل إلا إن دخل حميضة إلى مصر، فجمع حميضة عسكراً ونازل رميثة فانهزم منه ودخل حميضة مكة عنوة، وقطع خطبة الناصر، وخطب لأبي سعيد بن خربندا، وأخذ أموال التجار والمياسير، فجرد له الناصر عسكراً فانهزم منهم من غير قتال، ثم عاد بعد ذهاب الحج فأرسل حميضة قد لحق ببني سعيد([249])، ثم اصطلح محمد حميضة ورميثة فبلغ ذلك الناصر فغضب وقرر عطيفة في إمرة مكة، فخرج حميضة عن مكة، فلما حج الناصر سنة 719) هـ (وعاد وجرد الناصر له عسكراً فنزح قبل وصولهم وأخذ أموال الناس من النقد والبز وهو مائة حمل، وأحرق الباقي وتحصن بحصنه الذي بالجديدة، وقطع ألفي نخلة والتجأ إلى صاحب الخليف، وهو حصن بينه وبين مكة ستة أيام، فدخل العسكر في ذي القعدة سنة715) هـ(، ثم تبعوه إلى مكانه فأحرقوا الحصن وأخذوا ما مع حميضة من الأموال، وأخذوا ابن حميضة أسيراً وسلموه لعمه رميثة، واستقر رميثة أميراً بمكة، ولحق حميضة بالعراق، ثم اتصل بخربندا وأقام ببلاده وتعصب الدلقندي الرافضي، وساعده حتى جهز له خربندا جيشاً يغزو به مكة، وأطمعه في أن يخطب له بها فما تم ذلك حتى مات خربندا فانفل جمعهم وظفر بهم محمد بن عيسى أخو مهنا ومن معه من العرب، وهو في تلك البلاد يومئذ، فأخذوا ما معه ومع الدلقندي من الأموال وتسحب حميضة حتى عاد إلى مكة .واتفق أن هرب من مماليك الناصر ثلاثة أنفس ليلحقوا ببلاد الططر فمروا بحميضة فأضافهم، ووعدهم أنه يسيرهم إلى ابن خربندا،

فخشوا منه أن يتقرب بهم إلى الناصر فقتلوه في وادي بني شعبة ([250])فظفر بهم عطيفة أخوه، فقيد الذي تولى قتله وجهزه إلى الناصر فقتله به، وذلك في جمادى الآخرة سنة 720)هـ(، وكان شجاعاً فاتكاً كريماً وافر الحرمة، اتفق أن شخصاً مد يده لأخذ شيء من حمل وجد مطروحا بالتربة فقطع يده فصارت الأموال توجد بالبرية لا يتعرض لها أحد من مهابته.

أما تعليقنا على هذه الأخبار، فهو الآتي :

-1هذه الأخبار فيها تضارب، وإن كان معنى مجموعها متقارب، ولذا أوردنا قول كل مؤرخ، ما عدا شذرات صغيرة قليلة الفائدة، أو قبيحة إلى درجة أن نفس القارئ لا تستسيغها.

-2قولهم :أحضر الفؤوس والمساحي لنبش قبري الشيخين رضي الله عنهما، فيه غرابة من وجهين :

الوجه الأول :فإن حميضة وإن كان هو وأهله شيعة زيدية، إلا أنهم ليسوا روافض، وبالتالي فإن موقفهم من الشيخين مختلف، ولا تضمر الزيدية عداء للشيخين، فلا يحتمل أن يتجرأ حميضة على مثل هذا، كيف وهو أمر لم يستطع الحصول عليه الفاطميون الذين كان لهم الأمر في الحجز، وتقدم معك ما حدث في عهد الأسرة الموسوية .ولا ينكر أحد أن الرافضة يتمنون ذلك، ولكن الاعتذار عن حميضة .وكان العصر عصر اشتداد العداء بين أهللا السنة والشيعة، وكان كل يرمي الآخر بما استطاع، فلعل هذا من قبيل الدعاية ضد حميضة المتمرد على الحكام المصريين ومن ولوه على مكة، وهم يعلمون حرص أهل الحجاز على الصحابة عموماً والشيخين والحجرة النبوية خصوصاً، فأرادوا استثارة عواطفهم ضد حميضة، والله أعلم.

الوجه الثاني :ما حاجة حميضة ومن معه لحمل الفؤوس والمساحي؟ فهم إن استطاعوا دخول المدينة فإن أكثر ما فيها هذه الآلات، وإن لم يستطيعوا ذلك– كما حدث –فما فائدة حملها؟ وهذا أظنه من زيادة تعميق الخبر وتأكيده، وكما يقول قومنا) :الأخبار من بعيد تزيد وتنقص (ومحاربة العدو لا بد لها من حجة تؤجج عواطف المحاربين.

–3المماليك الذين لجأوا إلى حميضة، لا يستبعد أن يكونوا دسيسة عليه بعد أن أعياهم القبض عليه، وأن قتل القاتل من باب التغطية، والله أعلم.

–4ذكر مؤرخوه ولدين من بنيه، أحدهما قتل، والآخر أسر في وقعة الخليف، ولم يذكروا اسم واحد منهما، ولم يذكر غيرهما، غير أن الشاعر الحنديدي– فيما تقدم –ذكر له ابناً اسمه زيد، وهو ابن حقيقي وليست مجرد كنية، إذ لو كانت كنية راسخة مع اسمه لذكرت في أول ترجمته، كأبي نمي، وأبي سعد ..الخ.

ولا ندري، هل زيد هذا اسم أحد المتقدمين، أم أنه ابن ثالث.

ولا يوجد اليوم في الحجاز من ينتسب إلى حميضة هذا .أما القواد الحميضات فهم موالي.

–27الشريف عُطيفة بن محمد أبي نمي بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة .ت 743)هـ1342/م :(

ترجمة العلامة تقي الدين الفاسي المكي، في العقد الثمين،) في مادته(، فقال :عُطيفة ابن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني المكي.

يلقب سيف الدين .أمير مكة.

ولي إمرتها نحو خمس عشرة سنة، مستقلاً بها في بعضها، وشريكاً لأخيه رميثة في بعضها، وذكر بيبرس الدوادار، أو النوري في تاريخه– الشك مني –ما يقتضي أنه ولي إمرتها شريكاً لأخيه أبي الغيث، لما أن ولاه الجاشنكير إمرتها، في موسم السنة التي مات فيها أبوهما، وهي سنة إحدى وسبعمائة، بعد القبض على أخويه المتغلبين على مكة حميضة ورميثة، تأديباً لهما على قبضهما أبا الغيث وعطيفة، كما تقدم مشروحاً في ترجمة حميضة ورميثة.

وذكر صاحب بهجة الزمن :أن الجاشنكير، أمَّر بمكة في موسم سنة إحدى وسبعمائة– بعد القبض على حميضة ورميثة– أبا الغيث، ومحمد بن إدريس بن قتادة، وهذا يخالف ما ذكره بيبرس أو النويري، من أنه أمَّر عطيفة مع أبي الغيث، والله أعلم بالصواب.

وذكر النويري :أن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون صاحب مصر، ولي عُطيفة إمرة مكة، في سنة تسع عشرة وسبعمائة، بعد القبض على أخيه رميثة بمكة، في موسم سنة ثمان عشرة، وأن السلطان جهز مع عطيفة لنصرته عسكراًَ مع أميرين، وأنهم توجهوا من القاهرة في شهر الله المحرم من سنة تسع عشرة وسبعمائة، ولما وصل العسكر إلى مكة، أجلسوا بها عطيفة وأقاموا عنده، وتوجه الذين كانوا بها من العام الماضي، وكثر بمكة الأمن والعدل، ورخصت الأسعار، بحيث إنه بيعت غرارة القمح في هذه السنة بمائة وعشرين درهماً، على ما ذكر البرزالي، وما أدري هل أراد بالغرارة المكية أو الشامية .ولما حج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في هذه السنة، أعني سنة تسع عشرة وسبعمائة، سأله المجاورون بمكة، أن يترك عندهم فيها من يمنعهم من أذى حميضة لهم ففعل، وترك بها الأمير شمس الدين سنقر في مائة فارس، ولما قصد حميضة مكة وعطيفة بها، خرج إليه هطيفة، ومع عطيفة أخوه

عطاف، وآخر من إخوته، وعسكر ضعيف، فنصرهم الله على حميضة وكسروه، وكان ذلك في جمادى الآخرة من سنة عشرين وسبعمائة، وقتل حميضة بعد ذلك بأيام.

وذكر البرزالي، نقلاً عن كتاب الشيخ فخر الدين النويري :أن مكة كانت في هذه السنة طيبة من كثرة المياه والخير والأمن، وأرسل إليها من الغلال ما له قيمة كثيرة .وذكر البرزالي أنه جاء في هذه السنة من اليمنيين والكارم خلق كثيراً إليه مكة، بسبب عدل عطيفة .قال : وذكر أن الناس تألموا لمجيء رميثة من مصر إلى مكة في موسهم هذه السنة، صحبة الأمير أرغون النائب الناصري، لأن الناس يحبون عطيفة لعدله .قال :لكن أمر مكة إلى عطيفة، وهو مشكور السيرة.

ورأيت في كلام بعضهم، ما يقتضي أن رميثة ولي إمرة مكة في هذه السنة، شريكاً لأخيه عطيفة، واله أعلم بالصواب.

وذكر البرزالي ما يقتضي أن رميثة كان أمير مكة في سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، لأنه قال في أخبار هذه السنة :ورد كتاب موفق الدين عبد الله الحنبلي، إمام المدرسة الصالحية من القاهرة، وهو مؤرخ بمستهل جمادى الآخرة، يذكر فيه أنه جاء في هذا القرب، كتاب من جهة عطيفة أمير مكة، يذكر أن رميثة قد حلف له بنو حسن([251])، وقد أظهر مذهب الزيدية، وجاء معه كتاب آخر، من جهة مملوك هنالك لنائب السلطنة، فيه مثل ما في كتاب عطيفة، وقد تحرَّج السلطان من هذا الأمر، واشتد غضبه على رميثة.

وذكر ابن الجزري ما يقتضي أن عطيفة كان أمير مكة في سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة، لأنه قال في أخبار هذه السنة :ورد كتاب من القاهرة مؤرخ بشهر شعبان، أن السلطان أعز الله

نصره، أبطل المكس المتعلق بالمأكول بمكة فقط، وعوض صاحب مكة الأمير الشريف عطيفة ثلثي دماميل من صعيد مصر.

وذكر ابن الجزري أيضاً في تاريخه، ما يقتضي أن رميثة كان أميراً على مكة، شريكاً لعطيفة في بعص سني عشر الثلاثين وسبعمائة، لأنه ذكر أنه سأل المحدث شهاب الدين المعروف بابن العديسة، بعد قدومه إلى دمشق من الحج في سنة خمس عشرين وسبعمائة، عن أمور تتعلق بالحجاز وغيره، وأنه قال :والحكام يومئذ على مكة :الأميران الشريفان :أسد الدين رميثة، وسيف الدين عطيفة، ولدا أبي نمي .

وذكر الجزري أيضاً، ما يقتضي أن عطيفة كان منفرداً بإمرة مكة، في سنة ست وعشرين وسبعمائة، لأنه قال :وصل أيضاً مرسوم كريم من السلطان، إلى السيد عطيفة، بتبطيل مقام الزيدية، والإنكار عليه في ذلك، وفي أمور حدثت بمكة؛ فدخل السيد عطيفة عند وصول المرسوم الكريم، وأخرج إمام الزيدية إخراجاً عنيفاً، ونادى بالعدل في البلاد، وحصل بذلك سرور عظيم للمسلمين.

وإمام الزيدية المشار إليه، هو فيما أظن، رجل شريف كان يصلي بالزيدية، بين الركنين اليماني والحجر الأسود، فإذا صلى صلاة الصبح، وفرغ من الصلاة، دعا بدعاء مبتدع، وجهر به صوته، وهو :اللهم صل على محمد، وعلى أهل بيته المصطفين الأطهار، المنتخبين الأخيار، الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً ,اللهم انصر الحق والمحقين، واخذل الباطل والمبطلين، ببقاء ظل أمير المؤمنين، ترجمان البيان وكاشف علوم القرآن، الإمام ابن الإمام ابين الإمام، محمد بن المطهر بن يحيى بن رسول الله ، الذي للدين أحيى، إمام المتقين وحجاب الصائمين، اللهم انصره وشعشع أنواره واقتل حساده، وأكبت أضداده .مع زيادات على هذا . وكان إذا صلى صلاة المغرب، دعا أيضاً بهذا الدعاء، وجهر به صوته، في هاتين الصلاتين .

وما زال على هذا الأمر([252])، إلى أن وصل إلى مكة العسكر المجاهد المجرّد لليمن، نصرةً للملك المجاهد صاحب اليمن، في سنة خمس وعشرين وسبعمائة، فعند ذلك خرج هذا الإمام من مكة وأقام بوادي مر، وما رجع إليها إلى وقت الحج .انتهى ما ذكره ابن الجزري نقلاً عن ابن العديسة، من خبر إمام الزيدية بمكة، وكأنه عاد بعد الموسم إلى ما كان يفعله.

وحاصل ما ذكرناه من هذه الأخبار، أن ولاية عطيفة بمكة، في عشر الثلاثين وسبعمائة مختلف فيها، وليها فيها بمفرده، أو شركة فيها أخوه رميثة؟ ولم يزل عطيفة على ولايته، إلى أن وصل العسكر المجرد إلى مكة، في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، بسبب قتل الأمير ألدمر، أمير جاندار في سنة ثلاثين وسبعمائة، في رابع عشر الحجة منها .ولما وصل العسكر إلى مكة، وجدوا الأشراف قد هربوا بأجمعهم، وقد تقدم خبر هذا العسكر في ترجمة رميثة، وأنه استقر في إمرة مكة بمفرده .ثم توجه عطيفة إلى مصر، وعاد منها في سنة أربع وثلاثين متوليا، وأقام بموضع يقال له أم الدمن، ثم جاء إلى مكة، وأخذ نصف البلاد من أخيه رميثة .فلما كانت ليلة النفر من منى، أخرجه رميثة من مكة بلا قتال، فتوجه عطيفة إلى مصر، وأقام بها إلى أن جاء صحبة الحاج في آخر سنة خمس وثلاثين، وقد ولي نصف البلاد، ومعه خمسون مملوكاً شراء ومستخدمين، وأخذ نصف البلاد من أخيه رميثة بلا قتال، وكانا متوليين لمكة في سنة ست وثلاثين وسبعمائة .ثم إنهما بعد مدة من هذه السنة، حصلت بينهما وحشة ومباعدة، فأقام عطيفة بمكة ومعه المماليك ورميثة بالجديد، إلى شهر رمضان، فلما كانا في اليوم الثامن والعشرين منه، ركب رميثة في جميع عسكره، ودخل مكة على عطيفة، بين الظهر والعصر، وكان عطيفة برباط أم الخليفة ولاخيل والدروع والتجافيف في العلقمية، فلم يزل رميثة وأصحابه قاصدين إلى باب العلقمية، ولم يكن معهم رجالة، فوقف على باب العلقمية من حماها إلى أن أُغلقت، والموضع ضيق لا مجال للخيل فيه، والذي حموا ذلك، الغز والعبيد من غلمان عطيفة، فلم يحصل في ذلك اليوم لرميثة ظفر، وقتل في ذلك اليوم من أصحاب رميثة، وزيره واصل بن عيسى الزباع، وخشيعة ابن عم الزباع، ويحيى بن ملاعب، وولوا

راجعين إلى الحديد، ولم يقتل من أصحاب عطيفة غير عبد واحد أو اثنين فيما قيل، والله أعلم.

وذكر ابن محفوظ :أن في هذه السنة، لم يحج الشريفان رميثة وعطيفة، واصطلحا في سنة سبع وثلاثين، وأقاما مدة، ثم توجها إلى ناحية اليمن بالواديين، وترك عطيفة ولده مباركاً، وترك رميثة ابنه ([253])مغامساً بالجديد، وحصل بين مبارك ومغامس وحشة وقتال، ظفر فيه مبارك .وذكر أن في هذه السنة، استدعى صاحب مصر، الشريفين عطيفة ورميثة، فذهبا إلى مصر، فلزم عطيفة وأعطى رميثة البلاد، وجاء إلى مكة، ولم يزل عطيفة بمصر، إلى أن توفي بها في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة بالقبيبات ظاهر القاهرة، ودفن بها .وكان موصوفاً بشجاعة مفرطة، وكان أكثر حرمة من أخيه رميثة.

قال الفاسي :ولشيخنا بالإجازة، الأديب يحيى النشو الشاعر المكي([254])، في عطيفة مدائح كثيرة، منها من قصيدة فيما أنبأنا به، قوله :

ها قد ملكت لمهجتي وحشاشتي

فانظر بأيها عليَّ تصدقُ

يا ممرضي ببعاده وصدوده

أنا عبد ودك بالمحبة موثقُ

بالله ما خطر السلو بخاطري

أبداً ولا قلبي بغيرك يعلقُ

لا لائمي دع عنك لومي في الهوى

ما أنت من روحي بروحي أرفقُ

لو ذقت ما قد ذقته من لوعة

ما كنت ترعد بالملام وتبرقُ

وأغنَّ فتان اللواحظ أهيف

عبل الروادف بالهلال مطرقُ

غصن يميس على نَقىً من فوقه

بدر عليه من الملاحة رونقُ

يحكي الأقاحة مبسماً وبثغره

خمرٌ بمرشفه الشهي مروقُ

لله ما لاقيت منه ولم يكن

لي في هواه مساعد أو مشفقُ

إلا الشريف عطيفة بن محمد

ملك بظل جنابه أستوثقُ

ومنها :

يسمو على هام السماك بهمة

عليا تظل بها السعادة تحدقُ

تمشي المنايا تحت ظل حسامه

لا يستباح ذمامه والموثقُ

غيث إذا ما الغيث أخلفنا فمن

كفيه سيح للبرية مغدقُ

أضحت به أم البلاد أنيسة

فالعدل منها بالمسرة موثقُ

وقوله فيه من أخرى :

فأنت المليك ابن المليك أصالة

يُقصِّر عن أوصافك النظم والنثرُ

أعز الورى قدراً وجاهاً ورفعة

وأبسطهم كفاً له الحكم والقهرُ

وقوله فيه من أخرى :

من لي بسفح مني يلوح لناظري

والبرق خفاق على أعلامِهِ

قل للمقيم على أُثيلات النقا

لا تقتل المشتاق قفبل حمامِهِ

ومنها في المدح :

المالك الملك المطاع لأمره

ليث تخاف الأسد من إقدامِهِ

سيف لدين الله فهو عطيفة

حاز الفخار وقاده بزمامِهِ

ملك تشرفت البلاد بعدله

والعدل منسوب إلى أحكامِهِ

أحيى الأنامَ بجوده ونواله

فاستبشرت بالخصب في أيامِهِ

من نسل أحمد واحد في عصره

آباؤه كل كريم كرامِهِ

فاق الملوك بني الملوك بعدله

فملوك هذا العصر من خدامِهِ

انتهى ما نقلت عن العقد الثمين باختصار.

وللنشو الشاعر قصائد أخرى في عطيفة وغيره.

ويقول السيد دحلان في حوادث :

734)هـ (إن رميثة أخرج عطيفة في آخر شهر الحجة، أي بعد رحيل الحاج([255])، ولم يأت بما يجب ذكره غير ما تقدم.

ولم أر لبقية مؤرخي مكة ما يزيد على ما نقلناه عن شيخ مؤرخي مكة التقي الفاسي.([256])

وكان لعطيفة ذرية، منهم :مبارك الآتية ترجمته، ومحمد، وستأتي ترجمته، وله حفدة منهم منصور بن مبارك بن عطيفة.

28–الشريف عطاف بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن الحسني المكي :

هكذا ترجمه التقي الفاسي في العقد الثمين، مادة) عطاف(، وقال :كان ملائماً لأخيه عطيفة وشهد حربه مع حميضة في سنة عشرين وسبعمائة، ولم أدر متى مات، إلا أنه كان حياً في سنة أربع وعشرين وسبعمائة بمكة، وما علمت من حاله سوى هذا .أ هـ .عن العقد.

قلت :وكان لعطيفة وعطاف هذا، أخ اسمه عاطف، ويظهر أنهم لأم واحدة لتقارب أساميهم كعادة العرب.

ولم أر ذكراً لولد عطاف وعاطف، ولا يوجد اليوم في الحجاز من ينسب إليهم، إلاّ ما ذكرنا في نسب عاطف الآتي، منقولاً عن الأشراف العناقوة.

29–الشريف راجح بن أبي نمي محمد بن أبي سعد بن علي الأكبر بن قتادة) كان حياً سنة**733** هـ :(

ذكره في العقد الثمين) راجح(، وقال :أمير مكة، ذكر لي شيخنا القاضي جمال الدين بن ظهيرة، أنه استولى على مكة أشهراً، ثم انتزعت منه، ولم يذكر متى كان ذلك، وما ذكر لي ذلك غيره، ولم أدر متى مات، إلا أنه كان حيًّا في رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، لأنه وفد فيها على الناصر ابن قلاوون، صاحب مصر وأكرمه .انتهى عن العقد.

وما وجدت من ترجم له بغير ما تقدم، والأشراف الرواجحة بخيف الرواجحة المعروف قديماً بخيف بني شديد ([257])ينتسبون إلى راجح بن أبي نمي الثاني .وينفي نسابو الأشراف ذلك، ويقولون إن الأشراف الرواجحة هؤلاء من ذرية الشريف راجح هذا أي ابن أبي نميّ الأول وليس الثاني .ثم ظهر شاب من الأشراف الرواجحة أهل الخيف، يقول :إن فخذه الخاص نازل

مع رواجحة الخيف، وليس منهم، وإنما تطابقت الأسماء، وإنما نحن بنو راجح بن أبي نمي الثاني.

وسيأتي معك عند ترجمة أبي نمي الثاني أن راجح بن أبي نمي الثاني لم يعقب.

واسم راجح يتكرر كثيراً عند الأشراف، وهناك أسرة في محافظة القنفذة تدعى الرواجحة، وهي ليست من كل من تقدم، إنما هم من ذرية الحسن بن أبي نمي الثاني، وسيأتي ذكرهم .
وموضوع الأنساب لدى الأشراف محفوظ لا يحتاج منا إلى اجتهاد، ولهم مشجرات تربط المولود اليوم بالإمام علي وفاطمة رضي الله عنهما.

أما راجح المترجم هنا، فكان له ابن اسمه) لِحَاف (توفي سنة741) هـ (وخلف ولدين اسم أحدهما جخيدب، بجيم ثم خاء معجمة قبل المثناة التحتية، واسم الآخر مالك، ولجخيد هذا أخبار .أنظر العقد، مادتي) لحاف وجخيدب.(

-30الشريف رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة، أسد الدين، أبو عرادة.

ت 746) هـ 1345 /م :(

ويقول ابن عنبة :إن اسمه منجد.

وترجمه صاحب العقد([258])، فقال :ولي إمرة مكة فيما علمت ثلاثين سنة أو أزيد في غالب الظن- كما سيأتي -في سبع مرات، مستقلاً بذلك أربع عشرة سنة ونصفا وأزيد،

وشريكاً لأخيه حميضة في مرتين منهما، مجموعهما نحو عشر سنين، كما سبق في ترجمة حميضة، وشريكاً لأخيه عطيفة خمس سنين وأزيد في غالب الظن، وسنوضح ذلك كله مع شيء من خبره، وذلك أني وجدتُ بخط قاضي مكة نجم الدين الطبري، أن أباه أبا نمي، لزمه بمشورة بعض أولاده في يوم وسبعمائة، وأنه وأخاه حميضة، قاما بالأمر بعده، وكان دعا لهما على قبة زمزم، يوم الجمعة ثاني صفر سنة إحدى وسبعمائة، قبل وت أبيهما بيومين.

وكان من أمر رميثة، أنه استمر في الإمرة شريكاً لأخيه حميضة، حتى قبض عليهما في موسم هذه السنة، وهذه ولايته الأولى .وسبب القبض عليهما، أن أخويهما عطيفة وأبا الغيث، حضرا إلى الأمراء الذين حجوا في هذه السنة، وكان كبيرهم بيبرس الجاشنكير، الذي صار سلطاناً بعد الملك الناصر محمد بن قلاوون، لما توجه غ الكرك، في سنة ثمان وسبعمائة، وشيكا إلى الأمراء، من أخويهما حميضة ورميثة، لأنهما كانا اعتقلا أبا الغيث وعطيفة، ثم هربا من اعتقالهما، وحضرا عند الأمراء كما ذكرنا، فاقتضى رأي الأمراء القبض على حميضة ورميثة تأديباً لهما، وحملا إلى القاهرة، واستقر عوضهما في الإمرة بمكة أبو الغيث وعطيفة .هكذا ذكر ما ذكرناه من سبب القبض على حميضة ورميثة، وتولية أبي الغيث وعطيفة في هذا التاريخ، صاحب نهاية الأرب، وإلا فالأمير بيبرس الداودار في تاريخه، وهو الغالب على ظني.

وذكر ذلك صاحب بهجة الزمن في تاريخ اليمن، إلا أنه خالف في بعض ذلك؛ لأنه قال في ترجمة أبي نمي :واختلف القواد والأشراف بعد موته على أولاده، فطائفة مالت إلى رميثة وحميضة على أخويهما فلزماهما، وأقاما في حبسهما مدة، ثم احتالا فخرجا وركبا إلى بعض الأشراف والقواد، فمنعوا منهما .ولنما وصل الحاج المصري، تلقاهم أبو الغيث، فمالوا إليه، ولما انفصل الموسم، لزم الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، حميضة ورميثة، وسار بهما إلى مصر مقيدين، وأمَّر بمكة أبا الغيث، ومحمد بن إدريس، وحلّفهما لصاحب مصر .انتهى.

وكان من خبر رميثة، أنه وأخاه حميضة، وليا إمرة مكة في سنة أربع وسبعمائة، وما ذكرناه من ولايته لإمرة مكة، مع أخيه حميضة في هذا التاريخ، ذكره صاحب بهجة الزمن، وأفاد في ذلك ما لم يفده غيره، مع شيء من خبرهما، ولذلك رأيت أن أذكره.

قال في أخبار سنة أربع وسبعمائة :وحجّ من مصر خلق كثير، وفي جملتهم الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير، في أمراء كثيرين، ووصل معهم الشريفان رميثة وحميضة، ولدا أبي نمي المقدما الذكر في القبض عليهما، فلما انقضي بالحج، أحضر الأمير ركن الدين أبا الغيث وعطيفة، وأعلمهما أن ملك مصر قد أعاد أخويهما إلى ولايتهما، فللم يقابلا بالسمع والطاعة، وحصلت منهم المنافرة، ثم قال :واستمر حميضة ورميثة في الإمرة يظهران حسن السيرة وجميل السياسة، وأبطلا شيئاً من المكوس في السنة المذكورة التي قبلها.

ووجدت في بعض التواريخ، ما يقتضي أن رميثة وحميضة، وليا مكة في سنة ثلاث وسبعمائة، وهذا يخالف ما ذكره صاحب بهجة الزمن، وما سبق قبله، والله أعلم.

وذكر صاحب البهجة في أخبار سنة ثمان وسبعمائة، أنه ظهر منهما من العسف ما لا يمكن شرحه.

وذكر أن في سنة عشر وسبعمائة، حج من الديار المصرية عسكر قوي، فيه من أمراء الطبلخانات، يريدون لزم الشريفين حميضة ورميثة، فلما علما بذلك نفرا من مكة، ولم يحصل العسكر على قبضهما، فلما توجه العسكر إلى الديار المصرية، عادا إلى مكة، شرفها الله تعالى.

وقال في أخبار سنة ثلاث عشرة وسبعمائة :وفي السنة المذكورة، وصل الشريف أبو الغيث بن أبي نمي من الديار المصرية إلى مكة المشرفة، ومعه عسكر جرار، فيهم من المماليك الأتراك ثلاثمائة وعشرون فارساً وخمسمائة فارس من أشراف المدينة، خارجاً عما يتبع هؤلاء من المتخفطة والحرامية، ولما علم حميضة ورميثة بأمرهم، هربوا إلى صوب حلي بن يعقوب، واستولى أبو الغيث على مكة.

وقال في أخبار سنة أربع عشرة وسبعمائة :ففي المحرم سار أبو الغيث وطقصبا إلى صوب حلي بن يعقوب، لطلب حميضة ورميثة، فسارا قدر مرحلتين، ولم يجدا خبراً عن الشريفين المذكورين، لأنهما لحقا ببلاد السراة، ووصلا غ حلي بن يعقوب، ولم يدخلها طقصبا، وقال : هذه أوائل بلاد السلطان الملك المؤيد، ولا ندخلها إلا بمرسوم السلطان الملك الناصر، فعاد على عقبه.

وولي رميثة مكة في سنة خمس عشرة وسبعمائة، وهذه ولايته الثالثة، ودامت ولايته عليها إلى انقضاء الحج، من سنة سبع عشرة وسبعمائة، أو إلى أوائل سنة ثمان عشرة، واستقل بإمرة مكة فيها.

قال صاحب نهاية الأرب في أخبار سنة خمس عشرة :وفي هذه السنة في ثالث جمادى الآخرة، وصل الشريف أسد الدين أبو عرادة رميثة بن أبي نمي، من الحجاز إلى الأبواب السلطانية،، وأظهر التوبة والتنصل والاعتذار بسالف ذنوبه، وأنهى أنه استأنف الطاعة، وسأل العفو عنه، وإنجاده على أخيه عز الدين حميضة، فقبل السلطان عذره وعفا عن ذنبه، وجرد طائفة من العسكر، مقدمهم الأمير سيف الدين دمرخان بن قرمان، والأمير سيف الدين طيدمر الجمدار، فتوجها، هما والأمير أسد الدين، إلى الحجاز الشريف، في ثاني شعبان، ورحلوا من بركة الحاج في رابعه .فلما وصلوا إلى مكة شرفها الله تعالى، كان بها حميضة، فقصدوه

وكبسوا أصحابه وهم على غرة، فقتلوا وسبوا ونهبوا، وفر هو في نفر يسير من أصحابه، إلى العراق، والتحق بخربندا ملك التتار، واستنصر به، فمات خربندا قبل إعانته،) كما تقدم في ترجمة حميضة.(

وفي هذا ما يوهم أن رميثة والعسكر الذي كان معه، واقعوا حميضة بمكة، وليس كذلك، لأنهم لم يواقعوه إلا بالخلف والخليف([259])، لهروبه منم إليه مستجيراً بصاحبه، كما ذكر البزرالي في تاريخه، وقد تقدم ذلك في ترجمة حميضة.

وذكر صاحب نهاية الأرب ما يقتضي أن ولاية رميثة بمكة، زالت بعد انقضاء الحج من سنة سبع عشرة، أو في أول سنة ثمان عشرة، لأنه قال في أخبار سنة ثمان عشرة وسبعمائة.

وفي صفر من هذه السنة، وردت أخبار من مكة شرفها الله تعالى، أن الأمير عز الدين حميضة بن أبي نمي، بعد عود الحاج من مكة، وثب على أخيه الأمير أسد الدين رميثة إلى نخلة، وهي التي كان حميضة بها، واستولى حميضة على مكة شرفها الله تعالى، وقيل إنه قطعه الخطبة السلطانية، وخطب لملك العراقين، وهو أبو سعيد بن خربند بن أرغون بن أبغا بن هولاكو.

وذكر تجريد صاحب مصر في سنة ثمان عشرة، للعسكر الذي تقدم ذكره في ترجمة حميضة لإحضاره، وذكر أيضاً ما يقضي أن رميثة كان أميراً على مكة في سنة ثمان عشرة، وهذه ولايته الرابعة التي استقل فيها، لأنه قال في أخبار سنة تسع عشرة :

وفي يوم الخميس السابع من المحرم، وصل الأمير شمس الدين آق سنقر الناصري، أحد الأمراء، من الحجاز الشريف، إلى قلعة الجبل، ووردت الأخبار معه، أنه قبض على الأمير أسد

الدين رميثة أمير الحجاز الشريف، وعلى الأمي سيف الدين بهادر الإبراهيمي أحد الأمراء، وهو الذي كان قد جرد بسبب الأمير عز الدين حميضة .والذي ظهر لنا في سبب القبض عليهما، أن رميثة نسب إلى مباطنة أخيه حميضة، وأن الذي يفعله من التشعيث باتفاق رميثة، وأن الأمير لما توجه لمحاربة حميضة والقبض عليه، ركب إليه وتقاربا من بعضهما بعضاً، وباتا على ذلك، ولم يقدم الإبراهيمي على مهاجمته والقبض عليه، فاقتضى ذلك سجنه .واتصل بالسلطان أيضاً، أن الإبراهيمي ارتكب فواحش عظيمة بمكة شرفها الله تعالى، فرسم بالقبض عليهما، ووصل الأمير أسد الدين رميثة، ورسم عليه بالأبواب السلطانية أياماً، ثم حصلت الشفاعة فيه، فرفع عنه الترسيم، وأقام يتردد إلى الخدمة السلطانية مع الأمراء، إلى أثناء ربيع الآخر من السنة، فحضر إلى الخدمة في يوم الاثنين رابع عشرة، ثم ركب في عشية النهار على هجن أعدت له وهرب نحو الحجاز، فعلم السلطان بذلك في يوم الثلاثاء، فجرد خلفه جماعة من عربان العابد([260])، فتوجهوا خلفه، وتقدم الأميران المبدأ بذكرهما، ومن معهما من العربان، فوصلوا إلى منزلة حقل([261])، وهي بقرب أيلة ([262])مما يلي الحجاز، فأدركوه في المنزلة، فقبضوا عليه وأعادوه إلى الباب السلطاني، فكان وصولهم في يوم الجمعة الخامس والعرين من الشهر، فرسم السلطان باعتقاله بالجب، فاعتقل واستمر في الاعتقال إلى يوم الخميس، الثاني من صفر سنة عشرين وسبعمائة، فرسم بالإفراج عنه .انتهى.

وذكر البرزالي ما يوافق ما ذكره النويري في نهاية الأرب، في القبض على رميثة بمكة، وذكر أن ذلك في يوم الثلاثاء رابع عشر ذي الحجة، بعد انقضاء أيام التشريق، وحمل إلى مصر تحت الاحتفاظ .فلما وصل، أكرمه السلطان وأجرى عليه في كل شهر ألف درهم، فبقي يجري ذلك عليه نحو أربعة أشهر، وهرب من القاهرة إلى الحجاز، وعلم السلطان بهزيمته في اليوم الثاني، فكتب إلى شيخ آل حرب يقول له :هذا هرب على بلادك معتمداً عليك، ولا أعرفه إلا منك، فركب شيخ آل حرب بالهجن السبق، وسار خلفه مدداً، فأدركه نائماً تحت عقبة أيلة، فجلس عند رأسه، وقفال :اجلس يا أسود الوجه، فانتبه رميثة، فقال :صدقت،

والله لو لم أكن أسود الوجه، لما نمت هذه النومة المشؤومة حتى أدركتني، فقبض عليه وحمله إلى حضرة السلطان، فألقاه في السجن وضيق عليه، فقيل له :إنه وجع يرمي الدم .وكان قبض عليه شيخ آل حرب([263])، في شهر جمادى الأولى سنة تسع عشرة وسبعمائة . انتهى.

وإنما ذكرنا ما ذكره البرزالي، لأنه يخالف ما ذكره النويري في أمرين :أحدهما :في تاريخ القبض على رميثة؛ لأنه على ما ذكر البرزالي، كن في جمادى الأولى، وعلى ما ذكر النويري، يقتضي أن رميثة لما وصل إلى مصر أهين، وما ذكره البزرالي، أنه أكرم عند وصوله إلى مصر .وفيما ذكر البرزالي فائدة ليست تفهم من كلام النويري، وهي تاريخ القبض على رميثة وغير ذلك، وكان من أمر رميثة أنه أطلق في سنة عشرين وسبعمائة، وتوجه إلى مكة، ولكن أمر مكة إلى أخيه عطيفة، على ما ذكر الرزالي، لأنه قال في تاريخه :

وفي الثتلث والعشرين من ذي القعدة، وصل نائب السلطنة الأمير سيف الدين أرغون، هو وبيته وأولاده ومماليكه، ومعه الأمير رميثة بن أبي نمي، وتألم لذلك أهل مكة، لكن أمر مكة إلى أخيه عطيفة.

وذكر أيضاً ما يقضي أن أمر مكة في بعض سني عشر الثلاثين وسبعمائة، كان إلى أخيه عطيفة، وسيأتي ذلك في ترجمته.

وذكر أيضاً، ما يقتضي أنه كان أمير مكة في سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، لأنه قال في أخبار هذه السنة :ورد كتاب موفق الدين عبد الله الحنبلي، إمام المدرسة الصالحية من القاهرة، وهو مؤرخ بمستهل جمادى الآخرة، يذكر فيه أنه جاء في هذا القرب، كتاب من جهة عطيفة أمير مكة، يذكر فيه أن رميثة قد حلف له بنو حسن، وقد أظهر مذهب

الزيدية .وجاء معه كتاب آخر، من جهة مملوك هنالك لنائب السلطنة، فيه مثل ما في كتاب عطيفة، وقد انجرح السلطان من هذا الأمر، واشتد غضبه على رميثة.

وذكر أنه في سنة ست وعشرين وسبعمائة، قدم إلى الديار المصرية.

وذكر ابن الجزري في تاريخه، ما يقتضي أن رميثة كان أميراً على مكة في بعض سني عشر الثلاثين وسبعمائة؛ لأنه ذكر أنه سأل المحدِّث شهاب الدين أبا عبد الله محمد بن علي بن أبي بكر الرقيّ المعروف والده بابن العديسة بعد قدومه إلى دمشق من الحج، في سنة خمس وعشرين وسبعمائة، عن أمور تتعلق بالحجاز وغيره، وأنه قال له :والحكام يومئذ على مكة، الأميران أسد الدين رميثة، وسيف الدين عطيفة، ولدا الشريف نجم الدين بن أبي نمي الحسني المقدم ذكره، انتهى.

وقال ابن الجزري :في أخبار سنة ثلاثين وسبعمائة :وحضر الأمير عُطيفة على العادة، ولبس خلعة السلطان، ولم يحضر أخوه رميثة، ولا اجتمع بالأمراء، ولكنه حضر الموقف مع أخيه، انتهى.

ورأيت في بعض التواريخ :أنه لمّا قدم مكة في سنة عشرين وسبعمائة، كان أميراً على مكة، وولايته في هذا التاريخ، إن صحت هذه، ولايته الخامسة، وإلا فهي ما ذكره ابن الجزري من ولايته في عشر الثلاثين كما سبق تعيينه، وولايته السادسة هي أطول ولاياته، لأنها دامت اثنتي عشرة سنة أو أزيد.

وفي تاريخ ابن الجزري شيء من خبر ابتدائها، لأنه ذكر أنه لما وصل العسكر المجرد إلى مكة، في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، بسبب قتل ألَدمر، وجدوا الأشراف والعبيد جميعهم

قد هربوا، وجاء المشايخ والصلحاء إليهم، وتشفعوا إليهم، واستحلفوا الأمراء للشريف رميثة، على أنه إذا جاء إلى مكة لا يؤذونه، فحضر عند ذلك إلى مكة، واجتمع بالأمراء، وبذل الطاعة، وحلفوا له، وكسوه الخلعة السلطانية، وولوه إمرة مكة، وقرئ تقليده، وأمان السلطان عز نصره، وانفصل الحال، وأخبر أن أخاه وأولاده والعبيد هربوا إلى اليمن، وأقام العسكر بمكة إحدى وثلاثين يوماً، ثم توجّهوا منها إلى المدينة الشريفة، بعد أن تأخر منهم خمسون نفساً بسبب الحج، ويعودون مع الرَّكْب، وحصل خير كثير، فالحمد لله لم يُرق بسببهم محجمة دمٍ، ولا آذوا أحداً من الخلق.

وذكر أن المقدَّم على هذا العسكر، الأمير سيف الدين أيدغمش أمير مائة مقدم ألف، وكان فيهم أربعة أمراء، ولم يروا في طريقهم أحداً من العرب ولا غيرهم، ووجدوا الأشراف والعبيد جميعهم قد هربوا .وذكر أن وصولهم إلى مكة كان في العشر الأول من ربيع الآخر، سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، وأنه وصل إلى السلطان رسول من أمير مكة رميثة، وتوجه من القاهرة في سادس عشر جمادى الآخرة من السنة.

وذكر ابن محفوظ شيئاً من خبر ولاية رميثة السادسة، وبعض حاله فيها مع أخيه عطيفة وغير ذلك، لأنه ذكر ما معناه، أن الشريفين عُطيفة ورميثة، لما سمعا بوصول العسكر إلى مكة، الذي مقدمه أيتمش، وليا منهزمين إلى جهة اليمن، وهرب الناس من مكة إلى نخلة وغيرها، ودخل العسكر مكة، فأقام بها مدة شهر، ثم بعد ذلك سيروا للشريف رميثة أماناً، وهو خاتم ومنديل، لأنه لم يكن متهماً في قتل الأمير– يعني ألدمر –وقالوا :ما قتله إلا مبارك بن عطيفة، فلما أن جاءه الأمان، تقدَّم إليهم فخلعوا عليه، وأعطوه البلاد وحده دون أخيه عطيفة، وأعطوه خيراً كثيراً، من الدقيق والكعك والشعير والسكر، وأعطوه أربعين ألف درهم، وارتحلوا عنه إلى مصر.

وذكر أيضاً ما معناه :أن في سنة أربع وثلاثين، جاء الشريف عطيفة من مصر، ونزل أم الدمن([264])، ثم جاء إلى مكة وأخذ نصف البلاد من أخيه الشريف رميثة .فلما كان ليلة النزول من مِنىً، أخرجه رميثة بلا قتال، فتوجه إلى مصر صحبة الحاج، وأقام بها إلى أن جاء مع الحاج المصري، في سنة خمس وثلاثين، متولياً لنصف البلاد، وأخذ ذلك بلا قتال.

وذكر أيضاً ما معناه :أن رميثة وعطيفة، كانا متوليين البلاد في سنة ست وثلاثين، وأن بعد مدة، جرت بينهما وحشة ومباعدة، فأقام الشريف عطيفة بمكة ومعه المماليك، ورميثة بالجديد إلى شهر رمضان .فلما كان في اليوم الثامن والعشرين منه، ركب الشريف رميثة في جميع عسكره، ودخل مكة على الشريف عطيفة، بين الظهر والعصر، وكان الشريف عطيفة برباط أم الخليفة، والخيل والدروع والتجافيف في العقميّة، فلم يزالوا قاصدين إلى باب العلميّة، ولم يكن معهم إلى باب العلقميّة، ولم يكن معهم رجاجيل([265])، فوقف على باب العلقميّة مَن حماها إلى أن أُغلقت، والموضع ضيّق لا مجال للخيل فيه، وحَمت ذلك الغزو العبيد، فلم يحصل في ذلك اليوم للشريف رميثة ظفر، وقتل في ذلك اليوم من أصحاب رميثة، وزيره واصل بن عيسى الزباع– بزاي معجمة وباء وموحدة وألف وعين مهملة –وخُشيعة ابن عم الزباع، ويحيى بن ملاعب، وولَّوا راجعين إلى الجديد، ولم يقتل من أصحاب عطيفة غير عبد واحدٍ أو اثنين، والله أعلم.

وذكر أن في هذه السنة، لم يحج الشريفان رميثة وعطيفة، لأن رميثة أقام بالجديد وعطيفة بمكة .وذكر ما معناه :أن رميثة وعطيفة اصطلحا في سنة سبع وثلاثين، وأقاما مدَّة، ثم توجّها إلى ناحية اليمن بالواديين، وترك عطيفة ولده مباركاً بمكة، وترك رميثة ولده مغامساً بالجديد، وحصل بين مبارك ومغامس وحشة وقتال ظفر فيه مبارك.

وذكر أن في هذه السنة، استدعى صاحب مصر الشريفين عطيفة ورميثة، فذهبا إلى مصر، فلزم عطيفة، وأعطى رميثة البلاد، وجاء إلى مكة.

وذكر في أخبار سنة ثمان وثلاثين :أن الشريف رميثة كان متولياً مكة وحده إلى أن مات.

وذكر أن في سنة أربع وأربعين وسبعمائة، اشترى عجلان وثقبة البلاد، من والدهما الشريف رميثة بستين ألف درهم؛ لأنه كان ضعف وكبر وعجز عن البلاد وعن أولاده، وبق كل منهم له حكم .وبعد ذلك توجه الشريف ثقبة إلى مصر، باستدعاء من صاحبها الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وبقي عجلان وحده في البلاد، إلى ذي القعدة، ثم وصل مرسوم من سلطان مصر، بردِّ البلاد على الشريف رُميثة، ولزم الشريف ثقبة في مص .فلما علم الشريف عجلان بذلك، خرج إلى ناحية اليمن.

ثم قال :وبعد رَواح الحاجّ، وصل الشريف عجلان من جهة اليمن، ونزل الزَّاهر، وأقام به أياماً، ثم بعد ذلك اصطلح هو وأبوه، وأخذ من التجار مالاً جزيلاً، وما ذكره من وصول مرسوم سلطان مصر، بردِّ البلاد على الشريف رميثة، هي ولايته السابعة.

ثم قال :في سنة خمس وأربعين وسبعمائة، كان المتولِّي لمكة، الشريف رميثة.

ثم قال :في سنة ست وأربعين وسبعمائة، توجّه الشريف عجلان إلى ديار مصر، فأعطاه السلطان الملك الصالح البلاد، دون أبيه رُميثة .انتهى.

ووجدتُ بخط غيره أن في ليلة الثامن عشر من جمادى الآخرة، من سنة ست وأربعين وسبعمائة، بعد المغرب منها، دعي للشريف عجلان على زمزم، وقطع دعاء والده رميثة،

ومات يوم الجمعة الثامن من ذي القعدة، سنة ست وأربعين وسبعمائة بمكة، وطيف به وقت صلاة الجمعة، والخطيب على المنبر قبل أن يفتتح الخطبة، وسكت الخطيب حتى فرغوا من الطّواف به، وكان ابنه عَجلان يطوف معه، وجَعَله في مقام إبراهيم، وتقدّم أبو القاسم بن الشّقيف الزّيدي للصلاة عليه، أبو القاسم من ذلك قاضي مكة شهاب الدين يقل شيئاً، ودفن بالمعلاة عند القبر الذي يقال إنه قبر خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، زوج النبي ، ولما مرض لم يكن بمكة، وأُتِيَ به إليها .وقد دخل في انلزع في نصف ليلة الخميس، السابع من القعدة .انتهى بالمعنى.

وللأديب موفق الدين عليّ بن محمد الحنديديّ ([266])من قصيدة يمدح بها الشريف رميثة بن أبي نمي أولها :

بالله هات عن اللوى وطلوله

وعن الغضا وحِلاله وحلولِهِ

أطل الحديث فإن تقصير الذي

يلقى من التبريح في تطويلِهِ

علِّل بذكر العامرية قلبه

فشفاء غلة ذاك في تعليلِهِ

وإذا عليل الريح أهدى نحوه

نشاً فنشر عليله بعليلهِ

رشأٌ دنا فرمى فؤاد محبّهِ

عن قوس حاجبه بسهم كحيلهِ

وحوى القلوب بأسرها في أسره

وسبا النهى برسيله وأسيلهِ

وبياضه وسواده وقويّهِ

وضعيفه وخفيفه وثقيلهِ

ومنها:

وتفيأ الظل الذي ضمنت له الـ

أيام بين مبيته ومقيلهِ

حط الرحال بمكة وأقام في

حرمِ الخلافة بعد طول رحيلِهِ

جلب المديح بمنجد بن محمد بـ

ـن نبيه بن وصيه بن بتولِهِ

وأغر أنبه البطين ومجة أبـ

راهِيمه في صلبي إسماعيلِهِ

ومنها :

ما بين شَبَّره وبين شَبيره([267])

شرف يطول لهاشمٍ وعقيلِه

نسب كمشتقِّ الشموس ومفخر

باع الكواكب قاصر عن طولِهِ

أما الفروع فليس مثل فروعه

وكذا الأُصول فليس مثلُ أصولِهِ

يا ابن المظلل بالغمامة والذي

قد أُنزل القرآن في تفضيلهِ

ماذا عسى مدحي وقثد نزل الثنا

فيكم من الرحمن في تنزيلهِ

في هل أتاك وهل أتى وحديده

حقا وغافره وفي تنزيلِهِ

قالوا مدحت رميثةً فأجبتهم

ليس المديح ينال غير منيلِهِ

ولكيف لا أثني على من عمَّني

دون الورى من خيره بجزيلِهِ

بنضاره ولجينه وثوابه

وثيابه وركابه وخيولِهِ

وللأديب أبي عامر منصور بن عيسى بن سحبان الزَّيدي في الشريف رميثة مدائح كثيرة، منها قصيدة أولها :

ما أَومضت سحراً بروق الأَبرق

إلا شرقت بدمعي المترقرقِ

ومنها :

صنم شغفت به وغصن شبابه

غضٌّ وبرد شبيبتي لم يخلقِ

شقت عرى كبدي شقائق خدِّهِ

وبكأس فتنته سقيت وما سقي

ومنها :

ما فات من عمري فللعيد الدما

لا أرش فيه وللصَّبابة ما بقي

ومن مديحها:

رجل إذا اشتبه الرجال عرفته

بجلال صورته وحسن المنطقِ

ومظفر الحملات يرفض منه قلب

ـب المغرب الأقصى وقلب المشرقِ

علم يدل على كمال صفاته

كرم الفروعِ له وطيب المعرقِ

يلقى بوجه البشر طارق بابه

كرماً ويرزق منه من لم يرزقِ

عزَّت بنو حسنٍ بدولته التي

عزُّ الذَّليل بها وأَمن المفرقِ

هو صبح ليلتها وبدر ظلامها

ولسان حكمتها وصدر الفيلقِ

لا يتقي من كل حادثةٍ بها

وبه بمكروه الحوادث تتقي

وله من قصيدة أولها :

حفظ العهد بعدنا أم أضاعا

وعصى لإتمامه أم أطاعا

ورعى حرمة الجوار وراعى

أم دهى بالفراق قلبي وراعا

من يكن يحمد الوداع فإِنِّ

بعد يوم النوى أذمُّ الوداعا

وله فيه أخرى، ومنها في المدح :

مليك أقام الحق بعد اعوجاجه

وسيد من سمك المعالي منارها

متى بطرت قوم أذلَّ عزيزها

وإن عثرت جهلاً أقال عثارها

إذا جاد يوماً لم يشقُّ غباره

وإن شهد الهيجاء شقَّ غبارها

أشمُّ قياديُّ الأُ ُبوة برده

حوى حلم آل المصطفى ووقارها

وأبلج مخضور الخوان يمينه

تزيل عن المسترفدين افتقارها

جمال يحار الطَّرف فيه وعزمه

كسا فخرها قحطانها ونزارها

وما برحت إن صحت فوا لمنجدٍ

كبار أياديه تؤمُّ صغارها

وللأديب عفيف الدين علي بن عبد الله بن علي بن جعفر([268])، قصيدة فائقة يمدحه بها، فمن غزلها :

فتن القلوب هواكم حتى لقد

كاد الهوى بهواكم أن يفتنا

حيّا الغمام ديار قوم طبعهم

أن لا يخاف الجار فيهم ما جنى

أميمِّم الحرم الشريف وقاصداً

آل النبيّ ظفرت غايات المُنى

لا تحسبنَّ أبا نميَّ غائباً

فرميثة بن أبي نميِّ ها هنا

ضرب السرادق حول كعبة مكَّةٍ

وغدا لها ركناً وكان الأَيمنا

وحمى الذي قد كان والده حمى

وبنى الذي قد كان والده بنى

خيل تقاد إلى العطاء ومثلها

تغزو وأخرى في المرابط صفَّنا

وطما خلال النقع مثل جداولٍ

بسكونه غسلت قميصاً أدكنا

وفتى يسابق في الطِّعان قرانه

فبه تكاد قناته أن تطعنا

يكنونه أسداً وحيدر جدُّه

والقوم فعلهم دليلٌ بالكنى

ابن الذَّبيحين الذَّبيح بمكّةٍ

والمفتدى بالذِّبْح في وادي منى

فهو التمام لبيت آل محمد

وهو الحسام بل السَّنام بل السَّنا

وحسامه سبق القضا وخوانه

ملأَ الفضا وطعانه أفنى القنا

ما زال يفني المعتدين بسيفه

حتى لقد لقِي القنا منه الفنا

ويجود بالأموال حتى إنه

ليرى ذهاب المال مَالاً يقتنى

فإذا وردت إلى خضمٍّ نواله

فابسط يديك فقد أصبت المعدنا

تأبى سوائمه الربيع لِما رَأَت

أن ليس يّذبح (([269])...) إلا الأسمنا

ويظنُّ خازنه الحفيظ لماله

أن الضَّياع لماله أن يخزنا

قَيْلٌ يضمُّ إلى عظيم مهابةٍ

خلقاً أرقَّ من النسيم وألينا

تقف المنيَّة والأماني حيث ما

يومي وليس تسير حتى يأذنا

ماذا يقول المدح فيمن مدحه

جعل الإله به كتاباً بيِّنا

طوَّقتني وأخوك طوقّي منَّةٍ

أحسنت فيها حيث شئت وأحسنا

لما حططت الرحل في ساحاتكم

أَوليتم النِّعم الفرادى والثنا

قد صرت تعرفنا لديك فإن ترد

يوم المعاد لحوض جدك فاسقنا

ليس اللسان يطيق أن يحصِي لكم

شكراً فكوني يا جوارح ألسنا

فلأَشكرن وفوق شكري أنتما

ولأُثنينَّ وأنتما فوق الثَّنا

انتهى عن العقد الثمين، مادة) رُميثة.(

وكان لرميثة هذا عدد من البنين، بارك الله فيهم، فمن أشهرهم :عجلان، ومغامس، وثقبة، وسند، ومبارك، وأحمد وأشهرهم عجلان، ومن ذرية الحسن هذا حكام الحجاز حتى انقضت دولة ش، ومن ذرية مغامس :عنان بن مغامس جد الأشراف ذوي عنان، أهل قرية الحُوار .([270])ولا زالت ذرية الحسن حتى حكموا الأردن اليوم.

ونجد عن ابن حجز ([271])بعض ما يخالف ما تقدم، منه :

-1قال :عرب آل حريث بقصبة أيلة، بدل آل حرب عند بقية مؤرخي مكة.

-2قال :ثم بلغ الناصر أنه أظهر مذهب الزيدية، فأنكر عليه.

والحقيقية أنه وأجداده وذريته ظلوا على مذهب الزيدية إلى القرن العاشر، فما اعتراض سلطان مصر؟.!

-3قال ابن حجر :مات رميثة سنة748) هـ (أ .هـ .وقد شذ ابن حجر بهذا.

ويذكر السيد دحلان أن وفاة رميثة سنة746) هـ([272]) (، وهو مطابق لقول الفاسي، وظاهره الصواب.

وفي قصة قبض شيخ حرب على رميثة، يقول العصامي :([273])وكتب إلى شيخ حرب، أي سلطان مصر، يقول له :هذا هرب إلى بلادك معتمداً عليك ولا أعرفه إلاّ منك، وإن لم

تأتني به فأنت خصمي، أنت الذي أعنته على الخروج، فركب شيخ آل حرب على الهجن السُّبَّق، وسار مجداً حتى أدرك الشريف رميثة تحت العقبة ...أ.لخ.

لاحظ قوله) :تحت العقبة (ولم يقل عقبة أيلة، ذلك أن عقبة أيلة ليست من ديار حرب ولن يصل إليها شيخ حرب إلاّ بعد أيام وليال، ثم أن عقبة أيلة كانت من درك آل شاكر، وبينها وبين حرب :درك بني عقبة، ودرك بلي، ودرك جهينة، فمن أين لشيخ حرب أن يصل إليها، ولكن الظاهر إن المقصود عقبة السويق) ثنية لفت (فهذه في وسط ديار حرب، وشيوخ حرب آنذاك هم العسوم، وديارهم حول خليص، بل هو قاعدتهم، وهو غير بعيد عن العقبة التي عنيناها.

ملاحظة :الأسر التي تسمى اليوم بني رميثة كثيرة، وكلهم من نسل رميثة هذا، ولكن نسبتهم ليست إليه إنما إلى آباء جاؤوا بعده فسموا باسمه، أي أنهم من ذرية أحفاده، ومن ذرية حسن بن عجلان خاصة.

أما ابنه الريف أحمد) أحمد بن رُميثة (فقد كانت له إمارة على) الحِلَّة(، المدينة العراقية المشهورة، استولى عليها عنوة عن موت أبي سعيد بن خرابندة المغولي، وله أخبار في عمدة الطالب([274])، وذكرها في تاريخ الحلة العلامة يوسف الحليّ([275])، ثم قتله الجلايري في بخبر طويل .وكان له، أي أحمد بن رميثة، ولدان :محمود، وأحمد([276])، قرر لهما الجلايري ملك العراق في مطلع القرن الثامن، مبلغ عشرين ألف ريال، كانت تصل إليهما في الحجاز.

كان أحمد هذا يلقب شهاب الدين، ويكنى أبا سليمان، ولعلها كنية سبقت الولد، فمن عادة أهل الحجاز أن يكنوا الولد أو البنت، في صغرهما، وقد لا يسمي المكنى بكنيته إذا أنجب.

31-الشريف عبد الله بن أبي نُمي محمد بن أبي سعد بن علي الأكبر بن قتادة :

ذكره ابن عنبة، فقال :([277])ومن ولد أبي نمي عضد الدين أبو محمد عبد الله الفارس البطل الشجاع، غضب عليه أبوه فأرسله إلى بعض بلاد اليمن، وأمر حاكمها أن يحصره في دار ولا يمكنه من الخروج، ففعل ذلك، وكان يكرمه، ويزوره ويقوم بكل ما يحتاج إليه، ولا يمكنه من الخروج.

وقد كان اتخذ له باباً عليه شباك من حديد، يجلي خلفه وينظر إلى الطريق، فقبض عليه ذات ليلة واجتذبه فقلعه وخرج من الدار، فاحتال عليه الحاكم حتى رده، ثم راسل أباه، وأخبره أنه يخاف منه، وطلب العفو من القبض عليه.

فاستدعاه أبوه ثم جهزه إلى العراق، وأطلق له أوقاف مكة بها، فورد العراق وتوجه إلى السلطان غازان بن أرغون فأجلَّه إجلالاً عظيماً، وأنعم عليه وأقطعه إقطاعاً نفيساً بولاية الحلبّة، موضع يقال له :الزاوية، فيه عدة قرى جليلة .وأقام الشريف بالحلة، عريض الجاه نافذ الأمر إلى أن مات، وأعقب من ولده شمس الدين محمد وحده، فأعقب شمس الدين أحمد وأبو الغيث، أمهما بنت السيد زيد بن أبي نمي([278])، بنت عمه،) ودر جامعاً بشيراز (([279])وتوجه إليها أحدهم بعد الآخر في أيام حكومة الأمير أبي إسحاق بن محمود شاه، ودفنا بمهد السادة المجاور لمشهد علي بن حمزة بن الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وعلياً السيد الجليل نور الدين كان عميد السادات بالعراق، عريض الجاه ...الخ، انتهى عن المرجع المذكور.

قلت :قول ابن عنبة :فأرسله إلى بعض بلاد اليمن، وأمر حاكمها ..الخ.

ليست اليمن) المعروفة اليوم (تابعة لملك الحجاز، ولكنهم كانوا يسمون حلي والسّرّين، وما والاهما اليمن، فيظهر أن عبد الله أرسل إلى بني يعقوب أمراء حلي، والله أعلم.

وهذا، كما ترى، انتقل عقبه إلى بلاد فارس.

32- الشريف زيد بن أبي نُمي محمد بن أبي سعد الحسن :وبقية النسب تقدم في أبي سعد :

ذكره التقي الفاسي) في بابه (فقال :يكنى أبا الحارث، لا أدري هل هو زيد الأكبر أو زيد الأصغر بن أبي نمي، وما عرفت من حاله إلاّ أن الأديب المعروف بالنَّشو ([280])الشاعر املكي مدحه بقصيدة تدل على أنه كان مالكاً للجزيرة المعروفة بسواكن([281])، قال فيها :

لك السَّعادة والإقبال والنِّعم

فلا يضرك أعرابٌ ولا عجمُ

الله أعطاك ما ترجوه من أملٍ

أعطاكه المرهفان السيف والقلمُ

فأنت يا زين دين الله قد خضعت

لك الأنام وقد دامت لك النعمُ

ما أنت لإلا فريد العصر واحده

يسمو بك العزم والإقدام والهممُ

ذلّت لسطوتك الأعدا بأجمعهم

فلن تبالي بما قالوا وما نقموا

أنت السماء وهو كالأرض منزلة

فلست تحفل ما شادوا وما هدموا

سواكن أنت يا ذا الجود مالكها

أحييت بالعدل من فيها فما ندموا

جبرتهم بعد كسرٍ واعتنيت بهم

فالناس بالعدل فيها كلهم علموا

سواكن ما لها في الناس يملكها

إلاّ أبو حارثٍ بالعدل يحتكمُ

أ .هـ .وللقصيدة بقية في المرجع المذكور.

ولأن الملك لله، يؤتيه من يشاء، فقد غادر زيد سواكن بعد ذلك، وترك ملكها لمن يهبه الله إياه.

فهذا هو ابن عنبة، يقول :([282])ومنم) أي أبناء أبي نمي (السيد عز الدين– وكما رأيت كناه المادح) زين الدين –(زيد الأصغر بن أبي نمي، ملك سواكن، وكانت لجده لأمه، وهي من بني الغمر بن الحسن المثنَّى، ثم سُمَّ هناك وأخرج من سواكن فقدم العراق، وكان قد قدمه قبل أن يملك سواكن، وتولّى النقابة الظاهرية بالعراق، وكان زيد كريماً جواداً وجيهاً، وتوفي بالحلّة، ودفن بالمشهد الشريف الغروي بظهر النجف، وليس لزيد بن أبي نمي عقب . انتهى باختصار من عمدة الطالب.

قلت :وهكذا فك ابن عنبة الحيرة التي كانت عند الفاسي، أي الزيدين كان هو، فصرح ابن عنبة أنه زيد الأصغر، وأن أمه من بنى الغمر، وهم قوم من بني الحسن كان لهم ملك بالسودان، أنظر عن تأريخ سواكن.

–33الشريف شُميلة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي الأكبر بن قتادة:

لا يرد اسمه إلاّ مقروناً بلقب الشاعر، حتى عرف به، واعترف له إخوته بذلك .فعندما عدد رميثة مزايا أبيه، قال :والشعر لشُميلة.

ومع هذا لم يترجم له أحد من مؤرخي مكة، بينما ترجم الفاسي لحفيد ابنه :شميلة ابن محمد بن حازم بن شميلة هذا.

ولكن ابن عنبة ([283])استدركه، ولولاه لفات، فقال :ومن ولد أبي نمي شمُيلة بن أبي نمي، وكان شاعراً شجاعاً، فمن شعره :

ليس التعلُّل بالآمال من شيمي

ولا القناعة بالإقلال من هممي

ولست بالرجل الراضي بمنزله

حتى اطأَ الفلك الدوّار بالقدم

والبيت الأول ([284])من شعر المتنبي، غيره الشريف يسيراً .ومن ولد شميلة– هذا –محمد بن حازم بن شميلة) المترجم هنا (فارس شجاع شديد الأيد، وأمه بنت السيد حميضة بن أبي نمي، ورد العراق وتوجه إلى تبريز، ولاقى السلطان أويس بن حسن فأكرمه وأنعم عليه، ثم رجع إلى الحجاز، وتوفي هناك .انتهى عن عمدة الطالب، بشيء من التصرف المطلوب.

قلت :كان لشميلة ابنان فيما اطلعت عليه، هما :حازم، ومن ذريته شميلة بن محمد بن حازم بن شميلة هذا، توفي في المحرم سنة819) هـ(، وواصل بن واصل بن شميلة) المترجم له (قتله القواد العمرة سنة798) هـ(، في غارات بينهم وبين الأشراف.([285])

ترجم لهما صاحب العقد كل في مادته.

-34الشريف عاطف بن أبي نُمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي بن قتادة :

عاطف هذا هو جد الأشراف العناقوة أو العنقاوية كما يقول بعضهم، فقد جاء في النبذة التي أرسلها الشريف سامي العنقاوي برفقة ترجمته.([286])

جاء فيها :أن عنقا جد العناقوة 914 -852) هـ 1508-1448 / م (هو ابن وبير بن محمد بن عاطف بن أبي نمي محمد.

ولذريته اليوم وجود بارز في الحجاز، وفي محافظة قنا من مصر.

قلت :ولعل عاطفاً هذا هو الذي كان يكنى أبا دُعيبج، حيث ينص بعض الأشراف على أن العناقوة من ذرية أبي دُعيج بن أبي نمي محمد، المتقدم.

-35الشريف مبارك بن عُطيفة بن أبي نمُي محمد بن أبي سعد الحسن ت751) هـ 1350 / م :(

وهذا من أحفاد أبي نمي الذين كان لهم من الأمر شيء، ولم نستقص من أحفاد أبي نمي إلاّ أبناء رميثة، الذين تسلسل الأمر فيهم إلى يوم الناس هذا، وإنما قدمنا هذا ومن في حكمه قبل بني رميثة ليكون التسلسل في بني رميثة غير منقطع.

ذكر مبارك صاحبُ العقد الثمين، وأطال في ترجمته، فقال،- في مادة مبارك:-

كان ذا شهامة وإجادة في الرَّمي، رمى القائد محمد بن عبد الله بن عمر، أحد القواد المعروفين بالعمرة بسهم فمات موضعه، لموجدة وجدها عليه، لكون محمد خرج فيمن خرج من أهله وغيرهم، مع رميثة بن أبي نمي، لاستخلاص محمد بن الزين القسطلاني، لما قبض عليه مبارك، وذهب به إلى ساية([287])، وكان مبارك ينوب عن أبيه في الإمرة بمكة، وفي سنة سبع وثلاثين] وسبعمائة[، وقع بين مبارك وبين ابن عمه مغامس بن رميثة منافرة، فركب مبارك فمن مكة- وكان أبوه تركه بها -إلى الجديد، لقتال مغامس، وكان أبوه رميثة قد تركه فيها، وكان مع مبارك أصهاهر الأعراب المعروفون ببني عمير- أصحاب الخيف المعروف بخيف بني عمير ([288])بوادي نخلة، وكان تزوّج منهم في هذه السنة بامرأة وبنّى بها- وجماعة من أهل مكة، فالتقى عسكره وعسكر ابن عمه، فقتل من أصحاب مبارك خمسة نفر، ومن أصحاب مغامس نفر واحد، وأُخذت لأحاب مغامس خيول، وهرب مغامس إلى الخيف، وكان خروج مبارك من مكة لقتال مُغامس، في يوم السبت السابع والعشرين من رجب، من سنة سبع وثلاثين] وسبعمائة .[ولما كان اليوم العاشر من شعبان، خرج مبارك بن عطيفة ومعه جماعة من أهل مكة، لمنع عمه رميثة من دخول مكة، لمّا توجه إليها من اليمن، مع النجّاب الذي وصل من صاحب مصر، لاستدعائه واستدعاء عطيفة، للحضور إلى صاحب مصر، ومنع مبارك بن رميثة من دخول مكة، ثم تراسلا، فمكّنه مبارك من دخول مكة، فدخلها ومكث فيها إلى ليلة الثالث عشر من شعبان، ثم خرج منها إلى الوادي .وفي صبيحة الليلة التي خرج فيها رميثة من مكة، دخلها عط مودِّعاً، وسافر وترك ابنه مباركاً نائباً بمكة، ومعه بها أخوه عطيفة في اليمن، بمن معه من الأشراف الذين لايموا عطيفة، بعد أن كانوا مع أخيه رميثة، لما فارق القواعد عطيفة، ولايموا رميثة، بسبب قتل مبارك لمحمد بن عبد الله ابن عمر، وشاع بمكة أن مباركاً، قصده أن ينهب بيوت التجار، حتى بيت قاضي مكة شهاب الدين الطبري، ولما بلغ مباركاً ذلك، أعلن بالنداء بالأمان، وحلف في يوم الجمعة من شوال هذه

السنة، بعد صلاح الجمعة عند مقام إبراهيم، أنه ما همَّ بهذا ولا يفعل ذلك، بمحضر جماعة من الفقهاء .ثم إنه أرسل أخاه مسعوداً إلى الوادي، لقطع نخيل القواد ذوي عمر، فقطع منها نخلاً كثيراً، ثم أرسل مبارك أربع رواحل، لاستعلام أخبار الحاجّ، ولم يكن بلغه خبر عن أبيه وعمه، من حي توجّها إلى مصر، وكان مبارك ([289]) ...وفي ليلة السبت الرابع عشر من ذي القعدة من هذه السنة، خرج مبارك بن عُطيفة إلى وادي المبارك، لقطع نخيل بعض أهلها، بسبب حشْمهم له، فإنه كان قطع حسباً بينهم، على أنهم لا يقتتلون إلى مدةٍ حدَّها لهم، فقتل بعضُ الفريقين من الفريق الآخر رجلين غدراً، فقطع على القاتل وأصحابه نحو ستين نخلة، وأعطى أربعة أفراس، فقبض بعضها، ثم جاءه الخبر بأن الذين أرسلهم إلى ينبع، قبض عليهم الترك الذين وصلوا إليها، ولم يفلت منهم غير رجل واحد، وصل إلى مكة وأخبر بذلك، فوصل مبارك إلى مكة في ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذي القعدة، وتجهّز للخروج منها، وخرج منها ومعه حاشيته، ليلة الجمعة العشرين من ذي القعدة، ونزل بالمزدلفة، وفي وقت آذان الجمعة من اليوم المذكور، دخل مسعود بن عطيفة وبعض غلمانهم، فاختطفوا بعض من صدفوه في الطريق ([290]) ....بعض البيوت ودار الإمارة، ثم خرجوا من مكة، ودخلها رُميثة ومعه ابناه عجلان ومغامس، في اليوم الخميس السادس والعشرين من ذي القعدة من السنة المذكورة، متولياً مكة بمفرده، بعد القبض على أخيه عُطيفة ([291]) ....بالقاهرة، فأمَّن الناس بمكة، وقطع بعض نخيل إخوته الملائمين لأخيه عطيفة، وبعد خروج مبارك من مكة بقليل، التقى أخوه مسعود والقواد العمرة، ومعهم ثقبة بن رميثة في جهة اليمن، وكانوا هناك يرعون، فقُتِل مسعود بن عطيفة، واثنا عشر رجلاً من أصحاب مبارك، ولم يحضر مبارك هذا الحرب، لأنه كان في ناحية عنهم .ولما سمع بما تمّ على أصحابه من القتل، ولَّى منهزماً مع صاحب له على فرسين سابقين، فسيق خلفهما فلم يلحقا .فلما كان سنة ثمان وثلاثين، تعرَّض مبارك للجلاب ([292])الصادرة من مكة، فنهبها وأخذ جميع ما فيها من الأموال، وأصرفها على زبيد ([293])وكنانة، واستنجدوا به على أحمد بن سالم صاحب حلي، فحضر إليهم مبارك، والتقوا مع صاحب حلي، فانكسر صاحب حلي، ونهب مبارك ومن معه بيته

وحلي، واستجد صاحب حلي برميثة، فأنجده ومكنه من البلاد فسكنها، وما عرفت شيئاً من حال مبارك بعد ذلك، سوى أنه توجه إلى سواكن ([294])وملكها، ومات بها في سنة إحدى وخمسين وسبعمائة شهيداً، من حربة رماه بها بعض العبيد، وخلَّف ولداً أسود اسمه منصور، يأتي ذكره.

ومبارك بن عطيفة هذا، ممن اتُّهم بقتل الأمير ألدمر، أمير جاندار الناصري المقدم ذكره، والله أعلم.

وللأديب يحيى ين يوسف المكي المعروف بالنشو([295])، في الشريف مبارك بن عطيفة هذا مدائح كثيرة، منها قصيدة أولها :

قسماً عليك بلحظك الفتاكِ

من ذا بقتلي في الهوى أفتاكِ

لولاك لم يهو العذيب وبارقاً([296])

فالبرق ثغرك والعذيب لماكِ

أخجلت بدر التمِّ عند كماله

وفضحت غصن البان في ممشاكِ

ومُخلَّصها:

حزت الملاحة مثل ما حاز العلا

مبارك بن عطيفة مولاكِ

نجل النَّبيِّ محمَّدٍ وسليله

من منبت الشَّرف الرَّفيع الزَّاكي

يحكى عليًّا جده ليث الوغى

في يوم مكرمةٍ ويوم عراكِ

لولا سطاه لما دعاه عدوه

عوضاً عن السفاح بالسفاكِ

لو لم تمت أعداؤه من سيفه

ماتوا من الأخواف والإدراكِ

قد خافه حتى الكرى بجفونهم

تخشاه كل العرب والأتراكِ

فالسيف يضحك منهم يوم الوغى

والكل من خوف المنية باكِ

حاز الفخار بأسره في أُسرةِ

خدمت له الأملاكُ في الأفلاكِ

وله فيه من قصيدة أخرى :

عليك بخير الناس جداً ووالدا

ومن حسنت منه السريرة والجهرُ

ومن ذا رأَى الراؤون مثل مباركٍ

مليك له الإحسان والنائل الغمرُ

فتىً تشرق النيا بغرة وجهه

إذا قيل بحر قيل من دونه البحرُ

يجود على العافي ويبدي اعتذاره

ويعفو عن الجاني وإن عظم الوزرُ

مآثره مأّثورة قد تواترت

بها تشهد الآثار والعين والخبرُ

به قد حمى الله البلاد وصانها

هو الغيث لولا الغيث ما نبت البذرُ

أباد الأَعادي بالصوارمِ والقنا

ففي كلِّ نحرٍ من عداه له نحرُ

أجل ملوك الأرض قدراً ورفعةً

منازله معروفة دونها النسرُ

تغطيت من دهري بظل جنابه

فليس يرى من بعد رؤيته الدهرُ

ولم تعلم الأحداث باسمي ولا درت

ولا مــن أنـــا......

سلالة مولانا الشريف عطيفةٍ

خيار ملوك العصر زِينَ به العصرُ

وله من قصيدة أخرى أولها:

لا تلمني على هواه جهالَهْ

فهو بالقلب حَلَّه واستمالَهْ

ومخلصها :

بلد شرف الإله رباها

مثل ما شرف الشريف وآلَهْ

فهو السيد الذي شاع ذكراً

ملك أرفع الملوك جَلالَهْ

وهو من خير آل أحمد بدر

مستنير له من الدست هالَهْ

ورث الفخر عن جدودٍ كرامٍ

قد بنى فوق ما بنى أمثالَهْ

شرف ما استفاده من بعيدٍ

لا ولا أدرك العلا عن كلالَهْ

ومنها :

نسب بين أحمدٍ وعليٍّ

فهو من خير تلك السُّلالَهْ

ملك إن سطا على الأرض يوماً

كاد يهفي في الجوِّ قلب الغزالَهْ

فهو كالسيف حيث يقطع حدًّا

هُ ويستحسن الأنام مقالَهْ

ما لأَعدائه هناك مقرٌّ

فهو كالشمس مدرك آمالَهْ

يا مليكاً له الملوك عبيد

وجميع البلاد تهوى وصالَهْ

إن تكن قد حللت في أرض مصرٍ

أنت حقّا عزيزها لا مَحالَهْ

وله فيه :

أشكو إليك صباباتي وما صنَعتْ

يد الغرام بقلبي وهو منكسرُ

فلم يلن قلبك القاسي لمسكنتي

وقد يلين إذا حاولْتُه الحجرُ

ومنها في المدح:

أنت الذي عُقدت في العزِّ رايتُه

فتىً به تضرب الأَمثال والسيرُ

أبو خذام الذي شاعتْ مناقبه

فالجود والفضل والإحسان مشتهرُ

الأروعِ الندب بحر لا قرار له

بدر عطاياه في من أمه البدرُ

أَسطى بني عمه في كل نائبةٍ

كأَنه الدهر لا يبقي ولا يذرُ

المكرم المنعم الموفي بذمته

فمن ندى كفِّه قد أَورق الحجرُ([297])

سلالة من رسولِ الله طيبة

والفرِع ينمو على ما ينبث الشجرُ

ماضي العزائم محمود سريرته

يدري عواقب ما يأْتي وما يذرُ

وله فيه من قصيدة أخرى، يهنئه فيها بعيد الفطر، سنة خمس وأربعين وسبعمائة، أولها :

رفقاً على قلب صبٍّ مسه السقمُ

لولاك ما شاقه بان ولا علم

ومنها :

ألا تحنُّ على ضعفي ومسكنتي

فالرَّاحمون من الأحباب قد رحموا

إن كنت لا ترتضي يوماً بمعذرتي

ظلماً فلي في البرايا حاكم حكمُ

مبارك الجود أعلى النَّاس منزلةً

تسمو به الرتبتان :العِلم والعَلمُ

ما في ملوك الورى من جاء يشبهه

ماضِي العزائم فالدُّنيا به حرمُ

من جوده نظر الأعمى بلا نظرٍ

وأُنطق الأَخرسان :الطرس والقلمُ

أجل من عقدت بالمجد رايته

يعفو ويصفح إحساناً وينتقِمُ

وله من قصيدة يمدحه فيها:

الله أكبر جاء النصر والظفر

وأقبل السعد والإِقبال يبتدرُ

ونلت ما ترتجيه بابن فاطمة

من الإِله وزال الخوف والحذرُ

ومنها :

خضت الصعيد ومصراً والبلاد معاً

وما خشيت ولم يلوي بك الخبرُ

وصرت تقتهر العربان قاطبةً

وقد أطاعك حتى الجن والبشرُ

ما أنت إلا فريد العصر أَوحده

والشَّاهدان عليه الخُبْرُ والخَبَرُ

فما سواكن أرضٌ أو تقيم بها

وما مقامك إلا الركن والحجرُ([298])

فسر إلى مكة وانزل بساحتها

فأنت بالله رب العرش تنتصرُ

إياك تركن في الدنيا إلى أحد

من الملوك جميعاً ربما غدروا

ما كل وقت أتى يرجى الخلاص به

فأنت جربت والأحوالُ تختبرُ

لا تجعلن يداً تحت الرحى أبداً

فقول جدك فيه النصح يعتبرُ

فاهرب من الناس كن منهم على حذر

فرب سار بليل غره القمرُ

فالملك ليس له بين الأنام أب

ولا أخٌ إنهم إن صودقوا مكروا

ليس التواني به نال المنى أحدٌ

وليس يقطع إلا الصارم الذكر

لو لم يقم جدك المختار من مضر

بالسيف ما آمن القوم الذي كفروا

وانظر حميضة في عزم وفي همم

فإن أضداده في عصره كثروا

ما زال في طلب العلياء مجتهداً

حتى استقامت له الأحكام والنظرُ

ولم يطع لملوك الأرضِ أجمعهم

وكان في ملكه يرنو له البصرُ

وأنت عزمك أقوى من عزائمه

فما قثعادك أين العين والأثرُ

أمثل مكة تسلوها وتتركها

عجبت منك فعنها كيف تصطبرُ؟

فإن مصراً ومن فيها بأجمعهم

حتى الحجاز لعزم منك قد شكروا

لو وازنوك بمن في الأرض من ملك

لكنت أرجح منهم مثل ما ذكروا

ألست أكرم من تسعى الركاب له

أما لرمحك هامات العدا ثمرُ

فليس تركك ملكاً أنت وارثه

رأياً سديداً فماذا أنت تنتظرُ؟

ومنها :

أعلامك الخضر في الآفاق قد شرت

كأنما سار في الدنيا بها الخضر

أغنيت فقري فمن أجل الغنى أبداً

تهدى لمدحك مني هذه الدررُ

ومدحه الأديب عيسى بن محمد العُلَيف أيضاً بقوله :([299])

يا مالكي بخصال كلها غررُ

وبالعطايا التي من دونها المطرُم

ومن إذا ما سعى في نيل مرتبة

من العلا قاده التأييد والظفرُ

في كل أرض وقطر منك سابغة

تسر كل صديق نشرها عطرُ

مكارم يتمنى البحر أيسرها

وعزمة كَلَّ عنها الصارم الذكرُ

وهمة في المعالي لا يهيم بها

من الخلائق إلا الشمس والقمرُ

وليس ذا بعظيم منك إنك من

أُسْدٍ مرابضُهُنْ َ الحِجْر والحَجَرُ

طابت فروعك إذ طابت منابتها

إن الأصول عليها ينبت الشجرُ

ألقى عليك أبو سعد فضائله([300])

من جانبيك فطاب الخُبْرُ والخَبَرُ

وفيك من حيدر ([301])سر عُرفت به

يومِ الوغى حيث سُمر الخط تشتجرُ

ما قابلتك جيوش فانتصبت لها

إلا وساعد في تشتيتها القدرُ

قلدتني منك إحساناً ملكت به

رِقِّي فأنت لرق الحر مقتدرُ

وللأديب شهاب الدين أحمد بن غنائم ([302])المكي فيه من قصيدة يمدحه بها، أولها :

إن شطَّ من قُرْبِ الحبيبِ مزارُهُ

ونأت بغير رضا المتيم دارُهُ

ومخلصها :

وقف الهوى بي حيث أنت كما الثنا

وقف على من طاب منه فخارُهُ

ملك الملوك مبارك بن عطيفة

خير امرئٍ دلت عليه نارُهُ

المالك الملك الذي فخرت به

في العالمين معدُّه ونزارُهُ

وسعى فأدرك كل ساع قبله

وسمت به همَّاته ووقارُهُ

كلف بشيد المجد وهو مولع

ببناء ما درست بلَى آثارُهُ

هذا الذي خفَّت عليه مكارم الـ

أفعال فاشتهرت به أخبارُهُ

من ذا يقيس سماحة([303])

في الخافقين ومن له إيثارُهُ

يا أيها الملك الذي لولاه ما

نفق المديح ولا سخا معطارُهُ

نفق المديح على عطائك فاستوى

بالمدح فيك كباره وصغارُهُ

أ هـ . عن العقد.

وهكذا نجد أن مباركاً– ربما –قتل في سواكن لقوله :رماه بعض العبيد بحربة، ولعل ابنه الأسود كان نتيجة زواجه سودانية في سواكن .وذكر الفاسي منصور بن مبارك بن عطيفة وقال :توفي سنة794) هـ .(ولا يعرف اليوم عقب لمنصور هذا ولا لأبيه.

–36الشريف مُغامِس بن رُميثة بن أبي نُمي محمد بن أبي سعد الحسن ...إلى قتادة .ت 761)هـ 1359 /م :(

ترجم له التقي الفاسي، ولم يذكر كنيته ولا لقبه فقال :([304])وجدت بخط بعض المكيين : أن أخاه عجلان بن رميثة، لما وصل من مصر متولياً لإمرة مكة، في سابع عشر جمادى الآخرة، سنة ست وأربعين وسبعمائة، أعطى أخويه مغامساً ومباركاً السرين، ثم سافر مغامس إلى مصر، بعد فر ثقبة إليها.

وذكر ابن محفوظ :أن عجلان لما ولي مكة في التاريخ المذكور، أعطى مغامساً وسنداً رسماً في البلاد، وأقاما على ذلك مدة مع عجلان، ثم إنه تشوش منهما، فأخرجهما من البلاد بحيلة إلى وادي مر، ثم أمر بهما أن يوسعا في البلاد، فلحقا بعد شهر بأخيهما ثقبة، وكان قد توجه إلى الديار المصرية فقبض عليهم صاحب مصر، ثم إنهم ومحمد ابن عطيفة، وصلوا من مصر في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، ثم قبض على ثقبة وأخويه مغامس وسند، لما خرجوا لخدمة المحمل المصري، على جاري عادة أمراء الحجاز، في سنة أربع وخمسين، لكون ثقبة لم يوافق أمير الركب على ماسأله من الإصلاح بينهم وبين عجلان، على المشاركة في الإمرة، وذهب الأمير بالأشراف إلى مصر تحت الحوطة .فلما كان اليوم السابع عشر من شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبعمائة، وصل الأشراف المشار إليهم من مصر إلى وادي نخلة، وليس معهم إلا خمسة أفراس، فلما كان الثالث والعشرون من شوال هذه السنة، وصلوا إلى مكة لحصار عجلان، وكان قد وصل إلى مكة من خيف بني شديد، لما سمع بوصولهم من مصر، ونزلوا المعابدة، وأقاموا بها محاصرين لعجلان، ثم رحلوا من المعابدة في الرابع والعشرين من ذي القعدة المشار إليها، وقدوا الجديد وأقاموا به، ثم ذهبوا منه إلى ناحية جدة، حين وصول الحاج، وأخذوا الجلاب ودبروا بها، ولم يحجوا تلك السنة، ثم اصطلحوا مع عجلان في المحرم سنة سبع وخمسين([305])، ثم نافروا عجلان في جمادى الآخرة من هذه السنة، ثم اصطلحوا مع عجلان في موسم سنة ثمان وخمسين وسبعمائة، ودام ذلك فيما علمت، إلى أن توفي مغامس بعد أيام الحج، بيوم أو يومين، من سنة إحدى وستين وسبعمائة، عن ستين سنة

أو نحوها مقتولاً في الفتنة التي كانت بين بني حسن، والعسكر الثاني المأمور بالمقام بمكة، عوض العسكر الأول، لتأييد أميري مكة سند وابن عطيفة .وكان سبب قتل مغامس، أن الفتنة لما ثارت بمكة، بين بني حسن والترك في هذا التاري، جاء مغامس من أجياد راكباً، ومعه بعض بني حسن، ليقاتلوا الترك الذين عند المدرسة المجاهدية، فتعرض بعض هجانة الترك لفرس مغامس، بما أوجب نفورها، فألقته، فقُتل .وقيل إن فرسه رميت بنشابة، فتكعكعت به، فطرحته بين الترك، فقتلوه، وبقي مرمياً في الأرض، من ضحى إلى المغرب، ثم دفن بالمعلاة وقت المغرب .وبلغني أن الترك أرادوا إحراقه، فنهاهم عن ذلك قاضي مكة، تقيّ الدين الحرازي، ووجدت بخط بعض أصحابنا، فيما نقله من حظ ابن محفوظ :أنه دفن بغير غسل ولا صلاة عليه .وأنا أستبعد ذلك، والله أعلم.

وكان يقال :أفرس بني حسن :ولدا جبلة، يعنون سنداً ومغامساً، ابني رميثة، أمهما جبلة بنت منصور بن جماز بن شيحة اللحسيني، أمير المدينة النبوية.

وسئل بعض الفرسان من بني حسن، عن سند ومغامس، أيهما أفرس؟ فذكر ما يقتضي أن مغامساً أفرس.

قال مؤلفه :وبقية أخباره في ترجمات إخوته، حيث امتزجت أخبارهم لشراكتهم في الحكم . وأشهر ذرية الشريف مغامس ابنه عنان بن مغامس الآتية ترجمته، ومن ذرية عنان الأشراف ذوو عنان سكان وادي الخوار .أنظر ترجمة عنان فيما يتبع .وكان لمغامس ابن قتل .راجع ترجمة عنان.

37- الشريف ثقبة بن رميثة بن أبي نمي محمد ...إلى قتادة .

ت 762) هـ1360 /م :(

ترجم له التقي الفاسي، فقال :([306])يلقب أسد الدين، ويكنى أبا شهاب.

ولي إمرة مكة مدة سنتين، شريكاً لأخيه عجلان، ومستقلاً بها في بعضها.

ورأيت في تاريخ ابن محفوظ وغيره شيئاًَ من خبرهما، ورأيت أن ألخص ذلك بالمعنى .وذلك أن ثقبة ولي إمرة مكة شريكاً لأخيه عجلان في حياة أبيهما، لما تركها لهما أبوهما، على ستين ألف درهم، في سنة أربع وأربعين وسبعمائة، ثم قبض عليه في هذه السنة بمصر، وكان قدمها بطلب من صاحبها الصالح إسماعيل بن الناصر، ثم أطلق، فتوجه غ مكة، ثم توجه منها في سنة ست وأربعين إلى نخلة، لما ولي أخوه عجلان إمرة مكة بمفرده في حياة أبيه، وتوجه ثقبة بعد ذلك إلى مصر في السنة المذكورة، وقبض عليه بها، ولم يزل حتى أطلق هو وأخواه سند ومغامس، وابن عمهم محمد بن عطيفة، ووصلوا إلى مكة في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، وأخذوا فيها من عجلان، نصف البلاد بغير قتال .وداما على ذلك إلى سنة خمسين، وفيها حصل بينهما وحشة .وكان عجلان بمكة وثقبة بالجديد، ثم خرج عجلان إلى الوادي لقتال ثقبة، فمنعه القواد من ذلك، واصطلح مع أخيه ثقبة، ثم سافر عجلان إلى مصر في هذه السنة، فاستقبل ثقبة بالإمرة وقطع دعاء عجلان من زمزم.

فلما وصل عجلان من مصر متولياً للبلاد بمفرده، في خامس شوال من السنة المذكورة، توجه ثقبة إلى ناحية اليمن، ثم قصد ذهبان وحمضة ([307])وتعرض للجلاب، وأخذها، وحمل فيها عبيده، وجاء بها إلى حلي، ولاءم الملك المجاهد صاحب اليمن من حلي، وكان المجاهد قد توجه إلى مكة للحج في سنة إحدى وخمسين، ودخل إلى مكة ومعه ثقبة وإخوته، وكان عجلان قد منعهم من ذلك.

وفي سنة اثنتين وخمسين، كان عجلان بمكة وثقبة بالجدسيد، وجاءت الجلاب إلى جدة فنجلها ثقبة وجبأها جبأ عنيفاً.([308])

وفي هذه السنة، جاء له ولأخيه عجلان طلب من صاحب مصر، فتقدما إلى مصر، كل منهما على انفراده، ثم رجل عجلان من ينبع، واستمر ثقبة حتى بلغ مصر، فولي الإمرة بمفرده .ووصل في ذي القعدة من هذه السنة، ومعه خمسون مملوكاً، فمنعه عجلان من الدخول إلى مكة، فرجع إلى خليص، وأقام بها إلى أن جاء مع الحاج، وأراد عجلان منعه، ومنع أمير الحاج من الدخول، ثم رضي ثقبة بأن تكون الإمرة بينه وبين أخيه عجلان نصفين، وصالح أخاه عجلان على ذلك .وكان المصلح بينهما الأمير المعروف بالمجدي، أمير الحاج المصري، ثم استقل ثقبة بالإمرة في أثناء سنة ثلاث وخمسين، بعد قبضه على أخيه عجلان، وأخذه لما كان معه من الخيل والإبل.

واستمر على ذلك حتى قبض عليه أمير الركب المصري عمر شاه، في موسم سنة أربع وخمسين، واستقر عوضه أخوه عجلان، وذلك بعد أن سئل في الصلح مع أخيه عجلان، على اشتراكهما في الإمرة، فلم يوافق .وحمل إلى مصر، فأقام بها معتقلاً حتى هرب منها ومعه أخواه المذكوران ([309])ومحمد بن عطيفة، وكانوا قد اعتقلوا معه، فوصلوا إلى نخلة في السابع عشر من رمضان سنة ست وخمسين([310])، وليس معهم إلا خمسة أفراس .وكان عجلان يومئذ بخيف بني شَديد، ثم ارتحل إلى مكة، فأقام بها، ثم انتقل ثقبة وأخواه إلى الجديد، وأقاموا به ومعهم ثلاثة وخمسون فرساً .فلما كان اليوم الثالث عشر من القعدة، نزلوا المعابدة محاصرين لعجلان، ثم رحلوا بعد أن تضرر الناس بهم، في الرابع والعشرين من ذي القعدة إلى الجديد.

فلما كان وقت وصول الحاج، وصلوا إلى ناحية جدة، وأخذوا الجلاب ودبروا بها إلى بحير، وبعد رحيل الحاج من مكة، توجهوا بالجلاب إلى جدة ونجلوها ونزلوا الجديد، ثم اصطلح ثقبة وعجلان، على أن تكون الإمرة بينهما نصفين، في تاسع المحرم سنة سبع وخمسين، ثم انفرد ثقبة بالإمرة في ثالث عشر جمادى الآخرة من هذه السنة، بعد رجوعه من اليمن، وأقام بمكة، وقطع نداء أخيه على زمزم، واستمر منفرداً بالإمرة إلى مستهل ذي الحجة من هذه السنة، وأخوه عجلان في هذه المدة بالجديد.

فلما وصل الحاج المصري، دخل معهم عجلان مكة بعد أن فارقها ثقبة، ثم طلب ثقبة إليها أميرُ الركب المصري، وكان يقال له الهذباني، فلم يجبه ثقبة، مع كونه أمَّنه، وقصد ناحية اليمن، ونهب قافلة الفقيه البركاني، وأخذ ما معهم من البضائع والقماش، وكان مالاً كثيراً.

وفي سنة ثمان وخمسين وصل ثقبة إلى الجديد، ونزل به وأقام به مدة، ثم ارتحل بعد ذلك إلى ناحية اليمن، وأقام بها مدة، ثم عاد إلى الجديد ثانية .فعمل عليه القواد، وحالفوا أخاه عجلان، فارتحل إلى خيف بني شَديد، ثم أتى نخلة، ثم التأم عليه الأشراف جميعهم، ورموا معه في خيف بني شديد، والتأم القواد جميعهم مع عجلان، وخرج من مكة ونزل الجديد، ثم ارتحل منه إلى البُرقة طالباً قتال ثقبة، فلم يمكنه القواد من ذلك، ثم عاد إلى الجديد بعد شهر.

فلما كان أول ذي القعدة، قصد ثقبة مكة، فلم يمكَّن من دخولها، بعد أن وصل إلى الدرب من ناحية الأبطح .ثم اصطلح ثقبة وعجلان، وتشاركا في الإمرة عند وصول الحاج في سنة ثمان وخمسين .واستمرا على الشّرْك والاصطلاح في الإمرة، إلى أن عزلا في أثناء سنة ستين وسبعمائة، بعد أن استدعيا فيه للحضور إلى حضرة السلطان بمصر، فاعتذرا عن ذلك، وولي عوضهما أخوهما سند وابن عمهما محمد بن عطيفة .انتهى ما ذكره ابن محفوظ، وغالبه بالمعنى.

وذكر لي بعض من أثق به من الفقهاء المكيين :أن ثقبة اشترك مع أخيه سند في الإمرة بمكة، لما توجه محمد بن عطيفة، والعسكر الذي كان بمكة إلى مصر، بعد الفتنة التي كانت بين العسكر والأشراف بمكة، بعد الحاج في سنة إحدى وستين وسبعمائة، وأن ثقبة سكن الشر عن العسكر، وساعدهم على التوجه إلى مصر، فرعي له ذلك، وأُشرك مع أخيه عجلان في الإمرة، فلم يصل أخوه عجلان من مصر إلا وهو ضعيف مدنف، فأقام أياماً، ثم مات في شوال سنة اثنتين وستين وسبعمائة بالجديد، وحمل إلى مكة فدفن بالمعلاة .انتهى.

وكان كثير الرعاية للزيدية، موصوفاً بكرم وشجاعة، ومدحه ابن غنائم ([311])بقصيدة حسنة، أولها :

ما خفقتْ فوق منكب عذبَهْ([312])

على فتىً كابن منجدٍ ثقبَة([313])

ولا اعتزى به، لفخار منتسب

إلا وفاقت علاه منتسبَهْ

منتخبٌ من سليل منتخبٍ

منتخبٌ من سليل منتجبَهُ

كم جبرت راحاتُه منكسراً

وفك من أسرِ غيرِه رقبَهْ

وخلف ثقبة عدة أولاد، وهم :أحمد، وحسن، وعليّ، ومبارك، وفاطمة، وسبق خبر أحمد، وسيأتي ذكر حسن، وعلي، ومبارك، وأما فاطمة فموجودة في تاريخه.([314])

قال مؤلفه :ولم أسمع عن ذرية باقية إلى اليوم لثقبة، والثقبة الموجودن في القاع– بين حلي وجازان –يزعمون أنهم من ذرية ثقبة بن أبي نمي الثاني، وقد ثبت نسبهم هذا، والله أعلم . وكان لثقبة هذا أولاد منهم :حسن بن ثقبة، وأحمد بن ثقبة، ولأحمد ابن اسمه ثقبة، استولى عض الأشراف والقواد على جدة فلسطنوه هو وميلب بن علي بن مبارك مدة، في عهد الحسن بن عجلان.

–38الشريف سند بن رُميثة بن أبي نُمي محمد ابن أبي سعد الحسن ...إلى قتادة .ت 763)هـ 1361 /م):

ترجم له الفاسي، في العقد الثمين، مادة) سند(، فقال :ولي إمرتها شريكاً لابن عمه محمد بن عطيفة، بعد عزل أخويه ثقبة وعجلان، وجاء الخبر بولايته وهو معهما في ناحية اليمن، فقدم مكة وأُعطي تقليده وخلع عليه، وعلى ابن عطيفة، ودعي لهما على زمزم، وذلك في جمادى الآخرة، وقيل في رجب سنة ستين وسبعمائة .وكان بلغه وهو بمنىً في أيام الحج، من سنة إحدى وستين، أن الترك يريدون القبض عليه، فهرب إلى جهة نخلة، وبلغ الترك هربه، فأنكروا أن يكوننوا هموا له بسوء، واستدعوه إليهم، فحضر .ثم وقع بإثر سفر الحجاج في هذه السنة، بين بعض الترك– الذين قدموا في موسم هذه السنة للإقامة بمكة، عوض الذين قدموا

مكة، لما وليها سند وابن عطيفة- وبين بعض الأشراف المكيين، منازعة، أفضت إلى قتال الترك وبني حسن، فقام سند على الترك، وتخلى ابن عطيفة عن نصرة الترك، فغلب الترك وخرجوا من مكة، وخرج بإثرهم ابن عطيفة متخوفاً.

ووجدت بخط بعض الأصحاب، فيما نقله من خط ابن محفوظ المكي :أن سنداً كان خارجاً عن البلاد في وقت هذه الفتنة، وأنه لما وصل، طلب الاجتماع بالترك لإصلاح أمرهم، فلم يمكنه الترك من الدخول عليهم، وهذا يخالف ما تقدّم من قيام سند على الترك .والله أعلم بالصواب.

وكان ثقبة بن رميثة، قد جاء إلى مكة بإثر الفتنة، ولايمه أخوه سند، واشتركا في إمرة مكة، إلى أوائل شوال سنة اثنتين وستين، وكان عجلان قد قدم مصر في رمضان من هذه السنة، متولياً لإمرة مكة، شريكاً لأخيه ثقبة، فلما مات ثقبة في أوائل شوال من هذه السنة، دخل عجلان مكة، وقطع دعاء أخيه سند، وأمر بالدعاء لولده أحمد بن عجلان، وأمره بالاجتماع بالقواد العمرة، وكانوا يخدمون سنداً، فاجتمع بهم أحمد بن عجلان، فأقبلوا عليه، وعرف ذلك سند، فخاف على نفسه، فهرب إلى نخلة .وقيل :بل أقام بوادي مر بالجديد، واستجار بابن أخيه أحمد بن عجلان، ثم وقع بين بعض غلمان سند، وبين بعض غلمان ابن أخيه شيء، أوجب تغير خاطر ابن أخيه عليه، وأمره بالانتقال من الجديد، فانتقل سند إلى وادي نخلة، ثم إلى الطائف، ثم إلى الشرق، ثم إلى المدينة النبوية، ثم إلى الينبع([315])، ووصله وهو بها أوراق بني حسن من أهل مكة، يأمرونه بالقدوم عليهم إلى مكة، ليسعدوه على ولايتها .
وسببُ ذلك، أنهم حضروا الوقعة المعروفة بقحزة، قرب حلي، من بلاد اليمن، وقاتلوا مع عجلان أهل حلي، فظفر عجلان وأصحابه، وأحسن عجلان إلى أصحابه إحساناً، رأوه فيهم مقصراً، وأفضى بهم الحنق عليه، إلى أن كتبوا إلى أخيه سند يستدعونه، فحضر سند إلى جدة، في سنة ثلاث وستين وسبعمائة، وصادف بها جلبة فيها مال جزيل لتاجر مكي، يقال

له ابن عرفة فنهبها سند، وبلغ خبره نائب عجلان على مكة كبيش، فجمع أهل مكة، وخرج إلى جدة ليستنقذ من سند ما أخذ، فأشار عليه بعض أحباب أبيه، بعدم التعرض لسند، ورجوعه إلى مكة وحفظها، ففعل .ونقل سند ما نهبه إلى الجديد بوادي مر، وكان ما وقع منه بجدة قبل حضور بني حسن من حلي، فلما حضروا إلى مكة، انضم إليه جمع كثير منهم، وفرق ما معه عليهم، فلم يفده ذلك في مراده، لأن كل من انضم إليه من بني حسن، له قريب أكيد مع عجلان، وقصد كل منهم التحريش بين الأخوين، لينال كل فريق مراده، ممن يلائمه من الأخوين، مع إعراض كل ممن مع الأخوين، عن أن يقع بينهم قتال بسبب الأخوين .وعرض بعد ذلك لسند مرض، مات به في سنة ثلاث وستين وسبعمائة بالجديد، واستولى ابن أخيه عنان ابن مغامس بن رميثة على خيله وسلاحه، وذهب به إلى اليمن.

ووجدت بخط بعض المكيين :أن عجلان ابن رميثة، لما ولي مكة في سنة ست وأربعين وسبعمائة، في حياة أبيه رميثة، أعطى أخاه سند بن رميثة ثلث البلاد، بلا دعاء ولا سكة، وأنه بعد ذلك سافر إلى مصر، وقبض عليه بها، وعلى أخويه ثقبة ومغامس، حتى ينظر في حال عجلان .انتهى بالمعنى.

ووجدت بخط بعض المكيين :أن عجلان ابن رميثة، لما ولي مكة في سنة ست وأربعين وسبعمائة، أعطى أخويه سنداً ومغامساً رسماً في البلاد، وأقاما معه مدة، ثم بعد ذلك تشوش منهما، فأخرجهما من البلاد بحيلة إلى وادي مر، ثم أرسل إليهما أن توسعا في البلاد .وكان الشريف ثقبة، قد توجه إلى الديار المصرية، فلحقا به بعد شهر، فلما وصلوا إلى مصر لزمهم عنده.

ووجدت بخطه أيضاً :أنهم وصلوا من مصر في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة، فأخذوا نصف البلاد من عجلان بلا قتال .انتهى بالمعنى.

ولحمزة بن أبي بكر ([316])في الشريف سند ابن رميثة قصيدة يمدحه بها، أولها:

خليلي إما جئتما ربع ثهمد

فلا تسألاه عن غير أم معبدِ([317])

وإن أنتما أبصرتما بانة الحمى

ورسماً لذات المبسم المتبددِ

فأول ما يستنشدوا عن حلوله

وتستفهما أخبار رسم ومعهدِ

عسى تخبر الأطلال عمن سألتما

بما شئتما للمستهام المسهَّدِ

ومنها في المدح :

وفي سند أسندت مدحاً منضَّداً

غريب القوافي كالجمان المنضَّدِ

هو القِيل وابن القيل سلطان مكة

وحامي حماها بالحسام المهندِ

وصفوة آل المصطفى طود فخرهم

وباني علاهم فوق نسرٍ وفرقدِ

بنى ما بنى قدماً أبوه رميثة

وشاد الذي قد شاد من كل سؤددِ

وشن عتاق الخيل شعثاً ضوامراً

وأفنى عليها كل طاغ ومعتدِ

فروَّى صفاح البيض من مهج العدا

وسمر القنا مهما اعتلى ظهر أجردِ

وأبيض طلق الوجه يهتز للندى

ويجدي إذا شح الحيا كل مجتدِ

كريم حليم ماجدٌ وابن ماجدٍ

ظريفٌ شريفٌ سيدٌ وابن سيدِ

إمام الهدى بحر الندى مهلك العدى

وبدر بدا من آل البيت محمدِ

أشم طويل الباع ندب مهذب

أغر رحيب الصدر ضخم المقلَّدِ

فدوحته بين الورى خير دوحة

ومحتده بين الورى خير محتدِ

ومنها :

إليك جلبت المدح إذ أنت كفؤُهُ

وإن أنا أجلبه لغيرك يكسدِ

وما مدحكم إلا علينا فريضة

ومدح سواكم سنة لم تؤكدِ

ثناؤكم أثنى به الله جهرةً

وأنزله وحياً على الطهر أحمدِ

انتهى عن العقد كما تقدم .ولم أر من زاد على هذا، وأخباره وإخوته متداخلة.

قلت :ولم أر من ذكر لسند هذا ذرية، والله أعلم.

-39الشريف محمد بن عُطيفة بن أبي نُمي محمد ...إلى قتادة .ت 763) ه1361 /م:(

ترجم له الفاسي، في مادته من العقد الثمين، فقال :

أمير مكة، وليها بعد أن عُزل ابنا عمه :عجلان وثقبة، ابنا رميثة بن أبي نمي، شريكاً لابن عمه سند بن رميثة، ويقال :إن ولاية مكة عرضت عليه بمفرده، فأبى إلا أن يليها شريكاً لبعض أولاد رميثة، فوُلِّي معه سند ابن رميثة.

وبلغني أنه لما وصل الخبر بولايتهما إلى مكة، أشار عجلان إلى ثقبة، بأني يعطي كل منهما أربعمائة بعير، لبني حسن، ليساعدوهما على بقاء ولايتهما، ومنع ابن عطيفة ومن معه، فلم يوافق على ذلك ثقبة، واحتج بعجزه عن الإبل المطلوبة منه، ولما بينه وبين سند من كثرة الألفة، ومعاضدة سند له.

وكان صاحب مصر، الملك الناصر حسن، لما ولَّى مكة سنداً، وابن عطيفة، جهز من مصر مع ابن عطيفة عسكراً فيه أربعة من الأمراء، وهم :جركتمر المارديني حاجب الحجاب بالقاهرة، وهو مقدم العسكر، وقطلوبغا المنصوري، وعلم دار، وابن أصلم.

وذكر ابن محفوظ :أن هذا العسكر كان نحواً من مائتي مملوك، ومعهم تسعون فرساً، وأنهم وصلوا إلى مكة في الثامن من جمادى الآخرة، سنة ستين وسبعمائة، انتهى.

وذكر لي بعض الناس، أن هذا العسكر وصل إلى مكة في رجب من السنة المذكورة، والله أعلم بالصواب في ذلك.

ولما وصل هذا العسكر إلى مكة، وصل إليهم سند أبي بن رميثة، فأعطوه تقليده وخلع عليه، وعلى ابن عطيفة، ودعى لهما على زمزم، وانصلح بالعسكر حال مكة، وارتفع منها الجور وانتشر العدل بها، وأُسقط المكس من المأكولات، وجلبت الأقوات، فرخصت فيها الأسعار إلى الغاية، وانقمع أهل الفساد، بحيث لم يتجاسر أحد منهم على حمل السلاح بمكة، لأن مقدم العسكر أمر بذلك.

واستمر هذا الحال بمكة– على ما ذكرناه –إلى انقضاء الحج من سنة إحدى وستين وسبعمائة، ثم تغير ذلك لفتنة عظيمة وقعت بين بني حسن من أهل مكة، والعسكر الذي بها، وهذا العسكر غير العسكر الذي قدم إلى مكة مع ابن عطيفة، ومقدم هذا العسكر أميران، أمير يقال له قندس، قدم من القاهرة في جماعة، وأمير يقال له ناصر الدين ابن قراسنقر المنصوري، قدم من الشام في جماعة، ليقيموا بمكة، عوض العسكر الذي قدم مع ابن عطيفة، وكان قدوم العسكر الذي مع قندس، وابن قراسنقر إلى مكة في الموسم من سنة إحدى وستين وسبعمائة.([318])

وسبب الفتنة بين هذا العسكر، وأهل مكة، أن بعض العسكر رام النزول بدار المضيف عند الصفا، فمنعه من ذلك بعض الأشراف، من ذوي علي، فتضاربوا، وبلغ ذلك بني حسن، والترك، فثارت الفتنة بينهم.

وقيل إن سبب الفتنة :أن بعض الترك نزل بدار المضيف، فطالبه بعض الأشراف بالكراء، فضرب بعض الترك الشريف فقُتل الشريف التركي، فثار جماعة من الترك على الشريف، فصاح الشريف، فاجتمع إليه بعض الشرفا، واقتتلوا، وبلغ ذلك الترك وبني حسن، فقصد الأشراف أجياداً، ووجدوا في ذهابهم إلى أجياد، خيلاً على باب الصفا، للأمير ابن قراسنقر، ليسعى عليها بعد طوافه، فإنه كان ذلك اليوم، ذهب للعمرة من التنعيم، فركبها الأشراف، وبلغ ابن قراسنقر الخبر، وهو يطوف، فقطع طوافه، وتقدم للمدرسة المجاهدية ليحفظها، فإنه كان نازلاً بها، وتحصن هو وبعض الترك في المسجد الحرام، وأغلقوا أبوابه، وهدموا الظلة التي على رأس أجياد الصغير، ليروا من يقصدهم من بني حسن، ويمنعوه ممن الوصول إليهم بالنشاب وغيره([319])، وعملوا في الطريق عند المجاهدية أخشاباً كثيرة، لتحول بينهم وبين من يقصدهم من الفرسان، من أجياد الكبير، هذا ما كان من خبر الترك.

وأما ما كان من خبر بني حسن، فإنهم لما توجهوا لأجياد، استولوا على اصطبل ابن قراسنقر، وقصدوا الأمير قندس، وكان نازلاً ببيت الزباع بأجياد، فقاتلوه من خارجه حتى غلبوه، ودخلوا عليه الدار، فقتلوا جماعة من أصحابه، وهرب هو من جانب منها، فاستجار ببعض الشرائف، فأجارته .ونهب منزله بنو حسن، وقصد طائفة منهم الترك الذين بالمسجد، فقتلوا من سراة بني حسن :مغامس بن رميثة، أخا سندٍ، وغيره.

وكان من أمر الترك بعد ذلك، أنهم خرجوا من مكة بعد أن استجاروا ببعض بني حسن على أنفسهم وأهلهم وأموالهم .ولم يخرجوا من مكة إلا بما خف من أموالهم، وخرج بعدهم من مكة ابن عطيفة، قاصداً مصر خائفاً يترقب، بسبب ما كان بين ذوي عطيفة والقواد العمرة، من القتل، وكان تخلى في وقت الفتنة عن نصرة الترك، بإشارة بعض بني حسن عليه بذلك، وقوى عزمه عل ذلك، قتل الترك لمغامس بن رميثة.

ووجدت بخط بعض أصحابنا، فيما نقله من خط ابن محفوظ :أن ابن عطيفة أراد أن يتعصب للترك، فتهدده لذلك بعض بني حسن بالقتل، وأنه وسنداً، قعدا في البلاد بعد سفر الترك، وفي كون ابن عطيفة أقام بمكة بعد سفر الترك منها نظر، لأن المعروف عند الناس أنه سافر بعد الفتنة إلى مصر، اللهم إلا أن يكون مراد ابن محفوظ، أنه قام بمكة أياماً يسيرة بعد سفر الترك، ثم سافر من مكة، فلا منافاة حينئذ .والله أعلم.

ولما وصل ابن عطيفة مصر، لم يكن له بها وجه؛ لأن العسكر لم يحمده، وكذا أهل مكة، لتقصيره في نصرة كل من الفريقين، ولم يزل بمصر مقيماً، حتى مات في أثناء سنة ثلاث وستين وسبعمائة أو بعدها بقليل، وكانت مدة ولايته سنة ونصفاً، تزيد أياماً أو تنقص أياماً، للاختلاف في تاريخ قدومه إلى مكة، مع العسكر الذي جهز معه إلى مكة، حين ولايته لها.

ولشيخنا– بالإجازة –الأديب يحيى بن يوسف المكي، المعروف بالنشو([320])، مدايح في ابن عطيفة هذا، منها ما أنشدناه– إجازة –من قصيدة له يمدحه بها سنة تسع وثلاثين وسبعمائة أولها :

تذيب فؤادي بالغرام وتجحدُ

وترضى بإتلافي وما لي منجدُ

أمالكَ نفسي وهي نفسٌ أبيَّة

وما عنده من رحمة لي توجدُ

أتنقض عهدي والعهود وفية

ألستَ على العهد الذي أنت تعهدُ

وتنكر ما بيني وبينك في الهوى

ولي فيك أشجان تقيم وتقعِدُ

وفحبك لي دِين ووجهك قِبلة

وحالك ركن للمُقَّبِل أسودُ

ومنها في المدح:

إمام له فضل عظيم على الورى

كريم الأيادي بالسماحة أوحدُ

يجود بما تحوي يداه تكرماً

ويعلم أن المال ليس يخلدُ

فتىً لم ير الراؤون مثل صفاته

إذا قيل هذا حاتم فهو أجودُ

أجلُّ الورى قدراً وجاهاً ورفعةً

وأكرم من يُرجى عطاه ويقصدُ

وله فيه من أخرى، وأنشدناه إجازة:

أترضى بإتلاف المحب ظلامةً

فتأخذه بالعنف والرفق أليقُ

أعندك علم أنه بك هائم

وأكباده من لوعة الهجر تحرقُ

فأحواله تنبي بما في ضميره

إذا لم يكن للقول منه مصدِّقُ

ومنها في المدح:

بلوت بني الدنيا جميعاً بأسرهم

وجربتهم إن التجارب تصدقُ

فلم أر في ذا العصر مثل محمد

إمام به الدنيا تضيءُ وتشرِقُ

جواداً إذا جار الزمان على الورى

يجود بما تحوي يداه وينفِقُ

لقد جل عن قدر الملوك الذي مضوا

إلى الغاية القصوى من الفضل يسبِقُ

يجود على العافي ويبدي اعتذاره

فأوراقه بالجود والبذل تورقُ

لقد أعجز المداح في بعض وصفه

عليهم بأنواع المكارم يغدِقُ

ومنها :

على أنه والله واحد عصره

وهل مثله من بعد ذا العصر يخلَقُ

ومن لامني في مدحه فهو جاهل

فجيدي بالإحسان منه مطوقُ

وإن كان مدح الغير عندي سنة

فمدحي له فرض عليَّ محقّقُ

وما ذكر مؤرخو مكة ذرية لصاحب الترجمة.

40-الشريف سَيْف بن أبي نُمي محمد بن أبي سعد الحسن بن علي الأكبر بن قتادة .ت 766)هـ 1364 /م :(

قال الفاسي :كان آخر أولاد أبي نمي وفاة، توفي سنة ست وستين وسبعمائة، على ما أخبرني به ولده محمد، ولم يذكر لي هذه السنة، وإنما قال :توفي سنة أم جرب، وهذه السنة تعرف عند العرب بهذا الاسم، لأن المواشي جَربت فيها .انتهى عن العقد.

قلت :وابن سيف الراوي لتقي الدين الفاسي، كان يقال له :محمد المجايش، وهو جد الأشراف المجايشة المعروفين في الليث .([321])والله أعلم.

ومن تأريخ وفاة سيف هذا ترى أن بين وفاته ووفاة أبيه نحو خمسٍ وستين سنة، فهو لا شك كان من المعمَّرين.

وبترجمة سيف هذا نأتي إلى آخر تراجم أبناء أبي نمي محمد بن أبي سعد.

41-الشريف غانم بن إدريس بن حسن بن قتادة) كان حياً سنة675 هـ1276 /م :(

تقدم ذكر له في أخبار أبي نمي وإدريس ابن قتادة .

وروى الفاسي عن ابن محفوظ :([322])أنه وجماز بن شيحة صاحب المدينة، وصلا في سنة سبعين وستمائة وأخذا مكة، وبعد أربعين يوماً أخرجهما أبو نمي .

وعن ابن الجزري :أن في التاسع عشر من ربيع الآخر سنة خمس وسبعين، يعني وستمائة، كانت وقعة بين أبي نمي صاحب مكة وبين جماز بن شيحة صاحب المدينة وإدريس بن حسن بن قتادة، فظهر عليهما أبو نمي، وأسر إدريس، وهرب جماز، وكانت الوقعة في مر الظهران([323])، وكان عدة من مع أبي نمي مائتي فارس، وثمانين راجلاً، ومع إدريس وجماز، مائتين وخمسة عشر فارساً، وستمائة راجل.

ثم يعقب الفاسي :وهذا الخبر يقتضي أن الذي حارب أبا نمي في هذا التأريخ، أي675) هـ(، مع جماز، إدريس بن حسن صاحب ينبع، والظاهر أنه غانم بن إدريس بن حسن، بدليل ما سبق من كلام ابن محفوظ، ولعل غانماً سقط في خط ابن الجزري سهواً .والله أعلم .انتهى عن العقد.

قلت :ويؤيد هذا أن الحسن بن قتادة توفي سنة623) هـ(، أي قبل هذه الوقعة باثنتين وخمسين سنة، وبهذا يفترض أن ابنه إدريس كان مسناً في هذا الزمن، ولذا يغلب أن غانماً ابن إدريس بن حسن بن قتادة هو صاحب هذا الخبر .والله أعلم.

–42الشريف عَجن بن رُميثة بن أبي نُمي محمد بن أبي سعد ...إلى قتادة المتقدم .يكنى عجلان أبا سريع، ويلقَّب عز الدين .ت 777) هـ 1375 /م):

ترجمه التقي الفاسي في العقد الثمين، مادة) عجلان (وقال :أمير مكة.

ولي إمرة مكة غير مرة، نحو ثلاثين سنة، مستقلاً بها مدة، وشريكاً لأخيه ثقبة مدة، وشريكاً لابنه أحمد بن عجلان مدة، كما سيأتي بيانه.

وقد ذكر ابن محفوظ المكي شيئاً من خبره، وأفاد فيه ما لم يفد غيره.

ورأيت أن ألخص هنا ما ذكره من خبره بالمعنى، مع ما علمته من خبره مما لم يذكره ابن محفوظ .وملخص ما ذكره ابن محفوظ :أن عجلان وأخاه ثقبة، اشتريا مكة من أبيهما رميثة في سنة أربع وأربعين وسبعمائة بستين ألف درهم، حين ضعف وكبر وعجز عن البلاد وعن أولاده، وصار كل منهم له فيها حكم .ثم إن ثقبة توجه إلى مصر بطلب من صاحبها الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وبقي عجلان وحده في البلاد، إلى آخر ذي القعدة من السنة المذكورة، ثم فارقها لما علم ان صاحب مصر قبض على اخيه ثقبة، وأنه وصل مرسوم من صاحب مصر لأبيه رميثة برد البلاد عليه، وقصد عجلان جهة اليمن، ومنع الجلاب ([324])من الوصول إلى مكة، فلم يصل منها إلا القليل.

وحصل في هذه السنة غلاء عظيم في أيام الحج .وكان حجاج مصر كثيرين، وكذلك حجاج الشام، ولما رحل الحاج من مكة، وصل إليها الشريف عجلان من جهة اليمن، ونزل الزاهر، وأقام بها أياماً .ثم بعد ذلك اصطلح هو وأبوه، وأخذ من التجار مالاً جزيلاً.

وذكر ابن محفوظ :أن في سنة ست وأربعين وسبعمائة :توجه عجلان إلى مصر، فولاه الملك الصالح البلاد دون أبيه.

ولما توفي الملك الصالح، وولي أخوه الملك الكامل شعبان السلطنة بالديار المصرية والشامية عوض أخيه الملك الصالح، كتب لعجلان مرسوماً بالولاية .ووصل عجلان إلى مكة، في رابع عشر جمادى الآخرة سنة ست وأربعين، ومعه خمسون مملوكاً شراء ومستخدمين، وقبض البلاد بلا قتال من إخوته، وتوجه إخوة ثقبة إلى نخلة، وأقام معه أخوه سند ومغامس بمكة وأعطاهما فيها رسماً، وأقاما على ذلك مدة، ثم إنه تشوش منهما، فأخرجهما من البلاد بحيلته إلى وادي مر، ثم أمرهما بالاتساع في البلاد، فلحقا بأخيهما ثقبة، وكان قد توجه إلى الديار المصرية قبل توجههما إليها بشهر، فلما وصلوا إلى مصر قبض عليهم بها.

ووجدت بخط جمال الدين بن البرهان الطبري :أن عجلان سافر إلى مصر في ثاني المحرم من سنة ست وأربعين، فولاه مكة الملك الصالح، وأنه دخل إلى مكة يوم السبت السابع عشر من جمادى الآخرة من سنة ست وأربعين وسبعمائة، وهو متولي مكة، وقرئ مرسومه بالتولية على زمزم، في الساعة الثالثة ([325])من النهار، ودعي له بعد المغرب، وللسلطان الملك الكامل، وصلى على أخيه الملك الصالح بعد المغرب، وقطع عجلان دعاء والده رميثة، وراح أخوه ثقبة إلى نخلة، وأعطى أخاه سنداً ثلث البلاد بلا دعاء ولا سكة، وأعطى أخويه مغامساً ومباركاً السرين، يعني الموضع المعروف بالواديين، وسافر ثقبة إلى مصر، ثم سافر بعده أخواه سند ومغامس إلى مصر، ثم جاء نجاب الشريف عجلان من مصر، في أوائل ذي القعدة من سنة ست وأربعين، وأخبر أن البلاد لعجلان، وأن إخوته قبضوا في مصر، حتى ينظر حال عجلان مع الحاج، وزين السوق بمكة .فلما مات رميثة بطلت الزينة .وكان موته في ثامن ذي القعدة من السنة المذكورة، بعد وصول النجاب بخمسة أيام .انتهى.

وذكر ابن محفوظ :أن عجلان نشر بمكة من العدل والأمان ما لم يسمع بمثله، وطرح ربع الجنايات، ورفع المظالم.

وذكر أن عجلان كان متولياً بمكة في سنة سبع وأربعين وسبعمائة، ولم يحدث فيها حادث.

وذكر أن في سنة ثمان وأربعين، وصل إخوته :ثقبة وسند ومغامس، بنو رميثة، ومحمد بن عطيفة من مصر، فأخذوا نصف البلاد من عجلان بلا قتال، بعد أن ملكها وده سنتين بلا شريك، وحصل من الأموال ما لا يحصى.

وذكر أن في سنة خمسين وسبعمائة، تنافر الشريفان عجلان وثقبة .وكان عجلان بمكة وثقبة بالجديد، ثم إن عجلان خرج إلى الوادي لقتال ثقبة، فلما أن بلغ الدكناء، رام المسير إلى ثقبة، فمنعه القواد من ذلك، ثم إنه نزل بوادي العقيق من أرض خالد، وأقام بها مدة يسيرة، ثم أصلحوا بينه وبين أخيه، وصعد عجلان إلى الخيف الشديدي ([326])وأقام بها مدة يسيرة، ثم توجه إلى مصر، وبقي ثقبة في البلاد وحده، وقطع نداء أخيه عجلان من زمزم.

فلما كان اليوم الخامس من شوال سنة خمسين وسبعمائة، وصل عجلان من مصر متولياًَ لجميع البلاد، فتوجه ثقبة إلى ناحية اليمن بلا قتال، وأقام عجلان متولياً لمكة بمفرده، وبقية سنة خمسين، وسنة إحدى وخمسين، ودخل ثقبة وأخوه إلى مكة، في ولاية عجلان هذه؛ لأنهم لايموا الملك المجاهد صاحب اليمن من حلي، وهو متوجه إلى مكة للحج، في سنة إحدى وخمسين .وكان عجلان همَّ بمنع المجاهد وإخوته من دخول مكة، فغلبوه ودخلوها، ولم يلتفت المجاهد لعجلان، ولا أنصفه، ولم يلتفت إلى أحدٍ من الأشراف والقواد، ولا إلى أمير الحاج المصري بزلار، وإنما أقبل على الأمير طاز، أحد الأمر المقدمين في الركب المصري .فعمل عليه عجلان عند أمير الركب بزلار، حتى ركب بزلار ولفيفه على المجاهد بمنى في أيام التشريق، وحاربوا المجاهد، ولم يقاتل، وإنما قاتل عسكره، فانكسر عسكر المجاهد ونهبت محطته، وأخذ أسيراً بأمان، وحمل إلى مصر.

ثم إن المصريين هموا بالقبض على عجلان؛ لأنه ربما أظهر للمجاهد أنه معه على المصريين، فلما علم بذلك عجلان، أخبر أصحابه، فاجتمعوا إليه وصاروا في جمع عظيم .فلما أحسّ بهم الأمراء المصريون، هالهم ذلك، وأنكروا على عجلان، وسألوه أن يكفهم عنهم فكفهم، ورحل الحاج من فوره، وأقام عجلان بمكة بقية سنة إحدى وخمسين.

وفي سنة اثنتين وخمسين، كان عجلان بمكة، وثقبة بالجديد، وجبى ثقبة الجلاب الواصلة إلى جدة، جباءً عنيفاً ونجلها جميعاً.([327])

وفي سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة، وصل مرسوم من صاحب مصر، يطلب الشريفين عجلان وثقبة، فتوجها إلى القاهرة .فأما ثقبة فبلغها، وأما عجلان فإنه وصل إلى ينبع، وقصد منها المدينة النبوية للزيارة، وتوجه منها إلى مكة .ولم يزل مالكها إلى ذي القعدة من سنة اثنتين وخمسين، ومنه ثقبة لما أن وصل من مصر متولياً لمكة بمفرده، من دخول مكة .فأقام ثقبة بخليص، إلى أن وصل الحاج المصري في سنة اثنتين وخمسين، وجاء ثقبة مع أمير الحاج المجدي، وأراد عجلان منعهما من دخول مكة، ثم إن المجدي أصلح بين الأخوين، على أن يكون لكل منهما نصف البلاد، بموافقة ثقبة على ذلك.

وفي سنة ثلاث وخمسين، توجه عجلان إلى ناحية اليمن، فلقي جلبة ([328])وصلت من اليمن فيها عبد القاضي شهاب الدين الطبري قاضي مكة، وجماعة من أهل مكة فأخذ ما فيها، وكان قدراً جسيماً .وبعد فعله هذا بأيام، زالت إمرته من مكة؛ لأن أخاه ثقبة لما بلغه فعل عجلان هذا، توجه إلى عجلان، وعجلان في قلة من أصحابه، وغرَّه بالصلح، فوثب عليه، وقيد معه علي بن مغامس بن واصل الزَّباع([329])، وأخذ جميع ما كان مع عجلان من الخيل والإبل .فلما كان الليل، ورقد الموكل بعجلان، خلع عجلان القيد من رجليه، وكان واسعاًُ، وهرب إلى امرأة من الفريق الذي كانوا فيه فانزوى إليها، وعرفها بنفسه، وسألها أن

تخفيه فقالت لبه :ما تخشى من ثقبة؟ فقال لها :لا بأس عليك، أنا أتحيل في إخفائي، بأن أحفر حفرة تغيبني، وأقعد فيها، وحُطِّي عليَّ أمتعتك ولا عليك .فلما انتبه الموكل بعجلان فقده، فلم يجده، فذهب إلى ثقبة، وعرفه الخبر .فأخذ هو وأصحابه في طلب عجلان فلم يجدوه، وأتى إلى بيت المرأة التي هو مختفٍ عندها، ودوره بنفسه، فلم يجد عجلان فيه .فلما كان الليل، أُركب فرساً وراح إلى بني شعبة باليمن.([330])

وفي سنة أربع وخمسين توجه عجلان إلى نخلة، بعد أن كان في أول السنة بالواديين، وأخذ منها المال الذي كان نهبه، وقصد الجديد، وفرّق المال، وأقام بالجديد، إلى آخر السنة، فلما آن وقت وصول الحاج، وسمع أن البلاد لأخيه ثقبة، وليس له فيها أمر، ارتحل إلى الحردة([331])، وبعث إليه أمير الحاج المصري، وهو الأمير عمر شاه، بأمان، وأمره أن يصل إليه ويصلح بينه وبين أخيه .فتوجه إلى عجلان ولقيه بالجموم، وأخلع أمير الركب على عجلان، وسار معه إلى مكة، فلما أن وصل الأمير إلى الزاهر، خرج إليه ثقبة وإخوته على جاري العادة، لتلقي الأمير وخدمة المحمل، فأحاط به أصحاب الأمير، وسألوا ثقبة في الإصلاح بينه وبين أخيه عجلان، فأبى إلا أن يكون السلطان رسم بذلك، وصمم على ذلك .فقبض عليه وعلى إخوته ودخلوا بهم مكة محتاطين عليهم؛ وأمَّر الأمير عجلانَ على مكة، فقبض عجلان البلاد، وذهب أمير الركب بالأشراف إلى مصر تحت الحوطة.

ودام عجلان على ولاية مكة بمفرده سنة خمس وخمسين وفيما بعدها، كما سيأتي بيانه.

وكان في سنة خمس وخمسين، عشَّر جميع نخل مر وقت الصيف، وجعل على كل نخلة أربعة دراهم وثلاثة ودرهمين .وسبب ذلك :أن المجاهد صاحب اليمن، من وقت رجوعه إلى اليمن بعد القبض عليه بمنى، منع التجار من السفر إلى مكة، فقلّ ما بيد عجلان، وفعل ما ذكرناه من عشره للنخيل، وحصل له من ذلك مال جزيل، وعنف في هذه السنة بالأشراف والقواد

عنفاً عظيماً، وأخذ منهم ما كان أعطاهم من الخيول والأموال، وكان أغدق عليهم في العطاء، بحيث يقال :إنه وهب في يوم واحد مائة وعشرين فرساً، وألفين ومائتي ناقة، وثلاثمائة ألف درهم وستين ألف درهم.

وفي سنة ست وخمسين وسبعمائة :وصل إليه توقيع بالاستمرار في الولاية مع الرَّجَبِيَّة([332])، في أول شهر رمضان .فلما كان اليوم الثالث والعشرون منه، وصل الشريف ثقبة وأخواه إلى الجديد، في ثلاثة وخمسين فرساً، فأقاموا به، وكانوا فروا من مصر، ووصلوا إلى وادي نخلة، وليس معهم إلا خسة أفاس .وكان عجلان عند وصولهم بخيف بني شديد، فارتحل إلى مكة وأقام بها .فلما كان ثالث عشر القعدة، نزل ثقبة ومن معه المعابدة، وأقاموا بها محاصرين لعجلان .وجرى في هذا اليوم بين العبيد بعض قتال، قتل فيه بعض القواد اليواسفة، هو ومن معه في صبيحة يوم الاثنين الرابع والعشرين من ذي القعدة إلى الجديد، وأقاموا به .فلما كان وقت وصول الحاج، رحلوا إلى ناحية جدة، وأخذوا الجلاب ودبروا بها .فلما رحل الحاج من مكة، توجهوا بالجلاب ونجلوها، ونزلوا الجديد.

فلما كان يوم التاسع عشر من المحرم سنة سبع وخمسين، اصطلح عجلان وثقبة، واقتسما الإمرة نصفين، وانقسم الأشراف والقواد، وكان مع عجلان خمسون مملوكاً، فقسمها بينه وبين أخيه .وكانت ولاية عجلان لمكة بمفرده بعد القبض على أخيه ثقبة، سنتين وخمسين يوماً أو نحوها.

فلما كان اليوم الثالث عشر من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين، توجه ثقبة من ناحية اليمن إلى مكة، وملكها بمفرده، وقطع نداء أخيه عجلان على زمزم، وأقام بمكة إلى الموسم، وعجلان بالجديد .

فلما وصل الحاج مكة في موسم سنة سبع وخمسين، دخلها عجلان مع الحاج وملكها بمفرده، بعد أن فارقها ثقبة في هذا التاريخ، وبعد من مكة، ثم إنه وصل ونزل الجديد، وأقام به مدة، ثم وصل إلى الجديد ثانياً، فعمل عليه أصحابه القواد، وحالفوا عجلان .فارتحل ثقبة إلى خيف بني شديد، ثم أتى نخلة، ثم التأم عليه جميع الأشراف، ونزلوا خيف بني شديد، والتأم جميع القواد على عجلان، وخرج من مكة ونزل الجديد، ثم ارتحل منه إلى البرقة ([333]) طالباً قتال ثقبة ومن معه، فمنعه القواد من ذلك، وأقام بالبرقة قريباً من شهر، وجمع صروخاً ([334])كثيرة، وذلك في شهر رجب سنة ثمان وخمسين، ثم عاد إلى الجديد، ورتب في مكة خيلاً ورجلاً.

فلما وصل الحاج في هذه السنة، اصطلح الشريفان ثقبة وعجلان، وحج الناس طيبين، ولم يزل عجلان وثقبة مشتركين في الإمرة بمكة، وكان سند مع إخوته في ناحية اليمن، وابن عطيفة بمصر، ووصل إلى مكة في ثامن شهر جمادى الآخرة من سنة ستين وسبعمائة، ومعه عسكر وصل به من مصر- تقدم خبره ([335])في ترجمة ابن عطيفة -وخلع عليه وعلى سند بعد وصوله إلى مكة بالإمرة، وتوجه عجلان إلى مصر ومعه ابناه أحمد وكبيش .وكان صاحب مصر قد استدعى عجلان وثقبة للحضور إليه، قبل وصول هذا العسكر غغ 6مكة، فاعتذرا عن الحضور إليه.

وكان وصول الطلب إليهما منه، في جمادى الأولى من هذه السنة، وسبب طلبهما ما حصل بمكة من الجور، بسبب افتراق الكلمة بمكة.

ولما وصل عجلان إليه مصر، قبض عليه وعلى بنيه، ولم يزل بها حتى أطلقه الأمير يلْبُغا العمري المعروف بالخاصكي، لما صار له الأمر بالديار المصرية، بعد قبضه على أستاذه، الملك الناصر حسن بن الملك الناصر محمد بن قلاوون، في أثناء سنة اثنتين وستين وسبعمائة، وبطل

يبلغا العسكر الذي كان السلطان حسن أمير بتجهيزه إلى الحجاز بسبب قتال بني حسن؛ لأنه جهز إلى مكة في سنة إحدى وستين عسكراً من دمشق مقدمهم الأمير قندس، وعسكراً من دمشق مقدمهم ناصر الدين بن قراسنقر، وأمرهم بالمقام بمكة عوض جركتمر والعسكر الذي وصل إلى مكة مع ابن عطيفة، لتأييده وتأييد سند، لما وليا إمرة مكة في سنة ستين وسبعمائة ووصل قندس ومن معه، وابن قراسنقر ومن معه، إلى مكة في موسم سنة إحدى وستين وسبعمائة، وأقاموا بها بعد الحج، وتوجه منها حركتمر ومن معه، وحصل بمكة بإثر سفر الحاج، فتنة بين العسكر الذي بمكة، وبني حسن، فاستظهروا على الترك قتلاً ونهباً، وخرجوا من مكة على وجه مؤلم، فعظم ذلك على السلطان حسن، وأمر بتجهيز عسكر لقتال بني حسن، ومن يتخيل منه الخلاف من أعراب الحجاز.

فلما قتل السلطان حسن، كان ما ذكرنا من الإعراض عن سفر العسكر المشار إليه إلى مكة، وتوجه عجلان إلى مكة، وقد ولي إمرتها شريكاً لأخيه ثقبة– على ما بلغني، بسبب تسكين ثقبة الفتنة على العسكر –ووصل عجلان إلى وادي مر، في آخر شهر رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة، أو في أوائل شوال منه .وقصد ثقبة السلام عليه، وكان ثقبة ضعيفاً قد أنهكه الضعف، فأظهر القوة والجلد لعجلان، حين حضر إليه، وأنكر على عجلان نزوله في الموضع الذي نزل فيه .فقال له عجلان :نرتحل منه، وأقام ثقبة أياماً قليلة، ثم توفي، ودخل عجلان عند وفاة ثقبة إلى مكة، وأمر ابنه أحمد بن عجلان باللحاق بأخواله القوّاد ذوي عمر([336])، ليسألهم أن يسألوا له أباه عجلان، في أن يشركه معه في إمرة مكة، ففعل، وحضر القواد إلى عجلان، وسألوه ذلك ففعل، وجعل له ربع البلاد .وقيل إنه لما أتى مكة بعد موت أخيه ثقبة، أمر ابنه أحمد بن عجلان بالطواف نهاراً، وأمر المؤذن على زمزم بالدعاء جهراً، كما يصنع لأمراء مكة، وجعل له ربع الحاصل، وأمره بقصد أخواله ليعضدوه ففعلوا.

وفي سنة ثلاث وستين :توجه عجلان من مكة لحرب صاحب حلي الأمير أحمد بن عيسى الحرامي– ([337])بحاء وراء مهملتين –والتقى الفريقان بموضع يقال له» :قحزة– ([338])بقاف وحاء مهملة وزاي معجمة وهاء –بقرب حلي، فكان النصر لعجلان وأصحابه، فلم يقتل منهم إلا اليسير، وقتل من المحاربين لهم نحو المائتين– فيما قيل –واستولوا على حلي، وعلى أموال كثيرة لأهلها، واستأثر عجلان بأشياء من ذلك، فلم يسهل ذلك بمن كان معه من بني حسن، وتغيرت عليه خواطرهم .وتقدم عنه إلى صوب مكة طائفة منهم، وكاتبوا أخاه سند بن رميثة، وأطمعوه بالنصر .وكان قد ظفر بجلبة فيها مال لتاجر مكي، يقال له ابن عرفة، في غيبة أخيه بحلي، والتأم عليه طائفة من بني حسن، وفرق عليهم ما نهبه، وقدر أنه هلك بإثر ذلك، فلم يجدوا شيئاً يغيظوا به عجلان، إلا بتوليتهم ([339])لولده أحمد بن عجلان عليه، وقالوا له :سله يزيدك ربعاً آخر فتستويان، وعرف بذلك عجلان، فأعطى ولده ربعاً آخر من حاصل البلاد، لعلمه أنه يغرم ذلك وأكثر منه لبني حسن، ثم يصلحون بينهم على ذلك، واستمرا على ولاية مكة، وعلى أن يكون لكل منهما نصف الحاصل، إلى سنة أربع وسبعين وسبعمائة، أو قبلها بقليل، ثم بدا لعجلان في ترك الإمرة كلها لابنه أحمد على مال جزيل من النقد، يسلمه إليه ابنه أحمد، وعلى أن يشتري منه جانباً من خيله بمالٍ جزيل شرطه، وكان من سبب ذلك فيما قيل :أن عجلان حين رأى علو قدر ابنه أحمد، ومحبة الناس له، أمر لابنه محمد بخيل ودروعٍ بنخلة ليضاهي أخاه أحمد، فلم ينهض محمد لما أُريد منه، ونمي هذا الخبر إلى أحمد بن عجلان، فعاتب أباه على ذلك، واعتذر له :وقال :سأترك لك البلاد . فوقع الاتفاق بينهما على أن يعطيه من النقد ما شرطه عجلان، وأن يكون له في كل سنة الخبز الذي قرر لعجلان بديار مصر، على إسقاط المكس عمن يصل إلى مكة من المأكولات، وعما يل من الأموال مع حجاج الديار المصرية والشامية برَّاً وبحراً، وهو مائة ألف درهم وستون ألف درهم، وألف أردب قمح، وأن لا يسقط اسم عجلان من الدعاء في الخطبة وغيرها، مدة حياته، فالتزم بذلك أحمد بن عجلان .ثم عن عجلان ندم على ذلك وألح على ابنه أحمد، في تحصيل المال النقد الذي شرطه عليه، استعجازاً منه لع عن تحصله، ليكون

ذلك سبباً إلى أن يرجع الأمر له كما كان من غير نكثٍ منه، فقُيِّض لأحمد بن عَجْلان من أعانه على أحضار المال المشروط، فأحضره إلى أبيه، فلم يجد أبوه من قبوله بداً، وامتعض من ذلك، ووفى أحمد لأبيه بما التزم له من اختصاص أبيه بمعلوم مصر، والدعاء له في الخطبة، حتى مات أبوه عجلان في ليلة الاثنين الحادي عشر من جمادى الأولى سنة سبع وسبعين وسبعمائة بمكة، ودفن بالمعلاة، وبني عليه فيها قبة، وقد بلغ السبعين أو قاربها.

وكان ذا عقل ودهاء ومعرفة تامة بالأمور وسياسة حسنة، وفيه محبة لأهل السنة ونصرة لأهلها، وربما ذكر أنه شافعي المذهب، وحين حضره الموت، أوصى قاضي مكة أبا الفضل النويري، بتولي غسله والصلاة عليه مع فقهاء السنة.

وبلغني أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، ذكر عنده لينظروا رأيه فيه، فقال عجلان : معاوية شيخ من كبار قريش، لاح له الملك فلقفه .هذا معنى ما بلغني عنه في حق معاوية رضي الله عنه.

وكان– على ما بلغني –يقوم الليل، ويطوف كثيراً في آخر عمره، فلا جرم أنه رأى سعادة عظيمة، وتهيأت له أمور حصل له بها فخر عظيم.

فمن ذلك :أن في سنة ثلاث وستين وسبعمائة، ملك البلاد المعروفة بحلي ابن يعقوب، كما سبق ذكره، وعظم شأن عجلان بهذه الواقعة، ومدحه الناس بسببها.

وما علمت أن أحداً قبله من الأشراف ولاة مكة، استولى على حلي، غير أبي الفتوح الحسن بن جعفر المتقدم ([340])ذكره، ولم يتفق ذلك لأحد بعد عجلان، إلا لولده السيد الشريف حسن بن عجلان.

وكان توجه إليها في صفر سنة أربع وثمانمائة، بعد موت صاحبها دريب بن أحمد بن أحمد بن عيسى مقتولاً، في حرب كان بينه وبين كنانة، في يوم عرفة سنة ثلاث وثمانمائة، وهرب منه الأمير موسى بن أحمد أخو دريب، ورتب فيها الشريف حسن بن أحمد بن ديب ([341]) وأخواله من بني كنانة .وعاد إلى مكة في جمادى الأولى من سنة أربع وثمانمائة.

ومن ذلك :ما اتفق في أيامه، من إسقاط المكس كما ذكرنا، وذلك في سنة ست وستين.

ومن ذلك :تقدم أولاده في النجابة في حياته وبعد موته، وقد ذكرنا في هذا الكتاب شيئاً من تراجمهم.

ومنها :اتساع الدنيا لديه .فقد بلغني أنه ملك من السقاية بوادي مر ونخلة، مائتي وجبة ماء . وله من العمارات بمكة الموضع المعروف بالعلقمية عند المروة، ومدرسة أنشأها بالجانب اليماني من المسجد الحرام، مطلة عليه، مقابلة لمدرسة الملك المجاهد، وحصن بجياد، بلحف جبل أبي قبيس، وحصن مليح، بأرض حسان، وأصائل حسنة بها وبغيرها من وادي مر .وكان يغالي في شراء ذلك وينصف في الثمن، وملك من العبيد والخيل والدروع شيئاً كثيراًً.

ومن أفعاله المحمودة :سبيل للماء بالمروة م العلقمية، وصدقة على الزوار لنبي في طريق الماشي .وهذه الصدقة جزء من المال المعروف بمال ابن حسان صاحب خليص، بواسط هدة بني جابر([342])، بما لذلك من السقية، ونفعها مستمر إلى الآن .اجزل الله ثوابه.

ولشيخنا بالإجازة، يحيى بن يوسف المعروف بالنشو([343])، الشاعر المكي فيه مدائح كثيرة . منها للنشو فيما أنبأنا به من قصيدة أولها :

لولا الغرام ووجده ونحولُهُ

ما كنت ترحمه وأنت عذولُهُ

إن كنت تنكه فسل عن حاله

فالحب داء لا يفيق عليلُهُ

يا من يلوم على الهوى

دع لومهم فالصبر مات جميلُهُ

ومنها :

دع عنك من لا خير فيه من الورى

لا تمتدحه ففي الأنام بديلُهُ

وامدح مليك العصر وابن مليكه

من شاع ما بين الملا تفضيلُهُ

عجلان نجل رميثة بن محمد

أمِنَ الحوادث والخطوبَ نزيلُهُ

ملكٌ إذا قابلت غرة وجهه

فلك الغنى والفقر عنك يزلُهُ

ورث المكارم كابراً عن كابر

فنواله للعالمين ينيلُهُ

من آل أحمد واحد في عصره

فهو الشريف ابن الشريف سليلُهُ

ماذا يقول المدح فيه وما عسى

إذ كان يخدم جدَّه جبريلُهُ

أما الملوك فكلهم من دونه

كالبدر في أفق السماء حلولُهُ

سلطان مكة والمشاعر والصفا

من لا يخاف من الزمان نزيلُهُ

لو حاول النجم العظيم لناله

تنبيك عنه رماحه ونصولُهُ

سكنت محبته القلوب جميعها

لما تقارن سعده وقبولُهُ

انتهى عن العقد الثمين بشيء من الاختصار.

قال مؤلفه :فمما تقدم وغيره.

وقد انحصرت الإمرة في ذرية عجلان، ثم في ابنه حسن إلى ما شاء الله .ورغم فحولة عجلان وعدله وغناه وخيريته، لم يصل إلينا فيه مدائح غير هذه المقطوعة التي يظهر فيها التصنيع، كما أنه عانى في سبيل الحكم كأهل بيته من تسلط الأعاجم الكثير، ومع هذا تعامل مع هذا الأمير من سنة744–777) هـ (وهي مدة (33) سنة لا (30) سنة كما ذكر التقي في أول هذا البحث.

وباستقراء بقية مؤرخيه نجد أن غالب ما ذكروه منقول عن التقي الفاسي الذي كان زمنه رديفاً لزمن عجلان، ولعله رآه.([344])

غير أن شيخ الإسلام صاحب خلاصة الكلام ذرك أن أول ولاية لعجلان هي سنة745) هـ (لا كما ذكر شيخ مؤرخي مكة التقي، وكل من جاء بعده تابع هذه الأخبار.

وكان لعجلان ذرية مباركة انحصر فيها الحكم بعده، منهم:

-1الحسن بن عجلان، ومعظم أشراف الحجاز اليوم من ذريته.

-2أحمد بن عجلان، ولي الحكم وترجم له هنا، هو وولده الوحيد محمد.

-3محمد بن عجلان، وله ابن اسمه رميثة.

-4رميثة بن عجلان، باسم جده، وقد تقدم.

-5علي بن عجلان.

-6كبيش بن عجلان .

-7حرض بن عجلان.

43-الشريف مبارك بن رُميثة بن أبي نُمي محمد ...إلى قتادة .ت) هـ /م:(

ترجمه الفاسي في العقد الثمين، مادة مبارك، فقال :كان ملائماً لأخيه عجلان، أيام منازعته لأخيه ثقبة في إمرة مكة، ودخل مبارك إلى مصر، بعد موت ثقبة، واستقرار مكة لأخيه عجلان، فما شوش على عجلان، ولو أراد ذلك لتأتي له فيما بلغني، لأنه بلغني أن يبلغا الخاصكي كان حنقاً على عجلان، فلما بلغه قدوم مبارك، فرح به، وظن أنه يسأله ولاية مكة، لأن يلبغا كان إليه تدبير المملكة بمصر، فما سأله مبارك في ذلك، وإنما سأله في خبز يكون له ولبناته من بعده، فاعرض يلبغا عنه .ودخل بغداد في زمن أويس، وناله منه برٌّ، وملك بأرض خالد أصيلة حسنة ([345])وخلف ثلاثة ذكور، وأنجبوا، وهم علي، وعقيل، أشركه عنان في إمرة مكة في ولايته الأولى، وأحمد المعروف بالمهذباني، معتبر عند الناس.

قال مؤلفه :وبآخر الترجمة نقط تدل على نقص لم يكمل، وبنوه الثلاثة ترجمة لهم الفاسي في نفس هذا المصدر) العقد الثمين.(

ولم يذكر احد وفاته، إلا أنه من سياق الترجمة يبدو أنه عُمِّر بعد ثقبة المتوفى سنة762) هـ (حيث زار العراق وتأثل مالاً بوادي مر.

قلت :وعقيل بن مبارك المشار إليه ذريته :الهلمان، الموجودن اليوم بالليث، وهم- كما يقولون :-ابنا هُلمان بن فواز بن عقيل ابن مبارك بن رميثة بن أبي نمي.

رواية الشريف :عبد الله بن محمد المشاشي من أهل الليث.

أما علي فقد ذكرت ذريته في ترجمته.

-44الشريف أحمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي محمد ..إلى قتادة ت 788) هـ / 1386م :(

قال الدحلان- ([346])في أثناء الحديث عن عجلان :-ثم أشرك معه ابنه أحمد في شوال من السنة المذكورة أي762) هـ (وجعل له ربع المتحصل، وقطع الدعاء لسند على المنبر، وأمر بالدعاء لابنه أحمد، ثم إن سند ابن رميثة استولى على جدة، ونازع في الإمرة .. الخ([347])، ثم انفرد بها أحمد بن عجلان بسؤال من أبيه على شروط، منها :أن لا يقطع اسمه في الخطبة، والدعاء بأعلى زمزم، فولى أحمد ذلك، وكان شجاعاً، وجمع من الأموال والخيل ما لم يجمعه أحد قبله .وفي سنة766) هـ (أسقط السلطان المكس المأخوذ بمكة، وعوض عنه صاحب مكة (160000) مائة وستين ألف درهم من بيت المال، وألف أردب قمح، وقرر ذلك في ديوان السلطان .وفي سنة785) هـ (وقعت فتنة بين حاج التكرور والمغاربة، وبين حجاج العراق واليمن، زمن الحج، وقتل فيها نحو ألف إنسان، واستمر الدعاء على المنبر للشريف عجلان وابنه أحمد إلى سنة777) هـ (فانتقل الشريف عجلان للجديد من وادي مر، ثم توفي به .([348])ثم استمر أحمد بن عجلان إلى سنة778) هـ (فأشرك معه ابنه محمداً، ودامت ولايتهما إلى سنة788) هـ (فتوفي أحمد.

وذكر الفاسي ([349])في العقد، فأطال- كعادته -في ترجمته، وقال :يكنى أبا سليمان، ويلقب شهاب الدين .ولي مكة شريكاً ومستقلاً ستاً وعشرين سنة، تنقص يسيراً .وذكر له مناقب كثيرة، من أهمها :العدل والشجاعة، وقال :وكان لأحمد بن عجلان سيرة مشكورة، ومحاسن مذكورة، لأنه كان كثير العدل في الرعية، وبلغت خيله نحو أربعمائة، وعبيده نحو ثمانمائة([350])، وما تأتي ذلك لمن كان قبله من أمراء مكة المقاربين لعصره .ثم ذكر أنه

مرض مرضاً شديداًّ فمات منه سنة788) هـ(، عن نحو ثمان وأربعين سنة .انتهى ما نقلته عن الفاسي باختصار.

-45الشريف محمد بن أحمد بن عَجلان- بفتح العين -ابن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الحسني، المكي ت 788) هـ1386 /م :(

هكذا نسبه التقي الفاسي بهذه النسبة المطولة، ففضلت أن أتركها كما هي، لترد على من أزاغ الله قلوبهم([351])، الذين نفوا هذا النسب الشريف.

ثم قال الفاسي :يلقب :جمال الدين .أمير مكة .

ولي إمرة مكة ثمان سنين شريكاً لأبيه، غير مائة يوم من آخرها، فإنه استقل بها بعد أبيه.

وأول ولايته :في سنة ثمانين وسبعمائة.

وكان يصل إليه من صاحب مصر، سبب ذ1لك، تقليد وخلعه في كل موسم، على ما ذكر لي والدي، وهو المخبر لي بولايته في سنة ثمانين .ولم يكن لولايته في حياة أبيه أثر؛ لأن أباه كان يقوم بمصالح العسكر، وهو الذي ينظر في الأمور إلى أن مات .فعند ذلك نظر فيها ولده مع عمه كبيش وكان لا يفصل أمراً دون كبيش، وإلى كبيش معظم النظر في الأمور.

وبعث محمد– بعد موات أبيه –إلى الملك الظاهر صاحب مصر كتاباً يخبر فيه بموت أبيه، ويسأل استقراره عوضه في إمرة مكة، ومحضراً فيه خطوط أعيان أهل الحرم بسؤال ولايته.

فأجاب السلطان إلى ذلك، وبعث إليه تقليداً وخلعه بالولاية مع رسوله عطيفة بن محمد بن عطيفة بن أبي نمي، فبلغ مكة في آخر شوال سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، أو في أول ذي القعدة منها.

وفي ليلة العشرين من شعبان هذه السنة :مات أحمد، فلبس ابنه خلعة الولاية وقرئ تقليده بالإمرة بالحرم الشريف على رؤوس الأشهاد.

وكان السلطان ولاه ذلك وهو متغير عليه لما بلغه عنه من موافقته على كحل الأشراف الذين مات أبوه، وهم في سجنه([352])، وهم :عمه :محمد بن عجلان، وخالاه :أحمد، وحسن ابنا ثقبة، وابن خاله علي بن أحمد بن ثقبة، لأن السلطان المذكور كان سأل أباه في إطلاقهم فامتنع، فأضمر السلطان ولاية عنان ابن مغامس بن رميثة لإمرة مكة عوض محمد هذا، وسيره مع الحاج المصري، ولم يطلعه على ذلك وأمر أمير الحاج بعدم الاحتفال به لئلا يشوش من إكرامه محمد بن أحمد فينفر فيفوت المراد منه.

وعرَّف السلطان الأمير جركس الخليلي أمير أخور المالكي الظاهري بما في نفسه في حق محمد وعنان، وكان من الحجاج في هذه السنة– وهي حجته الأولى، وحجته الثانية في سنة تسعين وسبعمائة –فلما وصل إلى مكة خدمه محمد وأمه السيدة فاطمة بنت ثقبة كثيراً .وبعثت إليه أمه تسأله عن حال ابنها وعنان، فذكر لها أنه لا يعلم على ابنها سوءاً .وربما قيل :إنه حلف لها على ذلك .فانشرح لذلك خاطرها وحسنت لابنها الإقدام على ملاقاة المحمل

المصري لخدمته على عادة أمراء الحجاز، وكان محجماً عن ذلك لإشارة كبيش عليه بعدم ملاقاة المحمل، وما زالت به أمه حتى وافقها على مرادها.

فخرج في عسكره إلى أن حضر عند المحمل، فلما أخذ يقبل خف الجمل على العادة، وثب عليه باطنيان فجرحاه جرحات مات بها من فوره.

وذلك :في يوم الاثنين مستهل الحجة سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، وله نحو عشرين سنة، ونقل إلى المعلاة، ودفن بها بعد الصلاة عليه وغسله وتكفينه .وتوجع الناس عليه كثيراً، سيما أمه.

ويقال :إنها كانت دعت عليه بالهلاك بعد أن عرفت بكحل أخويها، ومن ذكر معهما لعظم ألمها لذلك وألم الناس أيضاً لكحلهم .فإن صح عنها ذلك :فقد استجيب دعاؤها وما خطر لها ببال قتله.

وكان كبيش يتوقع له ذلك، ولذلك نهاه عن ملاقاة المحمل .وكانت أمه لا تظن يصيبه من السوء في ملاقاة المحمل غير اعتقاله، وغلب على ظنها سلامته لما ذكر لها الخليلي.

ويقال :إن الخليلي عوتب على ما ذكره لأمه، لأنه ظهر بعد ذلك ما يدل على علمه للسوء فيه، فاعتذر بعدم قدرته على إفشاء السر، وقال :كان ينبغي لهم أن يفطنوا لملازمة جماعتنا لحمل السلاح، وما كان لمحمد في كحل المذكورين راحة؛ لأنه ابتلي بفقد الحياة .ويستبعد أن يكون للمذكورين على ذلك قدرة إلا أن يشاء الله وكل ما يسدونه إليه من الأذى يسير بالنسبة إلى ما أصابه من البلاء.

ويقال :إنه لم يوافق على كحلهم، حتى عظم عليه في التخويف من شرهم، فما نفعه الحذر من القدر، ولكنه فاز بالشهادة.

ولما قتل أعلنت ولاية عنان بمكة عوض المذكور.

ودخل مكة مع الترك، وهم متسلحون حتى انتهوا إلى أجياد، فحاربوا من ثبت لهم من جماعة محمد، ثم ولوا .وترك الترك الحرب منع التيقظ مخافة العدو.

وانقطع بقتل محمد ولاية أولاد أحمد.

ويقال :إن أحمد بن عجلان، رأى في المنام أن عناناً حب ذكره، فذكر ذلك أحمد لبعض الناس، فقال له :يقطع عنان ذكر ولدك المذكور، فكان كذلك؛ لأن محمداً قتل ولم يترك ولداً ذكراً، وما ترك أبوه ذكراً غيره.

وكان أحمد قد منح ابنه محمداً هذا ثلاثة خيوف، أحياها بوادي مر وهي :البثنى، والبحرين والحميمة.([353])

وثبت إقرار أحمد بملك ابنه لذلك عند قاضي مكة محب الدين النويري بشهادة عمه القاضي نور الدين النويري على أحمد بن عجلان بذلك، ويمين ابنه محمد على صحة ذلك عند الحجر الأسود.

وكان أبوه زوَّجه على ابنة علي بن مبارك ابن رميثة بن سعدانه بنت عجلان.

واحتفل أحمد بالنفقة في عرس ولده عليها احتفالاً عظيماً، ورزق منها بنتاً تسمى :شمسية، هي الآن زوجة السيد رميثة بن محمد بن عجلان أمير مكة، في سنة تسع عشرة وثمانمائة .فالله يسدده وإلى الخير يرشده.

قال مؤلفه :

وبنص ترجمة الفاسي هنا إن صاحب الترجمة لم يخلف ولداً، وإن أباه لم يخلف غيره، ولذا فإن أحمد بن عجلان انقطع نسله، كما نوهنا في ترجمته.

46-الشريف كُبَيش بن عجلان بن رميثة، وتقدمت ترجمتا أبيه وحده، يكنّى أبا فوز .ت 789)هـ 1387 /م :(

ترجمه العلامة التقي الدين الفاسي([354])، فقال :كان ينوب في إمرة مكة عن أبيه وأخيه أحمد، وألقى إليه مقاليد الإمرة، لوفور رأيه وشهامته وكفايته، وأمره بتدبير أمر ولده بعده، فقام به أحسن قيام، إلا أنه لم يحمد على ما فعله من كحل الأشراف، الذين كان اعتقلهم في سنة سبع وثمانين] وسبعمائة [الشريف محمد بن أحمد بن عجلان، بعد موت أبيه أحمد بن عجلان، وهم :محمد بن عجلان، وأحمد وحسن ابنا ثقبة، وعليّ بن ابن عجلان، بنحو عشرة أيام، وذلك في آخر شعبان سنة ثمان وثمانين وسبعمائة .والذي حمل كبشاً على ذلك، ما توهَّمه في أنّ ذلك حسم لمادة شرهم عنه، وعن ابن أخيه، فلم يتم له مراده، لأنه لما كان الموسم من هذه السنة، خرج ابن اخيه محمد بن أحمد للقاء المحمل، على عادة أمراء مكة، في يوم الاثنين مستهلّ الحجة سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، فلما وصل عند المحمل، أحاط به الترك الذين حوله، فلما رأى كبيش إحاطتهم به، فرَّ إلى جهة جدة، وكان منعزلاً عن ابن أخيه بمقربة منه، لأنه كان أشار عليه بأن لا يحضر لخدمة المحمل، لما بلغه من إضمار الشر

من أمير المحمل على ابن أخيه، وتبع بعض الترك كبيشاً فلم يظفروا به، وظنّ أن ابن أخيه لا يصل إليه بغير القبض عليه، فلما بلغه قتل ابن اخيه، أَلَم عليه وود أنه كان حضر عنده، وقاتل من قتله، ولو قدر أنه فر إلى مكة، لما خرجت من يد آل عجلان، ولكنه ساق في يومه حتى بلغ جدَّة– بالجيم –فأقام بها ثلاثاً، ثم فارقها لما حضر إليها علي ابن مبارك بن رميثة، ومن معه من جماعة عنان بن مغامس الحسني، وكان ولي إمرة مكة، بعد قتل محمد بن أحمد بن عجلان .ولما فارق كبيش جدة، قصد طريق الحاج، وتعرَّض للقاء الأمير جركس الخليلي، وكان حج في هذه السنة، وهي أول حجاته، وحسَّن لمحمد بن أحمد بن عجلان، الحضور لخدمة المحمل، وأوهمه أن لا خوف عليه في ذلك، واستعطف كبيشٌ الخليليَّ على آل عجلان، وقال كبيش للخليليّ :إنما تركت التعرّض للحاجّ إكراماً لك، وسأله المساعدة على ما يعود نفعه على آل عجلان، إذا وصل إلى الديار المصرية، ووعده الخليلي بذلك .ثم إن كبيشاً جمع جمعاً كثيراً من الأعراب، وقصد بهم جدة، ومعه أيضاً القواد العمرة، فملكها هو ومن بذلك عنان، خرج من مكة ومعه من آل عجلان، محمد بن عجلان المكحول، ونزل الموضع المعروف بالحدبة([355])، وحصل له ولأصحابه عطش كثير، لاستيلاء كبيش ومن معه على صهاريج جدة([356])، وأقام هو ومن معه هناك ثلاثة عشرة يوماً ...في كل يوم، ولم يقع بينهم قتال، لأن في كل يوم يجير كل واحد من الفريقين في ترك القتال في ذلك اليوم، ثم إن كبيشاً رأى من أصحابه القواد العمرة([357])، انحلالاً عن القتال، واحتجوا بأنهم يخشون أن يقتل أحد من الأعراب الذين مع كبيش، أحداً من جماعة عنان، فيؤاخذون به لملايمتهم له، فلما رأى ذلك منهم كبييش، عاد إلى الموضع الذي كان به لمات فارق جدة أولاً، وهو الموضع المعروف بأم الدمن عند خليص، ثم إنه بعد مدّة، عاد إلى جدّة وتولى الأمر بها، وسبب ذلك، أن محمد بن عجلان، كان عنان قد استنابه على جدة، لما ملكها بعد رحيل كبيش عنها، ثم وقع بينهما منافرة، اقتضت أن محمد بن عجلان، استدعى جميع من لايم عنان من آل عجلان بواسطته، ففارقوا عناناً أمير مكة، وحضروا إلى محمد بجدة، فقوي أمره بهم، وغلبوا على جدة، واستدعى محمد كبيشاً للحضور إليه، فتوقف كبيش

لما وقع منه في حقّ محمد، ومن التقصير بسبب كحله، ثم حضر كبيش إلى جدة بطلب ثانٍ من محمد، بعد أن توقف منه، واقتضى رأيهما نهب ما في جدة من أموال التجار وغيرهم في المراكب وغيرها، وكان تجار اليمن قد اجتمعوا بجدة للسفر منها إلى اليمن، وقد حضر إليها ثلاثة مراكب للكارم، متوجهة من اليمن إلى مصر فنهب ذلك كله، ويقال إن ذلك قُوِّم بستمائة ألف مثقال ذهباً، والله أعلم .ثم نهب ما في جدة من الغلة المخزونة بها للأمير جرْكس الخليلي وإيتمش .ولما وقع النهب في المراكب، حضر إلى جدة جماعة من الأشراف من أصحاب عنان، منهم علي بن مبارك بن رميثة، فأقبل عليه آل عجلان، وأمرَّوه، وجعلوا له نصف المتحصّل من ذلك، وأضافوا إليه جماعة منهم يكونون في خدمته، والنصف الثاني لعليّ بن عجلان، يتصرف فيه جماعته وعموا كلهم بالعطاء، كل من حضر إليهم من الأشراف من أصحاب عنان، ولم يبق بجدّة شيء ...أجمع رأيهم على المسير إلى مكة، فتوجهوا إليها ثامن جمادى الأولى من سنة تسع وثمانين وسبعمائة، فلما بلغوا الرَّكانى([358])، فارقهم عليّ بن مبارك بن رميثة، وقصد عناناً متخفياً، ثم تبعه ابنه وغيره من إخوته، فقصد آل عجلان البرابر ([359])من وادي مَرّ، وأقاموا بها، وصار عبيدهم ينتشرون في الطرقات، ويختطفون ما يجدونه، وأهل مكة في خوفٍ منهم ووجل .فلما كان شعبان من سنة تسع وثمانين، وصل آل عجلان قاصد من الديار المصرية، ومعه تقليد وخلعة لعليّ بن عجلان بإمرة مكة، عوض عنان، فبعثه كبيش إلى عنان لإعلامه بذلك، وإخلاء البلد لهم، فأبى وصمَّم على قتالهم، فجمع كبيش عليهم هو ومحمد بن بَعَلْجَد مالاً عظيماً، من الزباد والمسك والإبل وغير ذلك، وتوجهوا إلى مكة في نحو مائة فارس وألف راجل، في آخر اليوم التاسع والعشرين من شعبان، وأخذوا طريق الواسطية وساروا قليلاً قليلاً، حتى أصبحوا في يوم السبت المُوفي ثلاثين من شعبان، وهم بآبار الزَّاهر أو حولها، فاقتضى رأي الشريف محمد بن محمود بن أحمد بن رميثة، النزول هناك يستريحون، ويلحق بهم من يوادهم، ممّن هو مع عنان، في الليلة المسُفرة، فأبى ذلك كبيش، وخشي من طول الإقامة، وأن يصنع معه بنو حسن، كما صنعوا معه بجدة أولاً، من أن كلاًّ منهم يجير في كل يوم من القتال، وصمَّم على القتال في ذلك اليوم،

وسار العسكر إلى مكة، وأخذوا الطريق التي تخرجهم من الزاهر إلى شعب أذخِر، فلما قطعوا الشعب، افترق العسكر، فأخذ الحميضات الطريق التي تخرجهم على مسجد الإجابة، وأخذ كبيش ومن معه من القواد العمرة والعبيد، طريقاً أقرب إلى الأبطح، فرأوا بها عناناً وأصحابه، وكانوا قريباً منهم في المقدار، فأزال الرَّجْل الذي مع كبيش، الرَّجل الذي مع عنان من مواضعهم بعد قتالٍ جرى بينهم، وعقروا الجامل التي عليها طبلخاتهم، وصاح كبيش بعنان يطلبه للبراز، فلم يجبه، وبرز إليه بعض الأشراف، فلم يره كبيش كفؤاً له، وضربه كبيش برمح معه، فأصابت الضربة فرس المضروب فقتلها، وسقط راكبها، فعمد بعض أصحاب عنان إلى فرس كبيش فعقرها، فقسقط كبيش غ الأرض وصار راجلاًَ، فقصده أصحاب عنان من كل جانب وقاتلوه، فقاتلهم أشد القتال، ثم إن بعضهم استغفله في حال قتله، ورفع الدرع عن ساقه، وضربه فيه ضربة حتى جَثَى على ركبتيه، وقاتل وهو على تلك الحالة، حتى أُزهقت روحه، وانهزم أصحابه الذي شهدوا معه الحرب، بعد سقوطه عن فرسه إلى الأرض . وأما الحميضات، فإنهم لم يقاتلوا جملة لمباطنة بينهم وبين عنان، وقُتل في هذا اليوم من القواد العمرة، لقاح بن منصور، وجماعة من عبيد آل عجلان، ورجع بقيتهم بمن معهم من سادتهم، إلى منزلهم بوادي مرّ، وحمل كبيش إلى المعلاة فدفن بها، وهو في عشر الستين أو السبعين .أ هـ، ما نقلته عن العقد .وكان لكبيش هذا ابن اسمه :علي.

-47الشريف علي بن عجلان بن رميثة، وتقدمت ترجمة كل من رميثة وعجلان، يلقب علاء الدين، ويكنّى أبا الحسن، أمير مكة .ت 797) هـ 1394 /م:(

ترجم له العلامة تقي الدين الفاسي([360])، فقال :

وَلِيَ إمرة مكة ثماني سنين، ونحو ثلاثة أشهر، مستقلاً بالإمرة، غير سنتين أو نحوها، فإنه كان والياً فيها، شريكاً لعنان بن مغامس ابن رميثة الآتي ذكره، كما سيأتي بيانه .وأول ولايته في

رجب، وإلا ففي أول شعبان، من سنة تسع وثمانين وسبعمائة، بعد عزل عنان. حنقاً عليه، لما اتفق في ولايته، من استيلاء كبيش، وجماعة عجلان، وابنه أحمد، ومن انضهم عليهم، على جدة، وما فيها من أموال الكارم، وغلال المصريين، وعجز عنان عن دفعهم عن الاستيلاء على جدة، وعن استنقاذ الأموال منهم ولا شراكة لبني عمه في إمرة مكة .ووصل إلى عليّ تقليد وخلعه، بسبب ولايته لإمركة مكة، من الملك الظاهر برقوق، صاحب مصر، مع نجَّاب معتبر من العيساوية، ووصل النَّجاب إلى عنان فيالنصف الثاني من شعبان، من سنة تسع وثمانين، لكي يسلم مكة لعليّ وجماعته، فامتنع من تسليمها إليهم أصحاب عنان، ولما علم بذلك علي وجماعته، قوي عزمهم على التوجّه إلى مكة، وصرف الجمال محمد بن فرج المعروف بابن بعلجد، نفقة جيّدة على من لايم عليًّا من الأشراف والقواد العمرة والحميضات، وساروا إلى مكة، وخرج للقائهم من مكة عنان وأصحابه، فلما تراءى الجمعان، انحاز الحميضات عن آل عجلان، فلم يكونوا معهم ولا مع عنان، وتقاتل الفريقان، فتم النصر لعنان وأصحابه، ورجع آل عجلان إلى محلهم، وهو القصر بالوادي، بعد أن قُتل منهم كبيش ولقاح بن منصور، من القواد العمرة، وعشرون عبداً فيما قيل، وذلك في سلخ شعبان من السنة المذكورة.

وفي شهر رمضان توجّه عليّ إلى مصر، فأقبل عليه السلطان، وولاَّه نصف إمرة مكة، وولى النصف الثاني لعنان بشرط حضور عنان لخدمة المحمل، ووصل علي مع المحمل إلى مكة، فدخلها مع الحاج، وقرئ توقيعه على مقام احلنابلة بالمسجد الحرام .وكان عنان قد أعرض عن لقاء المحمل، متخوفاً من آل عجلان، وفر إلى الزيمة بوادي نخلة اليمانةي، وكان أصحابه قد سبقوه إليها، فسار إليهم عليّ وجماعته، وجماعة من الترك الحجاج، فوجدوا الأشراف محاربين لقافلة بجيلة .([361])ولما عرف بهم الأشراف، هربوا خوفاً من سهام الترك، وقتل أصحاب عليّ منمهم مبارك بن عبد الكريم من الأشراف، وابن شكوان من أتباعهم، وعادوا إلى مكة، ومعهم من خيل الأشراف خمسة، ومن دروعهم ثلاثة عشر درعاً، وتوصلت قافلة

بجيلة إلى مكة، صار عنان والأشراف إلى وادي مَر، واستولوا عليه وعلى جدَّة، ونهبوا بعض تجار اليمن، وأفسدوا في الطرقات .ولأجل استيلائهم على جدَّة، احتجا عليٌّ إليه النفقة، فأخذ من تجار اليمن ومكة، ما استعان به على إزالة ضرورته.

وفي ربيع الآخر، أو جمادى الأولى من سنة تسعين وسبعمائة، أتاه من مصر أخوه الشريف حسن، بجماعة من الترك استخدمهم له، نحو خمسين فارساً وخلعة من السلطان، وكتاب منه يتضمن استمراره، فلبس الخلعة، وقرئ الكتاب بالمسجد الحرام، ووصل إليه أيضاً خلعة، وكتاب يتضمن باستمراره،، من الصالح حاجي بن الأشراف شعبان، لما عاد إلى السلطنة بمصر، بعد خلع الملك الظاهر، في أثناء سنة إحدى وتسعين وسبعمائة.

وفي آخر ذي القعدة منها، بلغه أن الأشراف آل أبي نمي([362])، يريدون نهب الحاج المصري، فخرج من مكة بعسكره لنصرهم ونصر أخيه محمد، فإنه كان قدم معهم من مصر، بعد أن أجيب لقصده في حبس عنان، ولم يقع بين الفريقين قتال، لأن أمير الاحاج أبا بكر بن سنقر الجماليّ، لما عرف قصد الأشراف للحاج، لاطفهم مع الاستعداد لحربهم، فأعرضوا عن الحاجّ.

وفي سنة اثنتين وتسعين أيضاً، اصطلح والأشراف آل أبي نمي، بسعى محمد بن محمود، وكان عليّ قد قلده أمره لنيل رأيه، وحلفوا لعليّ وحلف لهم، وأعطاهم إبلاً وأصائل ([363]) بوادي مرّ، وتزوج بعد ذلك منهم، بنت حازم بن عبد الكريم بن أبي نمي.

ولما كان قبيل النصف من شعبان سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة، وصل عنان من مصر، متولياً نصف الإمرة بمكة، من قبل الملك الظاهر، شريكاً لعلي، فسعى الناس بينهم في المؤالفة، وأن يكون لكل منهما نواب بمكة، بعضهم للحكم بها، وبعضهم لقبض ما يخصه من المتحصل،

وإن كلاً منهما يقدم مكة إذا عرضت له بها حاجة فيقيضها، وأن يكون القواد مع عنان، والأشراف مع علي، لملايمتهم له قبل وصول عنان، فرضياً بذلك، وفعلا ما اتفقا عليه، وكان أصحاب كل منهما غالبين له على أمره، فحصل للناس في ذلك ضرر، سيما الواردين إلى مكة، لأن حجاج اليمن، نهبوا بالمعابدة بطريق منّى وبمكة نهباً فاحشاً، ونهب أيضاً بعض الحجاج المصريين، وما خرج الحاج المصريون([364])، حتى استنزل عليهم أمير الحاج أبو بكر بن سنقر، من بعض بني حسن، وكان ذلك في موسم سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة .ولما سمع ذلك السلطان بمصر، استدعى إليه عليّاً وعناناً، وكان وصول هذا الاستدعاء، في أثناء سنة أربع وتسعين وسبعمائة، ووصل مع النجاب المسيتدعي لهم، خلعتان من السلطان، لعلي ولعنان، وكان عنان إذ ذاك منقبضاً عن دخول مكة، لأن بعض غلمان عليّ بن عجلان، همَّ بالفتك به في آخر صفر من سنة أربع وتسعين وسبعمائة بالمسعى، ففر هارباً، بعد أن كاد يهلك، وأزال أصحاب على نوابه من مكة، وشعار ولايته بها، لأنهم قطعوا الدعاء له على زمزم بعد المغرب، وأمر الخطيب بقطع اسمه من الخطبة فما أجاب، ثم دخل عنان مكة، بموافقة علسّ وأصحاب رأيه، ليتجهّز منها إلى مصر، فلما انقضى جهازه، سافر منها في جمادى الآخرة إلى مصر، وتلاه إليها عليّ، وقصد المدينة النبوية، فزار جدَّه المصطفى وغيره، وجمع الناس بالحرم النبوي، لقراة ختمةٍ شريفة للسلطان، والدُّعاء له عَقِيبها، وكتب بذلك محضراً يتضمن ذلك، وما اتفق ذلك لعنان، لأنه قصد من بدر ينبع، ليسبق منها علياً إلى مصر .ولما وصل علي إلى مصر، أهدى للسلطان وغيره هعدايا حسنة، واجتمع السلطان يوم الخميس خامس شعبان من سنة أربع وتسعين، في يوم الموكب بالإيوان، فأقبل عليه السلطان كثيراً، وأمره بالجلوس فوق عنان، وكان جلس تحته، وبعد أيام، فوَّض إليه إمرة مكة بمفرده، وأعطاء أربعين فرساً، وعشرة مماليك من الترك، وثلاثة آلاف أردب قمح، وألف أربد شعير، وألف أردب فول .ومما أحسن إليه به، فرس خاص، وسرج مغرق بالذهب، وكنبوش ([365]) ذهب، وسلسلة ذهب، وأحسن إليه الأمراء لإقبال السلطان عليه، فحصَّل غلماناً من الترك، قيل إنهم مائة، وخيلاً قيل إنها مائة، ونفقة جيدة، وتوجه مع الحجاج إلى مكة، فوصلها سالماً،

وكان يوم دخوله الفاسي يوماً مشهوداً، وقام بخدمة الحاج، في أيام الموسم من سنة أربع وتسعين وسبعمائة، وحج في هذه السنة ناس كثير من اليمن بمتاجر، وانكسر من جلابهم ببندر جدة، ستة وثلاثون جلبة فيما قيل، وسافروا من مكة بعد قضاء وطرهم منها في قافلتين، وصحبهم فيها علي بعسكره، وأطلق القافلة الثانية من المكس المأخوذ منهم بمكة .
وكان غالب الأشراف آل أبي نمي، لم يحجوا في سنة أربع وتسعين وسبعمائة لانقباضهم منه، فإنه كان نافر رأسهم جار الله ابن حمزة، بمصر، وسعى في التيوش عليه، فما وسع جار الله إلا أن يخضع لعليّ فقل تعبه، واستدعاى عليٌّ الأشرافَ آل أبي نمي، فحضر إليه جماعة منهم، مع جماعة من القواد والحميضات، فقبض على ثلاثن شريفاً، وثلاثين قائداً فيما قيل، وطالبهم بما أعطاه لهم من الخيل والدروع، فسلم القواد ما طلب منهم، وسلم إليه الأشراف بنو عبد الكريم بن أبي سعد، وبنو إدريس بن قتادة، ما كان له عندهم من ذلك .وأما الأشراف آل أبي نمي، فلم يسلموا ما كان عندهم، فأقاموا في سجنه حتى سُلِّم إليه ما طلب منهم، بعد ثلاثة أشهر، وكان سجنه لهم في آخر ذي الحجة من سنة أربع وتسعين وسبعمائة، وكان بمكة جماعة من الأشراف والقواد، غير الذين قبض عليهم، ففروا بمكة مستخفين، والتحق كل منهم بأهله، ومضى الأشراف إلى زبيد([366])، ونزلوا عليهم بناحية الشام([367])، وراسلوا علياًَ في إطلاق أصحابهم، فتوقَّف، ثم أطلق منهم محمد بن سيف بن أبي نمي، لتكرر سؤال كبيش بن سنان بن عبد الله بن عمر له في إطلاقه، فإنه كان عنده يوم القبض عليه .ومضى محمد بن سيف بعد إطلاقه إلى عليّ، وكان نازلاً ببئر شميس، فسعى عنده في خلاص أصحابه، واستقر الحال معه على أن يسلم الأشراف إليه ما أعطاه فرساً وعشرين درعاً، وأن يردوا إليه ما أعطاه لهم من الأصائل، وأن يكون بين الفريقين مجود، أي حسب إلى سنة، ومضى من عند علي جماعة إلى الأشراف لإبرام الصلح على ذلك، وقبض الخيل والدروع والإشهاد برد الأصائل، ففعل الأشراف في تاسع عشري ربيع الأول، سنة خمس وتسعين وسبعمائة، وما كان إلا أن خرجوا، فساروا بأجمعهم حتى نزلوا البحرة ([368])بطريق جدة، فجمع على الأعراب ومن معه من العبيد والترك، ومضى حتى

نزل الحشافة، فرحل الأشراف من البحرة ونزلوا جدة، واستولوا عليها، وكان مما حرَّكهم على ذلك، الطمع في مركب وصل إليها من مصر، فيه ما أنعم به السلطان عليه، من القمح والشعير والفول، وصار في كل يوم يرغب في المسير إلى جدة، لقتال المذكورين، فيأبى عليه أصحابه من القواد، ويحيرون عليه من المسير، ودام الحال على ذلك شهراً، ثم سعى عنده القواد الحميضات، في أن يعطي للأشراف أربعمائة غرارة قمح، من المركب الذي وصل إليه، ويرحل الأشراف من جدة، فأجاب إلى ذلك وسلمها إليهم، فلما صارت بأيديهم، توقفوا في الرحيل، فزادهم مائة غرارة فرحلوا ونزلوا العد([369])، وصاروا يفسدون في الطريق، وبلغه أن ذوي عمر في أنفسهم منه شيء، فمضى إلى الأشراف وصالحهم، وردَّ عليهم ما أعطوه له، وأقبل على موادهم، فكان جماعة منهم يتحملون منه، وجماعة يبدون له الجفاء، ويعملون في البلاد أعمالاً غير صالحة، اقتضت أن التجار أعرضوا عن مكة، وقصدوا ينبع، لقلة الأمن بمكة وجدة، فلحقه لأجل ذلك شدة .وكان يجتهد في رضائهم عليه، بكل ما تصل قدرته إليه، وقنع منهم بأن يتركوا الفساد في البلاد، فما أسعفوه بمراده، ومما ناله من الضرر بسبب حقدهم عليه، أن بعض الشرفاء والقواد، غزوه بمكة في خدمة أيه السيد حسن بن عجلان لوحشةٍ، كانت بينهما، ونزلوا الزاهر أياماً كثيرة، ثم رحلوا منه لأنهم لم يتمكنوا من دخول مكة، ويقال إن بعضهم ناله بر من علي ابن عجلان، فرحل وتلاه الباقون، وكان وصولهم إلى مكة في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وسبعمائة، وتوجه بعد ذلك حسن وعليّ بن مبارك إلى مصر، راجين لإمرة مكة، فقبض عليهما السلطان الملك الظاهر برقوق، وبعث خلعة لعليّ، وكتاباً أخبره فيه بما فعل، وأمره فيه بالإحسان إلى الرعية والعدل فيهم، لما بلغه من أن علياً تعرض لأخذ شيء من المجاورين بمكة، فقرئ الكتاب بالمسجد الحرام، بعد لبسه للخلعة، وأحسن السيرة، ونادى في البلاد بأن من كان له حق، فليحضر إليه ليرضيه فيه، وكان الذي حمله على الأخذ، فقده لما كان يعهد من النفع بجدة، ومطالبة بني حسن له بالعطاء، وما زال حريصاً على أن يحصل منهم عليه رضا إلى أن أدرك من بعضهم ما به الله عليه قضى، من سلب روحه وإسكانه في ضريحه .وكان صورة ما فُعِل به، أنه لما خرج يريد البراز، اتبعه

الكردي ولد عبد الكريم بن مخيَط، وجندب بن جخيدب بن لِحاف، وعبية بن واصل([370])، وهم مضمرون فيه سوءاً، فبدر إليه الكردي، فسايره وهو راكب على راحلته، وعلي على فرس، ورمى بنفسه على علي وضربه بجنبية كانت معه، فطاحا جميعاً إلى الأرض، فوثب عليه علي فضربه بالسيف ضربة كاد منها يهلك .وولى علي راجعاً إلى الحلة، فأغرى به شخص يقال له أبو نُمَي- غلام لصهره حازم بن عبد الكريم -جندباً وعبية وحمزة بن قاسم، وعرفهم أنه قتل الكرديّ، فوثبوا عليه فقتلوه وقطعوه وكفنوه، وبعثوا به إلى مكة في شجار([371])، فوصل إلى المعلاة ليلاً، وصُلِّي عليه ودفن في قبر أبيه، وكان قتله في يوم الأربعاء سابع شوال سنة سبع وتسعين وسبعمائة، ودفن في ليلة الخميس ثامنه، وعظم قتله على الناس، سيما أهل مكة، لأنهم تخوفوا أن الأشراف يقصدون مكة وينهبُونها، وتخيل ذلك بعض العبيد الذي في خدمة علي، وهَمُّوا بنهبها، والخروج منها قبل وصول الأشراف إليها، فنهاهم عن ذلك العقلاء من أصحابهم، وحمى الله البلد من الأشراف وغيرهم .وفي الصباح وصل إليها السيد محمد بن عجلان، وكان عند الأشراف منافراً لأخيه علي، ووصل إليها أيضاً السيد محمد بن محمود، وكان نازلاً بحادثةٍ قريباً من مكة، وقاما مع العبيد والمولدين بحفظ البلد، إلى أن وصل السيد حسن من مصر، متولياً لإمرة مكة، عوض أخيه علي، وذلك نصف سنة ونحو نصف شهر .وكان لعلي من العمر حين قتل، نحو من ثلاث وعشرين سنة، وكان تزوج الشريفة فاطمة بنت ثقبة، بإثر ولايته بمكة، وتجمل بها حاله، ثم تزوج بنت حازم بن عبد الكريم بن أبي نمي ,([372])ثم بنت النصيح أحمد بابن عبد الكريم بن عبد الله بن عمر، وكان زواجه عليها قبل موته بنحو جمعة أو أقلّ، وكانت قبله عند أخيه السيد حسن، فأبانهما لما تزوج عليها ابنة عِنان، لتحريم الجمع بينهما باعتبار الرضاع .وكان مليح الشكالة والأخلاق، ذا كرم وعقل رزين، وكان بنو حسن يتعجبون منه، لأنهم كانوا يكثرون الحديث عنده فيما يريدون من الأُمور، ويرغبون في أن يخوض معهم في ذلك، فلا يتكلم إلا بما فيه فصل لذلك.

ولوالدي قصيدة في مدح عليّ بن عجلان منها :([373])

إن بان وجه الصفا من راكد الكدرِ

وانشق فجر الضيا عن ظلمة الفكرِ

لأَنثرن على عَلْيَا أبي حسن

تالٍ من الحمد أو نظماً من الدّررِ

وأُوقف القصد في ساحات مشعره

كيما أفيض بنسك النجح والظفرِ

ما لي وللنأْي والترحال عن أفق

علا على كرَّة الإشراق بالقمرِ

نادى علي بن عجلان سماء سما

بني رميثة والسادات من مضرِ

ومنها :

كم طاف حولك من مولى ومن ملك

وحول بيتك من حاج ومعتمرِ

ومنها :

وأَمَّكَ المُلْكُ من مصر به أدبِ

إلى لقاك فلاقى الخبر كالخبرِ

إن تابعتك صفوف تلو أفئدة

فأنت قبلة أهل البدو والحضرِ

لِمِ لا يكون على الدنيا حُليٍّ بها

وأنت جوهرة الأخبار والسيرِ

أحييت آثار أسلاف وقد سلفوا

أحيت مكارم أموات مفتقرِ

ومنها :

فمذ هبطت إلى الأرضين أصعدني

أبو سريع سماء العز والكبرِ

فالله يُسْكِنُهُ جناتٍ مزخرفة

مع النبيين في صحب وفي زمرِ

أبقى لنا عدة الأُمرا خليفته

والبدر في الوهن مثل البدر في السحرِ

مُنْشي سحائب جود مزنها درر

تغني عن السحب والأنواء والمطرِ

انتهى عن العقد الثمين بشيء من الاختصار .ونقل مثل هذا عن مصدرنا كل من ابن فهد والعصامي وشيخ الإسلام الدحلان.

ويبدو أنه لم يخلف ولداً، لأن التقي ذكر كل زوجاته ولم يذكر منهن من ولدت له، والله أعلم.

48–الشريف محمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي، وباقي النسب تقدم في تراجم أجداده .
ت 802) هـ 1399 /م :(

ترجم له تقي الدين الفاسي في العقد، فقال :([374])

ولي إمرة مكة نيابة عن أخيه علي بن عجلان، نحو نصف سنة، في سنة أربع وتسعين وسبعمائة، لما توجه أخوه عليّ فيها إلى مصر.

وولي إمرة مكة– بعد قتل أخيه عليّ –إلى حين قدوم أخيه الشريف حسن بن عجلان من مصر، في آخر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وسبعمائة، وذلك أزيد من نصف سنة يسيراً.

ووليها نيابة عنه بعد قدومه إلى مكة من مصر...

وكان ابن عمر عنان بن مغامس بن رميثة، لما ولي إمرة مكة في ولايته الأولى، لاءم محمد بن عجلان هذا، وأقبل كل منهما على الآخر كثيراً .واستخلف عنان محمداً هذا بجدة، وترك معه فيها من لاءمه من عبيد أحمد بن عجلان، وبعض موالي أبيه مُغامس، يكون عيناً على محمد، فأنهى هذا المولى إلى عنان، عن محمد تقصيراً، فكتب عنان إليه يزجره ويغلظ له، فاستشاط محمد غضباً، واستدعى كبيشاً ومن معه من آل عجلان وغيرهم، فقدموا عليه جدة، واستولوا علىما فيها من أموال الكارم، وغلال المصريين بالنهب، ومن قدر عنان على إزالتهم من جدة، ولا استنقاذ ذلك منهم، وكان ذلك من أعظم أسباب عزله .وكان عجلان يرغب في أن

يكون ابنه محمد هذا، ضداً لولده أحمد بن عجلان، بأن يفعل في البلاد فعلاً يظهر به محمد، ويغضب لفعله أحمد، فيلين بذلك جانب أحمد لأبيه- لأنه كان قَوِيَ عليه- وينال بذلك مقاصد من ولده أحمد، وينال بذلك محمد أمراً في البلاد، فلم ينهض محمد بمراد أبيه مع تيسر سبب ذلك، وصورة الحال في ذلك :أن عجلان كتب ورقة إلى ابنه محمد، يأمره بأن يشغب هو وأصهاره الأشراف على أحمد بن عجلان، وأن يأخذ من خيل أبيه ما شاء، ويذهب إلى نخلة، ويأخذ منها أدرعاً هناك مودعة له، ويأخذ ممن هي مودعة عنده ما يحتاج إليه من المصروف، ووصلت ورقته إلى ابنه محمد، وهو في لهو مع بعض أصدقاء أخيه) أحمد (فأوقفهم على ورقة أبيه، فاستغفلوه وبعثوا بها إلى أخيه أحمد، وأشغلوه باللهو إلى أن بلغ أخاه الخبر، وقصد أحمد أباه في جمع كثير، معاتباً له على ما فعل، وكان قد بلغه ما كان من ابنه محمد، فشق عليه كثيراً، واعتذر لأحمد، وأعرض عن محمد لقلة حزمه .وكان محمد قصد قافلة متوجهة من مكة إلى المدينة فيها قاضي مكة أبو الفضل النويري، فنهب محمد جمال القافلة ببدر، وتوصل من فيها إلى المدينة، وبلغ الخبر أباه عجلان، فجد في السير حتى أتاهم بالمدينة، فاستعطفهم وأرضاهم برد الجمال، أو بمال- الشك مني –والله أعلم.

وكان محمد- بعد ذلك –ملائماً لأخيه أحمد، وأخوه مكرم له، ثم نفر منه محمد، فتوجه من مكة بعد الحج، في سنة ست وثمانين وسبعمائة، قاصداً مصر، طالباً لخبز .فلما كان بينبع أشار عليه أمير الحاج المصري، أبو بكر بن سنقر الجمالي، بأن يرجع إلى مكة، ويرجع معه بعنان بن مغامس، وحسن بن ثقبة، وكانا قاصدين مصر لشكوى أحمد، لكونه لم يجبهما إلى ما رسم لهما به عليه السلطان بمصر، وكان أمير الحاج قد أشار على المذكورين بالرجوع إلى مكة، وضمن لهما عن أحمد، الموافقة على قصدهما إذا رجعا إليه، وضمن لمحمد عن أحمد، إسعافه لما يرومه من أحمد، وأطمعه بالمزية في الإحسان من أحمد، إذا وصل إليه بالمذكورين . فرجع الثلاثة إلى أحمد، ولم يتوثق محمد لنفسه ولا لمن معه من أحمد، اغتراراً منه بنفسه، لظنِّه أن أحمد لا يسوءه في نفسه ولا من معه، فلم يصب ظنه؛ لأن أحمد قبض عليه وعلى

المذكورين لما اجتمعوا به، وضم إليهم أحمد بن ثقبة، وابنه علياً، وقيد الخمسة .ومن الناس من يقول :إن أحمد ندب محمداً لإحضار عنان وحسن، فلما حضرا إليه قبض عليهما، فأنكر ذلك محمد على أحمد، فضمه إليهما، وسجن الخمسة بالعلقمية عند المروة، فلما مات أحمد، كحلوا– غير عنان –فإنه كان نجا من السجن قبل موت أحمد بيسير، وكان من أمرهم وأمر محمد، ثم سعى محمد في اعتقال عنان بمصر، فأجيب سؤاله.

وكان محمد قدمها في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، بعد ثورة منطاش ([375])على الناصري، ومصير الأمر إليه بعد قبضه على الناصري وسجنه، وهو الذي أجاب محمداً لسجن عنان.

وكان محمد هذا، في سنة ثمانمائة، دخل إلى اليمن، فأكرمه صاحب اليمن الأشرف ([376]) وجهز معهم محملاً إلى مكة في سنة ثمانمائة، بعد انقطاع محمله نحو عشرين سنة، وتوجه به محمد بعد الحج، ليأتي به ثانية إلى مكة، فاقتضى رأي صاحب اليمن عدم إرساله، فتوجه محمد إلى مكة وأقام بها، حتى مات في الثاني عشر من ربيع الأول سنة اثنتين وثمانمائة، ودفن بالمعلاة .وعقب أولاداً، منهم :أحمد، ورميثة .تأتي ترجمة رميثة.

–49الشريف عنان بن مغامس بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد ت 805) هـ / 1402م :(

أمير مكة .يكنى أبا لجام، ويلقب زين الدين.

ترجم له تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي([377])، مؤلف) :العقد الثمين في تأريخ البلد الأمين ([378]) (فقال :ولي إمرتها مرتين :الأولى سنة، غير أنه كان معزولاً من قبل السلطان، نحو أربعة أشهر من آخرها، والثانية سنتان، أو نحوهما، غير أنه كان ممنوعاً

أشهراً من قبل آل عجلان، لغلبتهم له على الأمر بمكة، وسنوضح ذلك وغيره من خبره، وذلك أنه كان بعد قتل أبيه مغامساً، لايم عمه سند بن رميثة، فلما مات سند، استولى عنان على خيله وسلاحه، وفر بذلك عن عمه عجلان، لأنه وارث لسند، ثم لايم عنان عمه عجلان، وابنه أحمد، وكانا يغتبطان به، لما فيه من الخصال المحمودة .وبلغني انه دخل يوماً على عجلان، وعنده بعض أعيان بني حسن، مستقضياً منه حاجة، فقضاها له عجلان، ثم قال :هنيئاًَ لمن كان له ابن مثله .!وكان أحمد بن عجلان يكرمه كثيراً، وزوجه على ابنته : أم المسعود، وفي ليلة مقامه للدخول عليها، قتل أخوه محمد ابن مغامس، فأرضاه عنه أحمد بن عجلان بمال جيد، ثم نفر عنه أحمد، لميله عنه إلى صاحب حلي، لما رام أحمد القيام عليه، كما سبق مبيناً في ترجمة أحمد .([379])وأمر عناناً بأن يبين عنه، فبان، وأخذ إبلاً كثيرة للأعراب، فسألوا أحمد بن عجلان أن يستنقذها لهم من عنان، فأبى ذلك أحمد، فتوسل كل من له فيها حق إلى عنان، ببعض بني حسن، فأجاب كل سائل بمراده، إلى أن لم يبق معه إلا اليسير، فقال لصاحبه :إن كان لك صاحب من بني حسن، فكلمه يسألني في رد ذلك فأرده، فقال له :إنما أسألكبالله في رد ذلك، فرده عليه .وحصَّل خيلاًَ وسلاحاً، بمعاونة صاحب حلي له على ذلك، ثم رأى أحمد بن عجلان، أن يعيده إلى مصاحبته، فأجاب عنان إلى ذلك، وأحسن له بعد عودة إليه، ثم أغرى به بعض بني ثقبة، وأغراه ببضعهم، كما سبق مبيناً في ترجمة أحمد، ليشتغل عنان عن أحمد بمعاداة بني ثقبة، ويشتغل بنو ثقبة عن أحمد، بمعاداة عنان، فما تم له قصد، وعرف ذلك عنان، وبنو ثقبة .ثم سافر عنان وحسن بن ثقبة إلى مصر، فبالغا في شكوى أحمد، وسألا السلطان الملك الظاهر برقوق صاحب مصر، في أن يرسم لهم عليه بأمورٍ رغبا فيها، فأجاب سؤالهم، إلا أن عناناً رزق قبولاً من السلطان، واتبعهم أحمد بن عجلان بدية سنية للسلطان مع كبيش، ولما رأى كبيش حال عنان رائجاً، أظهر للسلطان وللدولة، أن أحمد بن عجلان يوافق ما رسم لعنان وبني ثقبة، لئلا يتم على أحمد بمصر سوء، وسالم المذكورين حتى وصل مكة، وعرف أحمد بالحال، وقال له :لا بد لك من الموافقة على ما رسم به لهما، أو الفتك بعنان، فمال إلى الثاني، وأضمر ذلك .واجتمع

به عنان وحسن بن ثقبة، بعد التوثق منه، فما أجاب لمرادهما، ثم إن بعض المتكلفين لعنان، بأمان أحمد بن عجلان، عرفه بقصد أحمد فيه. وكان ذلك بمنّى، ففر إلى ينبع، وتلاه المصري، أبو بكر بن سنقر الجمالي، أن يرجعا إلى مكة، وحسَّن لمحمد بن عجلان، أن يرجع معهما، وكان قد توجه من مكة مغاضباً لأخيه، وضمن لهم أن أحمد يقضي حوائجهم، إذا وصل إليه كتابه، فرجعوا إلى أحمد، فلما اجتمعوا به قبض عليهم، وضم إليهم أحمد بن ثقبة، وابنه علياً، وقيد الخمسة وسجنهم بالعلقمية([380])، من أول سنة سبع وثمانين وسبعمائة، وإلى موسمها، ثم نقلهم إلى أجياد، في موسم هذه السنة، ثم أعادهم بعد الموسم إلى العلقمية، وكادوا يفلتون منها بحيلة دبروها، وهي أنهم ربطوا سرراً كانت عندهم بثياب معهم، وصعدوا فيها، غير محمد بن عجلان، حتى بلغوا طاقة تشرف على منزل ملاصق لسجنهم، فنزلوا منها إليها، فنذر ([381])بهم بعض الساكنين فيه، فصاح عليهم يظنهم لصوصاً، فسمع الصياح الموكلون بهم من خارج السجن، فتيقظوا، وعرف الأشراف بتيقظ الموكلين بهم، فأحجموا عن الخروج إلا عناناً، فإنه أقدم، ولما بلغ الدار، وثب وثبة شديدة، فانفك القيد عن إحدى رجليه، وما شعر به أحد حين خرج، فسار إلى جهة سوق الليل، وما كان غير قليل، حتى رأى كبيش والعسكر يفتشون عليه بضوء معهم، فدنا إلى مزبلة بسوق الليل، وأظهر أنه يبول، وأخفاه الله عن أعينهم، فلما رجعوا، سار إلى أن لقيه بعض معارفه، فعرفه خبره، وسأله في تغييبه،فغيبه في بيت بشعب عليّ، في صهريج فيه، ووضع على فمه

حشيش ودابة، لئلا يظهر موضع الصهريج للناظر في البيت، وفي الصباح أتى كبيش بعسكره إلى ذلك البيت، لأنه أُنهِي إليه أنه فيه، فما وجده فيها، فقيل له :إن في البيت صهريجاً، فأعرض عن ذلك، لما أراده الله تعالى من سلامة المختفي فيه، ثم بعث إلى بعض الأشراف ذوي راجح، وكان له منهم قرابة، فحضر إليه غير واحد منهم، وسألهم في إعانته، بمركوب له ولمن يسافر معه، فأجابوه لقصده، وأخرجوا ل ركائب إلى المعابدة، وحملوا عليها فخاراً وغيره، ليخفى أمرها على من يراها، وخرج عنان من سوق الليل إلى المعابدة، ونزل عند امرأة يعرفها

من أهلها، فأخفته بإلباسها له ثياب النساء، وأجلسته معها ومع غيرها، ونمي الخبر إلى كبيش، فأتى إلى المنزل الذي فيه عنان بالمعابدة، وسأل عنه صاحبة المنزل التي أخفته، فنالت بالقول من عنان كثيراً، وأنكرت أن يكون عندها، فصدقها كبيش، فلما كان الليل، ركب مع رجلين أو ثلاثة، الرواحل التي أعدت لهم، فوقفت بعض ركابهم، قبل وصولهم إلى وادي مر، وما وصل هو إلى خليص، إلا وقد كلَّت راحلته، فسأل بعض أهل خليص عن راحلة لبعض أصحابه، بلغه أنها بخليص، فأخبر بوجودها، فأخذها؛ ويقال إن صاحبها كان إذا فرغ من علفها، يقول :ليت عناناً يخلص فينجو عليك، فكان ما تمناه، فتوصل عنان إلى ينبع، ثم إلى مصر، في أثناء سنة ثمان وثمانين وسبعمائة، فأقبل عليه الملك الظاهر، يقول :وأما ما ذكرت من جهة عنان، فإن الله سبحانه وتعالى :يقول:

] التوبة .[6:وبعد قليل، بلغ السلطان موت أحمد بن عجلان، وكحل ولده للأشراف المسجونين، فتغير على الولد، لأنه كان يسأل أباه في إطلاقهم، فأبى وأضمر تولية عنان مكة عوضه، وكتم ذلك على عنان، وخادع محمد بن أحمد بن عجلان، بأن أرسل إليه العهد والخلعة بولاية مكة، وأذن لعنان في التوجه صحبة الحاج، وأمر أمير الحاج، بقلة مراعاته لعنان في طريق مكة، فكان لا يلتفت إليه، وربما أهانه لئلا يتشوش محمد بن أحمد بن عجلان،

وتمت عليه هذه الخدعة، لما قضى الله تعالى به من الشهادة .فإنه لما حضر لخدمة المحمل المصري، على عادة أمراء الحجاز، قتله باطنيان، في مستهل الحجة، من سنة ثمانٍ وثمانين وسبعمائة، وبعد قتله، أشعر أمير الحاج المارديني عناناً بولايته لإمركة مكة، عوض المذكور، ودخل مع الترك، وعليهم السلاح، حتى انتهوا إلى أجياد،

فحاربهم فيه بعض جماعة محمد بن أحمد ثم ولَّوا، ونودي لعنان في البلد بالولاية، وأُلبس الخلعة السلطانية بذلك، في مستهل الحجة، ثم قرئ توقيعه على قبة زمزم، وكتاب السلطان بولايته، وإلزام بني حسن من الأشراف والقواد بطاعته، وقام بخدمة الحاج حتى رحلوا، وتوجه بعد سير الحاج بمدة يسيرة، إلى جدة، فقرر أمرها ورتب بها نائباً، محمد ابن عجلان، لملايمته له من السجن، وتوحشه من كبيش، بسبب قيامه في كحله، واستدنى جماعة كثيرة من عبيد أحمد، فأحسن إليهم، وقال لهم :أنا عوضكم في مولاكم وابن مولاكم، فأظهروا له الرضا عنه، وجعلهم بجدة، وجعل بها محمد بركتي– وهو ابن مولى أبيه مغامس –عيناً له على محمد، ومن معه من آل عجلان، فوقع من محمد بن عجلان، ما أنكره عليه محمد بن بركتي، وأنهى ذلك عنه إلى عنان فكتب عنان إلى محمد بن عجلان يزجره، فغضب محمد، وأرسل إلى كبيش ومن معه من آل عجلان وغيرهم، يستدعيهم إليه، فقدموا إليه، واستولوا على جدة، وما فيها من أموال الكارم، وغلال المصريين، من أهل الدولة بمصر، وكان ذلك شيئاً عظيماً جداً، ومال إليهم للطمع، جماعة من أصحاب عنان، ولم يستطع عنان الخروج إليهم، واحتاج، وأخذ بمكة ما كان في بيت شمس الدين مبن جن النبئر، وكيل الأمير جركس الخليلي، أمير آخور الملكي الظاهري، وأحد خواص السلطان، من الغلال والقماش والسكر وغير ذلك، وكان شيئاً كثيراً، وأعطى ذلك لبني حسن وغيرهم ...به حال عنان، وكان الذين مع عنان يختلفون عليه، فأرضى أحمد ابن ثقبة عقيل بن مبارك، بإشراكهما معه في الإمرة بمكة، وبعد المغرب على زمزم، ولكل منهما طبلخانه وعلمانه، ثم أشرك معه في الإمرة والدعاء، علي بن مبارك، لما أتاه منافراً لآل عجلان، وبلغ ذلك– مع ما اتفق بجدة ومكة من النهب –السلطان بمصر،

فعزل عناناً، وولى علي بن عجلان إمرة مكة عوضه، وامتنع أصحاب عنان من تسليم البلد لعلي، فتابعهم عنان على ذلك، والتقوا مع أصحاب عليّ بالأبطح، عند ثنية أذاخر، فقتل كبيش وغيره من آل عجلان ومن جماعتهم، وولوا راجعين إلى منازلهم بالوادي([382])، فأجار عنان من اللحاق بهم، ودخل هو وأصحابه مكة مسرورين بالنصر، بعد أن كاد يتم عليهم الغلب .وكان من أسباب نصرهم، أنهم عاجلوا آل عجلان بالقتال، قبل وصول بقيتهم إلى الأبطح، وعدم ظهور عنان وقت الحرب، لإشارة بعض خواصه عليه بذلك، لظنه أن آل عجلان يجتهدون في حربه، إذا ظهر لهم .وقُتل من جماعة عنان، شريف يقال له فياش، وخمسة من أهل مكة، وذلك يوم السبت سلخ شعبان سنة تسع وثمانين وسبعمائة، وفتحت الكعبة لعنان وأصحابه، لما انتهوا إلى المسجد، فدخلها جماعة منهم، وأقاموا بمكة إلى أن أطل الحجاج المصريون على دخول ك، ثم فارقوها، وقصدوا الزيمة بوادي نخلة اليمانية، وتخلف عنان لما بلغه من تقرير السلطان له في نصف الإمرة بمكة، شريكاً لعلي بن عجلان، بشرط حضور عنان لخدمة المحمل، وبرز للقائه حتى كاد يصل إليه، فبلغه أن آل عجلان، يريدونه بسوءٍ عند لقائه، وتبع أصحابه إلى الزيمة، فأتاهم إليها علي بن عجلان في طائفة من جماعته ومن الترك، فقتلوا بعض الأشراف وغيرهم، وعادوا ظافرين بخيل ودروع، لأنهم لما وافوا الزيمة، كان الأشراف في غفلة عنهم، وفي تعب من قتالهم لقافلة بجيلة، فأعرضوا عن قتال عليّ ومن معه، وبعد الموسم نزل عنا وأصحابه وادي مر، واستولوا عليه وعلى جدة، وحصل في طريقها وغيرها من

فكتب إليه السلطان يقول له :أنت على ولايتك، فافعل ما تقدر عليه، فسار في أثناء سنة وتسعين وسبعمائة، وهو حنق عليهم، إلى مصر، وما وجد بها الإقبال الذي كان يعهده، وأقام بها مطلقاً، إلى أن زالت دولة الملك الظاهر، وصار الأمر لمن كان قبله، وهو الصالح حاجي بن الأشرف شعبان، ولمدبر دولته الأمير يلبغا الناصري، فسعى له عنده في عودة لولاية مكة، فأجيب لقصده، ووعد بإلباس خلعة الولاية، في يوم عين له، فلم يتم له الأمر، لأنه في ذلك

اليوم، ثار على الناصري أمير يقال له تُمُرْبُغَا الأفضلي، ويلقب منطاش، وما كان غير قليل، حتى قبض على الناصري، ونحو أربعين أميراً من أصحابه .وبعد قيام منطاش بقليل، قدم إلى مصر محمد بن عجلان، فسعى عند منطاش في حبس عنان، فأجيب، في النصف الثاني من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة، ثم خلصوا هم وعنان، وصورة خلاصهم، أنهم نقبوا نقباً من الموضع الذي كانوا مسجونين فيه من القلعة، فوجدوا فيه سرباً، فمشوا فيه حتى انتهوا إلى موضع آخر فنقبوه، فخرجوا منه إلى محل سكن نائب القلعة، فصاحوا على من بها، وهم غافلون ليلاً، فأدهشوهم، وكانوا في قلة، لخروج منطاش وغالب العسكر إلى الشام لقتال اظلاهر، فإنه ظهر بالشام، واجتمع إليه ناس كثير، والتقى بشقحب، مع العسكر الذي فيه الصالح ومنطاش، فتم النصر للظاهر، وقبض على الصالح وغيره، وفر منطاش غ دمشق هارباً، فتحصن بها .وكان سبب إطلاق الظاهر، أن الناصري حين أحسَّ بظهور منطاش عليه، كتب كتاباً إلى نائب قلعة الكرك، يأمره بإطلاق الظاهر، فأطلقه؛ وكان من أمره ما ذكرناه، وكان من أمر مماليكه الاذين ثاروا بالقلعة، أنهم استولوا عليها لعجز أصحاب منطاش عن مقاومتهم، وبعثوا لبشارته عنان، فلما عرف السلطان ذلك، أقبل إلى مصر، وأعرض عن حصار منطاش بدمشق .وبعد استقرار السلطان بالقلعة، وهو بطا الدوادار، لعنان، في ولاية مكة، فأجابه السلطان لسؤاله، ولكن أقر علي ابن عجلان على ولاية نصف إمرة مكة، شريكاً لعنان، لما في نفسه على عنان، وتجهز عنان إلى مكة، ومعه شخص تركي من جهة السلطان، ليقلده الولاية بمكة، فلما انتهى عنان إلى ينبع، حسن له وبير بن مخبار أمير ينبع، أن يحارب معه بني إبراهيم، ووعده بشيء على ذلك، فمال إلى ذلك عنان، وحارب مع وبير، بني إبراهيم، فظهروا على بني إبراهيم([383])، ثم توجه عنان إلى مكة، وتلقاه كثير من بني حسن، قبل وصوله إلى الوادي، ثم مشى الناس في الألفة بينه وبين آل عجلان، فمال كل منهم إلى ذلك، فتوافقوا على أن كلاً منهما، يدخل مكة لحاجته، فإذا قضاها خرج من مكة، ولكل منهما فيها نواب، بعضهم لقبض ما يخص كلاً منهما من المتحصل، وبعضهم للحكم بها، وأن يكون القواد مع عنان والأشراف مع عليّ، وكان الاتفاق على ذلك، ووصوله إلى الوادي في

النصف الأول من شعبان سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة .وقبل نصفه بيومين، دخل عنان مكة لابساً لخلعة السلطان، وقرئ بها توقيعه، ثم دعي له على زمزم وفي الخطبة، ودام هذا بين المذكورين، إلى الرابع والعشرين من صفر سنة أربع وتسعين وسبعمائة، ثم أزيل شعار ولاية عنان من مكة، غير الدعاء له في الخطبة، فإنه لم يزل، وسبب ذلك، أن آل عجلان، قطعوا الدعاء له على زمزم بعد المغرب، وأخرجوا نوابة من مكة، بعد أن هموا بقتله بالمسعى، في التاريخ المذكور، وما نجا إلا بجهد عظيم، وقصد في حال هربه الأشراف، مستنصراً بهم على آل عجلان، وكانوا معه، فأمره الأشراف بالانتصار بالقواد أصحابه، فحركهم لنصره، فما تحركوا، لأنهم رأوا منه قبل ذلك تقصيراً، وسبب ذلك أن بعض آل عجلان، أحب تكدير خاطر القواد عليه، ليتمكن منه آل عجلان، وقال لعنان :أرى القواد جفاة، ونحن نعينك عليهم، فظن ذلك حقيقة، وفعل ما أشير به عليه، فتأثر منه القواد، وحكوا ما رأوا منه لأصحابه من آل عجلان، فذموه معهم، ونفروهم منه، فازدادوا نفواً، ولذلك تخلوا عن نصره([384])، حين سألهم ذلك .وبعد مفارقته لمكة على الوجه المذكور، اجتمع به علي بن عجلان، ومحمد ابن محمود، وكان علي لا يفصل أمراً دون ابن محمود، واعتذر إليه بعدم العلم بتجري غلمانهم عليه، وكان في مدة ولايته مغلوباً مع أصحابه، وكذاك علي مع أصحابه، وحصل بسبب ذلك ضرر على السفار إلى مكة، وأُنْهِيَ هذا الحال إليه السلطان، فاستدعى عناناً وعلياً مع جماعة من أعيان الأشراف والقواد، فأعرضوا عن الوصول لباب السلطان، غير علي وعنان، فإنهما لم يجدا بداً من ذلك، وبعد وصول هذا الاستدعاء، تحرك لنصر عنان بعض الأشراف، الذين مع عليّ بن عجلان، وألزموه بإخلاء مكة من العبيد وأتباعهم، حتى يدخل إليها عنان، ليتجهز منها لسفره، فإذا تم جهازه، خرج وعادوا إليها، فما وسع علي إلا الموافقة، فخرج المشار إليهم إلى منى، ودخل عنان مكة، وأقام بها حتى انقضى جهازه، ثم توجه إلى مصر في جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين، وتلاه علي إليها، وحضر إلى السلطان غير مرة، ففوض إمرة مكة لعليّ بمفرده، وأمر عناناً بالإقامة بمصر، ورتب له شيئاً يصرفه، ولم يسجنه .ثم إن بعض بني حسين أهل المدينة([385])، وشى به إلى

السلطان، وقال له :إنه يردي الهرب إلى مكة يفسد بها، وأنه أعد نجباً لذلك، فسجنه السلطان ببرج في القلعة، في أثناء سنة خمس وتسعين وسبعمائة، واستمر به إلى أن أنفذه السلطان إلى الإسكندرية، في آخر سنة تسع وتسعين وسبعمائة، مع جماز بن هبة الحسيني صاحب المدينة، وكان قبض عليه في هذه السنة، بإثر وصوله إلى مصر، وبعث السلطان معهما إلى الإسكندرية، علي بن المبارك بن رميثة وولديه، وسجن الجميع بالإسكندرية، إلى أن الناصر فرج، شفع لهم بعض الناس في إطلاقهم بالإسكندرية، ومنعهم من الخروج من أبوابها، فتم لهم ذلك، ثم تكرر سجنهم وإطلاقهم بالإسكندرية على الصفة المذكورة، ثم نقل عنان إلى مصر في آخر سنة أربع وثمانمائة، أو في أول التي بعدها، بسَعْي القاضي برهان الدين إبراهيم بن عمر، تاجر الخواص الشريفة السلطانية، لتغيره على صاحب مكة، الشريف حسن بن عجلان، لما أخذه من الذهب الكثير، من ولده القاضي شهاب الدين أحمد، لما انكسر المركب الذي كان فيه، وهو إذ ذاك متوجهاً إلى اليمن، وقصد المحلي بإطلاق عنان، إخافة السيد حسن، كي يرد عليه المال، أو ما أمكن منه، ونوه لعنان بولاية مكة، فما قدر ذلك، لمعاجلة المنية عناناً، وسبب موته، أنه حصل له مرض خطر، يقتضي إبطال بعض جسده، فعولج من ذلك بإضجاعه بمحل فيه أثر النار، حتى يخلص ذلك أعضائه فيقويها، وكان أثر النار الذي أضجعوه عليه، شديد القوة فأحرقه فمات، يوم الجمعة مستهل شهر ربيع الأول، وقيل ثانيه، سنة خمس وثمانمائة، عن ثلاث وستين سنة .وكان كثير الشجاعة والكرم، عالي الهمة، قليل الحظ في الإمرة، وأما في بيت روحه، فسعده في ذلك عظيم، وخلف ولدين نجيبين، أحدهما السيد محمد، توفي بينبع في النصف الثاني من ذي القعدة، سنة ست وثمانمائة، قافلاً إلى مكة، باستدعاء السيد حسن صاحب مكة، والآخر السيد عليّ، وهو بقيد الحياة([386])، وله اعتبار كبير بين قومه.

ومن محاسن أبيه، أنه سمح لبني شيبة، سدنة الكعبة المعظمة، ما كان يأخذه منهم أمراء مكة قبله، وذلك جانب كبير من كسوتها، في كل سنة، أو خمسة آلاف درهم عوضاً عن ذلك،

مع ستارة الباب، وثوب مقام إبراهيم عليه السلام .ومما سمح به لبعض الشعراء، وهو الجمال محمد بن حسن بن العليف، ثلاثون ألف درهم، جزاء على قصيدة مدحه بها، أولها) :بروج زاهرات أو مغاني.(

وترجم له السخاوي([387])، بما لم يشذ كثيراً عما تقدم .بل هو منقول عن مصدرنا عدا شذرات يسيرة، وذكر ترجمة الفاسي هذه، وترجمة المقريزي.

أما بقية مؤرخي مكة فعن الفاسي ينقلون .والله أعلم.

-50الشريف علي بن مبارك بن رميثة بن أبي نمي محمد، وبقية النسب تقدم .ت 815)هـ1412/م :(

ترجمة له التقي الفاسي، فقال :([388])كان يأمل إمرة مكة، وقوي رجاؤه لها، لما انحرف الملك الناصر فرج بن الملك الظاهر برقوق صاحب مصر، على صاحب مكة الشريف حسن بن عجلان، ورسم بالقبض عليه وعلى ولديه، وندب لذلك الأمير بيسق، مع بيسق، فيما ندب إليه، ليتألف له بني حسن لا ينفروا منه، وبعث عليّ المذكور إلى الإسكندرية، على أنه يعتقل بها، فإذا خرج الحاج من مصر إلى مكة، طُلب علي وجُهز إلى مكة، بحيث يدرك أمير الحاج قبل وصوله إلى مكة .وكان إرساله إلى الإسكندرية ليبلغ ذلك صاحب مكة فلا ينفر منها، وتتم عليه المكيدة، فوقاه الله السوء، وعطف عليه قلب صاحب مصر، فبعث إليه وإلى ولديه بالتشاريف، والعهد ببقائهم على ولاياتهم، وإلى أمير الحاج بالكف عن حربهم، ورجع علي بن مبارك إلى مصر، وقصده أولاده من مكة، رجاء أن يتم له أمر، فأدركه الحمام دون المرام، في آخر سنة خمس عشرة وثمانمائة، وهو معتقل بقلعة الجبل .([389])وكان اعتقاله في هذه السنة، بإشارة الملك المؤيد أبي النصر شيخ، قبل توليته الملك، وكان علي المذكور في

سنة تسع وثمانين وسبعمائة، لايم آل عجلان وأعطوه نصف ما تحصل فيها، ليصرفه على جماعته، ثم خُوِّف منهم، ففر إلى عنان وأصحابه بمكة، وأشركه عنان في إمرة مكة، وصار له ولأخيه عقيل بن مبارك نصف البلاد، ولعنان وأحمد بن ثقبة النصف، وكان عنان قبل وصول علي إليه، جعل مكة أثلاثاً، بينه وبين عقيل وابن ثقبة، فلما أشرك معهم علياً، صار يدعى لأربعة على زمزم، وفي خطبة الصغار في رمضان، وأما في خطبة الجمعة، فلا يدعى إلا لعنان، لأن الخطيب بمكة، لم يوافق على الدعاء لغيره، وحضر علي بن مبارك حصار مكة في دولة علي بن عجلان، سنة سبع وتسعين وسبعمائة، ثم توجه بعد انقضاء الحصار إلى مصر في هذه السنة، فاعتُقل بها، ثم نقل إلى الإسكندرية فاعتقل بها، ثم أطلق فيها، ثم أذن له في القدوم إلى مصر، فقدمها وأقام بها حتى مات، خلا المدة التي بعث فيها إلى الإسكندرية، للمكيدة المقدم ذكرها.

وذكره السخاوي) في مادته (مختصراً عن مرجعنا هذا .ولعليّ هذا ذرية اليوم يدعون »العَرَادات «يقطنون الليث، فيما أخبرني الشريف عبد الله بن محمد المجاشي.

قلت :وكان لعلي بن مبارك ابن اسمه) مَيْلب (فقد يكون العَرَاءات من ذريته .وكان لميلب هذا دور في عهد الحسن بن عجلان.

51–الشريف عقيل بن مبارك بن رميثة، المتقدم 825 –) هـ 1421– /م :(

قال السخاوي :([390])كان من أعيان الأشراف، بل جعله عمه عنان بن مغامس شريكاً له في إمرة مكة، وبقي على ذلك أشهراً يدعى له في الخطبة وعلى زمزم بعد المغرب .مات في سنة825) هـ (بعد أن أضر) عمي (وربما تغير عقله) .نقلاً عن العقد الثمين.(

وهذا مختصر ما في العقد، وفي العقد أيضاً :([391])إن إشراك عمه إياه كان سنة تسع وثمانين وسبعمائة، وهي ولاية عنان الأولى .وهكذا نرى أن وفاته كانت بعد ولايته بست وثلاثين سنة .ولم أسمع له بذرية اليوم.

-52الشريف الحسن بن عَجلان بن ر بن أبي نمي محمد .يلقب بدر الدين .أمير مكة ونائب السلطنة بالحجاز .

(775-829 هـ1425-1373/م)

يكاد يكون السيد حسن هذا أقوى من حكم الحجاز، وأكثرهم أموالاً، وإنفاقاً في وجوه البر . كانت له أوليات تفرد بها عمن سبقه من ملوك الحجاز، منها :

-1إنه أول من دوَّن المؤرخون تأريخ ولادته، من بين أسلافه.

-2أول من عين نائباً للسلطنة المملوكية في الحجاز.

-3وسع ملكه فضم مخلاف حلي([392])، وتوسع في الشرق، فتكونت له نفس المنطقة المعروفة اليوم بمنطقة مكة، بالإضافة إلى منطقة المدينة وبلاد غامد وزهران، وبلاد البقوم.

-4أول من أوقف المدارس والأبرطة والعيون من أمراء مكة على وجوه الخير.

-5أول من سمى ولده) بركات (من الأشراف، فتابعه قومه في ذلك إلى اليوم.

وله مناقب وفضائل عديدة.

ترجم له تقي الدين الفاسي ترجمة مطولة كادت تكون كتاباً، وذلك لمعاصرته إياه، فهو يروي عنه بلا واسطة، فيقول :وأنا أسمع.

ومع محاولتي اختصارها إلا إن فائدة كل فقرة فيها حدَّت من سطوة المختصر، وها هي أمامك على طول فيها.([393])

ولي إمرة مكة من غير شريك، أحد عشرة سنة وتسعة أشهر وأياماً يسيرة، وهي ستة أيام، وليها سنة وسبعة أشهر، بتقديم السين، شريكاً لابنه السيد بركات، وهو الساعي له في ذلك، وولي نيابة السلطنة سبع سنين إلا شهراً وأياماً، وولي ابنه السيد أحمد عوضه نصف الإمرة الذي كان بيده، قبل أن يلي نيابة السلطنة .وما ذكرناه في مدة ولايته لإمرة مكة، مستقلاً وشريكاً لولده بركات، هو باعتبار تاريخ الولاية بمصر، لا باعتبار وصول الخبر بذلك إلى مكة . وكذلك ما ذكرناه في مدة ولايسته لنيسابة السلطنة، هو باعتبار تاريخ الولاية والعزل، لا باعتبار بلوغ الخبر بما إلى مكة، فتكون ولايته على مكة أميراً ونائباً للسلطنة، عشرين سنة وثلاثة أشهر إلا أربعة أيام، وربما زاد ذلك أياماً قليلة وبعض أيام قليلة، وسنوضح ذلك أكثر من هذا وغيره م خبره .وذلك أنه ولد في سنة خمس وسبعين وسبعمائة تقريباً، ونشأ في كفالة أخيه أحمد مع أخيه علي بن عجلان أمير مكة، حتى مات أحمد .ويقال :إن أحمد استولى على ذهب جيد تركه عجلان لابنيه حسن وعلي، ولأخ لهما شقيق لعلي، ولاءم المذكوران كبيبشاً بعد قتل محمد بن أحمد بن عجلان، ثم سافر حسن بعد الحج من سنة تسع وثمانين وسبعمائة إلى مصر، لتأييد أمر أخيه عليّ في إمرة مكة، فإنه ولي إمرتها في أثناء سنة تسع وثمانين وسبعمائة، عوض عنان، وما تمكن من دخولها، ثم ولي نصف إمرتها شريكاً لعنان بلعد أن حضر إلى السلطان بمصر في النصف الأخي من رمضان من هذه السنة.

ووصل مع الحاج في هذه السنة، ودخل مكة في أول ذي الحجة بعد مفارقة عنان وأصحابه مكة، وعاد حسن إلى مكة، ومعه جماعة من الترك، لتأييد أخيه علي، ثم حصل بن مقدمهم وبين حسن منافرة بالمروة، فقال المقدم– وأنا أسمع –لحسن :أنت صغير، فسمعت حسناً يقول له :إن كنت عندك صغيراً، فأنا عند الله كبير، فاستدللت بذلك على تيقظه .وكان وصوله بهذا العسكر في ربيع الآخر أو جمادى الأولى من سنة تسعين وسبعمائة .وكان ملائماً لأخيه علي في غالب مدة ولايته، وأخوه مكرم له، وما ظهر بينهما منافرة فاحشة، إلا في وقتين، بأن فيهما حسن عن عليّ، وغغزا في كلا الوقتين أخاه بمكة، فدخلها في المرة الأولى هجماً في جماعة من أصحابه، وخرجوا منها من فورهم، وقتل بعضهم شخصاً يقال له بحر، وذلك في أول سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة .والغزوة الأخرى في سنة سبع وتسعين وسبعمائة، في جمادى الآخرة منها .وأقام بمن معه من الأشراف وغيرهم في الزاهر أياماً، ثم رحلوا بغير قصد؛ لأن بعض أصحاب علي أمر بعض أصحاب حسن بالرحيل، فرحل وتلاه الباقون .وسافر حسن بعد ذلك إلى مصر راجياً لإمرة مكة، فحضر عند الملك الظاهر صاحب مصر بالقلعة غير مرة، ثم اعتقل بقلعة الجبل في شهر رمضان من السنة المذكورة.

ووصل كتاب السلطان إلى علي يخبره بذلك، ويأمره فيه بالعدل مع خلعة، فلبسها وقرأ الكتاب بالمسجد الحرام، في سلخ رمضان، وبعد جمعة استشهد علي، وذلك في سابع شوال من السنة المذكورة .وبلغ قتله السلطان في تاسع ذي القعدة من السنة المذكورة، فأطلق حسناً، وولاه عوض أخيه إمرة مكة، وجعل إلى الأمير يَلْبُغا السالمي تقليد حسن للإمرة، وكان يظن أنه يدرك الحج، فما قدر ذلك.

ووصل الخبر بولايته إلى مكة، في أثناء العشر الأخير من ذي القعدة، وكان بالبلد من حين قتل علي .ووقع في هذا الموسم فتنة في يوم التروية، نهبت فيها للحاج أموال كثيرة، وطمع

الحرامية في الحجاج، فنهبوهم بطريق عرفة، وكان معظم النهب بالمأزمين، مأزمي عرفة([394])، ويسميها أهل مكة المضيق، ورحل الحاج إليها بأيام، نحو نصف شهر، وتوجه معه بجماعة من الترك، قيل إنهم مائة وثلاثون، وقيل سبعون، ومعه من الخيل تسعون– بتقديم التاء –وغير ذلك مما يحتاج إليه ويتجمل به .ولما انتهى إلى ينبغ طالب أميرها وُبَيْر بن مخبار، بما أنعم به عليه السلطان عنده؛ لأن السلطان كان بعث قمحاً للبيع غ ينبع، فاستولى عليه وبير، ثم أنعم به السلطان على السيد حسن .توقف وبير تسليم ذلك إليه، فأمر حسن غلمانه بلبس السلاح والتهيؤ للقتال .فلما عرف لك وبير أرضاه بخمسة وثلاثين ألف درهم، ورحل عنه حسن إلى مكة، وأمر أخاه محمد وأصحابه بلقائه، فاجتمعوا قريباً من ثنية عسفان أو السُّوَيق .([395])وكان الأشراف لما سمعوا بإقبال حسن إلى مكة، وخروج محمد ومن معه منها للقائه، رحلوا من عسفان إلى غُران إلى شق طريق الماشي، فطلب حسن الأشراف يوماً وليلة، فلم يلحقهم لارتفاعهم في الحرار، وأمر علي بن كبيش، أن يخرج من مكة بجماعة من أهلها إلى خيف بني شَديد، ليقطعوا بها نخيلاً للأشراف، ففعل ذلك، ثم أشير عليه بالإعراض عن ذلك، فترك وانتهى إلى بئر شميس ([396])وأقام بها عشراً، ثم دخل مكة في يوم السبت الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وسبعمائة، فلبس الخلعة، وقرئ عهده بالولاية وطاف بالبيت، وأقام بها إلى أثناء ليلة الأحد، وخرج ومن معه إلى بئر شميس(3)، ثم انتقل منها في النصف الثاني من جمادى الآخرة من السنة المذكورة، إلى العد ([397])وكان الأشراف قد أقاموا به نحو خمسة وعشرين يوماً بمعاونة الحميضات، ثم رحلوا منه إلى جهة اليمن .وأمر في النصف الثاني منة رجب بقطع نخيل الفائجة والبريقة بخيف بني شديد([398])، وكلاهما لبعض الأشراف .وكانوا قد اجتمعوا بدريب ([399])بن أحد بن عيسى صاحب حلي، وخوفهم من حسن مرورهم عليه إلى وادي مر، فذكروا له أنه لا قدرة له عليهم، ووقع كلامه في قلوبهم، لأنهم لما قربوا من الموضع الذي حسنٌ فيه مقيم، أرسلوا يطلبون الجيرة من بعض أصحابه في حال مرورهم، وأوهموا رسولهم أنهم لا يمرون حتى يعود عليهم بالخبر، وقصدوا بذلك ان يتثبط عنهم أصحاب حسن .فلما كان الليل، مروا

وأصحاب حسن لا يشعرون حتى انتهوا إلى الوادي .وتأثر لذلك حسن وأصحابه، وتحركوا للأخذ بثأر علي بن عجلان .وكان محمد بن محمود ممن انتصب لذلك لحسن سياسته، فتكلم مع القواد في ذلك فأجابوه لما طلب، لظنهم أنه لا لايتم ذلك على عادة بني حسن في التثبط عن القتال بالجيرة في كل يوم، فيمل الطالب للقتال ويصالح المطلوب، فجاء القدر بخلاف ذلك؛ لأن الفريقين لما التقيا، وبادر الأشراف إلى الحرب، لاستخفافهم بالقواد، وكانوا عرفوا بمكان القواد العِمرة، فحملوا عليهم حملة منكرة، زالت بها القواد عن أماكنهم، وكادوا ينهزمون، فعطف الحميضات والسيد حسن، وكان في القلب، ومن جمع لهذا الحرب، على الأشراف فانكسروا، وقتل من سراة الأشراف سبعة، ومن أتباعهم نحو ثلاثين، وما قتل من أصحاب حسن فيما قيل غير مملوك وعبد .وكان معه ألف رجل ومائتا رجل من الترك والعبيد والمولدين، وأهل مكة والأعراب، وأجار على حلة الأشراف من النهب فسلمت، وقصدوا جهة الهدة، وأقام بالجديد، حتى أتى الموسم .واستفحل أمره بعد هذه الوقعة، وكانت بمكان يقال له الزبارة([400])، بوادي مر، قريباً من أبي عروة، في الرابع والعشرين من شوال من السنة المذكورة، وقيل في هذا التاريخ في شهر رمضان، وما أتى إلى جدة في هذه السنة من تجار رمضان، وما أتى إلى جدة في هذه السنة من تجار اليمن غير قليل، ومضى أكثرهم إلى ينبع، وكان مقدمهم القاضي وجيه الدين عبد الرحمن بن القاضي نور الدين علي بن يحيى ابن جُميع؛ لأنهم أتوا إلى جدة أيام الحرب المذكور، فعدلوا عنها إلى ينبع .ولما عادوا منها في سنة تسع وتسعين وسبعمائة، تعرض لهم السيد حسن، لأخذ الجبا ([401])منهم، فراضوه في ذلك بعد أن أسقط عنهم الثلث منه، وذبح بعض غلمانه رجلاً يقال له محمد ابن جماز، ويعرف بابن أبي داعس، من غلمان الأشراف، لتحسينه لابن جميع المرور على جدة .والذي حمله على ذلك، أن نفسه لم تطِب بأن يحصل لحسن نفع من التجار .وكان جماعة من التجار واصلين من اليمن لقصد ينبع، فلما سمعوا بذبح المذكور، وبإسقاط حسن لثلث الجبا (2)عمن تقدم، دخلوا إلى جدة، وعني حسن بحفظ الواصلين إلى من اليمن في توجههم إلى مكة، وفي عودهم منها إلى جدة، فعادوا حامدين له، ونال منهم نفعاً جيداً تجمل به حاله .وما زال

يزداد جمالاً في حاله، وهيبته تغظم في القلوب؛ لأن صاحب مصر بعث إليه بخلعتين في هذه السنة، وذهب، لشكره له على قتل أعدائه .ووصل ذلك إليه على طريق سواكن، لخوف قصاده من صاحب ينبع .وكان وصول ذلك إليه في آخر جمادى الآخرة من سنة تسع وتسعين وسبعمائة.

وفيها، قبل ذلك، في ربيع الآخر، غزا بعض بني شعبة، فأخذ منهم ثلاثمائة بعير وغير ذلك.

وفيها أخرج الأشراف من جدة، وكانوا نزلوها في شهر رجب بمعونة القواد الحميضات([402])، لغضبهم على حسن، واستمالهم بالإحسان، حتى ساعده على إخراجهم من جدة وتبعهم إلى عسفان، فهربوا إلى خليص، فتبعهم فهربوا أيضاً، فرجع عنهم وتوصلوا بغير حريم إلى الخيف، فأجارهم بعض القواد إلى انقضاء السنة، وسكنوا الخيف وما جسروا على فعل ما يخالف هواه، إلى ذي القعدة من السنة المذكورة .وفيها قصدوا نخلة، وتكلَّموات مع أهلها في أن يمكنوهم من إنزال أهلهم بنخلة .وكان الذي حركهم على ذلك الطمع في التجار الواصلين إلى جدة في هذه السنة .وكان الواصل منهم كثيراً في هذه السنة .وبلغ الشريف خبرهم، فأشار إلى هذيل بأن لا يجيبوا الأشراف لقصدهم، أحسن لهذيل بشيء من المال، والتزم للأشراف بخمسين ألف درهم، على أن لا يخالف عليهم ولا يخالفون عليه، إلى انقضاء السنة، وانقضاء شهر المحرم بعدها، وقدم التجار إلى مكة، وسافروا منها في المحرم من سنة ثمانمائة في قافلتين، كل قافلة أزيد من ألف جمل، وصحبهم بالحراسة حتى ركبوا إلى بلادهم، وأعطى الأشراف ما التزم لهم به، وصالحهم في ربيع الأول فيما أحسب، من سنة ثمانمائة إلى انقضاء سنة ثمانمائة، والتزم لهم على ذلك تسعين ألف درهم .فلما كان قبل يوم التروية بليلة أو ليليتين، توجه حسن بأمراء الحاج كلهم، وجماعة من الترك والمغاربة، إلى وادي مر، لقصد الأشراف بسبب سوء بلغه عنهم، فيما قيل، فانهزموا إلى الهدة، وما ظفروا إلا بأحمد بن فياض بن أبي سويد، فقتل، وعادوا إلى مكة.

وفي آخر سنة ثمانمائة قبيل الموسم، كحل بعض غلمان ذوي عمر، لتنجيله ([403])بعض الجلاب ([404])قبل بلوغها ساحل جدة، وحصل من ذلك رعب في قلوب بني حسن، وما جسر أحد على أن ينجل قبل جدة، إلا في الوقت الذي أذن فيه حسن، وهو هلال ذي الحجة، وما قرب منه بأيام يسيرة.

وفي هذه السنة، حج من اليمن في البر ناس كثير، مع محمل أنفذه الملك الأشرف صاحب اليمن، وعليهم أمير من جهته، وعضدهم محمد بن عجلان، أخو حسن، وكان قدم اليمن في هذه السنة، وناله بر طائل من الأشراف، وأصاب الحجاج هؤلاء في إقبالهم إلى مكة بالقرب منها، عطش عظيم هلك فيه فيما قيل ألف نفس، وتوجه المحمل في ثقاني عشري ذي الحجة من السنة المذكورة .وكان قد انقطع المحمل من اليمن من سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة.

وفي سنة إحدى وثمانمائة، تغير القواد الحميضات عليه، لطمعهم فيما حصله من الخيل والدروع، وما ظفروا منه بقصد، لأنه لما ظهر ذلك منهم، وصل إليه في جمادى الآخرة من السنة المذكورة ثلاثة نجابة، وأخبروا أن الأمير بيسق أمير الحاج في سنة تسع وتسعين وسبعمائة، وصل إلى مكة في جماعة من الترك، وأنه يتوجه في سنة إحدى وثمانمائة .ووصل إليه مع النجابة ([405])المخبرين بذلك، خلعتان من قبل السلطان، فلبسهما وقرئ كتاب السلطان بالمسجد الحرام، فتخوف الحميضات منه، ومن الترك الواصلين إلى مكة، وسافروا إلى الشرق قبل وصول الخبر بدنو الترك من مكة بيوم، وذلك في أول العشر الأخير من شعبان.

وفي ثالث عشري شعبان، وصل الأمير بيسق ومعه خمسون فرساً ومائة مملوك وغيرهم من الفقهاء، وغيرهم لقصد العمرة والحج .وكان شميلة بن محمد بن حازم([406])، أحد أعيان الأشراف، لاقى الأمير بالطريق، فخلع عليه وأعطاه دراهم، وحمل دقيق وحلوى، وأمره أن

يأتيه بأصحابه، ليصلح بينهم وبين السيد حسن، فأجابه إلى ذلك، وبعد مفارقته له، قصد الأمير حلة الأشراف، وكانوا قريباً منه بأم الدمن([407])، فما وجد لهم أثراً لفرارهم قبل وصوله إلى حلتهم .وكان السيد حسن، قد لقي الأمير بقاع ابن غزى، ووصل إلى مكة بعد وصوله، وخلع الأمير عليه وعلى محمد بن محمود، وعلي بن كبيش، ومكَّن حسن أهل مكة من لبس السلاح، وكان الأمير قد منعهم من ذلك .

ونقص سعر الذهب عما قرره الأمير في قيمته، لشكوى الناس إليه ذلك .وكان منع من الدعاء لصاحب اليمن بعد المغرب على زمزم، فنهاه السيد حسن عن ذلك، ومكَّن من الدعاء لصاحب اليمن على العادة.

وفي شهر رمضان من هذه السنة، غزا حسن عرباًَ يقال لهم البقوم([408])، فغنم منهم مائتي ناقة وبقرأص وغنماً، وعاد بذلك، وكان البقر والغنم قد وكل بحفظه إلى بعض غلمان ممن ليس فيه كبير قوة، فاستنقذ ذلك منهم المنهوبون، وقتلوا من غلمانه جار الهل ابن أبي سليمان، وتركياً، وفاتتهم الإبل.

وفي أول شوال منها، توجه إلى وادي الطائف، لأن الحمدة أهل الجبل حشموه في جيرته أهل الطائف، وهو مكان مخصوص من وادي الطائف، فاسترضاه الحمدة بثمانين ألف درهم، وخلى عن جرمهم، ونال مثل ذلك من بني موسى أهل لية، وهو مكان مشهور بقرب وادي الطائف، واستدعى آل بني النمر للحضور إليه فتوقفوا، فبذل له الحمدة أربعين الفاً على أن يسير معهم إلى آل بني النمر([409])، فسار معهم ,وهدم حصن آل بني النمر ,وحصل فيه نهب كثير، وقتل بعضهم، وقتل من جماعته مملوكان، وعاد إلى مكة في سادس شوال، ومعه أزيد من عشرين فرساً، فأهدى منها للأمير أربعاً، ثم راح إلى الوادي.

وفي ليلة ثاني عشر شوال، استدعى إليه من في خدمة الأمير من الترك، ومن بمكة من غلمانه من العبيد والمولدين، فذهبوا إليه إلى الوادي، ومضوا معه إلى الخيف، فقطعوا فيه ثمر نخيل ذوي راجح([410])، وقطعوا بالبرقة ([411])نخيلاً لبني أبي سويد، وقطعوا في الروضة الخضراء، نخيلاً للأشراف؛ لأنهم دخلوا على الحميضات بعد عودهم من الشرق، وحصل بينهم حميل([412])، فأدبهم السيد حسن بذلك ومضى الأشراف إلى ساية .فلما توجه الحاج من مكة في سنة إحدى وثمانمائة، بلغ الشريف حسناً أن القواد وغيرهم، طمعوا في أهل اليمن، فخرج في صحبتهم إلى جدة، ومعه الأمير بيسق في آخر ذي الحجة، وعاد إلى مكة بعد سفر اليمنة من جدة سالمين.

وفي أول شهر ربيع الأول سنن اثنتين وثمانمائة، توجه إلى الشرق، وأخذ من الطائف ولية القطعة التي رقررها عليهم، وعاد إلى مكة في الخامس من ربعي الآخر، وفيها اصطلح هو والأشراف آل أبي نمي مدة سنة([413])، وصاروا يدخلون مكة برفقة وبغير رفقة .وأظن ذلك اتفق بعد عوده من الشرق .والل أعلم.

وفي آخر جمادى الأولى منها، وصل إليه خلعة من صاحب مصر، فلبسها.

وفي هذه السنة حصل له من التجار الواصليثن من اليمن، نفع أزيد من العادة بكثير، لكثرة من وصل منهم في هذه السنة، وكانت مراكبهم تزيد على العشرة غير الجلاب، ووصلوا جدة في آخر رمضان، ومكة في شوال.

وفي سنة ثلاث وثمانمائة في ثاني صفر، توجه إلى المدينة النبوية زائراً لجده المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، على طريق الماشي، في مائتي راحلة ومائة جمل وستيتن فرساً وثلاثمائة رجل، وعاد إلى مكة في عاشر ربيع الأول.

وفيها ندب إلى مصر القائد سعد الدين جبروه، بهدية ولشراء مماليك ترك وغير ذلك من مصالحه، فوصل إليه في الموسم من هذه السنة بجماعة من الترك.

وفيها في ثاني شعبان توجه إلى الشرق، وأخذ من أهل الطائف ولية القطعة التي قررها عليهم.

وفيها وقف رباطه الذي أنشأ عمارته، وهو بالقرب من مدرسته، وما عرفته هذه المنقبة لغيره من أمراء مكة الأشراف.

وفي سنة أربع وثمانمائة في صفر، توجه إلى حلي، لأن كنانة استدعوه إليها عقيب فتنة، كانت بينهم وبين دريب بن أحمد بن عيسى صاحب حلي وجماعته.

وفيها قتل دريب في يوم عرفة من سنة ثلاث وثمانمائة .وكان الأشراف آل أبي نمي في خدمته، ومن انضم إليه من زبيد .وكان في خدمته حين توجه إلى حلي القواد العمرة والحميضات .وما مر في طريقه بأحد فيه قوة إلا وأمره بالمسير في خدمته بالظعن، وكان قد سار إليها بذلك .ولما دنا من حلي، خضع له موسى بن أحمد بن عيسى أخو دريب، وكان قد قام مقام أخيه؛ لأنه كان شريكه في حال حياته في ولاية حلي، ولكن السمعة لدريب . فلاطف موسى حسناً وأجاب إلى ما طلب حسن من الدروع والخيل والإبل وغير ذلك، وشرط على حسن أن لا ينزل الموضع المعروف بحلي، وأن يقصر دونهن، فما تم له قصد؛ لأن حسناً نزل المكان المذكور، وأقام به أياماً، وشق ذلك على بعض من كان في خدمته من القواد العمرة والحميضات، لالتزامهم لموسى عن حسن أنه لا يدخل حلي.

وبلغني أنه لما انتهى إلى حلي، عبأ من معه في عدة صفوف، وأن موسى أقبل إليه راجلاً يشق الصفوف، وهي تفرج له، حتى انتهى إلى حسن وهو راكب .وعاد حسن بعد ذلك بأيام إلى مكة، فانتهى إلى موضع بالقرب منها يقال له الأطوى([414])، في شهر ربيع الآخر من السنة المذكورة، ثم دخل مكة بعد أيام من وصوله إلى الأطوى، وخلع عليه الأمير بيسق يوم دخوله إلى مكة، واحتفل بلقائه؛ لأنهم لما توجه لحلي استنابه في الحكم بمكة، ثم نقم عليه حسن بغض أوامره بمكة؛ لأن بيسقاً منع من الدعاء لصاحب اليمن على زمزم بعد المغرب، فأمر السيد حسن بالدعاء له، فأرسل مرسومين من صاحب مصر، في أحدهما أن لا يمنع الدعاء بمكة لسلطان اليمن، وفي الآخر، أن ليس لأحد من الأمراء الواصلين من مصر، في أوساط السنة على صاحب مكة السيد حسن يد ولا حكم، بل يعضدونه ويقوون كلمته ويعلون شأنه، وإن لم يسمع الأمير، وخالف وطلبكم القتال قاتلوه .وقرئ هذان المرسومان خلف المقام بحضرة قاضي مكة عز الدين النويري، وجماعة من أهل الحرم، في سلخ جمادى الأولى أو مستهل جمادى الثانية، ولم يكن الأمير بيسق– إذ ذاك –بمكة؛ لأنه توجه من مكة بقصد مصر وقت العصر، من اليوم التاسع والعشرين من جمادى الأولى.

وفي الليلة التي تلي هذا اليوم بعد المغرب، كان وصول أمر السيد حسن إلى مكة بالدعاء لصاحب المين مع قاصدٍ من جهته، ومعه المرسومان، ثم تنافرا بعد ذلك؛ لأن الأمير بيسق، كان كتب شفاعات لنفسه، وذكر فيها أنه أزال من مكة المنكر، فأخذ ذلك منه السيد حسن، وأخذ منه قفل باب الكعبة ومفتاحه .وكان الأمير بيسق لما أخذ في باب الكعبة، وقت العصر من اليوم الثاني والعشرين من جمادى الأولى، وأعيد القفل القديم إلى الكعبة، وكان أمر بسد الشبابيك التي بالجانب الغربي، فأذن حسن في فتحها، وكان أمر بنقل السوق من المسعى إلى سوق الليل، فأمر حسن بإعادته إلى المسعى، وكان نقله إلى المسعى في عشر جمادى الآخرة، وعوده إلى المسعى في عاشر جمادى الآخرة، واتفق أن عوده كان بحضوره؛ لأنه كان عاد إلى مكة في ليلة رابع جمادى الآخرة، بعد أن بلغ كُلَيَّة، ثم افر منها في ليلة

الثامن والعشرين من جمادى الآخرة إلى مصر، وهو واجد على أهل مكة، وكانوا نقموا عليه إهانته لكثير منهم؛ لأنه رسم على القاضي الشافعي بمكة بغير موجب، وضرب بعض فقهاء الحرم وفرَّاشيه وغيرهم من أهل مكة.

ومما حمد عليه أمره لبوابي المسجد الحرام، بملازمة أبوابه وتنظيف الطرقات من الأوساخ والقمائم، ونقل الكُدى التي كانت بسوق الليل والمعلاة، وأن لا يحمل السلاح بمكة، وإخراج بنات الخطا والمخنثين وغيرهم من أهل الفساد من مكة.

وكان سبب إقامته بمكة، تولية لأمر عمارة المسجد الحرام؛ لأن في آخر شوال سنة اثنتين وثمانمائة، احترق منه الجانب الغربي، وبعض الجانب الشمالي، فقدم المذكور إلى مكة في موسم سنة ثلاث وثمانمائة، وأقام بها لأجل ذلك إلى التاريخ السابق، ووكل بباقي العمارة جماعة من غلمانه .وقد أوضحنا في كتابنا» شفاء الغرام «ومختصراته، خبر هذه العمارة وسببها أكثر من هذا.

وفي أول رجب من هذه السنة، وصل بعض الأشراف آل أبي نمي، وهم شميلة بن محمد بن حازم، وعلي بن سويد، وابن أخيه، إلى حسن، وسألوه في الصلح، فأجابهم إلى ذلك مدة سنة، ولم يذكر لهم أن القواد العمرة يدخلون معه في الصلح .ولما سمع بذلك القواد العمرة، شق ذلك عليهم، فذكر لهم أنه لم يدخلهم معه في الصلح، وإنما صالحهم عن نفسه وجماعته، فرضوا منه بذلك، وغُم بذلك الأشراف، فتجهزوا ورجعوا إلى أهلهم بحلي أو قربها.

وفيها، في أول شعبان، وصل إلى موسى صاحب حلي، فأعطاه ألف مثقال وعشرة أفراس، وأظنه جاء إليه مستنصراً به على كنانة([415])؛ لأنهم في جمادى الأولى، دخلوا حلي بالسيف ونهبوها، وهرب هو إلى آل أبي نمي إلى الطالعي.

وفيها في صفر، حصل له خمسة وستون ألف مثقال وأزيد، فيما قيل، من القاضي شهاب الدين أحمد ابن القاضي برهان الدين المحلي، وجماعة من تجار الكارم؛ لأن المركب الذي كانوا فيه انصلح بقرب مكة، فأعطوه هذا المقدار، عوضاً عن الربع الذي يأخذه ولاة البلاد، فيما ينصلح في بلادهم من الجلاب.

ولما بلغ ذلك القاضي برهان الدين املحلي اشتد غضبه عليه، وسعى في إرسال شخص من خواص السلطان بمصر، يطالبه بذلك، فوصل إليه في آخر رجب، وبلغ رسالته، فاعتذر بتفرق ذلك من يده، ووعد بالخلاص وماطل فيه.

وفي ليلة رابع عشر شوال منها، وصل إليه نجابه أحمد بن خليل الفراء، بخلعة وكتاب من صاحب مصر، فلبس الخلعة، وقرأ الكتاب بالمسجد الحرام، في رابع عشر شوال، ومما في الكتاب الوصية بالرعية .ولما دنا الموسم من السنة التي جرى فيها ذلك، تخوف حسن من لقائه الحاج المصري، لكثرة من فيه من الترك، فإنهم كانوا نحو مائتي نفر فيما قيل .وكانت خيلهم قليلة، وما خرج إليهم إلا بجمعٍ كثير جداً، فهالهم ذلك، وخلعوا عليه على العادة . ودخل مكة وخدم الحاج .وكان المحلي قد غلب على ظنه، أن حسناً لا يعيد إليه شيئاً من ذلك .فسعى في إحضار عنان بن مغامس ابن رميثة إلى مصر، فحضر إليها من الإسكندرية، وكان معتقلاً بها، ونوه له المحلي بولاية مكة، فاخترمت المنية عناناً قبل ذلك .ووصل نعيه إلى مكة في آخر ربيع الآخر من سنة خمس وثمانمائة، وكانت وفاته في أول الشهر الذي قبله.

وفي خامس عشر جمادى الآخرة سنة خمس وثمانمائة، وصل من مصر خلعة للسيد حسن مع نجابة أحمد بن خليل، ولبسها يوم السبت سادس عشر الشهر المذكور بالمسجد الحرام.

وفي آخر الشهر، وصل خادم من جهة السلطان، يقال له بلبل العلائي، مشد الحوش، وخلع على السيد حسن خلعة، وكان مقيماً بعرفة في هذا التاريخ وقبله بمدة.

وفي هذه السنة، أرضى المحلي بعشرة آلاف مثقال، التزم له بها ووعد بخلاصها في الموسم.

وفي هذه السنة أمر السيد حسن غلمانه بالاستيلاء على غلال أموال الأشراف آل أبي نمي.

وفي سنة ست وثمانمائة، قصده جماعة منهم لاستعطافه، وما شعر بهم إلا عند منزله، فعطف عليهم.

وفي سنة ست وثمانمائة، استخدم بجدة الفقيه جابر بن عبد الله الحراشي([416])، وفوض إليه الأمر في جميع ما يصل إليها من جهة الشام واليمن، فنهض بخدمته نهوضاً لم ينهض بمثله أحدٌ من خدامه فيما مضى، وعمر الحراشي الموضع الذي يقال له الفرضة بجدة، ليحاكي به فرضة عدن، وقرر لبني حسن الرسوم التي يتناولونها الآن، وجعلها لهم في ثلاث حلات، وأبطل رسومهم السابقة، وكانت تؤخذ من التاجر مع الجبا، فلم تجعل لهم على التجار سبيل، فأراح التجار من مطالبتهم.

وفي سنة ست وثمانمائة فيما أظنه، بعث حسن رتبة إلى حلي، مقدمهم علي بن كبيش، فاستغفلهم بعض جماعة موسى صاحب حلي .وفتكوا في أصحاب حسن بالقتل وغيره.

وفي سنة ست أو سنة سبع وثمانمائة، توجه الحراشي إلى حلي، وبنى فيها مكاناً يتحصن فيه أصحاب حسن ومن انضم إليهم، وحفر حوله خندقاً .وفي سنة سبع وثمانمائة !شفع إليها الملك الناصر أحمد بن إسماعيل صاحب اليمن، في تركه التشويش على موسى صاحب حلي،

فما أبعده، وحثه على الموافقة أديب العصر، القاضي شرف الدين إسماعيل بن المقري اليمني بقصيدة مدحه فيها أولها .([417])

أحسنت في تدبير ملكك يا حسن

وأجَدْتَ في تحليل أخلاط الفتن

ومنها :

موسى هزبر لا يطاق نزاله

في الحرب لكن أين موسى من حسن

هذاك في يمن وما سلمت له

يمن وذا في الشام لم يدع اليمن

وفي أوائل في الشام لم يدع اليمن وفي أوائل سنة ثمان وثمانمائة، ورد عليه كتاب الملك الناصر صاحب مصر، يخبره فيه بهزيمته لأعدائه بالسعيدية([418])، ورجوعه إلى كرسي مملكته بقلعة الجبل بمصر، والذي وصل إليه بذلك بعض جماعة الأمير إينال باي، المعروف بابن قشماس، وكان إليه تدبير المملكة بمصر، راجياً للبر من السيد حسن، فما خيب أمله، وأمر بقراءة ختمة وبالدعاء، عقيبها للملك الناصر، وكتب بذلك محضراً، أنفذ مع حامل كتابه.

وفي ثاني ربيع الآخر، وصل إليه من صاحب مصر، خلعة مع خلعة القاضي جمال الدين بن ظهيرة بولاية قضاء مكة، فلبس كل منهما خلعته.

وفي آخر هذه السنة، ذهب إلى الشرق، ثم إلى لية، وحارب بعض أهلها، واستولى على بعض حصون من حاربه.

وفي سنة تسع وثمانمائة، سعى لابنه السيد بركات في أن يكون شريكه في إمرة مكة، فأجيب سؤاله .ووصل لابنه تقليد مؤرخ بشعبان سنة تسع وثمانمائة، وأكبر ظني أنه في النصف الثاني من شعبان سنة عشر وثمانمائة .وذهب إلى الشرق في زمن الصيف، ثم عاد إلى مكة.

وفي هذه السنة، قدم المدينة زائراً من الشرق في جمع كثير، فخاف منه أهل المدينة، وتزوج ببعض أقاربه أميرها جماز ابن هبة.

وفيها أيضاً حَمَل إلى القاضي الشافعي بمكة جمال الدين بن ظهيرة ثلاثين ألف درهم، عوضاً عن مال كان أخذه ليقيم تحت حجر الحكم العزيز بمكة، واستحسن الناس منه تخليص ذمته.

وفيها وقف دارين بمكة صارتا إليه بالشراء، من ورثة العماد عيسى بن الهليس.

وفيها تشوش لانقطاع أخبار مصر عنه .فبعث القاضي أبا البركات بن أبي الفتوح السعود بن ظهيرة يتعرف له الخبر، ويسد ما لعله يجد من خلل، ووكله فيما له من الرسم بمصر، وأمره أن لا يظهر وكالته عنه، إن كان وكيله القاضي نور الدين ابن الجلال الطنبدي غير متوار؛ فخالف ما أمره به في أمر الوكالة.

وفي رمضان من هذه السنة، وصل إليه الشريفان :وبير مقبل ابنا مخبار أميراً ينبع، مواليين له، فأقبل عليهما، وكان بينه وبينهما وحشة، فزالت، وحلفا له وحلف لهما على التناصر، وأحسن إليهما بمالٍ جيد.

وفي رمضان من هذه السنة، وقف عدة وجابٍ بالهنية والعقيق، والفتيح([419])، والريان، بعضها على رباطه، وبعضها على رباط ربيع، وبعضها على رباط الموفق، وبعضها على رباط العزِّ، ورباط العباس، وبضعها على الأشراف من أقاربه.

وفيها وصل إليه هدية طائلة من صاحب بنجالة([420])، السلطان غياث الدين أعظم شاه، ووزيره خان جهان، على يد الناخوذا محمود، ووصلت معه صدقة من السلطان المذكور لأهل الحرمين، وخلعٌ لقضاة الحرم وأئمته وغيرهم من أهله.

وفيها وصل إليه هدية من صاحب كنباية، وكتاب يخبره فيه، بأنه أنهي إلينا أن الناس في يوم الجمعة، لا يجدون ما يستظلون به عند سماع الخطبة بالمسجد الحرام، وأن بعض الناس، وسمى جماعة، منهم الشيخ موسى– يعني المناوي –استحسنوا أن يكون هناك ما يستظل به الناس، وإنا أرسلنا بخيام يستظل فيها الناس .فأمر بنصب الخيام، فنصبت حول المطاف مدة قليلة، ثم صارت إليه .وكان في نصبها ضرر لما يحصل للناس من العثار في حبالها، وكان نصبها بعد سفر الحاج المصري من مكة.

وفي هذه السنة أيضاً، مكن المصريين من القبض على أمير الحاج الشامي، بسؤالهم له في ذلك .وصورة ما فعل، أنه أتى إلى أمير الشامي، في جماعة من أصحابه، وهو عند مقام الخليل لصلاة الطواف، في نفر قليل جداً، فقال له :تذهب تسلم على أمير الحاج المصري .

فقال له :في غير هذا الوقت .فما مكنه حسن من ذلك، ومضى به إلى أمير الحاج المصري، فقُيِّد.

وفي سنة إحدى عشرة وثمانمائة في المحرم، ندب القائد سعد الدين جبروه إلى مصر بهدية طائلة، ليسعى له في أن يكون ولده السيد أحمد شريكاً لأخيه بركات في إمرة مكة، فأجيب إليه ذلك، وولي حسن نيابة السلطنة بالأقطار الحجازية، وذلك في العشر الوسط من ربيع الأول سنة إحدى عشرة .([421])ووصل إليه رسوله بغتة في النصف الثاني من ربيع الثاني من السنة المذكورة، ووصل معه خلعة للمذكور، وخلعتان لولديه، وكتاب من السلطان يشهد بولايتهم لما ذكر.

وفي آخر ربيع الآخر منها :ولي إمرة المدينة لعجلان بن نعير بن جماز بن منصور، عوض أخيه ثابت بن نعير([422])، وكان قد عاد لإمرة المدينة، وعزل عنها جماز، وما وصلت ولايته إلا بعد موته .وبعث حسن إلى جماز يعلمه بعزله، وينهاه عن التعرض لما في حاصل الحرم، فكان ذلك سبب إغرائه؛ لأنه نهب ما في حاصل الحرم .وخرج من المدينة قبل أن يصل إليها عجلان، وكان حسن أمره بالمضي إليها، فمضى على طريق الشرق، ليضم إليه جماعته، ويسير بهم إليه المدينة .وبعث حسن ابنه أحمد في جماعة من بني حسن إلى المدينة على طريق الجادة، فوصلوها بعد خروج جماز منها .ولما دخل عجلان إلى المدينة، صار الخطيب بها يدعو للسيد حسن على المنبر في الخطبة قَبْل عجلان وبعد السلطان .واستمر له الدعاء في الخطبة وبعد المغرب على سدة المؤذنين، إلى أن زالت ولاية عجلان، في وقت وصول الحاج الشامي للمدينة، في النصف الثاني من جمادى ذي القعدة في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة.

وفي سنة إحدى عشرة وثمانمائة، نزل السيد حسن بعرفة مدة، ثم مضى إلى جهة اليمن، حتى بلغ مكاناً يقال له البديح.

وفي سنة إحدى عشرة، عمر دوراً عدة في المكان المعروف بدار عيسى، وكان المتولي لأمر عمارتها الحراشي، وكانت قبل عمارتها براحاً متسعاً مملوءاً بالأوساخ، حتى صار كالمزبلة.

وفي سنة اثنتي عشرة وثمانمائة، وصل الخبر إلى مكة، بأن صاحب اليمن أمر بحبس الجلاب عن مكة غضباً على حسن، بسبب ما أخذه من سفيره العفيف عبد الله الهبي، فشق ذلك على السيد حسن، فأغراه الحراشي بغزو اليمن، وقال له :أنا أقوم بجهازك، وأجمع لك الرجال من اليمن .فتحرك لذلك، ثم أشير عليه بالملاطفة، فمال إليها، وبعث الشبيكي إلى اليمن رسولاً يعتذر، ويلتزم عنه بما يطيب الخاطر، وهدية للترك، فقبلَ ذلك السلطان، وأذن للناس في السفر فقدموا، ولكن دون العادة.

وفي هذه السنة، وصل إليه خلعة من صاحب مصر، فلبسها في شعبان .وفيها تغير صاحب مصر على السيد حسن، فرسم بالقبض عليه وعلى ابنيه، وعزلهم والاحتفاظ بهم، وأسر ذلك إلى أمير الحاج المصري الأمير بيبسق، فاستعد لحرب المذكور، وحصل مدافعاً وسلاحاً كثيراً، ثم سعى عند السلطان في تقرير المذكورين في ولايتهم، فأجاب إلى ذلك، وبعث إليهم بالعهد والخلع مع خادمه الخاص فيروز الساقي ,وكتب إلى أمير الحاج المذكور بالكف عن محارلابتهم، وكان قد أعلن بينبع أنه يريد حرب حسن، وكان حسن قد استعد لحربه لما بلغه الخبر في عاشر ذي القعدة، وما انقضى شهر ذي القعد إلا وعنده– فيما بلغني –نحو ستمائة فرس وأربعة آلافغ من الأعراب، غير بني حسن والمولدين والعبيد .وبينما الناس في كرب لهذا الحال، أتاهم من اللطف ما يخطر لهم ببال، وذلك أنه وصل من أخبر بوصول فيروز، وما معه من العهد والخلع للمذكورين .وما كان غير قليل، حتى وصل فيروز فألبس المذكورين

الخلع السلطانية، وقرئ عهدهم بالولاية، وسعى عند السيد حسن لأمير الحاج في دخول مكة والإغضاء عنه، فأجاب سؤاله على أن يسلبم أمير الحاج ما معه من السلاح، فأجاب إلى ذلك أمير الحاج، على أن يعاد إليه سلاحه عند سفره .فأمضى له شرطه ودخل مكة، واجتمع بالسيد حسن بمنزله بأجياد فأحسن ملاقاته، ولم يجتمعا بعد ذلك، وسلم إليه سلاحه عند سفره من منى .وما حج السيد حسن ولا غالب عسكره في هذه السنة، وحج قليل من أهل مكة خائفين، وذهب للناس أموال كثيرة وجرحوا، ولولا كف السيد حسن أصحابه عن إذاية الحجيج لكثر عليهم العويل والضجيج .وتأخر فيروز عن الحجاج بمكة، وذلك ألف زكيبة للسلطان غير ما لفيروز، ومضى بعد أيام إلى جدة، فشحنت الزكائب بحضوره، ووصلت سالمة إلى الطور، ثم إلى مصر، ويقال إنها بيعت فيها بخمسين ألف مثقال.

وفي سنة ثلاث عشرة وثمانمائة، ودى السيد حسن الإمام أبا الخير بن الشيخ أبي اليمن الطبري من عنده، وسلم الدية دراهم إلى ورثته وإخوته، لأن بعض مماليكه– فيما قيل –طعن أبا الخير ليلاً، وهو لا يشعر به لظنه حراميًّا، فمات لوقته .وكان قتله في صفر، وتسليم ديته في ربيع الأول في سنة ثلاث عشرة .

وفيها في ربيع الآخر، وصل إليه تشريف من صاحب مصر، فلبسه في العشرين من الشهر المذكور، وكان جهز إليه مع نجابه أحمد بن خليل، فقتل في الطريق، ووصل إليه ذلك مع بعض رفقته .وفيها وصل له من صاحب بنجالة السلطان غياث الدين هدية طائلة، ومن وزيره خان جهان .ووصل إليه كتاب السلطان بأن يعين رسوله ياقوت الغياثي فيما ندبه له من عمارة مدرسة بمكة، وشراء وقف لها .فباع منه دارين متلاصقتين مجاورتين للمسجد الحرام، صارتا مدرسة للسلطان غياث الدين بعد هدمهما وأنشأ عمارتهما .وباع منه أيضاً أصيلتين بالركاني وأربع وجاب من عين الركاني، ليكون ذلك وقفاً على المدرسة، وما رضي في ذلك إلا باثني عشر ألف مثقال، فسلم إليه شاشات عويضاً عن ذلك؛ لأنه لم يعذره، وأخذ منه أيضاً

شيئاً كان معه لعمارة عين عرفة، على أن يتولى هو ذلك .وكان السلطان المذكور قد ندب حاجي إقبال مولى خان جهان بصدقة لأهل المدينة، وهدية لأميرها جماز، فإنه لم يكن سمع بعزله ولا موته، وكان موته بإثر نهبه للمدينة مقتولاً([423])، وأمر بعمارة مدرسة له بالمدينة، وشراء وقف لها بالمدينة، فاتفق أن المركب الذي فيه ما بعث به السلطان لأجل ذلك، انصلح في بعض مراسي الشقان، فأخذ السيد حسن ربعه مع ما كان لجماز .ويقال إن الذي أخذه من إقبال وياقوت يساوي ثلاثين ألف مثقال .وكان مع ياقوت صدقة لأهل مكة، ففرقها عليهم وانتفع بها الناس .وكان معه خلع لقضاة الحرم وأئمته وشيخ الحجبة وزمزم، فأوصلها إليهم.

وصل إليه قبيل هذا التاريخ من هذه السنة، وهو بهذه الجهة، كتاب من الناصر صاحب مصر وخلعة، وعرفه الرسول بذلك أن السلطان يعتب عليه تقصيره في الخدمة .وكان هذا الرسول قد تعوق كثيراً في الطريق، وتشوف حسن لمعرفة الأخبار، فأمر قبل وصول هذا الرسول إلى مولاه، مفتاح الزفتاوي بالسفر إلى مصر، يتعرف له الأخبار، وما قدر أنه سافر من مكة إلا بعد وصول الرسول المذكور إليها .فلما وصل مصر، وجد الأطماع كثيرة في مولاه .فحضر عند السلطان وبلغ رسالته واعتذر عن مولاه في تأخير الجواب، وعاد إلى مكة مع الحاج، وشاع أن السلطان أعد نجباء كثيرة ومزادات، فظن حسن أنه يريد الحج فما حج، وظهر أن تجهزه إلى الشام .ولما انقضى الحج من سنة أربع عشرة وثمانمائة، ندب السيد حسن سعد الدين جبروه إلى مصر، بهدية لصاحبها الناصر، في مقابلة ما التزم له به، فوجده قد توجه للشام.

وفي سنة أبع عشرة وثمانمائة، تصدق السيد حسن بصدقة جيدة قبل إنها عشرة آلاف درهم، والصدقة من عادته .والذي حركه عليها في هذا الوقت، أنه مرض مرضاً شديداً، خيف عليه

منه، فرأى فيما قيل، النبي في النوم، ومسح بيده الشريفة عليه، وأمره فشفي بإثر ذلك، وفعل ما ذكرناه من الصدقة.

وفي العشرين من جمادى الآخرة سنة خمس عشرة، وثمانمائة، وصل للسيد حسن وابنيه خلع، وكتاب للسيد حسن من الخليفة المستعين بالله أمير المؤمنين أبي الفضل العباسي، بعد عوده إلى مصر من الشام، وقيامه في مقام السلطنة، عوض الناصر فرج، لقتله في صفر من هذه السنة .وكان وصول الكتاب والخلع على يد سعد الدين جبروه، وكتاب أمير المؤمنين يتضمن إعلامه بقتل الناصر فرج بسيف الشرع، وأنه فوض تدبير الأمور بالمملك للأمير شيخ، ولقبه بنظام الملك، وأنهم على ولايتهم .وقرئ الكتاب بالمسجد الحرام، ولبس المذكورون الخلع، وذلك في يوم الأربعاء العشرين من جمادى الآخرة .ودعي في هذا المجلس للخليفة وللأمير شيخ، ودعي للخليفة على زمزم بعد المغرب وفي الخطبة .وكان الدعاء للخليفة بمكة مقطوعاً من دهر طويل جداً .وبعد ذلك بقليل، وصل كتاب الخليفة إلى السيد حسن يخبره فيه بالقبض على علي بن مبارك، وذلك في شعبان، أعني وصول كتابه.([424])

وفي شوال من السنة المذكورة، وهي سنة خمس عشرة، وصل خلع للمذكورين من السلطان الملك المؤيد أبي النصر شيخ، بعدما بويع بالسلطنة بالديار المصرية، في مستهل شعبان من السنة المذكورة، ووصل منه كتاب يخبر فيه بذلك، وباستقرار المذكورين في ولايتهم.

وفي سنة خمس عشرة أيضاً، نفر الأشراف أولاد محمد بن عجلان، من عمهم السيد حسن؛ لأن أحمد بن محمد، ضرب مسعود الصبحي نائب عمه بجدة، لكثرة مطله له في بقية حوالة عليه، وأمر بإخراجه من البلاد، والأمر أهو من ذلك .فغضب لأحمد أخوه رميثة، وأظهر التجهز للخروج، فما ترضَّاه عمه .فمضى على جهازه حتى كمل، وخرج وإخوته، غير واحدٍ منهم، صوب القواد العمرة، فمكثوا عندهم أياماً وتكلموا مع عمهم في تطييب خواطرهم

فأعرض، فمضوا إلى ينبع، ثم إلى مصر، فما وجدوا بها كبير وجه، وحسَّن لهم القاضي نور الدين من الجلال، الرجوع إلى عمهم، وأنه يرضيهم، فمالوا إلى ذلك، وتوجهوا مع الحاج حتى بلغوا ينبع، ولما سمع عمهم بوصولهم، منع من دولهم مكة، فأقاموا بينيع إلى أثناء السنة الآتية.

وفي سنة ست عشرة وثمانمائة، تقرب السيد حسن بتسبيل البيمارستان المستنصري بالجانب الشامي من المسجد الحرام للضعفاء والمجانين، وتصرف غلة القيسارية المعروفة بدار الإمارة عند باب بني شيبة([425])، في مصالح المشار إليهم، وذلك لأنه كان استأجر المكانين المذكورين في سنة خمس عشرة، مدة مائة سنة هلالية، من القاضي الشافعي بمكة، بأجرة معلومة، على أن يصرفها في عمارة المكانين لخرابهما فعمرهما، وزاد في البيمارستان فأكثر فيه النفع، ووقف ما زاده وما يستحقه من منفعة المكانين، في باقي المدة المذكورة على الوجه السابق، وثبت ذلك عند حاكم مالكي، وحكم به لموافقته رأس بعض متأخري المالكية في وقف المنافع، وبعضهم يمنع ذلك، وهو مقتضى مذهب الشافعي وأبي حنيفة وابن حنبل رحمهم الله .وكان إثبات ذلك والحكم به، في صفر من السنة المذكورة .وفيها شرع في عمارة رباط آخر بأجياد للفقراء، وكمل في التي بعدها، وفيه بقية تحتاج للعمارة، فالله تعالى يتقبل منه ذلك.

وفي ليلة سادس جمادى الأولى من سنة ست عشرة وثمانمائة، وصل رميثة إلى حَدًّا من وادي مر، على غفلة من أهلها؛ لأن عمه رغب في إخراجه من ينبع، وما وجد مذهباً غير هذا . ولما بلغ عمه خبره، أمر بالمبادرة بإبعاده، وصمم على ذلك، وركب إلى جهته، فغما وسع الذين نزل عليهم إلا إبعاده، فمضى إلى ينبع، والتحق به فيها بعض القواد العمرة، فعاد به إلى منزلهم بالعد، وأخبر السيد حسن بوصوله، فتوجه للعد بعسكره .وكان رميثة قد توجه منه بعض القواد والشريفين :ميلب وشفيع ابن علي بن مبارك، وما شعر الناس به إلا وقد هجم مكة من درب اليمن، في ضحى يوم الخميس رابع عشرين جمادى الآخرة سنة ست عشرة

وثمانمائة، وما قدر الذين بمكة من جماعة حسن على دفعهم، وانضم إليه منهم جماعة، وما أحدث بمكة سوءاً ولا من معه.

وكان السيد حسن في موسم سنة سبع عشرة، تخوف من أمير الحاج المصري، وتوقف عن ملاقاة المحمل بنفسه، فما قنع منه أمير الحاج بغير حضوره بنفسه، فوافق على ذلك، لما أن لم يجد منه بداً، بعد أن توثق من أمير الحاج، والتزم له مما يحسن من الخدمة وللسلطان، بثمن ما أخذه من الغلة التي بعثها السلطان للبيع، وخلع عليه الأمير وعلى ولديه لما خدموا على العادة، ثم حصل بينهما نفرة؛ لأن أمير الحاج أدب بعض غلمان القواد العمرة، على حمله السلاح بمكة، لنهيه عن ذلك، وتشفع مواليه في إطلاقه بالسيد حسن عند أمير الحاج، فأبى أن يطلقه، فهجم جماعة منهم المسجد الحرام، راكبين خيولهم لابسين سلاحهم، فقاتلهم الحاج حتى أخرجوهم من المسجد، وظن أمير الحاج أن الشريف حسن ينضم إليه، فقدر أنه انضم إلى المذكورين بالطنبداوية([426])، ولكنه منعهم من التعرض للحاج، ولولا ذلك لتم على الحاج بلاء عظيم، فسبحان المسلم .وأدخل الأمير خيله إلى المسجد، فباتت به حتى الصباح، وسمر أبوابه خلا باب بني شيبة والدريبة وباب المجاهدية .وأوقدت فيه المشاعل ثم فتحت؛ لأن السيد حسن بعث ولده السيد أحمد، إلى أمير الحاج مطمناً له، فخلع عليه وأطلق مولى القواد، وأعرض السيد حسن عن الحج في هذه السنة يغالب عسكره، وكذا القواد، فقام بحفظ الحاج من أهل مكة وغيرهم أمراء الحاج، وأصاب بعض الحجاج نهب في توجههم إلى عرفة.

وفي ليلة رابع عشر المحرم سنة ثماني عشرة وثمانمائة، قبض السيد حسن على القاضي كمال الدين موسى بن جُميع، والخواجا بدر الدين المزلق، والشهاب أحمد العيني، وكيل الخواجا برهان الدين بن مبارك شاه، وضق عليهم حتى أرضوه بما شرط من المال، فأخذ من ابن جميع ما

يساوي ثلاثة وثلاثين ألف افرنتياً([427])، ومن العيني ما ظهر من مال موكله، ثم أطلقهم متعاقبين، ابن جميع أولاً في أول صفر، وابن المزلق في آخره، وتلاه العيني.

وفي آخر المحرم أو صفر من السنة المذكورة، ورد إلى جدة القاضي مفلح بما في صحبته من المراكب والطراريد والمؤلفات والجلاب فاستقوا من جدة بمعاونة رميثة، وأخذ منهم
الزالة ([428])ومضوا إلى ينبع .وكان حسن يرغب في أن يعينه بنو حسن على منع المراكب من السقية بجدة فما أعانوه.

وفي سادس عشر ربيع الأول منها، وصل إليه الخبر بولايته لإمرة مكة([429])، عوض عمه وابنيه، وكان عمه بمكة، فرغب في أن يعينه بنو حسن على حرب رميثة قبل أن يصل إليه المدد من مصر، فما أعانوه، فمضى إلى الشرق، وترك ابنيه في البلد، وشكراً مولاه، وجماعة من أصحابه .ثم إن القواد العمرة استدعوه من الشرق، وأطمعوه بنيل أربه من محاربة ابن أخيه ومن معه، فوصل إلى بعض كبارهم لإحضاره إليهم، وهم بالمسير من فوره إلى الوادي، لأن ابن أخيه كان نازلاً بالجديد من الوادي، فماطله الذين استدعوه، وآخر الأمر أنهم لم يوافقوه على المسير إلا بشيء جيد يأخذونه منه، فلم يسمح به، فعاد إلى الشرق ثانياً في أول العشر الوسط من رجب من السنة المذكورة، وأقام به مدة، وذهب من هناك إلى المدينة النبوية، فزار جده المصطفى ، وعاد إلى مكة وتوجه إلى جدة، فأزال منها رميثة وأصحابه، وكانوا قد أقاموا بها بعد رحيلهم من الوادي، واندفع رميثة إلى جهة الشام.

ووصل الحجاج بإثر ذلك، فلايم رميثة الحجاج، ووصل معهم مكة، لتقرير السلطان الملك المؤيد له على ولايته وهو بحلب .وكان خرج إليها لقتال بعض أعدائه، فظفر بهم غير واحد أو اثنين، فأقام لتحصيل عدوه، وبعث مبشراً بالنصر إلى رميثة، فوصله في شوال من السنة المذكورة وهو بجُدة .([430])واستمر الدعاء للسيد حسن وابنيه في الخطبة وعلى زمزم، إلى

استهلاك ذي الحجة منها، لاستيلاء حسن على مكة إلى هذا التاريخ، ثم فارقها في هذا التاريخ، وقصد الشقان) فأخذ منها زالة ([431]) (وتعرف ما في الجلاب فجباه، وأمرهم بالتدبير أو المضي إلى ينبع، وكان بعضهم نفر منه لما سمع باستيلائه على الجلاب، ودبر إلى اليمن قبل أن يصل إليه.

فلما كان في صفر سنة تسع عشرة وثمانمائة، وصلت المراكب الكارمية والجلاب الينبعية إلى الشقان، فأخذ منها زالة له ولخواصه ثلاثة عشر ألف مثقال ومائتا مثقال، ومكنهم من السقية من جدة ومضوا إلى ينبع .وكان قبل وصولهم إلى جدة، قد نزل بالجديد من وادي مر، واستولى على غلال أموال أصحاب رميثة، وما قدروا على أخذها منه، وهو بالجديد ساكن إلى آخر جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وثمانمائة.

وفي شهر رجب منها، بعث ولده السيد بركات ومولاه القائد زين الدين شكراً، لاستعطاف مولانا إلى الملك المؤيد نصره الله، فأنعم على السيد حسن بإمرة مكة، وكتب له بذلك عنه توقيع ومثال شريف، مؤرخ بثامن عشر رمضان سنة تسع عشرة، وجهز له مع ذلك خلعة شريفة، مع بعض الخاسكية المؤيدية والنجابة السلطانية وانتهوا إلى السيد حسن، وهو في ناحية جدة، في أوائل العشر الوسط من شوال، وبعث إلى القواد العمرة، وكانوا قد بانوا عنه في شعبان، وانضموا إلى السيد رميثة بمكة، يأمرهم بالخروج من مكة، فتوقفوا في ذلك، ولما تحقق أهم ورميثة، ومن انضم إليهم، مجمعون على المقام بمكة، قصدهم وانتهى إلى وادي الزاهر ظاهر مكة، في بكرة يوم السبت ثاني عشري شوال، فخيم بوادي الزاهر، ومعه الأشراف آل أبي نمي، وذوي علي، وذوي عبد الكريم([432])، والأدارسة، وصاحب ينبع الشريف مقبل بن مخبار، في عسكر جاء به معه من ينبع، غير من في خدمته من عبيده ومن الترك، وكان الترك مائة وعشرين فيما قيل، وأرسل إلى مشايخ القواد العمرة، فحضر إليه منهم ثلاثة نفر، فخوفهم من داهية الحرب، فسألوه أن يمهلهم هذا اليوم والذي يليه، ليلزموا أصحابهم بالخروج

من مكة، فأتوا أصحابهم فعرفوهم الخبر، فصمم أكثرهم على عدم الخروج، فلم يسع الراغبون في ذلك إلا الموافقة .ولما تحقق ذلك السيد حسن، رحل في بكرة يوم الاثنين رابع عشري شوال من الزاهر، وخيم بقرب العسيلة على الأبطح، وأتى بعض أصحابه إلى رؤوس القواد المعروفين بالحميضات، وكانوا مع رميثة، فثبطهم عن القتال وخوفهم غائلته، فلم يصغوا لذلك . فلما كان بكرة يوم الثلاثاء خامس عشري شوال، ركب السيد حسن في عسكره وكانوا فيما قيل ثلاثمائة فارس، وأزيد من نحو ألف راجل، وكان الذين بمكة على نحو الثلث من ذلك . ولما انتهى إلى المعابدة، بعث إلى الذين بمكة، يحذرهم عاقبة القتال، لرغبته في الإبقاء على أكثرهم، فلم يقبلوا نصحه، ومثله ومثلهم في ذلك كما قيل :

بذلت لهم نصحي بمنعرج اللوى

فلم يستيبنوا النصح إلا ضحى الغد([433])

وسار بمن معه حتى دنوا من باب المعلاة، فأزالوا من كان على باب المعلاة وقربه من أصحاب رميثة بالرمي بالنشاب والأحجار، وعمد بعضهم إلى باب المعلاة، فدهنه وأوقد تحته النار، فاحترق حتى سقط إلى الأرض، وقصد بعضهم طرف السور الذي يلي الجبل الشامي مما يلي المقبرة، فدخل منه جماعة من الترك وغيرهم، ورقوا موضعاً مرتفعاً من الجبل المشار إليه، ورموا منه بالنشاب والأحجار من كان داخل الدرب من أصحاب رميثة، فتعبوا لذلك كثيراً، ونقبر بعضهم مما يلي الجبل الذي هم فيه من السور نقباً متسعاً، حتى اتصل بالأرض، فدخل منه جماعة من الفرسان من عسكر حسن، ولقيهم جماعة من أصحاب رميثة، وقاتلوهم حتى أخرجوهم من السور، وحصل في الفريقين جراحات، وهي في أصحاب رميثة أكثر، وقصد بعض أصحاب حسن، وهم عسكر صاحب ينبع، السور مما يلي بركة الصارم، فنقبوه نقباً متسعاً، ولم يتمكنوا من الدخول منه، لأجل البركة، فإنها مهواة، فنقبوا موضعاً آخر فوقه .ثم

إن بعض الأعيان من أصحاب السيد حسن، إجار من القتال لرغبة بعض القواد في ذلك على ما قيل، وكان السيد حسن كارهاً للقتال، ولو أراد أن الدخول إلى مكة بكل عسكره من الموضع الذي دخل منه بعض عسكره لقدر على ذلك، وأمضى الجيرة بترك القتال، وبإثر ذلك وصل إليه جماعة من القضاة والفقهاء والصالحين بمكة، ومعهم ربعات شريفة، وسألوه في كفِّ عسكره عن القتال فأجاب إلى ذلك، على أن يخرج من عانده من مكة .فمضى الفقهاء إليهم وأخبروهم بذلك، فتأخروا عنه إلى جوف مكة، بعد أن توثقوا ممن أجار في كفِّ القتال .وخيم حول بركتي المعلاة، وأقام هناك حتى أصبح، فدخل مكة في بكرة يوم الأربعاء سادس عشري شوال، لابساً للخلعة الشريفة سبعاً، والمؤذن يدعو له على زمزم، وبعد فراغ من الطواف وركعتيه، أتى إلى جهة باب الصفا، فقرئ هناك توقعه بإمرة مكة، وكتاب السلطان بذلك، فحضرت القضاة والأعيان وخلق لا يحصون كثرة، وركب بعد ذلك فدار البدل ونادى بالعدل والأمان، وكان قد أمَّن المعاندين له خمسة أيام، فتوجهوا إلى جهة اليمن، وبعث لابن أخيه رميثة بزوادة ومركوب فيما بلغنا .وانتهى رميثة، ومن معه إلى قرب حلي، وأمر السيد حسن بعمل باب لباب المعلاة عوض الباب المحرَّق، فعمل، وعمر من هذا السور عما كان أخرب في وقت الحرب .وبعث إلى القواد العمرة يستميلهم، فقدم عليه منهم جماعة أيام الحج، وسألوه في مصافاتهم والإحسان إليهم، فأجابهم إلى ذلك بشرط أن يبينوا عن ابن أخيه ويلجؤوه للسف إلى اليمن، فإذا فارق حلي مسافراً لليمن قدموا عليه فسألهم قصدهم، فأظهروا له الموافقة على ذلك .وبعث إلى خواص ابن أخيه يستميله بالدخول في طاعته، فمال إلى ذلك ابن أخيه، لما بلغه عن القواد، ولتقصير من معه من موالي عجلان وابن أحمد بن عجلان في حقه، لقلة طواعيتهم له، ولإمساك سعد الدين سعيد جبروه يده عن إعطائه ما ظن رميثة أن صاحب اليمن بعث به إليه من النقد والكسوة والطعام علي يد سعد الدين . فإن صاحب اليمن كان استدعى سعيداً ليوصله براً لنفسه ولرميثة، وقدم رميثة إلى مكة بإخوته وزوجته، وهي أعظم من حمله على ملاءمة عمه .وكان عمه قد توجه من مكة لقصد الشرق، ولما أتاه الخبر بإقلال ابن أخيه إليه، أمر خواص غلمانه بتلقيه وكرامته، فخرجوا للقائه

موكبين له، ودخل معهم مكة، فأنزلوه بمكان أعدوه له، وكسوه وضيفوه وخدموه واستحلفوه على إخلاص الود منه لعمه، وحلفوا له كذلك عن أنفسهم وعن عمه، واستحلفوا إخوته كذلك لعمهم وحلفوا لهم .فكان هذا الحلف في يوم الجمعة العشرين من صفر سنة عشرين وثمانمائة في جوف الكعبة.

وفي يوم الخميس قبله، قدم مكة رميثة ومن معه، ومضى بعد ذلك بأيام قليلة ومعه إخوته لعمهم، فأكرم ملاقاتهم وأحسن إليهم، وبالغ في الإحسان إلى رميثة وأظهر للناس الاغتباط به كثيراً، وما سهل ذلك بأكثر بني حسن لتخيلهم أن حالهم لا يروح كثيراً إلا في زمن الفتنة .
ورام الشريف حسن حفظ القواد العمرة والحميضات، فأخذ ما معهم من الخيل وادلروع،
وألزمهم بذلك بعد عوده إلى مكة من الشرق، في جمادى الأولى سنة عشرين وثمانمائة، أو الجلاء من بلاده ومحل ولايته، وأجلهم للجلاء نحو نصف شهر .وعاد إلى الشرق، وأمر بعض خواصه بأخذ المطلوب من القواد، أ إخراجهم من البلاد، وظن أنه لا بد من حصول أحد الأمرين لإطماع الشرفاء ذوي أبي نمي له بالموافقة على ذلك، والمساعدة له عليه، فتلطف القواد بالشرفاء وخضعوا لهم وخوفوهم من غائلة هذا الأمر، لما فيه من إضعاف الفريقين .فإن الشرفاء كانوا وافقوه على تسليم خيلهم ودروعهم إذا فعل ذلك القواد، وقصد الشرفاء بلك إضعاف القواد، فمال الشرفاء لقول القواد، وأعطوا الشرفاء دية قتيل شريف قتله بعض القواد في دولة رميثة، وكان القواد ممتنعين من ديته، ويقولون :نحاسبكم به مما لنا عندكم من القتلى، وتحالف الفريقان على كف الأذى .واستعطف القواد ذوي رميثة، أولاد أحمد بن ثقبة بن رميثة وأولاد علي بن مبارك ولفيفهم، فعطفوا على القواد، ومالوا لما مال إليه ذوو أبي نمي وحلفوا عليه .وبلغ ذلك الشريف حسن، فعاد من الشرق إلى مكة في أول النصف الثاني من رجب، ولم يجد أكثر الشرفاء على ما كان يعهد منهم، وهم مع ذلك يظهروا له الطاعة والموافقة على قصده، ويشرطون عليه في ذلك، أن يجزل الإحسان إليهم بالمال والخيل والدروع، وتقف هو في ذلك، لما عهد من الفريقين من الأخذ وعدم الإسعاف بالقصد، كعادة

أسلافهم مع أسلافه.وبعد قدومه إلى مكة بأيام قليلة، استولى على جدة الشرفاء من بني ثقبة، ومبارك والقواد ولفيفهم، وأعلنوا بالسلطنة لثقبة بن أحمد بن ثقبة، وميلب بن علي بن مبارك وجعلوا لكل منهما بجدة نواباً، وأخذوا طعاماً كثيراً بجدة، وجبا بعض الجلاب الواصلة إليها، فشق ذلك على الشريف حسن، وحمله الشرفاء على النزول عندهم بالدكناء، ففعل .ثم رحل منها إلى الجديد، ثم إلى حدًّا، وأشار عليه جماعة من الشرفاء بأن يذهبوا عنه إلى القواد، وكانوا نزولاً بالعد، مع جماعة من آل أبي نمي، ومع ذوي ثقبة وذوي مبارك، ليأمروا المشار إليهم بالدخول في طاعته، ويخوفونهم من غائلته .فمضى جماعة من الشرفاء الذين في خدمة الشريف، إلى الذين بالعد، وغابوا عنهم مدة، وعادوا إلى الشريف بما لم يعجبه، وحضوه على الإحسان إلى الذين بالعد، وأن يلين لهم جانب، فلم يمل لذلك لما غلب على ظنه– وهو الواقع –أن الإحسان إليهم لا ينال به منهم قصداً، وبعث خيلاً ورجلاً إلى جدة، فاستولوا عليها ..وكانت خالية من أكثر المباينين له، وتواطأ الأشراف والقواد على أن يرحل جماعة من القواد من العد، حتى ينزلوا في حملة الأشراف بالدكناء ([434])بوادي مر، للاستنصار بالأشراف، ففعل القواد ذلك لحزمهم، فأكرمهم الأشراف، وقصد المريدون لذلك من الأشراف، أن الشريف إذا أمرهم بقتال القواد ومن انضم إليهم، قالوا له الأشراف :كيف نقاتل من استجار بنا ونزل بحلتنا، لكون ذلك لا يحسن عند العرب .ولما اتفق ذلك، خرج جماعة من آل أبي نمي، وذوي مبارك وغيرهم من الدكناء لقصد مكة، فخرج إليهم منها نائبها مفتاح الزفتاوي، فتى الشريف حسن بن عجلان، في خيل ورجل، فالتقوا مع القواد والشرفاء، فكان النصر للشرفاء ومن انضم إليهم، وخفروا جماعة من عسكر مكة، وأخذوا خيلهم وسلاحهم ولجأ الزفتاوي إلى جبل قرب المعركة، وما زال به حتى قتل وقتل غيره من جماعته، وقتل من الشرفاء واز بن عقيل بن مبارك .وكانت هذه الوقعة في يوم السبت ثاني عشر رمضان سنة عشرين وثمانمائة .ورجع الشرفاء ومن انضم إليهم إلى العد، وشق على الشريف كثيراً ما صدر منهم وقتلهم لنائبه، ثم سعى جماعة من الشرفاء من ذوي أبي نمي وغيرهم، في الصلح بينه وبين الذين بالعد، على مالٍ يبذله لهم الشريف، ولا يحدثون حدثاً في طريق من طرق مكة،

إلى انقضاء هذه السنة، وعشرة أيام من المحرم سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، فرضِيَ بذلك الفريقان وتعاقدوا عليه وتواثقوا، وأحسن إليهم الشريف بتسليم ما وقع الاتفاق على تسليمه معجلاً، واطمأن الناس، وقدم التجار من اليمن أكثر من كل سنة، من غير توقف في الدخول إلى جدة لإذن السلطان لهم في ذلك .وكان دخول التجار إلى جدة في صفر من هذه السنة بغير إذن من السلطان باليمن، وإنما ذلك باختيار المتقدمين في أمر المراكب، لعدم قدرتهم على تجوير على جدة إلى ينبع، لكون تجويرهم عليها يوافق اختيار صاحب اليمن .ولما دخلوا إلى جدة لم يشوش عليهم نواب الشريف، وساهلهم الشريف في المكس المتعلق بحمل السلطان، وأسقط عنهم بعضه، واعتذر مما أخذه بالحاجة إليه، فأعجب ذلك السلطان، وأمر التجار بصد جدة، قصدوها ثانياً كما ذكرنا، ومضوا إلى بلادهم بعد الحج وهم سالمون من النهب ولله الحمد.

وفي النصف الثاني من شوال سنة عشرين وثمانمائة، قدم من مصر على الشريف ابنه السيد بركات فسر به، ولما طاف بركات بالكعبة، دعي له على زمزم كعادة أمراء مكة .وصار أبوه يفوه له بالإمرة، ويقول لبني حسن وغيرهم :هو سلطانكم.

وفي شهر ربيع الأول من سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، أظهر للناس أنه تخلى عن إمرة مكة لابنه السيد بركات، بحيث أجلسه على المفرشة بالمسجد الحرام، وجلس هو على مفرشةٍ عنده، وأمر من في خدمته بالحلف له، فحلفوا له وأمرهم بالخروج في خدمته والنزول بالركانيّ ([435])بوادي مرّ، ففعلوا، لأن أكثر الذين بالعد من ذوي رميثة وذوي أبي نمي والقواد، رحلوا من العد حتى نزلوا حدا([436])، ولم يسهل بالشريف نزولهم بحدا، لأن جماعة من وجوه القواد، كانوا ذكروا للشريف أن الذي بالعد، لا يرحلون منه إلى غيره إلا بإخباره، ولما نزل السيد بركات ومن معه بالركاني، لم يسهل ذلك بالذين تزلوا بحدا، ورغبوا في أن الشريف يأمر ولده بالرحيل عنهم إلى الجديد ونحوه من وادي مر، ويدخلون بأجمعهم في طاعته

ويمضي إلى الشرق، فإنه يختار ذلك ولا يحدثون حدثاً إلى انقضاء سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، وعشرة أيام من التي بعدها .فوافق الشريف على ذلك وأجابهم إلى ما سألوه من الإحسان إليهم، بما عوّدهم به في كل سنة قبل هذه الفتنة، على عادتهم في أخذ ذلك منجَّماً، وأعطى ذوي مبارك دية رضوها في فواز بن عقيل بن مبارك، مع كونه يرى أنها لا تلزمه، وحمله على ذلك حبه لحسم مواد الشر، وما انطوى عليه من الصفح والحلم، ولذلك حلم على الذين خرجوا عن طاعته، ولايموا ابن أخيه رميثة، وقاتلوه، من عبيد أبيه وأخيه وأولادهم، واستدعاهم من حلي ومن اليمن، وأجراهم على رسومهم التي كانوا عليها قبل جموحهم عن طاعته، فالله تعالى يزيده توفيقاً، ويسهل له إلى كل خير طريقاً .وكان وصول أكثرهم إليه، في أُخريات ذي القعدة من سنة عشرين وثمانمائة.

وفي ربيع الأول من سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، جمح أحمد بن الشريف حسن عن طاعة أبيه، لكونه قدَّم أخاه بركات عليه في الإمرة، وأرسل إليه أبوه من يستعطفه ويعده عنه بذهب ومركوب، فلم يمل أحمد لذلك .واجتمع إليه جماعة من الطماعة، ومضوا لجدة وتخطفوا منه أشياء، ولم يسهل ذلك بأبيه .ثم إن كثيراً من الذين كانوا مع أحمد، تخلوا عنه لملاءمة أقاربهم لهم على ملاءمته، لكون ذلك لا يرضي أباه، ولما عرف هو ذلك، حضر إلى حَدًّا، ونزل بها، والله يصلح أحوالهم، ثم دخل في الطاعة، وأقام على ذلك وقتاً، ثم خالف ومضى إلى ينبع، وأتى منها مع الحجاج في سنة إحدى وعشرين إلى أبيه بمكة، فلم ير ما يعجبه، فعاد مع الحجاج إلى صوب ينبع، بعد الحج من هذه السنة.

وفيها بعث أبوه ولده السيد إبراهيم إليه بلاد اليمن، مستعطفاً لصاحبها الملك الناصر، فعطف عليه كثيراً، بعد أشهرٍ كثيرة، وجهَّزه إلى مكة بعد أن أمر له بصلة متوسطة.

وفيها كتب الملك الناصر إلى صاحب مصر الملك المؤيد، كتاباً يذكر فيه شيئاً من حال السيد حسن بن عَجْلان.([437])

وفي اليوم الأول من ربيع الآخر من سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، توجه السيد حسن من مكة قاصداً للشرق، وعدل إلى صوب الطائف، فخرب أماكن بلقيم، والعقيق، ووج، من وادي الطائف، خراباً كثيراً، وهدم حصناً لعوف بلية .وسبب ذلك، توقف أهل الأماكن المشار إليهم، عن تسليم ما قرره عليهم من القطعة لزيادتها على العادة، مع ما هم فيه من ضيق الحال، بسبب الجناية التي أخذها منهم في العام الماضي، ومع ذلك فما وسع أهل الأماكن المشار إليها، إلا استعطافه وتسليم ما رضيه، واتّهموا جويعد بن نمير صاحب أبي الأَخيلة بأنه أَغرى بهم في ذلك الشريف حسن بن عجلان .فلما عاد الشريف حسن من الشرق إلى مكة، خادعوا جويعد واستحضروه من المنزل الذي اجتمعوا فيه، وقصد طائفة كثيرة منهم حصنه أبا الأخيلة فأخربوه خراباً فاحشاً، ثم أطلقوه سالماً في بدنه.

وفيها وصل من صاحب مصر إلى الشريف حسن عدّة كتب، منها كتاب في حادي عشري ربيع الأول، فيه إعلامه بقومة عزم السلطان على الحج في هذه السنة، وأمره بتسليم ما وصل من الغلال إلى جدة، ونقل ذلك إلى مكة، والاحتفاظ بذلك، وفيه مطالبة بعشرة آلاف مثقال، بقيت عنده من الثلاثين الألف المثقال، التي التزم بها للخزانة الشريفة، لما سأله العود إلى إمرة مكة.

ومنها كتاب آخر فيه إعلامه بتفويض أمر بيع الغلة إلى علاء الدين القائد، لإعراض السلطان عن الحج، وفيه العتب عليه لكونه لم يرسل مع علاء الدين بالعشرة الآلاف المثقال .وكان وصول ذلك إليه في آخر ذي القعدة وهو بجدّة، وحضر إلى مكة قبل هلال الحجة بليلة أو ليلتين، وحضر لخدمة المحمل المصري، وتردد لأمراء الحاج والأعيان بمكة ومِنّى، وأقام بمكة إلى

تاسع عشري ذي الحجة، وتوجّه إلى جدة عند توجه الناس إليها لليمن .وأقام بجدة أياماً كثيرة، وتوجه منها بعد سفر أكثر الناس، ووصول الطيّب من مكاوش سفير صاحب اليمن، في تابةٍ، فيها حمل للسلطان وغيره، وقصد صوب اليمن ناحية الخريفين([438])، وجاوز ذلك وراسل صاحب حلي محمد بن موسى بن أحمد عيسى الحرامي، في أن يزوّجه أخته، ورغب في أن تزف إليه، فأجابه إلى تزويجها بشرط حضوره إليهم، فأعرض عن الحضور إليهم، ولم يأت مكة إلا في الحادي عشر من ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرية وثمانمائة.

وفي آخر اليوم الثاني عشر منه، توجّه لصوب الشرق، لأنه بلغه أنه كثير المطر وليقوي به أمر من أرسلهم إلى الطائف ولية، لقبض القطعة التي قرّرها على أهل الطائف ولية .والله يحمد العاقبة.

وكان من خبره بعد ذلك، أن عسكره أخربوا أماكن بلقيم، والعقيق، ووج، من وادي الطائف، ثم أمر بإخراب حصن الطائف المعروف بحصن الهجوم، بسعي جماعة من الحمدة عنده في ذلك، فأخرب جانب كبير ([439])منه، وأعان المخرّبين له على إخرابه، أن بعض أعيان عسكر الشريف، استدعوا بعض أعيان أصحاب الحصن، فحضروا إليهم وهم لا يشعرون بما يريده عسكر الشريف .فلما أوثقهم عسكر الشريف، ساروا لإخراب الحصن، فرماهم منه بعض النسوة الذي به، وكادوا يحمونه، ثم قيل لهم فيه، إما أن تسلّموا الحصن وإلا ذبحنا الذين عندنا منكم، فرقّ لهم الذين بالحصن وسلّموه، فهُدم، ثم سعى أصحابه عند الشريف، في أن يوقف عسكره عن هدمه وفي عمارته، فأجابهم لقصدهم، وأعادوا كثيراً مما هدم بالبناء، وأمر بإخراب الموضع المعروف بأم السكارى، جبل بالسلامة من وادي الطائف، لأن الذين بنوا فيه من الحمدة، هم الذين قاموا في هدم حصن أبي الأَخيلة، حصن جويعد، لانتمائه للشريف، فهدم ذلك هدماً دون هدمه الأول .وعاد الشريف إلى مكة، بعد أن صارت إليه القطعة التي قررها على أهل الطائف ولية، وسلك في طريقه طريق نخلة اليمانية .فلما كان بالزيمة منها،

أمر بقطع نخيل فيها وبإخرابها، لعتبه أمراً على أهلها .فاستعطفوه وهادوه بخيلٍ، ومضى منها إلى سولة، ثم إلى خَيف بني عُمير([440])، ثم إلى المبارك ,ثم إلى وادي مرّ ,وأتى منه إلى مكة، في أثناء رجب سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة، وتردد منه إلى مكة غير مرة، وزوج بالوادي ابنه أبا القاسم في شعبان .وفيه الشُّرُف ([441])آل أبي نمي، ولفيفهم من القواد العمرة .

وكان قد حصل منهم في غيبته بالشرق في هذه السنة كدر، سببه أن مقبل بن هبة بن أحمد بن سنان بن عبد الله بن عمر القائدة العمري([442])، استغفل جلبان بن أبي سويد بن أبي دعيج بن أبي نميّ، فضربه بالسيف ليلاً، وهو متوجه إلى مكة، فحمي لجلبان قومه، واحترز منهم القواد العمرة، واستنصروا عليهم وامتنعوا منهم، إلى أن وصل الشريف من الشرق .

فاستماله القواد فمال معهم، وأمر الشرف ولفيفهم من القواد، أن لا ينزلوا بحدا بطريق جدة، فالخالفوه، فلم يسهل به ذلك، وكثير ميله ونصرته للمعاندين للشرف من القواد، فتعبوا لذلك، ورحلوا من حدا، بعد إقامتهم بها شهر رمضان وأياماً من شوال، بعد أن صرف لهم نحو ألف وخمسائة إفرنتي .وكان هو في غالب شهر رمضان وشوال والقعدة بجدة ونواحيها، وأتاه في شوال جلاب من صوب اليمن، فيها ما خرج من حمل مراكب الكارم([443])، التي انصلحت برأس المخلاف، في شهر صفر من هذه السنة، فحصل له منها نفع جيد .ثم وصلت المراكب الكارميَّة إلى جدّة، وهو بها في آخر ذي القعدة، فصالحه التجار الذين بها على عشرة آلاف إفرنتي، بعد وصوله إلى مكة لملاقاة الحاجّ، وتردّد إلى أعيان الحجاج وخدمهم وهاداهم وهادوه، وحج الناس مطمئنين، فلله الحمد.

وحصل بجدة في أوائل سنة ثلاث وعشرين، خلل في بعض مراكب الكارم، عندما عزموا من جدة إلى ينبع، فأمرهم الشريف بالتَّنحيل، فصالحوه في ذلك بألفي إفرنتي، وتوجه هذا المركب وغيره من مراكب الكارم وجلابهم، إلى ينبع ونجلوا بها.

وفي الرابع عشر من صفر من هذه السنة، وصل كتاب من الملك المؤيّد صاحب مصر نصره الله، إلى الشريف يتضمن عتبه عليه في أمور.

منها :أخذه الموجب من المتاجر السلطانية، فإن في المراكب المشار إليها حملاً منسوباً لصاحب مصر.

ومنها :لكونه كان في العام الماضي يشتري ما يرد بجدة من الحب والتمر ويخزنه ويبيعه للناس.

ومنها :لتأخره إرسال ما بقي عليه للخزانة الشريفة السلطانية المؤيدية، مما التزمه لها حين ولي إمرة مكة في سنة تسع عشرة وثمانمائة، وهي عشرة آلاف مثقال؛ لأنه كان التزم بثلاثين ألف مثقال، سلم عشرين وبقي عليه عشرة .وفي الكتاب إليه عتب قويّ لتأخيره إرسال هذا المبلغ، وكلمات مزعجة للخاطر، منها ما معناه :ولا تظن أن إهمالنا لك، عجز عن حصولك في قبضتنا الشريفة، وإنما لما أُحسنت منك السيرة في بعض الأمور، قلنا :لعل الله أن يحسن في الباقي .وقد انزعج خاطره لذلك كثيراً، وحمله ذلك على التنصل من إمرة مكة، فكتب يسأل فقي تفويضها لولديه :السيدين بركات وإبراهيم.

وذكر أنهما يقومان للخزانة الشريفة بالعشرة الآلاف المثقال المطلوبة منه عند ولايتهما، وأنهما أولى بالإمرة منه، لقوتهما ولضعف بدنه وحبه للعبادة، وذكر أنه لم يأخذ موجباً من المتاجر السلطانية، وأنه لم يشتر من اشتراه من الحب والتمر في العام الماضي بقصد احتكاره، وإنما اشتراه لحاجته إليه لنفقته ونفقة عسكره، فلما رأى اضطرار الناس باعه عليهم، فكان في خزنه لذلك وبيعه نفع للناس، وإلى آخر السنة لم يأته جواب عن كتابه .وتوجه عقيب كتابه فقي آخر صفر، لصوب حلي، فبلغها وتلقاه صاحبها محمد ابن موسى إلى الحسبة([444])، وبنى في حلي بأخت محمد بن موسى المذكور، وتوجه بها معه إلى مكة، فبلغها في خامس رجب.

وفي ليلة منتصف شعبان، حضر مع الناس بالمسجد الحرام، وقرأوا ختمةً للسلطان الملك المؤيد، ودعي له عقيب ذلك، وكتب بذلك مكتوبان .ولما تكلف لخدمة أمراء الحاج في موسم هذه السنة، استدان لأجل ذلك من التجار والمتسببين، وبعث عقيب الحج رسولاً وهدية ببعض الأشياء المذكورة، إلى صاحب الشرق الملك شاه رخ بن تمرلنك، وأوصى شيخنا العلامة شمس الدين ابن الجزري السابق ذكره برعايته في ذلك كثيراً، فأجابه لقصده .وكان ابنه السيد أحمد بن حسن، قد توجه في آخر العام الماضي مع قافلة عُقيل([445])، فبلغ هرموز وعاد بغير طائل مع قافلة عقيل، قبيل التروية من هذه السنة.

وفي يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول من سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وصل إلى مكة تشريفان له ولابنه السيد زين الدين بركات، وعهد يتضمن تفويض إمرة مكة إليهما، وتاريخ هذا العهد، مستهل صفر سنة أربع وعشرين وثمانمائة، وهذا العهد مكتوب عن الملك المظفّر شهاب الدين أبي السعادات أحمد بن الملك المؤيد، والمنفذ له وللتشريفين، مدبر دولته المقر الأشرف السيفي نظام الملك ططر.([446])

وأمر فيه بمراعاة مصالح الناس بمكة، وتعظيم أمر حكام الشرع، وإعادة ما أُخذ من التجار إليهم، وإسقاط ما جدد من المكوسات، وأَعفى فيه السيد حسن من تكلف شيء لأمراء الحاجّ .وفي العهد المتضمن لتفويض إمرة مكة إليه وإلى ابنه نحو من ذلك، والأمر بمراعاة مصالح الرعية، وغير ذلك من الوصايا النافعة .وكان السيد حسن في هذا التاريخ، غائباً عن مكة بناحية اليمن في جهة الواديين أو قرب ذلك .ولما بلغه موت السلطان الملك المؤيد، وذلك في النصف الثاني من صفر، رام أن يجعل ابنه السيد إبراهيم حاكماً بمكة، مع ابنه السيد بركات، ويكون لكل منهما ثلث الحاصل لأمير مكة، ويصرف كل منهما الثلث في جماعته على ما يراه، ويبطل الرسوم التي كان قررها للأشراف والقوّاد في كل سنة، وجعل

الأشراف إلى ابنه السيد إبراهيم، والقواد لابنه السيد بركات، وجعل له الثلث الباقي من الحاصل لأمير مكة، يصرفه في مصالحه وخاصّة نفسه، فلم ينتظم هذا الأمر، لكون القواد لم يوافقوه على إبطال ما كان قرره لهم من الرسوم في كل سنة، ومضى هو وابنه السيد إبراهيم بعد ذلك إلى صوب اليمن، وجاء الخبر بعد ذلك من مصر بما ذكرناه.

وفي هذه السنة، وصل ابنه إبراهيم، من ناحية اليمن، ومعه الأشراف، فألزموا المؤذن بالدعاء لإبراهيم على زمزم وقت طواف الكعبة الشريفة، ففعل ذلك، ولم يسهل بأخيه بركات وجماعته، وتنافر الأخوان وجماعتهما، وقصد إبراهيم دخول جدة، وقصد بركات بعد ذلك دخول مكة، فعورض، وصار يخطب بمكة لإبراهيم مع أبيه وأخيه، وذلك عقيب وصول من اليمن في نصف هذه السنة، وسأل والده من الدولة بمصر، تقرير ولديه المذكورين في الإمرة بمكة فلم يجب لقصده، وكتب إليه بما معناه :لا نثق في أمر مكة إلا بك ولكنك استنب من شئت .وهذا الكتاب وصل إليه وقت الموسم من سنة أربع وعشرين من الملك الظاهر ططر، بعد أن بويع بالسلطنة بدمشق.

وأرسل للشريف حسن يأمره بإسقاط المكس، وأن لا يكلف التجار بمكة قرضاً ,وكتب بذلك في سواري من المسجد الحرام من ناحية باب بني شيبة، وفي جهة الصفا .وبعث للشريف حسن بألف أفلوري أو نحوها، كان خدم بها أمير الحاج المصري في العام الماضي.

وفي هذه السنة نفر كثير من القواد والأشراف عن طاعة الشريف حسن، وانضموا إلى ابن أخيه السيد رميثة بن محمد بن عجلان، واستولوا على جدة، وانتشروا في الطرقات، فنجل أكثر الواصلين من اليمن من غير جدّة، ووصلوا لمكة متحفزين.([447])

وما زال الشريف حسن يسعى حتى بان عن رميثة أكثر من معه، فدخل في طاعة عمه، وتوسل إلى بابنه بركات فأكرمه، وذلك في أوائل سنة خمس وعشرين وثمانمائة .وجاء في هذا التاريخ من ينبع، صاحبها مقبل الشريف بن مخبار، نجدة للشريف حسن، ومضياً بعسكرهما ومعهما الأشراف آل أبي نميّ، خلف القواد العمرة وغيرهم، حتى جاوزوا الواديين في ناحية اليمن، ثم نفر عن الشريف حسن، ابن أخيه رميثة وغيره من إخوته وبني عمه، أولاد عليّ بن مبارك وذوي ثقبة، ولايموا القواد العمرة، وتنافر الشريفان حسن ومقبل في الباطن، لشدة رغبة مقبل في مطاوعة الشريف حسن له في قتال القواد، ولم يجبه لذلك الشريف حسن، لما بلغه من أنه المجرئ لابن أخيه وبني عمه على مباينته والانضمام على القواد، ووصلا لمكة والودّ بينهما ظاهر، وأظهر مقبل عزماً لينبع، وسئل في الإقامة بمكة على مالٍ جزيل بذل له، فلم يمل لذلك، وما رحل من وادي مر، حتى وصل إليه رميثة وأقاربه وكثير من القواد، واستولوا على جدة .وتوجه عقيب ذلك الشريف حسن لنخلة، وأقام بها أياماً، ثم للشرق، واستفاد فيه خيلا كثيرة وإبلاً وغنماً، وأتاه إلى هناك جماعة من القواد العمرة يسألونه في المسير إلى مكة، وتمكينه من جدة فتوقف، ثم أتى مكة في آخر شوّال من هذه السنة .وكان وصوله إليها من صوب اليمن مع مقبل في آخر جمادى الأولى، من هذه السنة، وبعد ذلك بنحو جمعة، كان توجهه لنخلة، ووافاه بمكة وقت وصوله من اليمن كتاب من مصر، من مولانا السلطان الملك الأشرف برسباي صاحب مصر والشام، يخبر فيه بأنه بويع بالسلطنة بمصر من الملك الأشرف صاحب مصر، الأول :يتضمن كثرة العتب عليه لأخذه فلفل التجار الواصلين إلى جدة من كاليكوط بالهند([448])، مجورين على عدن، وأمره برد ذلك إليهم بخطاب فيه عنف .والثاني :يتضمن كثرة تعظيمه، وفيه ما معناه :أنه بلغنا عنك تخيلك أنا نريد بك الاستبدال، ولا يعقل لمكانتك عندنا، وإن غبت عن عيننا، فأنت في القلب، وما كنا نولي في حرم الله تعالى أحداً من الترك، فإن ينبع دون ذلك، ولم نولِّ فيها إلاّ شريفاً، ووصلنا كتابك يتضمّن طلبك منا خاتم الأمان ومنديل الرضا، وقد جهزنا لك ذلك، فطب

نفساً وقر عيناً، وسألتنا في استنابة ابنك الشريف بركات في إمرة مكة، وما نثق في ذلك إلاّ بك، وفي ذلك سبب للشحناء بين الإخوة، فإن أردت ذلك، فاستنبه وباشر خدمة المحمل الشريف والأمراء.

وفي أوائل النصف الثاني من ذي القعدة، بان الشريف حسن عن مكة لصوب اليمن، وقدمها في أثناء العشر الأخير من ذي القعدة، جماعة من الأمراء المقدمين الألوف بمصر، والطبلخانات وغيرهم من الترك، ما لا يعهد مثله في الكثرة، وراسلوا الشريف حسن في الوصول إلى مكة، فلم يصل واعتذر بالضَّعف وشاع في الناس أن الأمير قرقماس، أحد الأمراء الواصلين لمكة، يقيم بها مع علي بن عنان بن مغامس بن رميثة، وبلغ ذلك السيد حسن فكثر تضرُّره .ولما أَيسوا من وصوله، بعثوا لرميثة فلم يصل، وحرس الأمراء الحجاج حراسة حسنة في توجههم لعرفة ورجوعهم إلى منى، وباتوا بها في ليلة التاسع إلى الفجر أو قربه .وفي يوم النَّحر، اجتمع السيد بركات ببعض الأمراء بمكة وخدمهم عن أبيه بخمسة آلاف أفلوري ذهباً أو ستة فيما قيل، وسافروا من مكة ولم يحدثوا بها حدثاً.

وكان مما حدث بعد ذلك، أن في يوم الجمعة نصف ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وثمانمائة، وصل الخبر إلى مكة، بأن الشريف عليّ بن عنان بن مغامس بن رميثة الحسني، توجه إلى مكة في عسكر من مصر، وبعد أيام قليلة فارق مكة من كان بها من جماعة الشريف حسن بن عجلان، وتوجهوا إلى بصوب اليمن.

وفي السابع والعشرين من هذا الشهر، وصل الخبر لمكة، بوصول ابن عنان والعسكر إلى ينبع.

وفي ثالث جمادى الأولى، وصل الخبر بمسيرهم من ينبع.

وفي ليلة الخميس سادس جمادى الأولى من السنة المذكورة، دخل إلى مكة كثير من العسكر المصري وغيرهم، فطافوا بالبيت الحرام، وخرجوا إلى ظاهر مكة، ودخلها العسكر والشريف عليّ بن عنان بمن انضم إليه من الأشراف والقواد العمرة والحميضات والمولَّدين المنسوبين لعجلان وابنه([449])، وهم في تجمل عظيم ضحوة يوم الخميس المذكورة .وانتهى السيد علي والأميران قرقماس وطوخ إلى المسجد الحرام، فطاف السيد عليّ بالكعبة المعظمة سبعاً، والمؤذن يدعو له على زمزم، وعليه خلعة الإمرة.

»انتهى كلام مؤلف الأصل القاضي تقي الدين الفاسي رحمه الله تعالى، ولم يذكر وفاة صاحب الترجمة، وبيض لباقيها، ويظن الظنّ أنه خالف شرطه في ذكرها، فإنه لم يمُت في حياته.

والحال أن صاحب الترجمة مات بالقاهرة في ليلة الخميس سابع عشري جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة، ووفاة المؤلف بعده بثلاث سنين، في ليلة الأربعاء ثالث شوال سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة بمكة رحمة الله تعالى عليهما آمين .ولعل السبب للمؤلف في ترك تكملة الترجمة، ما وقع له في آخر عمره من الفتنة، وقد ذكرها الحافظ نجم الدين عمر بن فهد الهاشمي رحمه الله تعالى، في تاريخه» :إتحاف الورى بأخبار أم القرى وملخصها] «ثم يورد النص المذكور في المتن .[أ .هـ .عن العقد الثمين.

قال مؤلفه :وتوقف العلامة تقي الدين دون أن يكمل ترجمة السيد حسن بن عجلان، ثم أتمها تلميذه ابن فهد .([450])هكذا قال المحقق.([451])

واكمل الترجمة هكذا:

وفي اليوم الرابع عشر من ذي الحجة سنة سبع وعشرين وثمانمائة، بعد أن تكاملت جميع الركوب في المحطة بمكة، توجه السيد عليّ بن عنان وصحبته الأمير قرقماس وأحمد الدوادار، والمماليك السلطانية، صوب الشريف حسن بن عجلان، لأنه بلغهم أنه نازل بقرب مكة ينتظر توجه الركب، ويدخل مكة، فساروا جميعاً، فأدركوا ولده السيد بركات وجماعة من الفرسان معه، فانهزموا وأنذروا السيد حسناًَ، فانهزم على الفور هو ومن معه، وأدرك الترك بعض القواد فقتلوه وسافر الحاجّ.

وسبب نزول السيد حسن لمكة :أن الخواجا أبا بكر التوزري مشى في الباطن مع السيد ميلب، وأرسله إلى السيد حسن يبشّره في الباطن بالبلاد، وأن الخلعة وصلت مع الحاج له، وأن أمير الحاج ينتظر إلى وقت الرحيل، ويبعث له التشريف فيلبسه ويدخل مكة، فظن الأمر صحيحاً، وهو في الحقيقة خداع، ليحصل في القبضة، فسلمه الله من هذه الحيلة.

ثم في جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وثمانمائة، خرج الأمير قرقماس من مكة بمن معه في طلب السيد حسن، حتى بلغوا حلي من أطراف اليمن، فلم يقابلهم، مع قوته وكثرة من معه، بل تركهم وتوجّه نحو نجد، تنزُّهاً عن الشر وكراهة للفتنة .فعاد الأمير قرقماس ومن معه إلى مكة، في عشري جمادى الآخرة.

وفيها عزل السيد علي بن عنان عن إمرة مكة، ورسم السلطان الأشرف برسباي، بطلب السيد حسن إلى الأَبواب الشريفة، وتقدّم له بذلك القاضي نجم الدين بن ظهيرة، من عقبة أيلة، ومعه دوادار أمير المحمل في هذا العام الأمير تغري بردي المحمودي، فذهبا إلى السيد حسن وأخبراه برضى السلطان عنه، وبشرّاه بالبلاد، إن قابل المحمل ووطئَ البساط، وطيبا خاطره، فبعث معهما ولده السيد بركات، فاجتمع بأمير الحاج، وقد دخل بطن مر، في ثامن عشرة القعدة، فسرَّ بقدومه، ودخل به معه مكة، أول ذي الحجة، وحلف له بين الحجر

الأسود والملتزم، أن أباه لا يناله مكروه من قبله ولا من قبل السلطان، فعاد إلى أبيه وقدم به معه مكة، يوم الأربعاء ثامن ذي الحجة، وخرج للقائه أمير الحاج والأمير قرقماس والأمير الأول وغيرهم من الأعيان، ودخل معهم مكة، فابتدأ بالطواف، وحلف له أمير الحاج ثانياً، والتزم رضى السلطان عليه، وطيب خاطره وألبسه التشريف السلطاني، وقرره في إمارة مكة على عادته، ثم خرج بعد الفراغ من الطواف إلى صوب المدرسة المنصورية، وهي عند باب العمرة، فسلم على خوند زوجة السلطان الأشرف، وكانت ضعيفة، وتوفيت بالمدينة الشريفة بعد الفراغ من الحج ورجوعهم، ثم حج الشريف حسن في محفةٍ أعطاها له أمير الحاج، وحج الناس وهم طيّبون، وتوجه السيد حسن إلى القاهرة في المحفة صحبة أمير الحاج، وصحبته عفيفة شكر، واستخلف ولده السيد بركات على مكة، وتجهّز الأمير قرقماس وبعض الترك وصحبتهم السيد عليّ بن عنان إلى القاهرة، وتخلّف الأمير أُرنبغا، رأس نوبة الأشرفيّ، ومعه مائتا مملوك بمكة المشرفة، فهو باشى العسكر والحاكم عليهم.

وفي رابع عشر في المحرم سنة تسع وعشرين وثمانمائة، وصل السيد حسن بن عجلان إلى القاهرة، بعد أن أمر السلطان أعيان الدولة من أرائه ومباشريه، بتلقّيه وإعزازه وإكرامه، فلما حضر بين يدي السلطان، أنعم عليه بالخلع والإنعامات، وقدّم له كل واحد من أركان الدولة التقاديم والضِّيافات، وأهدوا له الخيول المسَّومة والسروج المغرقة .وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً، وفرح به السلطان وأكرمه، وأقبل عليه إقبالاً كليّاً.

فلما كان سابع عشري المحرم، ويقال في العشرين من جمادى الأولى، سنة تسع وعشرين، قرّره السلطان في إمرة مكة، والتزم بثلاثين ألف دينار، وبعث عبده زين الدين شكراً، إلى مكة لحفظ ساحل جدّة ومتحصّلها، ولتجهيز العسكر المقيم بها، فوصل شكر إلى مكة، وجهّز العسكر وباشتهم الأمير أُرنبغا إلى الديار المصرية، ثم رسم السلطان للسيد حسن بالتوجه إلى مكة وجهزه، فبرز ثقله خارج القاهرة، فاعترض له الضعف، فعاد إلى القاهرة، ومكث بها أياماً

يسيرة، ثم توفي في ليلة الخميس سابع عشري جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وثمانمائة، وصلي عليه من الغد، ودفن بالصحراء بحوش زمام السلطان الملك الأشرف برسباي، فأرسل السلطان نجابة بمراسيم إلى الشريف بركات وأخيه إبراهيم،) في أثناء السنة (ابنَي الشريف حسن بن عجلان، يتضمن حضورهما إلى الأبواب والتأكيد في ذلك، وأنهما إن لم يحضرا كلاهما أو أحدهما، يخرج عنهما السلطان البلد إلى غيرهما .فتجهّز السيد بركات وأخوه إبراهيم في أثناء السنة، وخلفا بمكة أخاهما السيد أبا القاسم يحفظها، وبجدة زين الدين شكر، يحفظ متحصلها، فحفظا ذلك حتى عادا حفظاً حسناً .وكان دخولهما إلى القاهرة في ثالث عشري رمضان، وحضرا بين يدي السلطان، فأكرمهما وخلع عليهما، وفوِّضت إمرة مكة للشريف بركات في سادس عشريه، على أن يقوم بما تأخّر على والده، وهو مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار، غير خمسة دفعها قبل موته، وعاهد السلطان بين الأخوين بالطاعة وعدم المخالفة بينهما، وخلع عليهما، وتجهَّزا إلى مكة، فسافرا في حادي عشري شوالس، فوصلاها في أول العشر الأوسط من ذي القعدة، وقرئ عهد الشريف بركات بالولاية، ولله الحمد.

وقال الشريف الفاسي، بعد البياض الماضي:

ولم يكن لأحدٍ من أمراء مكة بعد أحمد ابن عجلان من الحشمة مثل ما للسيد حسن ابن عجلان .وله من العقار بمكة أكثر مما كان لأخيه أحمد، وملك من العقار بوادي مرّ، قريباً مما ملك أخوه أحمد، وملك من العبيد نحو خمسمائة فيما قيل، ولم يكن لأخيه عليّ من العقار ولا من العبيد مثل ماله، ولا قاربه عليّ في ذلك ولا في السلاح، وقد رزق حسن منه أشياء حسنة، وأشكّ في تساويهما فيما ملكاه من الخيل .وأما عنان، فلعله ملك من الخيل مثلهما أو قريباً مما ملكاه، ولم يكن له كثير شيء من العقار ولا من العبيد.

واتفق للسيد حسن مع بني حسن من القوة عليهم، ما لم يتفق لأحد ممن تقدَّمه من أمراء مكة الأشراف من آل أبي نمي فيما علمناه، لأنه أمرهم بترك معارضته في عناياهم، وذلك أن لكل من بني حسن أو أكثرهم صاحباً من تجار مكة وغيرهم، وله على التاجر نفع، يأخذه منه في كل سنة .فإذا أراد صاحب مكة أو أحد من بني حسن التعرّض للتاجر المذكور بطمع، منع صاحبه من ذلك، وما استطاع أحد من القواد يخالف ما أمر به حسن في ترك العنايا، وأمرهم أيضاً أن لا يجيروا في أمر يريده إلا برضاه، فما خالف أحد أمره .وكان الذين أمرهم بترك العنايا والجيرة، القواد :العمرة والحميضات دون الأشراف، لأن الأشراف لم يكونوا يطمعون بذلك معه، وكانوا يقنعون منه بالمسالمة وتمكينه لهم من سكن البلاد، بخلاف القواد، فإنهم كانوا متمكنين من السُكْنى معه، ومشاركين له في أمره، ولكنهم قَلَّ أن يخالفوه في أمر، إلى أن حصل التنافر بينه وبين ابن أخيه، فكان يقع من بعضهم ما يُخالف هواه.

ومما يحمد من خصائله، أنه كان لمصالح الحجّاج والمجاورين يرعى، فوجدوا بولايته راحةً ونفعاً.

ومنها :أنه في آخر سنة سبع عشرة وثمانمائة، تطوّع بمائتي مثقال لعمارة رباط رامشت، فأُزيل بذلك غالب ما كان فيه من الشَّعث، وصار حسناً .وللسيد حسن صدقات أُخر وصلاتٌ تشكر .وفيه صبر كثير واحتمال وحياء ومروءة عظيمة، فالله تعالى يزيده فضلاً ويسدده إلى الخير ويرشده .وللشعراء فيه مدائح كثيرة حسنة .وممن أكثر في مدحه الوالد رحمه الله تعالى، وله فيه قصائد.

وبمراجعة اتحاف الورى لم يوجد هذا النص في حوادث سنة827) هـ.(

ولكن ابن فهد ذكره في حوادث عام828) هـ(، ولكن بما لا يطابق هذا النص.

وإنما وجد هذا في غاية المرام([452])، حيث ترجم عبد العزيز بن فهد للشريف حسن، فنقل كلَّ ما ذكره الفاسي، الذي قدمناه، وأضاف هذا النص، ولكن محقق العقد لم ينقله حرفياً، أو أن محقق غاية المرام تصرف في بعض النصوص بما يزيدها إيضاحاً.

وهكذا انتهت حياة حافلة بالنضال، ووجوه الخير.

وقد خلف حسن ذرية طيبة انحصرت فيهم إدارة شؤون الحجاز، ما دامت لهم تلك السلطة . والمشهور من بني حسن هذا :

-1بركات، وفيه تسلسل الحكم.

-2أحمد، ولي الإمرة.

-3أبو القاسم، ولي الإمرة أيضاً.

-4إبراهيم بن حسن بن عجلان.

-5علي بن حسن بن عجلان.

وقد مدحه شعراء عصره مدائح كثيرة بقصائد طوال، ذات معانٍ بديعة، وأغراض سامية .فقد مدحه الشاعر حسين العليف ([453])بقصيدة سماها) :الدرة الثمينة (جاء فيها :

هاتا أحاديث العقيق وحاجر ([454])

ما في الحديث عليكما من حاجزِ

واستسقيا دمعي إذا كف الحيا

عنها وَكَفَّ وَكُفَّ وَكْفُ محاجري

وسلا رُبا يبرين عن آرامه

والجهلتين عن الغزال النافرِ

إن تختبرني بالزمان وأهله

إني لعمر أبيك أخبر خابِرِ

جمدتْ أكفُّ أهيله فكأنما

يعطون سائلهم بكفَّيْ ماذرِ

حسبي مجاورة المشاعر والصفا

والمروتين وتلك خير شعائري

وجناب ملك الأَبطحين بمكةٍ

بدر الهدى القمر المنير الزَّاهر

ومنها:

محيي شجاعة حيدرٍ يوم الوغى

وسخاء سبطيه وعلم الباقرِ

والعادل الأحكام إلا أنه

في بذله للمال أجور جائرِ

حرم السؤالُ عليَّ غير سؤاله

في مكةٍ تحريمهما للكافرِ

عقم الزمان بمثله وبمثله

راحت به دنياه أعقر عاقر

سلطان مكة والمشاعر كلها

وإمامها الناهي المطاع الآمرِ

ومجدد الفتح المبين بها ومن

أحيا بها فتح النبيِّ الحاشرِ

لمَّا تقلل في الأَباطح سائراً

خِلْتَ الجبال من الخميس السَّائر

وغدت شعاب الأَبطحين كأَنَّما

سالت بسيل أسنَّةٍ وبواترِ

ومدحه الشاهر علي العُليف، أخو من سبق([455])، فقال منها:

تُتَوَّجُ الشمسُ والبدرُ المنير به

وتستوي نعله تاجاً لكيوانِ

ابن النبيِّ وسبطيه وحيدرةٍ

وفاطمٍ ليس من لخمٍ وغسَّانِ

وسادة جاء في التَّوراة فضلهم

وفي زبورٍ وإنجيلٍ وفرقانِ

إن عُدَّ فخراً وفضلاً فهو أكرم من

مشى على الأرض من شيبٍ وشبَّانِ

تراه إذ يُسأل المعروف مبتسماً

مستبشراً بالعطايا غير غضبان

أندى وأكرم من أوس بن حارثةٍ

ومن يزيد العطايا في خراسانِ

ومن سموأل غسَّان ومن هَرَمٍ

وطلحة المتوفَّى في سجستانِ

إلى أن يقول :

أو قال أفصح من قسٍّ وقيسٍ معاً

ومصعبٍ وأبي ذرٍّ وسحبانِ

مكارمٌ من عليٍّ أصل دوحته

وفرعها من أبي سعدٍ وعجلانِ

ومنها :

إنَّ الخلافة ما من رام يسلمها

من بعد داود جاءت في سليمانِ

إني مدحتك يابن الشُّمِّ من مضرٍ

وقد رضيتك عن قاضٍ وعن دانِ

أرجوك لي يابن خير العالمين كما

قد كان جدُّك في الدنيا لحسَّانِ

إني وإن عشت لا أُثنِي عليك كما

أثنى الوليد على الفتْح بن خاقانِ

إنْ نَعَّلَ المتنبي خيلَه ذهباً

إني لأرجوك تحبوها بتيجانِ

فاسلم ودمْ في نعيمٍ لا نفاد له

وكل حي وإن طال المدى فانِ

ومن هذه القصائد وغيرها في هذا الكتاب ترى مدى ثقافة شعراء ذلك العصر، على أنه ظاهر التكلف في تعمّقهم.

ومدحه الشاعر عبد القوي بن محمد بن عبد القوي المكي([456])، فقال :

وافت بدولتك السعادة للملا

واليوم نال مؤمل ما املا

من كان منا مذ نأيت مُحسبِلا

فاليوم يتركه السرور مُحمدِلا

ومن اختفى متوارياً خوف الردى

نادى الأمان به هلمَّ مبسملا

ومن ابتغى وطناً بأقصى بلدة

فالعدل يسكنه بمكة منزلا

رَد الإله عليك ملكك بعدما

ظن الحسود بأنه لن يَفعلا

ما كان نقلك عن مكانك موجباً

نقص المكانة لا ولا كلا ولا

لكنك البدر المنير رقيت في

رتب الكمال فحزتها متنقلا

رُدَّتْ إلى أم القرى أيامها

فيها بعدلك يصحب الذئب الطّلا

ومنها :

لله درك من مبارك طلعة

نشأت بميمون السعادة معقلا

أَوَ لَمْ تكن فيها خليقاً بالعُلى

ومدافعاً عنها بها عظَمَ البلا

ومن قصيدة تزيد على مائة بيت للشاعر نفسه :([457])

ملكٌ ترى العافين محدقةً به

زمراً من الفقراء والأمراءِ

هذا يروم الأمن من سطواته

ولذاك في ناديه حُسْنُ عطاءِ

مسدي النفائس للمؤمل بره

مردي العنابس في وغى الهيجاءِ

ما جود معن أو سماحة جعفر

ما طلحة الطلحات أو ما الطائي

ما مالك في بأسه ما عنتر

ما حارث ما عمرو يوم لقاءِ

إبِهِ يُقاس الناس وهو إمامهم

في حالة النعماء والبأساءِ

تخشى ملوك الأرض سورة بأسه

وتهابه في الغاب أسدُ وغاءِ

ومنها :

ملكٌ تخر له الجبال مهابة

وتطول فيه ألسن الفصحاء

بدر المعالي وابن بجدتها الذي

يُدعى لدفع الخطب :يابن جلاءِ

مِنْ جَدِّهِ ورث الشجاعة والتقى

ما أشبه النجباء بالنجباءِ

وتركنا كثيراً في ذلك المرجع، فراجعه إن شئت.

53–الشريف علي بن عنان بن مُغامِس بن رميثة بن أبي نمي الأول.

ت 833) هـ 1429/م :(

كان له ولد اسمه عنان أيضاً، منه تحدرت أسرة الأشراف ذوي عنان أهل قرية الخوار([458])، شمال مكة.

وللابن الشريف عيسى بن فيصل العناني رسالة وشجرة عن ذوي عنان هؤلاء .ذكر السخاوي علياً هذا، فقال :([459])

ولي إمرتها مرة للأشرف برسباي في المحرم سنة سبع وعشرين عوضاً عن البدر حسن بن عجلان وخرجت معه تجريدة من المماليك السلطانية مقدمهم قرقماس الشعباني الناصري فلم يلق حرباً، وأقام على إمرته ثم انفصل ودخل الغرب فأكرمه أبو فارس ملكها ثم رجع إلى القاهرة فأقام بها، وكان حسن المحاضرة يذاكر بالشعر ونحوه .وذكره المقريزي في عقوده وأنه كان لين الجانب .مات بالقاهرة مسجوناً في قلعتها يوم الأحد ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين مطعوناً ([460])شهيداً غريباً وحيداً عفا الله عنه.

يلقب :علا الدين، ويكنّى أبا الحسن.

وترجم له العز بن فهد، في غاية المرام، فقال :([461])

أمير مكة المشرفة.

ولد بها ونشأ بها، وقدم القاهرة ودخل منها بلاد الغرب فأكرمه ملكها أبو فارس وأنعم عليه بألف دينار وعاد لمكة، وسمع بها علي ابن الجزري في سنة ثمان وعشرين مجلس الختم من السنن لأبي داود.

وفي سنة ست وعشرين ([462])لما لم يقابل السيد حسن بن عجلان أمراء الحج تخوفاً على نفسه، ولاقاهم ولده السيد بركات، تحدث الناس أن الأمير قرقماس أحد الأمراء الواصلين لمكة يقيم بها مع صاحب الترجمة، وبلغ ذلك حسناً فكثر تضرره .ثم إن قرقماس سافر،

وأقام بالينبع، وتوجه السيد علي إلى القاهرة؛ فولاه السلطان إمرة مكة في المحرم من سنة سبع وعشرين، وجهز معه عسكراً من الترك عدتهم مائة وأربعة عشر فارساًَ، وخيلهم كذلك، وأميرهم طوخ، وساروا في ثامن عشر ربيع الأول، وجاء الخبر إلى الينبع إلى الأمير قرقماس في ثامن عشري ربيع الأول بأنه رسم بتجهيز العسكر لمكة، وبأمر أهل ينبع والصفراء والمدينة بالمسير مع العسكر إلى مكة، ووصل الخبر بذلك كله إلى مكة في يوم الجمعة نصف ربيع الآخر.

وفي يوم الخميس سادس جمادى الأولى دخل إلى مكة كثير من العسكر المصريين، وفي ضحوة يوم الخميس دخل السيد علي بن عنان بمن انضم إليه من الأشراف، والقواد العمرة، والحميضات، والمولدين المنسوبين لعجلان وابنه([463])، وهم في تجمل عظيم، ومعه الأميران قرقماس وطوخ، وانتهوا إلى المسجد الحرام، وعليه خلعة الإمرة؛ فطاف بالبيت أسبوعاً، والمؤذن يدعو له على زمزم، وبعد فراغه قرئ مرسومه بظل زمزم بولايته لإمرة مكة، عوض السيد حسن بن عجلان، وهو مؤرخ بنصف ربيع الأول، ودعي له في الخطبة] يوم الجمعة سابع جمادى الأولى [وعلى زمزم، وأعاد الدعاء لصاحب اليمن الملك الناصر.

وفي اليوم الرابع عشر من ذي الحجة سن سبع وعشرين توجه السيد علي بن عنان وصحبته الأمير قرقماس، وأحمد الدوادار، والمماليك السلطانية صوب الشريف حسن بن عجلان؛ لأنه بلغهم أنه نازل بقرب مكة ينتظر توجه الركب ويدخل مكة؛ لأنه روسل في الباطن- ليحصل في القبضة -أن الولاية له، وبعد سفر الحاج يولَّى، فأُنذر فانهزم على الفور، فأدرك العسكر بعض جماعته من القواد العمرة فقتلوه.

وفي سنة ثمان وعشرين عزل الشريف علي ابن عنان عن إمرة مكة، ورسم السلطان مع أمراء الحاج بطلب حسن بن عجلان إلى الأبواب الشريفة، فاجتمع بهم في الموسم بعد حلفهم،

وأُلبسي التشريفة، وقرر في إمرة مكة على عادته .وتوجه السيد علي بن عنان صحبة الحاج إلى القاهرة، ثم اعتقل بالقاهرة إلى أن مات .وكان حسن المحاضرة، يذاكر بالشعر ونحوه، لين الجانب .مات في يوم الأحد ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة مسجوناً بقلعة الجبل في طاعون كان بالقاهرة.

54–الشريف رُمَيثة بن محمد بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الأول ..الخ ت 837) هـ / 1433م :(

ترجمه عز الدين بن فهد، فقال :(**[464]**)

أمير مكة المشرفة.

ولد بمكة ونشأ بها، وكان في طوع عمه السيد حسن، ثم نفر عنه في سنة خمس عشرة؛ لأن أخاه أحمد بن محمد ضرب مسعوداً الصبحي نائب عمه بجدة، لكثرة مطله له في بقية حوالة عليه، فغضب لذلك عمه وأمر بإخراجه من البلد، فغضب لأحمد أخوه رميثة، وأظهر التجهيز للخروج، فما ترضاه عمه، فمضى على جهازه حتى كمل، وخرج هو وإخوته صوب القواد العمرة، فمكثوا عندهم أياماً، وتكلموا مع عمهم في تطييب خواطرهم، فأعرض؛ فمضوا إلى ينبع، ثم إلى مصر، فما وجدوا بها كبير وجهٍ، وحسن لهم القاضي نور الدين بن الجلال الرجوع إليه عمهم فإنه يرضيهم، فمالوا إلى ذلك، وتوجهوا مع الحاج حتى بلغوا ينبع، عمهم بوصولهم منع من دولهم مكة، فأقاموا بينبع إلى أثناء السنة الآتية.

وفي ليلة سادس جمادى الأولى سنة ست عشرة وثمانمائة وصل إلى حَدًّا من وادي مر على غفلةٍ من أهلها؛ لأن عمه رغب في إخراجه من ينبع، وما وجد مذهباً غير هذا .ولما بلغ

عمه خبره أمر بالمبادرة بإبعاده، وصمم على ذلك، وركب إلى جهته؛ فما وسع الذين نزل عليهم إلا إبعاده، فمضى إلى ينبع، والتحق به فيها بعض القواد العمرة، فعادوا به إلى منزلهم بالعد .وأخبر السيد حسن بوصوله فتوجه للعد بعسكره .وكان السيد رميثة قد توجه منه مع بعض القواد، والشريفين ميلب، وشفيع ابني علي بن مبارك، وما شعر الناس به إلا وقد هجم مكة من درب اليمن، في ضحى يوم الخميس رابع عشري جمادى الآخرة سنة ست عشرة)أي وثمانمائة(، والذي جرَّاه على هجم مكة القائد محمد بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن عبد الله ابن مسعود العمري([465])، وما قدر الذين بمكة من جماعة السيد حسن على دفعهم، وانضم إليه منهم جماعة، وما احدث في مكة سوءاً ولا من معه، ثم خرجوا منها لتخوفهم من قصد السيد حسن لهم .وكان من خبر السيد حسن أنه أخبر بقصدهم لمكة فشق ذلك عليه؛ لتخيله أنهم ينهبونها ويتقوون بذلك، ويتحصنون فيها، فلما انتهى إلى الزاهر أتاه بعض أصحابه من مكة، فأخبره بخروجهم منها، وعدم إفسادهم فيها، وقصدهم إلى الأبطح .فنزل على الأبطح من ثنية المقبرة، ورأى سوابق عسكره رميثة ومن معه] خارجين من مكة [فاتبعوهم، وتلاهم الباقون .ثم إن السيد حسن سئل في الرجوع عنهم رحمة لهم، فرحمهم وعاد إلى مكة . ثم بلغه أنهم مقيمون بنخلة، فتوجه إليهم حتى انتهى إلى نخلة، ففارقوها، وقصدوا الطائف؛ فبعث السيد حسن بعض خواصه إلى أهل الطائف بالإعراض عن المذكورين؛ فأعرض عنهم ناس، وأكرمهم ناس بمل ليس فيه كبير جدوى، فقصدوا نعمان فتوصلوا منه إلى اليمن . فسلكوا طريق النقب حتى بلغوه، وانتهوا إلى عرب باليمن، فحاربوهم وكسبوا منم ما تجمل به حالهم، وبدا من رميثة في هذا اليوم ما يدل على كثرة شجاعته، وأقاموا باليمن مدة، ثم عادوا فقصدوا جدة، وخفي مسيرهم إليها على السيد حسن .ولما وصلوا جدة نهبوها وأخربوا بيت الصبحي؛ وذلك في العشر الأوسط من رمضان سنة ست عشرة .وبلغ خبرهم السيد حسناً فبادر إليهم، ولقوه بقرب جدة متأهبين للقائه، فمنعه من محاربتهم القواد، ولم يمكنه المخالفة، وطيبوا نفسه بإخراج رميثة ومن معه من جدة، ومكنوه منها، ثم قطعوا بين الفريقين حسباً، وسعوا في الصلح بين الفريقين، فلم يتفق ذلك؛ لأن السيد حسناً لم يوافق على

دخول من التفَّ على رميثة من العبيد والمولدين في الصلح، وأبى رميثة إلا دخولهم .وعرف كل من السيدين حسن ورميثة أن القواد لا تمكن أحداً منهما من الآخر؛ فتسالموا من القتال حتى انقضى الحج من هذه السنة.

وبعد الحج توجه السيد حسن إلى العد بعسكره ومن معه مقبل بن مخبار وجماعة من أصحابه، وكانوا قدموا في هذه السنة للحج ولنصرة حسن، وعرف رميثة وأصحابه أنه لا قدرة لهم على المذكورين، وأن من يتخيلون منه النصر من ذوي عمر الملايمين لحسن لا يمكنهم النصر في هذا الوقت؛ فقصد رميثة والأقوياء من أصحابه إلى جهة اليمن بالبر، وركب الضعفاء منهم البحر، واجتمعوا بحلي .

ولما قدم القاضي أمين الدين مفلح من مكة في سنة سبع عشرة إلى اليمن– وهو غير راض على السيد حسن –اجتمع هو ورميثة بحلي، فأكرم مفلح السيد رميثة، وأزال كثيراً من ضروراته، وأمره بالتوجه إلى مولاه، وكتب هو إلى مولاه الناصر ([466])بخبره، وسأله في كرامته، فسر الناصر بقدوم رميثة، وأمر بتلقيه وإكرامه حتى انتهى إليه؛ فرأى من السلطان ما سره .وكان قد تجدد في نفس السلطان حنق على السيد حسن وشكر؛ لكونه لم يصله العشرة الآلاف المثقال المقررة له في كل سنة عن مال ابن جميع، ولا قيمة ما بعث به من الطعام إلى مكة مع شكر .وكان ما قرره لرميثة مد طعام في كل يوم– وهو أربع غرائر مكية –وخمسين ديناراً جدداً غير المقررة له من التمر في أيام النخل– وهو قل أن ينفصل عن السلطان وقت الأكل– وطلع مع السلطان إلى تعز، ونزل معه إلى زبيد، وتوجه منها إلى مكة بعد أن أحسن له السلطان بذهب جيد، وإبل وطعام وكسوة؛ فوصل في رمضان سنة سبع عشرة إلى وادي الآبار، ونزل به على ذوي ميضة، وما سهل ذلك بعمه، وهم بمحاربتهم .ثم سعى الناس في الصلح بينهم على مائتي ألف درهم يسلمها حسن لرميثة، ويكون لحسن جباء الجلاب الواصلة في هذه السنة، وأن يكون الفريقان سلماً إلى انقضاء

العشر الأول من المحرم سنة ثمان عشرة وثمانمائة؛ فرضياً بذلك، وضمن على ذلك منهما جماعة من أصحابهما، فما حصل في ذلك خلل منهما.

وفي أواخر المحرم- أو أوائل صفر -من سنة ثمان عشرة ورد إلى جدة القاضيب مفلح بما في صحبته من المراكب والطراريد والولقات والجلاب، فاستقوا من جدة بمعاونة السيد رميثة، وأخذ منهم الزالة، ومضوا إلى ينبع، وما قدر عمه على منعه، ثم عاد رميثة- بعد سفر الجلاب من جدة -إلى الجديد، وأقام به إلى شعبان من هذه السنة.([467])

ثم ولي نيابة السلطنة بالحجاز عن عمه، وإمرة مكة عوض ابني عمه، في أوائل صفر من هذه السنة، ووصل إليه الخبر بذلك في سادس عشر ربيع الأول، فرحل السيد رميثة وأصحابه من الوادي، ونزلوا بجدة .ثم لما عاد السيد حسن من الشرق- المرة الثانية -في هذه السنة توجه إلى جدة فأزال منها رميثة وأصحابه، واندفع رميثة إلى جهة الشام.

ووصل الحاج بإثر ذلك؛ فلايم رميثة الحجاج، ووصل معهم لمكة؛ لتقرير السلطان المؤيد له على ولايته- وهو بحلب -فدخلوا مكة في هلال الحجة، وخطب له، ودعي له على زمزم، وضربت السكة بايمه.

واستمر متولياً إلى أن عزل عنها، ففارقها في ليلة السادس والعشرين من شوال سنة تسع عشرة، بعد أن حصل بيينه وبين عمه السيد حسن قتال في يوم الأربعاء خامس عشر شوال -كما هو مذكور في ترجمة عمه -ومضى السيد رميثة إلى اليمن.

ثم عن عمَّه إلى بعض خواص ابن أخيه يستميله بالدخول في طاعته، فمال إلى ذلك ابن أخيه، وقدم رميثة إلى مكة بإخوته وزوجته- وهي أعظم من حمله على ملايمة عمه -فلما بلغ

السيد حسناً– وكان قد توجه من مكة لقصد الشرق –إقبال ابن أخيه إليه أمر خواص غلمانه بتلقيه وكرامته، فخرجوا للقائه موكبين له، ودخل معهم مكة في يوم الخميس تاسع عشر صفر سنة عشرين وثمانمائة؛ فأنزلوه بما كانوا أعدوه له، وكسوه وضيفوه وخدموه، واستحلفوه على إخلاص الود لعمه، وحلفوا له .وكان هذا الحلف في يوم الجمعة العشرين من صفر المذكور، في جوف الكعبة.

ومضى السيد رميثة بعد ذلك بأيام قلائل هو وإخوته لعمهم؛ فأكرم ملاقاتهم وأحسن إليهم، وبالغ في الإحسان إلى رميثة، وأظهر للناس الاغتباط به كثيراً، وما سهل ذلك بأكثر بني حسن لتخيلهم أن حالهم لا يروج كثيراً إلا في زم الفتنة.

وأقام مطيعاً مع عمه مدة إلى أثناء سنة أربع وعشرين، فبان عن طاعة عمه مع نفر كثير من القواد والأشراف، واستولوا على جدة، وانتشروا في الطرقات فنجل أكثر الواصلين من اليمن في غير جدة، ووصلوا لمكة متحفزين.

وما زال السيد حسن يسعى حتى بان عن السيد رميثة أكثر من معه، فدخل في طاعة عمه، وتوسل إليه بابنه السيد بركات فأكرمه، وذلك في أوائل سنة خمس وعشرين وثمانمائة.

ثم نفر عن طاعة عمه مع أخويه، وبني عمه أولاد علي بن مبارك، وذوي ثقبة ولايموا القواد العمرة، واستولوا على جدة في آخر جمادى الأولى .وما زال السيد حسن يسعى حتى بان عن السيد رميثة أكثر من كان معه، وقصد السيد حسن رميثة ومن معه لصوب جدة؛ فهربوا إلى مر اظلهران، ودخل في طاعته ممن مع رميثة ميلب بن علي بن مبارك، وغيره، واستولى الشريف حسن على جدة، ومضى رميثة ومن معه من الأشراف آل أبي نمي،

والمولدين من أولاد عبيد جدِّه عجلان إلى ينبع، وأعانوا صاحبها مقبلاً في حروب بني أخيه وبير بن مخبار.

وأرسل السيد حسن لأولاد وبير ([468])بخيلٍ وسلاحٍ ورجالٍ، وعزم على المسير إلى ينبع لنصرتهم، فأتاه للفور مقبل خاضعاً فأكرمه وأعرض عن توجهه لينبع .وسأله مقبل في المسير معه لينبع، فاعتذر له بوصول كتاب صاحب مصر إليه بأن يسعى في تحصيل مقبل .وشرط على مقبل أن يبين عنه رميثة ومن معه.

ولما عرف رميثة بذلك قصد أمير المدينة عجلان بن نعير بن منصور بن شيحة الحسيني في أن يشفع له إلى عمه في الرضاء عنه، ويلزم طاعة عمه، فأتى عجلان للشريف حسن متشفعاً فأجابه لقصده، وحضر إليه ابن أخيه رميثة في ربيع الأول سنة ست وعشرين، فأكرمه وأمره بمباينة من كان معه من جماعة عجلان، فرجعوا لينبع.

وفي سنة ست وعشرين([469])، لما لم يقابل السيد حسن أمراء الحاج، بعثوا إلى صاحب الترجمة يدعونه سرًّاً وأطمعوه بولاية مكة، فلم يستطع الوصول إليهم؛ لأنه كان مقيماً عند عمه.

وفي سنة سبع وعشرين قدم السيد رميثة من اليمن فقبض عليه الأمير قرقماس، واحتفظ به إلى وصول الحاج؛ فجهزه مع أمير الحاج قراسنقر كاشف الجيزة مقيداً في الحديد .فوصل إلى القاهرة؛ فأُرسل إلى الإسكندرية هو والشريف مقبل بن مخبار في رابع رجب من السنة بعد هذه.

ثم أُفرج عن السيد رميثة من السجن بالإسكندرية، وحضر إلى القاهرة في تاسع عشر المحرم سنة تسع وعشرين، ثم وصل إلى مكة واستمر ملايماً لابن عمه السيد بركات، إلى أن أرسله في ثامن عشري جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين مقدم جيش إلى بلاد الشرق، فغاروا على شهران ([470])وعرب كثيرة، فانكسر جماعته وقتل هو وجماعة من القواد والعبيد في يوم الأربعاء سادس رجب سنة سبع وثلاثين وثمانمائة ببلاد الشرق، ودفن فيه.

كان له ابن اسمه ميلب([471])، قتل في عسفان سنة839) هـ (في معركة مع قبيلة بشر الحربية، وهزم الجيش الذي كان قائده الشريف علي بن حسن بن عجلان.

-55الشريف أحمد بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الأول .وباقي النسب هناك . ت 842) هـ 1438 /م :(

أمير مكة، يلقب :شهاب الدين.

ولد بمكة ونشأ بها في كنف أبيه، وأجاز له في سنة خمس وثمانمائة من أجاز للسيد بركات.([472])

وفي المحرم سنة إحدى عشرة وثمانمائة ندب والدهُ القائد سعد الدين جبروه إلى مصر بهدية طائلة؛ ليسعى له في أن يكون ولده السيد أحمد شريكاً لأخيه بركات في إمرة مكة؛ فأجيب إلى ذلك، وولي السيد حسن نيابة السلطنة بالأقطار الحجازية، وذلك في العشر الأوسط من ربيع الأول سنة إحدى عشرة، ووصل إليه رسوله بغتةً في النصف الثاني من ربيع الثاني من السنة المذكورة، ووصل معه خلعة للمذكور، وخلعتان لولديه، وكتاب من السلطان يشهد

بولايتهم لما ذكر .ثم في أثناء سنة اثنتي عشرة تغير صاحب مصر على السيد حسن؛ فرسم بالقبض عليه وعلى ابنيه والاحتفاظ بهم.

ثم سُعِي عند السلطان في تقرير المذكورين في ولاياتهم، فأجاب إلى ذلك، وبعث إليهم بالعهد والخلع، واستمروا على ولاياتهم إلى سادس عشر ربيع الأول سنة ثماني عشرة، فوصل العلم إلى مكة بولاية السيد رميثة بن محمد بن عجلان عوضاً عن الشريف حسن وابنيه، واستمر الدعاء للسيد حسن وابنيه في الخطبة وعلى زمزم إلى هلال ذي الحجة من السنة؛ لاستيلاء حسن على مكة إلى هذا التاريخ، ثم فارقها في هذا التاريخ وقصد صوب اليمن.

ثم لما عاد والده] السيد حسن [إلى مكة في شوال سنة تسع عشرة عاد لمكة وأقام معه بمكة .ثم في ربيع الأول سنة إحدى وعشرين جمح السيد أحمد عن طاعة أبيه السيد حسن؛ لكونه قدم أخاه بركات عليه في الإمرة، وأرسل إليه أبوه من يستعطفه، ويعده عنه بذهب ومركوب، فلم يمل أحمد لذلك، واجتمع عليه جماعة من الطماعة ومضوا لجدة وخطفوا منها أشياء، ولم يسهل ذلك بأبيه .ثم عن كثيراً من الذين كانوا مع أحمد تخلوا عنه، لما لامهم أقاربهم على ملائمتهم له؛ لكون ذلك لا يرضي أباه .ولما عرف هو ذلك مضى إلى حدًّا ونزل بها، ثم دخل في الطاعة، وأقام على ذلك وقتاً، ثم خالف ومضى إلى الينبع، وأتى منها مع الحجاج في سنة إحدى وعشرين إلى أبيه بمكة، فلم ير ما يعجبه، فعاد مع الحجاج إلى صوب ينبع بعد الحج من هذه السنة.

ثم عاد لمكة وسافر في آخر سنة اثنتين وعشرين مع قافلة عقيل، فبلغ هرموز([473])، وعاد بغير طائل مع قافلة عقيل قبيل التروية من سنة ثلاث وعشرين، ثم سافر قبل موت أبيه إلى العراق هو وأخوه علي، وجلسا بها مدة، وجاءوا بعد موته بمال جزيل مع قافلة
عقيل ([474])في سنة ثلاثين، فنهب ما معهما، ووصلا مكة وأدركا الحج .ثم توجه إلى

اليمن، فاتفق أنه مات في أوائل سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة بزبيد من بلاد اليمن، ودفن هناك، ووصل الخبر بذلك إلى مكة في ليلة الأحد تاسع عشر جمادى الأولى من السنة.

)عن غاية المرام:(2/469 :

–56الشريف علي بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الأول ..الخ يلقّب نور الدين.

853 – 807)هـ 1449 – 1404 /م:(

ترجمه عز الدين بن فهد، فقال :([475])

أمير مكة المشرفة.

ولد في سبنة سبع وثمانمائة– تقريباً –بمكة، وسمع بها– وهو متولٍ في سنة ست وأربعين –على الشريف أبي الفتح المراغي بعض مجلس من صحيح مسلم، وأجاز له في سنة ست وثلاثين ([476])جماعة من المشايخ .توجه هو وأخوه أحمد إلى العراق في حياة والدهما، وجلسا به مدة، وجاءوا بعد موته في سنة ثلاثين وثمانمائة مع قفل عظيم، فنُهِبا مع القفل، وكان معهما مال له صورة، فوصلا مكة وأدركا الحج.

وفي سنة تسع وثلاثين أرسله أخوه السيد بركات مقدماً على جيش أرسله لحرب حرب، ومعه الأمير الباش أرنبغا، وتسمى هذه الوقعة وقعة الثنية :ثنية عسفان .فأُنذر بهم العرب؛ فتنحوا عنهم، وتركوا إبلهم مع خمسة رجال وامرأة، فقتلوا الرجال والمرأة– وكانت حاملاً –وقتلوا ما

في بطنها أيضاً، واستاقوا الإبل .فلما كانوا في نصف الثنية اكتنفهم العرب من الجبلين ورموهم بالحراب والحجارة، وهرب الأمير ومن معه، وقتل منهم جماعة كثيرة يزيدون على أربعين، وجرح كثير أيضاً .وغنم العرب منهم خيلاً ودروعاً كثيرة وغيرها من السلاح وغيره.

وفي سنة إحدى وأربعين قتل بجدة خمسةً من كبار حرب، وتوجه– خوفاً من أخيه السيد بركات –إلى القواد العمرة بالعد، فحملوا معه بعض خيل من أولادهم إلى أن توهج إلى نحو بني شعبة ببلاد اليمن .فركب السيد بركات على إثره لما علم بالقضية، ودخل السيد بركات في بني شعبة .فقبل وصوله أخرجوا عنهم السيد علي بن حسن، فتوجه شارداً إلى جهة اليمن بعد تعب كثير، وأقام بالواديين إلى بعد سفر الحجاج ثم اصطلح هو وأخوه السيد بركات.

ولما زار أخوه السيد بركات– في أحد الربيعين سنة اثنتين وأربعين –جده النبي جعله نائباً عنه بجدة، وجعل معه الأشراف وبعض قواد، إلى أن عاد.

ثم حصل بينهما منافرة، فسافر السيد علي إلى القاهرة، ومعه الشريف ثقبة بن أحمد، فتوجه ثقبة إلى الروم، وأقام هو بالقاهرة، حتى ولي إمرة مكة في يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى سنة خمس وأربعين عوضاً عن أخيه السيد بركات بحكم عزله؛ لكونه لم يحضر إلى السلطان حين استدعاه لذلك، بل امتنع وقال :لست بعاصٍ ولكني أنا أذهب إلى حال سبيلي، والبلد بلدك.

وعين السلطان مائة وخمسين نفساً من المماليك السلطانية، ومقدمهم يشبك الصوفي أحد أمراء العشرات، عوضاً عن سودون المحمدي؛ ليقيم هو إياهم بمكة على العادة، وليكونوا مساعدين له على أخيه المذكور، وأنعم السلطان على السيد علي بمبلغ يقيم به بركه([477])، قيل إنه خمسة آلاف دينار، واقترض هو من الناس– زيادة على ما أنعم به عليه –شيئاً كثيراً، وجاء

الخبر إلى مكة في رجب .ثم في مستهل شعبان وصل إلى مكة، وفي ثانية دخل مكة وهو لابس الخلعة، وقرئ توقيعه بحضرة القضاة والأمراء، وتاريخه ثالث عشري جمادى الآخرة.

وقال– في ولايته ودخوله مكة المشرفة محرماً –الأديب قطب الدين أبو الخير محمد ابن عبد القوي المكي([478])، في سنة ست وأربعين :

ثغور الهنا لما قدمت بواسِمُ

سروراً وكل الكائنات مباسمُ

ولما تراءتك المشاعر محرماً

أشارت بتسليم عليك المحارمُ

ولما رآك البيت أقبلت هزه

إليك اشتياق إنه بك عالمُ

كذاك المصلى والحطيم وزمزم

وقد سجعت من حولهن الحمائمُ

ورحبتْ الأركان لما أتيتها

كأن المثنى قد أتاها وكاظمُ

وسُرَّت جبال الأبطحين كأنها

عليها أبو النفس الزكية قادمُ

وكاد الصفا يختال لما صعدته

وماست سروراً مذ رأتك المعالمُ

مهابط وحي الله والحرم الذي

نماك ببطحاه الوصي وهاشمُ

كأنك زين العابدين وقد أتى

إلى الركن في برديه حين يسالمُ

وأذكرتنا الكرار حين قدومه

تسير به العضباء للشرك هادمُ

لئن كان في دست الخلافة أولاً

فأنت لها من أجل ذلك خاتمُ

ومنها :

أبا حسنٍ يابن النبي ومن غدت

مناقبه للمكرمات دعائمُ

إذا ما عليٌّ بين جنبيك في الوغى

فأهون ما يلقاك فيه الضراغمُ

ويطفو على الوطفاء وهي غمامةٌ

أيا ملك العشر الحبور الخضارمُ([479])

ولست مقيساً يابن طه بعنتر

ومن كان من خزانكم فهو حاتمُ

عزمك منصور وجدك رابح

وبابك مقصود وعزك دائمُ

وإنْ شام عدادٌ لبرق مخيلة

بجودٍ فإني جود كفيك شائمُ

وسُدْ وابْقَ ما سارت ركوب لمكةٍ

لهم في مباني أخشبيها مواسمُ

وفي يوم عرفة لما وصل الحاج إلى عرفات أرجف مرجفٌ بأن السيد بركات هجم جدة ونهبها، ولم يظهر لذلك صحة.

ووصل السيد أبو القاسم فأمنه أخوه السيد علي، ولم يحدث منه سوء مع أنه أشجعهم وأفرسهم، وندب السيد علي بعض إخوانه، أو غيرهم ليأخذ جماعة ويتوجه إلى حراسة جدة، ثم اتفق معه على أن يحفظ الحاج بمنى وعرفة، وتأخر هو عن الخروج مع الحاج ليلة التاسع، فلما كان بعد عصر يوم عرفة ثارت غبرة عظيمة، ثم ظهر خلق كثير :فرسان وغيرهم، فظن الناس أنه بركات جاء في جمعه لنهبهم، فانكشف الغبار فإذا هو علي ومن معه .فأدركوا الوقوف بعرفة وصحبته أخوه إبراهيم، وكان قد تغيب عنه بمكة، فلما وجده اعتذر بأنه قيل له :إنه عزم على إمساكك .فتنصّل من ذلك واستصحبه معه؛ فحصلت الطمأنينة للناس.

وفي المحرم سنة ست وأربعين مشى عليه أخوه السيد بركات وبلغ جدة، وكان بها قبله أخوه السيد علي، فأشار بعض أصحابه أن يتوجه إلى مكة ويرسل إلى الأميرين اللذين بها والترك والشرفاء، فتوجّه إلى حدًّا، وأرسل إليهم فجاءوه، وتوجه إلى جدة ووقع بينهم القتال في الحديد، وخامر بعض أصحاب السيد بركات عليه، وهم الأشراف ذوو أبي نمي، والقواد ذوو حميضة، وكان النصر فيه للسيد علي وأصحابه .وقتل من أصحاب السيد بركات جمع كثير، وثبت وهو وعبيدة فغلبتهم الكثرة، فتوجه هو وعسكره إلى العد، ثم إلى صوب اليمن . وجادو ([480])السيد إبراهيم بين الشريفين بقية صفر وربيع الأول.

وتوجه السيد علي إلى الركاني([481])، ثم إلى مكة، ثم إلى نحو وادي الآبار، ومعه ثلاثون مملوكاً، ونقل أعداؤه عنه أشياء أوغروا بها قلب السلطان.

ثم لما وصل مباشرو جدة ومقدمهم الأمير تمراز البكتمري المؤيدي، أحد الدوادارية، ويعرف بالمصارِع، في يوم الأربعاء من شوال سنة ست وأربعين تخوف السيد علي من الأمراء فلم يحضر، فأرسلوا إليه وامتنعوا من الدخول حتى يحضر .فحضر في ليلة الاثنين، وخلع عليه، وقرئ مرسومه، وفيه :بلغنا أنك متشوش الخاطر، فلتطب نفساً .ولم يحضر أخوه إبراهيم؛ فأمروه بإحضاره ليلبس خلعته، فأرسل إليه وطيب خاطره، وحضر في يوم الثلاثاء ولبس خلعته وقرئ المرسوم المتقدم في المسجد بالصفا .ولم يحضر الأمير أقبردي الظاهري، أمير الرجيبة، ومقدم الأجناد المقيمين بمكة، وقال :إنه شرب دواء، فتوجه إليه الشريفان والأمراء للسلام عليه، فلما دخلوا عليه أظهر مرسوماً فقرئ باللسان التركي، وهو يتضمن :القبض على الشريفين .فقبض عليهما وبوشا في أعناقهما بباشتين([482])، فتفرق أصحابهما ولم يحصل في مسكهما ضرر ولا خلل، ونادى الأميران بالأمان والاطمئنان، وأن البلاد للسيد أبي القاسم– وكان بمصر –وأُرسل لولده زاهر بعد الحلف له فحضر؛ فقرئ مرسوم والده، وأُلبس الخلعة التي لبسها عمه علي، وطاف ودعي له زمزم، وشق مكة على العادة.

وفي ثامن الشهر توجه الأميران والسيد زاهر بالشريفين إلى جدة وأركبا في الحال في سنبوق ([483])أو خلية([484])، كانت معدة لذلك مع عشرة مماليك، وتوجهوا بهما إلى القاهرة .

وأنشد قطب الدين أبو الخير بن عبد القوي المكي.([485])

فقال:

ما جاء قط ولم يأتنا

مثلك يا تمراز في الفتكِ

تسير بالأخشب من مكة

والأخشب الثاني على الفُلكِ

ومثل هذا لم يكن قط في

ملك بني العباس والتركِ

أن شريفَيْ مكة يُمْسكا

من غير ما طعن ولا سفكِ

هذا بتقدير الذي قهره

ينزع من شاء من المُلْكِ

وكان دخولهما القاهرة في خامش عشر ذي الحجة، وهما مقيدان، فسجنا ببرج القلعة، ثم نقلا منه في سنة تسع وأربعين إلى الإسكندرية، ثم نقلا إلى دمياط، واستمرا بها إلى أن ماتا .وتعلم هذا بدمياط النحو، وعمل هناك قصيدةً على وزن بانت سعاد ورويها وقافيتها، أجاد فيها . وكان حسن المحاضرة كريماً شجاعاً، ذا ذوق وفهم ونظم، حتى قيل إنه أحذق بني حسن وأفضلهم .ومن نظمه قصيدة طويلة جزلة الألفاظ، أنشدها لبعض العلماء، في القاهرة سنة سبع وأربعين، بتمامها، لكنها فاشية اللَّحن، ومنها :

وإن نال العلا قرم بقوم

رقيت علوها فرداً وحيدا

وقدجا في كتاب الله صدقاً

بقول عز قائله الحميدا

ترى الحسنات يجزيها بخيرٍ

وبالسيات سيات سنودا

وواعد أن بعد العسر يسراً

فلا عز يدوم ولا سعودا

مات صاحب الترجمة في تاسع صفر ثلاث وخمسين وثمانمائة بدمياط، مطعوناً مسجوناً غريباً وحيداً، عن خمس وأربعين سنة .رحمه الله وإيانا.

–57الشريف أبو القاسم بن حسن بن عجلان ابن رميثة ..الخ.

ت 853) هـ 1449 /م:(

أمير مكة .مؤيد الدين.

ترجمه العز بن فهد، فقال :([486])

ولد بمكة ونشأ بها .ولي إمرة مكة من سنة ست وأربعين إلى أثناء سنة خمسين، وأجاز له من أجاز أخاه علياً .نشأ في كنف والده نجيباً حاذقاً شهماً مقداماً، وتزوّج سنة اثنتين وعشرين بالوادي على بنت عمه أم الكامل بنت محمد بن ج .ولما جاء خبر موت والده بالقاهرة، وطلب السلطان أخويه بركات وإبراهيم خلفاه بمكة يحفظها؛ فحظفها حفظاً حسناً، ولما سمع بنهب بعض الأشراف وغيرهم لبعض الصيافة بوادي مر خرج إليهم في العسكر، والتحق بهم في شعب يقال له الميثاء قرب هدة بني جابر، وقتل منهم مقتلةً عظيمة .ولما عاد أخوه

بركات من القاهرة متولياً كان معه إلى أن حصل بينهما تنافر، فطلب السيد بركات من السلطان عسكراً نصرة له عليه، وعلى أخيه إبراهيم، فأرسل له عسكراً مقدمهم الأمير أَرْنبُغا . فلما سمع هو وأخوه بوصولهم لم يدخلا مكة خوفاً منهم .وبعد سفر الحاج دخل هذا جدة، وأخذ منها عشرة أحمال دقيق للأمير مقبل القديدي، والتاجر علي السملوطي، ثم لحق الركب المصري بالينبع، وبلغ أخاه إبراهيم– وهو عند أخيه بركات –أن قصده التوجه إلى القاهرة بحاشيته وخيله وقوده معه، ثم تجاود هو والسيد بركات في سنة ثلاث وثلاثين، على أن يعطيه السيد بركات في كل سنة ألفين وخمسمائة، إلى آخر سنة ست وثلاثين، وأقام باليمن ..ثم واجه أخاه بحادثة في سنة سبع وثلاثين، واصطلحا صلحاً شافياً.

ولما زار السيد بركات جدَّه المصطفى سنة اثنتين وأربعين جعله نائباً عنه بوادي الآبار، وجعل معه القواد ذوي عمر.

ولما حجّ سنة خمس وأربعين، وتوجّه إلى القاهرة بعد سفر الحاج بيومين صادف غيظ السلطان على أخيه السيد علي فعزله، وولى هذا مكانه وهو بمصر .ولما مسك الأمراء بمكة أخاه علياً أعلنوا بولاية هذا، واستدعوا ولده زاهراً وخلعوا عليه، وقرئ مرسوم والده، وهو مؤرخ بتاسع عشر شعبان، ثم وصل السيد أبو القاسم إلى مكة في سابع عشري ذي القعدة، ودخل المسجد الحرام وهو لابس خلعته، وقرئ توقيعه، وهو مؤرخ بسابع شوال، فباشر الولاية بالجد والاحترام والعزم والاهتمام، وجادو أخاه السيد بركات على أن يعطيه كل سنة عشرة آلاف دينار، ثم منعه أن يمتار من جدة سنة تسع وأربعين.

وفعل من المعروف عمارة عين خليص، فعمرت وجرت على عادتها، وذلك في سنة سبع وأربعين.

ووصله في سنة خمسين مرسوم فيه :إنك أحدثت مكوساً فبطلها.

ثم فيها عزل بأخيه السيد بركات، وتاريخ مرسومه حادي عشر ربيع الأول، وقرئ خامس جمادى الأولى، وتجادوا شهراً، ثم طلب من أخيه السيد بركات أن يجعل له ما جعل له، فامتنع .ففي يوم عرفة من سنة اثنتين وخمسين وصلت الأخبار أنه سافر إلى القاهرة، ومر في طريقه على وادي الآبار، فوصل إلى بدر، وأقام بها إلى أن وصل الحاج وسافر صحبته إلى المدينة الشريفة، ثم إلى القاهرة، وكان بها الفصل ([487])فحذره العرب من ذلك، فجعل عنده ولده إدريس؛ فإنه كان معه فسلم وأما هو فدخلها، وحصل له من السلطان إقبال، وخلع عليه بالإمرة أو وعده بها، فسابقته المنية؛ فمات في عشري صفر سنة ثلاث وخمسين وثمانمائة بالقاهرة مطعوناً، وصلى عليه السلطان بمصلَّى سبيل المؤمنين، ودفن على والده بحوش الأشرف .رحمهم الله وإيانا آمين.

ورثاه هو وأخاه السيد نور الدين علياً المذكور قبله الإمامُ الأديب القاضي شهابُ الدين أحمد بن محمد بن عبد الله المكي الشهير بابن خبطة ([488])بقصيدة ضمنها مدح السيد بركات ويعزيه فيهما .فقال :

لسان الهوى بالوجد عني يعبر

ويعرب عن ألحان دهر تُغَيِّرُ

وعين الصبا تبكي على معهد الصبا

وتندب ربعاً كان بالأمس يزهرُ

فأجريت سيلاً متن عقيق مدامع

لها في بحار الخدِّ نظم منثَّرُ

وصلت ونار الحزن منيّ والأسى

مجمَّره في مهجةٍ تتفطَّرُ

لموت عليٍّ مع أبي القاسم الذي

به كل حي بالجوى يتحسرُ

لقد أسفرت شمس المنايا فغرَّبت

سنا كل وجهٍ منهما وهو مقمرُ

وغنى بموصول الفراق مشبب

ونايُ الهوى المقرون بالبين يزمرُ

نعم .وسعى جيش المنون إليهما

بسلطانه في عسكر ليس يكسرُ

فأمضاهما في الحال ماضي أمره

لوصلٍ بفضلٍ كنت أرجو أحذرُ

وقد أصبحا في جنَّة الخُلد والورى

لفقدهما في سوق نارٍ تَسَعَّرُ

لعمري ما جاري دموعي بواقفٍ

ولكنه وقفٌ عليهم مقرَّرُ

وكنت أظنُّ الصبر للصب نافع

وهيهات يجدي في قتيلٍ تصبُّرُ

بكيتها حتى وفى نيل أدمعي

ألم تره عند الزيادة أحمرُ

وفاضت عيون الأرض وجداً عليهما

وحزناً فنهرُ الدَّمع منهنَّ أبحُرُ

وأُم القرى لولا بقاء أبي القِرَى

لأَبنائها كادت لعمري تُثَبَّرُ

ومنها :

إن مات إخوانٌ كرامٌ ومعشرُ

فقد مات خير الخلق جدك أطهرُ

عزاءً وصبراً لا برحتَ مسدَّداً

شكوراً وفي كلِّ الملمَّات تصبرُ

بقاؤك للدنيا دفاع ورحمة

وللدين تأْييد ونصر مؤزَّرُ

كفى شاهداً أن لستُ أشعر في الورى

بقولٍ وإني بامتداحك أشعرُ

فدُم أبداً واطعنْ بسمركِ في العدى

فعزمك مبيضٌّ وعزك أخضرُ

مقامك مأْمونٌ أمينٌ مقامه

ومسعاك منصورٌ وأنت مظفَّرُ

وكان لأبي القاسم ولد اسمه زاهر، كان ربما ناب عنه، ويساعده، وقد أنجب زاهر هذا، رأيت مقتل أحد أبنائه في مكان آخر من ترجمة بركات بن محمد.

58–الشريف إبراهيم بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الأول، وباقي النسب هناك 855) :هـ 1451/م :(

ترجمه العز بن فهد، فقال :([489])

يلقب :سيف الدين .أمير مكة.

ولد بمكة ونشأ بها ولما كبر وترعرع، ورأى والدهُ فيه النجابة بعثه في سنة إحدى وعشرين إلى صاحب اليمن يستعطفه على والده، فعطف عليه كثيراً بعد أشهر كثيرة، وجهَّزه إلى مكة بعد أن أمر له بصلة متوسطة.

ورام أبوه السيد حسن أن يشركه مع أخيه بركات في إمرة مكة، وسأل السلطان في ذلك فلم يجبه، ومضى مع والده إلى اليمن، ثم جاء وحده لمكة ومعه الأشراف، وألزموا المؤذن بالدعاء له على زمزم، وإذا طاف، ففعل .وخطب له الخطيب مع أبيه وأخيه بركات في سنة ثلاث وعشرين، واستمر ذلك إلى أثناء سنة ست وعشرين، فقطع ذلك لتغير خاطر أبيه عليه؛ لكونه آوى الأشراف ذوي راجح بن أبي نمي([490])، فإنه كان أمره بإبعادهم فلم يفعل، ثم جاء بهم معه في رجب إلى وادي مر، وكان أبوه بالشرق، فقصده فلم ير منه وجهاً.

ولما مات أبوه بالقاهرة في سنة تسع وعشرين طلبه هو وأخاه السيد بركات السلطانُ، فتوجها إليه؛ فخلع عليهما، وولى السيد بركات، ولف هذتا على طاعة أخيه، وخلع عليهما ثانياً للسفر، وعادا إلى مكة، ثم تنافرا؛ فطلب السيد بركات عسكراً من السلطان للنصرة عليه، وعلى أخيه أبي القاسم، في سنة إحدى وثلاثين، فأرسل له عسكراً، فلما وصل العسكر لم يدخل مكة هو ولا أخوه أبو القاسم .ثم التأم مع أخيه بركات ودخل مكة، ثم توجه بعد سفر الحاج إلى ينبع؛ لردِّ أخيه أبي القاسم عن الذهاب إلى مصر، فردَّه .وزارا في أول سنة اثنتين وثلاثين النبي ، ثم عادا إلى ينبع، فدخل عليهما ذوو مقبل بن مخبار، وبنو إبراهيم وبذلوا لهما مالاً على أن يوصلوهم لبلادهم السّويق، ويمكنوهم منها؛ ففعلا .وأرسلا قاصداً إلى صاحب مصر يشكيان أخاهما السيد بركات، ويعرفانه ضرورتهما، وعادا إلى مكة، والتف عليهما الشرفاء ذوو أبي نمي، وحالفوهما، وساروا معهما قاصدين مكة، حتى بلغوا عسفان، فسمع بوصولهما السيد بركات– وكان صوب اليمن –فتوجه إلى وادي مر في جماعة من ذوي

عمر وذوي حسن([491])، وأرسل للأمير أرنبغا أن يسير معه، فخرج .وبعد خروجهما دخل السيد أبو القاسم مكة .وخرج منها في الحال إلى منى ثم إلى اليمن.

وتوجه السيد بركات والأمير إلى السيد إبراهيم، فلما سمع بهما توجّه إلى ساية، ثم إلى المضيق، فعاد الشريف بركات لمكة، ثم إلى البرود، ودُخِلَ بينهما بالصلح على أن يُعْمَل للسيد إبراهيم ما يكفيه، واجتمعا وأراد السيد بركات أن يكون الصلح بمكة على يد الأمير، فخاف السيد إبراهيم أن يقع في القبضة فما أجاب، فانفصلا على غير شيء .ثم توجّه السيد إبراهيم إلى اليمن، فالتأم هو وأخو السيد أبو القاسم .ثم عاد السيد بركات لمكة ثم لجدّة، واصطلح مع أخيه إبراهيم وقرر له رسوماً تقوم بأوده، ثم تجاود هو أبو القاسم أيضاً.

ولما توجّه السيد بركات للزيارة سنة اثنتين وأربعين وقع منه ([492])بعض تعسف، فلما وصل بلب قصده ومعه أخواه علي وأبو القاسم؛ ففرّ إلى اليمن، ثم وقع الصلح بينهما بعد سفر الحاج.

ثم توجّه إلى القاهرة في ذي القعدة سنة ثلاث وأربعين، وعاد إلى مكة في رمضان سنة أربع وأربعين صحبة الرجدبية، وكان مع أخيه عليٍّ لما ولي مكة، وتلبَّس الخلعة الثانية، ومسك معه في شوال سنة ست وأربعين بمكة، بعد أن ألبسا خلعتين، ثم حملا إلى جدة في الحدي، ثم إلى القاهرة بحراً كذلك، فلما وصلاها حبسا في البرج من القلعة، ثم نقلا منه إلى الإسكندرية في سنة تسع وأربعين، ثم نقل هو إلى دمياط، فمات بها في رابع ذي الحجة سنة خمس وخمسين وثمانمائة .ورأيت منسوباً له قول :

بي ســقام من جفون

قـد جفوني لست أبرا

بلحــاظٍ فاتــكاتٍ

مـن سيوف الهند أبرى

تركتني مضمحلاًَ

سـايـل العبرات عبرا

ولسـان الحـال يغـدو

بعد سر القول جهرا

يا قتيل الحب صبراً

إن بعد العسر يسرا

59-الشريف بركات بن الحسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي الأول، محمد ...الخ .زين الدين أبو زهير، نائب السلطنة بالحجاز، ويلقب أيضاً :بدر الدين وأبا المعالي-801) 859هـ1454-1398/م):

أول من سمي من أشراف الحجاز) بركات (وكان اسمه بركة على أبيه وعليه وعلى ذريته من بعده، فقد اتسع ملك أبيه فلقّب سلطان الحجاز، وصل ملكهم إلى مشارف الشام واليمن، والحسا شرقاً، ثم صار من ذريّته من ملك الأردن وسورية والعراق.

ترجم له عز الدين بن فهد الهاشمي([493])، فقال :

ولي إمرة مكة من غير شريك بعد والده ستاً وعشرين سنة، وفي حياته بتخليتها له نحو أربع سنين أو خمس، وفي بعضها شاركه أخوه إبراهيم، وشريكاً لأخيه أحمد نحو ثمان سنين كما سيأتي بيانه.

وذلك أنه ولد في سنة إحدى وثمانمائة–وقيل في التي بعدها –بالخشَّافة ([494])بالقرب من جدة، ونشأ بمكة في كنف والده، وقرأ القرآن، وكتب الخط الحسن، ونشأ شريف الهمة، سنيّ الأفعال، جميل الأخلاق.

ذكره الوالد في مشايخه([495])، وأجاز له في سنة خمس وثمانمائة وما بعدها البرهان بن صديق، والقاضي زين الدين أبو بكر بن الحسين العثماني المراغي، وعائشة ابنة محمد ابن عبد الهادي، وكثيرون غيرهم.

وحدث بالقاهرة، ثم بمكة بالإجازة عن بعض شيوخه المجيزين له .سمع منه الطلبة، ولم يقدر لي السماع منه لكنه أجاز لي .وألّف له ابن فهد الهاشمي المكي رحمه الله تعالى كتاباً من مروياته في بعض شرف المصطفى وفضائل الحسن والحسين ووالديهما، وفضائل قريش وبني هاشم، مع حكايات وإنشادات، سمَّاه» الدرر الفائقة الأخبار الرائقة «فرغ من تسويده في سنة إحدى وأربعين وثمانمائة.

وقال الوالد أيضاً :سعى له والده السيد حسن في أن يكون شريكه في إمرة مكة؛ فأجيب سؤاله، ووصل إليه تقليدٌ مؤرخ بشعبان سنة تسع وثمانمائة– ويقال إنه مؤرخ في النصف الثاني من شعبان سنة عشر وثمانمائة–، ثم في المحرم سنة إحدى عشرة ندب والده القائد سعد الدين جبروه إلى مصر بهدية طائلة ليسعى له في أن يكون ولده السيد أحمد شريكاً لأخيه بركات في إمرة مكة؛ فأجيب إلى ذلك .وولي السيد حسن نيابة السلطنة بالأقطار الحجازية، ووصل إليه رسولُه في النصف الثاني من ربيع الآخر، ووصل معه ثلاث خلع :واحدة له، واثنتان لولديه، وكاتب من ع يشهد بولايتهم لما ذكر.

ثم في أثناء سنة اثنتي عشرة تغير صاحب مصر على السيد حسن، فرسم بالقبض عليه وعلى ابنيه والاحتفاظ بهم، وأسرَّ ذلك إلى أمير الحاج المصري الأمير بيسق، فاستعد لحرب المذكور، وحصَّل مدافع وسلاحاً كثيراً، ثم سُعْي عند السلطان في تقرير المذكورين في ولايتهم، على أن يخدمه السيد حسن بما يليق بمقامه؛ فأجاب إلى ذلك، وبعث إليهم بالعهد والخلع مع خادمه الخاص فيروز الساقي، وكتب إلى أمير الحاج المذكور بالكف عن محاربتهم .فوصل فيروز إلى مكة، فألبس المذكورين الخلع السلطانية، وقرئ عهدهم بالولاية، واستمروا على ولايتهم إلى سادس عشر ربيع الأول سنة ثمان عشرة، فوصل العلم إلى مكة بولاية السيد رميثة بن محمد بن عجلان عوضاً عن الشريف حسن وابنيه، واستمر الدعاء للسيد حسن وابنيه في اخلطبة وعلى زمزم إلى هلال ذي الحجة من السنة؛ لاستيلاء السيد حسن على مكة إلى هذا التاريخ، ثم فارقها السيد حسن في هذا التاريخ، وقصد اليمن.

ثم في شهر رجب سنة تسع عشرة أرسل السيد حسن ولده السيد بركات، ومولاه القائد شكراً إلى مصر لاستعطاف الملك المؤيد .فأنعم على السيد حسن بإمرة مكة، وكتب له بذلك عنه توقيع ومثال مؤرخ بثامن عشر رمضان سنة تسع عشرة، وجهز له مع ذلك خلعة شريفة

مع بعض الخاصكية والنجابة السلطانية، ووصلوا إلى السيد حسن في أوائل العسر الأوسط من شوال من السنة .وأقام السيد بركات بالقاهرة إلى شوال من سنة عشرين، فقدم مكة في النصف الثاني من شوال، وطاف بالكعبة الشريفة، ودعي له على زمزم كعادة أمراء مكة، وصار أبوه ينوِّه له بالإمرة، ويقول لبني حسن وغيرهم :هو سلطانكم.

وفي شهر ربيع الأول سنة إحدى وعشرين أظهر السيد حسن أنه تخلَّى عن إمرة مكة لابنه السيد بركات بحيث أجلسه على المفرشة بالمسجد الحرام، وجلس هو على مفرشة عنده، وأمر في خدمته بالحلف له، وأمرمه بالخروج في خدمته والنزول بالركاني بوادي مر؛ ففعلوا لأن الذين بالعد من ذوي رميثة وذوي أبي نمي والقواد رحلوا من العد حتى نزلوا حداً .ولما نزل السيد بركات ومن معه بالركاني لم يسهل ذلك على الذين نزلوا بحدا، ورغبوا في أن الشريف حسناً يأمر ولده بالرحيل عنهم إلى الجديد من وادي مرّ، ويدخلون بأجمعهم في طاعته، ويمضي إلى الشرق فإنه يختار ذلك، ولا يحدثون حدثاً إلى انقضاء سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، وعشرة أيام من التي بعدها .فوافق الشريف على ذلك، وأجابهم إلى ما سألوه من الإحسان إليهم بما عودهم به في كل سنة قبل هذه الفتنة، على عادتهم في أخذ ذلك منجماً.

وفي النصف الثاني من صفر سنة أربع وعشرين لما بلغ السيد حسن موت الملك المؤيد رام أن يجعل ابنه السيد إبراهيم حاكماًَ بمكة مع ابنه السيد بركات، ويكون لكل منهما ثلث الحاصل لأمير مكة، ويصرف كل منهما الثلث في جماعته على ما يراه، ويبطل الرسوم التي كان قررها للأشراف والقواد في كل سنة، والقواد لابنه السيد بركات، وجعل لنفسه الثلث الباقي من الحاصل لأمير مكة، يصرفه في مصالحه وخاصة نفسه .فلم يستقم هذا الأمر؛ لكون القواد لم يوافقوه على إبطال ما كان قرره لهم من الرسوم في كل سنة .ومضى هو وابنه السيد إبراهيم بعد ذلك إلى صوب اليمن.([496])

ثم لما كان يوم الاثنين ثاني عشر شهر ربيع الأول وصل إلى مكة تشريفان للسيد حسن وابنه السيد بركات، وعهد يتضمن تفويض إمرة مكة إليهما، وتاريخ العهد مستهل صفر سنة أربع وعشرين وثمانمائة.

وفي النصف الثاني من هذه السنة وصل السيد إبراهيم من ناحية اليمن، ومعه الأشراف فألزموا المؤذن بالدعاء لإبراهيم على زمزم وقت طوافه بالكعبة الشريفة؛ ففعل ذلك، ولم يسهل ذلك بالسيد بركات وجماعته، وتنافر الأخوان وجماعتهما، وقصد إبراهيم دخول جدة فعورض، وقصد بعد ذلك السيد بركات دخول مكة فعورض، وصار يخطب بمكة لإبراهيم مع أبيه وأخيه.

وفي سنة ست وعشرين وثمانمائة قطع ذكر إبراهيم في الخطبة بمكة، وفي الدعاء على زمزم بعد المغرب؛ لكونه آوى إليه الأشراف ذوي راجح بن أبي نمي، وكان أبوه أمر بإبعادهم، فلم يفعل.

وفي رمضان وصل الشريف حسن إلى مكة من الشرق، وسكنت الفتنة بين الأخوين وجماعتهم، فاطمأنوا.

ووصل للسيد حسن كتابان من السلطان، في أحدهما العتب عليه، وفي الثاني تعظيم كثير : وأنك سألتنا في استنابة ابنك الشريف بركات في إمرة مكة، وما نثق إلا بك ,([497])وفي ذلك سبب للشحناء بين الأخوين، فإن أردت ذلك فاستنبه.

ولما وصل الحجاج إلى مكة في أواخر ذي القعدة وصل معهم جماعة كثيرون من المقدمين والأمراء، وكان السيد حسن بان عن مكة، فلايمهم السيد بركات أياماً، ولاقى أمير الركب

الأول، ثم أمير المحمل، وخلع عليه من عنده، ولم يمكنه من خلعة أمير مكة المجهزة لوالده . ولما أيسوا من وصوله بعثوا لرميثة في يوم عرفة فلم يصل.

وفي يوم النحر اجتمع السيد بركات ببعض الأمراء بمكة، وخدمهم عن أبيه بخمسة آلاف أفلوري ذهباً– أو ستة فيما قيل –وسافروا من مكة ولم يحدثوا بها حدثاً.

وفي يوم الخميس سادس جمادى الأولى من سنة سبع وعشرين وثمانمائة دخل مكة السيد علي بن عنان متولياً مكة من مصر، ومعه عسكر، وفي توقيعه :أنه ولي إمرة مكة عن السيد حسن بن عجلان.

ثم في موسم ثمان وعشرين جاء الخبر بولاية السيد حسن بن عجلان إن قابل الحاج ووطئ البساط .فأرسل ولده السيد بركات لأمير الحاج إلى الوادي، ودخل معه مكة، وحلف له بين الحجر الأسود والملتزم أنه لا يصيب والده سوء إن قابل الحاج، ووطئ البساط؛ فتوجه إلى أبيه وجاء به، وحلف له أمير الحاج ثانية، وخلع عليه البلاد، وتوجّه مع الحاج واستخلف ولده السيد بركات على مكة.

واتفق موت السيد حسن بالقاهرة بعد ولايته– على ثلاثين ألفاً فوزن خمسةً –فطلب السيد بركات، وأخوه إبراهيم إلى القاهرة وأكد عليهما في ذلك، وأنهما إن لم يحضرا كلاهما أو أحدهما يخرج عنهما السلطان البلاد إلى غيرهما، فتوجَّها إليها، وتخلّف بمكة أخوهما السيد أبو القاسم، وبجدة زين الدين شكر، فأكرم السلطان السيد بركات واخاه إبراهيم، وخلع عليهما، وولّى مكة السيد بركات، على أن يقوم بما تأخر على والده؛ وهو مبلغ خمسة وعشرين ألف دينار، وأُلزم أيضاً بحمل عشرة آلاف دينار في كل سنة، وأن يكون ما جرت به العادة من مكس جدة يكون له وما يجدد من مراكب الهند يكون للسلطان خاصة.

وحلَّف إبراهيم على طاعة أخيه، وخلع عليهما وسافرا في حادي عشر شوال، فوصلا مكة في أول العشر الأوسط من القعدة، وقرئ عهد الولاية للسيد بركات وطاف بالكعبة، ونودي له على زمزم، وألبس التشريف بالمسجد الحرام.

وفي سنة إحدى وثلاثين بعث السيد بركات الشريف مباركاً أبا عفيف ([498])إلى السلطان، يطلب منه عسكراً، نصره له على أخويه إبراهيم وأبي القاسم، فوصل العسكر قدر خمسين فارساً، مقدمهم الأمير أرنبغا، فلما وصلوا إلى مكة توجهت الجمال إلى القاهرة، ولما سمع الشريفان أبو القاسم وإبراهيم بوصولهم إلى مكة لم يدخلا مكة خوفاً منهم.

وفيها– بعد سفر الحاج –دخل السيد أبو القاسم بن حسن ساحل جدة، وأخذ منه قدر عشرة أحمال دقيق للأمير مقبل القديدي، والتجار علي السملوطي، ثم لحق الركب المصري بالينبع، وكان أخوه إبراهيم بن حسن ابن عجلان إذ ذاك بمكة عند أخيه السيد بركات، فبلغه أن أخاه السيد أبا القاسم قصد التوجه إلى القاهرة بحاشيته.

وفي أول التي تليها توجّه السيد أبو القاسم ابن حسن، وأخوه السيد إبراهيم من الينبع إلى المدينة الشريفة لزيارة النبي ، ثم عادا وبنو إبراهيم فبذل لهما ذوو مقبل بن مخبار، وبنو إبراهيم مالاً جزيلاً على أن يوصلاهم بلادهم السويق ([499])بالقرب من ينبع، ويمكنوهم من بلادهم؛ ففعل الشريفان إبراهيم وأبو القاسم ذلك، وساروا معهم إلى أن أدخلوهم بلادهم ومكنوهم مدة يسيرة، فخرج من عندهم الشريفان إبراهيم وأبو القاسم واصطلحا مع عقيل صاحب ينبع، وبعثا محمد بن سعيد المصري قاصداً إلى القاهرة يشكوان ضرورتهما ويشتكيان أخاهما السيد بركات .والتفَّ عليهما الشرفاء ذوو أبي نمي وحالفوهما، وساروا معهما قاصدين مكة، فبلغوا غسفان؛ فسمع بوصولهما السيد بركات– وكان بصوب اليمن –فتوجَّه إلى وادي

مرّ في جماعة من ذوي عمر وعبيد حسن، وأمر الأمير أرنبغا ومن معه من الأتراك بأن يتوجهوا إليه ليسير على أخويه .فدخل مكة من أصحاب الشريفين إبراهيم وأبي القاسم، قاسم بن جسَّار النموي([500])، وعبد الحميد بن محمد بن إبراهيم الموغاني المدني يتجسَّسان الأخبار، وكان بمكة نائبها علي بن كبيش ([501])فأخبر الأمير أرنبغا أنهما من جهة الشريفين؛ فقبض عليهما وبوشهما، ووضع في أرجلهما القيد .ثم تجهز الأتراك، والأمير أرنبغا فتوجهوا إلى السيد بركات بواسط من وادي مرّ، فلما أن وصل الأتراك إلى السيد بركات سار هو وإيّاهم إلى عسفان، وكان الشريفان بغُران علو ثنية عسفان، فعقبهم الشريف أبو القاسم إلى مكة المشرفة؛ فدخلها في ضحوة يوم الأحد ثامن عشر ربيع الأول في اثني عشر فارساً– ويقال ستة عشر –منهم :وبير بن عاطف([502])، وولد جسَّار، وعلي بن مفتاح.

هذا ما كان من خبر السيد أبي القاسم .وأما خبر السيد بركات فإنه توجّه من عسفان إلى أن طلع إلى غران، فسمع به السيد إبراهيم ومن معه؛ فلم يقفوا للعسكر وهربوا؛ فطلعوا إلى ساية ([503])وحورة([504])، ومكث بها أياماً يسيرة، ثم توجه إلى المضيق؛ فأواه أهل المضيق :عاترة ونباتة ([505])وأضافوه، وأظهروا له المساعدة.

ورجع السيد بركات إلى مكة، ثم تجهز إلى البرود هو والمير أرنبغا والأجناد، وسارت الرسل بين السيد بركات وأخيه السيد إبراهيم بالصلح .وتوجّه الشريف رميثة إلى إبراهيم لأجل الصلح إلى أن تقرر الحال أن يجعل له الشريف بركات رسوماً بمكة جيدة، فخرج له الشريف بركات وجماعة ذوي عمر لأجل الاجتماع والصلح، فزحف إليه السيد إبراهيم من المضيق مع من كان معه من الأشراف ذوي أبي نمي إلى أن اجتمع السيد بركات وإبراهيم عند الشجرة بالبرود؛ فحصل بينهما عتاب، ثم سأل الشريف بركات أخاه إبراهيم أن يتوجّه معه إلى مكة، ويكون الصلح على يدي الأمير أرنبغا مقدم العسكر، فامتنع إبراهيم من ذلك؛ خوفاً من وقوع القبض عليه، ولم يتم بينهما الصلح، وافترقا متباينين .فركب الشريف إبراهيم ومن تبعه

من الأشراف إلى وادي الطائف، ثم إلى بجيلة، ليدور إلى أخيه باليمن .ورجع عن إبراهيم جماعةٌ من القواد إلى مكة، وجماعة من الأشراف إلى خيف بني شديد .وسار السيد بركات بمن معه إلى نخلة، وأخربها وسبى أهلها وأخذهم .وكانت طائفة يقال لها نباتة ساروا مع الشريف إبراهيم، فلما أن فرغ من أمر نباتة صاحت عاترة على الشريف بركات، ووقع بينهم قتال، فظفر عليهم السيد بركات، ولزم منهم عشرين نفساً، ونهب محلتهم، وجاء بهم إلى مكة مسلسلين في الحديد .ثم بعد ذلك وصلت عاترة إلى السيد بركات، وأعطوه رهائن :ثلاثة من أولاد كبرائهم، على أن يسلموا له ألف دينار ذهباً، ويعودوا إلى بلادهم؛ فعفا عنهم وقبل ذلك.

ثم بعد ذلك التأم الشريفان إبراهيم وأبو القاسم نحو اليمن بالواديين والليث، فأقاما به بعض أشهر .وكان السيد رميثة توجّه بإبل السيد بركات إلى صوب اليمن، وصحبته بعض عسكر من القواد العمرة وذوي عجلان.

فلما كان بعد وصول الشريف بركات من نخلة، توجّه بحلته إلى جدة وأقام بها، ومعه قاسم بن جسَّار، وعبد الحميد محتفظاً بهما في بيت سعد الدوادار المشرف على الفرضة، فأقاما به أياماً، فدخل لهما بعضُ النساء بمبارد، فبردوا عنهما القيد والباشة، وخرجا مع النساء متنكرين . فدخل قاسم بن جسَّار على عويِّد بن منصور في نصف الليل في بيته؛ فشد له فرسه وأركبه عليها وتوجّه إلى الخيف :خيف بني شديد .وأما عبد الحميد فدخل على السيد ميلب بن علي بن مبارك بن رميثة فأجاره.

ثم إن الشريف بركات اصطلح مع أخيه إبراهيم، وقرر له السيد بركات رسماً على البلاد يقوم بأوده، ودخل السيد إبراهيم مكة .وأقام السيد أبو القاسم باليمن بمفرده، يأخذ ما قدر عليه من الجلاب والمراكب الواصلة إلى مكة.

فلما كان في شوال جادو السيد بركات السيد أبا القاسم بألفين ومائة، على أن يسلم الوردون إلى مكة والصادرون منها.

وفي سنة ثلاث وثلاثين تجاود الشريفان بركات وأخوه السيد أبو القاسم على أن يعطي السيد بركات أخاه أبا القاسم ألفين وخمسمائة إلى آخر سنة ست وثلاثين، فأقام أبو القاسم باليمن.

وفي سنة سبع وثلاثين وصل السيد أبو القاسم إلى حادثة([506])، وتواجه مع أخيه السيد بركات واصطلحا صلحاً شافياً.

وفي سنة تسع وثلاثين، في ليلة الأربعاء ثالث عشر رجب، بعث السيد بركات بعثاً لمحاربة بشر من بطون حرب- إحدى قبائل مذحج([507])، ومنازلهم حول عسفان، نزلوها من سنة عشر وثمانمائة، وقد أخرجهم بنو لأم من أعمال المدينة النبوية، فكثر عبثهم وأخذهم السابلة من المارة إلى مكة بالميرة- وجعل على هذا البعث أخاه السيد علي بن حسن بن عجلان، ومعه من بني حسن السيد ميلب بن رميثة وغيره، والوزير شكر، في عدة من وجوه أهل مكة، ومعهم الأمير أرنبغا أمير الخمسين الراكزين من المماليك فنزلوا عسفان يوم الخميس رابع عشر رجب، وقطعوا الثنية التي تعرف اليوم بمدرج علي([508])، حتى أتوا القوم- وقد أنذروا بهم -فتنحوا عن الأرض، وتركوا بها إبلاً مع خمسة رجال .فأول ما بدءوا به أن قتلوا الخمسة الرجال، وامرأة حاملاً كانت معهم، وما في بطنها أيضاً، واستاقوا الإبل، حتى إذا كانوا في النصف من الثنية المذكورة ركب القوم عليهم الجبال يرمونهم بالحراب والحجارة؛ فانهزم الأمير أرنبغا في عدة من المماليك، وقد قتل منهم ثمانية، ومن أهل مكة وغيرهم زيادة على أربعين رجلاً، وجرح كثير ممن بقي، وغنم القوم منهم اثنين وثلاثين فرساً، وعشرين درعاً، ومن السيوف والرماح، والتجافيف ونحو ذلك من الأسلحة، ومن الأسلاب والأمتعة ما قيل إنه بلغ

قيمته خمسة آلاف دينار وأكثر .فلما طلعت الشمس يوم الجمعة النصف من رجب دخل أرنبغا بمن مضى معه من المماليك مكة، وأقبل المنهزمون إلى مكة شيئاً بعد شيء، في عدة أيام، وحمل السيد مَيلب في يوم السبت ميتاً، ومات بعده بأيام الشريف قاسم بن جسَّار من جراحة شوهت وجهه بحيث لفته كله من أعلى جبهته إلى أسفل ذقنه.

وفي سنة أربعين– في عشري جمادى الآخرة –وصلت الرجيبة إلى مكة، وصحبتهم قاصد السيد بركات أحمد بن حُنيش ومعه كتاب من السلطان للسيد بركات، يخبره بأنه شملته الصدقات الشريفة بنصف عشور مراكب الهنود.

وفيها– في شوال أيضاً –وقع بين القواد العمرة والترك بجدة نترة ([509])بدكة يجلس عليها القواد ذوو عمر بالقرب من الفرضة .وكان ذوو عمر يجلسون بهذه الدكة، فإذا استجار بهم أحد من الناس لا يمكنون منه أحداً؛ فحصل بينهم وبين بعض الأتراك بهذه الحيثية نترة، وركب فيها الأمير، ووقع بينهم هدة كبيرة، إلا أن الله درأها عن المسلمين، وأمسك الأتراك القائد أحمد بن علي بن سنان، وسحبوه على وجهه، وجاءوا به إلى الأمير بعد إهانة عظيمة، وتفرق عنه جماعة ثم التأموا وهمُّوا بقتال الترك، فخوف الأمير عاقبة ذلك فأُطلق القائد أحمد بن علي بن سنان .وكان السيد بركات غائباً عن جدة، فقدم إلى جدة فأخرب الدكة التي يجلس عليها القواد، وساس الأمر حتى سكنت الفتنة.

وفي سنة إحدى وأربعين– في جمادى الأولى –قتل السيد علي بن حسن بن عجلان خمسةً من كبار حرب، وتوجّه خوفاً من أخيه السيد بركات إلى القواد العمرة بالعد، فحمَّلوا معه بعض خيل من أولادهم إلى أن توجّه إلى نحو بني شعبة ببلاد اليمن .فركب السيد بركات على إثره لما علم بالقضية، ودخل السيد بركات في بني شعبة، فقبل وصول الشريف بركات

إلى بني شعبة أخرجوا عنهم السيد علي بن حسن؛ فخرج شارداً إلى جهة اليمن بعد تعب كثير، وأقام بالوادیین ([510])إلى بعد سفر الحاج، ثم اصطلح هو وأخوه السيد بركات.

وفي سنة ثلاث وأربعين أرسل يسأل السلطان أن يطأ البساط؛ فأجابه السلطان بأن يصل، وأمره أن يخرج شكراً وولديه بديداً وعلياص، وكاتبهم شميلة من مكة إلى المدينة؛ فأخرجهم إلى صوب اليمن .وأرسل قوداً إلى السلطان مع قاصده القائد نعمان صحبة الأمير يشبك، وكتباً ذكر فيها أنه أخرج شكراًَ وذويه إلى ناحية اليمن، وأنه يسأل السلطان أن يعفيه؛ فإن عليه ضرائر.

وفي رمضان منها وصلت الرجيبة إلى مكة، وكان السيد في صوب اليمن، فأرسل إليه ابن أخيه شرعان، فوصل في يوم الجمعة ثامن رمضان .ثم في يوم السبت تاسع رمضان قرئت المراسيم، وهي تتضمن :أن جميع الجلاب الواصلة من البحر إلى جدة من سائر البلاد ليس لصاحب مكة منها إلا الربع، وأن الثلاثة الأرباع لصاحب مصر، وأن جميع من يموت بمكة من غير أهلها ليس لصاحب مكة من ميراثه شيء، وإنما ميراثه لصاحب مصر، وأن صاحب مكة ليس له ميراث إلا من مات من أهل مكة.

ووصل مع الحاج في هذه السنة مرسوم يتضمن :إعفاء السيد بركات من تقبيل خُفِّ جمل المحمل، فشكر هذا من فعل السلطان، وألاّ يؤخذ من التجار الواردين في البحر إلى جدة سوى العشر فقط، ويؤخذ صنف المال من كل عشرة واحد، وأن يبطل ما كان يؤخذ سوى العشر من رسوم المباشرين ونحوهم؛ فكان هذا من جميل ما فعل .وأن يمنع الباعة من المصريين الذين سكنوا مكة وجلسوا بالحوانيت في المسعى وحكرَّوا المعاش وتلقوا الجلب من ذلك، لأن هؤلاء البياعين كثر ضرُّهم وتقووا بحماية المماليك المجردين لهم؛ لما يأخذونه منهم من المال.

وفيسنة أربع وأربعين ورد كتاب السلطان إلى السيد بركات بأن يحضر إلى الأبواب الشريفة . فأراد السفر؛ فاجتمع به التجار والمجاورن وأهل مكة، فسألوه ورغَّبوه في أن يقيم ولا يسافر؛ فإنه متى سافر لا يأمنون على أنفسهم، وأنه يعرض ذلك على الآراء الشريفة، فإن اقتضت أن يحضر حضر، أو أن يقيم أقام .وكتب بذلك محضر، وكتب الأمير سودون كتاباً بذلك إلى السلطان، ويشير بأن المصلحة في إقامة السيدُ بركات بأن يحمل إلى الخزانة الشريفة من صلب ماله عشرة آلاف دينار عن نفيه، وخمسة آلاف عن ذوي شكر وشميلة .فوصل ذلك إلى السلطان في يوم السبت خامس عشري جمادى الأولى؛ فأذن السلطان للسيد بركات في الإقامة بكة، وأعفى من الحضور، وجهز له تشريف، وإذن لذوي شكر بأن يدخلوا مكة وجدة على جاري عادتهم .ووصل القاصد إلى مكة في رجب بهذا الخبر؛ فجهز الشريف بركات أبي للسلطان فلفلاً بخمسة عشر ألف دينار في البحر المالح إلى الطور.

وفي هذه السنة كتب السلطان له ولأمراء الحجاز بإعفائهم مما كانوا يقومون به من المال لأمير الركب في كل سنة، وأكَّد السلطان على الأمراء ألا يأخذوا منهم شيئاً .فما أجمل هذا وأحسنه لو عمل به.

وبلغ السيد بركات أن السلطان أمر أمراء الحج بالقبض عليه؛ فجمع وحشد، ولاقى الحاج الأول والمحمل الشامي واحترز منهم بحرز الله ولم يجتمع بأحد من الأمراء في منزله بعد وصول المحمل، غير أنه اجتمع في اليوم الأول بالأمراء الواصلين أمام الركب الأول، وكان الأمراء الحاجون في هذه السنة أربعة عشر أميراص، منهم :أمير السلاح تمراز.

وفي يوم عرفة حصل جفلة سلم الله الحاج منها، سببها أن الأمراء والأتراك توجهوا للصلاة بمسجد نمرة، فظن بنو حسن أن الأمراء الأتراك هموا بالسيد بركات، فلبس بنو حسن الزانة،

وألبسوا خيلهم واجتمعوا فسلم الله تعالى من ذلك الحاج والناس، ولم يقف السيد بركات في الموقف صحبة الأمراء على جاري عادة أمراء مكة؛ فرقاً من الأمراء، لكن وقف بأطراف الموقف في طرف الناس، ولم يخالف على الحاج بشيء.

وفي سنة خمس وأربعين آخر ربيع الأول وصل قاصد من القاهرة إلى السيد بركات أن يحضر إلى القاهرة؛ فاستعفى عن الحضور مع قاصد له يسمى السكيكي، وأرسل معه عدة أوراق، فخامر عليه القاصد ولم يوصلها، وأرسل السيد بركات عيناً لينبع سعيداً وعلياً ابني محمد بن مفلح البليني يتجسسان له أخبار مصر، وهما مقيمان عند صاحب ينبع السيد صخرة ([511])يظهران أنهما وافدان عليه؛ لأنه كان بينه وبين أبيهما صحبة .فلما تحقق السيد صخرة أنهما عينان للشريف بركات أخرجهما عن بلده، فأقاما عند ابن دويعر بقرب بدر، فبعد أيام ورد عليهم مزروع– من مولدي ذوي عجلان –وأخبرهم بولاية السيد بركات، فوصلا إليه في رابع رجب– وكان مقيماً بوادي الآبار من الموسم –وأخبراه بذلك، فتوجه إلى صوب اليمن.

ووصل مزروع إلى مكة، وأخبر بولاية السيد علي بن حسن لإمرة مكة عوضاً عن أخيه بركات.

وفي سنة ست وأربعين جمع السيد بركات جموعاً وعزم على التوجه لحرب أخيه علي، ونزل العد، وكان أخوه بجدة، فعاد إلى حدًّا، وأخذ مباشرو جدة المتحصل للسلطان، وتحصنوا به في المراكب المسمارية ([512])في البحر .فلما كان صبح يوم الأحد ثامن عشر صفر دخل السيد بركات جدة ومن معه، ولاقاه عبيد أبيه وعسكر المراكب، وكانت دخلة عظيمة، قطع كل من رأى تلك الدخلة بأنه لا يخرج من جدة .ونادى بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء، وأرسل إلى المباشرين بأن ينزلوا إلى فامتنعوا .فلما كان صبح يوم الاثنين طلب السيد بركات

التجار والنواخيذ الهنود وغيرهم، وطلب منهم عن كل مركب أربعة آلاف دينار، فأجابوه :أن المراكب مختلفة، فيها كبير وفيها صغير، ومن المراكب لا تساوي شحنته خمسمائة دينار .فاتفق رأي التجار على أن يعطوه نصف العشر نظير ما أخذ الشريف علي، وكان نحواً من أربعين ألف دينار، فلم يرض السيد بركات بذلك، وقال :إن أقل ما يأخذ مائة ألف .فبينما هم كذلك وإذا بالبلد قد ارتجت والناس على صوت واحد بأن الشريف علياً والأمراء والعساكر قد أقبلوا، فعند ذلك أطلق السيد بركات التجار والنواخيذ، ولبست عساكره وخرجوا إلى ظاهر البلد؛ ليحوزوا الماء عن العساكر، فأقاموا خارج البلد ساعة إلى قرب الظهر، فلم يكن الصياح عن حقيقة، فرجعوا إلى مساكنهم.

فلما كان صبح اليوم الثالث حادي عشر الشهر وصل السيد علي والترك والعسكر، والتقى الجمعان، فخامر م ن أصحاب السيد بركات الأشراف ذوو أبي نمي، والقواد ذوو حميضة، ووقع بين اطلرفين حرب عظيم كان النصر فيه لأصحاب علي، وفر عسكر السيد بركات إلى جهة اليمن، وثبت السيد بركات وقاتل هو وعبيده وأبدوا الجهد، ولكن الكثرة تغلب الشجاعة، وتوجه السيد بركات ومن فر من جماعته إلى العد، وأقام به إلى صبح يوم السبت رابع عشري صفر، ثم ساروا إلى صوب اليمن .وجادو السيد إبراهيم بين الشريفين على وجل وخوف بعد ذلك .وتوجهت المراكب الهندية من البندر وارتفعوا إلى ما بين العلمين وأقاموا به قريب الشهر، ثم سافروا في أوائل ربيع الأول.

ولما تولى السيد أبو القاسم بن حسن بعد أخيه علي، وغار عليه ولده زاهر وتوجه إلى الصفراء إلى الأشراف ذوي أبي نمي والقواد ذوي عجلان، وعاد هو وهم ونزلوا بأم الدمن طرف خليص، وجاء إلى مكة ليلاً وأخذ أحمد البوني، وتوجه به إلى أم الدمن، وطلبوا منه مالاً، فسمع السيد أبو القاسم فسار بجماعة من أصحابه نحو أم الدمن، فنزل بأم حبلين، وكان السيد بركات نازلاً بمكان يقال له أمج ([513])بالقرب من جدة، فعين من خيله

ثلاثين فرساً ملبسة لتسير مع السيد أبي القاسم .فلما كان في بعض الليالي ركب السيد أبو القاسم ووزيره علي بن محمد الشبيكي، ووردا على السيد بركات في محلته وسألاه في المسير معهم بنفسه؛ فاجاب سؤالهم وسار معهم في ثمانين فارساً ملبسين، فتوجهوا أجمعين إلى أن نزلوا حلة بين عسفان، فتقدم جماعة من خيل السيد بركات لكشف الطريق، فوجدوا بعض ظعون وعشرة رجال من غلمان الأشراف، فقتل عسكر السيد بركات منهم اثنين، وأرسلوهما إلى مكة، فوصلا في يوم الخميس عشري شعبان من سنة سبع وأربعين، فعلقا في درب المعلاة.

ثم إن جماعة من زبيد ذوي مالك وردوا على السيدين بركات وأخيه أبي القاسم، يريدون تثبيطهم من التقدم إليهم، وسألوهم في الوقوف، وأنهم يدفعون الأشراف وذوي عجلان إلى الشام، فقال الشريفان :لا يقع اتفاق إلا بعد وصول البوني إلى عندنا، فأُحضر البوني إلى الشريفين في يوم الجمعة سابع عشري شعبان، ثم وقع التجود بين الفريقين سبعة أشهر، وألا يدخل مكة من الأشراف وذوي عجلان ([514])غير خمسة أنفس لقضاء الحوائج، لا يُزاد على ذلك.

ثم توجه السيد بركات نحو جدة، ثم إلى الفالق ([515])من ناحية اليمن وأقام به.

وفي صفر توجه من اليمن على طريق الحسا ([516])إلى الشرق ونزل بالقرب من وادي لية، وأمر له أخوه السيد أبو القاسم بقطعة الحجاز، وهي ألف وتسعمائة أفلوري، وضيَّفه أهل الواديين بثمانمائة أفلوري، وأرسل له أخوه السيد أبو القاسم أيضاً بثلاثمائة أفلوري من مكة، وأقام بها إلى ثاني جمادى الآخرة، ورحل منها ووصل إلى نخلة، ثم إلى عرفة في عصر يوم الأربعاء ثامن جمادى الآخرة، وأقام بها يوم الخميس، ورحل في عصر الخميس متوجهاً إلى اليمن، وأقام بالأطوى، وبعث إلى مكة وأخذ منها بناة وفعلة، وعمر البئر التي بالأطوى

المعروفة قديماً بمياه مجنة .([517])ثم توجه السيد بركات في أواخر ذي الحجة إلى العد بالقرب من جدة، وأقام به بأهله وجماعته.

وفي يوم الجمعة سلخ القعدة أرسل أمير الحاج المصري شادي بك موقِّعَه إلى السيد بركات بن حسن بن عجلان بمنديل الأمان، وخاتم الأمان، وكتاب ذكر له فيه أنه يريد الاجتماع به وصحبته أمير الأول، والأمير تنم ناظر الحرم ونخبره بسر، فتوجه القاصد؛ فأجابه إلى ذلك بشرط أن يتوجه إليه الثلاثة الأمراء في عشر ركائب، ولا يكون صحبتهم من الترك غير ثلاثة أنفس في خدمة كل أمير مملوك، ولا يكون معهم شيء من الخيل والسلاح، فإن أحب الأمراء ذلك فليرسلوا إلي قاصداً بذلك حتى أقرب إلى مكة.فوصل القاصد إلى مكة في عصر يوم الاثنين، فأخبر الأمراء بذلك؛ فأجابوا إلى هذا الشرط، وأرسلوا له قاصداً بذلك في صبح الثلاثاء، فرجع القاصد إلى مكة في ليلة الخميس خامس الحجة، وأخبر بأن الشريف وصل إلى المكان المواعد فيه .فلما كان يوم الخميس توجه الأمراء الثلاثة المذكورون في عدة من الركائب، وتوجه معهم جماعة من عسكر السيد بركات وتواجهوا، وما يعلم ما اتفق بينهم.

وفي سنة ثمان وأربعين– في ليلة السبت خامس عشر ربيع الآخر– قدم السيد بركات ابن حسن بن عجلان ومعه من الخيل سبعون، منها ستون ملبسة، ومعه جماعة من ذ وي حميضة وغيرهم، نحو ثلاثين فارساً، من ثنية كداء من أعلى مكة، وانحدر بالأبطح، وسار نحو الشرق، فوجد بمكان يال له البوباة ([518])عرباً من بني سعد يقال لهم يمن، فأخذ لهم خمسين بعيراً وعدة من الغنم .فلما كان صبح يوم الثلاثاء أغار على عرب مطير، وأخذ منهم عدة من الإبل نحو سبعمائة، وأربعة أفراس قلايع([519])، وقتل ثلاثة أنفس من عرب مطير، فولت مطير الدبر عن أموالهم وبيوتهم .فأجار السيد بركات على الحلة، وقسم الغنيمة على رفقته : جعل للراكب ناقتين، ولكل اثنين من الرجالة ناقة، وأخذ لنفسه المتبقي من ذلك، وهو خمسمائة، فاشترى بها خيلاً وركاباً ودروعاً، وأقام بالشرق، وأمر بعض صبياتنه إلى الواديين

فأخذ له ضيفة ألف أفلوري .([520])فوصل العلم بذلك إلى أمير مكة السيد أبي القاسم؛ فأرسل إلى أخيه بعض الأعراب بأوراق مضمونها :إن عرب مطير في نزلتي .([521])فرد الجواب :إني تجهزت من العد، والعلم عندك، فلم يأتني منك خبر عنهم ولا عن غيرهم، والفرض بيني وبينك .فأرسل ثانياً الشريف أبو القاسم القائدين مطيرق بن منصور بن راجح([522])، وسنان بن علي بن سنان ([523])العمريين بأن يتوجها عنده برد الأموال على عرب مطير .فتوجها إلى السيد بركات .وأقاما عنده مدة من الأيام، وصمم السيد بركات، وقال :ما أعطي السيد أبا القاسم إلا الفرض، وأعطى القائدين فرسين وعدة من الركاب ,ثم قدما على الشريف أبي القاسم وأخبراه بتصميم السيد بركات على ما قاله .فأرسل السيد أبو القاسم إلى ولده السيد زار، والأشراف ذوي أبي نمي، والقواد ذوي عجلان– وكانوا نازلين بخيف بني شديد –يأمرهم بالنزول عنده بوادي الآبار.

ثم إن السيد بركات توجه نحو مكة بعد أن حصَّل من الشرق عدة من الخيل والغنم من رجال العرب، وتقدم عنه صبيانه نحو نخلة لأن ياخذوا له منهم ضيفةً وعليقة، فجمعوا له .ثم وصل السيد بركات إلى الزيمة، ثم توجه إلى المبارك، ثم إلى الجموم من وادي مر؛ فعلم به أن اخاه الشريف أبا القاسم جمع له عسكراً، فسار إلى العد– وهو منزل أهله المقيمين به– فوشى الواشن بينه وبين أخيه بأقاويل كثيرة، فحمل السيد أبو القاسم جماعةً من القواد العمرة إلى السيد بركات بان يرد عليه الإبل .فامتنع السيد بركات، فرجع القواد إلى الشريف أبي القاسم وأخبروه؛ فركب هو وهم إلى نحو السيد بركات، ولم يعلم بهم السيد بركات إلى عند منلزه، فتواجه الشريفان وتعاتبا، فقال له السيد بركات :لو جئتني هذا المجيء بغير عسكر فعلت كل ما تطلبه، ولو طلبت مالي، وأما هذا المال املأخوذ فلا أرده إلا بالفرض .فتنافرا، فركب الشريف أبو القاسم وعجل في المداف وأصبح بوادي الآبار، وأرسل رسولاً يستعجل الأشراف والقواد ذو عجلان– وكانوا بمكة وصلوا من الخيف –وتوجه من أصحاب السيد أبي القاسم إلى السيد بركات جماعة من الأشراف والقواد الحميضات .ثم إن القواد العمرة ركب

منهم جماعة نحو السيد بركات، وأخذوا منه مهلة لدرء الفتنة ستة أيام، ورجع القواد إلى السيد أبي القاسم .وجاود الشريف أبو القاسم بين الأشراف ذوي أبي نمي، والقواد ذوي عمر، وذوي عجلان، وذوي حسن سنة كاملة، ورد الشريف أبو القاسم على ذوي عجلان رسومهم.

ثم إن الشريف أبا القاسم جهز ولده وجماعة من الأشراف ذوي أبي نمي، وجماعة من القواد ذوي عجلان ([524])نحو جدة لحفظها .وأرسل السيد بركات لجماعة الأشراف والقواد ذوي حميضة وبشر وزبيد وغيرهم من الأعراب؛ فالتأم عند خلقٌ كثير.

وأقام عنده إلى ليلة الأربعاء، وتوجهوا صوب السيد بركات بن حسن– وكان نازلاً بالليث – فلما كان ضحى يوم الاثنين حادي عشري المحرم وصل قاصدٌ من عند السيد بركات إلى مكة المشرفة يطلب بعض غلمانه، وكانوا بمكة .وأخبر القاصد أنه لما كان يوم الخميس سابع عشر المحرم وصل إلى السيد بركات مبشر، وأخبره بالولاية، فلما كان يوم الجمعة وصل إلى السيد بركات القصاد– وكانوا تلاقوا في الطريق بالشيخ عبد الكبير الحضرمي، وكان متوجهاً من مكة إلى صوب السيد بركات– فلما كان يوم السبت وصل قاصد من جدة، صحبته المراسيم، لأن القصاد كانوا أودعوها بجدة خوفاً من السيد أبي القاسم.

فلما كان في ليلة الأربعاء ثالث عشري المحرم وصل القصاد الذين كانوا توجهوا إلى السيد بركات إلى مكة المشرفة، وأخبروا أنهم توجهوا إلى السيد بركات بكتاب السلطان له بالأمان بأن يطأ البساط هو أو ولده .فاعتل الشريف بركات بأنه صار كبيراً، وأنه ضعيف، وذكر لهم أنه يجهز ابنه إلى الأبواب السلطانية، وأقاموا بمكة يوم الأربعاء، ثم توجهوا فييوم الخميس إلى صوب السيد أبي القاسم.

فلما كان في يوم الأحد وصل دوادار الأمير جانبك مشد جدة يطلب الأمير والترك المقيمين بمكة، فلما كان مغرب ليلة الاثنين سابع عشري المحرم وصل الشريف محمد بن السيد بركات إلى مكة وطاف واجتمع بأمير الرتبة المقيمين بمكة، وأقام بمكة يوم الاثنين، وتوجه في ليلة الثلاثاء إلى جدة، فدخل جدة في صبح يوم الأربعاء تاسع عشري المحرم، ودخل في خدمته أمير الرتبة المقيمين بمكة، ومشد جدة، وأقام بجدة إلى يوم الأحد صفر وتوجه إلى القاهرة.

فلما كان صبح يوم الخميس سابع عشري ربيع الأول وصل مخبر من جدة وأخبر أن أحمد بن ماون الحساني قدم جدة في ليلة الأربعاء سادس عشري ربيع الأول، وتوجه نحو السيد بركات؛ فتوجه السيد أبو القاسم نحو وادي الآبار .فلما كان في ظهر يوم السبت تاسع عشري ربيع الأول وصل قاصد من وادي الآبار، وأخبر أن السيد بركات نزل بالعد في خيل مجردة، وكان بالعد– نازلاً القواد ذوو عمر.

فلما كان بعد العصر من يوم السبت المذكور وصل القائد محمد بن عبد الكريم العمري رسولاً من السيد بركات بمثال من السلطان إلى الأمير الراكز بمكة، يخبره أن الصدقات السلطانية شملت السيد بركات باستقراره في إمرة مكة عوضاً عمن بها، وأن الأمير يحتفظ بمكة حتى يصل التشريف للشريف بركات ويلبسه، وأن يكون الأمير في خدمته .والمثال مؤرخ بثامن ربيع الأول .وأخبر القائد محمد بن عبد الكريم أن القاصد وصل إلى السيد بركات بمنزله في اللَّيث، في يوم الخميس سابع عشري ربيع الأول، وأن الشريف بركات توجه من فوره إلى العد فنزله صبح يوم السبت، وأخبر أيضاً أنه وصل مثال إلى الأمير المشد بجدة يخبره بذلك، وبتوقيع للسيد بركات.

ودعي للسيد بركات بعد صلاة المغرب على زمزم في ليلة الاثنين ثاني ربيع الآخر .فلما كان صبح يوم الثلاثاء نزل السيد بركات بمن معه من القواد ذوي عمر جدة، ووصل العلم بذلك

إلى مكة ضحى يوم الأربعاء، وتوجه جانبك مشد جدة إلى القاهرة في ربيع الأول .ولما كان يوم السبت حادي عشر ربيع الآخر وصل قاصد من جدة إلى الأمير الراكز بمكة يأمره بالتوجه إلى جدة هو ومن صحبته من الأتراك؛ فتوجهوا إلى جدة في عصر يوم الأحد.

وفي سنة إحدى وخمسين– في يوم السبت عاشر ربيع الآخر –توجه السيد بركات بن حسن بن عجلان إلى بلاد الشرق، ثم عاد إلى مكة في ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الأولى، ثم توجه من مكة إلى العُدِّ في يوم الجمعة المذكور، ثم عاد في يوم الأحد سلخ جمادى الأولى إلى مكة، وأقام بها إلى عصر يوم الاثنين مستهل جمادى الآخرة فطاف للوداع، وخرج مسافراً إلى القاهرة، وأقام بالطنبداوي إلى عصر يوم الثلاثاء، وسافر نحو العد، ثم توجه إلى جدة في يوم الاثنين ثامن جمادى الآخرة، ثم سافر من جدة عصر يوم السبت ثالث عشر جمادى الآخرة، ثم سافر من جدة عصر يوم السبت ثالث عشر جمادى الآخرة، وتوجه إلى المدينة الشريفة، فزار النبي وصاحبيه رضي الله عنهما .ثم توجه إلى القاهرة فدخلها في يوم الخميس مستهل شعبان، وزل له الملك الظاهر إلى المطعم ([525])ببركة الحاج، ولاقاه ملاقاة حسنة، وبالغ في إكرامه، ومشى له خطوات، واحتضنه وأجلسه إلى جانبه بحيث لم يجلس إلا معه خارجاً عن مقعد، وخلع عليه، وقُيِّد له فرس بسرج ذهب مزركش، وركب معه حتى رسم له بالتوجه إلى المكان الذي أنزل فيه، بالقرب من سويقة الصاحب، فرتب له الرواتب السنية، وأكرمه غاية الإكرام، وارتجت القاهرة لدخوله، وخرجت العذارى للتفرج عليه، وكان يوماً مشهوداً.

ولما وصل إلى منزله جاءه للسلام عليه القضاة والأمراء والأعيان، ووصل العلم إلى مكة بذلك في يوم الخميس ثاني عشري شعبان .وحدَّث بالقاهرة، فسمع منه بعض الطلبة، وأجاز لهم .ثم توجه السيد بركات غ مكة في يوم الخميس خامس عشر شعبان.

فلما كان في صبح يوم الاثنين حادي عشر رمضان وصل قاصد من جدة، وأخبر أن القائد بن فرج الحسني وصل إلى جدة في ظهر يوم الأحد متقدماً عن السيد بركات من عقبة أيلة .
فلما كان آخر يوم الأحد سابع عشر شهر رمضان وصل قاصد وأخبر أن السيد بركات بوادي مر .فلما كان بعد العشاء دخل الشريف وطاف وسعى، ثم عاد إلى الزاهر، وبات به ولبس خلعته، ثم دخل إلى مكة في صبح يوم الاثنين، وقرئ مرسومه بالمسجد الحرام بحضرة القضاة، والأمير الباش، وطاف، ودعا له الريس على ظلة زمزم.

وحصل في ضحى يوم عرفة جفلة، سببها أن الأتراك تعدوا على غنم عرب بني سعد وأخذوها، فحصل بينهم قتال، فسمع الشريف فجاء ومعه عسكره وطردوا العرب، ونهب الغوغاء أيضاً كثيراً من إبلهم وغنمهم وأثاثهم، وسكن الأمر، ونودي بالأمان والبيع والشراء.

وفي سنة ثلاث وخمسين، في عصر يوم الجمعة ثامن عشر جمادى الآخرة توجه السيد بركات نحو الشرق لغزو عرب نهبوا حاج عُقيل في السنة التي قبل هذه، ثم وصل العلم إلى مكة المشرفة في عصر يوم السبت سادس عشري الشهر بأنه ظفر بهم، وغنم أموالهم، ثم عاد إلى مكة في رجب.

وفي سنة أربع وخمسين– في شهر رجب –توجه السيد بركات إلى المدينة الشريفة لزيارة جده المصطفى.

وفي شعبان توجه السيد بركات إلى حلي ابن يعقوب، يريد أن يولي حلي للسهيمي موسى بن محمد بن موسى، عوض أخيه دريب، ففر دريب وأخلى لهم البلاد، فولى السهيمي، وأقام السيد بركات هناك مدة، ثم توجه إلى مكة، فجاء دريب إلى المنيرة ([526])ونزل بها، وأراد دخول القوز([527])، فدخل الصوفية بنو الطواشي وغيرهم بينهم على الصلح– أو مهلة

مدة –فما رضي دريب، وحرضته والدته على القتال، فسار السهيمي إليه بعسكره وتقاتلوا قبيل العصر، في أوائل العشر الأخير من ذي القعدة، فوقعت الكسرة على دريب وجماعته؛ فَقُتِل دريب، وقبض على والدته حَبَتًّا بنت مجيرد، وأخواته الثلاثة .وخُشِّب على يد والدته ورجلها إلى أن سلمت للسيهمي مالاً كان مودعاً لها عند الشيخ محمد السني بن يحيى الطواشي، وهو عشرون ألف أفلوري في مرطبانين.([528])

وفي ثاني يوم قتله وصل قصاد من مصر بخلعة وكسوة لدريب من السلطان الظاهر جقمق؛ لأن دريباً كان كاتب مشد جدة جانبك بأن يأخذ خلعة من السلطان ويرسلها له.

فلما كان ضحى يوم الخميس ثالث عشري ربيع الآخر قرئ مثال من الملك الأشرف للسيد بركات بأن الخليفة ([529])خلع الملك المنصور عثمان، وأنه ولي السلطنة عوضه، ولقب بالأشرف، وكني بأبي النصر في يوم الاثنين ثامن شهر تاريخه، وأنه قد وصلت خلعة لك، وخلعة لولدك، وهو مؤرخ بحادي عشر ربيع الأول، فلبس السيد بركات وولده الخلعتين .فلما كان في العشر الأخير من ذي القعدة توجه السيد بركات إلى مكة لملاقاة الحاج، فتوجَّه بعض جهال القواد إلى جدة وكسروا في بعض الليالي بعض البيوت، وأخذوا شيئاً منها، وسرق جماعة من صبيان القواد القوافل الواصلة من جدة إلى مكة .فلما علم السيد بركات بذلك شق عليه، وأرسل إلى ابن أخيه الشريف أحمد بن إبراهيم وأرضاه، وأرسل إلى جماعة من الأشراف وأحسن إليهم بمال؛ فتفرق جمعهم.

فلما كان بعد سفر الحاج من مكة نزل جميع الأشراف بعيالهم على السيد بركات بوادي الآبار، ولم يتخلف عند القواد إلا الشريف أحمد بن جلبان وبعض جماعته، والشريف علي بن أحمد الحجر .ثم إن القواد عذروا الشريف أحمد بن جلبان، وقالوا له :توجه إلى أصحابك وأنت بريء من عتبنا، فتوجه إلى أصحابه .ثم إن السيد بركات أرسل إلى جماعة القواد ذوي

عمر بأن يخرجوا عن بلده إلى صوب اليمن، فقالوا :يخرجوا عن بلده إلى صوب اليمن، فقالوا :نخرج صوب الشام، فقال :إن عزمتم على الشام فأنتم مني في النقا .([530])فخرجوا إلى صوب اليمن.

وفي سنة ثماني وخمسين– في يوم الثلاثاء ثامن جمادى الأولى –توجه السيد بركات إلى الشرق، ثم قدم إلى مكة في شهر رجب.

وفي سنة تسع وخمسين– في اليوم الأول أو الثاني من شعبان –مسك القائد قنيد الحسني سبعة عشر رجلاً من أعيان عرب الضهوان([531])، ولم يتعرض لباقيهم– وكان بمكة جماعة منهم يبلغون الخمسين –وذلك بأمر السيد بركات، وحبسهم في دار الزباع بمكة بعد أن زنجرهم وكبلهم بالحديد؛ وذلك لأنهم كانوا يفسدون في الطرقات.

ولما كبرت سن السيد بركات ووهن عظمه كلم مشد جدة الأمي جانبك أن يرسل إلى السلطان ويسأله في ولاية إمرة مكة لولده محمد؛ فإنه ضعيف قليل الحركة .فأرسل جانبك يسأل في ذلك، وأقام بجدة إلى أن فرغ موسم الهندي، فأبطأ عليه القاصد، فتوجه الأمير جانبك إلى وادي مر للسلام على السيد بركات– وكان نازلاً بأرض خالد منه، ضعيفاً جداً – فوصل إليه في ضحى يوم الأحد ثامن عشر شعبان، وأقام عنده إلى ظهر يوم الاثنين تاسع عشر شهر شعبان، وتوجه إلى القاهرة، فتوفي عقيب سفر جانبك في عصر يوم الاثنين المذكور، وجاء العلم بذلك إلى مكة بعد صلاة العصر، وحمل على أعناق الرجال في سرير ودخل به مكة من أسفلها من باب الشبيكة من ثنية كُدَى– بضم الكاف والقصر –وغسل بمنزله بأجياد، وكفن وطيف به حول الكعبة الشريفة أسبوعاً قبل الضحى، وصُلِّي عليه بعدها عند باب الكعبة، ودفن بالمعلاة في يوم الثلاثاء عشري شعبان بالقرب من قبتي جديه عجلان وقتادة، في فسقية عملت له، وبُني على قبره قبة، وبُني إلى قربها سبيل، وجعل في القبة قراء

يقرأون يوم الجمعة، وأوقف على ذلك وقفاً ولده السيد محمد الذي خلفه في إمرة مكة .وكثر الأسف عليه لوفور محاسنه– رحمه الله وإيانا –ولم يتخلف عن مشهده أحد، وكان ولده السيد محمد ببلاد اليمن أرسله والده صحبة مالك، فأرسل الوزير بُدَيْد في عصر يوم الاثنين المذكور قاصدين أحدهما إلى السيد محمد، والثاني للأمير جانبك يخبرهما بوفاة السيد بركات، وأرسل أيضاً عدة من الخيل إلى جدة؛ لحفظ البلاد، وأن يسيروا مع القافلة من جدة إلى مكة.

ولما كان عصر يوم الثلاثاء المذكور وصل قاصد من الأمي جانبك مشد جدة ومعه مرسوم، وخلعة للسيد محمد بن بركات، وصلا مع القاصد الذي أرسله الأمير؛ فإن الأمير لاقاه في عسفان، ودعي للسيد محمد ابن بركات على زمزم بعد صلاة المغرب في ليلة الأربعاء .ثم إن القائد شهاب الدين بديداً الحسني توجه هو وجماعة من أصحابه إلى حدا من وادي مر، وأقام بها وأرسل إلى الأعراب، واستمر بها إلى آخر يوم الأربعاء خامس رمضان، وتوجه إلى مكة فوصلها في آخر ليلة الخميس، وأخبر أن السيد محمد بن بركات واصل إلى مكة.([532])

وكان السيد بركات– رحمه الله –شهماً، عارفاً بالأمور، فيه خير كثير، واحتمال زائد، وحياء ومروءة طائلة، مع حسن الشكالة والسياسة، والشجاعة المفرطة، والسكينة والوقار، والثروة الزائدة .وله بمكة مآثر وقرب منها :أنه استأجر بمكة رباط بنت التاج بأجياد من مكة في سنة سبع وخمسين فعمره عمارة متقنة في سنة تسع وخمسين، وأوقف منافعه على الفقراء . واشترى المدرة المعروفة بالنعيرية خارج أسفل مكة وسبلها، وجد بئرين بوادي الآبار سنة اثنتين وأربعين، وعمر البئر التي بالأطوى، المعرفة قديماً بمياه مجنة .وزار المدينة الشريفة في سنة أربع وخمسين في قافلة عظيمة كما تقدم، وله نظم، فمنه من قصيدة طويلة، هذا مختارها، وعزاها له جماعة من المحدثين :

يا من بذكرهم قد زاد وسواسي([533])

وقد شغلت بهم عن سائر الناس

وقد تقرر في قلبي محبتهم

وجئتهم طائعاً أسعى على راسي

سألتكم رشفة لي من مشاربكم

تغني عن الراح إذ ما لاح في الكاسِ

لا يملك السور مني غير منخمل

يبدي الوداد لوسواس وخناسِ

ومنها :

إن لاح يوماً له عن صاحب طمعٌ

أضحى يبيع له بخساً بأوكاسِ

ولا تراني بغير الفضل منتجحاً

ولا أقثدم أذناباً على الراسِ

فتاق درياق ما يعني الكهام به

أرعى وأحفظ ما لا يحفظ الناسي

إن قل در البكار المرزمات ترى

سوحي كمشهد أعياد وأعراس

ومنها يعاتب أخاه أبا القاسم:

قد جئت ما جا كليباً في عشيرته

لو أن فينا غلاماً مثل جساسِ

ثم الصلاة على المختار من مضر

ما لاح في كل ليل ضوء مقباسِ

وله أيضاً:

من لصب يشتكي فرط الجوى

ذاك من أسباب لوعات الهوى

ليس لي منهم شفاء أو دوا

غير صبرٍ واستعانٍ بالله

يا مليح الوجه كم هذا الصدود

ما لهذا الهجر عندك من حدود

أشتهي يا مالكاً رِقي تجود

واغتنم أجري كرامة لله

زادت البلوى فهو منها سقيم

قد حرم في الدهر لذات النعيم

ليس يعلم ما به إلا العليم

عالم الأسرار خافيه الله

كاتم الوجه وكاره أن يبيح

حق لي من فقد خلي أن أبيح

يعطي الخلان من غير الصحيح

في هواه مرتقب أمر الله

إن مثلي إن تجنَّنَ لا يُلامْ

من عوز يا سادتي حتى الكلام

كيف لا يصحون حتى بالسلام

يا لها من قتلة يالله

بالزمر أسألك ثم المرسلات

وبنونٍ والقلم والذاريات

ما ترى خيلك علينا غايرات

ناهيات القلب مع أمر الله

وقد مدحه الشعراء بمدائح كثيرة، فمن ذلك قول ابن خبطة ([534])يستغيث الشريف:

أدام الله عزك والمعالي

وبلغك المرام مدى الليالي

أيهضم جانبي يوماً وإني

بجانبك الكريم نظام حالي

فيا مَنْ قدرُهُ قدرٌ رفيعٌ

عظيم شامخ عال وغالي

أتح نظراً إليَّ وجُدْ بنصري

على الأعداء يا مولى الموالي

ودم واسلم بمكة في سرور

مدى الأزمان محمود الخصالِ

والشاعر محمد بن عبد القوي ([535])الذي قال :

ملك إذا قلنا :جواد باسل

فكأنما جئنا ببعض خصالِهِ

ومنها :

بركات يابن المصطفى ووصيه

هذي يميني بالنبي وآلِهِ

ما حُلْتُ عن حبي محياك الذي

أضحى الوجود مبرقعاً بجمالِهِ

ومنها:

لا ترع سمعك للمؤنب واطرح

ما عدَّ عنا في جميع مقالِهِ

لولا نهاك وفيض حلمك ما نجا

إلا قليل من وبيل وبالِهِ

يابن الذي نادى الأذان بفضله

في الخافقين بأوسه وبلالِهِ

في راحتيك من الغمام زمامها

يابا زهير فبُلَّنا ببلالِهِ

ملقاك عيد قبل عيد صيامنا

وجبين وجهك هلَّ قبل هلالِهِ

وعلى الهنا بالعيد يا عيد الورى

في نعمة تحيا إلى أمثالِهِ

واسلم وسد ما أشرقت بوح وما

وافى قمير في بروج كمالِهِ

وقال يمدحه أيضاً، وأنشد للوالد في شعبان سنة أربع وأربعين:

من بُكا المزن مرسلاً كالجمانِ

ضحك الزهر في رياض الجنانِ

ما ترى الروض باسماً عن إقاح

كلآلٍ زُيِّنَ في نيسانِ([536])

وبهارٍ حكى اصفرار نضار

مشقق يحمرُّ كالبرهانِ

وربيع وشَّى الثرى سندسياً

نسجته سحائب الهتانِ

وتغنت فواخت الدوح فيه

فسرت بالحياة في الأغصانِ

تُسْقِطُ الطير نغمة الصوت حساً

طرباً منه كيف بالإنسانِ

ومنها:

قال لي صاحبي وأعجب منه

ما درى أنني من العميانِ

لك عزم على التفرج معنا

في عِلي أو سمار من رهجان([537])

وقد خلّف بركات بن حسن ذرية مباركة ,من أشهرهم :محمد الذي خلفه في السلطنة ,في بنيه انحصرت إمرة مكة دون كل من تقدم من أجداده وإخوانه .أما بنو حسن الآخرين فتيامنوا واستوطنوا) الشواق ,(وكانت تعرف بالسرين ,وبالواديين ,وبالخريقين ,وثم صارت تسمى بهذا الاسم :الشاقة الشامية والشاقة اليمانية ,وكل هذه الأسماء تعني مسمى واحداً ,وهو مجرى السيل.

والأشراف ذوو حسن اليوم هم أهل تلك الديار.([538])

ومن أبناء السيد بركات هذا :إبراهيم ,له دور فيما يأتي.

-60الشريف محمد بن بركات بن حسن بن عجلان ,وتقدم نسب عجلان

(840-903)هـ1436-1497/م:(

أحد كبار الأشراف القتادات النمويين ,وأحد من زاد في ملك آبائه زيادات كبيرة ,فبلغ ملكه من وادي حرض جنوباً إلى بادية الشام شمالاً ,وضم معظم المنطقة المعروفة– آنذاك – بنجد.

ترجم له عبد العزيز بن فهد ,فقال:([539])

أمير الحرمين الشريفين والحجاز قاطبة ,وحلي بن يعقوب ,بل وجازان؛ فإنه أخذها.

جمال الدين أبو الفرج ابن أمير مكة زين الدين أبي زهير ,أمه الشريفة شقراء ابنة زهير ابن سليمان بن ريان بن منصور بن جمَّاز بن شيحة الحسيني ,ولد في شهر رمضان سنة أربعين وثمانمائة.

ولما طلب السلطان الظاهر جقمق – في سنة خمسين –أن يطأ والده البساط ,هو أو ولده , أرسل ولده هذا إلى القاهرة في صفر ,فوصلها وعاد بالولاية لوالده ,فوصل مكة في جمادى الأولى.

ولما كبر والده وتوهَّن بدنه سأل مشد ([540])جده جانبك الظاهري – في النصف الأوّل من سنة تسع وخمسين –بأن يكاتب السلطان ويسأله قي ذلك؛ فأجيب إلى سؤاله ,ووصل العلم إلى مكة بذلك في يوم الثلاثاء عشري شعبان من السنة ,ثاني يوم موت السيد بركات , ودعي له على زمزم بعد صلاة المغرب ليلة الأربعاء حادي عشر شعبان ,وكان السيد محمد بن بركات غائباً ببلاد اليمن ,فأُرسل إليه فوصل إلى مكة في أثناء ليلة الجمعة سابع رمضان.

فلما كان صبح يوم الجمعة حضر بالحطيم هو والقضاة ,والأمير ,والمجاورون ,والأعيان ,وقرئ مرسوم إلى السيد بركات يتضمن :أنه وردت إليه مكاتبات الأمير جانبك مشدّ جدة بالثناء على المخدوم ,وأنه بلغنا توهُّن المخدوم وضعفه وقلّه حركته، وقد أقمنا ولده جامل الدين محمداً في إمرة مكة وأعمالها، مؤرخ بسادس عشري رجب.

فلما كان يوم الأربعاء رابع شوال وصل قاصد من مصر ومن معه كتاب من السلطان إلى السيد محمد بن بركات بالعزاء في والده، وتوقيعان .فلما كان في صبح يوم الجمعة سادس شوال حضر السيد محمد الحطيم هو والقضاة والأمير والناس، وقرئ المرسومان :أحدهما بولاية السيد محمد بن بركات، مؤرخ بسابع عشري رمضان .والثاني إلى القضاة والأمراء والمجاورين والأعيان بولاية السيد محمد بن بركات لإمرة مكة.

وتوجّه في شوال ([541])سنة ثلاث وستين إلى الشرق.

وفي سنة أربع وستين توجّه إلى الشرق ثم عاد إلى جدَّة.

وفي شوال تنافر هو ووزيره بديد، فخرج بديد إلى جهة الشام في عسكر كثير؛ فاحتاط الشريف على بعض حواصله، وجميع إبله، وجميع عسكراً لغزوه؛ فأذعن بالصلح، وحلِّف على

الطاعة، وسلَّم جميع ما عنده من الخيل والسلاح والزَّانة، وأمر أن يكون في جهة اليمن .ثم اصطلحا في جمادى الآخرة سنة سبع وستين، ودخل مكة.

وأنشد في هذا الصلح الأديب الأوحد البليغ إبراهيم بن مبارك بن سالم بن علي المري الذُّهلي الشيباني القطيفي قصيدة، في سنة ثمان وستين وثمانمائة بالمسجد الحرام، ولم يثبت غير مطلعها وهو :

أقبل السعدُ والنُّحوسُ بُزَّلا

وأمَّنا النور والظلامُ انجلى

وفي سلخ ذي الحجة من سنة خمس وستين توجّه السيد محمد بن بركات زائراً النبيَّ ، فزار وعاد.

وفي جمادى الآخرة سنة تسع وستين توجّه السيد محمد إلى حلي صوب اليمن لتولية محمد بن دريب حلي بعد موت عمه موسى السُّهيمي، فولاَّه وعاد.

وفي ربيع الأول من سنة سبعين توجّه السيد محمد ومعه أهلُه وعسكره إلى المدينة الشريفة في قافلة عظيمة، فيها قاضي القضاة برهان الدين بن ظهيرة، وكثير من جماعته وأهله، والقاضي الحنبلي، وجماعة من التجار .فكانت عدة الشقادف خمسمائة وأربعة وعشرين، والسُّجُر اثنين وتسعين، والمحاير ستين، والزوامل اثنين وتسعين، وستين، والركاب مائة وسبعة وعشرين، والخيل ثمانية وثلاثين، والبالغ ثلاثمائة وثمانين، والحمير خمسمائة وخمسة، والنياق المخاض للشريف عشرين .ودخل المدينة في ربيع الثاني، فأقاموا بها جمعة وعادوا في ربيع الثاني.

وفي شعبان من سنة سبعين توجه السيد محمد نحو الشرق، وعاد في ذي القعدة.

وفي رجب سنة إحدى وسبعين توجّه السيد محمد إلى ينبع لقتال الأشراف ذوي هَجَّان، وذوي إبراهيم في عسكر كثير، وحاصروا المذكورين في بلادهم السُّويق، وقطعوا بعض نخيلهم .فلما رأوا من أنفسهم الغلب نزلت خاتون ابنة هجَّان بن محمد بن مسعود– أخت سبع، وزوجة خنافر بن عقيل ابن وبير ([542])متولى البلاد، في النهار وهي مظلَّل عليها– إلى السيد محمد، واستشفعت عنده فشفعها، ثم عاد إلى مكة في شوال.

وفي هذه السنة أخرج أهل حلي محمد بن دريب عنهم، فأرسل السّد محمد من استولى على البلاد.

وفي ليلة الجمعة ثاني عشري شعبان سنة اثنتين وسبعين ([543])توجّه السيد علي بن بركات من جدَّة إلى مصر براً، ولم يفطن لذلك إلا يوم السبت وصل مخبر إلى جدة، وأخبر أنه رآه بالقفَّين متوجهاً إلى صوب ينبع .فأرسل قاصداً إلى مكة بذلك، فصادف وصول خاله الشريف شامان بن زهير مكة، فتوجّه خلفه إلى ينبع ففاته وترك بها بعض جماعته، فردَّهم شامان، ووصل بهم معه مكة .ثم إن السيد محمداً لما وصل إلى مكة في رمضان لام خاله على ما فعل، وأرسل قاصداً إلى مصر، واتَّهم الشريف المحتسب بمكة، ونائب البلد القائد عبد الله بن بيخا بمواطئتهما لأخيه علي؛ فناهما إلى اليمن.

وفي ثامن ذي القعدة وصل مكة الشريف بساط قاصد السيد محمد ومعه الخبر بأن السيد علياً واصل مكة، وقد أمر السلطان أنه يصطلح هو وأخوه.

ثم جاءنا نجّابكم زهير بكتبكم، ثم السيد زين الدين بساط، وفي كتبكم :أنه خرج بغير علمكم، ولا تعلمون لذلك سبباً، وأن ذلك تعليم ممن يرمي الفتن، والمقصود إرساله .وقد أمرناه بالتجهز إليكم فلا تشوشون ([544])عليه بوجه من الوجوه؛ فإنه استجار بنا، ولا تسمعون فيه كلام المناجيس، وتذكرون كلام الله تعالى :

]القصص [35:وغير ذلك.

وفي تاسع عشري القعدة وصل السيد علي ابن بركات.

واتهم السيد محمد أيضاً محمد بن بديد، وخاله أحمد بن قفيف بمواطئته السيد علياً؛ فأمر بقتلهما بالوادي في سابع المحرم سنة ثلاث وسبعين، فقتلا بين واديي أبي عروة والجموم، وحملا إلى المعلاة، فجهزا ودفنا، ولم ينح عليهما، ورسم السيد محمد بن المختصين بابن بديد، واستولى على كثير من أمواله، ونفى جماعته، وذوي عمر، فباع ذوو عمر جميع أموالهم، وخرجوا كلهم إلى ناحية اليمن.

وفي شعبان سنة ثلاث وسبعين كانت قتلة بين السيد محمد، وزبيد ذوي مالك ([545]) بالقرب من رابغ، فكان الظفر في ذلك له– مع أنه كان في قلة من أصحابه –وقتل من زبيد نحو سبعين رجلاً منهم شيخهم رومي، وفر باقيهم هارباً، فغنم منهم أموالاً كثيرة، يقال إنهم ثلاثة آلاف بعير وغير ذلك .ولم يقتل من أصحاب الشريف إلا أربعة :شريفان من ذوي أبي نمي، وعدوي، وعبد .ثم إن الشريف صالحهم بعد ذلك في سنته، وأعطاهم مالاً، وعاقدهم على مدة، ثم نكث بعضهم قريباً.

وفي ذي القعدة عادت الحسبة للشريف، فإنه كانت خرجت في العام الماضي للباش مغلباي.

وفي المحرم سنة أربع وسبعين غزا السيد محمد جماعة من العرب([546])، وقتل منهم قرب الثلاثين وغنم منهم إبلاً وغنماً كثيراً.

وفي آخر صفر منها توجّه بعسكره من وادي مر إلى جهة الشرق لغزو بعض عرب عتيبة([547])؛ فإنهم قطعوا المجود الذي بينهم وبينه .وأرسل إلى مكة أن يرسلوا له آلة الحرب من دروع، وتجفاف، وغي ذلك؛ فأرسلوا له ذلك .فلما قرب من العرب أُنذروا قبل وصوله بيوم، فحملوا كلهم، ورحل بعضهم، ولحق الباقين قبل سيرهم صبح يوم الثلاثاء سابع عشري صفر؛ فقتل منهم نحو الخمسين رجلاً، وفرَّ الباقون، فغنم منهم نعماً وشاءً كثيراً وغير ذلك، وعاد، نصره الله، سالماً.

ووصله مرسوم وخلعة في جمادى الأولى، وكذا في جمادى الثانية، وكذا فيس رجب مع نائب جدة، ولبس الخلع وقرئت المراسيم.

وبعد الحج من هذه السنة توجه مع حاج بجيلة وحاج عرب شهران إلى أن أواصلهم إلى مأمنهم، ورجع إلى الوادي.

وفي صفر من سنة خمس وسبعين جاءه مرسوم وخلعة، فلبس الخلعة وقرئت المراسيم بالحطيم . وفي يومه سافر هو وعسكره إلى الشرق بنية أن يصالح بني سعد([548])، وغاب ببلاد الشرق نحو ثلاثة أشهر، وعاد بالسلامة.

وفيها، في يو الثلاثاء رابع عشر شعبان، أوقع بجماعةٍ من عرب زبيد تحت جبل صبح، وقتل منهم جماعة.([549])

وفيها– في شوال، أو ذي القعدة– حصل بينه وبين زبيد ذوي مالك كلام فحصل منهم عصيان؛ فأرسل الشريف خاله شامان بن زهير، وأخوين له، أحدهما يقال له على والآخر أصغر منه، مع جماعة، وقال لهم :شيعوا أنكم طالبون الشَّرق، وفي الليلة الفلانية يكون مبيتكم بالموضع الفلاني، وهو بالقرب منهم، وفي صبيحتهما صبِّحوهم .ففعلوا ذلك؛ فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، يقال إن المقتولين نحو الخمسين، وساقوا لهم جملة من المال، وبقوا في تلك الناحية مدَّة وعادوا.

وفيها– في النصف الأول من شعبان –أمر الشريف بتخريج ذوي عجلان([550])؛ فخرجوا ليلة السبت رابع عشر الشهر إلى جُدَّة.

وفيها– في يوم الجمعة ثامن عشر رمضان –توجّه السيد محمد إلى الشرق، وأغار على عرب البقوم في يوم الأربعاء ثالث عشري رمضان؛ فكسرهم وأخذ جانباً من إبلهم، وعاد إلى مكة في ضُحى يوم الأحد سابع عشر القعدة.

وفي ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وصله مرسوم يأتي ذكره .وتوجه إلى الشرق للغزو، وأعطى الشرفاء ذوي أبي نمي ألف دينار، وأمرهم بالتوجه معه، وكان قبل ذلك أرسل خاله وشقيقه علياً إلى الشرق للغزو.

وفيها– في ليلة الأحد ثالث شهر رمضان –وصل الشريف إلى مكة، وكان نازلاً بين جدة وحدا، ووصل قاصد من مصر في البحر، والباش، وبعض الفقهاء، وقرئ مرسومان له، ولبس الخلعة.

وفي ربيع الأول من سنة تسع وسبعين وصل قاصده، ومعه مرسوم وخلعتان له ولولده بركات، فقرئ المرسوم بالحطيم بحضرة القضاة والباش، ولبسا الخلعتين .وفي المرسوم :أن الحجاج وصلوا شاكرين.

وفي المحرم من سنة ثمانين توجه إلى الشرق، ثم عاد إلى مكة في ربيع الأول، ووجد قاصده جاء من مصر، فاجتمع هو والقضاة بالحطيم، وقرئ مرسومه، ولبس هو ولده بركات خلعتين.

وفيها ([551])اجتمع هو والأمراء عند أمير الحاج، واتفقوا على ألا يدخل العراقيُّ بمحمله على العادة، بل يترك ذلك بالزاهر، فأَمروه، ففعل، ثم إنه أعطى لأمير الحاج شيئاً، وكذا الباش فأذنا؛ فحجُّوا به .ولما انقضى الحج رسم الشريف على أمير العراقيين، وبعض جماعته لأجل خلعتيه في العام الماضي وهذه السنة، وعادته فيما يأخذه منه من الذهب في العام الماضي، ولأجل أنه جاء بصدقةٍ، ولم يعط الشريف الثلث على عادته في الصدقات؛ فاعتذر عن الخلعتين بأنه لم يلاقه، وإنما هي بشرط الملاقاة .وعن عادته في الذهب بأنه ردَّه، وعن الصدقة التي جاء بها إنما هي لحمل الضعفاء، وأنه اشترى ببعضها زرابيل للفقراء، ثم أرضوا الشريف وتخلَّصُوا.

وفي أوائل سنة اثنتين وثمانين جمع عسكراً كثيراً جداً، واحتفل له احتفالاً زائداً، وتوجّه إلى جازان من بلاد اليمن؛ لغيظه على صاحبها ,لعلَّه لأمورٍ ,منها :إكرامه لأخيه عليَّ لمَّا وفد عليه مغاضباً لأخيه ,ثم تعدِّيه من البحر إلى سواكن حتى توصل إلى صاحب مصر .ومنها : إيواؤه لمن ينفيه من عسكره ,ومنهم ذوو عمر المقيمون عنده الآن.

فلما وصل إلى جازان حاصرها أياماً يسيرةً .وجاءه المشايخ ودخلوا عليه بالصلح ,فقال لهم السيد محمد :بعد أن جئت إلى هنا فلا بد أن أدخل من باب وأخرج من الثاني ,ولا أحدث

شيئاً .فامتنع صاحب جازان الشريف أبو الغوابر ,([552])وقال :لا يمكن ذلك أبداً .وبرز للقتال ,وصفَّ عسكره للحرب .فعزم السيد محمد على ملاقاتهم ,فبينما هو يريد الركوب وإذا بأوائل عسكره تلاقى مع عسكر صاحب جازان ,ورمى بعضُ العسكر ناراً في بيوتهم– وغالبها عشش للداخل من البلاد والخارج –فأرسل الله ريحاً قوية حملت الشَّرر إلى داخل البلاد فأحرقها .فلما رأى ذلك عسكر صاحب جازان هربوا من الباب الثاني ,ثم هرب هو وباقي عسكره ,وخلت البلاد منهم؛ وحينئذ دخلها العسكر ,ونهبوها جميعاً ,وأخربوا الحصن ([553]) ونهبوا جميع ما فيه ,وكان فيه جملة من المتاع والثياب واتلكتب ,وأحرق باقي البلد وخرب سورها ,وجميع ما فيها من الدور خلا المساجد ,وقتلوا كثيراً من الرجال والنساء والولدان صبراً ,واستأثر العسكر كثيراً من النساء الشرفاء وغيرهم وحملوهم معهم إلى بلدانهم .وكان هذا الفعل شنيعاً ,عاد وباله على أهل مكة؛ فإنه قحطت سنين عديدة ,ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم ,وكانت الكسرة في يوم الخميس سابع ربيع الأول ,ووصل الخبرُ إلى مكة بذلك في ليلة الأحد سابع عشر ربيع الأول ,ونودي في صبيحتها بوينة مكة سبعة أيام . فزيّنت .وعاد الشريف وعسكره إلى مكة في هذا الشهر أو الذي يليه .ثم رجع الشريف أبو الغوابر إلى بلده بقطعة يؤدِّيها في كل سنة لصاحب مكة ,ولم أتحقق ذلك.

وقال القاضي أبو السعود يهنئ السيد الشريف محمداً بالنصر والسلامة في هذه الوقعة بقصيدة مطلعها:

في صادق الخُبْرِ ما يغني عن الخَبَرِ

وفي اقتناص الصياصي غايةُ الوطرِ

وفي امتلاكِ الصياصي أيُّ منقبةٍ

وفي بلوغِ الأماني لذَّة العُمُرِ

ومنها:

ملك له في رحيبٍ الفضل بادرةٌ

وفي حروب الأعادي أيُّ مصطبرِ

قرمٌ هزبرٌ إذا ما شِمْتَ طلعتَهُ

رأيت عجاج بحرٍ غير محتكرِ

إن جال في صهرات الخيل يوم وغّى

تراهم يلصقون الأرض بالطُّرَرِ

وفي ربيع الثاني وصل قاصده الشريف عنقاء ([554])بن وبير من مصر بحراً، واجتمع هو والقضاة والباش، وقرئ مرسومه، وفيه :أن الحاج وصلوا شاكرين داعين على العادة، ولبس خلعته.

وفي سنة أربع وثمانين أمر السيد الشريف– بلغه الله مناه وأهلك أعداه –بعمارة سبيل وصهريج عند بئر شميس([555])، يكون للصادر والوارد، ففعل ذلك، أثابه الله تعالى.

ولما سمع بوصول السلطان– ([556])نصره الله –للحج توجّه هو وولده السلطان هيزع، وقاضي القضاة برهان الدين وولده الجمالي أبو السعود، وأخوه الفخري أبو بكر لملاقاته، فسمعوا بتوجهه للزيارة من ينبع، فاستمروا إلى بدر، فلما أقبل السلطان لاقوه إلى الصفراء أو قربها وسلموا عليه وعادوا معه إلى بدر، فمدّ لهم سماط حلوى وسماط طعام، ثم فارقوه من بدر، وانتظروه بوادي مَرّ إلى أن وصل، فمدَّ له الشريف سماطاً هائلاً، ولاقاه صبيحة دخوله إلى الزاهر هو وأولاده، فخلع عليهم كلهم، ودخلوا معه ركباناً إلى مدرسته ومد له الشريف سماطين صباحاً ومساءً، وقدم له الشريف شيئاً كثيراً من النقد والخيل والإبل، وخرج لرؤيتهما إلى درب اليمن .فلما سافر توجّه هو وأولاده معه إلى الزاهر، فردَّهم منه.

وفي سنة خمس وثمانين توجه هو وأهله إلى الشرق، وتوجّه من هناك إلى المدينة، وزار جدَّه المصطفى ، وتوجّه من هناك إلى وادي الصفراء وقطع نخيلاً لصبح ([557])ولم يلق منهم أحداً، وسبب فعله ذلك أن السلطان أغراه بهم؛ لكونهم قتلوا له مماليك في عوده.

وفي جمادى الأولى استخدم له قوَّاسه ([558])وأُرسل بهم إليه إلى الشرق، وجاء الخبر في جمادى الآخرة أنه غزا عرب بيشة، وقتل منهم جماعة، وغنم دروعاً وإبلاً كثيرة وغير ذلك.

وفيه جاء لمكة بأهله، وهو مودع لنائب جدَّة، فوادعه وسافر بأهله إلى اليمن في ليلة رابع رجب.

وفي أواخر شهر رمضان جاء لمكة محرماً بالعمرة، فطاف وسعى بعض المسعى ماشياً، ثم ركب حتى أكمل سعيه.

وفي أول سنة ست وثمانين توجه إلى مخشوش، وهو بين بدر والينبوع؛ لكون المحل ربيعاً، وأظنه وصل إلى ينبع، وحصل بينه وبين بني إبراهيم صلح، وعاد لمكة هو وأولاده وعياله وعسكره، في يوم الاثنين رابع جمادى الأولى.

وأمرهم ألا يدخلوا بالمحمل، فتركوه بسبيل الجوخي، ثم حمل بعد ذلك بلا ثياب ووضع بالمسجد عند بيت أمير الحاج المصري إلى أن نزل الناسُ من الحج، وأخذه أصحابه.

وفي يوم الثلاثاء خامس عشري ربيع الأول سنة سبع وثمانين وصل السيد الشريف من الفَريق ([559])وهم بناحية اليمن، وأخبر بمراكب عدة واصلة من الهند وأنها دخلت من باب المندب، ثم توجه في هذا اليوم لناحية الشرق لغزو عرب مطير فأُنذروا ففروا، فعاد ووصل مكة يوم السبت تاسع عشري الشهر، وعاد لأهله.

ثم وصل مكة يوم الخميس خامس عشري ربيع الثاني بعد وصول قاصده إليه من مصر الشريف عنقاء بن وبير ومن معه المتولي للمدينة الشريفة زبيري بن قيس بن ثابت بن نعير بن منصور الحسيني المدني، والشريف يحيى ابن صاحب ينبع سبع بن هجَّان ([560])بن محارب ابن مسعود الينبعي.

وفي يوم الجمعة ثانيه حضر الشريف إلى الحطيم، ومعه القضاة والباش، وإبراهيم بن أخي الشمس بن الزمن، وقرئت المراسيم، مرسوم الشريف يتضمن :أن الحاج وصل سالماً، وهم شاكرون منكم، وأننا شكرنا امتثالكم لمرسومنا بمنع العراقيين، وما تركتموهم يدخلون إلا بشرط

أن يتوجه أميرهم إلينا، وأن جميع ولايات الحجاز تتعلق بك؛ فتولي فيها من تشاء .وأنه بلغنا أنه يؤخذ المكس على الحجاج الواصلين إلى جدة من الشام، وزاد المكس في هذه الأيام، وإنا أرسلنا إليكم في ذلك، فذكرت أنه ليس على ذهنكم شيء من ذلك، وحلفتم بالله أنكم ما تأخذون منه شيئاً، وأن الآخذ له هم العسكر، وإن طلبتم تركه تركناه، وقد طلبنا ذلك .وأنه بلغنا من بعض طلبة العلم أن بمكة يصرف المحلق بالمساعيد، وينادى على ذلك جهاراً ويقال : محلقة بمساعيد، وهذا حرام، وذكروا أحاديث في ذلك، والمقصود ترك ذلك .وأنك مقرب عندنا، وما عندنا أعز منك .وليس هو وولده السيد بركات خلعتين.

وسافر الشريف في ليلة الثلاثاء سادس عشر الشهر إلى اليمن وأرسل في سنة ثمان وثمانين إلى مكة– وهو باليمن –ولديه بركات وهُيزعاً وجمعاً كثيراً من عسكرهما ومن جماعتهما، والأعراب؛ لأجل غزو الحُنَيْش([561])؛ فإنه جاءهم الخبر أنه بالوطاة، فوصلوا مكة يوم السبت خامس صفر الخير، وتوجهوا منها إليه.

وفي يوم الخميس عاشر الشهر وصل الخبرُ إلى مكة بأن الشريف بركات ظفر بعرب الحنيش وأخذ منهم فريقين، وقتل جماعة، ومسك جماعة، ونجا فريقٌ ثالث فيهم الحنيش، ونهبوا حلة الفريقين، وغنموا إبلاً وشاءً كثيراً، وتقاسموا ذلك، ووصلوا لمكة يوم الأحد ثالث عشر الشهر، وسافروا في يومهم إلى الفُرَيْق بناحية اليمن.

ثم وصل لمكة الشريف محمد ونائب جدة الشمسي محمد بن عبد الرحمن في ليلة الثلاثاء سادس عشري الشهر.

وفي يوم الأحد رابع عشري المحرم سنة تسع وثمانين وصل لمكة السيد محمد، وغالب أولاده الذكور الكبار، وبعض جماعته؛ لزيارة قاضي القضاة برهان الدين بن ظهيرة، فإنه حصل له في

قدمه اليسرى وجعٌ منعه من البروز إلى المسجد، وكان يعتريه قديماً ثم تحرَّك عليه في هذا الشهر- عافاه الله وشفاه -ثم عاد إلى أهله في يوم الثلاثاء سادس عشري الشهر.

وفي سنة تسعين- في يوم الأحد ثاني عشري ربيع الآخر- وصل إليه مكة من مصر قاصد الشريف الشريف عنقاء بن وبير بن عطاف النمويّ، ومعه الشريف يحيى بن الشريف سبع صاحب ينبع، وفي ثاني يوم وصل الشريف دراج صاحب ينبع، وكان حصل بينه وبين يحيى قتال ونهب في هذا العام تعدَّى فيه درَّاج أولاً على المذكور، وعلى جماعة نفسه، ثم حشدوا له وحصروه ببلده،ثم جاودهم إلى مدة وأعطاهم مبلغاً له صورة على ذلك، ورأى العجز من نفسه.

وفي أول الشهر بعده وصل نائب جدة أبو الفتح المنصوري، ولاقاه الشريف، وقرئت المراسيم بالحطيم، ومضمونها :الوصية عليه، والمساعدة على ما يتحصل للخزانة الشريفة.

وفي سنة إحدى وتسعين كان الشريف متشوشاً من الخطيب محب الدين النويري؛ فإنه يرخي صوته عند الدعاء له، ويختصر جداً، ويقول :هذا هو العادة، وضم إلى ذلك التعريض بالقاضي الشافعي برهان الدين بن ظهيرة، وولده القاضي جمال الدين أبي السعود.

ثم توجّه إلى ينبع لأجل محاربة بني إبراهيم، ثم تلاه ولده السيد بركات في خامس جمادى الأولى، ومعه العسكر .ثم وصل منه قاصد- وهو بالسُّويق -وأخبر أنه تلاقى هو وبنو إبراهيم، وكان النصر فيه له، وولَّى بنو إبراهيم هرباً بعد أن ثبتوا، وقتل منهم نحو الأربعين، وقطعت يد ابن بذال اليمنى، وقتل من جماعة الشريف نزر يسير.

وفي سادس عشرة توجَّه إلى صوب أهله بقديد، بقصد التوجه إلى ينبع؛ فإنه جاء قاصدٌ منها، وأخبره بأن بني إبراهيم مصبحوهم، وكذا جاء كتاب من الشريف عنقاء .فإن الشريف سمع وهو بقديد الخلاف في ينبع، فأرسله ليكشف له الخبر ويطالعه بذلك .ثم وصل إلى مكة في سابع عشري الشهر، وأقام بها إلى تاسع عشري الشهر، وعاد إلى أهله وكان تركهم بشوطان بطريق الوادي، لأجل المرعى والصيد .ثم جاء مكة ليلاً في أواخر شوّال، واجتمع بالقاضي برهان الدين، وعاد من ليلته.

وفي يوم الجمعة ثالث عشر من ربيع الأول من سنة اثنتين وتسعين وصل قاصد السيد محمد الشريف عنقاء بن وبير إلى مكة، ومعه صاحب ينبع الشريف دراج، والشريف يحيى ابن سبع بن هجَّان، وطافوا وسعوا؛ فإنهم كانوا محرمين، وتوجهوا إلى الشريف بعد صلاة الجمعة، وهو بناحية اليمن .وسبب مجيء دراج وابن سبع أن ابن سبع، وابن بذال الإبراهيمي وقفوا للسلطان وأعطوا في ولاية ينبع ثلاثين ألف دينار للسلطان، وأن يسكن المعزول ينبعاً، وإلا يعطي المتولي دراج ذلك ويسكنون البلاد .فقال السلطان :مليح، يروحوا للشريف محمد، أنا ما أعرف إلا هو، إما أن يعطي وإلا يعطون .ووصى السلطان الشريف عنقاء على ولد سبع وعلى ابن بذَّال، فتأخر ابن بذَّال ([562])بينبع.

وفي يوم الخميس رابع جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وصل السيد وأولاده وبعض عسكره إلى قز المكاسة، وعرج هو ومضى من تحت جبل ثور إلى أن وصل إلى مزدلفة، ثم إلى قرب محسر، وجلس هناك بشعب .ودخل أولاده وبعض العسكر إلى مكة، وتوجّه القضاة– إلا الشافعي –وجماعة من جماعته لتعزية الشريف بابنه مهيزع، وعادوا في يومهم.

وفي ظهر الجمعة وصل إلى مكة– والخطيب على المنبر –فصلى، ثم دخل الطواف هو وأولاده فطافوا، ودعا له الريس فوق ظلة زمزم .فقالوا :لم ينشرح بالدعاء، وكأنه لكونه حزيناً .ثم

سافر هو وأولاده وعسكره إلى جهة الشرق للغزو؛ فإنه يقال :إن بعض بني لام خرب بعض حصون خاله شامان، ثم عادوا إلى مكة في خامس رجب، وتوجهوا إلى الصيف.([563])

وفي ثاني المحرم– أو ثالثه –من سنة أربع وتسعين توجّه القائد مفتاح البوقيري– من كبار عبيد السيد محمد –في عسكر سيده، وأخذ جماعة من مكة ممن مرجعهم إلى العرب وسكنوا بمكة، وجعلوا عليهم أسلحتهم وزوادتهم، فمن كان معه ذلك قام به، ومن عجز عن ذلك قام به جماعته الذين ينتمي إليهم من أهل فوق، أو المسفلة، أو الجرارة([564])، أو أهل سوق الليل– سلاحا ومأكلاً –وخرج يريد عرب آل جميل، وهم بجبلهم المقيمين به بالقرب من عرفة ومن الحجاز، وأرسل إلى العريان بأن يسيروا معهم، ومن لا يسير فهو من الشريف في النقا، فأبى كثير من العربان المسير، وانتمى إلى آل جميل عرب هذيل وغيرهم .فلما وصل البوقيري إلى تحت جبلهم ترك الذين أخذهم من مكة وبعض العربان ومعهم خيالان هما :عنان بن قنيد أخو مسعود، وعلي بن رشيد، وتوجّه هو والخيالة وكثير من العسكر إلى الحجاز ليأخذ أهل الحجاز ليسيروا معه عليهم من أعلى الجبل، وليقطع كرماً لهم بالحجاز، وكذا دور لهم .فلما سمع آل جميل بأنه فاعل ذلك نزلوا على الذين تحت الجبل، وقتلوا منهم مقتلة كبيرة، ونهبوهم وتبعوهم للسبي إلى أن أوصلوهم– لعله –إلى قرب عرفة، ومسكوا جماعة ومنهم الخيالان، وأطلقوهما كرامة للشريف، وتسمَّى هذه الغزوة– أو التي بعدها – مراوة .([565])وجاء الخبر إلى مكة ليلة الجمعة ثامن المحرم، فحصل الضجيج والبكاء من نواحي مكة على المقتولين، وكانوا ثلاثة وأربعين، فبلغ الشريف ذلك، فأمر بخمسين فارساً ملبسين هم وخيلهم، وثلاثمائة راجل، وجميع عرب الدار كقريش، وخزاعة، وبني أسلم– ويقال وهذيل –وأمرهم أن يرحلوا بأهلهم وهوشهم ([566])إلى تحت جبلهم، ويقيموا هناك إلى أن ينزلوا على حكمهم أو يقاتلوا، أو تفنى أزودتهم وينزلوا للقتال أو غيره، ويكون البوقيري ومن معه في طريقهم من جهة الحجاز .وفي أوائل النصف الثاني من المحرم توجّه العسكر من مكة إلى عرب آل جميل([567])، فأقاموا بعرفات، وأرسلوا لجمع من العرب يصلون إليهم.

وفي العشرين من هذا الشهر شرع في هدم المدرسة البنجالية.

وفي يوم السبت تاسع الشهر اجتمع جماعة من العرب العلويين عند الجمال البوني للصلح مع الشريف؛ فإنهم كانوا ناقوا مع عرب آل جميل، فوقع الاتفاق معهم على ألا يعينوهم ولا يشيروا عليهم، وحلفوا على ذلك عند الحجر الأسود.

وفي ليلة الجمعة ثالث عشري رمضان من سنة أربع وتسعين وصل لمكة السيد محمد وولده السيد بركات من وادي مر، وناظر جدة القاضي شمس الدين بن البزادرة من جدة، وكان وصل قبله من جدة لمكة نائب جدة الأمير شاهين الجمالي، واجتمعوا في صبحتها بالحطيم، ومعهم قاضي القضاة الشافعي وغيره، وقرئت المراسيم، ومضمون مرسومه :أن مكاتبتك وصلت إلينا، وبلَّغنا الشريف زين الدين عنقاء الرسالة اليت معه، وفهمنا ذلك، وأنك عندنا معظم، وإن بعدت المسافة، وصاحب الأقطار الحجازية؛ فلتقر عينا ولتبسط يدك .وأرسلنا لك خلعتين أطلسين، وكذلك للسيد زين الدين بركات، فلبسا خلعهما، ثم سافرا في ليلة ثامن عشري الشهر إلى وادي مر وعيدا به.

وفي ليلة سابع ذي القعدة وصل السيد بركات مكة، وسرى من ليله بعسكره إلى جهة الشرق؛ لغزو عرب بني لام– ويقال لهم الروقة –([568])فإنهم مناقون، فلم يصادفوهم، وإنما وجدوا عرباً من ناصرة، أو عرب سبيع، فغنموا منهم إبلاً كثيرة– ويقال إنها يقال –وشياهاً كثية جداً، وعادوا في وسط الشهر.

فاتفق في ليلة الأربعاء سابع عشري الشهر خصام بين فرقتي الحبوش، وهما سحرت وجزل؛ وسببها أن عادة جزل يلعبون على جباجبهم ويرقصون بالشبيكة، فمنعهم نائب جدة تنم

الخازندار؛ لقربهم من بيته، ثم صاروا يلعبون بجبل جزل الذي متعبد الجنيد بلحفه، فشوشا عليه أيضاً؛ لقربهم منه، فمنعهم منه .فلما جاء الشريف بركات شكوا عليه ذلك، فأمرهم أن يلعبوا في ليلة تاريخه عند بيته بأجياد– وأجياد محل لعب سحرت –فلما أخذوا في الدخول إلى أجياد خرجوا عليهم بالسلاح، وجرحوا بعضهم، فسمع السيد بركات بذلك، فأرسل أخاه هيزعاً ليكفَّ بعضهم عن بعض، فما قدر على ذلك؛ لالتحامهم في بعضهم بعضاً وكثرتهم، فصاح إلى أخيه :إني عجزت عنهم، وإن كانت البلاد لهم فاتركهم يقتتلون في بعضهم بعضاً، وإن كانت البلاد لك فانزل إليهم واشنقهم .فنزل وركب فرسه وخرج إليهم، وصاح عليهم فتفرقوا، فأمر بمسك نقيبين لسحرت من كبارهم واستدعى بجبلين، وتوجه هو وأخوه وهما معه إلى درب المعلاة فشنقهما.

وفي يوم السبت تاسع المحرم من سنة سبع وتسعين وصل السيد الشريف وأولاده وكثير من جماعته لأجل عقد القاضي صلاح الدين.

وفي ذي القعدة أيضاً سمعنا أن عرب آل جميل نقوا أيضاً ([569])على الشريف؛ بسبب أن عبد الشريف الموكل بالحجاز– وهو مفتاح البوقيري –سأله العرب في أن يخلي بينهم وبين آل جميل، فقال :بينكم بين .فطلعوا إليهم ونهبوا منهم؛ فحينئذ نقوا، ونزلوا إلى جهة عرفة، فنهبوا لخزاعة إبلاً جملتها خمسة وثلاثون، ونحو ثلاثمائة شاة، وقتلوا رجلاً، ونهبوا حلتهم .ثم إن شخصاً من خزاعة له خمس وعشريون ناقة استفداها منهم بمائة وخمسين ديناراً، وحصل للعرب خوف ورعب منهم.

وفي المحرم سنة ثمان وتسعين جاء قمامة– أحد بني جميل –إلى قاضي القضاة الشافعي الجمالي أبي السعود بن ظهيرة، ودخل عليه في أن يدخل له على الشريف، ويدخل هو وجماعته في

الطاعة على حسب ما يطلبه الشريف .فكتب إلى الشريف؛ فجاء الخبر بأن ينادى له وجماعته بالأمان، وأن يسكنوا الوطاة.([570])

وفي يوم السبت غرة جمادى الأولى سنة تسع وتسعين– واليوم الذي قبله –نادى منادي الشريف :بأن جميع العرب المقيمين بمكة يتوجهون لبلدانهم، ومن أقام بمكة يشنق؛ وسبب ذلك أنه لما حصل الشدة في الغلاء سأل العرب الشريفَ في الفسح في بعضهم بعضاً، ففسح لهم .ثم توسعوا إلى أن صار غالبهم بمكة، وصاروا إذا رأوا أحداً اشترى شيئاً أو حصله، وخرج به إلى بلاده، أو لأصحابه تبعه الآخرون ونهبوه، سواء كان بقرب مكة أو بعيداً منها، وأعطوا ابن قنيد الثلث .فحصل التشويش على الناس؛ فسمع الشريف بذلك؛ فأرسل يأمرهم أن يخرجوهم لبلدانهم، فأُخرجوا، واستراح الناس من فقرائهم؛ لإلحاحهم.

وفي رابع عشر شوال أمر الشريف بشنق أربعة من الكباكبة ([571])بدرب المعلاة، واحد منهم رجل، والباقي شباب.

وفي يوم الثلاثاء ثاني عشري ذي الحجة سافر السيد الشريف محمد إلى وادي مر؛ بقصد الزيارة النبوية، فإنه يقال :إنه نذر ذلك لما وجع في هذه السنة، ومعه بعض أولاده، وتسامع الناس بزيارته، فلحقه– بالوادي وبعده –ناس كثير من جدة والوادي ومكة.

وفي يوم الجمعة خامس عشري ربيع الثاني سنة تسعمائة وصل السيد الشريف مكة هو وأولاده وغيرهم؛ لأجل عقد الجمالي أبي السرور.

وفي إقامته بمكة جاء جماعة، من الكباكبة، ودخلوا على القاضي الشافعي، فكلم لهم السيد بركات، فرضي عليهم، وشرطوا عليهم أشياء، وحلفوهم على ذلك عند الحجر الأسود، ونودي لهم بالصلح.

وفي ليلة الثلاثاء حادي عشر رجب وصل الشريف لمكةة، ومعه أولاده وعسكره؛ بقصد التوجه إلى الشرق لأجل غزو عرب من بني لام، بلادهم ممحلة، وقصدوا أن يربعوا ببلاد الشريف، اسم شيخهم عجلان، وبينه وبين جماعة له آخرين فتنة، فألجؤوه أيضاً إلى هنا، وهو في نحو أربعمائة فارس وأكثر، وأرسل ولده وأخاه إلى الشريف ليستأذناه في ذلك، فبلغ الشريف أنهما واصلان إليه، فأرسل ملحم بن مفتاح المغربي في جماعة إليهما ليقتلوهما قبل أن يصلا إليه، فلقوهما قبل أن يدخلا مكة، فقتلوهما في يوم الاثنين عاشر الشهر، وخرج الشريف وجماعته من مكة في ليلته، فتوافر هو ومن واعده من بني حسين- ([572])غير عدوان الذين دخلوا في وجوههم -فصبحوهم صبيحة الأربعاء بالقرب من السيل([573])، فوجدوهم قد أنذروا في تلك الليلة، أو في ذلك الوقت، فانهزم الرجال على خيلهم، وتركوا عيالهم وغالب مالهم؛ فاشتغل العسكر بالغنيمة، ففاتهم الرجال، وتأسف الشريف لفواته شيخهم، وكان حريصاً عليه؛ فإنه كان من مدة أحد الذين حصروا الشريف وعسكره بالشرق، وأرادوا أخذهم .
فأرضى الشريف مشايخهم- وكانوا ثلاثة هذا أحدهم -بمال جزيل جداً، وأراد الشريف قتله ففاته؛ ولكنه غنم شيئاً كثيراً من الإبل والغنم، والبغال والحمير، والسمن، وبعض خيل، ولم يقتلوا النساء ولا الصبيان.

وفي يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى إحدى وتسعمائة وصل الشريف إلى مكة ومعه أولاده، وقاصد وصله من مصر أيضاً، ومعه جواب خبر المدينة بأن تحرص على تحصيل حسن بن زبيري صاحب المدينة، الذي أخذ ما في القبة التي بالمسجد النبوي .واجتمع هو وأولاده

والقاضي الشافعي والباش والمحتسب والشريف إسحاق صهر قاوان، وقرئت المراسيم :منها مرسومان للشريف وولده بركات، ولبسا خلعتين، وليس في المراسيم غير الثناء وذكر الخلع.

وفي يوم الاثنين سادس عشري رجب تحقق خبرٌ كان أشيع من أيام، وهو أن عجل ابن عذقاء الامي تعدى– أو زحف –إلى حد صاحب مكة بالشرق، فارتفع عرب شامان في الحرة، وانخذل جماعة من عرب عجل، فظفر بهم الشامانيون– فيما يقال –وقتلوا ابناً له وغيره، وأخذوا له ثمانية وعشرين فرساً، وهو جالس هناك في كثرة.

وفي يوم الثلاثاء خامس المحرم سنة اثنتين وتسعمائة وصلت من الشريف إلى القاضي الشافعي ورقة، وفيها أن القصاد وصلوا إليه، ومعهم مرسوم له وفيه :الإخبار بوفاة السلطان قايتباي، وذلك في يوم الأحد ثامن عشري ذي القعدة، سنة إحدة وتسعمائة، وبولاية ابنه محمد، ولقب بالناصر، وكني بأبي السعادات، وأنه لا يمكن أمير كبير كان أزبك من المجيء لمصر من مكة إلا بمرسوم.

وفي صفر توجه الشريف وأولاده وعياله وعسكره في قافلة كبيرة لزيارة جده المصطفى.

وفي يوم الثلاثاء تاسع ربيع الأول نودي بمكة لذوي حسن، وذوي عجلان ([574])وجميع العساكر بالبروز إلى جدة، والتوجه منها إلى ينبع؛ لأجل بني إبراهيم؛ فإنهم استولوا على بلدهم السويق بمرسوم سلطاني، وسألوا الشريف في الإقامة على تعجيل خمسة آلاف دينار، وإعطاء ألفين في كل سنة، فامتنع إلا إن كانوا يعطون الفرس والدروع، فامتنعوا وقالوا :بيننا وبين العرب عداوة.

وفي ثاني عشري الشهر توجه الشريف بركات من جدة إلى ينبع ومعه العساكر، ولم يصرف عليهم إلا ما ينفقونه إلى ينبع .ثم وقع الاتفاق على أن يعطوه ستة آلاف دينار في هذه السنة، وأخذ كثيراً من خيلهم ودروعهم بألفين، وترك لهم ألفاص، وعلى أن يعطوه في كل سنة ثلاثة آلاف دينار .وحمد الناس له ذلك– جزاه الله خيراً، وأدام نصره على أعدائه– وعاد غالب العسكر قبله، وزار هو وولده جده المصطفى بعد الصلح، وكان كلما زار تصدق على أهل المدينة بصدقة لها صورة، تعم أهل السنة– تقبل الله منه آمين –وعاد لمكة فوصلها في ليلة الخميس ثاني عشري جمادى الأولى.

ثم حصل للسيد محمد توعكٌ من حبة طلعت في رقبته تحت أذنه، وكانت قد وقعت لكثير من أسلافه؛ فإن القاضي تقي الدين الفاسي ذكر في ترجمة السيد أحمد بن عجلان المتقدم ذكره من كتابه العقد الثمين :أنه تعلل قبل موته أياماً كثيرة من حبة طلعت عند أذنه، بلغني أن جده رميثة، وجد أبيه أبا نمي ماتا بها .انتهى.

وصار السيد محمد، صاحب الترجمة، يتألم بها إلى أن زاد به الألم، فانتقل من وادي مر إلى وادي الآبار، وتوجه القاضي الشافعي لزيارته بالوادي، ثم بوادي الآبار .واستمر الشريف يتألم لذلك، وزاد به الحال إلى أن قضى نحبه– رحمة الله عليه –في يوم الثلاثاء حادي عشري المحرم الحرام، سنة ثلاث وتسعمائة بوادي الآبار .ووصل الخبر إلى مكة بعد العصر؛ فضجت البلاد لذلك، وحمل في سرير على أعناق الرجال إلى مكة، ووصل به إليها في أثناء ليلة الأربعاء، ومعه أولاده وعسكره، ولحقهم النساء في الفجر، إلا اليسير جداً فوصلوا في ليلة الخميس، وجهز في بيته، وحمل إلى الكعبة الاشريفة، وطيف به أسبوعاً كعادة أسلافه، ومعه بعض أولاده وعسكره .ثم بعد الفراغ وضع عند باب البيت إلى أن صُلِّي الصبح يوم الأربعاء فصلى عليه الناس، وإمامهم قاضي القضاة الشافعي الجمالي أبو السعود بن ظهيرة، بعد أن نادى الريس فوق ظلة زمزم بالصلاة عليه، ووصفه بألقاب حسنة مسجعة، فزاد الناس في

البكاء والنحيب، وشيعه جميع الناس حتى المخدرات من البيوت،والأمير الكبير أزبك، بل خرج معه من البيت .ودفن أمام قبة أبيه– قالوا –بوصية منه، ثم بني عليه بعد ذلك قبة عظيمة شاهقة ليس في المعلاة مثلها، وحضر جميع النساء الذين يبكون إلى المعلاة، وجز كثير منهن شعورهن .ولما فرغ من دفنه رحمه الله رحمة واسعة– نزل أولاده يمشون ومعهم القاضي الشافعي وجماعته، والقاضي المالكي، وكثير من الفقهاء، وجميع العسكر، ونزل النساء وهم يبكون ويدقون، وجلسوا بالمسعى إلى آخر النهار، وطلعوا في العصر وفي صباح كل يوم، ويعودون ويجلسون في المسعى والطرقات، وتعطل البيع والشراء في تلك الأيام إلى يوم الاثنين سابع عشري الشهر، وقرئت الربعات على العادة في المسجد والمعلاة صباحاً ومساء، ويحضرها السادة أولاده، والقضاة والفقهاء وغيرهم، وطلعوا في عصر أول يوم مشاة، ثم بعد ذلك اليوم طلع الأعيان ركباناً، واستمروا إلى يوم الختم، يوم الأحد سادس عشري الشهر .وأنشد الشعراء كثيراً من المراثي، وسيأتي ذكر شيء منها، وجاء الناس من جدة وغيرها يوم مدفنه وبعده للعزاء، وتأسف عليه جميع الناس وبكوه، فرحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح الجنان، بجاه جده محمد سيد ولد عدنان.

ورام الأمير الكبير أزبك– بعد الدفن وهو بالمعلاة– كتابة محضر حينئذ للسيد بركات ولده، واستدعى إليه القاضيين الحنفي والمالكي، وكان الشافعي عنده، ثم ترك؛ فكأنه أشير عليه بعدمه.

ثم أُرسل قاصد بسبب ذلك فجاء لمكة القاضي كاتب السر بدر الدين بن مزهر؛ لتولية ولده السيد بركات في ربيع الآخر، فقرئ مرسومه بالحطيم رابع الشهر ولبس خلعته.

وحصل لصاحب الترجمة ما لم يحصل لأحد من أمراء مكة من الرياسة والحشمة، والهيبة والعظمة والعز والوقار، وكثرة العبيد والعقار؛ بحيث عَمَّر بمكة والأدوية عمائر لم يسبق إليها،

ولا قدر عاقل ولا قوي عليها، وصار كل مكان تُباع ثمرته بقيمة قرية فأكثر في الحال، حتى ضرب بذلك الأمثال، وكانت أيامه كثيرة الأمن والرخاء، وبلده مقصودة من كل الآفاق؛ لحسن الرجاء، ولا زال أمره في نمو ووجاهة، وسعده في ترق ونباهة، وعسكره مشهورين بالشجاعة، منصورين على الأعداء في كل ساعة، مع أنهم لا يخرجون عن أمره؛ ومن وهم منه فساداً زاد في إبعاده وحصره؛ فاستقام بذلك الحال، وخيف منه الذل والوبال، وفاق كثيراً من أسلافه بالصلاة، وبما يجمع له من الجهات، وأذعن له الموافق والمخالف، من كل قاصد لبلده وعاكف.

أبناء محمد :ورزق عدة من الأولاد، والخيول المسومة الجياد .وخلّف من الأولاد جملةً من الذكور والإناث، يزيدون على الثلاثين، غير من مات في حياته .والذكور ستة عشر، وهم : السيد بركات، أمه شريفة اسمها عمرة بنت محمد بن علي بن أحمد بن ثقبة بن رميثة بن أبي نمي .وهزاع أمه مناية الحبشية .وراجح، وشميلة– مات –وقايتباي– مات –ورميثة، أمهم حصل المراد الحبشية .وجازان، أمه زينة بنت رومي الزبيدي .وحميضة، أمه سعاد الحبشية .وأبو الغيث، وقاسم، وناهض– مات –أمهم دام السرور الحبشية، وراجح، وشميلة– مات –وشولق، أمهم شقراء بنت كاسب الزبيدي اليمني .وأبو دعيج– مات –أمه قماري الحبشية .وسيسد، أمه هاجر الحبشية .وزيد– مات –أمه دام العز الحبشية .وإناث..

قلت :وهيزع من ذكره في المتن.

وقد أثنى عليه جماعة من العلماء الفقهاء، والأدباء الشعراء النبهاء، وممن ذكره شيخنا الحافظ شمس الدين السخاوي، في تاريخه» الضوء اللامع لأهل القرن التاسع«، فقال :السيد جمال الدين ملك الحجاز وابن ملوكه، وسلك النظام المرتبط بسلوكه، الطاهر الأصل والأحساب، والظاهر العدل والانتساب، ربيب مهد السعد والسعتادة، ونسيب والأصل والحشمة والسيادة .

السلالة النبوية رداؤه، والأصالة العلوية انتهاؤه وابتداؤه .اجتمع فيه من المحاسن الكثير، وارتفع ذكره بين الصغير والكبير، واندفع به المكروه عن أهل الحرمين ومن إليهما يسير .أمن الله بفضله وعدله في أيامه الطرقات، ومنَّ على المسلمين بحفظهم وما حووه فكان من أعظم الصدقات .حبه للتنزيل غير منكور، وحبه– فضلاً عنه –بالصفاء مأثور مذكور .شيمه طاهرة، وعلمه غير مطوى عن الفئة الفاجرة .لا يصرفه عن إتلاف المفسد صارف، ولا يحرفه عن ائتلاف المرشد تليد ولا طارف .يجول على الأعداء ويصول، ويقول لهم في مخاطباته ما تدهش به العقول .ويتطول ويتفضل حتى انطاعت له عصيات الرؤوس، وأبيات النفوس، وارتاعت من فروسيته وشدة بأسه الحماة الكماة؛ فتخلخلت منهم الضروس .أسعدته درج الصعود، فأصعدته لمراقي السعود، فكان له الظهور بالبرهان أبي السعود، بحيث دانت له مماالكرز وما حولها، وزانت بحرمته تلك الجهات صعبها وسهلها، فلا يجارى ولا يبارى، ولا يجسر أحد لمقاومته في المدن والصحارى .اقتنص المخالفين بخيله ورَجْلِه، وخصص من يألفه لرجولته منهم بتوالي إحسانه عليه وفضله .فالرعايا ما بين راغب فيه ومنه راهب، والمزايا الحسنة مقترنة معه وله تصاحب .فهو شديد بغير عنف، سديد في اللين بغير ضعف .إليه يسعى الأمراء والكبراء، وعليه معول الأغنياء والفقراء .كثير المداراة والاحتمال، غير خبير بالمماراة المجانبة لكرام الرجال، بل هو صابر غير مكابر، متدبر للعواقب، المصاحبة لمن يخاف الله وله يراقب .ولهذه الأوصاف والمآثر تشرفت بذكره المنابر، وخطب بالتنويه باسمه على المنبرين، ونصب رسمه بذينك العلمين؛ ليفوز في الدارين إن شاء الله بالخيرين .وكيف لا وقد اجتمع فيه– بدون لبس، وتخمين وحدس –شرف النسب، وعراقة الأصل في المملكة وعلي الرتب .وصباحة الوجه ونوره، وفصاحة اللسان وتأمله وتصويره .وفضيلة البلد، التي هي الوسيلة لمن أَمَّ وقصد .فهو شريف نسباً وأوصافاً، ولطيف الأدوات المشتمل عليها تودداً وإنصافاً .فالوصوف الرضي لا يستغرف من البيت الطيب، والعرف الذكي غير مستبعد من البلد الصيب .كم أنشأ من دور وقصور وقرب، ترتفع بها الرتب؛ كرباط بمكة معدن الرحمة والبركة، وسبل عديدة .إلى آخر النعوت العجيبة.

يا أهل بيت رسول الله حبكم

فرض من الله في التنزيل أنزلَهُ

كفاكم من عظيم القدر أنكم

من لم يصل عليكم لا صلاة لَهُ([575])

قال ابن خبطة :([576])

صُبِّحْتَ بالخير والإقبال والظفرِ

على عداك ونيل القصد والوطَرِ

يا سيداً مذ وفى وافى الهناء إلى

جمع الخلائق من بدوٍ ومن حضرِ

ومن رقى في ذرى العلياء منزلةً

ما نالها أحدٌ من سائر البشرِ

قدمت كالغيث روَّى الأرض فابتهجت

وجئت كالليث في خُبْرٍ وفي خَبَرِ

وأصبح الكون مسروراً ومغتبطاً

يميس بالتيه في أثوابه الخُضَرِ

يا بن الكرام ويا ذخر الأنام ويا

معطي الأنام ومولي الجود بالبِدَرِ

يا من إذا أنشأتْ جوداً أناملُهُ

على البرية أزرت وابلً المطَرِ

لا غرو من بركات الله أن رُفعت

لك المراتب فوق الأنجم الزُّهُرُ

وهي طويلة، هناك.

وقال أبو الخير محمد بن أبي السعود بن هيرة القرشي يمدح مكان الشريف محمد المسمى بأم شُميلة في أرض حسان([577])، سنة882) هـ :(

بأم شُمَيلة حَسُنَ المقيلُ

وطاب لنا بها الظل الظليلُ

وهبَّ نسيمها الأسنى صحيحاً

وعهدي بالنسيم هو العليلُ

لقد كملت محاسنها فأثنى

لسان الحال في المعنى يقولُ

أهل لرياقتي وصفاء مائي

ونضرة خضرتي يُبغى بديلُ

وهل لمعمِّري بين البرايا

شبيه أو بديل أو مثيلُ

مليك قد سما قنن المعالي

وذل لعزه الصعب المهولُ

هو البطل الهزبر أبو قناعٍ

محمد الأبي المستطيلُ

وقال جراح بن شاجر الحسني السليماني، من أشراف المخلاف، يمدحه :

قلب بسكان ذِرْوِدٍ ([578])عميدْ

ولوعة ما برحت في مزيدْ

ومدمع لولاه يجري دماً

لأنبت النخل وحب الحصيدْ

وحرٌّ وجدٍ كامن في الحشا

يبرد عنه حر نار الوعيدْ

على لليلاتٍ تقضت لنا

كنا بها في خفض عيش رغيدْ

نسحب في النعمة أذيالنا

والدهر مطواع على ما نريدْ

وحولنا غيد كمثل الدمى

يبسمن عن دُرِّ وطلع نضيدْ

من كل خود غضة بضة

بهجتها تفضح حوراً وغيدْ

أعارت الشمس سناها كما

أعارت الظبية عيناً وجيدْ

كم من شقي في هواها سعيد

كما به كل قتيل شهيدْ

وقال الفيومي من قصيدة يمدح بها:

محمد أولى الناس بالحمد والثنا

وأشجع ليث في الوغى وهمامُ

ثناء جميل في البرية شائع

وفضل على مر الزمان مقامُ

له راحة فيها من الفقر راحةٌ

إذا مس جدب الفقر فهي غمامُ

ومهَّد أرضَ الله بالعدل والثنا

فصيره للمتقين إمامُ([579])

لئن طاب للعافي ثمار خصاله

فلا عجب إن الأصول كرامُ

لقد ختم الله الكرام بذاته

ولا عجب فالمسك خير ختامُ

وقال نور الدين الحجازي، يرثيه:

رزء أنال المسلمين خبالا

ووهى به الإسلام حتى مالا

ومصيبة رُميتْ بها أمُّ القرى

أهدت إلى أرض الحجاز نكالا

وعزاً تدكدكت القلوب لوقعه

والعقل زلزل بالجوى زلزالا

ومنها:

بوفاة سلطان الحجاز محمدٍ

نجل الأكارم عزة وجلالا

كانوا الأسود مهابةً وحميةً

والسحب جوداً والبدور كمالا

دهراً نودع كل وقت منهم

قمراً فأودع في الصعيد هلالا

ومنها :

لم تقنع الأيام لا عادت بأن

نسفت بحوراً منهم وجبالا

ورثاه أبو الغوائر صاحب جازان، الذي كان بالأمس محارباً، فقال:

ولما أن نعى الناعي إلينا

محمد ثم قال ثوى فلانُ

أصم مسامعاً منا وأبكى

عيوناً دمعهن الأرجوانُ

ولو لم تجر أدمعنا دماءً

نما من ريها أثل وبانُ

وزلزلت البلاد غداة وافى

وخرت من شواهقها الرعانُ([580])

وأما الأرض من جزع فكادت

تمور بنا ولم يثبت مكانُ

وتنفطر السما وتعود مما

ألم كأنها كمداً دخانُ

لفقد محمدٍ علم الهدى من

أصيب برزئه إنس وجانُ

ولما يخل من حزن عليه

أبي بركات نفس أو جنانُ

فتىً هدم الزمان به المعالي

ألايا بئس ما صنع الزمانُ

وهد دعامة الإسلام خطب

هبطن لعظم موقعه القنانُ

لقد أضحت قناة بني معد

بها أود وليس بها سنانُ

وأغمد سيفها الصمصام عنها

وأبدل خيفةً ذاك الأمانُ

فهل نلقى العدو بلا سلاحٍ

إذا حان الضِّراب أو الطعانُ

ومن كمحمدٍ قمر المعالي

إذا ما اشتدت الحرب العوانُ

وكم أخلت خزائنه العطايا

لآمله وأُترعت الجفانُ

ومنها :

لئن يتمت وفود أبي قناع

وعُطِّل بعد مصرعه الخوانُ

وفارق كرهاً ملكاً جسيماً

به ملكَ الأنامَ معاً فدانوا

فإن مصيره جنات عدن

تغازله بها الحور الحسانُ

ألا يا آل حيدرة وطه

وأنتم أيها السَّبْعُ البدانُ

تأسوا بالنبي محمد مَنْ

عليه كرامة نزل القرانُ

وشدوا أزركم بأبي زهير

فنعم المستغاثُ المستعانُ

فلا والله ما حملت شبيهاً

له أبداً ولا وضعت حَصَانُ

ولا وخدت على البيدا قلوصٌ

وجال بمن يحاكيه حِصَانُ

ويا مولى الملوك الشم طرّا

ومن إذا قام طاب به الزمانُ

تجلَّدْ واعتصمْ بالصبر واعلمْ

بأن مصير والدك الجنانُ

وقومك قمْ بهم واخفضْ جناحاً

لهم وأعِنْ جنودك ما استعانوا

فهم عينٌ وأنت لها سوادٌ

وهم كف وأنت لها بنان

فأنت رئيسهم عدلٌ وجارٌ

ومولاهم وإن خشنوا ولانوا

انتهى ما نقلته عن العز بن فهد من الجزء الثاني من غاية المرام، ولما أنه عاصره معاصرة من كان يكتب عنه باليوم والليلة، وكل من جاء بعده عنه نقل، فقد اكتفيت بما كتب، واختصرته اختصاراً غير مخل، وكذلك عملت مع ابنه الذي كتب عنه ابن فهد الابن مجلداً كاملاً.

وما توفيقي إلا بالله

تم الفراغ من الجزء الأول

في يوم السبت الموافق الحادي عشر من ذي القعدة

من سنة 1419 هـ = 9/3/1999 م

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

____

____

([1])خلاصة الكلام لزيني دحلان ص (16) الطبعة الأولى سنة 1305 هـ (المطبعة الخيرية.

([2])ص (47) ، ط.(1)

([3])قام محمد هذا سنة (301) ولقب بالثائر، ثم انتهى أمره سريعاً.

([4])هو غير محمد بن سليمان المذكور قبله.

([5])عبد الله هذا يلقب بالمحض، وهو ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط.

([6])العقد الثمين) جعفر.(

([7])إتحاف الورى (2/406) :ط (1) ، جامعة أم القرى.

([8])غاية المرام (1/480) :ط.(1)

([9])سمط النجوم العوالي (4/195) :ط.(1)

([10])العقد الثمين مادة) عسى (وشفاء الغرام.(2/194) :

([11])غاية المرام .(1/482) :ط (1) ، جامعة أم القرى.

([12])ابن أبي طالب.

([13])سمط النجوم العوالي (4/195) :ط (1) ، المطبعة السلفية.

([14])لقد نسي الزركلي عفا الله عنه، فبعد أن قال :الموسوي الحسني، قال :والموسوي نسبة غاية المرام» /1) :موسى الكاظم .«فهذا حسني والكاظم حسيني.

([15])العقد الثمين) حسن (وشفاء الغرام (2/194) :بشيء من التصرف.

([16])أي عصيانه.

([17])لعله مع أعواهم وعبيدهم.

([18])أهل الحجاز يلقبون العبد بالقائد، وأبو قائد، وقد تأتي معك طبقات القواد الذين صارت لهم سطوة فيما بعد.

([19])كان وادي القرى آنذاك آخر أعمال المدينة مما يلي الشام.

([20])فيما تقدم، قال :ومعه ألف من الأشراف وألف مملوك، ولم يذكر الأعراب، ولعل هذا أقرب إلى واقع ذاك الزمن.

([21])تحدثنا عبر التأريخ أن إذلال المهزوم وإهانته كثيراً ما تقلب النصر هزيمة، وضعاً لتعالي ذلك المغتر.

([22])كان من يلي مكة آنذاك تتبعه السراة إلى نجران أو ما هنالك، وكثيراً ما كانت تتبعه اليمامة، والمدينة، والقصيم؛ وجبلا طيء، كما سترى في كثير مما يتبع من حوادث .

([23])ظلت مكة سنية خالصة لم تعرف الرفض .شفاء الغرام.

([24])عن حلي وبني حرام انظر– إن شئت –كتاب) بين مكة واليمن (لكاتب هذا البحث.

([25])العقد الثمين) شكر.(

([26])ط (1) ،.(4/102)

([27])العقد.(5/15) :

([28])هديل الحمام في تأريخ البلد الحرام) شكر.(

([29])مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي مطبوع.

([30])تأتي أخباره في دولة الهواشم.

([31])خلاصة الكلام (13) :ط (1) ، سنة (1305) ، المطبعة الخيرة بمصر.

([32])من القدم يسمي أهل الحجاز العبد) القائد (لعله رفعاً لمعنويته، وفيما يلحق سترى أن طبقات من القواد ظهرت هنا، وكانت تشبه الأحزاب اليوم، وكان لها وزن سياسي كبير.

([33])تاريخ مكة للسباعي ط (2) ، ص (201) دار مكة للنشر والتوزيع.

([34])بلاد ينبع للطالبة إلهام أكبر، ص (122) في حكم المخطوط، طبع على الآلة الكاتبة على وجه واحد من الورق.

([35])حمزة بن وهاس :الترجمة رقم.(6)

([36])معجم قبائل الحجاز، ذيل بين مكة وبرك الغماد (45) ، وستأتي نصوص في هذا الصد.

([37])قوله المتقدم ذكره :جاء في ص (17) ، قوله :وفي مدة غيبته– يعني أبا الفتوح – عن مكة تغلب على مكة أبو الطيب داود بن عبد الرحمن بن القاسم بن الفاتك عبد الله بن داود بن سليمان بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي كرم الله وجهه.

([38])جعفر هذا غير جعفر المتقدم في الطبقة الأولى) الموسويين.(

([39])العصامي :سمط النجوم العوالي.(4/192) :

([40])انظر عن هذا القائم) هديل الحمام في شعراء البلد الحرام (مادة محمد الناهض، ويقال :محمد الثائر.

([41])الجامع اللطيف.(306) :

([42])كذا منسوبون إلى حسين، ولعله خطأ مطبعي، أو نسخي.

([43])السباعي :تأريخ مكة، ص (201) ط، دار مكة للنشر والتوزيع.

([44])كان ذكره عند ذكر وفاة شكر، وقد قدمنا في البحث السابق اعتقادنا بأن حكم هذا العبد– إن صح –لا يزيد عن يوم أو بعض يوم.

([45])في اعتقادنا أنه لو بقي من الموسويين أحد بعد شكر لما تولى العبد المزعوم حكم مكة.

([46])أمراء المدينة لعارف عبد الغني238 :، نقلاً عن التحفة اللطيفة.

([47])ألحقت هذه الترجمة بعد ختام البحث، فمعذرة عن الخلل.

([48])شفاء الغرام .(2/196) :ط.(1)

([49])أي في مقبرة في المعلاة.

([50])غاية المرام.(1/510/) :

([51])غاية المرام.(1/516) :

([52])ابن عنبة :الرسائل الكمالية.(224)

([53])ابن عنبة توفي سنة 828) هـ 1424 /م.(

([54])عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب.

([55])العقد الثمين ترجمة علي بن عيسى.

([56])خريدة القصر .(3/32) :

([57])الزمخشري العلامة، صاحب الكشاف، ترجمته في) نشر الرياحين.(

([58])هذا البيت غير مستقيم، رغم اجتهاد المحقق فيه.

([59])وكذا نصَّ ابن عنبة ص (225) من المرجع المتقدم.

([60])عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب.

([61])شفاء الغرام (2/196) :ط.(1)

([62])خلاصة الكلام ط (1) ص.(19)

([63])راجعه، ففيه أخبار قيمة.

([64])الأشراف الهواشم :لإبراهيم بن منصور الأمير، ص.(23)

([65])إتحاف الورى.(2/469 :

([66])غاية المرام.(1/509) :

([67])ذلك أن الفاطميين كانوا إسماعيلي المذهب فيزيدون في الأذان) حي على خير العمل.(

([68])يعني بني الحسين السبط.

([69])ترجمته في» نشر الرياحين.«

([70])الجامع اللطيف لابن ظهيرة ط.(307) / (3)

([71])سمط النجوم العوالي (4/199) :، وترجمة العصامي في» نشر الرياحين.«

([72])شكر، كما تقدم معك، آخر أمراء الطبقة الأولى، وليس من بني سليمان أصحاب الطبقة الثانية.

([73])أسقط عبد الله بعد جعفر، وصحف الحسين بالحسن.

([74])صارت لهم دولة في المخلاف السليماني دامت حتى منتصف القرن13) هـ.(

([75])

([76])الزيني، صوابه :الزينبي، نسبة إلى زينب.

([77])المهجم :من تهامة اليمن قديمة كانت قاعدة تهامة الشام، تقع بين وادي مرو ووادي حرض.

([78])تأريخ مكة للسباعي، ط (3) ، دار مكة للشر والتوزيع، ص (202) ، وترجمة السباعي في» نشر الرياحين.«

([79])تأريخ مكة لسباعي، ط (3) ، دار مكة للشر والتوزيع، ص (202) ، وترجمة السباعي في» نشر الرياحين.«

([80])ينحصر الخلافي في تأريخ مكة وفاته بين 486) و487 هـ (ولعله عند التقاء السنتين، فغُمَّ على المؤرخين.

([81])ترجمته في نشر الرياحين.

([82])يرد في بعض المراجع) أصيهيد (بمثناتين تحتيتين، ولعله تصحيف.

([83])عسفان على (80) كيلاً شمال مكة.

([84])شفاء الغرام.(2/197) :

([85])أي أن وفاة أبي هاشم وولاية ابنه قاسم واستيلاء أصبهيد، كلها، بين محرم وشوال سنة487) هـ.(

([86])إتحاف الورى (2/469) :، و.(2/497)

([87])غاية المرام.(1/513) :

([88])الأشراف الهواشم لإبراهيم بن منصور الهاشمي.(138) :

([89])غاية المرام .(1/517) :وهي جمع حرَّاقة.

([90])وتروى :قومي ..الخ، وهو أصح.

([91])وهذا يخالف ما قدمنا في ترجمته.

([92])الحلة إحدى مدن العراق الرئيسة.

([93])لعله) :نَضِر.(

([94])سمط النجوم العوالي.(4/204) :

([95])ضبطه في العقد الثمين) إصْبَهْبَذ.(3/319) (

([96])تأريخ مكة للسباعي206 :، مرجع سابق.

([97])العقد الثمين، مادة) فليتة.(

([98])إتحاف الورى.(2/498) :

([99])غاية المرام.(1/520) :

([100])سمط النجوم العوالي.(4/204) :

([101])خلاصة الكلام :ص .(20)

([102])العقد الثمين :هاشم.

([103])إتحاف الورى.(2/503 :

([104])الجامع اللطيف.(308) :

([105])خلاصة الكلام :ص.(20)

([106])قلت :قول السباعي هذا يعضد القول بأن عبد الله المتقدم هو أخوه.

([107])العقد الثمين :قاسم.

([108])ترجم محقق العقد لعمارة في ذيل هذه الترجمة.

([109])خلاصة الكلام :ص.(20)

([110])السيمط.(4/204) :

([111])كما توقعنا عند ضبط اسم فليتة، ظهر أن الضبط من اجتهاد المحقق، إذ قال في حاشية : (6/465) :كذا يضبط في كثير من المراجع بالتصغير،) مثلاًَ تأريخ المستصبر، والنكت العصرية (، وفي بعض فليتة كسفينة، ذكر ذلك صاحب تاج العروس ..الخ، ولعل من ذكرهم ضبطه المحققون اجتهاداً .

([112])الشام عندهم كل ما هو شمال، وكذلك اليمن.

([113])الجلبة :سفينة.

([114])الشرفاء.

([115])قوله :وكان نازلاً بالمربع) كذا المربَّع (بتشديد الموحدة التحتية .وأقول :إن التشكيل إما اجتهاداً من المحقق أو أنه مكان لا أعرفه، فالمعروف) مَرْبَع : (مكان على 40) كيلاً (من جنوب شرقي مكة، وكان من متبديات الأشراف .انظر) :معجم معالم الحجاز.(

([116])الجامع اللطيف.(308) :

([117])وهي سنة وفاة أبيه.

([118])له ترجمة في ذيل العقد الثمين.(4/355) :

([119])سمط النجوم.(4/204) :

([120])إتحاف الورى.(2/560) :

([121])جميع مراجعنا ما كان التأريخ فيها بالأرقام، إنما كان بالحروف، نحو سنة سبع وتسعين وخمسمائة، ولكنا استسهلنا الأرقام، وقد ألفها الناس.

([122])الذي يرمي بالنفط.

([123])إتحاف الورى.(2/536) :

([124])نخلة التي يكررها مؤرخو الأشراف هي نخلة الشامية، معجم معالم الحجاز .

([125])إتحاف الورى سنة 579) :و.(597

([126])الجامع اللطيف.(308) :

([127])يلقب :محمداً الثائر.

([128])يلقب :موسى الثاني.

([129])موسى الجون.

([130])عبد الله المحض.

([131])الحسن المثنى، وله ابن يدعى الحسن المثلث.

([132])الميورقي :ترجمته في) نشر الرياحين، في تأريخ البلد الأمين.(

([133])ترجمته في نشر الرياحين.

([134])عين وقرية فيوادي ينبع لا زالت معروفة.

([135])كانت لهم بقية في وادي الصفراء إلى وقت قريب.

([136])من أشهر أشراف ينبع إلى يومنا الحالي.

([137])من ضمد اليوم الأشراف الحوازم.

([138])كذا، ولعله :العسف.

([139])مكان من جياد الصغير.

([140])ترجمته في) زهر البساتين.(

([141])لا يجوز بعد ظهور الإسلام تسمية مدينة الرسول ، يثرب.

([142])يرد هذا الاسم بعدة صور، ولم يتبين صوابه.

([143])بلدة على الطريق من دمشق إلى عمان، قريبة من دمشق.

([144])من بني كلاب من بني عامر الهورانية، الذين يقول فيهم جرير) :فلا كعباً بلغت ولا كلاباً.(

([145])مؤلف كتاب) الروضتين.(

([146])الأهراء :كذا في الأصل.

([147])الوجه :أن يقال) :بتسُّم.(

([148])وادي القرى شمال المدينة، ونخلة قرب مكة، فكيف يلتقيان.

([149])الحميمة :قرية لا زالت معروفة، شمال غرب مكة، في بطن مر الظهران، انظر : معجم معالم الحجاز.

([150])الطشتدار :كانت وظيفة عند المماليك ومن عاصرهم لمن يتولى مغسلة السلطان.

([151])المقاليع :جمع مِقلاع، وهو عمل من الحبال أو الليف يحذف به الحجر، فيكون مداه أبعد من مدى الحذف باليد، ووقعه أقوى.

([152])ورغم ما حصل على الحجاج من فظاعة وأمور لا ترضي الله، فإنه يلاحظ.

)أ (أن ذلك العهد قد جهل الناس حتى صار قتل شخص عند الجمرات لا يتحرج منه مسلم حاج.

)ب (أن كل من له أمر ونهي في الحجاج كان من الأعاجم، ولم يذكر بينهم عربي واحد، رغم أن المزعوم أن الحكومة عربية) الخلافة (ويمثل هذا– فيما يبدو –كثرة الانفصالات عن جسم الدولة، وأصبح لكل بلد أمير حاج ينافس ويقاتل أنداده في بلد الله الحرام، وفي هذا الكتاب صور عديدة مما ذكرنا.

([153])كان يطلق هذا الاسم على جماعة المذهب الإسماعيلي.

([154])هذه القصيدة تروى بألفاظ مختلفة في روايات كثيرة، إلاّ أن معانيها متقاربة.

([155])الحقيقة أن الخلافة آنذاك لم تعد تستحق مثل هذا، فما كان للخليفة– في بغداد – أمر حتى على البصرة، ولا على الموصل، فهو– فقط –كان خليفة محافظة بغداد.

([156])كيف يكون هذا، وهو ملك سنة597) هـ (ومات سنة617) هـ (يكون هذا عشرين سنة فقط.

([157])هذا التعبير غير مستقيم.

([158])ويقال :الريحاني.

([159])أعتقد أن الصواب هو) :وهم غمُّوا فؤادي بالغَميم (لأن الغميم مكان معروف في الحجاز، ولا معنى للعميم بالمهملة.

([160])قد تقدمت.

([161])أبو سعد :الحسن بن علي بن قتادة.

([162])ويقال :الريحاني.

([163])نسابو الأشراف يقولون بعكس ذلك، أي أن علياً الأكبر هو جد النمويين، وأن علياً الأصغر هو جد الأشراف ذوي علي، وهؤلاء ليس لهم ذكر اليوم في الحجاز.

([164])لا يوجد اليوم أحد من الأشراف في خليص، غير الأشراف ذوي عنان في إحدى قرى المحافظة، وهم هؤلاء، وسيأتي خبرهم.

([165])نخلة التي تتردد في تأريخ الأشراف هي :نخلة الشامية .انظر) معجم معالم الحجاز أو ودية مكة.(

([166])كان يقال لذريته الأشراف ذوي علي، كانوا موجودين في القرن التاسع الهجري وكانت لهم أموال في الهدة، شمال مكة.

([167])الرسائل الكمالية.(239) :

([168])العصامي :عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي.(1049–1111) :

([169])صاحب عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، اسمه أحمد بن علي بن مهنا الموسوي، ت828) هـ.(

([170])سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي.(4/208) :

([171])ما بين المعقوفتين فيه مغايرة عما في عمدة الطالب، ولعل العصامي كره بعضه، وأخذ بعضه بالمعنى.

([172])بل له أخ تقدم ذكره اسمه أبو موسى عيسى بن إدريس.

([173])انظر بين مكة واليمن.

([174])الدر الكمين (1/716) :ط (1) ، عمر بن فهد الهاشمي، تحقيق عبد الملك بن دهيش، سنة 1421) هـ 2000 /م .(

([175])سيأتي بحث عن القواد فيما بعد، وكيف أنهم أصبحوا طوائف وأحزاباً يخشى جانبهم.

([176])الوادي :إذا أطلق في مكة يعني) مر الظهران .(انظر) معجم معالم الحجاز.(

([177])حلي بن يعقوب :مخلاف جنوب مكة، وكذلك المخلاف السليماني .انظر) بين مكة واليمن.(

([178])كان والي ينبع، ابنه إدريس بن الحسن بن قتادة.

([179])لم أتبينها، غير أن بعض المؤرخين نص على أن الوقعة كانت بالحديبية، فلتكن.

([180])نسبة إلى سيده الناصر العباسي.

([181])كذا في الأصل، وسوف نوضح بعده، من هو أخو قتادة، عم الحسن.

([182])العصامي :سمط النجوم العوالي.(4/214) :

([183])معناه :أبيض الرأس.

([184])كذا، والظاهر أن كلمة) عرفة (زائدة، وأن آق باش قتل بمكة كما تقدم.

([185])قدمنا ذيل ص62 ، اسم آخ آخر لقتادة، هو عيسى بن إدريس.

([186])سمط النجوم.(4/207) :

([187])العقد، مادة حسن.

([188])انظر :نسب حرب، بحثاً مطولاً عن زبيد.

([189])مادة الحسن بن علي.

([190])لاحظ ان هذا يتعارض مع ما ذكر قبله.

([191])الحرون– أصلاً –الجمل الذي إذا برك يرفض القيام، لقب الرجل بذلك على بروكه في الحرب وإبائه الانهزام.

([192])قالوا عن الحرون الفارس الممدوح عندما فر طاحت عمامته، فصار يجرها خلفه.!

([193])وبعض الفعل يشبهه الجنون، وهو أليق.

([194])يصول بأربعين.

([195])ص (37) ط سنة 1305) م.(

([196])ص / (47) ط (1) ،1305) هـ.(

([197])هذا الأمر يحتاج إلى وقفة، ففي القرن السابع الهجري كان آل يعقوب أمراء حلي الكنانيون الحراميون– نسبة إلى بني حرام –كانوا في أوج قوتهم .

([198])مادة :راجح.

([199])كانت كلمة) العرب (عندهم تعني البادية.

([200])كان حق رسمه هكذا) مملوكاً.(

([201])لا يعرف اليوم، انظر معجم معالم الحجاز.

([202])أي وستمائة.

([203])الخريقين، والسرين، والواديين، والآن الشاقتين، كلها واحد.

([204])سيأتي شرحه.

([205])السرين :آثار مدينة على ساحل البحر الأحمر، جنوب الليث على نحو من 43) كيلاً .(أوفيت بحثها في كتابي) بين مكة واليمن (ص.(59)

([206])خلاصة الكلام :ص (27) ط (1) سنة1305) هـ 1887 /م.(

([207])ظلت ينبع ملجأ لآل الحسن بن قتادة من عهد حسن نفسه إلى يومنا الحالي، وكانوا أمراؤها قروناً.

([208])العصامي 4/220) :و.(221

([209])المبارك :قرية لا زالت عامرة بأعلى مر الظهران، شمال شرقي مكة على نحو 36) كيلاً.(

([210])في خلاصة الكلام :إدريس بن علي بن قتادة، وفي العقد :إدريس بن قتادة، وسيأتي.

([211]) (4/221).

([212])العقد الثمين :إدريس.

([213])سنناقش فيما يتبع أنه ليس ابن أخيه.

([214])ديرة واسعة شمال مكة على الطريق العامة، على مائة كيل من مكة، راجع) معجم معالم الحجاز (و) على طريق الهجرة.(

([215])خلاصة الكلام :ص .(27) مرجع سابق.

([216])السمط.(4/221) :

([217])السرجة :جبل وصله اليوم عمران مكة في جنوبيها، يمتد من ثنية الميثب جنوب المجزرة اليوم وحلقة الخضار والغنم بسفحه الغربي، وبطحاء قريش بسفحه الشرقي، وقوز المكاسة، ويقول أهل مكة) الناكسة (لا زال معروفاً شمال هذه الحلقة .

([218])الجامع اللطيف.(313) :

([219])العقد الثمين :مادة) محمد بن حسن.(

([220])مكانان من أسفل مكة.

([221])جملة :ولم يزل ...الخ، غير مفهومة.

([222])كتاب العقود اللؤلؤية للشيخ علي بن الحسن الخزرجي، ط سنة 1329) هـ / 1911م (، في مجلدين، وفيه بعض أخبار أبي نمي.

([223])ترجمته في هديل الحمام.

([224])البشام :شجر طيب الرائحة، ينبت في الجبال، تتخذ منه المساويك.

([225])لا يجوز القسم بغير الله، ولكنه أمر شاع في زمانهم.

([226])هذا غلو قبيح.

([227])ترجمته في هديل الحمام.

([228])أمرالهم، وبه يستقيم البيت.

([229])لعل أرض حسان المذكورة بمر الظهران منسوبة إليه، فإنها مجاورة للدكناء التي اتخذ منها الأشراف شبة قاعدة.

([230])الجديد :قريتان في وادي مر الظهران، والمقصودة هنا- فيما يبدو -قرب الحميمة، بين الركاني وبرصمدة.

([231])هذه الثنية تسمّى اليوم) :فَجّ الرحا (تأتي الدكناء من الجنوب العدل.

([232])كبير الرواجحة الشريف سعيد يعارض هذا القول- الذي عليه نسابة الأشراف – ويقول إنهم من آل أبي نمي الثاني، وليس كذلك.

([233])خلاصة الكلام :ص (29) ، مرجع سابق.

([234])تقدم في تذييل سابق.

([235])الدرر الكامنة) مادة غيث.(

([236])هو أبو نمي الأول .

([237])إدريس عم أبي نمي.

([238])العقد الثمين :حميضة.

([239])القواد :هم الموالي الذين تحرروا وتناسلوا أو تحزبوا، فصاروا في عهد أبناء أبي نمي إلى عهد الدولة العثمانية) نحو 200 سنة (، قوة كبيرة ذات ثقل سياسي، كلما مالت إلى أحد المتنازعين رجحت كفته، فصار خطرهم على الأشراف وأهل مكة عظيماً .وأشهر هذه الأحزاب، كان :العمرة، بنو عمر، وهم منسوبون إلى جدهم عمر، والحميضات والعجلانية، موالي عجلان بن رميثة، والحسنة، موالي حسن ابن عجلان واليواسفة، بنو يوسف المكي.

([240])لعله محمد بن إدريس بن قتادة، فقد كان أبوه شريكاً لأبي نمي، وصهراً له.

([241])حلي بن يعقوب، تقدم ذكره.

([242])سبق أن بينا أن نخلة التي تتردد في تأريخ الأشراف، هي نخلة الشامية، المعروفة اليوم بالمضيق.

([243])تقدم التعريف.

([244])مدينة أثرية في تهامة زهران، انظر) :بين مكة وبرك الغماد.(

([245])هذا الأمير لم أجد من المؤرخين من ترجم له، ولا من ذكر له شعراً، رغم أنه لا يذكر إلا قيل :شميلة الشاعر، وقد ترجم صاحب العقد لحفيد له اسمه شميلة بن محمد بن حازم بن شميلة بن أبي نمي محمد ...الخ .ولشميلة الشاعر حفيد آخر اسمه واصل بن واصل بن شميلة قتل سنة978) هـ.(

([246])ترجمته في هديل الحمام.

([247])ترجمته في هديل الحمام.

([248])كذا في المطبوعة، والوجه غيره.

([249])بني سعيد، ويعرفون اليوم بالسعايد، واحدهم سعيدي، قبيلة من هذيل، لهم الجبال الواقعة بين النخلتين.

([250])كذا في المطبوعِ، ولعله) وادي بني سعيد (المشار إليه آنفاً.

([251])أي الأشراف بنو حسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

([252])قوله :دعاء مبتدع .في كل زمان ومكان يدعى للحكام على المنابر، فلا ينكر . ولكن العدو ينكر على خصمه ما يراه ضده، وإلاّ فإن أول هذا الدعاء) اللهم صلِّ (...الخ من أحسن الأدعية.

([253])إن التكرار في أخبار الأشراف، وخاصة أبناء أبي نمي، عائد إلى سببين :أولهما : اشتراكهم في الحوادث .وثانيهما :كون هذه التراجم فردية، فلا بد من ذكر كل شريف في بابه.

([254])ترجمته في هديل الحمام.

([255])خلاصة الكلام :ص.(31)

([256])اعتمدت كثيراً، في تراجم الأشراف الأولين على كتاب العقد الثمين، لسببين :لأن الفاسي ابن هذا البلد، فهو أعلم من أهل الأقطار بحوادث بلده، ولأنه كثير الاستقصاء، عميق البحث، فيه حيدة، هي زين المؤرخ .

([257])هم فرع قديم من الأشراف، لم أتبين إلى مَنْ مِن سلالة الحسن بن علي يرجعون.

([258])العقد الثمين) رميثة .(

([259])تقدم في ترجمة حميضة.

([260])كانت من عشائر الشرقية بمصر.

([261])بلدة عامرة في أقصى شمال غرب الحجاز .انظر معجم معالم الحجاز.

([262])هي مدينة العقبة، ميناء الأردن اليوم.

([263])يقال) :حرب (مجرداً، ولا يقال :آل حرب وبنو حرب .انظر عنهم كتاب) نسب حرب.(

([264])لا تعرف اليوم.

([265])أي رجاله) مشاة.(

([266])ترجمته في هديل الحمام .وهناك القصيدة أيضاً.

([267])يلمح إلى أبناء هارون :شبر وشبير ومشبر.

([268])ترجمته في هديل الحمام.

([269])كذا فراغ في أصل المرجع، وظاهر أن الكلمة) منها.(

([270])على نحو (120) كيلاً شمال مكة .أنظر :معجم معالم الحجاز.

([271])الدرر الكامنة (2/204) ، مادة رميثة.

([272])خلاصة الكلام :ص (31) مرجع سابق .

([273])سمط النجوم .(4/230) :

([274])عمدة الطالب .(126) :

([275])تأريخ الحلة .(1/91) :

([276])نفس المرجع.(1/94) :

([277])عمدة الطالب :الرسائل الكمالية ص (243) ، الناشر مكتبة المعارف بالطائف، ولم تذكر سنة الطبع.

([278])كان زيد سلطاناً على سواكن ثم ذهب إلى العراق، فلعل هذا الزواج كان آنذاك .

([279])كذا في المطبوع.

([280])تقدمت ترجمته.

([281])سواكن :جزيرة مجاورة لبر السودان على البحر الأحمر، يخاض إليها في الماء، ثم وصلت بسكة حديد إلى الخرطوم .كانت ميناء السودان الرئيس، ثم انشأ الإنجليز) بورت سودان (فتقلصت سواكن.

([282])نفس المرجع المتقدم في ترجمة عبد الله، ونفس الصفحة.

([283])عمدة الطالب :الرسائل الكمالية :ص.(242)

([284])كذا قال ابن عنبة، ولم أتعقبه.

([285])القواد العمرة، من الموالي الذين كوَّنوا قوة في الحجاز كان لها دور قتالي فعال، كان من مشاهيرهم :ودي بن أحمد بن سنان بن عبد الله بن عمر بن مسعود العمري، قتله الأشراف بالشعبية سنة797) هـ (في غارات كانت بينهم، ثم اضمحلت تلك الفرق فيما بعد القرن التاسع، ولا تعرف هلم اليوم بقايا.

([286])نشر الرياحين (1/205) :، ط (1) ، دار مكة للشر والتوزيع.

([287])ساية :وادي حجازي /وهو الجزء الأعلى من وادي خليص .انظر معجم معالم الحجاز.

([288])خيف بني عمير في وادي الزبارة أعلى مر الظهران.

([289])بياض في الأصل.

([290])بياض في الأصل.

([291])بياض في الأصل.

([292])الجلاب :سفن كان يجلب فيها التجار بضائعهم.

([293])زبيد :قبيل من حرب .انظر :نسب حرب.

([294])سواكن :تقدم التعريف بها في أخبار زيد بن أبي نمي.

([295])تقدم ذكره.

([296])العذيب :انظر معجم معالم الحجاز.

([297])هذه من مبالغات الشعراء، ولو قال :الشجر، كان أحسن.

([298])ونجد في هذه الأخبار أن مبارك بن عطيفة ملك سواكن بعد عمه زيد.

([299])ترجمته في هديل الحمام.

([300])أبو سعد :الحسن بن علي بن قتادة، تقدم خبره.

([301])حيدر :حيدرة، الإمام علي كرم الله وجهه.

([302])ترجمته في هديل الحمام.

([303])كذا في المطبوعة، ولعله) سماحةً بسماحِهِ .(

([304])العقد الثمين :مادة) مغامس.(

([305])أي وسبعمائة.

([306])العقد الثمين.(3/395) :

([307])واديان بين حلي وجازان، انظر) بين مكة واليمن.(

([308])نجَّلَها :أدخلها المرسى، يسمى المنجل، والجبأ عطية بلا مقدار معين.

([309])سند ومغامس.

([310])كل هذه الخمسينات بعد السبعمائة.

([311])ترجمته في هديل الحمام.

([312])عَذْبَةٌ، والعذبة :أن يعصب الرجل العمامة على رأسه، ويبقي لها ذيلاً إلى الخلف، فهذا الذيل يسمى عذبة.

([313])منجد :رميثة، وقد تقدم.

([314])أي في عهد الفاسي.

([315])ينبع لا تدخل عليها أداة التعريف) أل .(

([316])ترجمته في) هديل الحمام .(

([317])هذا البيت لا يستقيم إلاّ هكذا) :فلا تسألاه غير عن أم معبدِ (ولعل في الأصل غلطاً نسخياً.

([318])أهل الحجاز يسمُّون الحج) الموسم.(

([319])كان في ذلك العهد قد فشت البندقية، ولكن لم نر مؤرخي مكة ذكروها.

([320])ترجمته في هديل الحمام.

([321])انظر ذكرهم، وفيه بعض التفصيل، في) بين مكة وبرك الغماد.(

([322])العقد الثمين) غانم.(

([323])يعرف اليوم بوادي فاطمة.

([324])قصد مؤرخو مكة بهذا اللفظ :كل ما جنوب مكة كالليث وحلي ...الخ.

([325])كانت الساعة الثالثة من النهار ضحى.

([326])خيف بني شديد :يعرف اليوم بخيف الرواجحة.

([327])أي :ادخلها املنجل، وهو المرسى.

([328])الجبلة بالتحريك :سفينة لجلب البضائع.

([329])أحد القواد الزباعة.

([330])بنو شعبة :فرع من كنانة .انظر) بين مكة واليمن.(

([331])لا أعرفها اليوم.

([332])الجربيَّة :أن يزور المسلمون المسجد النبوي في شهر رجب.

([333])البرقة، بضم الباء :بقايا عين وقرية شرقي الجموم رأي العين.

([334])قال محقق العقد :كذا في الأصل، فلعلّها من الصريخ، الاستنجاد .

([335])في ترجمة مبارك بن عطيفة، المتقدمة.

([336])القواد العمرة :من أكبر أحزاب العبيد في ذلك الوقت.

([337])نسبة إلى بني حرام، فرع من كنانة .انظر) بين مكة واليمن.(

) ([338])بين مكة واليمن .(

([339])لعله :بتوليبهم ولده، ...الخ .

([340])تقدم في أول هذا الكتاب.

([341])كذا في المصدر، ولعله) :ورتب فيها الشريف حسن، أحمد بن دريب، أو ابن أحمد بن دريب (، وبهذا يستقيم المعنى .

([342])هذا الكلام فيه خلط .انظر هذه المواد بمعجم معالم الحجاز.

([343])تقدم خبره.

([344])تاريخ الحلة.(1/94) :

([345])أرض خالد وأرض حسان والدكناء :أماكن متجاوزة بين الدوح والشماسي وبرصمدة، في وسط مر الظهران بين الجموم وحداء، ولها طريق مختصر إلى مكة لا يزيد عن ساعتين للماشي، كان يسمَّى الثنيَّة، ويسمّى اليوم) فَجّ لرحا (سلكه مؤلف هذا الكتاب مرات بالمطية، وراجلاً .

([346])خلاصة الكلام :ص (33) مصدر سابق.

([347])انظر ترجمة سند التالية .

([348])تقدم في ترجمة عجلان.

([349])مادة أحمد.

([350])ذلك أنهم كانوا يعدون مماليكهم بمثابة الجيش، ولم يتخذوا الجنود لمعاونة السلطان .

([351])انظر الرد عليهم في كتابي الميضاح، الترجمة الكاملة في العقد الثمين، مادة محمد بن أحمد .

([352])هذه البدعة لأول مرة تذكر في تأريخ الحجاز، وكانت شائعة في العراق، فبئست القدوة السيئة .

([353])اليثنى، صوابها البثنة، لأن لها تضاير، وهي مندثرة اليوم، والبحرين والحميمة، لا تزالان معروفتين، ولكن جريانهما انقطع في أواخر القرن14) هـ.(

([354])العقد الثمين.(7/85) :

([355])غير معروف اليوم.

([356])أدركنا الناس وهذه الصهاريج المصدر الأول لسقي أهل جدة، وهي حفر تعمل في الخبت، وتنقر في الحجر، ويسلط عليه ماء المطر فتمسكه.

([357])تقدمت الإشارة إلى القواد.

([358])انظر معجم معالم الحجاز.

([359])لا تزال معروفة قرب البحرين.

([360])العقد الثمين .(6/206) :

([361])تعرف اليوم ببني مالك .انظر معجم قبائل الحجاز.

([362])كل الأشراف الذين يتداولون الحكم آنذاك من آل أبي نمي، بمن فيهم المترجم هنا .

([363])الأصيلة :مزرعة تسقى من العين الجارية.

([364])كذا في الأصل.

([365])الكنبوش :وقاية سرج الحصان.

([366])زبيد :بضم الزاي :انظر نسب حرب.

([367])الشام :اصطلاح عند أهل الحجاز لكل ما هو شمال، وهو قديم، كان ينادي به عمر :يا أهل الشام شامكم.

([368])بحرة :بلدة بين مكة وجدة، لا يدخل عليها) ال (التعريف.

([369])انظر :معالم مكة التأريخية.

([370])كلهم من القواد العمرة .

([371])الشجار :وثر يوضع على المطية، يسميه أهل الحجاز) مقصور (لأن له غزالاً واحداً.

([372])عبد الكريم بن أبي سعد الحسن بن علي الأصغر .

([373])القائل :تقي الدين الفاسي، والشاعر مترجم في هديل الحمام.

([374])مادة محمد بن عجلان .

([375])أحد القادة المصريين.

([376])أحد أمراء بني رسول .

([377])ترجمته في نشر الرياحين، مادة) محمد .(

([378])العقد الثمين.(6/430) :

([379])قدمت ترجمة أحمد .

([380])دار كانت بجوار المسجد الحرام من الجهة الشرقية، لعجلان بن رميثة، دخلت في المسجد.

([381])أي شعر بهم.

([382])مر الظهران

([383])بنو إبراهيم :من أشراف ينبع، وليسوا من جهينة كما وقع في كتابنا) معجم قبائل الحجاز.(

([384])هذه الوشايات والدسائس ما كانت في أسلافهم، فلعلها تسربت إليهم من المماليك.

([385])بنو الحسين بن علي، رضي الله عنهما.

([386])توفي سنة833) هـ (وستأتي ترجمته، ومن ذريته الأشراف ذوي عنان.

([387])الضوء اللامع.(6/147) :

([388])العقد الثمين :مادة علي بن مبارك.

([389])قلعة الجبل من الشهرة بمكان يغني عن تعريفها، والجبل :المقطم المشرف على القاهرة.

([390])الضوء اللامع.(5/149) :

([391])العقد الثمين في تأريخ البلد الأمين للفاسي.(6/116) :

([392])كان مخلاف حلي هو نفس محافظة القنفذة اليوم .انظر) بين مكة واليمن.(

([393])العقد الثمين.(4/86) :

([394])المأزمان :بني عرفة ومزدلفة، انظر :معجم معالم الحجاز.

([395])السُّويق :في ينبع، وعسفان قرب مكة، ولكن لعلها ما يسميّه الحجاج عقبة السَّويق، وهي على بعد (120) كيلاً من مكة شمالاً، بينها وبين عسفان (40) كيلاً.

([396])هي الشميسي اليوم.

([397])العد :انظر معالم مكة.

([398])انظر :معجم معالم الحجاز.

([399])أمير حلي.

([400])الزبارة التي وقعت فيها الوقعة :بجوار قرية أبي عروة، وليست كما ذكرتها في معجم معالم الحجاز، تلك أخرى .

([401])الجبا عند أهل الحجاز، هو ما يسميه النجديون) شرهة (، فهو عطاء بلا مقابل .

([402])تقدم الكلام عن القواد.

([403])يقول أهل الحجاز :نجَّلت الباخرة، أي رست على الميناء.

([404])الجلاب :سواعي تحمل البضائع في البحر.

([405])النجاب :مرسال ينقل الأبار، كالبريد.

([406])حازم هذا :ابن شميلة الشاعر، وقد تقدم.

([407])أم الدمن :قرب خليص، ولم تعد معروفة.

([408])البقوم :قبيلة مشهورة، انظر :معجم قبائل الحجاز.

([409])بنو نمير :من ثقيف :انظر الذي قبله.

([410])ذوي راجح بن أبي نمي الأول.

([411])البرقة :تنظر إليها من الجموم مطلع شمس.

([412])أي عانى، وهي هدنة الحرب .

([413])الحسن بن عجلان نفسه من آل أبي نمي، ولكن هذا اصطلاح.

([414])انظر :معالم مكة.

([415])أمير حلي من بني حرام، وهي فرع من كنانة، ولكن هذا كما قالوا :قريش وكنانة.

([416])ترجم له الفاسي :ج.(3)

([417])أورد العصامي القصيدة، وقصائد أخر، سمط النجوم العوالي .(4/262) :وانظر) :بين مكة واليمن.(

([418])بين مصر وفلسطين.

([419])عيون من وادي فاطمة.

([420])البنقال، وتسمى اليوم) بنقلادش.(

([421])أي وثمانمائة، وهذا تأريخ أول أحداث هذه الوظيفة، أي نائب السلطنة.

([422])هؤلاء من أشراف المدينة.

([423])قتله أحد قبيلة مطير، في الصحراء، شرق المدينة.

([424])منذ أن انتقلت الخلافة العباسية إلى مصر، لم يكن لها أمر ولا نهي، إنما مجرد صورة يتزين بها المماليك !وهذا أول خليفة يتحرك فيأمر وينهى.!

([425])دخلت هذه الأماكن كلها في المسجد الحرام.

([426])الكنبداوي :انظر معجم معالم الحجاز) .التضباوي.(

([427])افرنتي = إفرنجي :عملة كانت متداولة.

([428])الزلة :المرور .يقولون :زل :أي مر.

([429])أي رُمَيثة.

([430])جدة :بضم الجيم.

([431])الزالة :المارة.

([432])تقدم الحديث عنهم.

([433])لدريد بن الصمة، أمثال الشعر العربي.

([434])الدكناء وأرض حسان، وأرض خالد، وأم شميلة، كلها كانت بلين الجموم والبحرين بوادي فاطمة، المسافة نحو ستة أكيال طولاً بعرض ثلاثة، تقريباً .

([435])عين كانت جارية .انظر :معجم معالم الحجاز.

([436])حَدّاء :قريبة جداً من الركاني.

([437])رسالة ركيكة، لم انقلها، راجعها في المصدر.

([438])الخريقين، بالقاف، ويعرفان اليوم بالشاقتين.

([439])الوجه :جانباً كبيراً، لأنه مفعول.

([440])يعرف اليوم بوادي بني عمير ووادي الزبارة.

([441])الشرف، والشرفاء :الأشراف .

([442])عمر، المذكور هنا، هو جد القواد العمرة.

([443])الكارم :تجارة العطورات والبهارات .

([444])الأحسبة :انظر) بين مكة واليمن.(

([445])قافلة عُقَيل :قوافل تجارية كان يترأسها تجار القصيم، وتتاجر مع الشام ومصر وغيرهما، وهذا أولا ذكر لها في تأريخ الحجاز.

([446])كذا يقول أهل مكة للتتار.

([447])لعله) متخفرين.(

([448])تسمّى اليوم كاليكَتَا، وتقول العرب) :كلكتّة (إحدى عواصم الأقاليم في شرق الهند.

([449])كان يقال لهم :القواد العجلانية، والقواد الحسنة.

([450])إتحاف الورى.(4) :

([451])العقد /ذيل.(4/150) :

([452])غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام.(2/344) :

([453])ترجمته في هديل الحمام.

([454])العز بن فهد :غاية المرام.(2/364) :

([455])ترجمته في هديل الحمام.

([456])هديل الحمام) عبد القوي.(

([457])غاية المرام.(2/378) :

([458])تقع قرية الخوار شمال مكة، على 135) كيلاً (، شرق قاعدة خليص على 15) كيلاً (، وتصلها بمكة طريق مزفتة، وهذا طريقها الأطول، كان لها طريق طوله 120) كيلاً (، لم يزفت.

([459])الضوء اللامع.(5/272) :

([460])أي بمرض الطاعون.

([461])غاية المرام.(2/483) :

([462])أي وثمانمائة.

([463])كان يقال لهم :القواد العجلانية، ولموالي ابنه :القواد الحسنة.

([464])غاية المرام.(2/474) :

([465])هذه الرواية وغيرها كثير تتكرر لحدوثها في تراجم أناس يشتركون في حوادث، ولا بد أن يذكر لكل شخص ما يوضح سيرته.

([466])ملك اليمن، آنذاك.

([467])سنة818) هـ.(

([468])أشراف ينبع.

([469])أي وثمانمائة.

([470])شهران العريضة :انظر) بين مكة واليمن .(

([471])ميلب :كان يتردد في أسماء الأشراف حقبة ما بين القرنين السابع والتاسع.

([472])وبهذا يظهر أن أول من أجيز له من أبناء الأشراف، هم :أبناء حسن بن عجلان.

([473])هرمز :مدينة إيرانية تشرف على أول مضيق في الخليج الإسلامي مما يلي بحر عمان، وبها سمي ذلك المضيق) مضيق هرمز .(وكان هذا الخليج يسمى) الخليج الفارسي (، ثم سمي نحو سنة1376) هـ) (الخليج العربي (، ومال بعض الإسلاميين إلى تسميته الخليج الإسلامي، حلاً للنزاع بين العرب والفرس، ولأن شواطئه كلها أرض إسلامية.

([474])عُقيل :اسم أطلق على القوافل التي كانت تجوب بلاد العرب للتجارة، وكان آخر معاقلهم إقليم القصيم، ثم قضت عليها السيارات في النصف الأخير من القرن14) هـ.(

([475])غاية المرام.(2/487) :

([476])أي وثمانمائة.

([477])بركه :حاله أو أوده.

([478])ترجمته في) هديل الحمام.(

([479])الخضارم :الماء الكثير.

([480])جاود :عقد هدنة.

([481])سبق أن قلنا إن معظم ما يتردد هنا من معالم ينظر عنها) معجم معالم الحجاز.(

([482])الباشة :الكَبَبْشَة، في عرفنا اليوم، ولكن الباشة أرق وألطف.

([483])سنبوق أو سنبوك :مركب بحري صغير.

([484])سفينة شراعية.

([485])هديل الحمام :محمد بن عبد القوي.

([486])غاية المرام.(2/498) :

([487])الفصل :مرض الطاعون.

([488])سبقت الإشارة إليه.

([489])غاية المرام .(2/470) :باختصار غير مخلِّ .

([490])هذا يشهد أن الأشراف الرواجحة هم أقدم من أبي نمي الثاني، فهذا الخبر قبل مولده بنحو (90) سنة، وأبو نمي الوارد مع ذكرهم هو أبو نمي الأول.

([491])ذوو عمر وذوو حسن :من القُوّاد.

([492])أي من المترجم هنا.

([493])غاية المرام.(2/392) :

([494])انظر معجم معالم الحجاز.

([495])والد عبد العزيز بن فهد.

([496])مؤرخو مكة كانوا يسمون كل ما هو جنوب مكة يمناً وما هو بيمن، فيمن بني حسن كان الليث والشواق وما هنالك .

([497])مثل هذه النصوص تتكرر بالضرورة حيث يبين حال الأمير مع سلفه، فتذكر في الترجمتين، وربما تكرر في أكثر من ترجمة تكرار الشراكة بين الأشراف في الحكم.

([498])له ترجمة، ذيل غاية المرام.(2/401) :

([499])المعالم الواردة ف هذا الكتاب يطول استقصاء التعليق عليها، لذا نظر عنها) معجم معالم الحجاز.(

([500])ذيل غاية المرام.(2/403) :

([501])تقدمت ترجمته.

([502])وبير بن محمد بن عاطف بن أبي دعيج بن أبي نمي الحسني، تقدمت ترجمة عاطف .توفي وبير سنة860) هـ .(من الأشراف ذوي عنقاء .على أن عاطفاً هو ابن أبي نمي الأول، فلعل أبا دعيج لقب له.

([503])انظر :معجم معالم الحجاز.

([504])انظر :معجم معالم الحجاز.

([505])انظر :معجم قبائل الحجاز.

([506])حادثة :عرفت بالجديدة، عين قرب البرابر، كانت حية سنة1369) هـ.(

([507])هذا غير صحيح البتة، انظر) نسب حرب.(

([508])مدرج علي :هي ثنية عسفان) ثنية غزال.(

([509])التنزه :حدوث النزاع فجأة .

([510])انظر) :بين مكة واليمن.(

([511])صخرة بن مقبل بن مخبار، من بني هجار، من ذرية الحسن بن قتادة، أمراء ينبع، توفي846) هـ.(

([512])المراكب المسمارية :التي تسمر ألواحها بالمسامير، عكس التي تربط ألواحها بالحبال.

([513])أمج :هو وادي خليص .انظر :معجم معالم الحجاز .أمج وخليص.

([514])ذوو عجلان والأشراف واحد، وبركات هذا هو حفيد عجلان، فهذا التعبير)مجعلك (أي في غاية الركاكة.

([515])انظر) بين مكة واليمن (على بعد المسافة إلى هناك.

([516])لعله الحشا، بالمعجمة.

([517])انظر) معالم مكة (مجنة.

([518])البوباة :انظر) معجم معالم الحجاز (وكذلك كل المعالم الواردة هنا ما لم نشرحها.

([519])التي اقتلع فرسانها من فوقها، ولكن هذه ليست ديار مطيرا .!

([520])عملة كانت سائدة.

([521])النزلة :عدد من البيوت متجاورة.

([522])من القواد العمرة، وقد تقدم خبرهم.

([523])من القواد العمرة، وقد تقدم خبرهم.

([524])سموا :القواد العجلانية.

([525])مطعم الطير :انظر حاشية غاية المرام.(2/439) :

([526])انظر ذيل :غاية المرام.(2/443) :

([527])انظر :بين مكة واليمن126) ،.(163

([528])حافظتين.

([529])حمزة بن المتوكل :من الخلفاء العباسيين في مصر، وهذا أول من استطاع أن يعزل ويولي من خلفاء مصر.

([530])إعلان الحرب.

([531])بطن من هذيل .انظر) :معجم قبائل الحجاز.(

([532])ترجمة محمد بن بركات، تتبع هذا.

([533])ذكرها في ترجمته– كشاعر –في هديل الحمام :بركات .

([534])ترجمته في هديل الحمام.

([535])ترجمته في هديل الحمام.

([536])أنواع من زهور الصحراء، ونيسان :من شهور الربيع التي تكثر فيها الزهور، يوافق بالإفرنجي) أبريل.(

([537])معالم من وادي نعمان، شرق مكة.

([538])انظر) بين مكة واليمن .(للمؤلف .ومعجم قبائل الحجاز.

([539])غاية المرام (2/506) :، في نحو (127) صفحة، حاولنا اختصارها بما لا يخل.

([540])المشد، وتقول عرب اليوم المشدِّي :القائم على العمل.

([541])في إتحاف الورى :غزا عرب البقوم، ولاحظ :إن الأشراف ما كانوا يغزون إلا من منع الزكاة.

([542])توفي سنة875) هـ.(

([543])أي وثمانمائة.

([544])كذا في المرجع.

([545])زبيد ليسوا ذوي مالك، إنما مالك أحد أشهر شيوخهم .انظر :نسب حرب .

([546])يقصد البقوم.

([547])عن البقوم وعتيبة :انظر معجم قبائل الحجاز.

([548])معجم قبائل الحجاز.

([549])وضحنا ذلك في) نسب حرب.(

([550])ذوو عجلان هؤلاء، هم موالي الشريف عجلان الذين مات عنهم فكوَّنوا حزباًَ، وسُموا القواد العجلانية.

([551])أي881) هـ.(

([552])أحد السادة القطبية المعروفين في المخلاف السليماني.

([553])قلعة الدوسرية، انظر) :بين مكة واليمن.(

([554])هو جد الأشراف العناقوة .

([555])كما قلنا مراراً :يراجع في مثل هذه المعالم :معجم معالم الحجاز.

([556])هو قايتباي المملوكي.

([557])معجم قبائل الحجاز.

([558])القواس :الذي يحضر الناس بالقوة.

([559])الفَرِيق :بالنسبة لبيوت الشَّعْر كالقرية لأهل المدر.

([560])من أشراف ينبع .

([561])روي لي أن الحنيش هذا كان شيخ بالحارث الأزديين المقيمين جنوب الطائف.

([562])ابن بذال :أحد أشراف ينبع.

([563])أي صيف النخل، وقت الجني.

([564])لعلها :القراراة، حي من مكة.

([565])مراوة :انظر معجم معالم الحجاز، وكذلك القرارة وأي معلم يرد في هذا الكتاب.

([566])الهوش :الأغنام وما في حكمها.

([567])انظر معجم قبائل الحجاز.

([568])اروقة من عتيبة، وبنو لام من طيء، انظر :المرجع السابق، أما بنو لام فكانت أدنى ديارهم) عفيف.(

([569])النقا– هنا :–إعلان الحرب .

([570])الوطاة :السهل .لأنهم عند المحاربة يصعدون الجبال يحتجون فيها.

([571])أهل جبل كبكب، من هذيل.

([572])لعلهم بنو حسن، إذ أن ديار بني حسين المدينة.

([573])انظر :معجم معالم الحجاز.

([574])المقصود– هنا –القواد الحسنة والعجلانية، وإلا فإن الشريف نفسه هو ابن بركات بن حسن بن عجلان، فهو علاجين حسني.

([575])هو قول الإمام الشافعي، أو مأخوذ منه.

([576])تقدم تعريفه، وترجمته في) هديل الحمام.(

([577])أرض حسان :كانت قرية المعروفة اليوم باسم الدوح الكبير، والمعتقد أن أم شميلة معروف مكانها اليوم غرب بلدة الجموم بسفح جبل سِدْر.

([578])المشهور) زرود (بالزاي المعجمة، من محطات حاج العراق.

([579])هذان البيتان فهيما إقواء .

([580])الرعان :الجبال الشواهق.

تمهيد :

ينسب الأشراف العبادلة إلى جدهم الشريف عبد الله بن الحسن بن أبي نُمي محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان بن رُميثة بن أبي نمي الأول محمد بن أبي سعيد حسن بن علي بن قتادة .وتقدم تمام النسب إلى علي بن أبي طالب، وفاطمة الزهراء، رضي الله عنهما، في نسب قتادة في الجزء الأول، وذرية قتادة هذا يعرفون بالقتادات، وبني قتادة، وهم أشراف الحجاز اليوم، مع بطون صغيرة من بني عمهم، في مكة والمدينة وينبع.

ولي عبد الله– جد هؤلاء الأشراف العبادلة –إمرة مكة سنة1040) هـ (ثم تنازل عنها لابنه محمد سنة1041) هـ (راجع ترجمته (77) وترجمة ابنه (78) ج2 ، وكان للشريف عبد الله تسعة من الولد، هم:

-1محمد، وقد خلف أباه في الإمارة، وترجمته كما قدمنا رقم (78) ج .2 ويبدو أن ليس له عقب.([1])

-2حسين :وكان لحسين من الولد :

)أ (عبد الله بن حسين بن عبد الله، الجد المنسوبون إليه .ومن ذريته :عون بن محسن بن عبد الله بن حسين لن عبد الله الجد الجامع للعبادلة([2])، وفي ذوي عون هؤلاء تسلسل ملك الحجاز والأردن والعراق في العصر الحديث.

وسينسب بعد هذا إلى عون المشار إليه.

)ب (أحمد :ومن ذريته :ذوو سلطان بن مسعود بن شرف بن عبد العزيز بن محمد بن أحمد، المذكور، وهم أشراف) تربة (البلدة المعروفة شرق الطائف.

وذوي عبد الملك، يلتقون مع ذوي سلطان في أحمد بن حسين.

وإلى عبد الله بن حسين بن عبد الله، الجد، ينسب ذوو مهنا، وذوو بركات.

)ج (ومن ذرية محسن أبي عون المتقدم :ذوو حامد وذوو حسن.

)د (سرور بن حسين :من عقبة آل فِتن .انتهى عقب حسين، وسنعود فنفرد فصلاً لذوي عون بن محسن، أهل الملك، والملك لله.

-3حمود بن عبد الله، الجد :وذوو حمود اليوم .من أكثر العبادلة عدداً، وظلت فيهم قائمقامية مكة إلى سنة1410) هـ1990 /م (حيث أحيل الشريف شاكر بن هزان العبدلي الحمودي على التقاعد، وألغي منصب قائم مقام مكة .وذكر السيد شدقم في تحفة لب الألباب :أن حموداً هذا ولي مكة أربعة أشهر.

وذوو حمود بطون عدة، غالب ديارهم جنوب وجنوب شرق مكة، منهم آل فاخر بن عنان بن حمود والعرجان، وآل حوذان، وآل لَبَّاس، وآل عبد الكريم، ومنهم ذوي عبد الله، وهم يرققون لفظ الجلالة فيكتبون ذلك) إلآه (ويقال لبنيه البطنان، آل أبا البطين، فيهم قامقامية مكة كانت، وعمودهم اليوم شاكر بن هزاع أبو البطين، وابنه هزاع.

-4زامل بن عبد الله، ومن ذريته آل صامل، في رنية وفي الليث.([3])

-5هاشم ومن ذرية هاشم آل شاهين في الخرمة، وغيرها.

-6زين العابدين بن عبد الله، من ذريته الفُعُور، في وادي ليلة في الطائف.

-7مبارك بن عبد الله، وهم عبادلة الأحسبة([4])، ومنهم :آل راجح، وآل إبراهيم، وآل هزاع، وآ جار الله.

وابنان لعبد الله بن الحسن ليس لهما عقب.

وآل لؤي في الخرمة، قال الشريف أحمد بن جابر العبدلي إنهم ينتسبون إلى حسين بن عبد الله، جد ذوي عون– وكان الشائع غير ذلك، والله أعلم –الأشراف ينسبونهم إلى لؤي بن غالب بن زامل بن عبد الله، الجد.

الأشراف ذوو عَون

الأشراف عون بن محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله، الجد، وتقدم هذا القول آنفاً.

كان لعون من الولد :عبد المعين وفوّاز.

وكان لعبد المعين، محمد بن عبد المعين بن عون، الذي يقول له المؤرخون :محمد بن عون . نسبوه إلى جده، هي عادة عند العرب .([5])وإلى محمد هذا انتقل الملك من ذوي زيد، ثم توارثته ذريته إلى اليوم، وكان له من الولد :الحسين الشهيد، وعون الرفيق، وعلي، وعبد الإله، وعبد الله، وسلطان وكلهم ستأتي تراجمهم، وبرفقه مشجرة ذوي عون .([6])وهزاع بن عبد المعين، ذريته اليوم في الحجاز .وابنه الثاني :([7])فواز بن عون، المشار إليه، وفي بني فواز تسلسلت إمرة الطائف إبان دولة بني عمهم عبد المعين حتى انقضاء دولة الأشراف من الحجاز.

ومن أشهر آل فواز :زيد بن فواز بن ناصر بن فواز، الجد المتقدم .كان له وقف بالقيم من أرض الطائف، خطط قبل سنوات باسم وقف زيد بن فواز، فدر على ذريته خيراً كثيراً.

وكان لزيد هذا من الولد :حمود، وذريته لا زلت في أرضهم بالقيم، ورأيت حموداً هذا سنة 1372هـ (في بستانه بالقيم، وشاكر بن زيد، خرج إلى الأردن وابنه زيد بن شاكر في الأردن

اليوم، ذو مقام رفيع، رأس الوزارة، بعد رئاسة أركان الجيش، وله أبناء منهم :شاكر باسم جده، وأخوه حمود وشاكر عبد الله، في الأردن أيضاً، وبرفقه مشجرة توضح ذوي فواز وتناسلهم إلى يومنا الحالي .([8])وإليك تسلسل الذين ولوا الحكم من هذه الأسرة.

-111الأشراف محمد بن عبد المعين1274-1204) هـ1858-1790 /م:(

محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن حسين بن عبد الله بن الحسن بن أبي نمي محمد بن بركات، وتقدم كامل النسب إلى بيت النبي في كل من عبد الله، المتقدم، ومحمد بن أبي نُمي، وغيرهما من أجداده.

كان محمد هذا شجاعاً عاقلاً إدارياً متمكناً، ثاقب البصر والبصيرة، تقرب إلى محمد علي باشة مصر، وهو شاب، فاستعان به فكفاه أموراً كثيرة، وبعد أن لمس فيه الكفاءة عينه أميراً على الحجاز، وما والاه، فخدم الدولة، ولم يجحف على قومه، فكان متوازناً يميل إلى نفع العرب.

وكانت ولاية الحجاز قد حجبت عن عشيرته نحو (213) سنة، من مقتل محمد بن عبد الله في وقعة الجلالية– ترجمته رقم– (78) إلى فرار يحيى بن سرور بعد قتله المعنِمي سنة 1254)هـ ([9]) (انظر ترجمته رقم.(108)

وبولاية محمد هذا انتقلت الشرافة إلى بني عبد الله بن حسن، وهم الأشراف العبادلة، فصارت لهم دول في الحجاز، والأردن، وسورية، والعراق، لا زال بعضها قاماً، والملك لله يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء.([10])

اعتمدت في ترجمته على معاصرية لأنهم شاهدوا عيان، وعلى من جاء بعدهم في نفس الحقبة وفي أخبار محمد علي باشا.

ذكر الدَّحلان سنة1230) هـ (أثناء حملته على ما بين الطائف وبيشة، فقال ...:([11])
فملك تربة ورنية وبيشة، وتوجه إلى عسير وكان معه كثير من الأشراف من أعظمهم الشريف محمد بن عون والشريف راجح الشنبري، وكان يستشيرهما في كثير من الأمور ويعمل بتدبيرهما، فوصل إلى بلاد عسير بعد أن ملك ما قبلها ثم ملكها وقتل في محاربته كلها كثيراً من العرب، وقبض على طامي كبير عسير وكان ذلك بتدبير الشريف راجح، لم يزل ينصب الحبائل لطامي حتى قبض عليه فوضعه الباشا في الحديد ثم أرسله إلى مكة ثم منها إلى مصر ثم إلى دار السلطنة فقتلوه بها، قيل إن الشريف راجحاً جعل مالاً جزيلاً لابن أخي طامي وطلب منه القبض على عمه .ويقول الدحلان– أثناء الحديث عن إمارة عبد المطلب بن غالب :([12])وفي أثناء ذلك جاءت الأخبار من مصر في شهر صفر سنة1243) هـ (بأن محمد علي باشا استحسن أن تكون إمارة مكة للشريف محمد بن عبد المعين– وسرد النسب المتقدم إلى أبي نمي.–

وإنه أرسل يطلب له الفرمان من عع محمود الثاني، وكان الشريف محمد إذا ذاك بمصر نزيلاً عند محمد علي، لأنه لما كان محمد علي بالحجاز كان قد أقام الشريف محمداً المذكور أميراً على تربة، ثم أقامه أميراً عل قبائل عسير، ثم بعد سنتين من إمارته فيهم وقع بينه وبينهم اختلاف فخرج عنهم، وكتب إلى مصر يطلب تجهيز عساكر لمحاربة قبائل عسير، فأسل محمد علي عساكر كثيرة وكان ذلك في ابتداء حدوث العساكر النظامية، فتوجه الشريف محمد بتلك العساكر لمحاربة عسير سنة1239) هـ ([13]) (فحدث انهزام لتلك العساكر وقَتْل، وقتل في ذلك القتال الشريف راجح بن عمرو الشنبري.

ورجع الشريف محمد بن عون) عبد المعين (إلى مصر، وبقي بها إلى افتتاح سنة 1243)هـ ([14])(نزيلاً عند محمد علي، ولما وقع قتل الشريف شنبر المنعمي، استحسن محمد علي ولاية الشريف محمد بن عون، لما يعلم فيه من الشجاعة والكفاية، واللياقة للإمارة . ثم يذكر الدحلان اتفاق الشريفين عبد المطلب، ويحيى بن سرور على دخول مكة، كما تقدم في ترجمتهما مفصلاً، إلى أن يقول :فلما أصبح صبح ذلك اليوم 9) جمادى الأولى سنة 1243هـ (جاء الخبر بأن الشريف محمداً، وصل إلى الهِجَالية([15])، وفي أثر ورود الخبر دخل مكة بنفسه بعد الإشراق، ومعه سبعة خيالة، فاخبروه أن الحرب على مكة، فحين نزوله من البحر– في يوم الثامن من جمادى الأولى –ركب وتوجه إلى مكة، فلما وصل ...ركب هو والسبعة الذين جاءوا معه، وصل ...إلى الأبطح، وأخرج العساكر المحصورين ورتب ميدان المعركة، وكان الشريف عبد المطلب عند الفجر، وقد أحضر الخيول والجنائب، استعداداً لدخول مكة، ولما طلع الشريف محمد إلى الأبطح، ومعه السبعة الخيالة، صار كثير من الناس يسخرون منه، ويقولون :أين يذهب بهؤلاء إلى هذه الجنود المجندة، فبينما هم كذلك إذ جاء الشريف عبد المطلب رجل من جنوده، يقال له مساعد الوحشي، وكلمة سراً !وقال له :إن الشريف محمد بن عون قد وصل، وأن القبائل قد بادرت وطلبت منه الأمان، ولم يقع من ذلك شيء، وإنما شيء أراده الله، فركب عبد المطلب، وتوجه إلى الطائف.

وهكذا، وبتوفيق الله، وما يملك هذا الرجل من شجاعة وعزم، استولى على مكة يسبعة خيالة.!

وبهذا التأريخ– جمادى الأولى سنة1243) هـ(، بدأت ولاية محمد بن عبد المعين الأولى، والتي أسس بها ملك العبادلة إلى اليوم.

ويضيف الدحلان :أرسل محمد إلى جميع القبائل فأمنهم، وأرسل إلى أهل القلعتين وأمرهم بالكف عن رمي المدافع بالقلل، ونصب له صيوان بالأبطح وجلس فيه، فجاءه شيوخ القبائل مع قبائلهم، وعرضوا عليه، فكساهم الجوخ والشيلان وأعطاهم الجوائز، ثم ركب ورجع إلى مكة والقبائل يعرضون بين يديه([16])، وكان رجوعه قبيل الظهر، ونزل في دار الشريف يحيى بن سرور التي عند باب الوداع وضربت له المدافع وضربت النوبة عند باب داره وجاء الناس أفواجاً للسلام عليه والتهنئة، وأمنت البلاد واطمأنت العباد وعاد الخوف أمناً وسروراً.

وتركنا بعد هذه الوقعة أحداثاً كثيرة، لأنه تقدم ذكرها في ترجمتي الشريفين يحيى بن سرور وعبد المطلب بن غالب، فكرهنا التكرار، وبالإمكان العودة إلى ترجمتهما رقم 108) و 110).

وصف إدارة الشريف محمد لأمور الولاية:

قال الدحلان :([17])إمارة مولانا الشريف محمد بن عون :فإن ولايته، كما تقدم، كانت سنة ثلاث وأربعين، فاستقامت له الأمور وباشر أحكام العرب والأشراف وغيرهم، وانتظمت أحكامه على أتم النظام، وأقام في مشيخة السادة العلوية السيد إسحاق بن عقيل، وكان مجلس مولانا الشريف محمد دائماً منتظماً بالعلماء والأدباء وطلبة العلم وتجري فيه المذكرات في كثير من الفنون، ومدحه كثير من الشعراء بالقصائد فأجازهم عليها بالجوائز السنية، وغزا غزوات بناحية الشرق والحجاز وتربة ورنية وبيشة كان له فيها كلها النصر والظفر، وكان محافظ مكة أحمد باشا مقاماً من محمد علي باشا من سنة خمس وثلاثين، كما تقدم، ثم عزله محمد علي باشا سنة أربع وأربعين وتوجه إلى مصر، وولي محافظة مكة سليم بيك أمير اللواء

الذي كان مجيئه أولاً مع العساكر التي جاءت مع سيدنا الشريف محمد بن عون، فأقام سليم بيك في محافظة مكة نحو شهرين.

وفي سنة تسع وأربعين ولد لسيدنا الشريف محمد بن عون ولده الشريف علي .([18])وفي سنة تسع وأربعين أيضاً صدر الأمر من محمد علي باشا بالتجهيز لمحاربة عسير ([19])وكان قد توفي أميرهم علي بن مجثّل وكان من بني مُغيد وأقيم بعده اميراً عليهم عائض بن مرعي([20])، وكان أيضاً من بني مُغَيد فاستفحل ملكه وتقوى وتغلب على بعض الممالك التي بقيت تحت طوع الدولة، مثل بني شهر وبيشة وبلاد غامد وزهران، فجهز محمد علي باشا عساكر كثيرة ليتوجه بها مولانا الشريف محمد بن عون ويستخلص تلك الممالك، فتوجه العساكر وبقي أحمد باشا بمكة يمده بإرسال الذخائر والخزائن، ووقع بينه وبينهم وقائع واستخلص تلك المواضع التي تغلبوا عليها وأرجعها إلى حكم الدولة فصارت بلاد غامد وزهران وبيشة وبني شهر تحت طوعه، وتقدم إلى بلاد عسير ليتخلصها منهم ويرجعها كما كانت عند مجيء محمد علي باشا إلى الحجاز، فحصل من أحمد باشا تقصير في إرسال الذخائر والخزائن وما يحتاجون إليه، فحصل للعساكر ضيق شديد من ذلك وهم محاصرون بلاد عسير، فوقع الفشل في الجيوش وأدى ذلك إلى انهزام تلك العساكر، فرجع الشريف محمد بن عون إلى مكة وكذلك العساكر وكان ذلك سنة إحدى وخمسين، وأنكر أحمد باشا وقوع التقصير منه ونسب التقصير إلى سيدنا الشريف محمد بن عون فطلبهما محمد علي باشا ليحضرا عنده بمصر ليتحاكما في ذلك، فتوجها إلى مصر في سنة اثنتين وخمسين، وأبقى الشريف محمد بن عون وكيلاً عنه بمكة الشريف مبارك بن عبد الله الحمودي العبدلي، وأبقى أحمد باشا وكيلاً عنه أمير اللواء أمين بيك، فلما وصلا إلى مصر تحاكما عند محمد علي باشا وثبت أن التقصير إنما كان من أحمد باشا ولم يثبت على مولانا محمد شيء من التقصير فأذن محمد علي باشا لمولانا الشريف محمد بالرجوع إلى مكة، فوسط أحمد باشا وسائط لمحمد علي باشا وبذل لهم في ذلك مالاً جزيلاً على أنه هو الذي يرجع إلى مكة ويبقى مولانا

الشريف محمد بمصر، وتعهد أحمد باشا بأنه يستولي على عسير بالعسكر في ثلاثة أشهر، فحضر مولانا الشريف محمد عند محمد علي باشا وأخبره بان أحمد باشا يطلب الرجوع إلى مكة وأنه يتعهد بأنه يستولي على عسير في ثلاثة أشهر، فقال له الشريف محمد لا يقدر على ذلك ولا بعد ثلاث سنين، فقال محمد علي باشا :نجربه وننظر ماذا يصير وتبقى أنت عندي بمصر ويتوجه هو .فقال مولانا الشريف محمد :لا بأس بذلك .فبقي مولانا الشريف محمد بمصر ورجع أحمد باشا وكان معتمداً على بعض الأشراف مثل الشريف منصور بن زيد الشنبري فإنه كان مصطحباً مع أحمد باشا وكان يتعهد له بحصول هذا الأمر، وكان قد تولى إمارة غامد وزهران في بعض السنين ويريد رجوعه إلى إمارته، وكان أحمد باشا أيضاً معتمداً على سلطان بن عبدة العسيري والمذكور كان أميراً على قبيلة من قبائل عسير يقال لهم علكم، وكان قد وقع بينه وبين أمير عسير اختلاف فأراد أن يقتله فهرب وجاء إلى مكة ملتجأ قبل هذه الوقائع بسنين فسعى له أحمد باشا عند محمد علي باشا في ترتيب معاش جزيل ومرتبات جزيلة، فبقي بمكة مصطحباً مع أحمد باشا، ويداهن مولانا الشريف محمداً ظاهراً وميله في الباطن مع أحمد باشا فكان يعده أن قبائل عسير لا تخرج عن طوعه وأنه إذا توجه مع أحمد باشا والعساكر يملكه بلاد عسير، فلما رجع أحمد باشامن مصر أبقي أمين بيك قائماً مقامه وتوجه هو بالعساكر إلى الحجاز بلاد غامد وزهران ومعه الشريف منصور بن زيد وكثير من الأشراف وسلطان بن عبده العسيري([21])، فوقع بنيه وبين عسير وقائع في الحجاز وانتصر أحمد باشا في وقعة منها في سنة ثلاث وخمسين تسمى وقعة الباحة،
واستخلص منهم بلاد غامد وزهران ثم رجعوا بعد ذلك وأخذوها، ولما حصلت له هذه النصرة أرسل البشائر إلى مكة وضربت المدافع وأمروا بالزينة بمكة وجدة والطائف ثلاثة أيام وأرسلوا إلى مصر لمحمد علي باشا، وعظموا هذه النصرة مع أنهم ما قثدروا أن يتقدموا بالعساكر إلى بلاد بني شهر ولا إلى بلاد عسير، بل في سنة أربع وخمسين رجع العسيري إلى بلاد غامد وزهران واسترجعها، والحاصل أن الأمر استمر بلا نتيجة ولا فائدة إلى سنة ست وخمسين ومولانا الشريف محمد بن عون مقيم بمصر ومعه ولده الشريف عبد الله والجميع في عز

وإكرام، وولد لسيدنا الشريف محمد بمصر ولده الشريف حسين ([22])في أواخر سنة أربع وخمسين، وأرسله إلى مكة ليكون عند المراضع، فوصل إلى مكة في المحرم سنة خمس وخمسين . فلما كانت سنة ست وخمسين بعد انعقاد الصلح بين مولانا الشريف عبد المجيد ومحمد علي باشا كان من جملة شروط الصلح أن يترك محمد علي باشا الحجاز والشام ويفوض الجميع لمولانا السلطان ويبقى له ولأولاده ملك مصر وأعمالها، فأذن محمد علي باشا لمولانا الشريف محمد أن يرجع إلى مكة في إمارته كما كان وأن يجهز له عساكره التي بالحجاز ويرسلها إلى مصر، لأنه كان له عساكر كثيرة بالحجاز والحربية، أعني بلاد حرب، وخشي إنه إذا شاع زوال حكمه عن الحجاز يحصل اضطراب بالحجاز فيقع ضرر على عساكره، ورأى أنه لا يحصل التسكين والأمن في الحجاز ويتسهل إرسال العساكر إلا بمولانا الشريف محمد بن عون، وكانت العساكر التي في حرب بمعية سليم باشا الملقب أطزبير، وكان مخيماً بعساكر في الغازية ([23])والخيف وكان قد ملك تلك البنادر والخيوف وضايق قبائل حرب أشدّ المضايقة وقطع كثيراً من نخيلهم وفروا هاربين إلى رؤوس الجبال وصاروا منحصرين فيها، فاستحسن محمد علي باشا أن يكون توجه مولانا الشريف محمد أولاً إلى بلاد حرب لإزالة هذه المشكلات وإرسال عساكره التي هناك، فتوجه من مصر في سنة ست وخمسين، فلما وصل إلى موضع العساكر شاع خبر وصوله عند قبائل حرب المنحصرين في الجبال فحصل لهم خوف شديد وأيقنوا بالهلاك والاستئصال، فأرسلوا له يطلبون الأمان وأنهم يكونون تحت الطاعة على حسب ما يشترطه عليهم، فامتنع من إعطائهم الأمان حتى يقهرهم بالسيف ويطلع الفقرة، فتجهز بتلك العساكر وقصد الفقرة، وهي أعظم جبل لهم يتحصنون فيه، ولهم في الفقرة نخيل ومزارع وأموال كثيرة، فلما أقبل على الفقرة ما قدروا على قتاله بل فروا في كل جهة، فطلع الفقرة وأحرق فيها أماكن وقطع بعض النخيل وصار لقبائل حرب غاية الذل والهوان، ثم أرسلوا يطلبون منه الأمان فأمنهم، فأقبلوا عليه أفواجاً وعاهدوه واشترط عليهم شروطاً فقبلوها، ثم رجع من الفقرة وأرسل العساكر إلى مصر بغاية الأمن والراحة، ثم توجه إلى المدينة وسلكت الطرق وارتخت الأسعار وزالت تلك الشدة .ولما دخل المدينة كان بها

عثمان باشا من طرف الدولة شيخاً على الحرم النبوي وشريف بيك مديراً على الحرم ثم صار باشا بعد ذلك، ولما دخلا على مولانا الشريف محمد يوم قدومه المدينة للسلام عليه والتهنئة بالقدوم قالا له :أنت غوث الحرمين أغاث الله بك أهل مكة في سنة ثلاث وأربعين وأغاث بك أهل المدينة في هذا العام، فأجابهم ارتجالاً حالاً بقوله :وأنا ابن عون وابن عون إذا صحف يكون أنت غوث، فتعجبا من استحضاره لهذا الجواب .ثم إنه بعد قدومه المدينة حصل له مرض شديد وأرسل إلى مكة وطلب أهله فأرسلوا إليه إلى أن شفاه الله تعالى من المرض وتمم الإصلاحات المتعلقة بالمدينة وأعمالها ورجع إلى مكة في آخر سنة ست وخمسين . وفي آخر شهر ذي الحجة من السنة المذكورة كانت ولادة ابنه الشريف عون الرفيق، كانت أمه حملت به وهم في المدينة، فهو مدني مكي، وسماه السيد إسحاق الشيخ السادة ف الدار التي بالشامية لسيدنا الشريف محمد بن عون المشهورة بدار الجيلاني، وحضرتُ تسميته .وكان في مدة مكثه في المدينة أرسل ابنه مولانا الشريف عبد الله إلى مكة، وكان إرساله له من مصر حين عزم على التوجه إلى بلاد حرب بل قدم يتوجه معه ابنه المذكور إلى بلاد حرب بل قدم إلى مكة وصار قائماً مقامه، وكان عمره إذ ذاك نحو عشرين سنة، فقام بالأمر وكالة عن أبيه أتم القيام، وحصل بعد قدومه تجهيز العساكر المصرية التي الحجاز وأرسلت إلى مصر في غاية الأمن والاطمئنان.

وقدم عثمان باشا مكة أيضاً سنة ست وخمسين، ثم أقام عثمان باشا مولانا الشريف عبد الله بن سيدنا الشريف محمد بن عون قائماً مقامه، فصار قائماً لمقام الإمارة والولاية جامعاً بينهما، ولما رجع سيدنا الشريف محمد بن عون من المدينة أبقى في المدينة الشريف محمد بن عبد الله بن سرور قائماً مقامه، واستمر الأمر بين مولانا الشريف محمد وعثمان باشا بغاية الاتفاق والمحبة إلى سنة ستين فوقع بينهما اختلاف.

الشريف محمد وعثمان باشا

يقول الدحلان :([24])وقد تقدم أنه كان بينه وبين عثمان باشا غاية المحبة والألفة إلى سنة ستين، ثم حصل بنيهما تنافر واختلاف سببه أن عثمان باشا أغراه بعض الأمراء من الأشراف منهم الشريف سلطان بن شرف والشريف عبد الله بن زيد بن سليم، وقالوا له إنهم يأخذون أكثر المتحصل من الزكوات المتحصلة من رعاياهم ولا يدخلون الخزانة إلا النزر اليسير، فتهدد عثمان باشا بعض الأمراء الذين قيل فيهم ذلك، فلما بلغ الخبر مولانا الشريف محمداً غضب لذلك وحصل بنيه وبين عثمان باشا التنافر، ونزل عثمان باشا إلى جدة وأقام بها، وتوجه مولانا الشريف محمد إلى الطائف ثم إلى المبعوث وأقام به، وصار كل منهما ينتظر اجلواب من دار السلطنة لأن كلاً منهما أنهى إلى الدولة الشكاية، وفي تلك المدة كثر القيل والقال، وصار الناس أهل الفساد يثيرون الشر بينهما ويختلفون كثيراً من الأكاذيب، وأمر عثمان باشا كرد عثمان، كبير العساكر الخيالة، أن يتوجه بالعساكر إلى المبعوث ويكون في مقابلة سيدنا الشريف محمد، وقصد بذلك التخويف والمحافظة عليبه، فلم يكترث بهم مولانا الشريف بل أذن لهم بالنزول في مقابلته، وكان كرد عثمان يأتي إليه ويقبل يده ويجلس عنده وهو يقابله ويكرمه، وأرسل عثمان باشا إلى الدولة يطلب منهم إرسال الشريف علي بن غالب إلى مكة وأظهر أن القصد بذلك حضوره عند أهله لحفظ أمواهم، فأذنت الدولة للشريف علي بن غالب بالتوجه، وكان مولانا الشريف محمد بن عون عرَّف محمد علي باشا بما هو حاصل بينه وبين عثمان باشا، وكان محمد علي باشا يحب الشريف محمداً لكونه السبب في أصل ولايته إمارة مكة، فصار محمد علي باشا مجتهداً في نصرته وكان مسموع الكلمة عند الدولة ورجالها، فلما توجه الشريف علي بن غالب من دار السلطنة وجاءت الأخبار إلى مكة بتوجهه كثرت الأراجيف بمكة وشاع بين الناس أنه إذا وصل يتم مراد عثمان باشا ويقبض على مولانا الشريف محمد ويأتي بعد ذلك الشريف عبد المطلب أميراً على مكة، وكثرت هذه الإشاعات، ولما وصل الشريف علي بن غالب إلى مصر أكرمه محمد علي باشا غاية الإكرام واحتفل به غاية الاحتفال، وكان ذلك سنة إحدى وستين، ثم بعد ذلك بثلاثة أيام توفي وانتقل إلى رحمة

الله تعالى بمصر، فقيل إنه مرض، وقيل مات مسموماً والله أعلم بحقيقة ذلك .ثم إن محمد علي باشا عرَّف الدولة العليا بما هو حاصل من عثمان باشا من المضاررة للشريف محمد بن عون وطلب منهم أن يعزلوا عثمان باشا من ولاية جدة ويرجعوه إلى مشيخة حرم المدينة وأن شريفاً باشا الذي في المدينة يكون والياً على جدة وشيخ الحرم المكي، فأجيب محمد علي باشا إلى ذلك وصدر الأمر من الدولة بذلك، فلما جاءت الأخبار لعثمان باشا بما صدر به الأمر اغتم ومات من ليلته، وقيل إنه سمّ نفسيه، وكان ذلك أيضاً سنة إحدى وستين .ثم جاء شريف باشا من المدينة بعد وصول الأمر له من الدولة العلية، ووقع بينه وبين مولانا الشريف محمد بن عون غاية المحبة والألفة، واستقامت الأحوال على أتم النظام .وفي سنة اثنتين أو ثلاث وستين توجه مولانا الشريف محمد بن عون إلى نجد بأمر من الدولة العلية لإخماد فيصل بن تركي أمير الرياض لأنه بلغ الدولة أنه استفحل ملكه ويخشى من تطاوله كما كان من أسلافه، فصدر الأمر من الدولة بتوجيه العساكر لقتاله وإخماده وأن يكون ذلك بمعرفة الشريف محمد بن عون وتدبيره، فأخذ العساكر وتوجه بنفسه، وكان توجهه من المدينة ولم يزل سائراً بالعساكر والقبائل تطيعه، وسار معه ابن رشيد أميراً جبل شمز بكثير من القبائل، فلما وصلوا إلى القصيم نزلوا به فقابلهم أهل القصيم وأعطوهم الطاعة ووعدوهم بالنصر، فلما بلغ الخبر فيصل بن تركي دخله غاية الرعب وأرسل لأهل القصيم وطلب منهم أن يجتهدوا له في عقد صلح ويضعوا عليه خراجاً، فاجتهدوا مع مولانا الشريف محمد في الصلح إلى أن رضي، ووضعوا على فيصل بن تركي خراجاً لكل سنة عشرة آلاف ريال، فرضي بذلك فيصل وتم الصلح، ورجع مولانا الشريف محمد بالعساكر في سنته تلك وكان رجوعه من الشرق إلى الطائف، واستمر فيصل يدفع ذلك الخراج سنين كثيرة إلى أن توفي فيصل ثم انقطع دفع ذلك الخراج، وتقم أن وفاة فيصل كانت سنة اثنتين وثمانين .([25]) وفي سنة أربع وستين تخلى محمد علي باشا عن ملك مصر لمرض أصابه، فقلده ولده إبراهيم باشا ومكث نحو أحد عشر شهراً وتوفي في ذي الحجة من السنة المذكورة، فأقيم في ولاية ([26])مصر عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد علي باشا، وفي رمضان سنة خمس

وستين تفي محمد علي باشا وعمره تسع وسبعون، وفي سنة أربع وستين وجهت الدولة للشريف عبد الله ابن مولانا الشريف محمد بن عون رتبة باشا مير ميران بنيشان ولأخيه الشريف علي رتبة باشا أمير الأمراء بنيشان، ثم بعد مدة جاء مثل ذلك لأخيه الشريف الحسين، ثم جاء بعد مدة مثل ذلك لأخيه الشريف عون الرفيق، ثم بعد مدة جاء مثل ذلك لأخيه الشريف عبد الله، ثم بعد مدة ترقى الجميع إلى أن أُعطوا رتبة الوزارة، وفي سنة خمس وستين عزل شريف باشا وتولى بدله حسيب باشا، وفي هذه السنة توجه الشريف عبد الله باشا بكثير من العساكر إلى بيشة لإخماد عسير لأنهم تطاولوا واستولوا على بيشة وبني شهر فسار بالعساكر وأرجع تلك المواضع إلى الحُديدة بكثير من العساكر الباقية بعد الذين توجهوا إلى بيشة مع الشريف عبد الله، وكان توجه مولانا الشريف محمد إلى اليمن من طريق البحر وانتزع الحديدة والمخا وزَبيد وبيت الفقيه من يد الشريف الحسين بن علي بن حيدر لأنه كان تغلب عليها وملكها، فلما وصل مولانا الشريف محمد بالعساكر خاف الشريف الحسين وسلم البنادر المذكورة لسيدنا الشريف محمد بلا قتال ووعده بأن الدولة ترتب له مرتبات في مقابلة ذلك، ووفى له بذلك، ثم بعد تملكه تلك البنادر رتبها وجعل فيها أمراء، وجعل الشريف عبد الله بن شرف في المخا وكان قد أعطي رتبة باشا ومكث هناك أميراً إلى أن توفي بعد سنة، وأما سيدنا الشريف محمد فإنه بعد تملكه البنادر أرسل العساكر إلى صنعاء ومعها معاونه توفيق باشا والسيد إسحاق شيخ السادة ومعهم محمد بن يحيى من أبناء أئمة صنعاء، فتملكوا صنعاء ووضعوا فيها إماماً محمد بن يحيى، ثم بعد أيام ثار عليه أهل صنعاء وقتلوه وقتلوا توفيقاً باشا وبعض العسكر وأخرجوا الباقين، وأما الحديدة وبقية البنادر محمد بن عون، ورجع من سنته وكان رجوع ابنه الشريف عبد الله من بيشة قبل رجوعه، لقضاء بعض أشغال لهما . فحضرا يوماً عند آقة باشا، وكان ذلك في شهر رجب من السنة المذكورة، فأبرز لهما أمراً سامياً من الصدر الأعظم رشيد باشا مضمونه حضورهما مع والدهما سيدنا الشريف محمد بن عون إلى المراكب، وكتب آقة باشا إلى والدهم سيدنا الشريف محمد بن عون بمضمون ذلك الأمر، فامتثل الأمر ونزل إلى جدة وركب مع ولديه في المركب وتوجهوا إلى دار السلطنة.

ولما وصل مولانا الشريف محمد وأولاده إلى دار السلطنة حصل لهم غاية العز والإكرام، وأُنزلوا في المنزل اللائق بهم وأجري عليهم الضيافة اللائقة ثم الترتيب اللائق بهم مدة أقامتهم، وولد للشريف عبد الله بمكة، وهو في دار السلطنة، مولود تركه في بطن أمه سموه شرفاً، كانت ولادته في آخر سنة سبع وستين، وولده لأخيه الشريف علي بدار السلطنة ولده الشريف حسين وكانت ولادته سنة سبعين.([27])

وبهذا انتهت ولاية الشريف محمد الأولى.

الولاية الثانية للشريف محمد بن عون) بن عبد المعين(

بعد أن يذكر الدحلان أخبار عبد المطلب بن غالب([28])، ويذكر الفتنة التي قامت بسبب منع بيع الرقيق، يقول ....:فأقام كامل باشا– والي جدة –الشريف عبد الله بن ناصر) بن فواز بن عون(، قائماً مقام أمير مكة الشريف محمد بن عون وكتب للشريف عبد المطلب أنك معزول وأن الدولة وجهت إمارة مكة للشريف محمد بن عون، وقد أقمنا الشريف عبد الله بن ناصر قائماً مقامه، فلم يقبل منه الشريف عبد المطلب ذلك، وعقد مجمعاً في داره التي في القرارة وأحضر فيه كثيراً من الأشراف والسادة والعلماء وأعيان الناس، وأخبرهم أني إنما جئت بالقبائل لحمايتكم ونصرة الدين، وعقد عهوداً ومواثيق بينهم، وصار أهل الحارات حاملين للسلاح ويعسون في البلاد طول الليل، ثم عن كاملاً باشا جهز عسكراً من جدة بعد ان أقام الشريف عبد الله بن ناصر قائماً مقام أمير مكة الشريف محمد بن عون وأرسله مع العسكر الذين جهزهم إلى بحرة، ومعهم أيضاً راشد باشا الفريق الذي قدم من دار السلطنة، فنصبوا العرضي في بحرة وكتب الشريف عبد الله بن ناصر للأمراء من الأشراف والقبائل وأهالي مكة يخبرهم بحقيقة الحال، ولم يقبل ذلك الشريف عبد المطلب وقال هذا كله تزوير

واختلاق من كامل باشا، وجهز كثيراً من القبائل وأرسلهم مع بعض الأمراءم ن الأشراف وغيرهم لقتال العسكر الذين في بحرة، فهجموا على العرضي ووقع القتال بين الفريقين ثم انهزمت تلك القبائل ورجعت إلى مكة، وتكرر ذلك ثلاث مرات وهم ينهزمون في كل مرة منها، وتكررت مكاتبات الشريف عبد الله بن ناصر لكثير من الأشراف وشيوخ القبائل وبقية الناس، فصاروا يتأخرون عن الشريف عبد المطلب ودخلهم الفشل، وذهب كثير من الأشراف وشيوخ القبائل إلى العرضي في بحرة عند الشريف عبد الله بن ناصر، فصار يكرمهم بالكساوي وعطايا الدراهم، ثم انتقل بالعرضي ([29])إلى الشميسي، فلما تحقق الشريف عبد المطلب أن كثيراً من الناس تخلوا عنه وأخذوا الأمان من الشريف عبد الله بن ناصر عزم على الخروج من مكة والتوجه إلى الطائف، وقال للأشراف ولأهل مكة ومن بقي معه من القبائل :قد أعذرتكم فخذوا الأمان لأنفسكم من الشريف عبد الله.

واستولى عبد المطلب على قلب الطائف وكان فيها عسكر من عساكر الدولة فأخرجهم منها واستولى على القلعة، ثم أمر عسكر الدولة الذين كانوا في القلعة أن يتوجهوا إلى مكة، وكانت الطرق كلها مخوفة لانتشار العربان والقبائل فيها، وكان الأشراف فواز بن ناصر أخور الشريف عبد الله بن ناصر، في بلاد لهم تسمى رحاب ([30])ومعه إخوته وأهله، فخاف على عسكر الدولة الذين أخرجوهم من الطائف أن تتخطفهم الأعراب في الطريق فعارضهم بعد أن خرجوا من الطائف وذهب بهم إلى رحاب وأضافهم وأكرمهم ثم سير معهم من أوصلهم إلى الشريف عبد الله بن ناصر، ثم كتب عبد المطلب إلى) ...وقد تقدمن مثل هذا في ترجمة الشريف عبد المطلب، ولكن إعادته هنا للمناسبة (...الشريف عبد الله بن ناصر : وإني أريد التوجه إلى الطائف وأتجهز منه ثم أتوجه إلى دار السلطنة من طريق البر .ثم توجه إلى الطائف ومعه بعض أتباعه، وكان ذلك في آخر شهر ربيع الأول من السنة المذكورة، ثم سار الشريف عبد الله بن ناصر وراشد باشا ومن معهما من العساكر من الشميسي ودخلوا مكة وأطلقوا المنادي بولاية سيدنا الشريف محمد بن عون إمارة مكة وأمنوا الناس ولم يعاقبوا

أحداً من الناس الذين قاموا في تلك الفتنة، فاطمأنت البلاد وسكنت الفتنة ونصبوا العرضي الذي فيه العسكر الذين جاؤوا معهم في الأبطح، وصار الشريف عبد الله بن ناصر يطلع في الليل يبيت في العرضي في صيوان نصب له هناك ويجلس فيه في النهار أيضاً في بعض الأوقات، وفي بعضها ينزل إلى دار سيدنا الشريف عبد الله بن عون، وصارت أحكام البلد كلها مفوضة إليه، وأما الشريف عبد المطلب فإنه لما وصل إلى الطائف وهو عازم على التجهز والتوجه إلى دار السلطنة من طريق البر جاءه بعض الناس ونقضوا عزمه عن التوجه إلى دار السلطنة وحسنوا له أن يجمع قبائل الحجاز، كبني سعد وغامد وزهران ويجعلهم مع قبائل الطائف، كثقيف وبني سفيان، ويقاتل بالجميع الشريف عبد الله بن ناصر ومن معه ويخرجهم من مكة، فوافقهم على ذلك وترك التوجه إلى دار السلطنة، وأرسل للقبائل المذكورة وجمعهم ودفع لهم أموالاً من عنده وكان في قلعة الطائف.

إلى أن يقول الدحلان ...:([31])وفي تلك الليلة جاء البشير من جدة، بخبر وصول سيدنا الشريف محمد بن عون إلى جدة وكان ذلك في ثامن شعبان، فبات العساكر تلك الليلة في العرضي في فرح وسرور مظهرين الزينة في العرضي حين ورد الخبر إليهم بإطلاق المدافع والصواريخ وغير ذلك، فلما أصبحوا انتشب القتال قليلاًُ ثم انهزمت تلك القبائل هزيمة أقبح من اللتين كانتا قبل ذلك ورجعوا إلى الطائف بعد أن قتل كثير منهم وجئ برؤوسهم إلى مكة، ثم بعد يومين وصل سيدنا الشريف محمد بن عون إلى مكة، ومعه ابنه الشريف علي باشا، وأما ابنه الشريف عبد الله باشا فإنه تأخر في دار السلطنة.

ثم بعد وصول سيدنا الشريف محمد بن عون إلى مكة بأيام تجهز بالعساكر وتوجه بهم إلى الطائف ومعه ابنه الشريف علي باشا والشريف عبد الله بن ناصر وكثير من الأشراف والقبائل، وكان توجههم بعد أن أرسلوا للشريف عبد المطلب يعطونه الأمان وأن يترك القتال، فامتنع وتحصن بالطائف واستعد للقتال، وأمر أهل الطائف بحمل السلاح على مثل الحال

الذي كان سنة ثلاث أربعين، وكان عنده بالطائف بعض من قبائل هذيل وثقيف وبني سفيان ([32])فلما قرب الشريف محمد بالعرضي من الطائف هربوا من الطائف وذهبوا للشريف محمد بن عون، ولما توجه الشريف محمد بالعرضي من مكة في أواخر شعبان ولم يزل سائراً والقبائل تقبل عليه من كل ناحية يعرضون عليه ويطلبون الأمان وهو يؤمنهم ويكرمهم بالضيافة والدراهم والكساوي من الجوخ والشيلان، فلما قرب من الطائف أمر بنصب العرضي في العقيق في الموضع الذي نصب فيه سنة ثلاث وأربعين، وحاصروا الطائف وضربوا عليهم المدافع، ولم يبق عند الشريف عبد المطلب أحد غير أهل الطائف والشريف الحسين بن منصور الشنبري وبعض الأشراف.

وأقام سيدنا الشريف محمد بن عون في مكة بعد هذه الفتنة سنتين والناس في أمن وأمان وسرور، وقدم لمباشرة أكثر الأمور ابنه الشريف علي باشا ومعه الشريف عبد الله.

وفاة الشريف محمد بن عون سنة1274) هـ.(

وفي الثالث عشر من شعبان في هذه السنة توفي سيدنا الشريف محمد بن عون، وانتقل إلى رحمة الله تعالى بعد أن مرض أياماً، رحمه الله تعالى، وعمره نحو السبعين، ودفن في قبة السيدة آمن والدة النبي بجانب قبرها، وخلف ستة من الذكور وهم :عبد الله وعلي وحسين وعون وسلطان وعبد الله([33])، وكلهم في غاية الفطنة والنجابة والكمال، وخلف أربع من الإناق، فملا توفي أقام نامق باشا الشريف علياً باشا وكيلاً للإمارة إلى أن يأتي الخبر من دار السلطنة.

وهكذا لما أن السيد أحمد بن زيني، دحلان كان معاصراً للشريف محمد بن عبد المعين، يسمع ويرى الحوادث في عهده، عولنا عليه بالقسم الأكبر من ترجمته، ولكن الدحلان ليس

المعاصر الوحيد للشريف محمد فقد عاصره كاتبان أحدهما :ابن بشر، مؤرخ نجد، والآخر : جندي فرنسي، كان ضمن حملة محمد بن عبد المعين على عسير.

أما ابن بشر فكانت حياته استوعبت كل حياة الشريف، فقد حج سنة1225) ه (ومات سنة1288) ه (رحمه الله، وهذا يعني أنه عرف مكة قبل ولاية محمد بنحو (18) سنة وعاش بعده بأربعة عشر سنة.

ولكنه في نص هنا خالف الدحلان، إما لعدم توفر ما توفر للدحلان لديه، وهذا ما أرجحه حتى لا نتهمه بالهوى، أو الأخرى، والله أعلم.

يقول ابن بشر :([34])

وفي هذه السنة، أي سنة1263) ه1847 /م ([35])(ظهر الشريف محمد بن عون إلى نجد، وكان سبب ذلك أنه كان عند الشريف في مكة أناس من رؤساء أهل القصيم وكان فيهم عداوة قديمة لآل سعود وأتباعهم فزينوا له أنه إن سار إلى نجد لم يثبت له فيصل، فطمع الشريف في ذلك وخرج من مكة ومعه خالد بن سعود يريده وسيلة لبغيته، ومعه عساكر من الترك وقصد القصيم فقدمه في ربيع الآخر، وأطاع أهل القصيم كلهم، ووفد عليه كثير من رؤساء العربان منهم شقير بن محمد الدويش وكاتبه أناس من رؤساء البلدان، فلما علم بذلك فيصل استنفر رعيته من أهل العارض والجنوب والمحمل وسدير وغيرهم وأمر على ابنه عبد الله أن يركب من الرياض وجهز معه الخيل والرجال فخرج منه في جمادى الأولى وقصد ناحية سدير ونزل المجمعة وتكاملت عليه جنوده فيها، فلما عليم الشريف بذلك داخله الفشل لأن الأعداء زينوا له أنه ما يخرج من مكانه، فأرسل الشريف إلى فيصل بن عبد الله ابن لؤي يطلب الصلح، فقدم إليه في الرياض وقال له :إن الشريف يريد أن يركب إليه واحد من

إخوتك بهدية تكسر عنه ظاهر الفشل، فجهز أخاه عبد الله ومعه محمد بن عبد الله بن جلاجل في عشرين رجلاً ومعهم ثمان عمانيات وأربع من الخيل، فقدموا إليه وهو في عنيزة فأكرمهم وأخذ هديتهم، ثم إن أهل الأهوى والمثيرون للفتن أشاروا عليه برد الهدية ليعلم أهل نجد بقوته وأنه لا يعطي الدنية حتى يكاتبونه ويفدون عليه، فأرسل الشريف إلى عبد الله، ومحمد بن جلال عبد الله فرساً، ثم ركبوا من عنده، فلما جاوزوا البلد خلع عبد الله كسوته ورد إليه فرسه وقال للرسول :إنه لم يقبل هديتنا ونحن لا نقبل هديته، فلما قدموا بلد شقرار تلقاهم أهلها بالإكرام، واتفق رأيهم أنهم يرسلون الخبر لفيصل ولا يقدمون عليه فكتبوا له بالخبر، فحين قرأ كتابهم أمر بالمسير وكتب إلى ابنه عبد الله أن يرحل بالمسلمين من المجمعة ويقصد بلد شقرا، فرحل إليها ونزلها فتلقاه أهلها وأكرموه، ثم إن الإمام ركب من الرياض بأهل الخرج والجنوب والعارض من غير غزوهم الذين مع عبد الله ونزل الشمس، الماء المعروف قرب الوشم، فلما علم الشريف بذلك داخله الفشل وحل به الرعب والوجل وقنع باليسير بعد الكثير وشتم المعين والمشير، وأرسل مرسوله ابن لؤي إلى فيصل ثانياً للمصالحة الأبدية والمسالمة المرضية، وكان فيصل حفظه الله تعالى من أخلاقه أنه يقبل على من أقبل عليه، كثير الشفقة على الرعية سالم القلب من الغش للبرية، فكتب إلى الشريف :إن ذلك عندنا الإجلال والسماحة والاحتمال وقولك مقبول وما طلبت فهو مبذول، بشرط أنه ليس لك في رعيتنا نهي ولا أمر لا في القصيم ولا في العربان، ولا في غيرهم، وإنك تدفع إلينا ما وصل إليك من مراسلات أهل نجد، فأعطاه ما أراد .ولم يزل الشريف يسب من أهواه ومن أشار عليه بمسيره وممشاه، وأرسل إليه الإمام هدية سنية من الخيل والعمانيات ودراهم ليست بكثيرة، فأخذها ورحل من القصيم في النصف من رجب، فلما وصل الحيد إذا أن الرحمان من عربان مطير قاطنين عليه فأخذهم وقتل منهم رجالاً وأخذ العسكر جملة من نسائهم، وكانوا هم أول من وفد عليه فجازاهم بما فعل، ثم أن الإمام أمر على ابنه عبد الله أن يسير بمن معه من المسلمين ويغير على عربان مجتمعين على البناع، الماء المعروف عند القويعية

من آل شامر ([36])وغيرهم، وكان قد كثر منهم الأذى على المسلمين، فصبحهم في مكانهم وأخذ جميع أموالهم وقتل جملة من رجالهم، وقفل الإمام بجنوده إلى الرياض.

هذا قول ابن بشر، ولا يخفى على القارئ الحصيف أثر دغدغة الهوى، والتحامل، ولكن لم يسعنا تجاهله، فالتأريخ أمانة، والمؤرخ قاض، والقاضي العادل لا يتجاهل شيئاً مما يقال في القضية.

الحملة على عسير سنة

1249)هـ1834 /م(

قام الشريف محمد بن عبد المعين بحملة على عسير، حسب التأريخ أعلاه، فسار بها سير الخبير في الديار، وهذا الجندي الفرنسي أحد جنود الحملة) موريس تاميزيه (يحدثنا عنها حديث المشاهد المقاتل، فوصف طريق الحملة، فقال :إنها ([37])أخذت من الطائف على تربة ثم صدور الأودية ذات المياه إلى بيشة، فتزوج الشريف في بيشة ابنة الشيخ علي الصُّعيري صاحب بيشة، ثم تزوج) نفلاء (بنت شعثان بن مرعي ([38])شيخ ذعى وبني قيس من شهران، ثم تزوج شقيقة زوجة ابن مجثِّل شيخ قبائل عسير.([39])

وأثناء الطريق لمت عليه قبائل كثيرة تخير منها ما يحتاج إليه، وذكر موريس أن القوة كانت تبلغ (16800) بما فيها (6000) من متطوعة العرب .ثم خرجت القوة من بيشة إلى خميس مشيط، لتأتي أبها من نجدها، وهي أرض مستوية نسبياً، وفي كل هذه المراحل لم يصد الجيش، وكان من مغاوير مقدمة الجيش الشريف منصور، أمير بلاد غامد وزهران.

ولما اقترب الجيش من خميس مشيط حدثت له مناوشات، ولكنه تقدم حتى احتل أبها، ولجأ العسيريون إلى الجبال الغربية، حيث قلاعهم المنيعة في) السُّقا (و) طبب (وغيرها، ثم جرت مفاوضات بنيهم وبين الشريف محمد، وتم الصلح .وموريس يتهم الشريف بالميل مع قومه العرب على محمد علي والروم، ولعل في قوله بعض الصواب .وينص موريس بان الجيش قسم بعد ذلك، فجزاء أَتْهَمَ، وجزء عاد مع الشريف إلى مكة، ولم يقل- وهو الأجنبي ذو الآراء الكثيرة -إن الجيش قد هزم.

ومن هذه الحملة، وحملته على نجد، تستطيع أن تعرف في هذا الأمير:

-1عدم قسوته على بني قومه لصالح الترك.

-2ميله للمصانعة والاعتدال.

-3تألفه لقومه .من علامات ذلك :

)أ (مصادقة كثير من شيوخهم، تلمح ذلك من ثنايا تأريخه.

)ب (أنه تزوج، في بني شهر، وبيشة، وعسير، فأصبح جل سكان إقليم عسير أصهاره.

هذه لمحة من تلك الرحلة عن هذه الحملة، ولم يكن الكتاب مفهرساً، فلم أستطع الاستفادة منه كاملة.

وصف موريس للشريف محمد:

قال :يبغ طول ابن عون خمسة أقدام وسبعة إنشات، أي 67 إنشاً أي بوصة =2.5 × 67 : 167.5سنتي، وهذا يسمى عند العرب) مربوع القامة .(ثم يقول :جميل الطلعة، أطرافه القوية ومشيته المملوءة بالفخر تنم عن قوة تركيبه، له لحية سوداء([40])، كثة عند الذقن، له عينان سوداوان..

إلى أن يقول :وله أسنان جميلة تشبه العاج، وله فم متوسط وابتسام ذكية ماكرة، دائماً مرتسمة على شفتيه، وعندما يتكلم فإن إيماءاته دائماً تسبق حديثه، وتجعل الإنسان يخمن أفكاره مقدماً .ويغطي رأسه بكوفية ([41])جميلة مظللة بالأحمر ([42])والأصفر والأخضر، ممزوجة بألوان مزركشة، مموجة بالحرير .وفوق كل ذلك يلبس عمامة كبيرة بيضاء مصنوعة من الكشميري الهندي .ويلبس عادة سترة طويلة حمراء([43])، وثوباً طويلاً مخططاً باللونين الأحمر والأخضر، يصل إلى القدمين، وتحته رداء من الموسلين الجميل، ويحتزم حول وسطه بشال رائع تشع منه جنبيَّة مذهبة، وحول الكتف سيف فارسي معلق على الطريقة العثمانية، يكمّل هذا الزي الرائع، ويمل ابن عون عصا معقوفة.([44])

ويعلق المترجم، وقد سبقه الدحلان فيما قدمنا، بأن الحملة قد هزمت، والواقع أن الحملة لم تهزم، فقد استمرت حتى أجلت العسيريين عن أبها، وكيف يكون قائد مهزم ويتزوج قريبة أمير البلاد بعد أن استولى على عاصمتها، ولكن موريس– كما قدمنا –يتهم الشريف بأنه عقد صلحاً مع العسيريين لصالحهم .واسمع موريس يقول :وصلنا ذلك اليوم إلى) مناظر(، هي جزء من أبها اليوم، وهي القرية التي اتخذها الأمير علي عامة له، وهناك أقمنا معسكرنا .ثم يذكر موريس ([45])نص اتفاقية، ليس فيها هزيمة، ولكن صلحاً العسيريين، وبها انتهت الحرب.

أما صاحب عقد الدرر([46])، فلما ذكره فلم يزد أن قال :وفي الثالث عشر من شعبان من السنة المذكورة) أي1274 هـ (توفي الشريف محمد بن عبد المعين، وساق نسبه إلى أبي نمي، وذكر أبناءه الستة، وهو في ذلك– فيما يبدو –ناقل عن خلاصة الكلام ([47])إنما أوردناه كشيء من الاستيفاء.

ثم علق محقق الكتاب على هذا النص بإضعافه، نقلاً أيضاً عن خلاصة الكلام، ولكنه أخطأ مرتين :مرة حين لم يذكر مرجعه، وكأن نصه هذا أصل، ومرة ثانية عندما ارتكب بعض المغالطات فيما أورده.

السباعي :وعندما عدت لكتاب السباعي، وجدت أن ما فيه أخذ إما عن خلاصة الكلام، أو عن إفادة الأنام ([48])وهو أيضاً مأخوذ عن خلاص الكلام .وبالجملة إن كل ترجمة هذا الشريف ما أخذ منها إلا من خلاصة الكلام، باستثناء رحلة موريس، وأعجبتني شهادة السباعي، حين قال :وكان محمد بن عبد المعين من محبي العلم والنظام، وكان يميل إلى العدل، كما كان مجلسه يضم كثيراً من رجال الفضل والأدب، وكان يشجع الشعراء ويجيزهم بالمكافآت.

وفي مكان آخر، أكد السباعي– ([49])ولعله عن خلاص الكلام –ذلك الجعل الذي ضربه في عام1263) هـ (على أمير الرياض، وقدره عشرة آلاف ريال،) لعله مجيدي عثماني.(

وشاهدنا هنا أن كتاب السباعي طبع أربع مرات، ولو كان هذا الكلام غير صحيح،– كما تخبط ابن بشر فيه –لما مررته الرقابة السعودية كل هذه الطبعات.

خلاصة ترجمة الشريف محمد بن عبد المعين

-1تولى إمرة مكة مرتين :مجموعهما (27) سنة.

-2بإجماع مؤرخيه، ولعلهم كلهم أخذوا عن خلاصة الكلام، أن له ستة من الأبناء وأربع من البنات.

-3أنه عاش (70) سنة، كما هو موضح في طرة ترجمته.

-4أنه تزوج عدداً من النساء لا يقل عن ست نساء، والظن أنهن أكثر (4) .نساء من إقليم عسير، منهن صالحة بنت غُرْم العسبلي شيخ بني شهر، أم علي والد الحسين بن علي . وبنت ابن الصعير شيخ بيشة([50])، وأخرى مرت معك، شهرانية أو قحطانية، من خميس مشيط، وأخت زوجة ابن مُجَثِّل أمير عسير، أثناء استيلاء الشريف على أبها .هؤلاء أربع.

وكنت ذات مرة عند الشيخ حمد الجاسر في بيروت، ورأيت أم محمد بالصدفة، فإذا هي لا تشبه نساء نجد، فرآني ساهماً أفكر، ولا والله ما في الأمر ريبة، فالشيخ كان في السبعين، وظهرت امرأته حول الخمسين، وكان الشيخ يعرف شيئاً عن فراستي، وكثيراً ما مازحني في شيء منها، وكأنه عرف ما يجول في ذهني، فجر الحديث إلى الأنساب، وفاجأني بقوله :أم محمد– زوجته –خوالها الأشراف، كان محمد بن عون استولى على الوشم ([51]) فتزوج من العناقر، أمراء الوشم، ثم طلقها وعاد إلى مكة، وكانت حاملاً فوضعت بنتاً، فزوجها العناقر رجلاً منهم .فجاء من يخبر إخوانها الذين أصروا على طلاقها، باعتبار الشريفة لا يتزوجها إلا شريف، وكانت قد وضعت بنتاً هي أم زوجتي هيلة هذه.

فحسبنا فإذا لمولد تلك البنت قبيل وفاة أبيها عام1274) هـ (مائة وعشرين، إذ نحن في سنة 1395)هـ1975 /م (وثلاثة أشخاص في مائة وعشرين سنة أمر مألوف.

فهؤلاء خمس نساء، غير أمهات أو أم بنية الخمسة، غير علي، وإلى الآن لم يصل إلى علمي شيء عن أمهات أولاده.

-5أورد الدحلان- كما تقدم وتابعه من جاء بعده -أن أبناء محمد بن عبد المعين اولهم عبد الله، وآخرهم عبد الله أيضاً !فكيف يكون هذا.!

هذا شيء قد لا يستعمله إلاّ أهل الحجاز، فهم يسمون) عبد الله (ويسمون أخاه) عبدِ الله (بكسر ما قبل لفظ الجلالة، وترقيق لفظ الجلالة، وهذا شائع عندهم ولا يجدون عسراً أو لبساً في فهمه، ولكن إذا كتب وقع الالتباس، فعمدوا إلى كتابته هكذا) عَبْدِ اله (وليس هناك معبود اسمه) إلَّه(، ويبدو أن هذا الشريف تنبه إلى هذا الغلط وغير اسمه إلى) عبد الإله (وهو ما عرف فيما بعد، وبه نترجم له إن شاء الله.([52])

والدحلان عندما كتبه) عبد الله (يعرف أنه هو اللفظ الصواب، ولكنه لم يفسره، وله عند عامة العرب نظائر، فتهامة اليمن يسمون) مثحَمّد (وأخاه) مِحِمَّد !(وأهل المغرب يسمون)مُحمّد (و) إِمْحَمَّد(، ويسمون) قويدر (و) إقويدر (وهكذا.

112-الشريف عبد الله باشا 1294 - 1237) هـ1877-1822 = م :(

الشريف عبد الله باشا ابن الشريف محمد بن عبد المعين بن عون .وتقدمت ترجمة أبية قبل هذا.

كان ذا علم، رزيناً، إدارياً، حازماً .ترجم له معاصره، السيد أحمد زيني دحلان، فقال :([53])

ذكر ولاية سيدنا الشريف عبد الله باشا سنة1274) هـ.(

ولما بلغ الخبر بالوفاة ([54])دار السلطنة وجهت الدولة إمارة مكة لابنه مولانا الشريف عبد الله، وقد تقدم ذكر بقائه هناك بعد مجيء والده إلى مكة، وأنه وجهت له رتبة الوزارة وجعل من أعضاء المجلس الخاص، وزيادة على ذلك اشتهر عند رجال الدولة بكمال العقل وحسن التدبير ومعرفة الأحكام، وكان قد قرأ في علم النحو وصار له به دراية، واشتغل كثيراً بمطالعة كتب العلم من التفسير والحديث والفقه والأدب، واقتنى من الكتب شيئاً كثيراً، وكان يكثر في مجلسه من مذاكرة العلم والأدب ويحضر في مجلسه كثير من العلماء والأدباء في كثير من الأوقات، وكان يحبهم ويعظمهم ويكرمهم ويقضي حوائجهم .وكان توجيه الإمارة له في شهر رمضان بعد

عبد الله بن محمد ابن عون

مجيء خبر وفاة والده، ومكث في دار السلطنة بعد توجيه الإمارة له شهوراً لقضاء مهماته وتوجه إلى مكة في شهر ربيع الأول سنة خمس وسبعين، ودخل مكة في موكب عظيم وفرح الناس بولايته وصارت له هيبة في قلوب الأشراف والعربان وكافة الناس لعلمهم بدرايته وحسن سياسته حين كان قائماً مقام والده في الولاية الأولى، ولما قدم جاء معه بميزاب للكعبة محلى بالذهب لم ير الراؤون أحسن منه، بعثه السلطان عبد المجيد وأرسلوا القديم إلى دار السلطنة.

ذكر فتنة جدة سنة1274) هـ(

وينبغي أن نذكر هنا الفتنة التي كانت بجدة قبل وصوله من دار السلطنة وكانت بعد وفاة والده، لأن الفتنة المذكورة كانت في السادس من ذي القعدة سنة أربع وسبعين، وملخصها إجمالاً أن صالحاً جوهراًَ، أحد التجار بجدة، كان له مركب منشور فيه بنديرة الإنكليز، والبنديرة هي البيرق، فأراد أن يغيرها ويجعل فيه بندير من بنديرات الدولة العلية، فسمع بذلك قنصل الإنكليز، فمنعه من ذلك فلم يمتنع وأخذ رخصة من نامق باشا، فأذن له بوضع بنديرة الدولة العلية وكتب له منشوراًَ بذلك فوضعه ونشرها وأزال بنديرة الإنكليز، فطلع قنصل الإنكليز البحر ودخل المركب المذكور وأنزل بنديرة الدولة التي نشرت ونشر بنديرة الإنكليز، وشاع أنه لما أنزل بنديرة الدولة وطئها برجله وتكلم بكلام غير لائق، فغضب لذلك المسلمون الذين في جدة، فهاجوا هيجة عظيمة وقصدوا دار القنصل وقتلوه، وثار من ذلك فتنة عظيمة قتلوا فيها غيره من القناصل الموجودين ومن كان بجدة من النصارى ونهبوا أموالهم، وأرادوا أن يقتلوا فرج يسر، أحد التجار المشهورين بجدة، لكونه كان محامياً عن قنصل الإنكليز ومعدوداً من رعيتهم فاختفى، فأراد عوام الناس أن ينهبوا داره فمنعهم من ذلك عبد الله نصيف، وكيل مولانا الشريف محمد بن عون بجدة، وكان نامق باشا بمكة

والشريف علي باشا القائم مقام الإمارة كان قد توجه إلى المدينة المنورة لمقابلة الحج، فما جاء خبر هذه الفتنة لنامق باشا اهتم لذلك ثم توجه إلى جدة وسكن الفتنة وقبض على بعض الناس الذين نسب لهم القتل والنهب ووضعهم في السجن، وأرسل إلى الدولة العلية يخبرهم بما وقع في هذه الفتنة وطلع إلى مكة لأداء الحج، فلما كان الثالث من أيام التشريق والناس بمنى جاء الخبر من جدة بأنه جاءهم مركب حربي للإنكليز وصار يرمي بالمدافع المحشوة بالقلل على جدة، فخرج كثير من الناس من جدة هاربين بنسائهم وأولادهم وأموالهم ركباناً ومشاة، فانزعج الناس من ذلك انزعاجاً شديداً، فلما فرغ الناس من أداء مناسك الحج ونزلوا من منى عقد نامق باشا في ك مجلساً في ديوان الحكومة أحضر فيه كثيراً من العلماء والتجار وأعيان الناس، وأحضر كثيراً من تجار جدة الذين قدموا مكة لأداء الحج، وكانوا حضروا وقوع الفتنة حين وقعت بجدة، وأخبرهم بمجيء المركب الحربي الذي جاء من الإنكليز ([55])وبضربه القلل على جدة وبخروج كثير من الناس منها وقال لهم :القصد المشاورة معكم فيما يحصل به تسكين هذا الأمر .فقال له كثير من الحاضرين :إن الإسلام لله الحمد قوي وأهله كثيرون، وذكروا له عدد قبائل الحجاز مثل هذيل وثقيف وحرب وغامد وزهران وعسير، وإنكم لو تعطون الناس رخصة ينفرون نفيراً عاماً فيجتمع من ذلك الألوف بل اللكوك ([56])فيدفعون تعدي الإنكليز ولا يرضون أن يقع عليهم هذا الذل، فقال لهم نامق باشا :هذا العدد الذي ذكرتموه من قبائل العرب صحيح بل يوجد مثله أضعافاً مضاعفة، لكن إذا اجتمعت هذه القبائل غاية ما يقدرون عليه إنهم يصلون إلى مكة وجدة وبعد ذلك يدفعون هذا المركب عن جدة، فيحصل من الإنكليز وغيرهم من النصارى تسلط على بقية مدائن الإسلام ويجتمعون على محاربة الدولة العلية، وليس عند هؤلاء القبائل التي اجتمعت قدرة على الدفع عن بقية مدائن الإسلام، لأنه ليس عندهم مراكب يعبرون فيها ولا ذخائر ولا جبخانات ولا مدافع، ولا شيء مما يحتاجون إليه، وأيضاً مرادنا دفع هذا الضرر الآن، ولا يجتمع هؤلاء القبائل إلا بعد مدة طويلة، فلا بد من التدبير الآن في دفع هذا الضرر بالسرعة .فقال بعض التجار الحاضرين :يأذن لنا أفندينا في تغريق هذا المركب الحربي

الذي جاء يرمي بالمدافع المشحونة بالقلل على جدة، فغن كثيراً من أهل البحر الموجودين تحت أيدينا لهم معرفة وصناعة بتغريق المراكب، يأتونها من تحت الماء ويغرقونها ببرامات يجعلونها في المراكب .فقال لهم :ليس هذا صواباً، فإنكم إذا أغرقتنم مركباً يأتيكم بعدة عشرة مراكب، وإذا أغرقتم العشرة يأتيكم مائة، وهكذا يتسلسل الأمر ولا يزول الضرر، وأيضاً ربما يتركون جدة ويتوجهون إلى إضرار بقية مدائن الإسلام، وإنما الأحسن في تدبير هذا الأمر إنا نتداركه باللطف وحسن السياسة بان نتوجه إلى جدة، أنا وكثير من أعيانكم، ونجتمع بقبطان هذا المركب ونعقد معه أمراً يندفع به الضرر .فاستحسنوا رأيه (فتوجهوا إلى جدة، وأخذ معه رئيس العلماء الشيخ جمال شيخ عمر ومعه من العلماء الشيخ صديق كمال والشيخ إبراهيم الفتا والشيخ محمد جاد الله وشيخ السادة السيد محمد بن إسحاق بن عقيل وتجار جدة الذين كانوا جاؤوا الحج، فلما وصلوا إلى جدة صار اجتماعهم بالبقطان المذكور وعقدوا مجلساً صار القرار فيه على أنه يصير تحقيق هذه القضية ويحصل الانتقام ممن وقع منه التعدي في هذه الفتنة، ويكون ذلك بعد رفع الأمر إلى الدولة العلية وانتظار الجواب منها بما تأمرون به، ورضي الجميع بذلك وكتبوا به مضبطة وختموها بأختامهم، فلما كان أواخر شهر محرم من سنة خمس وسبعين وصل إلى جدة مأمورون من طرف الدولة ومعهم أناس من كبار الإنجليز والفرنسيس، وكان نامق باشا بجدة فعقدوا مجلساً معه واتفقوا على أنهم يحضرون الناس المتهمين في إحداث هذه الفتنة ويقررونهم ويستنطقونهم .كل واحد وحده، حتى يقفوا على حقيقة الأمر ويعرفوا الذين قتلوا والذين نهبوا والذين هيجوا، فلما تم قرارهم على ذلك صاروا يعقدون مجالس لا يحضر فيها نامق باشا وإنما يحضر هؤلاء المرخصون الذين جاؤوا مرسلين من الدولة ومن الإنجليز والفرنسيس، وصاروا يقبضون على كل من صارت عليه تهمة ويحبسونه في موضع وحده .ثم يحضرون كل واحد منهم وحده ويسألونه ويستنطقونه بغاية التلطف والتعظيم والتبجيل، ويحتالون عليه بكل حيلة ويكتبون كل ما يقول، فكان ملخص تلك الاستنطاقات أن أهل جدة الذين هاجوا في الفتنة وحصل منهم القتل والنهب قالوا :إنما كان ذلك منا بأمر من التجار وقاضي جدة الشيخ عبد القادر شيخ والأعيان، وسموا أناساً منهم، وقال

الحضارم :أمرنا بذلك شيخ السادة السيد عبد الله باهارون وكبير الحضارم الشيخ سعيد العامودي، وقال شيخ السادة وسعيد العامودي وقاضي جدة وبقية التجار والأعيان :إنما كان ذلك منا بأمر من عبد الله المحتسب، وقال عبد الله المحتسب :إنما كان ذلك مني بأمر من إبراهيم أغا القائم مقام نامق باشا .هذا ملخص استنطاقاتهم، فإنها تتضمن الاعتراف بما وقع والاعتراف بأنهم تسببوا في ذلك إلا أنهم أسندوا ذلك لسعيد العامودي وعبد الله المحتسب والقائم مقام نامق باشا، وكان نامق باشا وهو بجدة يرسل إليهم سراً ويقول لهم :الحذر أن تقروا بشيء من ذلك فإنه يصير عليكم ضرر كثير .فلم يمتثلوا ذلك بل أقروا بذلك، وسببه أن المرخصين الذين حضروا من الدولة والإنكليز والفرنسيس كانوا يتلطفون بهم ويعظمونهم ويحتالون عليهم بكل حيلة، ويقولون لهم :أخبروا بالواقع ولا يحصل لكم ضرر، ويسألون كل واحد وحده، فإذا نطق بشيء مخالف للواقع يقولون له :إن فلاناً وفلاناً أخبر بما هو كذا وكذا وذلك يخالف ما تقول، ولا يزالون به حتى يطابق كلامه كلام غيره، فلما انتهت الأسانيد كلها إلى إبراهيم أغا القائم مقام نامق باشا أحضروه وسألوه، فأنكر جميع ما نسبوه له وكذبهم ولم يقر بشيء، فاحتالوا عليه بكل حيلة فلم يقر شيء فحسبوه في موضع وحده ثم حكموا عليه بالنفي مؤبداً، ثم بحثوا أيضاً عن الأشخاص الذين حصل منهم القتل والنهب فعرفوهم وحبسوهم، ثم تشاور هؤلاء المرخصون المرسلون من الدولة العلية ومن الإنجليز والفرنسيس فيما بينهم واتفقوا على أنه يقتل عبد الله المحتسب وسعيد العامودي ونحو اثني عشر نفساً من عوام الناس الذين وقع منهم القتل، وأنه ينفى من جدة شيخ السادة وقاضي جدة وبعض التجار، بعضهم مؤبداً وبعضهم إلى مدة مؤقتة ويحبس كثير من الذين وقع منهم النهب بعد أن أحضروا كثيراً مما أخذوه، وإن ما بقي من الأموال المنهوبة يأخذون قيمته من الدولة العلية .فلما تم قرار مجلسهم على ذلك كتبوا به مضبطة وختموها بأختامهم وأعطوها لنامق باشا وطلبوا منه تنفيذ ذلك على ما جاءوه به من الأمر من الدولة، فإنهم جاءوه بأوامر فيها الأمر له بتنفيذ ما يتفقون عليه فنفذه .فأخرجوا عبد الله المحتسب وسعيد العامودي من الحبس وقتلوهما في سوق جدة على رؤوس الأشهاد، وقتلوا الإثني عشر الذين

من عوام الناس خارج جدة، وكان ذلك اليوم يوماً مهولاً في جدة اشتد فيه الكرب على جميع المسلمين، ثم نفوا من حكموا عليه بالنفي، فمنهم من قضى السنين التي أفتوها له ورجع إلى جدة، ومنهم من مات ولم يرجع إليها.

فمن الذين رجعوا الشيخ عبد القادر شيخ قاضي جدة والشيخ عمر بادرب والشيخ سعيد بغلف، ومن الذين لم يرجعوا وتوفوا وهم منفيون السيد عبد الله باهارون والشيخ عبد الغفار والشيخ يوسف باناجه رحمهم الله تعالى، وقبضوا من الدولة قيمة بقية الأموال المنهوبة وكان شيئاً كثيراً .هذا ملخص تلك الفتنة باختصار، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فإن هذه القضية كانت من أعظم المصائب على أهل الإسلام .وكان قدوم سيدنا الشريف عبد الله المتولي إمارة مكة بعد تمام هذه الأمور كلها، وكان تأخره بدار السلطنة إلى هذه المدة لأجل أن لا يناله شيء من الدخول في هذه القضية ولا يمكنه المعارضة لما يتفقون عليه، ولما وصل إلى جدة كان هؤلاء المرخصون، الذين حضروا لتحقيق هذه القضية من الدولة والإنكليز والفرنسيس، موجودين بجدة لم يسافروا، فحضروا عنده يوم وصوله جدة للسلام عليه وقالوا له :صرنا ممنونين بقدومك إلى جدة قبل أن نسافر، لأنا نريد الوصول إلى مكة للتفرج عليها، وخشينا أن يمنعنا أهل مكة من دخولها، ولما حضرت أنت تحقق عندنا أن نتمكن من ذلك ولا يستطيع أحد أن يمنعنا لأنك أنت الأمير المطاع النافذ الأمر .قال :إنهم لما طلبوا مني ذلك تحيرت، ولا يقبلون مني في الجواب أني أقول لهم إن ذلك ممنوع في شرعنا، ولا يرضى المملون بذلك، فألهمني الله لهم جواباً عقلياً إقناعياً فقلت لهم :أنتم رأيتم صورة مكة في الخرائط والجغرافيات ليس فيها بساتين ولا أنهار ولا شيء من الزخارف وإنما هي واد غير ذي زرع بين الجبال، فلو أتيتم إليها ما تكسبون شيئاً زائداً عما علمتوه من صورتها التي رأيتموها في والجغرافيات، فأرى أن وصولكم إليها تعب لكم بلا فائدة .فقنعوا بهذا الجواب وأعرضوا عن طلب الوصول إليها وتوجهوا إلى دار السلطنة، وكان سيدنا الشريف عبد الله باشا لما قدم

أميراً على مكة معه هارون من الدولة يسمى زكي باشا في مرتبة فريق، وفي سنة ست وسبعين غزا غزوة إلى الشرق لقمع بعض المخالفين وعاد منصوراً مظفراً.

قال مؤلفه– غفر الله له :–إنما أوردت قصة تلك الفتنة بنصها لسببين :أولهما :كونها وقعت في ولاية الشريف عبد الله بن محمد .والثاني :يتعظ من يجيء بعدنا ويعلم أن ما جرى على سلفه ليس بعيداً عنه .

البقرة.[120]:

ويتابع الدحلان:([57])

وفي سنة سبع وسبعين توجه سيدنا الشريف عبد الله إلى المدينة لمقابلة سعيد باشا والي مصر، ابن محمد علي باشا حين جاء للزيارة، ثم لما رجع إلى مصر توجه معه إلى مصر ورجع إلى مكة في شهر شوال من هذه السنة.

ويقول الدحلان :وفي هذه السنة، أي1279) هـ ([58]) (ولد لسيدنا عبد الله ابنه محمد، وأحضرني في التسمية، فسميته محمداً.

وفي سنة1281) هـ :(كان مسير سيدنا الشريف عبد الله لقتال عسير وأميرهم محمد بن عائض لأنهم تجاوزوا الحدود واستولوا على بعض محاكم الدولة، وصدر الأمر من الدولة العلية

لإسماعيل باشا والي مصر بأن يرسل عساكر من مصر لإعانة مولانا الشريف عبد الله على قتالهم، فامتثل الأمر وأرسل عساكر كثيرة ونزلوا على القنفذة، وتوجه سيدنا الشريف عبد الله بمن معه من العساكر التي في مكة على طريق الليث، ثم وصل إلى القنفذة وجعل العرضي في ناحية المخواة والأحسبة([59])، وأرسل إليه عسير، وأميرهم محمد بن عائض، يطلبون الصلح فامتنع وترددت الرسل بينه وبينهم في ذلك، وبينما هم كذلك إذ جاءته مكاتيب من إسماعيل باشا والي مصر بطلب استرجاع عساكره بالسرعة، ولم يمهل في تأخيرها، وتكررت منه تلك المكاتيب، فلما رأى الأمر كذلك عقد الصلح مع عسير وأميرهم واشترط عليهم أن لا يتجاوزوا محاكمهم فقبلوا ذلك، فأرسل العساكر المصرية إلى مصر ورجع إلى الطائف من طريق الحجاز بعد أن أقام مدة في بلاد غامد.

وفي سنة خمس وثمانين غزا سيدنا الشريف عبد الله ناحية الشرق ووصل إلى رنية لتأديب بعض القبائل ورجع منصوراً مظفراً.

ذكر فتنة حوا([60])

وفي سنة ثمان وثمانين في مدة خورشيد باشا وقعت فتنة بمكة تسمى فتنة حوا كانت بين الأهالي والعسكر، كانت في شهر صفر من السنة المذكورة، كان سببها هذا الشخص المسمى حوا، تضارب مع بعض العسكر في سوق المعلى فثار لذلك أهل السوق واقتتلوا مع العسكر، ثم انتشرت الفتنة في أطراف البلد من غير أن يعلموا السبب فيها وقتل بعض العسكر وعزلت الأسواق، فركب سيدنا الشريف عبد الله بنفسه ومعه بعض أتباعه وخرج إلى السوق وأطراف البلد، وسكن الفتنة ثم قبضوا على كثير من عوام الناس الذين كانت منهم تلك الفتنة وحبسوهم ثم قرروهم بالاستنطاق، وعقدوا لذلك مجالس حضرها مولانا الشريف وخورشيد

باشا والقاضي والمفاتي وكثير من العلماء وحكموا على كل من ثبت عليه شيء بمقتضاه، وحكموا على بعضهم بالنفي سنين مؤقتة واطمأنت الناس وزالت الفتنة.

وفي سنة ثمان وثمانين في رمضان توفي الشريف شرف ابن سيدنا الشريف عبد الله بالطائف، وكان قد قرأ كثيراً من العلوم ونجب فيها، فحزن عليه حزناً كثيراً رحمه الله تعالى وعمره نحو اثنتين وعشرين.

يقول الدحلان :

وفي سنة1294) هـ (استحسن سيدنا الشريف عبد الله أن أهل مكة يتعلمون حركات العساكر النظامية وكيفية رميهم بالبندق، فصدر الأمر منه بذلك لأجل إرهاب الروسية وإظهار الاستعداد لهم، فامتثل الناس ذلك واحضروا لهم البنادق وصار يعلمهم بعض العساكر النظامية الموجدة بمكة، فتعلم كثير من الناس في أقرب زمن، وكان ذلك في أول سنة أربع وتسعين واستمر التعليم نحو أربعة أشهر ثم تركوا ذلك.

وباستقراء مؤلفات من جاء بعد الدحلان وجدناهم– وعلى رأسهم السباعي –قد لخصوا فقط ما رواه الدحلان، ولا غزو، فالدحلان عاصر عبد الله من نشأته إلى وفاته .وعندما عصى العسيريون سنة1281) هـ ([61]) (أرسل المؤيدون للدولة رسالة إلى الشريف عبد الله يستحثونه على القدوم لنصرتهم، فلما أبطأ عليهم، كتبوا إليه.([62])

إذا كان يمنعك حر المصيف

وكرب الخريف وبرد الشتا

ويلهيك حسن نبات الربيع

فأخذك للعلم قل لي متى

فأرسل إليهم بنظم شاعره زين العابدين :

أيا من تباطئ وصولي إليه

أتيتك فاقرأ في هل أتى

فإن الجواب تراه عياناً

وليس بما تسمعن يا فتى

فكتبي الكتائب تعمي العدا

ورسلي الرماح لمن قد عتا

وأفتك بالسيف فيمن عصى

بذا الصيف قبل حلول الشتا

وأوفى الشريف بالوعد فغزا عسير، وضمها إلى أملاك الدولة، في موعده الذي وعد.

وقد مدحه الشيخ زين العابدين بن عبد الشكور، بقصيدة، هي:([63])

طلبت الوصل، شحت بالوصال

وقالت قد نهيت عن الوصال

وأضحت ترسل التبريح جوراً

إلى دنف ضعيف الاحتمال

براه الحب والهجران حتى

حكى بنحوله رق الخلال

يبيت بليله يرعى الثريا

ولم يهجد إلى وقت الزوال

له في الناس حساد كثير

ولوَّام على غير اتصال

وقلب لا يفيق من التصابي

وليس عن الهوى أبداً بسال

وطرف لا يرونُ إلى نفيس

سوى حدق وأهداب وخال

وقدٌّ مِثل غصن البان ليناً

يزين حلاه حسن الاعتدال

وثغر كالأقاح به عقيق

نبتن على جوانبه اللآلي

يضل به قوماً ويهدي

بغرة وجهه أهل الضلال

بروحي من بدا كالبدر حسناً

وفي عين وجيد كالغزال

ومحبوب يسامح بالخطايا

على كثر التجني والمطال

وليس لما أساء به شفيع

يقوم بعذره غير الجمال

عذيري من حبيب ليس يدري

ومعشوق ولا يرثي لحالي

فمختار الهوى لم يدر جهلاً

يقود زمامه لطف الدلال

ويرضى بالهوان وكل حكم

يجوز عليه من قيل وقال

فهل متحمل للحب عني

فقد أدى إلى الداء العضال

ولا أرجو لدائي من طبيب

سوى المقدام ممدوحِ الخصال

جليل القدر عبد الله ذخري

بعيد الذكر ممتنع المنال

سليل محمد نجل ابن عون

بعدلٍ سار في خفضٍ وعال

شريف ماجد وحسام نصر

وخير الناس من عم وخال

صبيح الوجه منصور السرايا

تلوح عليه أُبهةُ الجلال

فريد العصر زينة كل حي

من الأشراف طراً والموالي

همام أرعب الأعداء حتى

خشيت سطواته شم الجبال

وأفنى كل جبار عنيد

ولم يترك لباغ من مجال

وبث الأمن في الأمصار حتى

ركاب العيس تحدا في الرمال

وأومأ للعلا فسعت إليه

وقالت حبذا كفؤاً حلالي

وحاز المجد وهو صغير سن

فلم ينهض لسوءٍ واغتيال

وغل يد الحوادث في وفاق

كما غلت شياطين السعال

فعبد الله سيدنا ملاذ

إلى نصر الشريعة والمعالي

سليل محمد وفتى علي

وأفضل منتم لأجل آل

عزيز الجار ولو يأتي حماه

ذليل لارتقى أوج الكمال

لــه يــوم. . .

يشيب له الصغير من العيال

فأثخنهم جراحا وقتلى

...والهزيمة في المآل

وكم من غزوة أفنى وأردى

بها العربان في جنح الليالي

فيا لله من شهم شجاع

يهش إلى الندى وإلى القتال

بعيد الصيت مقصود كريم

جرت بصفاته ريح الشمال

وفاة الشريف عبد الله بن محمد

قال الدحلان :([64])

ذكر وفاة سيدنا المرحوم المبرور سيدنا الشريف عبد الله في 14 جمادى الآخرة سنة 1294)هـ(

وفي هذه السنة توفي سيدنا الشريف عبد الله ابن المرحوم سيدنا الشريف محمد بن عون بالطائف في الرابع عشر من شهر جمادى الآخرة رحمه الله تعالى وفدن في قبة الحبر رضي الله عنه قريباً من قبر الحبر، وكان مريضاً بعرق النَّسا أصابه من سنة تسعين وعولج بعلاجات كثيرة وشفي منه، لكن لم يحصل له تمام الشفاء وبقيت آثاره معه بحيث لا يستطيع الركوب على الخيل ولا يركب إلا في العربة ولا يستطيع المشي إلا قليلاً بشيء يعتمد عليه في يده، وما انقطع في جميع المدة عن جلوسة في الديوان ولا عن مقابلته للناس ولا عن سماع الدعاوى وفصل الأحكام، وفي هذه السنة طرأ عليه داء الاستسقاء وتقوى عليه من شهر جمادى الأولى إلى أن توفى رحمه الله تعالى سنة أربع وتسعين وعمره نحو ست وخمسين سنة، ومدة إمارته نحو تسع عشرة سنة؛ وخلف اثنين من الذكور علياً ومحمداً، وأربعاً من الإناث، وبعد وفاته بأيام أعطي ابنه الشريف علي رتبة باشا وكذا الشريف الحسين بن الشريف علي باشا، وجاء الأمر من الدولة بذلك، ولما توفي سيدنا الشريف عبد الله أقام تقي الدين باشا أخاه الشريف عوناً باشا وكيلاً قائماً مقام الإمارة وكان أخوه الأكبر منه الشريف حسين باشا بدار السلطنة.

الأولاد:

كذا قال الدحلان– آنفاً :–وخلف من الذكور علياً ومحمداً، وهو يقصد الذين بقوا بعده أحياء.

وله ابن ثالث اسمه) شَرَف (مات سنة1288) هـ(، قال عنه الدحلان :([65])وكان قد قرأ كثيراً من العلوم، ونجب فيها، وحزن عليه أبوه حزناً كثيراً، وكان عمره نحو (22) سنة، توفي ودفن بالطائف.

أما البنات الأربع اللاتي خلفهن الشريف عبد الله، فلم أر من ذكر حالهن، ولعله يظهر لنا من تراجم أعمامهن الآتية ما يلقي ضوء على أحوالهن:([66])

أبناء الأبناء:

-1علي بن عبد الله، سوف تتبع ترجمته ويذكر أبناؤه هناك.

-2أما محمد بن عبد الله، فله ولدان :محسن، وعبد الله .ولمحسن ولد اسمه محمد، ولعبد الله، ولد اسمه حسام .وكلهم في مصر، ولهم أملاك هناك.([67])

-113الشريف حسين باشا الشهيد1297-1254) هـ1880-1838 /م:(

لعل أول من ترجم له، ترجمة مطولة، صاحب نزهة الفكر([68])، الترجمة رقم130 ، الذي عاصره في شبابه، فقال:

الشريف حسين باشا ابن أمير مكة سيدنا ث محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن حسين لن عبد الله بن حسن بن أبي نمي محمد بن بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رُميثة بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة بن إدريس بن حسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد بن موسى بن عبد الله المحض بن موسى بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين :

ساري عسكر الحجاز([69])، ووكيل الإيالة وابن أميرها، سلالة آل بيت النبي الطاهر، الذين توارثوا المجد كابراً عن كابر، حماة البيت الحرام، القائمين بظلهم الوريف عن أن يغادره بعض اللثام، دوحة المجد، وناهيك بها من فخار، روض أفكار المعالي الذين بذكرهم يتجمل الليل والنهار، النجيب الأوحد، والفاضل الأمجد.

وأطال في نعوته إطالة مملة حسب أسلوب ذلك الزمن، إلى أن يقول :

حظيت بالوصول إلى رحابه الرشيد سنة أربع وثمانين ومئتين وألف([70])، فأظلني ظله الوريف المديد، وكنت قد عملت رسالة نظماً ونثراً في الحماسة بين جدة والطائف لمقابلة حضرته بالبشرى، وضمنتها حكمه العادل وصلحه الكامل بين الرعية ذخراً، فأجازني جائزة عظيمة، وكنت في غاية الاضطرار فعلمت أنها كرامة من الله في ذلك الوقت وحينه، أبد الله أياديه، وعبَّد له أعاديه، وأيد الله أيامه وأمانيه.

وقد مدحه جملة من الشعراء، وأكابر العلماء، فيجيزهم ويعطيهم، ويواسي المحتاجين، ويرضيهم، فالكل له داع ومتشكر، فالله تعالى يبقيه، ويحفظ، آمين.([71])

وترى أن الحضراوي رغم معاصرته، لم يذكر ولادته ولا وفاته، ولكن محقق الكتاب قال :تولى إمارة مكة المكرمة بعد وفاة أخيه عبد الله باشا سنة1294) هـ(، وانتظمت له شؤونها إلى أن قدم جدة يوماً فاعترضه رجل من الأفغان وهو راكب، فزاحم العسكر حتى اتصل به كأنه يريد تقبيل يده وطعنه بسكين فتوفي بعد يومين بجدة وحمل إلى مكة، وذلك سنة1297) هـ.(

قال الدحلان([72])، إثر ذكر وفاة أخيه عبد الله بن محمد:

فوجهت إلى الدولة إمارة مكة فقدم في شعبان من السنة المذكورة أي سنة1294) هـ .(توجه الشريف عون إلى دار السلطنة في شوال من السنة المذكورة، فأعطي رتبة الوزارة وجعل من أعضاء شورى الدولة.

ثم قال :

ذكر طعن سيدنا الشريف الحسين ووفاته بجدة ونقله إلى مكة سنة1297) هـ(

فذكر ما تقدم، وقال :

فطعنه بسكين في أسفل خاصرته، فاشتد عليه الألم فنزل عن جواده، وكان قد قرب من الدار التي يريد النزول بها، وهي دار عمر نصيف، فتعاضده بعض خدمه وأدخلوه الدار، فلما علموا أنه مطعون طلبوا ذلك الأفغاني حتى وجدوه بين الناس فقبضوا عليه، ثم توفي سيدنا الشريف الحسين بعد يومين ونقلوه إلى مكة ودفنوه بها في قبر والده في قبة السيدة آمنة والدة النبي رحمه الله تعالى، وعمره نحو اثنتين وأربعين سنة وشهور، وخلف ثلاث بنات ولم

يخلف ذكراً .ثم إن ذلك الأفغاني الذي طعنه قرر عن سبب قتله وعذب بأنواع العذاب فلم يقر بشيء، ولم يقر بأحد أغراه على ذلك، فقتل بعد ذلك.

وذكره صاحب الرحلة الحجازية، ولم يعاصره، إنما نقل ما في خلاصة الكلام وغيرها، فيما يبدو، فقال، وهو يذكر أخاه عبد الله :واستمر في الإمارة إلى أن توفي في 14 جمادى الآخرة سنة1294) هـ– (أي عبد الله –وتعيين أخوه الشريف حسن باشا) حسين باشا (مكانه، فقدم إليها من الآستانة، وكان على جانب عظيم من التقوى والصلاح والزهد والورع ووداعة الأخلاق، واستمر حكمه إلى سنة1297) هـ(، حيث قتل أثناء حافل، فتقدم إليه رجل أفغاني كأنه يريد تقبيل يده وطعنه ف خاصرته، فتوفي بعد يومين مأسوفاً عليه من عموم أهل الحجاز، ونقل إلى مكة رضي الله عنه، وأهلها يلقبونه بالشهيد.

مما تقدم، نرى أن مؤرخي هذا الأمير تواطأوا على ترجمته ولم يطيلوا لعدم طول مدته، ولكن الله عوضه في ذلك بالذكر الحسن .وقد جاء السباعي بجديد شذ فيه عن أسلافه، فأوردته هنا .قال السباعي:([73])

الحسين الشهيد ابن محمد بن عون :واختار الدستوريون لإمارة مكة على أثر انقلابهم شريفاً يعتنق مبادئهم هو الحسين بن محمد بن عبد المعين ووافق السلطان على تعيينه، فوجهت إليه الإمارة وكان يقيم في الآستانة عضواً في مجلس الشورى الدولة برتبة وزير، وقد ذكر لي بعض المعمَّرين أنه اشترك في الثورة الاتحادية، وأنه كان يرى رأيهم في هيمنة الدستور وامتداد نفوذه.

وتوجه الحسين إلى مكة، فوصلها في شعبان عام1294) هـ(، ثم ما لبث أن غادر أخوه الشريف عون مكة بعد عيد الفطر من السنة المذكورة إلى الآستانة، فمنح رتبة الوزارة فيها واحتل مركز أخيه في عضوية مجلس شورى الدولة.

إلغاء الدستور :وما لبث عبد الحميد أن تمكن من زمام الأمور في مقر الخلافة، واستطاع أن يقرب بعض المناصرين للملكية وأن يعد عدته لإلغاء الدستور .إلى أن يقول :

أعمال عبد الحميد في مكة :وأخبرني بعض المعمرين أن أعمال العنف التي شنها عبد الحميد ضد خصومه من الاتحاديين اتصلت بمكة، وأنها أنشبت أظفارها أول ما أنشبت بأمير مكة لذلك العهد الحسين بن محمد الشهيد .فقد أراد عبد الحميد أن يضع حداً لإمارة الحسين وعلاقتها بالاتحاديين، فدبر أمر اغتياله– كما يذكر هذا المعمر –لأنه كان يرى رأي رجال الثورة من الاتحاديين كما أسلفنا .إلى أن يقول :

وذكر لي وجيه جدة الشيخ محمد حسين نصيف، وهو ابن أخي الشيخ عمر نصيف الذي اغتال الشهيد عند باب قصره، سبباً أخر للاغتيال سمعه من بعض المقربين خلاصته أن عبد الله بن محمد بن عون، شقيق الشهيد، كان في عهد إمارته قد اغتال محمد شرواني باشا الداغستاني، والى مكة فأراد أخو المقتول أن يثأر لأخيه، فلما انتهى إلى مكة، كان عبد الله بن محمد بن عون قد توفي فطعن أخاه الحسين، وهو بهذا يريد أن يقول إن القاتل لم يكن أفغانياً بل كان داغستانياً عثمانياً .وهكذا جاء الشيخ أحمد السباعي، مؤرخ مكة، بما لم يأت به من تقدمه، ولكننا لا نستطيع تبرئة السباعي وهو معاصر الثورة العربية الكبرى، من تأثره بما كان يبثه المستعمرون ضد عبد الحميد وقد فند المؤرخون كثيراً منها، وقد ظهرت بعد ذلك مذكراته، ومذكرات ابنته، وكثير من معاصريه .وعلى كل حال فقد جاء مؤرخنا هذا بما يفتح باب الاجتهاد، والله أعلم.

ولم يذكر مؤرخو الشريف حسين الشهيد له ذرية، حتى المشجرة التي أرفقها سليمان موسى بمذكرات الأمير زيد([74])، ذكر حسين فيها بلا ذرية، وناشر الشجرة متخصص في تأريخ الأشراف ذوي عون.

وعلى هذا نجزم أنه لا نسل له، إلا ما تقدم أن له ثلاث بنات.([75])

114-الأشراف عون الرفيق(1256-1323) هـ1905-1841 /م:(

الشريف عون الرفيق باشا ابن محمد بن عبد المعين بنو عون، وبقية النسب تقدم في ترجمة أخيه حسين.

أمير الحجاز نحو (25) سنة، من سنة(1299-1323) هـ .(كان داهية بني حسن في عهده، حازماً عاقلاً، وطّد الأمن إلى درجة لم يسبق مثلها في الحجاز، ساعده على ذلك أفول نجم الدولة السعودية الثانية في نجد، وانصراف جميع جيرانه لمعالجة شؤونهم الخاصة.

ذكر بداية حكمه الدحلان، فقال :([76])

الشريف عون الرفيق

ذكر ولاية سيدنا الشريف عون الرفيق باشا سنة(1299) هـ.(

ثم في أواخر شهر ذي القعدة جاءت الأخبار بالتلغراف من دار السلطنة بأن الدولة العلية وجهت إمارة الحجاز لسيدنا الشريف عون باشا، وكان مقيماً بدار السلطنة كما تقدم، وأن الشريف عبد الله ([77])باشا، وكيل عنه إلى قدومه، فامتثل الشريف عبد الله ([78])ذلك وأخذ يهيء الأسباب اللازمة لقدوم أخيه سيدنا الشريف عون الرفيق باشا، وبعث لمقابلته من جدة أولاده أخيه الشريف حسين باشا ابن المرحوم الشريف علي باشا ابن المرحوم سيدنا الشريف عبد الله باشا، وبقي الناس في انتظار قدومه إلى يوم الثامن من ذي الحجة، وكان كثير من الناس توجهوا إلى جدة لمقابلته، وبقية الناس صعدوا إلى عرفة لأداء فريضة الحج، وصعد أيضاً إلى عرفة الشريف عبد الله باشا، فلما كان يوم عرفة، وهو التاسع من ذي الحجة، وصل سيدنا الشريف عون باشا إلى جدة وكان يمكنه إدراك الوقوف بعرفة لو توجه من جدة مسرعاً، لكن كان معه شيخ الحرم النبوي وبعض من رجال الدولة ويشق عليهم التوجه إلى عرفة بسرعة السير، فرعاية لهم بقي معهم بجدة وفات الجميع الحج .ووصل إلى مكة يوم النحر، واستقبله بمكة أخوه الشريف عبد الله باشا، ثم صعدوا إلى منى جميعاً عصر يوم النحر، وقرئ فرمان ولايته الذي قدم به معه ثاني يوم النحر على مثل العادة التي جرت في كل سنة، فإنه في كل سنة في مثل ذلك اليوم يقرأ فرمان التأييد لأمير مكة، فجرى الأمر على مثل العادة الجارية([79])، وأقاموا بمنى إلى انقضاء أيام منى ثم رجعوا إلى مكة، وحصل للناس غاية الأمن والفرح والسرور، ثم توجهت الحجوج والقوافل على طبق العادة الجارية كل سنة.

وهكذا لم يذكر عنه السيد أحمد بن زيني دحلان إلا خبر الولاية، مع أنه عاش معه نحو ست سنين، ولكن يبدو أن السيد الدحلان توقف عن التدوين سنة (1300) حيث ذكر منها خبراً صغيراً يخص) عبد الإله بن محمد (عد إلَّه على اصطلاح عامة أهل الحجاز .ثم جاء بعده مؤرخون، لم يتركوا تهمة إلا ألصقوها بعون الرفيق، ونحن إذ أوردنا كثيراً منها، لأنها

المصادر المتاحة لتأريخه، لنكاد نشك في أن بعضها له دوافع الله أعلم بها، ولكن ليس لنا أن نبرئ هذا الملك الضيغم.

وهذا إبراهيم رفعت، أمير الحج المصري عدة سنوات في عتهد الشريف عون، يورد :([80]) ليس أدل على سيرة عون الرفيق وفداحة ظلمه وتفاقم شره وتماديه في غيه، من كلمات ثلاث :

إحداها :رسالة عنوانها» :ضجيج الكون من فظائع عون «كتبها في 29 ذي الحجة سنة 1316)هـ (السيد محمد الباقر بن عبد الرحيم العلوي، يعدد فيها مثالبه ويستصرخ إلى خليفة المسلمين السلطان عبد الحميد من ظلم هذا الأمير وبغيه.

وثانيهما :رسالة أخرى عنوانها» :خبيئة الكون فيما لحق ابن مهنى من عون «خطها قلم الشريف محمد بن مهنى العبدلي، وكيل الإمارة بجدة وأمير عربانها، وفيها يذكر ما لقيه من حيف عون وعصابة السوء التي كانت تعينه على ظلمه، وترى فيها كيف أن السلطان عبد الحميد كان جاثماً في قصره حوله حاشية فساد لا تعرف له معبوداً سوى المال، وأنها كانت تحول بين الشكايات العادلة والسلطان.

ثم يورد معايب كثيرة، أما أنها تحتاج إلى توثيق أو أنها مما يعمله الملوك ورؤساء الدول إلى يومنا الحاضر، مثل قوله عزل فلاناً وحبس فلاناً .فأي رئيس دولة لم يحبس ولم يشنق الناس، ولكن النظر في السبب.

ثم قال :فمنها خيانة الإسلام والدولة بمكاتباته السرية مع دول النصارى لتمشية أغراضهم، ثابت بعضها بالبرهان الصحيح وبالخطوط التي تحت يد الشريف محمد بن مهنى الموجود الآن بالآستانة وتحت يد غيره.

ومنها أكله معظم الجرايات والمعاشات المقررة من الدولة للبوادي والأهالي حتى اضطروا إلى العصيان وقطع السبل، وبذلك أصبح الحجاز من أخوف بلاد الله.

ومنها تسليطه ندامه وموظفيه السلفة على أعراض الرعايا وأموالهم حتى صاروا يعبثون عبث الذئاب في الغنم.

وأقول :لسنا منتصبين للدفاع عن أحد كائناً من كان، فنحن مؤرخون، تتطلب مهنتنا الأمانة وتحري الحقيقة، غير أن هذا الكلام إطلاق على العواهن، وتشتم منه رائحة التحامل، ورفعت قضى كل رحلات الحج في عهد عون، ولعل بينهما ما بين المتعاصرين، أما مخابرة الأجانب، فما بقي مسلم واحد إلا خابرهم !وبقيّة أقواله تحتاج إلى سند.

ولك أن تقرأ هذا النص الآتي ثم تحكم، هل هو من التأريخ أم من سباب السفهاء.

ثم ما كفى هذا السفيه الأحمق ما ارتكبه من هذه القبائح التي سارت بها الركبان، واقشعرت منها الأبدان، وعيبت بها الدولة العلية بين الأمم المتمدنة، وزرع بها بغض الأتراك في قلوب شعوب المسلمين، حتى ارتكب ما اضطربت له أقطار الإسلام شرقاً وغرباً، وغوراً ونهداً، مما له به سولت نفسه الخسيسة من محواه اسم السيادة عن أبناء الحسنين عموماً، والسادة العلويين خصوصاً، ومنعه من كتابتها لهم في السجلات الرسمية وغير الرسمية، ومن التخاطب بها، وتهديده من تسمى أو سمى بها، أمر ما اجترأ عليه بنو حرب ولا بن مروان ولا غيرهم من

الجبابرة والظلمة، وليت شعري ما الذي سولت له نفسه الأمارة، وهجس بفكره الفاسد من هذه الفعلة الفظيعة؟ وماذا يؤمله من النتيجة، ينفي أبناء الرسول عن انتسابهم إليه؟ أيظن الأحمق أن نغمته الذبابية تزعزت ذلك الجبل الراسخ؛ أو تهز ذلك الطود الشامخ؟ ألم يعلم)لا علم ولا دري (أن أنساب السادات ليست مرتبة على حكمه وهذيانه؟ أن لهم في ضبط ذلك وحفظه دفاتر توارثوها أباً عن جد؛ وتلقوها كابراً عن كابر، كل طائفة منهم مهتمة بضبط أنسابها.

ثم يقول :لكن الغرابة والعجب العجاب، والأمر الذي حار في تأويله أولوا الألباب، هو سكوت الدولة العلية عن مثل هذه الأمور الجارية بمرأى ومسمع من موظفيها، وهي في ذلك بين أمرين، كلاهما قبيح وشنيع، فإنها إما غافلة عن ذلك، وتلك مصيبة عظمى، أو راضية بما هنالك، فالأمر أدهى وأمر، والمصيبة أعظم وأضر.([81])

ونحن نقول مع إبراهيم رفعت :نعم هذه غرابة .ولكنها في صالح المترجم له، فالدولة التي عزلت أباه عدة مرات، وعزلت سلفه عبد المطلب عدة مرات، هل كانت عاجزة أن تعزل عوناً، أم أنه لم يثبت لديها ما تكرم به رفعت؟.!

بل إن هذه الدولة كانت تعزل من قيل إنه من أصلح ولاتها) عثمان نوري (بمجرد وصول برقية من عون الرفيق !فما تبرير العاقل لمثل هذا؟.!

ثم يقول رفعت :وهنا ربما اندهش القارئ لسكوت جرائد الأجانب عن الإشارة إلى شي مما شرحناه مع وقوفها للدولة العلية بالمرصاد ومحاسبتها لها على الأنفاس، وترقبها لكل بارقة، فإذا صار ببلاد الدولة أدنى أمر نشرت له الأعلام وضربت به الطبول ونفخت له البوقات وزمجرت به الخطباء، وجسموه بمكبرات أغراضهم حتى يتخيل السامع أنه أمر عظيم وخطب جسيم،

فكيف يسوغ سكوتها طول هذه المدة على هذه الفظائع؟ !المتكررة الجارية على مرأى ومسمع، وجوار من قناصل الدول، أترى سكوتها عن ذلك محبة للدولة أو ستراً لمساويها؟ لا والله !ما غرضها إلا تمادي هذا الأمير الظالم الملحد في هذه الفظائع حتى يعود الحجاج إلى أوطانهم وأصقاعهم ناشرين تلك القبائح.

قال مؤلفه :ونحن أيضاً نتساءل مع إبراهيم رفعت، ولكن يقال لنا :متى كانت وسائل إعلام الغرب تتستر حتى على أقرب الناس إليها، وجل مشاكلنا اليوم معهم هو نشرهم غسيلنا على سيطوح منازلهم.!

أليس هذا موجب للتسائل؟ !وأن ما قيل يندرج جله تحت مسميات الحقاد والحسد وحرمان المنتفعين؟.

ونجد أن) ضجيج الكون (مؤرخة في29/12/1316) هـ (أي بعد حج إبراهيم رفعت حجات، ويتبعها بخبيئة الكون للشريف مهنا، ولسنا ندافع عن مهنا الذي هو أجد موظفي عون، ولكن إبراهيم رفعت بعد بحثها مزوداً بشواهد من الشعر، وفي حماس من تكون له قضية يستميت في إثباتها، وما هذا أسلوب المؤرخين الذين عليهم إيراد الخبر، والأخبار تحتمل الصدق وتحتمل الكذب) وما آفة لأخبار إلا رواتها.(

فنتساءل هنا :ألا يكون إبراهيم رفعت حانقاً على الشريف عون، لعدم تلطفه به وهو أمير حج الخديوي؟ !وأن عوناً يراه من عامة من يدخل عليه ويخرج لا يستحق التمييز وهذا محتمل جداً، خاصة إذا عرفنا شخصية عون الشامخة، وما بين الرجلين من فارق .ألا تكون هذه الحملة كلها من صنع إبراهيم رفعت؟ !خاصة أن جميع من أرخ لعون جاء بعد إبراهيم،

وتجد كل أخبارهم مستقاة من مرآة الحرمين، حتى الصورة التي نقلها رفعت عن مصدر أجنبي، تناقلوها.

وإذا كان عون ظالماً خائناً للدولة، فهنا سؤالان :

الأول :كيف تلبي طلباته في فصل كل من عارضه من ولاة الأتراك؟.!

والثاني :أليس في دولة بني عثمان خلال (25) سنة من يستطيع أن يجهر ضد عون؟.!

حتى ولو لم يلب طلبه في ذلك، فما سر تعلق الدولة به وإعطائه هذه الامتيازات؟ !إذا صدقنا كل ما أوده رفعت بداءاً من المفرقعات إلى الصواريخ الموجهة، فمن يجيب على أسئلتنا المارة آنفاً؟.!

أما قصيدة شوقي، الذي لم يحج البيت ولكن سمع من صديقه رفعت، فهي أراداً من طلقات الفشنك في المعركة، وبقي فيها قول الله تعالى :
وأليس شوقي هو الذي هجا الحسين بن علي عند قيامه بالثورة العربية الكبرى ضد الأتراك؟ ! ونرى رفعت يأتي بأنها ماتت، ويذكر تحقيقات، كلها ذهبت هباء، ومع كل ذلك ينشد في حماس وينعي ويبكي ويثغي، وفي كل ذلك لم نجد أن أحداً مس شعرة من رأس عون الرفيق . فيا حضره اللواء إبراهيم :هذه قوة لعون تقهر الدولة التي قهرت أكبر منه، مثل محمد علي باشا؟ !أم كرامة لعون الرفيق؟ !أم أن كل هذا مَيْن وزور لحرمانك مما كنت تأمل.

ثم لماذا سكت إبراهيم رفعت حتى قضى كل حجاته، وجلس في القاهرة فدونها .ثم تذكر أموراً منها سيرة عون الرفيق؟ !لماذا هذا السكوت كل تلك السنوات، وإذا عرفت أن آخر حجاته هي سنة1325) هـ.(

وقد مر على موت عون الرفيق سنتان، فنقول :إنه إما كان يكتب ويؤلب على عون الرفيق سراً، ولم يجرؤ على ذكر شيء مما في نفسه، أو أنه سكت حتى مات الرجل، فوقع في لحم ميت.

ولذا فإن أكاد أجزم، على ما لدي من تجارب تأريخية، أن كل مصادر تأريخ عون الرفيق مرجعها، بل مصدرها الوحيد، هو ما كتبه رفعت، فصارت مظالم عون وفظائعه قضية مسلمة، فإن صدق إبراهيم– وأنا أشك في ذلك –فله صدقه، وإن كذب بهذا المين والفجور، فأين يذهب من الله يوم يقوم الأشهاد؟.!

ونسأل الله أن يعصمنا من الزلل وأن يجري في عقولنا الحقائق مجردة، واستغفر الله رب العالمين.

ويأتي بعد الدكتور إبراهيم رفعت رجل آخر من قومه، هو :محمد لبيب البتنوني([82])، ولعله أخذ جل معلوماته من رفعت، فقال في كتابه) المرحلة الحجازية ([83])(وهو يذكر الشريف حسين الشهيد :وتولى بعده الشريف عبد المطلب للمرة الثالثة، ولكنه عزل عنها سنة 1299)هـ([84])(، وتعين بدله الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون، فأخذ في تمكين قدمه في مركز الشرافة، وعمم نفوذه على العرب والمأمورين من الأتراك حتى كانت الولاة كأنهم من المأمورين عنده، إلا في زمن ولاية عثمان نوري باشا الأولى فإنه ضرب فيها على يديه، ولكنه نقل من ولاية الحجاز بسعي عون الرفيق وموازريه في الآستانة، ومن وقتها خلال له الجون،

فكان يعطي ويحرم، ويسعد ويشقي، ويمنع وينعم .وقد كان ينزع إلى مذهب الوهابية أو ما يقرب منه، فهدم كثيراً من قباب المزارات وخصوصاً في المعلاة، ومن ذلك قبة سيدنا عبد الله بن الزبير، بل وصل به الحال إلى أن أمر بهدم قبتي السيدة آمنة والسيدة خديجة إلا أنه ما عتم أن استرجع أمره، وكذلك أمر فأزيلت تلك الرَّحى التي كانت في مولد السيدة فاطمة)دار خديجة (رضي الله عنهما، وكانوا يزعمون أنها هي التي كانت تطحن عليها في حياتها، وأمر أيضاً بتوسيع باب غار حراء في جبل ثور وهو الذي خيم على بابه العنكبوت بعدما آوى إليه رسول الله مع رفيقه أبي بكر عند هجرتهما من مكة إلى المدينة، وكان بابه لا يسع إلا نفراً واحداً يدخل منه زاحفاً على بطنه، وكان الناس يزعمون أن لا يدخله إلا السعيد وأما الشقي فلا، فأراد، بتوسيع هذا الباب، إزالة هذا الوهم الفاسد، إلا أنه لم يكن له على كل حال أن يغير شكل أثر طبيعي مثل هذا من أجلّ الآثار ومن الأشياء التي كان الإنسان يقدر فيها تلك المعجزة التي خدمت الطبيعة ([85])فيها أشرف مخلوق حتى حيل بينه وبين أعدائه .وقد كان يميل سامحه الله إلى الرفه بكل أنواعه فكان عنده على الدوام المطربون بالآلات والفرايحية) الطبالون (والضاربون بالنوبة، وجملة ما يقال في معاملته للناس إنه كان نهاباً وهاباً .واستقدم أتوموبيلاً ([86])من أوروبا كان يركبه في طريق الطائف ولكنه مات بموته .وأنشأ بستاناً جميلاً شمال جرول) بمكة (وهو المكان الذي يخيم عنده المحمل المصري، وجلب إليه أشجاراً كثيرة من مصر والهند والشام وغيرها، وساق إليه الماء من عين زبيدة، ويقال إنه كان في مدته جنة من الجنات لم يسبق له نظير في مكة، أما الآن وقد انصرفت عنه المياه فقد جفَّت أشجاره وذبلت أزهاره، وأصبح كقطعة من غابة في الصحراء تنعق فيها الغربان، وتزعق فيها العقبان، سبحان مغير الأحوال بيده الملك وهو على كل شيء قدير.([87])

ومات الشريف عون بالطائف يوم الاثنين 16 جمادى الأولى سنة1323) هـ (واختلف الناس في أسباب موته؟.!

وهكذا نرى البتنوني نقل هذه الخلاصة عن اللواء إبراهيم رفعت، ولم يقل منِ عنده شيئاً، ولعله لم ير ما رأى سابقه، والبتنوني جاء بعد موت الرفيق بسنوات خمس([88])، أو هي أربع.

وجاء بعد البتنوني عمر رفيع([89])، وذكر عون الرفيق وعدداً من أعماله، فأخذنا مما قال، ما يصلح لهذا الكتاب، قال :([90])

إمارة الشريف عون الرفيق

ولما فصل الشريف عبد المطلب عن الإمارة، أسندت الحكومة العثمانية الإمارة إلى الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون ([91])وقد كان إذ ذاك في إسطنبول ووصل مكة في أواخر سنة1299) هـ(، ولم يدرك يوم الوقوف بعرفة فجرى الاحتفاء به بمنى في أيام التشويق، وكان في أول أيامه على وضع عادي كأمثاله من الأمراء، إلا أنه ما عتم أن وقع الخلاف بينه وبين الوالي عثمان نوري، لأن الوالي المشار إليه، كان سبق القول، حازماً قوي الشكيمة، وقد تمكن من استمالة جماعة من أعيان البلاد وعلمائها منهم الشريف حسين بن علي الآنف الذكر([92])، وقد كان على صلة عميقة معه منشؤها تصدي الوالي لعزل الشريف عبد المطلب، فقد كان الشريف حسين وعمه الشريف عبد الإله ممن آزر الوالي في ذلك، لما بين العائلتين من المنافسة والتطلع إلى إمارة مكة، وقد ظلت الإمارة في آل عون إلى أن ثار الشريف حسين بن علي كما هو معروف.

اشتد الخلاف بين الوالي عثمان نوري وبين الشريف عون، مما اضطر معه الشريف عون أن يترك مكة ويسافر إلى المدينة المنورة مع بعض حاشيته، باسم الزيارة، ومن هناك أخذ يكتب

إلى مقام السلطنة بالطعن في الوالي، وينسب إليه أنه يكره الأشراف وأنه إحال مقابر المسلمين إلى منتزه له، وذلك غير صحيح، فإن الأرض التي أقام عليها المنتزه، وجعل سقياه من فائض عين زبيدة كانت فضاءاً ولم يختصه لنفسه، بل جعله منتزهاً عاماً لسائر الناس وإن كان يخرج إليه أحياناً في بعض الأيام، كأي فرد عادي، فقد كان الوالي المشار إليه في غاية التواضع والاستقامة.

ظل الشريف عون في المدينة، يفتل الذروة والقارب لدى السلطان عبد الحميد إلى أن استجيب له بفصل الوالي عن مكة .عاون الشريف في ذلك السيد أبو الهوى الصيادي ([93])الرفاعي، فقد كان ممن يعتقد السلطان في صلاحه، كما آزر في ذلك السيد أحمد أسعد المدني وكلاهما من المقربين لدى السلطان.

وانتهت علاقة السيد أحمد أسعد بأن زوج الشريف عون ولده الوحيد من بنت السيد أحمد أسعد المشار إليه، وكان ولداً ضعيف الإدراك والعقل([94])، سكن بعد موت والده مصر وولد له من بنت السيد أحمد أربعة أولاد ذكور عهدي بهم يسكنون مصر، ولأحدهم، وأظنه توفي، بنت هي الأميرة ([95])دينا التي تزوجت الملك الشريف الحسين بن طلال ملك شرق الأردن الحالي، ثم انفصلت عنه ولا زالت بمصر أستاذة في كلية الآداب بالقاهرة، فهي من خريجيها.

رجع الشريف عون إلى مكة، بعد أن تحصل على أمر فصل الوالي، متنمراً تمتلئ نفسه غيظاً على الوالي ومن شايعه من أهالي مكة والأشراف، وكان أول عمل بدأه أن كلف أعوانه بأن يترقبوا اليوم الذي يسافر فيه الوالي عثمان نوري مبارحاً مكة، فيبدأون في هدم سور البستان الآنف الذكر وقطع أشجاره ليشهد الوالي ذلك وهو خارج إمعاناً في إغاظته([96])، لأن من

الأسباب التي أدت إلى المشاحنة بينه وبين الوالي رغبة الشريف عون في التدخل في شؤون الهيئة التي أسسها الوالي للعناية بمصالح عين زبيدة وتعميرها كلما جد لازم.

ولم يكف الشريف عون أن أمر بهدم البستان وتقطيع أشجاره، بل دفعه الحقد والغيظ أن أمر النوارة أن يأتوا بالنورة ([97])ويطفؤها في أرض البستان لتتلف ولا تعود تصلح للزرع، كما أخبرني بذلك من عاصر الحادث، ثم بدأ في تتبع من كان يشايع الوالي المشار إليه، فحبس بعضهم وكلف بعضهم بمبارحة البلاد، وممن كلفهم بالمغادرة الشريف الحسين بن علي لصلته الوثيقة بالوالي، كما سبق القول، فسافر إلى الآساتانة وهناك عينته الحكومة عضواً في مجلس شورى الدولة، وكان عدد من شتتهم نحو أربعة عشر نفراً من وجهاء البلاد وعلمائها، واتخذ له بطانة من أراذل الناس سموا الخزناوية فكان فيهم الحمّار والمولى ومن شاكل هذه الطبقة، وأغدق عليهم من رعايته ما مكنهم من التسلط على الأهالي والإمعان في إهانتهم، وتطور بهم الحال إلى أن صاروا يأتون من الأعمال ما يستحى من ذكره، وأخذوا في التسلط على الناس والتوسل لابتزاز أموالهم بشتى الطرق.

وسبق أن ذكرت، في فصول سابقة، أن الشريف عون هدم قباب بعض الصحابة والأولياء، وحظر إلباس لأولاد الحجب والتمائم، وأن الخزناوية اتخذوا هذا الحظر وسيلة للارتشاء، واختل الأمن في الطرقات خصوصاً في طريق المدينة وجدة، وأخذ البدو والعيار يعترضون الحاج بالنهب والقتل في الطريق إلى عرفة ومن بين أشجار السلم التي كانت بتكاثر هناك، بل وحتى في أطراف البلدة عندما تبرز القوافل للسفر، مما ضج معه العالم الإسلامي بالشكوى . ويذكر قصيدة ([98])شوقي المتقدم ذكره، ومنها:

ضج الحجاز وضج البيت والحرم

واستصرخت ربها في مكة الأمم

قد مسها في حماك الضر فأقضى لها

خليفة الله أنت السيد الحكم

تلك الربوع التي ربع الحجيج بها

أللشريف عليها أم لك العلم؟

أهين فيها ضيوف الله واضطهدوا

إن أنت لم تنتقم فالله منتقم

ومنها :

يد الشريف على يد الولاة علت

ونعله دون ركن البيت تستلم

وكل ضجيج الكون، وخبيئة الكون، وضج الحجاز، لم تجد مع الشريف عون فتيلاً !أهو محفوظ؟ أم ذو كرامة؟ أم هو مظلوم؟ !ولكن الذي تقدم من تأريخ الأشراف والولاة لم يحدث فيه أن نسب ربع ما نسب لعون لأحد منهم ثم لم يعزل، فمه؟.!

ويقول :ولقد أمعن الشريف عون في إذلال المكيين وامتهانهم بشتى الوسائل، ومن جملة ما اتخذه في هذا السبيل أن اختص برجل معتوه واصطفاه جليساً له، هيأه بأجمل اللباس بعد أن كان يمشي في الأسواق شبه عار، وبنى له داراً فخمة في القشاشية، وخصص له عربة من عرباته يصحبها في ذهابه إليه وإيابه إلى بيته، وكانت ثلة من البواردية يجبرون الناس من المارة وأرباب الدكاكين على الوقوف له قياماً لتحية ومن امتنع عن ذلك ضربوه.

وذكر عمر رفيع تلك القباب التي أزعج هدمها أهل مكة، فقال :([99])

هذه الأبنية والقباب التي ذكرت، ما عدا قباب قبور الهواشم) أي بني هاشم(، هدمها الشريف عون الرفيق أمير مكة الأسبق، ولم يكن هدمها ([100])لها بدافع تنبهه لما تجره هذه القباب والمزارات من مفاسد، واستذكاراً لما يفعله العوام عندها من محاذير يأباها الشرع وتأباها العقيدة الصحيحة السليمة، وإنما هي خطرات من وساويسه، بل كان ذلك منه بإغراء أحد النجديين القاطنين بمكة للاتجار من أهالي شقراء على ما أعلم، وكان على جانب من العلم وسلامة العقيدة، ويدعى أحمد بن عيسى، كان يجالس الشريف عون ويسمر لديه في كثير من الليالي، فأغراه على ما ذكرت من هدم القباب، وعلى ما كان يتخذه المكيون من توشيح أولادهم بالحجب، وبعض الصفائح من الفضة.

وكانت السخرة قائمة، فإذا أراد الشريف الطلوع إلى الطائف سخروا له الجمال والدواب، ولم تقتصر السخرة على ذلك بل كثيراً ما يقبض أعوانه من الخزناوية وغيرهم على المارة لتشغيلهم في البناء فعلة وعمالاً، سواء كانوا ممن يليقون لذلك أم لا، وقد أخبرني بعض صناع والدي في عمل السبح أنه كان عند خروجه للسوق يتحصن بلبس الطربوش على رأسه ليوهم من يصادفه أنه من أفراد الجالية التركية.

هذا ما أخذناه من المرجع المذكور، وكما يقول الشاعر عبد الله الطالبي :([101])

)ونص الحديث إلى أهله

فإن السلامة في نصه(

ولن نقول للسيد عمر رفيع :ما أدراك إن هدم تلك القبور ليس عن عقيدة؟ !أشققت قلبه؟ ! ثم أيها العزيز لو كان عون حياً أو أحد أسرته حاكماً، هل تكتب هذا وتصرح به؟ أو كما يقول المثل العراقي) :إذا طاح الجمل كثرت سكاكينه.(!

أما السباعي الذي جاء بعد كل من تقدم، فيذكر عون الرفيق، فيقول:([102])

عون الرفيق :وظل عبد الله ([103])في وكالته أياماً، ثم تبلغ توجيه الإمارة إلى أخيه عون الرفيق بن محمد بن عبد المعين بن عون، ثم ما لبث أن وافته الأنبا بقدوم أخيه، فندب للقائه في جدة بعض الأشراف من أبناء أخيه يتقدمهم الحسين بن علي، ملك الحجاز فيما بعد، فاستقبلوه في جدة في 9 ذي الحجة عام1299) هـ (في موكب حافل وظلوا بقية اليوم معه بعد أن فاتهم موقف عرفات، ثم توجهوا جميعاً إلى منى حيث احتفل بقدومه فيها.

وعبث بعض المفسدين من قبائل زبيد وبشر ومعبد وسليم ([104])بالأمن وقطعوا طريق القوافل بين جدة ومكة في رمضان عام1300) هـ (فجهز الشريف عون جيشاً لقتالهم ففروا إلى عسفان فأدركهم وأوقع بهم حتى أطاعوا له.

وفي هذا العهد توفي الشيخ أحمد زيني دحلان صاحب» خلاصة الكلام «وذلك عام 1304)هـ(، وما لبث أن نشب الخلاف بين عون والوالي التركي عثمان باشا نوري بسبب الخلاف على السلطة، فعزلت الدولة عثمان وعينت حسين جميل باشا .وفي عام1304) هـ (قبض عون على موسى البغدادي وأمين ماصية لي ومحمد السعدي فنفاهم إلى خارج البلاد.

وتم القبض على الشيخ إبراهيم العجيمي وعبد الله كردي، إمام الشافعية، والشيخ أحمد بن الشيخ عبد الله فقيه، أحد الأئمة، والشيخ علي زين العابدين هندي ونفاهم كذلك.

وقد ذكر أنهم كانوا يتصلون بالوالي عثمان باشا فنهاهم عن ذلك حتى انتهوا، ثم ما لبثوا أن عادوا إلى الاتصال بالوالي الجديد على أثر وصوله فعاقبهم بالنفي.

كما عزل الشيخ عبد الرحمن الشيبي من وظيفة السدانة ونفاه إلى الهدى([105])، فظل فيها إلى أن مات وعين للسدانة غيره من آل الشيبي.

وقد رفعت قضايا النفي إلى دار الخلافة فلم توافق عليها وأباحت لهم العودة إلى مكة فعادوا .وفي سنة1314) هـ (صدر أمر الشريف عون بإبعاد الشيخ عبد الرحمن سراج، مفتي الأحناف، والشيخ محمد عابدين حسين، مفتي المالكية، والسيد إبراهيم نائب الحرم، والسيد علوي سقاف شيخ السادة بمكة، والسيد عبد الله بن محمد الزواوي.

ويذكر بعض من عاصر الشريف عون أن المنفيين كانوا قد كتبوا إلى الخليفة عبد الحميد يشكون من أعمال الشريف عون في مكة في مضابط موقعه بأسمائهم، فأعادها إلى الخليفة ([106])أو المسؤولون في القصر ممن يميل إلى سياسة الشريف عون .أعاد تلك

المضابط إلى الشريف عون ليطلع عليها فانتقم لنفسه من أصحابها وعاقب بعضهم بالسجن والبعض الآخر بالنفي.

ويذكر بعضهم أن المضابط أعيدت إلى مكة تصحبها لجنة على رأسها أحمد راتب باشا للتحقيق في موضوعها، وإن عوناً استطاع أن يكسب ود أحمد راتب باشا ويظفر بنتيجة التحقيق، وقد ظل راتب باشا في مكة على أثر ذلك يقوم بوظيفة الوالي بعد أن عزل جميل باشا.

ويذكر هؤلاء أن عوناً غدا أشد وطأة على الأهالي بعد قضية المضابط، وأنه بعد أن انتقم من أصحابها اشتط في معاملاته مع غيرهم مما كان له أسوأ الأثر.

ويبدو أن الشريف عوناً كان– بغض النظر عن موضوع المضبطة –غريب الأطوار متناقض الأعمال، يقدس بعض معاصريه فيه غزارته العلمية ومحبته للخير العام وتبسطه في مجالسه الخاصة وتودده للمسالمين، وينعون عليه في الوقت نفسه تبذله بين ندمائه، وقسوته في معاملة الحجاج وإمعانه في عقوبة مخالفيه واصطناعه الخزناوية الذين كانوا يضطهدون عامة الشعب.

الخزناوية :فرقة اتخذها الشريف عون كحرس خاص لخدمته والاستعانة بهم على تنفيذ أوامره، فكانوا يتسلطون على الأهالي ويستغلون نفوذهم في اضطهاد من يضطهدونه أو يطمعون في أمواله، فكان لا يجرأ أحد على الشكوى منهم.

ويعلق بعض المنتقدين بمرارة على أعمال الخزناوية ويقول :إنه كان يختارهم من طبقات العامة ويجيز لهم من النفوذ ما يستطيعون به إذلال الخاصة نكاية لهم.

ومما يحفظه معاصرو الشريف عون من القصص، التي تدل على غرابة أطواره، أنه كان يأمر بهدم بعض قباب القبور بحجة أن أصحابها لا يستحقون التقديس، ويعفو عن بعضها بدعوى أحقية ذلك.

ولمؤلف هذا الكتاب، تعليق على هذا في الطبعة الرابعة التي تولى الإشراف عليها، وهو:

)ذكر عبد الله البسام في كتابه» علماء نجد خلال ستة قرون «ص 156 ج1، أثناء ترجمته لأحمد بن عيسى نقلاً عن المرحوم محمد نصيف ما يفيد بان الشريف عوناً انتمى إلى مذهب السلف على يد أحمد هذا، وأنه أقنعه بهدم القباب فوافقه على ذلك وقربه، ولم يبق غير قبتي السيدة خديجة رضي الله عنها وقبة حواء بجدة عليها السلام.(

ويتابع السباعي :ويذكرون أنه عمد إلى رجل من المجاذيب يسمونه علي بو ([107])كان يذرع الشوارع بجسمه العاري، فجعله من جلسائه بعد أن أمر بتنظيفه وتعليمه ارتداء الأثواب الفخمة التي تؤهله لصدور المجالس.

قالوا إنه اتخذ هذا المجذوب أنيساً، وأمر علية القوم وعظماءهم بتقبيل يده، وأحله مكان الصدارة منهم، وكان إذا خرج في موكبه جعل المجذوب عن يمينه في عبته الخاصة، وإذا ركب المجذوب عربته الخاصة أمر الناس بالوقوف له لتأدية التحية على نحو ما يفعلون لدى مرور الموكب الأميري.

وأراد أن يشيد للمجذوب قصراً فخماً، فابتاع له بعض الدور القريبة من المسجد في القشاشية، وهي من أهم شوارع البلدة، وأجبر أصحابه على الإخلاء ثم هدمها وبنى القصر مكانها، وقد هدم القصر أخيراً بمناسبة توسعة المسجد الحرام.

وعمد إلى قطعة أمام القصر مكتظة بالبيوت فحكم على أصحابها بإخلائها ونقدهم ثمنها، ثم أمر بهدمها ليجعل منها حديقة يمتع المجذوب بصره فيها، ويبالغ بعضهم فيقول إن عوناً أراد أن يتوسع في الهدم حتى ينتهي إلى الغزة ليجعل المسافة بين قصر الإمارة وقصر المجذوب خالية لا يعترضها، عند النظرة فيها، شيء بين القصرين وهي مسافة لا تقل عن 300 متراً.

ويقول بعضهم إن فكرة الهدم لأجل الحديقة أو غيرها لا أساس لصحتها، وإن امتلاك تلك البيوت وهدمها كان الغرض منه تشييد نزل للحجاج متسع الأطراف تنفيذاً لرغبة الخليفة عبد الحميد الذي أوصى بتشييد ذلك وبعث بالأموال اللازمة فتم الإخلاء والهدم .والواقع أن القطعة المذكورة من الأرض ظلت خالية طوالي أيام الشريف عون، ثم أجرها ورثته بعده لبعض الناس الذين اتخذوا منها دكاكين وبيوتاً من الصفيح، وقد ظلت كذلك إلى عهد الحكومة السعودية الحاضرة، حيث ألزمت الورثة من آل عون بتخطيطها وبناء دكاكين وشوارع فيها، وقد دخل اليوم بعضها في مشروع توسعة المسجد.

ويميل بعضهم إلى الاعتقاد بأن الشريف عوناً كان يعتقد الولاية والصلاح في علي بو، وأنه كان قد تنبأ مرة بنبوءة عند عودن فاعتقده، وكنت أعرف علي بو بعد عهد عون، وقد عاد إلى الشوارع يذرعها كسابق عهده بها، ولكنه لم يكن عارياُ ً بل كان أهله يكسونه ما يكتسي به الناس عادة، حادثته مراراً فلم أجد في أحواله ما يلفت النظر، فقد كان جنونه عادياً، وكان يميل إلى الانفراد وقلة الحديث، وكان لا يرى إلا مطرقاً في هدوء، وقد تبادره إلى الحديث فلا يجيبك إلا بعد إلحاح بلازمة اعتادها على الدوام في كلمة واحدة» :هي مقضية ..مقضية ..مقضية إن شاء الله.«

ويميل البعض إلى إمعان عون في الدهاء سول له العمل على نكاية العظماء باتخاذ هذا المجنون جليساً له يقدمه عليهم ويأمرهم بتعظيمه وتقبيل يده، ويميل فريق آخر إلى التدليل لقصة علي بو على غرابة أطوار الشريف عون.

وإنني أميل إلى الرأي الأخير، وأعتقد أن ذلك في أوساط العظماء وقواد الأمم لا يخلو منه زمان، شأنهم في ذلك شأن عامة الخلق، لا فرق بينهم فيه إلا فيما كان من نوع الأثر الذي يتركونه في بيئتهم وما يحيط بهم، فالتجاوز عن المألوف عند العظماء يستعير فخامته من مراكزهم الممتازة ويترك أثره قوياً فيمن يحيط بهم، وقد يجد من يشايعه ويتأول له ويضفي عليه من نعوت النوابغ والعباقرة وجبابرة العقول ما يحير الوصف، كما يجد في الوقت نفسه من يمعن في نقده ومقته وينسج حوله آلاف القصص المثيرة للضحك والإشفاق زراية بأصحابه وانتقاماً منهم، وقد ورثنا التاريخ في العالم آلاف القصص مما كان ينسج حول أصحاب الأطوار الغريبة من قادة الأمم، بعضها يصورهم في صدق كما يبالغ بعضهم في تشويههم، وكلها تجمع على أن الطبقات الممتازة في الحياة منيت بأصحاب التصرف الغريب كغيرها من مختلف الطبقات.

وإذا كان أثر التجاوز في الطبقات الممتازة يستعير فخامته من مراكزهم فإنه في الطبقات المتوسطة وما تحتها يمضي- كما نشاهد -ضئيلاً دون أن يخلف بعده ما يدل عليه.

ويغرب بعض مشايعي الشريف عون، ممن حدثتهم في شأنه، فيقول إن عقلية عون الجبارة هدته إلى أفضل طريقة تمكنه أن يتقي بها كيد عبد الحميد، الذي كان يشك في جميع المستنيرين من عماله وموظفيه، أن يصطنع هذه الأعمال ويجالس المجانين ليوهمه أنه أحد السذج الذين لا يعتد بهم، كما يغرب بعض من لاقيته فيقول إن عوناً كان ساذجاً بالفعل، وإن تصرفاته في إدارة الحكم كانت تدل على سذاجة مطلقة.

ويمكننا إذا أردنا أن لا ننكر عليه علمه وفهمه في الحياة أن نرد تصرفاته إلى مثل ما الذي اعترى قبله كثيراً من عظماء الأمم.

فيل عون :وأهدى أحد عظماء الهند للشريف عون فيلاً، فكان الفيل ينطلق في شوارع مكة يصحبه مروضه، وكان يضيف في الطائف إذا صيف الشريف عون.

بعض أعمال عون :أنشأ الشريف عون بستاناً بجرول تبلغ مساحته 180 × 370 متراً مسوراً ارتفاعه متران في وسطه خزان للماء» بركة «طول ضلعه 6 أمتار وسمكه ثلاثة أمتار وربع وارتفاعه أربعة أمتار، يصعد إلى أعلاه بدرج، وكان يزرع في البستان الجوافة والجوز الهندي والبرتقال والليمون والنخيل والعنب والكادي والورد والبرسيم والكرنب وأنواع الخضراوات.

والذين ينعون على عون قسوته في معاملة الحجاج يذكرون أنه فرض على مواصلاتهم أجوراً باهظة بالنسبة لمستوى الأسعار في ذلك العهد، فيقولون إنه في سنة1303) هـ (كانت أجرة الجمل للشقدف من مكة إلى المدينة ثم ينبع 23 ريالاً، ومرجوع جدة 38 ريالاً، ومرجوع الوجه 35 ريالاً، ويدفع ريال للشريف وريال للوالي وثالث للمخرج ورابع للمطوف، ومن المدينة ريال للمزور وآخر للميري أي لخزانة الحكومة العثمانية.

وفي دليل الحج لصادق باشا أن عرب البادية قطعوا الطريق على القافلة، وظلت ثلاثة أيام حتى دفعوا عن كل جمل ريالاً، ثم دفعوا في عسفان نصف ريال عن كل جمل.

وفي 7 محرم عام1304) هـ (خرجت قافلة من مكة إلى جدة فيها نحو 300 جمل يحرسها 50عسكرياً، فلما صاروا بين بحرة وقهوة العبد في الساعة 3 ليلاً هجم العربان على القافلة

وأطلقوا سلاحهم الناري على العساكر واشتغل بعضهم بالنهب، وقد أسفرت المعركة بعد النهب عن قتل ثمانية من الحجاج ومثلهم من الجمالة عدا الجرحى، ولما اتصل الخبر بمكة جردت حملة عسكرية عليهم.

وفي عام1318) هـ (قسم عتون طوافة بلاد مصر وجاوه والهند والمغرب وبلاد الأناضول وغيرها أقساماً تسابق المطوفون إلى شرائها، وبذلك ألغى سؤال الحاج عن مطوفه وألزم بتبعية المطوف الذي اشترى حقوق الطوافة للبلاد التي يتبعها ذلك الحاج.

وإذ يرى القارئ أنني أكثرت فيما نقلته عن الشيخ أحمد السباعي، فإن ذلك لأمور منها :

-1إنه هو اعتمد على) إفادة الأنام (للشيخ عبد الله الغازي([108])، وهو معاصر لعون الرفيق .ولد الغازي سنة1290) هـ (ولم أستطع أن أستفيد من كتابه مباشرة لعدم حصولي على نسخة مقروءة منه، ولكن السباعي متهم عندنا فيما نقل.

-2لم يكن السباعي متحاملاً على أحد، وهو معتدل، يحلل ويناقش، وأدرك كثيراً ممن عاصروا عون الرفيق، ولد السباعي سنة1323) هـ(، وشب بين معاصري عون الرفيق، ولم يذكر كثيراً مما يذكر إبراهيم رفعت إلا نقلاً عنه، وكذلك كل مؤرخي عون الرفيق مما يجعلنا نجزم بان إبراهيم رفعت ذو هوى أو مغبون.

-3عرفت السباعي معرفة شخصية، فأعتقد أنه- ولا أزكي على الله أحداً -صدوق يتحرى الحقيقة، وكثيراً ما سمعته يعلل الحكايات، بقوله :لعل لها سبباً نجهله، لعل هذا من أقوال أهل الهوى ...الخ.

وكما قيل :الحاكم يعدل ويجور، ولكن بيت النبوة قمنته العدل.

وكما قال المراغي) :([109])وما زالت الأشراف تهجى وتمدح.(

ولكن الأشراف عوناً بقدر ما خضعت له الرقاب، نبت عنه القلوب، وممن مدحه الشاعر حسن وفا، فقال :([110])

روض السرور بطيب الأنس قد نفحا

وصادح اليمن في حي الصفا صدحا

وافتر ثغر التهاني من ترنمنا

وطاب صدر كرام الحي وانشرحا

فكل شهم بحانات السرور غدا

بالصفو مغتبقاً منه ومصطبحا

سر القلوب بما أبداه من فرح

بمدح أعظم من في الكون قد مُدحا

سلطاننا الآمر الناهي الجليل ومن

في ملكه بملوك الأرض قد رجحا

برٌّ رؤوف تقي عادل ورع

من آل بيت جليل فضله وضحا

من آل بيت تسامى في العلا شرفاً

به الزمان لإصلاح الورى سمحا

عبد الحميد الذي من حسن سيرته

تبسم الملك من أوصافه فرحا

أفعاله غرر تزهو بدولته

وجوده درر في جيد من نصحا

عمت مكارمه أهل الصلاح ومن

ساس الأمور وفي أجزائها نجحا

والسيد الشهم عثمان المشير بدا

به الصلاح ببيت الله واتضحا

شهم مع الحزم أبدى في سياسته

حكماً أزال به الأضرار واطرحا

قرت به عين جيران الإله ومن

دنا من السادة الأمجاد أو نزحا

ولكن هذه القصيدة، رغم أن صاحب أعلام الحجاز ([111])نسبها إلى مدح عون الرفيق، فقد ذكر الشاعر أسماء، ولم يذكر اسم عون الرفيق بينها.

الخلاصة

لست مدافعاً عن الشريف عون الرفيق، وليس من همي أن أدافع إلا عمن أراه مظلوماً، وعون الرفيق إن لم يظلم في كل ما نسب إليه، فلا يسلم من كل ما نسب إليه، ولعل له عذراً في بعض ما أتى، وهذا أبو العلاء، يقول) :لعل له عذراً وأنت تلوم.(

ولكن أردت هنا أن أوضح بعض طرائف عون الرفيق، وأوليائه التي لم يسق عليها، منها:

-1اتخذ عون فيلاً ضخماً جلبه من الهند، وجلب معه سائساً، ثم أطلقه في مكة، وكان غالبية بضائع الناس الحبوب، يضعونها في زنابيل يعرضونها أمام دكاكينهم، فكان الفيل يختار ما يريد، ويأكل من هذه الحبوب حتى يشبع .وذات يوم تحمس أحد أهل مكة، فقال :يا قوم لا صبر لنا على هذا فتعالوا إلى سيدنا نطلب منه أن يكف عنا هذا الوحش.

فتحمس عدد من أهل السوق، فوافقوه على ذلك، فانطلق هم، ولكنه كان كلما التفت إليهم وجدهم قد نقصوا !!وعندما ولج باب القصر، لم يجد معه منهم أحداً، فتقدم إلى الشريف الذي سأله عن شكايته؟ فقال :يا سيدنا، هذا الفيل المسكين الذي يجوب الشوارع وحيداً، نطلب منك أن تحضر له فيلة ترافقه وتؤانسه!

فتبسم الشريف ووعده بذلك .فعاد الرجل، وهو يرى أنه انتصف من الذين خذلوه !وذات يوم تقدم الفيل إلى دكان أحدهم- ولعله الشاكي -فعمد إلى عصا غليظة فضرب بها الفيل على رأسه، ولم يدر الفيل عن هذه الضربة، ولكن أخذته غضبة فيلية، فمد خرطومه فلفه حول خصر الضارب فجذبه إلى الأرض، وهرسه بخفة.

فبلغ الخبر الشريف، فأمر السائس أن يخرجه إلى جرول، ويطلق عليه الرصاص .وهكذا قتل الفيل بجوار مقبرة الشيخ محمود في المكان المعروف الآن بقبة الفيل، ودفع الشريف لأهل القتيل الدية.

-2البو :هذا رجل اسمه علي، يدعي أهل مكة أنه معتوه، فما خبره؟ قال من أدركنا :إن الشريف عوناً كان جالساً في مشربية له تشرف على السوق، وكان عليّ ماراً من أمام القصر، وفجأة اندفع إلى داخل القصر بسرعة لم يستطيع الحراس منعه، ووصل إلى الشريف

وقبض على يده بشدة، وهو يقول) :قوم قوم قوم (وقام الشريف، وهذا يتلّه تلاًّ، وما أن غادر المشربية حتى وقعت على المكان الذي كان عون جالساً فيه، فمن حينها تشبت به عون الرفيق، وأجرى له ما تقدم ذكره في هذا البحث.

ما هو البو؟ !أصل البو كان إذا مات ولد الناقة المولود، يخلج قلبها عليه ويغور حليبها، وقد تموت حزناً، فيعمدون إلى سلخ جلد الحوار الميت، ويحشونه، بحيث يعود إلى خلقته المولود عليها، فَتَرْأَمُهُ الناقة وتدر عليه، ولا تفارقه ليل نهار.

ولما رأى المكيون ولع عون بعلي المذكور، شبهوا علياً بالبو، وشبهوا عوناً بأم الحوار التي لا تفارقه !وهكذا سمي علياً) علي البو.(

أين ذهب علي؟ !شوهد علي هذا يسير في جنازة عون الرفيق، ودموعه تسيل، وقد تقدم معك أن الشيخ السباعي رآه بعد ذلك وحادثه.

هل هذا البو؟ !كنت في جدة في عطلة عام1369) هـ1950 /م(، وكان يمر في مقاهي باب مكة رجل يظهر عليه البله، يسميه أهل جدة) أبو مقضية (فكان يمر على الناس، وربما قال للرجل) مقضية (فيتباشرون بذلك، وكان يوماً يمر أبي الفتوح وأنا ساهم لحضور وقت الدراسة في مكة، وليس معي ما يوصلني إلى هناك، فوقف أمامي، وقال) :مقضية(، وليس معي إلا قروش فأعطيته شيئاً، وما هو إلا وقت قصير فإذا بزميلي عبد المنعم الخزاعي، فعزمنا على السير إلى مكة على الأقدام.

وفي عام1373) هـ (كنت في الجيش، وكان معنا ضابط خدم في جدة، فذكرت له تلك الحادثة فقال :هذا) البو !(ولم أعلم آنذاك ما البو!

كانت هذه الحادثة، وقد مر على موت عون (46) سنة، ولو فرضنا أن عمره عندما مات عون، هو (30) سنة، فيكون عمره يومها (76) سنة !ولكن الرجل كان يبدو دون ذلك بكثير، غير أن أهل القلوب الخالية من الهم قد يمر عليهم مثل هذا الزمن بلا كثير تأثر . والله أعلم.

3-السيارة :روى مؤرخو عون أنه أول من اتخذ سيارة في الحجاز، وما كانت تعرف، وما شاعت إلا بعد موته بنحو (30) سنة.

وكان الملك علي بن الحسين أهدى لأمير البلادية سيارة ذهب بها إلى النويبع، فتوقفت، ولم تتحرك بعدها، والملك علي جاء بعد عون بنحو عشرين سنة.

4-العقيدة :تقدم معك ما ذكر عمر رفيع وغيره من هدم القبور، ومنع التمائم، ونحوها، وهذا لا يصدر إلا عن عقيدة صحيحة، بصرف النظر عمن أثر عليه، فهذا الرجل الذي قارع الولاة أهل المناصب وهزمهم، لا يأتي شيئاً مجاملة لأحد، الإيمان محله القلب، لا يعلمه إلا الله، فما اعتراض من قال :إنها ليست عقيدة؟ !سبحان الله.

5-خفة الروح :قال لي أحد الأشراف :إن زوجته السيدة أم محمد عبد العزيز، كانت حظية عنده .وذات يوم سجن أحد الأشراف، فما بقيت شخصية إلا توسطوا بها فلم يطلقه، فلجأوا إلى السيدة، فأطلقه لها .ثم عرف أن كبار الأشراف والوجهاء سوف يصبحون غضاباً، فعصب على إصبعه الشاهد، وجاء إلى المجلس، فوجد القوم في غاية الحنق، فذكر لهم قصية إصبعه([112])، التي تدل على أنه لا حق لهم في الغضب عليه، فما كان من القوم إلا أن انفجروا ضحكاً.

وزالت الوحشة، ويقول روايتنا :إنه لم يضحك في مجلس عون الرفيق ضحكاً عاماً إلا يومها.

الحالة الاجتماعية لعون الرفيق

لم أر من ذكر لعون من الذرية إلا ابنه) محمد عبد العزيز (من زوجته فاطمة بنت جاري العسيري .فتزوج محمد عبد العزيز فاطمة هانم بنت السيد أحمد أسعد) ويقال السعدي (من أهل المدينة، وأعقب منها أربعة بنين، هم :أحمد، وعبد الحميد، ويوسف وعلي.

فأعقب عبد الحميد الملكة دينة بنت عبد الحميد، أولى زوجات الحسين بن طلال، وله منها ابنتهما البكر) بكر كل منهما (عالية بنت الحسين، وقد تزوجت في عمان، وكان مولدها سنة 1375)هـ.(

وأعقب يوسف بن محمد عبد العزيز ابناً سماه عون الرفيق.

والجميع في مصر، اليوم، من كان حياً منهم.

الختام :توفي عون الرفيق بالطائف في جمادى الأولى سنة1323) هـ1905/م (والبقاء لله وحده.

115- الشريف علي باشا

1360-)هـ1941- /م:(

الشريف علي بن عبد الله بن محمد بن عبد المعين بن عون، وباقي النسب تقدم كاملاً في ترجمة عمه حسين الشهيد.

ولي ولاية الحجاز، من سنة1323) هـ(، إثر موت عون الرفيق، إلى سنة1326) هـ-1905 / 1908م(، حيث عزل، ثم ذهب إلى مصر.

قال السباعي، نقلاً عن مرآة الحرمين :([113])وتوفي الشريف عون بالطائف في جمادى الأولى 1323)هـ(، واتصل الخبر براتب في جدة فكتب إلى قاضي الطائف وأعيانها بتنصيب الشريف علي بن عبد الله بن محمد بن عبد المعين بن عون وكيلاً إلى أن تصدر الأوامر من الآساتانة.

ولما تولى الأمر علي باشا أمر باعتقال» الخزناوية«، وصادر أموالهم وممتلكاتهم لقاء تسديد ما اغتصبوا من أموال الناس.

وبوصول الخبر إلى الآساتانة وافقت على تأصيل علي باشا في شعبان من العام المذكور، ولم يصل المرسوم الخاص بذلك إلا في أوائل عام1326) هـ.([114])(

ويذكر السباعي تلك الفوضى التي رافقت إصدار الدستور في البلاد العثمانية، فيقول :([115]) فكتب الوالي إلى الأمير علي بن عبد الله- وكان مصيفه في الطائف -يطلب شخوصه إلى جدة، ومساعدته في إخماد الفتنة، فكتب إليه) الشريف (أنه يوافق على إرجاء الدستور، ولكنه لم يبادر إلى موافاته في جدة.

وكان الاتحاديون قد بلغهم تباطؤ الشريف علي في إعلان الدستور، ثم ما قيل في مساعدته لثورة القبوري، فأصدروا أمراً بعزله في 28 رمضان عام1326) هـ([116])(، وتولية عبد الله)عبد الإله (بن محمد، وكان يقيم في الآساتانة) إسلامبول ..(الخ.

وبهذا انتهى حكم الشريف علي المشار إليه، وعلى قصر مدة هذا الشريف في الحكم إلاّ أنه عمّر فيما يبدو، فتأريخ وفاته جاء متأخراً من بين طبقته، وأنه عاش بعد عزله نحو سبع وثلاثين سنة.

وفي تأريخ الشريف علي شيء من الغرابة، إذ أنه قبل أن يلي الإمارة أحرز أموالاًَ لم يحرزها كبار معاصريه، فبنى قصر بَرْزان) قصر شبرة (الشهير والذي إلى عهد قريب لم يستطع كبار الأغنياء بناء مثله، فهو أعجوبة في الفن والإتقان والعلو، نسبة إلى ذلك العهد، وظل إلى زمن قريب يسكنه كل من حكم الحجاز، وقد ألفت عنه رسالة شرحت أحوال بنائه وتأريخه، إذ بني ما بين1323) هـ(، وهو عهد توليه الحكم، إلى1325) هـ (قبل فراقه الحكم بسنة، ولم يتهن بسكناه، وسكنه غيره، ولشغفه بهذا القصر والمزرعة التي كانت تحيط به، في ذلك المكان الجميل، اشترى أرضاً في شبرة مصر، تعياً عن شبرة الطائف.

)عن رسالة أعدتها لجنة التنشيط السياحي بالطائف.(

ولعلي بن عبد الله ولدان، هما :حسن وحسين، وابنة اسمها نفيسة، تزوجها الملك علي بن الحسين) صاحب الثورة(، وله أخت اسمها عابدية تزوجها الحسين بن علي، وأنجب منها :علي وعبد الله وفيصل، ملوك الأردن والعراق .وقد مدحه الشعراء، فذكر الحضراوي([117])، أن

السيد أحمد ابن السيد عبد الله ابن السيد أحمد حميد المكي الحنفي، قد مدح الشريف علي، فقال :

فمن نظمه البديع قصيدته الشهيرة الغراء التي امتدح بها حضرة سعادة سيدنا الشريف علي ([118])باشا، ابن المرحوم أمير مكة سيدنا الشريف محمد بن عبد المعين بن عون ... حضرته حين قدم من الآساتانة العلية سنة ست وثمانين ومئتين وألف يقول في أولها:

فدى بشير الهنا بالروح أوفق لي

فكف عذلك لي يا صاح أو فقل

قلبي رهين غزال حل في شرف

منازلاً بدرها بالسعد لم يفل

أغراك عذلك أن أسلو مودة من

في العذل للسمع ذكراه يصاغ حلي

فتنت في حسنه من لي بزورته

ومن يقول له مضناك في شغل

إلى أن يقول:

حتى رأيت جميع الحسن مطلعه

من شمس حسن وفت باليمن من قبلي

زفت تبشر أن البدر آب إلى

أحياء مكة مولاي الشريف علي

نجل الهمام بن عون من سما عظماً

محمداً وبنى العلياء بالأَسَلِ

عليٌّ مجدٍ مسمَّاه وهمته

تساويا شرفاً والسيف سيف علي([119])

قرن عزائمه لو قارنت جبلاً

يدك طوعاً ويفني الجيش من وجل

شهم شمائله للمكرمات حوت

وحلية المجد أخلته عن الزلل

كهف المفاخر في أنبائه ظهرت

آياته كظهور الشمس في الحمل

وافت لسيدنا العلياء عن سلف

سادوا الورى وبعون الله لم تحل

عبد الإله الذي حاكى مهنده

لراية في جيوش الخطب والخطل

ملك تجمع فيه المجد وابتهجت

له الممالك عن آبائه الأول

بدر يحف بإخوان نجوم هدى

وشهبهم في العدى كالطعن بالنصل

إذا استغيثوا أغاثوا من يؤم بهم

بالغيث والسيف من فقر وذي جدل

يليه في رتب العليا سمير على

صدر المجالس كهف الرأي والعمل

قال مؤلفه– غفر الله له –قوله :علي بن علي بن محمد، وهم من المؤلف أو غلط من ناسخ، وإنما هو علي بن عبد الله بن محمد، وليس لعلي بن محمد ابن اسمه علي، إنما له ابنان، هما الحسين بن علي صاحب النهضة، وناصر بن علي جد الشريف ناصر بن جميل، خال الملك الحسين بن طلال.

فالشعر حتماً مدح به المترجم، والله أعلم.

وحدد محمد عمر رفيع مدة إمارة على هذا بسنتين ونصف .([120])ويقول رفيع :إن أول عمل عمله الشريف علي القبض على الخزناوية– ([121])أي جنود عون الرفيق –وسجنهم وصادر ممتلكاتهم .ثم يقول– بصدد الدستور :–أما أمير مكة الشريف علي باشا، فقد أعلن الدستور وهو يصف في الطائف، فظل معتصماً به إلى أن عين الشريف) الحسين بن علي (والي مكة، فاتخذ الوسائل لتهريبه– أي تهريب علي بن عبد الله –إلى مصر عن طريق الرأس

الأسود، على مقربة من جدة، وقضى حياته بالقاهرة .وقد توفي كما تقدم سنة1360) هـ(، ولم أر من ذكر تأريخ ولادته.

أما قوله :إلى أن عين الشريف الحسين، الخ .ذلك أن عبد الإله الذي عين بعد خلع المترجم، لم يتمكن من مباشرة الحكم، كما سيأتي بعد هذا.

-116الشريف عبد الإله باشا 3-) شوال1326 هـ28/10/1908- /م:(

الشريف عبد الإله- باشا -ابن محمد بن عبد المعين بن عون، وباقي النسب مسرود في ترجمة أخيه حسين الشهيد.

كان عبد الإله هذا آخر أبناء أبيه، ولأنه مات بعد وفاة أبيه نحو خمسين سنة، فيبدو أنه عندما مات أبوه كان عبد الإله طفلاً، وتوارث إخوته الحكم، ما عدا علي، الذي مات قبل أن يصل إليه الدور([122])؛ وكان- كما قدمنا -لمحمد بن عبد المعين خمسة من الولد : أكبرهم عبد الله، الذي ولي بعده، وتقدمت ترجمته، وهذا أصغرهم، فسماه أبوه) عبدِ الله (هكذا، بزعمهم أنه غير) عبدُ الله(، وتُنطق هذه التسمية هكذا) عبدِ إلَّهْ(، وفد ناقشنا هذا في ترجمته أبيه، فلما كتب المؤرخون، كتبوه بالرسم الصحيح) عبد الله (فسار لمحمد ابنان كل منهما عبد الله، على التفريق بينهما في النطق.

وهكذا حتى تفطَّن هو أو مؤرخوه المتأخرون، فرسموه) عبد الإله (وهذا أحسن، وبهذا الاسم بترجم له.

أول أعماله :نيابته عن أخيه عون الرفيق.

جاء في أحداث آخر أيام عبد المطلب:([123])

في ليلة الثامن والعشرين من شوال سنة1298) هـ (جهز الوالي على المثناة صناديد الرجال بحملة من العسكر الشاهانية مع المدافع وبعض الضباط يقدمهم– يتقدمهم –عمر باشا فاحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم، وقبضوا على الأمير ليلاً على تلك الحالة، واعتقل بقلعته بالطائف، وولي في محله الشريف عبد الله باشا([124])، نجل المرحوم أمير مكة سيدنا الشريف محمد بن عون، فنودي باسمه في الطائف ومكة، وعزل الأمير الأول سيدنا الشريف عبد المطلب ,فسكنت البلاد وقرَّت الناس.

فأنشأ أحمد بن حمدي، قصيدة([125])، منها تهنئة عون الرفيق الذي كان بالآساتانة، وأقيم عبد الإله نائباً عنه، قال ابن حمدي :

بشراك عون الرفيق بشرى

بالفخر قيدت لك الأمور

فدم مليكاً أخا نوالٍ

برغم ضد به غرور

عضو في مجلس الأمة

وفي شهر ربيع الأول من سنة ثلثمائة توجه الشريف عبد الله باشا إلى دار السلطنة ومعه ابن أخيه الشريف ناصر ابن المرحوم الشريف علي باشا، فلما وصلا إلى دار السلطنة قوبلا بالعز والإكرام وأعطيت رتبة الوزارة للشريف عبد الله باشا وجعل من أعضاء مجلس شورى الدولة، وأعطى للشريف ناصر رتبة باشا، وأعطي للشريف محمد ابن المرحوم ث عبد الله باشا أيضاً مثله رتبة باشا، وجاءته البشرى بذلك، وقبل ذلك بأيام جاءت البشرى بترقية رتبة الباشوية للشريف حسين باشا ابن الشريف علي باشا والشريف علي ابن الشريف عبد الله وصارا في مثل الرتبة التي كان فيها الشريف عبد الله.([126])

ويقول السباعي في هذا الخبر:([127])

وغادر مكة عبد الله ([128])على أثر ذلك وابن أخيه ناصر بن علي إلى الآساتانة حيث أنعم عليهما برتبة الباشوية، ثم عين عبد الله باشا عضواً في مجلس شورى الدولة بالآساتانة كما أنعم بالباشوية على الحسين بن علي.

الإمارة :ويقول عمر رفيع([129])، وهو يتحدث عن إعلان الدستور، وولاية علي بن عبد الله المتقدم الحديث عنه آنفاً، يقول :

كما عينت أميراً لمكة الشريف عبد الإله بن محمد بن عون، ولكنه كان طاعناً في السن، وقبل مغادرة الآساتانة ببضعة أيام وافته المنية، ولم تتم له الإمارة، وقد روى لي بعض من عرفت أن الشريف عبد الإله لما أسندت إليه الإمارة صار في غاية النشوة والفرح، فقال له بعض خواصه والمقربين منه» :يا شريف، إنك قد كبرت، وإنك تعيش في إسطنبول عيشة هنية رضية، مشمولاً بعطف السلطان ورعايته، فما لك وعناء الإمارة في هذه الظروف؟.«

فكان جوابه لهم» :إن اليوم الذي أقود فيه الحجيج إلى عرفة، والنقرزان ([130])يضرب خلفي، وجماهير الحجاج محدقة أبي الفتوح، ذلك اليوم، بل تلك الساعة، تساوي إسطنبولك هذه بجميع ما فيها.«

مدة ولايته :لقد ولي عبد الإله إمارة مكة إثر خلع ابن أخيه علي بن عبد الله في 28 رمضان سنة1326) هـ(، وكان يقيم في الآساتانة كما تقدم، وشرع يتجهز للسفر، فوافته المنية في 3 شوال من السنة نفسها .وفي هذه الولاية من العجائب :

–1كيف تسنى للعثمانيين أن يعينوا أميراً خلال خمسة أيام من خلع سلفه في تلك العصور البطيئة في الديار الشاسعة، ولكن يبدو أنهم استفادوا من نظام الإبراق الذي عمموه على الولايات.

–2قِصْر هذه الولاية التي ما زادت عن خمسة أيام.

–3يقذف السباعي بجملة كنت أود لو تثبت فيها، وهي قوله) :كما قيل إنه مات مسموماًَ .(ويكفي ما في) قيل (من مرض، وبئست المطية هي.

الزواج والأولاد :كان لعبد الإله من الولد :سالم، ومن البنات :نفيسة، زوجة الملك علي بن الحسين، فأنجبت له :عبد الإله الوصي، وأربع بنات، سيأتين في ترجمة أبيهن .ولسالم بن عبد الإله ولدان، هما :هاشم وحازم .وجاء في مذكرات الأمير زيد :من بنات الملك علي، جليلة زوجة الشريف حازم، فيبدو أن حازماً هذا هو ابن سالم المذكور،أي أن ذرية عبد الإله لا زالت موجودة.

117-الشريف الحسين بن علي1350 -1270) هـ1931 - 1854 /م):

الشريف الملك، قائد الثورة العربية الكبرى محرر العرب ومفجر نهضتهم، أبو الأشبال قادة الثورة، ملوك الأردن وسورية والعراق، سيّد العرب في عصره بلا منازع، أبو علي، الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون، الشريف الهاشمي الحسني، وبقية النسب تقدم في ترجمه عمه حسين الشهيد.

الولادة والنشأة :ولد في عاصمة الدولة العثمانية) إسلام بول (الآساتانة، إصطنبول، في حجر أبيه([131])، وكان أبوه هناك كما هي حال غالب أمراء العبادلة، الذين يخشى منهم مزاحمة شريف مكة .ثم عادة أبوه إلى مكة سنة1273) هـ (فدفعه إلى البادية، فتمرس على الحياة القاسية، والأدب، ونشأ متديناً عاقلاً نبيلاً، وكان يعاون أعمامه، حتى جاء دور عون الرفيق.

مع عون الرفيق :يقول مؤرخوه ومعاصروه :إن الحسين- وكان قد اشتد عوده ونَبه -كان مع عمه ذا طموح وآراء، ويبدو أن عون الرفيق([132])، وهو من هو كما تقدم، لم يرتح لأفكار الحسين وآرائه في تدبير شؤون الإمارة، فدب الخلاف بينهما.

في مجلس الأمة :طلب إلى عاصمة الدولة العثمانية، فعين عضواً في مجلس شورى الدولة، وهناك التف حوله أحرار العرب وسياسيوهم، وتبادلوا الآراء، وناقشوا الطموحات، وما وصل إليه حال العرب ضمن الشعوب العثمانية، وكانت هذه الأمور تناقش بسرية تامة، وحزبوا الأحزاب، وكان أبناؤه في ريعان الشباب، فتشربوا تلك الفكر، وتحمسوا لها، فأصبحت أماني عزيزة وأحلاماً يسعى إلى تحقيقها.؟

أمير الحجاز :توفي عون الرفيق سنة1323) هـ– (كما تقدم –وعين ابن أخيه علي بن عبد الله بن محمد، ثم عزل بعد ما يقرب من ثلاث سنوات، كما قدمنا، وكان عمه عبد الإله مقيماً في إسلام بول، فصدر الأمر السلطاني بتعيينه أميراً على الحجاز، ولكن الأجل وافاه بعد خمسة أيام فقط، وقد تقدمت ترجمته قبل هذا، فتقدم صاحب الترجمة بطلب تعيينه بدل عمه، فوافق على ذلك جماعة) الاتحاد والترقي:(

ولكن السلطان عبد الحميد عارض هذا التعيين، وكان يعلم طموح الحسين، ولكن حزب الاتحاد والترقي غلب على الأمر، فعين الحسين أميراً على الحجاز في أواخر سنة1326) هـ / 1909م(، وقد ألمح السلطان عبد الحميد في مذكراته عن هذا أثناء ذكر الأفغاني .ثم وصلها في شهر ذي القعدة من السنة نفسها، وحج بالناس ذلك العام .وهكذا عاد الحسين إلى الحجاز بعد غياب دام سبع عشرة سنة، إذ غادر إلى هناك سنة1309) هـ (وعاد سنة 1326)هـ (كما تقدم.

صاحب الجلالة المغفور له الحسين بن علي

ويبدو أنه قد تعود على الرفاهية هناك، فعندما قدمت له دابة ليركبها، قال) :تعوِّد لأمهاها ولو قرحت :(أي أن الفرس تشب، فيقال :ليست لفصيلتها، فإذا بلغت أشدها) قرحت (وهو سن معروف للدواب، ظهرت عليها طباع وعادات فصيلتها.

وكان الحسين أديباً أريحياً حسن العشرة كثير الاستذكار للقرآن والحديث ويحاور الأدباء، ويحفظ الأمثال، ويتمثل بها في وقتها، فعندما أجبر على الخروج من العقبة، وركوب الباخرة قال :

مشيناها خطى كتبت علينا

ومن كتبت عليه خطى مشاها

الإصلاح :ما أن وطأت قدما الحسين أرض الحجاز، حتى كان همه إصلاح هذه الولاية، فضرب على أيدي المفسدين، وكان يعقد لأبنائه البيارق لتأديب العصاة، والخارجين على نظام الدولة، وعين الأمراء في معظم نواحي الحجاز، من تبوك شمالاً إلى حلي جنوباً، فعين أميراً على بيشة، وآخر على رنية، وأقر آخرين، كأمير غامد وزهران، وغيره .وكان طيلة ولايته التي قضاها في الحجاز– أميراً وملكاً –محط رحال الوفدين من الأدباء والعلماء وكبار الحجاج وشيوخ القبائل، فملأ ذكره بقاع الدنيا وخاصة في العالم الإسلامي، وعقد العرب عليه الآمال، وأيقنوا أن أحلامهم باتت قاب قوسين من التحقق، ولم يخيب آمالهم.

محاربة الإدريسي :ولي الحجاز، والجزيرة كانت تعج بالفتن، ودول الاستعمار كانت قد تركت نزاعاتها في أوروبا– إلى حين –وصارت تتفارس على الفريسة السهلة في الشرق، وكانت كل دولة أوروبية تريد أن تكون لها مستعمرات، حتى لا تكون من الأمم الضعيفة !وأمراء الجزيرة كل يريد أن يضيف إلى ضيعته من ضيعة جيرانه، فحميد الدين ما انفك يهاجم المخلاف

السليماني) منطقة جازان اليوم (ونجران، والإدريسي كل ما خف عنه ضغط حميد الدين اتجه إلى الحجاز وعسير، يضم منها ما استطاع، وابن سعود ما يفتأ يصارع أطراف الحجاز الشرقية، وكان الحسين قد مارس الدفاع في تلك الجهة، وتقدم حتى نزل القويعية المدينة المعروفة في العرض.

في هذه الظروف التي تتلاطم كأمواج البحر جاءت إمارة الشريف الحسين بن علي، فانتُدب وانتَدب نفسه لمحاربة محمد بن أحمد الإدريسي، أمير المخلاف السليماني، بعد أن تقدمت قواته إلى عسير وحاصرها، وتقدمت عن طريق الساحل فاستولت على حلي وقوز أبا العير، وصارت على مشارف القنفذة.

الحملة :([133])فتجهز الحسين بأعداد من الأشراف، وقبائل حرب وعتيبة، وغيرهما من قبائل الحجاز، كهذيل وثقيف، وأعداد شتى، وزودته الدولة بفرقة من الجيش النظامي، فقام من مكة في16/4/1329) هـ15/4/1911/م(، فهاجم أبها، وفك الحصار عنها، وعين عليها أميراً محمداً بن عائض المُغَيدي– بالغين المعجمة –وهو من أسرة لها حكم في إقليم عسير.

النصر :وعد ذلك نصراً للدولة ونصراً للشريف، فاستقبل استقبال الفاتحين، ومدحه الشعراء، وارتفعت سمعته، وزما نفوذه إلى ما لم يصل إليه أحد من أسلافه.

وممن مدحه من الشعراء الشيخ النجار من أهل الطائف، في قوله:

وفود التهاني بالإياب وبالنصر

أتت تجتلي كأس السرور مع البشر

وأمست لدى كل القلوب مسرة

فكل بفضل الله منشرح الصدر

فكيف وقد لاحت بأفق ربوعنا

شوارق أنوار المليك بلا نكر

سليل العلى روح الكمالات ذو التقى

حسين أخو الإحسان والحلم والبر

قدوم غدا عيداً سعيداً مباركاً

ويوم لدى الأيام كالكوكب الدّري

ونحمد من أجرى الأمور بلطفه

على خير ما نرجو ونتبع بالكشر

فأهلاً بخير الأكرمين ومن غدا

على هامة العلياء منفرد الذكر

بحلم وعلم بل بعزم وهمة

عظيمين كالسيف الصقيل أو الدهر

نهنيك بالفتح المبين لبلدة

لقد كان أهلوها يموتون بالحصر

فأنقذتهم منه وكنت غياثهم

فهنيت ([134])بالقدر الجزيل من الأجر

فأبهى، بكم زانت وعاد بهاؤها

وأصبح في أرجائها يهتف القمري

عسير، بكم قد يسر الله أمرها

فأبدل ما فيها من العسر باليسر

فلا زلت غوثاً للأنام جميعهم

تخلصهم مما يفاجئ من ضر

ولها بقية في الرحلة اليمانية، ص(96) ، ط.(2)

وقصيدة للشيخ عبد الله كمال، من أهل الطائف أيضاً، منها :

هذا هو الفتح أم نصر من الباري

وافى لسيدنا أم ستر ستار

أم هذه الغاية القصوى ظفرت بها

ما نالها ملك يغزو بجرار

مهدت بالعدل أقطار الحجاز فيا

بشرى لسكان بيت الله والجار

الأمن ساد بها والخلق رافلة

في ظل رأفتكم من حادث طاري

تبني المعالي على المجد الأثيل كما

بناه سالف سادات وأبرار

ألقت إليك زمام الأمر دولتنا

في فك أبها وإصلاح لأقطار

شمرت عن ساعد العليا وقمت بها

يا حبذا القوس قد سيقت إلى الباري

جبت المفاوز في سهل وفي حزن

جزت الطريق كما يسري به الضاري

فمن تصدى لكم ذاق الهوان فكم

من وقعة بعدها جاءوا بأعذار

نظمت بعض شهير من وقائعها

خوف الإطالة أو تشتيت أفكار

فأهل حلَي وأهل الفوز ما اتعظوا

بالنصح شهراً ولم يصغوا لتذكار

ضلوا سبيل الهدى والرشد واتبعوا

رأي ابن خرشان تمويهاً بأسرار

حلت جموعهم بالقوز واعتصبت

فتيان بغي وجهال وأشرار

جهزت جيشاً وعبد الله يقدمه

وفيصل مع بني الزهراء أطهار

وعسكر في طوابير مظفرة

وكل قرن من الفرسان كرار

فأنشب الحرب في عجلان بينهم

قبل الغروب إلى تنسيم أسحار

وأصبح النصر مقروناً بجيشهم

على البغاة فولوهم لأدبار

فكم قتيل، وكم جرحى، وكم أسروا

بعد الفرار فلا يأوون في دار

ومنها:

وقابلتهم جنودٌ طال ما هزمت

من قبلهم كل ذي بغي وإضرار

وكان يوماً عصيباً والوطيس حمي

حتى الرصاص حكى وبلاً لأمطار

والطوب دمر رايات لهم نصبت

والجند أنزلهم من رؤوس أوعار

حتى تولوا وقتلاهم مجندلة

نحو الثمانين أو زادوا بمقدار

ففر عنا زعيم الحصر وانقطعت

آمال شيطانه من كل ديار

والبقية في المرجع المذكور آنفا.

وقصيدة الشيخ علي شقيق الشيخ عابد، مفتي المالكية :

العيد هنيء إذ نلت الهنا أبدا

بفوز فتحك أبها في كمال هدى

والدين عوفي إذ عوفيت في شرف

والمجد يبقى كما تبقى له سندا

أحييت سنة طه إذ أقمت لنا

فرض الجهاد لتهدي كل من مردا

جبت البلاد تقيم الأمن مبتغياً

وجه الإله فنلت الفوز والرشدا

خفضت كل مقام بالإضافة إذ

نوديت من بين أهل العزم منفردا

فقمت بالعزم في سهل وفي جبل

وجزت بالأسد تصمي كل من عندا

تُحيي مآثر أسلاف محمدها

قد صح عن مالك عن نافع سندا

حسين فعلك سعد الدين بشرحه

كشاف آياته في العالمين بدا

أبدت سراياك أسد الغاب يقدمها

في القوز فيصل عبد الله ما شهدا

بحليهم جندكم حلاهم ظفر

وذاق أعوان إدريس كؤوس ردى

تنومة أعلنت منشور نصركم

على البغاة فعادوا طالبين هدى

في العمق حلت جموع القوم وانخذلت

من بعدما قابلت جيشاً بكم سعدا

لما علوت بجيش النصر في درج

مزقت شمل جنود البغي مجتهدا

ونكست لهم الأعلام وانهزموا

وانجاب عن صبح أبها ليل من فسدا

رؤوس جمع العد آيات نصركم

تبدي لمن رام عن إعجازها رشدا

لو تنطق الخيل يوماً بالذي شهدت

من معجزات لأبدت عنك ما وردا

فليسأل ابن دليم بعد أحمد وال

ـفصال وابن عرار ما بهم نفدا

وليسألن مصطفى ما الحال في درج

يحكيه والفضل ما يبديه قول عدا

هم قوم إبليس لا إدريس شيخهم

أموا الضلال فنالوا الخزي والنكدا

يا حبذا العيد عيد الفوز فوزكم

وعيد صومك في يمن الهنا بهدى

عيدان قد أشرقا في يمن سلطنة

قد مهدت من رشاد للهنا مهدا

فيا حسين المعالي بر صومكم

وأنت أفضل من في صومه حمدا

إنعم هناء بعيد الفطر لا برحت

تحلو بكم غرة الوقت الذي سعدا

أبديت ذا اليوم عز الملك معتلياً

بجحفل لجب يعلي منار هدى

ولها بقية في مصدرها، المشار إليه قبله.

التمهيد للثورة :عاد الحسين من هذه الحملة مرفوع الرأس منتصراً مكتسباً تجارب في الحرب الجديدة، وعرف أحرار العرب كل ذلك، وكانوا خبروا همومه ونواياه، وكان الحج من المواسم التي تجعل اجتماعهم به غير ذي ريبة، فهو أمير الحجاز، وأمير الحجيج، فاجتمعوا به وفاوضوه وقالوا له :ليس لهذه الأمة المستضعفة غيرك، وأنت سيد البلد الحرام، وأشاروا أن تجعل الثورة تنفجر في الحجاز والشام والعراق، وهي جوهر بلاد العرب .فشمر عن ساعد الجد، وعزم على تحرير العرب عن الترك، وكان حزب الاتحاد والترقي قد جعل من أهدافه، تتريك الشعوب العثمانية، فأعلن الدستور، وأنشأ مدارس في الحجاز وغيرها تدرس باللغة التركية، وهكذا عزم على الثورة، ولكن هناك عقبة العقبات.

التمويل :هذه الثورة تحتاج إلى جيش يقارع جيش تركيا اللجب، والمدرب على الحروب وقمع الثورات، فمن أين المال الذي ينفق على هذا الجيش الذي قد خطط له أن يحرر ما بين عدن إلى حلب([135])؟.

وتفتحت الأبواب:

فما عتم الأمر– بعد أن هيأ أمته لهذا الحدث العظيم –حتى تتطاحن الإفرنج وبدأت الحرب العالمية الأولى سنة1332) ه1914 /م (فاحتاج العثمانيون إلى دور العرب في الحرب، وكتبوا إلى الحسين يطلبون تجنيد العرب.

وصارت مفاوضات ومباحثات بين الحسين والترك .لنقرأ من هذه الأحداث في كتاب) الحرب العالمية الأولى (القسم الذي خصص للعرب قال :

وصل الأمير فيصل إلى دمشق في شهر كانون الثاني من سنة1916) م([136]) (، ومعه خمسين فارساً من أتباعه بينهم بعض الأشراف، فحلّ وإياهم ضيوفاً على آل البكري، هو في دمشق ...وهم في قرية القابون الواقعة في ضواحيها، وعاد للاتصال برجال العرب ومفكريهم، وراح يدرس معهم الخطط والاستعدادات للثورة .وفي شباط من السنة المذكورة جاء إلى دمشق أنور باشا وكيل القائد العام، ومنها توجه إلى الحجاز معه جمال باشا والأمير فيصل، وعلى أثر وصوله إلى المدينة المنورة طلب إلى الشريف حسين أن يوافيه إليها للاجتماع به، وقد قيل إن الأتراك كانوا ينوون اعتقاله وإبعاده لو أجاب دعوة أنور، ولكنه اعتذر عن المجيء ...وبعث بهدايا ثمينة إلى أنور وجمال، فسلمها فيصل إليهما وعاد بصحبتهما إلى دمشق، وكان الديوان العرفي في عاليه آنذاك منهمكاً في محاكمة المعتقلين من زعماء العرب وأحرارهم، فبذل الأمير فيصل أقصى جهوده للعفو عنهم، ولما فشل في مسعاه هذا أنبأ بذلك والده.

وفي شهر آذار طيّر الشريف إلى أنور البرقية التالية:

»إن خروج الدولة العلية منتصرة من الحرب الحاضرة يتوقف على اشتراك جميع العناصر العثمانية فيها ولا سيما العرب ..والجانب الأهم من ميادين القتال في بلادهم، وعلى تأييدهم لها قلباً وقالباً في نضالها.

ويلوح لي أن إرضاء الشعب العربي يتوقف على مداواة قلبه الذي جرحه إتهام عدد كبير من أبنائه بتهم سياسية مختلفة ...والقبض عليهم ومحاكمتهم أمام المحاكم العسكرية ,وسبيله الدواء الآتي:

-1إعلان العفو العام عن المتهمين السياسيين.

2-إعطاء سوريا ما تطلبه من نظام لا مركزي.

3-جعل إمارة مكة وراثية في أولادي وإبقاءها على حالتها الحاضرة.

فإذا قبلت هذه المطالب، أتعهد بحشد القبائل العربية بقيادة أبنائي في ميدان العراق وميدان فلسطين، وإذا لم تقبل فأرجوكم أن لا تنتظروا مني شيئاً سوى الابتهال للحق جل وعلا بأن يهب للدولة النصر والتوفيق.«

فأرسل إليه أنور الجواب التالي :

»وصلت برقيتكم الهاشمية القائلة إن إحراز النصر يكون باشتراك جميع أبناء الأمة قلباً وقالباً.

ولما كان إعلان العفو عن بعض المتهمين وتطبيق نظام اللامركزية في سوريا واستبقاء إمارة مكة في شخصكم السامي وفي أولادكم، خارجاً عن اختصاص سيادتكم، فالاستمرار في طلبه ليس من مصلحتكم في شيء...

وإني أبلغكم بأنه لا بد من أن ينال المعتقلون عقابهم، كما أن حقوق سيادة ملجأ الخلافة ستظل في الحجاز على ما كانت عليه، وكما هي في جميع الممالك الشاهانية ..وأوصيكم ملحاً بأن تستدعوا ولدكم علياً الموجود في المدينة إلى مكة فوراً، وترسلوا المجاهدين الذين وعدتم بإرسالهم إلى دمشق ليكونوا بقيادة ولدكم فيصل، وبديهي أنه سيظل ضيفاً على الجيش الرابع حتى نهاية الحرب، والأمر لمن له الأمر سيدي.«

فبعث إليه الشريف بالرد الآتي :

»لقد أرسلت نجلي فيصلاً إلى دمشق اعتماداً على شرف الدولة ولم يعد إلى الآن ..وأما سوق المتطوعة إلى دمشق فيتوقف على وصوله إلى المدينة ورؤية هؤلاء له ...وسيدعى نجلي علي إلى مكة قريباً.«

وقد ذكر جمال باشا في مذكراته عن هذا الحادث ما يلي:

»لقد استمرت محاكمة المعتقلين إلى ما بعد عودة أنور باشا إلى الآساتانة ...وعندئذ ظهر الشريف حسين بمظهره الحقيقي فبعث إليه برقية رقمية أبلغني إياها أنور باشا هذا مضمونها :

»إذا كنت ترغب في التزامي جانب الهدوء والسكينة فيجب الاعتراف بالاستقلالي في الحجاز من تبوك حتى مكة، وحصر

القيام في وجه السلطان عبد الحميد، لا يصفحون عمن يجترئ على شل حركتهم في هذه الحرب، وقد خاضوا غمارها لمصلحة العالم الإسلامي، وهم في الوقت نفسه لا يتأخرون عن نيل الأنعام الجزيلة من جلالة الخليفة لكل من عمل لابتغاء رضى الله وتحقيق غاياتنا المقدسة.«

جمال يخاف ويتوعد :ثم يقول جمال باشا في مذكراته:

»وأصدرت محكمة عاليه» الديوان العرفي «حكمها في القضية الكبرى) قضية 6 مايس سنة 1916) ([137]) ونحن لا نزال نتبادل الرسائل مع الحسين، فبذل فيصل جهده لينال عفواً للمحكوم عليهم، وكان يزورني كل يوم ويحوّل مجرى الكلام إلى قضية العفو، وسمعت أنه كان يعنف أعيان دمشق الذين يزورونه لعدم سعيهم لإنقاذ مواطنيهم، ودعاني ذات يوم لتناول الغداء معه في القابون) ..لآل البكري منزل فيها دمره الفرنسيون أثناء الثورة السورية سنة 1925)م ([138])(بالديناميت (وكان ذلك في أوائل شهر نيسان، فدار الحديث حول موضوعِ العفو فسألته :

–هل عرفت تفاصيل ما فعله هؤلاء؟

فقال :كلا..

فقلت :لو عرفت التفاصيل لأسفت أشد الأسف على توسط لنيل العفو عنهم.

واستلمت بعد أيام رد الشريف حسين على برقيتي إليه، وبه يلح في إصدار العفو لأن صدوره في مصلحة الحكومة، ويشكو من تصرفات محافظ المدينة بصري باشا ..ويقول إنه يأبى أن تسلب منه حقوق منحه إياها الخليفة..

وازدادت في الوقت نفسه شكاوى بصري باشا من تصرفات الشريف علي) وكان يقيم معه في المدينة(، وسعيه لتأليب العربان واستمالتهم، فدعوت فيصلاً وأطلعته على رد والده وسلوك شقيقه وقلت له :

لا أستطيع إدراك غرض والدك من استعماله هذه اللهجة التي يستعملها في هذه الأيام، ولا غاية أخيك من الخطة التي يسير عليها في المدينة، فمن الجهة الواحدة تعلنون أنكم عاملون على تجهيز المتطوعين وإرسالهم للاشتراك في حملة القناة فتمدكم الحكومة بالمال والرجال، ومن الجهة الأخرى تدل أعمالكم على ميلكم إلى الانفصال ..وقد بدرت بوادره من ناحية أبيك وأخيك، فإذا أردتم أن تظلوا أصدقاءنا ...فيجب أن تراعوا قوانين الصداقة، وإلا فاعلنوا ثورتكم واحملوا سلاحكم، وإذا كنتم لا تضمرون الشر فاكتب إلى شقيقك ليحضر إلى هنا حالاً ...وليكف عن الاعتداء على سلطة المحافظة.

فأجابني بأنه سيعم على تسوية الخلاف بين الحاكم وأخيه.«

وفي هذه الأثناء كانت المراسلات السرية تجري بلا انقطاع بين فيصل ووالده وأشقائه، فيوافيهم بكل ما يقع في دمشق وما يدور بينه وبين الترك، ويوافونه هم بما عندهم .وأخيراً اتفقوا على أن يوعز الشريف علي إلى المتطوعين الذين جاؤوا معه من الحجاز وكان يقودهم بنفسه، ويقيم وإياهم في المدينة ريثما يتكامل عددهم فيسير بهم إلى القناة، أن يقترحوا استقدام فيصل من دمشق ليذهب معهم إلى جبهة القتال.

وسافر فيصل من دمشق على رأس وفد اقترحه جمال باشا، إلى المدينة، وحال وصولهم، لقيه آصف في الحرم النبوي، وقال له» :إذا كنت تستطيع النجاة بنفسك فافعل .«وكان الحسين وبنوه قد عقدوا مؤتمراً في الطائف وقرروا قواعد الثورة«، وما كانت هذه الأحداث إلا ريثما تستكمل الأسباب، وحصول ما يبرر ذلك من الترك.

وخرج فيصل من المدينة ووصل إلى مكة، وتقرر بدء الثورة، وأرسل فيصل إلى نسيب البكري في دمشق) :أرسلوا الفرس الشقراء (كذا في مرجعنا المكشار إليه، والمتداول مع أهل الحجاز، أن النص :الفرس الخضراء ولدت (وهو أبلغ وأوقع في النفس .فعرف نسيب أن الثورة قد قامت، ونسيب البكري من عظماء سورية، ومعنى هذا أن سورية أول من علم بالثورة من مكة.

الرصاصة الأولى

في التاسع من شعبان سنة1334) ه10/6/1916 /م (أطلق الحسين طلقة بدء العمل بالثورة، عند الفجر، وكان كل المعنيين بذلك يعرفون هذا الرمز، ويتحرونه .وطيرت البرقيات إلى المدينة والطائف وجدة، وكل بلدة فيها ممثل مسؤول عُيّن سابقاً وعلّم بما عليه وسرية الأمر حتى يصدره الشريف الكبير.

هل كان للعرب سند، حين إعلان ثورتهم؟!

نعم:

أولاً :عون الله الذي يعلم ما حاق بهم من ظلم، وجعل أهل الرسالة مجرد ولايات تابعة لا قرار لها ولا تقرير.

ثانياً :هذه الجرود التي جمعوها تمويهاً على الترك بدعوى أنها ستقاتل معهم، وصرفوا عليها بعض الأموال.

ثالثاً :تلك المفاوضات السرية مع الإنجليز، التي وعدت العرب بكل ما يحملون به، كانت هذه المفاوضات في مراسلات سرية تجري في نفس الوقت الذي تجري فيه المفاهمات مع الترك.

المراسلات التأريخية

هذه هي المراسلات التي جرت بين الحسين وبين العرب، وبينه وبين معتمدي الإنجليز في مصر والسودان، وغيرها، وكنا نأخذها باسم) مراسلات الحسين– مكماهون(، ولكن السيد سليمان موسى، مؤرخ الأردن، بذل جهداً جباراً في جمع تلك المراسلات التي دارت بين الحسين والإنكليز، وبينه وببين بنيه، وبين بنيه أنفسهم، وبين الحسين وكبار العرب المخلصين، وجعلها في كتاب سماه) المراسلات التأريخية.(

وقد عمدت إلى كل ما يجعل القضية واضحة وضوح الشمس، فنقلتها من ذلك الكتاب حرفياً، ولم أُضِفْ أو أحذف منها، إلا تعليقات وتوضيحات، وإليكها:

الرسالة الأولى

من الشريف حسين إلى أخيه الشريف ناصر([139])

25صفر 1329 هـ

مكة 25) :شباط1911 م([140]) (

عطوفة الأخ الأعز حفظه الله،

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ثم ولا بد ما بلغكم توجيه مسألة إصلاح سنجق عسير إلى عهدتنا بعد أخذ فكرنا في ذلك .وردنا من الصدارة بقيام الطراد حميدية المتوجه إلى اليمن يقل قومندان ([141])عموم اليمن عزت باشا، وإن لا بد من مواجهته في جدة، للمذاكرة فيما يقتضي .بناء عليه توجهنا أول أمس الخميس من مكة واليوم أصبحنا جدة.

ومأمول وصول الوبور اليوم .ولكن للآن لم يصل .وأرسلنا طلبنا عبد الله لأجل ما ذكر، ووردنا منه ما يفيد بحركته يوم الثلاثاء القادم من طرفكم .وكان قصدي الطلب يكون لكم أولى وأحسن، ولكن تذكرت غيابكم عن عائلتكم وبيتكم هناك، ربما يخل عليهم نوعاً ما ([142])وحيث إني رأيت عبد الله أخف منكم حملاً فلذا صار طلبه .وقد أخذنا في أسباب الغزية بطلب العربان :حرب وعتيبة ومطير، خلاف المائتان عُقيلي وماية حصان التي سترد من الشام بواسطة الحكومة السنية حسب طلبنا .والله يوفق لما فيه الصواب وحقن دماء المسلمين.

أمير مكة

الحسين بن علي) الخاتم(

الرسالة الثانية

من الحسين إلى أخيه ناصر

)الأرجح سنة1913 م([143])(

رسالتكم التي طيه بسفر عبيد الله إلى اليمن للإدريسي، وعزم توجه علي باشا، وإن نيَّتهم فينا سيئة جداً، وصلت وعلم جميع مآلها، ويا أخي آثرك ما تدري عن سوء نيتهم إلا ذلحين .يا سيدي ودهم يخسفوا بنا الأرض رغماً عما نحن قائمين لهم من الخدمات المهمة .ما هو من جهة الإمارة .لا لا يا سيدي، بل لمقام الخلافة التي هي الآن الوحدة الإسلامية، خدمة لجدك في أمته لا يتفرق شعثها .هذا الذي نسعى فيه .أبشرك أنهم معثورين بعد قصدهم تفرقة كلمة المسلمين .لكن يا أخي كان يقتضي إذا سمعت مثل هذا، تروح لحضرة الصدر .ومستشاره وتقول له :بلغنا كذا، وإنا نتأسف بأنكم تسعوا في خروج الحجاز من أيديكم وهو الآن ولاية في الخضوع والسكوت .ويلزم تعلمون أن الدولة ما هية محصورة في الترك، بل لنا النصيب الأعظم في الشور، وحق الرأي فيما يتعلق بأساسها .فما نراه أصلح نعمل به، وما نراه مضر ومخالف بمنافعها فنرده بالمراجعة لهم فيه .ما هو لكسب شهرة أو منفعة ذاتية لا بل لخدمة جماعة المسلمين .يعطوا الإدريسي وهو تابع الطليان وتحت نفوذهم ويسلطونه علينا .وابن سعود كذلك .ويخلوا في الإمارة علي باشا أو حيدر اللي ما يحسن أحدهم يرد كلمة.

إن كان ما لنا حمية في المسلمين نحمي في بلادنا وعزيزة قومنا ومحارمها .هذا يلزم تفهمهم به في وجههم .ما أحد أصدق منا وأقدم منا عبودية ومنسوبية لمقام الخلافة، حتى يتصرفوا في هذه الأساسات للأغراض والمنافع، يكن معلوم ..خلاصة يا أخي، أنت ما أرسلناك تصير أعيان، أنت من طرفي إذا سمعت مثل هذه تروح تستوضح للصدارة والسرية عن مثل هذه المواد وتعرضه عليها .إيش يقدروا يسووا فيك؟ ولا خردله، يكن معلوم.

من فيصل إلى الشريف حسين ([144])

بارق) عسير   (

21ربيع الأول 1331 هـ

)28/2/1913م(

ولي النعم سيدنا وسيد الجميع.

بعد تقبيل ثرى مواطئ الأقدام والدعا بطول البقاء على الدوام، في أهنأ الأوقات تلقيت الأمر الكريم رفق عبدكم محمد مغربي المنديلي وصورة المخابرة مع الباب العالي، وكامل ما تضمنته تلك الأوامر الشريفة صارت لدى المملوك معلومة .وحمدت الباري على استقرار صحة ولي النعم .وباكر تاريخه متوجه إلى تهامة أولاً لانتظار الأمر هناك ثم للنظر لحلي وما حصل فيه من مجيء شيوخ ابن إدريس إليه وما قصدهم بذلك .والذي تحقق لدى المملوك الآن بصورة قطعية أن ابن إدريس أمر هؤلاء الشيوخ وقال لهم امشوا إلى قبائلكم، وأعطاهم البندق وأخبرهم أنه ماشي في ساقتهم، ورتب جيوشه من عتود وشام حوشه ومن عتود ويمن جيوش . وسيمشون على جهتين الأولى على الساحل ثم حلي وشام، والثانية على قنا، ويحتاشون رجال ألمع معهم ويمشون على محايل .وإن ابن إدريس يذكرون أنه عازم بالمماشا برأسه، وقال قصده يروز) الشيخ علي (المدفون في حلي وأوعدهم بالوصول في خمسة عشر الشهر القادم .وهذه حقيقة وملخص أخبار وأحوال اليمن الذي يدعي سعيد باشا أنه سيصالحه) .ولها بقية في المرجع.(

المملوك) فيصل(

إنما ألحنا إلى هذه الرسايل ليتضح النهج من أول ولاية الحسين، بأن أخبار الأتراك كانت مقلقة للحسين وأسرته، وأن الأسرة أصبحت تعلم جيداً نوايا الترك نحو العرب، وجعلهم أمة مهمشة، تأتي في آخر القائمة، وعلم الإنجليز بما يجري في بلاد العرب، فمدوا شباكهم، فالصيد سمين وثمين.

محادثات الأمير عبد الله مع اللورد كتشنر

)ما رواه الأمير عبد الله نفسه(

)مترجم 5 (شباط1914 م([145])

بدأت معرفتي باللورد كتشنر في القاهرة في ربيع سنة1912) م(، عندما كنت في طريق عودتي من إستانبول إلى مكة، وحللت في قصر عابدين ضيفاً على الخديوي .وذات يوم جاء كتشنر يزورني في القصر ومعه سكرتيره الشرقي المستر رونالد ستورس .وبعد يومين رددت الزيارة لكتشنر في دار المعتمدية البريطانية .لم يكن للحديث، الذي دار بيننا أثناء زيارته لي، أي طابع سياسي معين .وكان أهم ما قاله كتشنر أن الحكومة البريطانية لاحظت بامتنان كيف أن الترتيبات في الحجاز، من أجل سلامة الحجاج وراحتهم، قد تحسنت منذ أن تولى والدي منصب إمارة مكة .وأثناء زيارتي له، أبدى كتشنر اهتماماً ملحوظاً بشؤون الحجاز، وسألني عن كيفية تنظيم الإدارة هناك، وعن العلاقات بين الوالي والأمير، وعن مدى محاولة الموظفين الأتراك فرض سيطرتهم في القضايا الدينية المحضة .ومن ناحيتي لم أشعر أنني أملك الحرية للإجابة على أسئلته النفاذة بالقدر الذي كنت أريده .وقد تركت شخصيته القوية انطباعاً مؤثراً في نفسي، وافترقنا على شعور من المودة .ومضت سنتان قبل أن اجتمعت به للمرة الثانية.

في أوائل([146])1914 ، ألفيت نفسي في القاهرة مرة أخرى وفي ضيافة الخديوي أيضاً . وذات يوم بينما كنت مع الخديوي، دخل علينا اللورد كتشنر، وتبادلنا التحية ثم استأذنت وخرجت .وبعد فترة من الوقت في صباح ذلك اليوم نفسه، جاء كتشنر لزيارتي في الجناح الذي كنت أنزل فيه، بعد أن انتهى اجتماعه بالخديوي .ورددت الزيارة لكتشنر بعد يومين . وفي هذه الزيارة تناول الحديث موضوعات سياسية .ففي خلال العامين المنصرمين، ظلت علاقاتي متصلة مع ستورس حتى انتقلت إلي عدوى حماسته لرئيسه كتشنر، أضف إلى ذلك أن العلاقات بين الحكومة العثمانية والشريف– بل بالأحرى بين الأتراك والعرب بصورة عامة – كانت قد بلغت أثناء ذلك حداً من التوتر بدا معه أن الصراع بنيهما أصبح محتوماً .إزاء ذلك اعتزمت أن أتحدث بصراحة مع كتشنر.

وقد تبدت فرصة الحديث لي عندما ذكر كتشنر أنه سمع مؤخراً عن تعزيز الحامية التركية في الحجاز، وعندئذ اغتنمت الفرصة فوصفت له– بحرية أوسع مما أبحت لنفسي في المناسبة السابقة –حقائق الوضع في الحجاز ودقة موقف الشريف والأسباب الكامنة وراء النفور المتبادل بين العرب والأتراك، وأهداف الحركة العربية بوجه عام .وقد بيِّنت أنه، على الرغم من أن الأسباب المباشرة للخلاف تكمن في محاولات الأتراك تقليص امتيازات الشرافة وإكراه سكان الحجاز على قبول نظام جديد بيروقراطي وغير ملائم، فإن مشكلتنا لم تكن سوى جزء من المشكلة العربية الرئيسية، وإنها مرتبطة بما سيكون عليه مستقبل الأقطار العربية الأخرى في الإمبراطوية العثمانية .وأعربت عن وجهة نظري بأن الوضع في الحجاز يمكن أن يتطور تطوراً بالغ الخطورة إذا لم يتخل الأتراك عن أساليبهم الاضطهادية.

بدا لي أن كتشنر أصغى باهتمام لأقوالي، ووجّه إليّ عدة أسئلة استيضاحية .وعندما قلت إن شريف مكة، في التحليل النهائي، ليس سوى موظف عيّنه الباب العالي، ومن هنا فيمكن الاستغناء عن خدماته فجأة ودون سابق إنذار) .ولها بقية هناك.(

من اللورد كتشنر إلى السير أدوارد جراي) مترجم (رقم –22 سري –

القاهرة 6 شباط1914 م([147])

سيدي :

يقيم الآن في القاهرة، في زيارة قصيرة، الشريف عبد الله بن شريف مكة، وقد جاء لزيارتي يوم أمس.

لقد طلب مني أن أبعث إليكم بتحيات والده، وقال إن الأحوال في الحجاز لا تسير كما يجب أن تسير بسبب ما حدث مؤخراً من تعيين وال تركي جديد يجمع في يده بين الصلاحيات المدنية والعسكرية، بالإضافة إلى أنه لا يتعاطف مع الشعب ويقوم بتصريف أعماله بالتعاون الوثيق مع أبيه، سواء في تصريف الشؤون الداخلية للأراضي المقدسة أو فيما يتعلق برفاهية وأمن الحجاج المسلمين القادمين من جميع أرجاء العالم، وهو ما كان من صميم مسؤوليات أبيه أمير مكة منذ أمد طويل.

وقد رغب إلي أن أسألكم، عما إذا كنتم- في حالة بلوغ هذا الخلاف مرحلة الحرج وفيما إذا حاولت الحكومة التركية أن تعزل أباه من منصب إمارة الأماكن المقدسة الوراثي -([148]) سوف تستعملون مساعيكم الحميدة مع الباب العالي لمنع تنفيذ تلك المحاولة .وقد أوضح الشريف عبد الله أن أباه كان دائماً يفعل كل ما في وسعه لمساعدة الحجاج الهنود المسلمين الذين توثقت أواصر الصداقة بينه وبين كثيرين منهم .ثم صرح بعزم ثابت أنه في حالة إقدام الحكومة التركية بالفعل على عزل والده، فإن قبائل الحجاز سوف تقاتل دون الشريف، وسوف يترتب على ذلك قيام حالة حرب ضد القوات العسكرية التركية ,وقد عبّر عن أمله أنه إذا ما نشأت ظروف كتلك الظروف، فإن الحكومة البريطانية لن تسمح للتعزيزات بالمرور بحراً بقصد منع العرب من ممارسة الحقوق التي تمتعوا بها منذ أقدم الأزمان في بلادهم وأراضيهم حول الأماكن المقدسة.

وأبدى الأمير رغبته أيضاً أن تبقى ملاحظاته هذه سراً مصوناً، وأن لا يعرف عنها أي شيء بحال من الأحوال في إستانبول .وسألني كذلك عما إذا كنتم ستبعثون إلى أبيه برسالة ما، وكان جوابي أنني أعتقد أن من غير المحتمل أن تبعثوا برسالة ما.

من عبد الله إلى أبيه الشريف حسين

القاهرة 11 :ربيع الأول 1332 هـ

7]شباط 1914 م[

يوم وصولنا القاهرة الأحد سافر معزبنا] الخديوي عباس حلمي [لمزارعه ولا عاد إلا يوم الأربعاء مساء، وواجهني صبح الخميس وسألني عن كل ما يتعلق بنا وأعطيته الإيضاحات

اللازمة، ووجدته على الإخلاص السابق، وسألته عن ما فعل عند سفره وزيارته لأصحابه، فأفاد بأنه واجه) غراي (وبلغه سلام سيدنا وذكر له بأنه جميع المسلمين الذي في أقطار الأرض في غاية من الممنونية بالنسبة لاستراحتهم في الحج، فأفاد صاحبه بأن هذا هو الواقع وأنهم مقدرين ذلك، فقال لها صباحبنا ينبغي أنكم تسعو في تثبيت هذه الحالة وإدامتها، فقال وهل ممكن تغيرها؟ وقال له– أي صاحبنا –بل سلامي صاحبك .هذا هو الواقع بينهم .ثم أمرني أن أزور صاحبه] كتشنر [الذي هنا وأفيده بأنني مأمور بتبليغ سلام ولي النعم له وأن أطلبه يبلغ سلامه أيضاً لغراي وأن أنظر فيما يجيبني به وأباحثه في الموضوع، فعدت إلى مكاني وسأله الياور في التلفون وطلب منه أن يعين وقت للزيارة، فطلب مواجهتي فوراً، فذهبت إليه وقابلني بأحسن قبول وسألني عن الحالة بالحجاز، فأجبته بأنكم أعلم بها من كل أحد وبلغته السلام على ما ذكر، وباحثته في الموضوع على حسب التعليمات التي تلقيتها من ولي النعم بمكة حرفياً، وزدت عليها ما استنتجته من الأمر الكريم الذي تلقيته أخيراً عن ما فعله الوالي الجديد، فأجابني في الحال أنه سيكتب تلغرافياً وبدون تأخير بأن يجب على إنكلترا عدم المساعدة على تغيير حالة الحجاز وأميرها، وأضاف عليها بأننا لا نريد المداخلة في حقوق أحد، ولكن حيث إن الحجاز محل حج رعايانا فينبغي أن نلاحظه .ولا حبيت أن أوريه الوهن فينا وخرجت وسحبت تلغرافي لولي النعم الذي تشرفت بجوابه .وبالفعل زارني اليوم ومعه كاتبه]كتشنر وستورس [وبعد القهوة، قال أنا كتبت لمرجعي بوصولك إلي وبما ذكرت، وقلت لهم ينبغي لكم أن لا تساعدوا في تبديل الحالة في الحجاز ولا تبديل أميرها، وإذا كان لديك إفادات ثانية أخبرني بها .فقلت له نحن إن لم يكن لنا خير في آل عثمان ما لنا خير في أحد، ولكن مع الأسف اليوم لا حكم للسلطنة بل هي مهضومة الحقوق، فإذا حصل على حقوقنا تعدي ممن هم هاضمين الحكومة حقها فلا سبيل عن الدفاع .فأجابني بقوله أظن إنهم ما يتجرئوا عليكم بشيء، ولو وقع منهم أمر مخالف تكون العاقبة مبروكة من طرفنا، فكأن الأمر تم والوعد حصل شفاهاً .وبعد خروجه أعاد لي كاتبه وقال لي ما لفظه حرفياً) أياً ما أردتم من الخدمات سنقوم بها حسب رغبتكم وشرفونا للوكالة حتى نتحادث في الموضوع.(

هذا يا ولي النعم الواقع .وبحمده تعالى قد تمت وظيفتي الشفاهية وسأقرنها عند ملاقاتي الثانية بعقد تحرير .أما معزبنا ([149])فهو في الإخلاص السابق بل أزود، وعندما بلغه تعيين الجديد]وهيب بك [والياً أيضاً، طلب إسماعيل حقي بك] المندوب السامي العثماني [إلى السراية وقال له :قامت الحكومة تلعب بالحجاز فأنا لا أسمح لعبد الله يسافر من هنا حتى أقف على حقيقة الحال، وإن أحس بحالة غير موافقة سأعيده إلى بلاده وأبيه، وإذا رجع من هنا على هذه الحال أنتم أدرى بما سيقع، وموقعي أنا أيضاً يكون إذ ذاك مشكلاً، حين لا يمكنني أبقى في موقع المتفرج .لا بدّ لي من أمر أفعله .فلكم إحدى اثنتين إما أن يأتي من الآستانة مأمور مخصوص يواجه عبد الله هنا ويأخذ منه التأمينات اللازمة المقنعة لنا جميعاً، ويروح معه للآستانة لتعيين خطة معلومة تمشي عليها الحكومة في الحجاز، أو يعطوك أنت يا إسماعيل بك أمراً تتوجه أنت وعبد الله للحجاز وتأخذ أوامر الأمير وتنظر في رغباته وتلزم الحكومة بإجرائها .وإلا لا يمكن أن أفسح لعبد الله بالسفر .هذا الأمر وقع أمس بلا علم مني، وأخبرني به الجناب العالي اليوم .ففي الحال ضربت السلك لولي النعم بالتبريك بعيد المولد وأن سفري تأخر لتلاطم البحر الأبيض .أردت بذلك تحذير ولي النعم من وهيب لأن الشائع هنا أن بيده تعليمات ضدنا، وأما إسماعيل حقي فهو اليوم أحد خادمين أفكارهم .ويوم زيارة الرجل المعلوم بلغه أنه وصلني، فعقبه جائني بيومه مرتين يعطيني إيضاحات ويريد بذلك أن للاتحاديين نية حسنة نحونا .وتسعمائة عقب هرجة معزبنا سحب في الموضوع تلغرافين ويناظر أجوبتها .ومن جملة ما جرى بيني وبينه هو قولي :يا إسماعيل، أن أحسنوا بنا النية، أو أساؤها ما يستنفع أو يتضرر غيرهم أحد، خدمناهم مدة سنتين وهو ما تمشي لهم سفينة في البحر الأحمر تحمل رايتهم أثناء الحرب، وطرحنا لهم الإدريسي فما يمكن أن يكون غير هذا أمر يثبت صداقتنا، وإذا كان علاوة على هذا يريدو أن يعينوا خلافنا فالحكم في ذلك أحكم به أنت .قال :أنتم قرر أعيننا، وإذا فعلوا ذلك فلا تطيعوهم وموتو في سبيل مجد دينكم .هذا والله قوله يا ولي النعم .فإذا كانت هذه أقوالهم فما عذرنا يا ولي النعم .والمملوك

مناظر هنا ما سيرد إسماعيل حقي من جواب، ومناظر إتمام تحرير المقاولة حسب التعليمات التي تشرفت تبليغها .وإذا رأيت من الصالح مراحي للآستانة رحت، وإلا استأذن من ولي النعم وأعود .هذا ولا خلافه يعرض، وهم أخذل من خذل .أما تشكر أنور فهو إجابة على تحريرات ولي النعم .والله أعلم.

من عبد الله إلى الحسين

القاهرة15/2/19147 :م([150])

في الأسبوع الماضي عرض من المملوك ما فيه الكفاية .فعن تلغراف ([151])إسماعيل حقي عقب تبليغات معزبنا بنهارين، جاء جواب من الصدارة محرم هذا معناه) منير باشا أجري تقاعده حسب المقررات العسكرية الأخيرة، والوالي تبدل لتوحيد الوظيفة حتى تسهل الأمور الإدارية، كما تكرر الطلب بذلك من الإمارة الجليلة .وحضرة الأمير الحالي اعتماد الدول عليه وأمنيتها منه لم يحصل فيها أدنى تغيير، وتبديله لم يتصور ولن يتصور، أوضحوا هذا لعبد الله بك .(قرأ هذا التلغراف على الخديوي بحضوري .وعقب خروجه قال لي معزبنا :هؤلاء لا يؤمنوا فينبغي أن نتحذر منهم كل التحذر، وأصحابنا الإنكليز اللي هنا أنا لا آمنهم في بلادي ولكن آمنهم في البلاد العربية وخصوصاً في جهتكم، لأنهم لا يتصور أن يحتلوا بلادكم، لأنهم يخافون غضب رعاياهم من المسلمين، ولذلك هم يخمونا بلا خوف منهم .وقد أسسنا معهم الأساس، فينبغي لنا أن نتشبت في قطع الكلام وأخذ القول اللازم منهم .فأنت الآن ارجع إلى عابدين واستلحق كاتبه] ستورس [الذي قال لك إنهم مستعدين للخدمة، وأهرج معه بأن نطلب منكم أمرين وهما إذا اضطرونا الاتحاديين على مدافعة بلادنا فأنتم تمنعوهم من ضرب سواحلنا وإنزال العساكر فيها، وأن تفتحوا لنا طريق بور سودان للمخابرات والمناقلات، ومقابلة ذلك نعترف لكم بحقوقكم في الكويت ومسقط ولحج، ونسهل لكم كل التسهيلات

التجارية ونرجحكم على كل الدول :وهم ما يناظروا منكم غير هذا .وقال لي :لا تبحث لهم في مصاريف أو خلافه، تلك موجودة عندنا .وأمرني أن أخبره بالنتيجة وعرض ذلك على ولي النعم .فرجعت وفي الحال أخبرته، أي الكاتب، في التلفون، بأن قصدي مواجهته .فجاءني في الفور، فأخبرته بما توضح أعلاه، فقال :نعم هذه فكرتي التي أسعى عليها منذ عشرة سنوات، ولكن إذا أوقفنا الترك وقالوا عليكم إعادة الأمن ماذا نفعل؟ فيا ولي النعم هذه ما كانت في الحساب .فأجبته بان لا تظن أنت ولا حكومتك أن مراجعتنا هذه هي افتقاراً إليكم، كلا بل لأجل أن لكم رعايا كثيرين العدد أحببنا إخباركم، حيث أنكم من ذوي الشأن، لئلا تتخذوا عدم إخبارنا لكم وسيلة للاعتراض والتداخل .وإلا فلله الحمد الحجاز قادر على دفع الترك وغيره بقوته الحالية، والآن تراني قطعت باب الحديث معكم في هذا الشأن .فأنتم ما لكم حق أدنى كلام في المستقبل ولا حق أدنى اعتراض بعد إخبارنا لكم بالكيفية، وحتى لو حوصرنا منكم ومن الترك لا تظنو أننا نعجز ونضطر إلى الخضوع لهم ولكم، بلادنا سادتنا وكل تبعة الجانب نخرجهم .فأجابني مسرعاً :ليس أن يكون لزوم لهذا كله، أنتم تعهدوا بإعادة الأمن وقولكم كافي وهذين الطلبين تحصل .وطلب مني أن يعرض الأمر لصاحبه وأن أناظر الجواب الذي يأتي من مركزهم الأكبر .فتلقيت الأمر بتعجيل الحركة ثم الأمر الثاني بالرخصة بالإقامة أسبوع .وها أنا في انتظار جوابهم، وموعد ملاقاتنا بكره، وإنشاء الله تتم الأمور على ما ينبغي .أما صورة التلغراف فمقدمة طيه، كما أنه ظهر لي أنهم] الأتراك [أعطوا ولي النعم تلغرافات تأمينية وطلبوا من سيدنا تعجيل سفر المملوك، وعليه تشرفت بالتلغراف بتعجيل الحركة لدار الخلافة .وعبدكم في انتظار الأوامر الكريمة بحركات وهيب وأمس تشرفت بالتلغرافين الكريمين بان أجري كل ما أراه موافق، وتطمنت بوصول كتبي السابقة، كما أن خاطري انشغل من التلغرافين المذكورين ظناً أن ظهر من وهيب حركات توجب التسريع في نهو الأمور .فيا ولي النعم لا تأمنوه ولا تأمنوا المركز البتة .والذي يراه المملوك هو عدم الاكتراث به مع عدم الجفوة .ومظهار الوادي ([152])كالعام الماضي أراه موافق جداً حتى لو تطولو مدة الإقامة به من خمسة أيام إلى أسبوع، هذا الذي يراه المملوك ..

من اللورد كتشنر إلى السير وليم تيريل

القاهرة 26 :نيسان1914 م([153])

عزيزي تيريل.

لا أعتقد أن هناك ضرورة لكتابة تقرير رسمي عن مرور الشريف عبد الله بالقاهرة في طريق عودته من إستابنول إلى الحجاز، لأنني لم اجتمع به .لقد دعا ستورس، الذي أخبره– بناء على تعليماتي –إن عرب الحجاز يجب أن لا يتوقعوا منا أي تشجيع، وإن موضوع اهتمامنا الوحيد في الجزيرة العربية هو سلامة الحجاج الهنود وراحتهم .لقد كتبت رسالة خاصة إلى مالت حول ما دار في ذلك الاجتماع .ويبدو أن الشريف غير راض عن نتيجة زيارته لإستانبول وعن تصميم الحكومة التركية على تمديد خط السكة إلى مكة، لاعتقاده أن ذلك يعني قتلاً اقتصادياً لسكان الجزيرة العربية الذين يملكون الجمال.

سوف يكون مفيداً مراقبة التطورات، إذ يبدو أن العرب متحمسون كثيراً.

من فيصل إلى الشريف حسين

مجلس مبعوثان

إستانبول 21 :شعبان 1332 هـ

(15/7/1914م)

ولي النعم سيدنا وسيد الجميع متعنا الله بإجلاله .

بعد تقبيل ثرى مواطئ الأقدام والدعاء بطول البقاء على الدوام، في أهنأ وقت تلقيت الأمر التلغرافي الكريم بحركة سيدي عبد الله من جدّة والأمر بحركة المملوك عقب انسداد المجلس . وحكماً إن شاء الله في أول أسبوع من رمضان أتوجه، حيث سيكون انسداده في ذلك الوقت .من يوج حركتي من مكة إلى الآن ما تشرفت من ولي النعم ولا بإفادة خصوصاً بعد الرجوع من مرّان، والمملوك منشغل من ذلك حيث إن أوامر ولي النعم وردت إلى بعض أسخاص هنا .أما ممشا سيدي عبد الله فهم تلقوه هنا بكمال المسرورية، وما أدري من أين استعلموا ذلك، حيث إن كلما رأيت أحد منهم، مثل طلعت بك والرئيس وناظر الحربية (وهو بالخاصة يقل الأقدام)، يخبروني بحركته قبل أن أخبرهم، وسيكون وصوله فصل الخطاب، هذا ولا خلافه يعرض .وأطال الباري بقاء من له الأمر.

المملوك (فيصل)

من اللورد كتشنر إلى مثل بريطانيا في القاهرة

برقية (مترجم) (لندن24/9/1914 م

أبلغ ستورس أن يبعث مع رسول يتم اختياره بعناية وبصورة سرية، برسالة مني إلى الشريف عبد الله، غايتها التحقق مما إذا كان سيقف هو وأبوه وعرب الحجاز معنا أو ضدنا، فيما إذا كان النفوذ المسلح للألمان في إستانبول سوف يضطر السلطان والباب العالي ضد إرادتهما، إلى القيام بأعمال عدوانية وإعلان الحرب على بريطانيا العظمى.

)كان كتشنر آنذاك قد ولي وزارة الحربية البريطانية.(

من عبد الله بن الحسين إلى ستورس

مكة المكرمة 20 تشرين الأول1914 م

أرجو أن أحيطكم علماً بوصول رسالتكم المرسلة مع رسولكم .وأحمد الله على حسن رأيكم في ثباتي على قولي .أنت تعلم أننا إذا لم نستمر في التمسك بالخلافة الإسلامية.

من رونالد ستورس إلى الشريف عبد الله

12ذو الحجة 1332 هـ

1)تشرين الثاني1914 م(

حضرة الحسيب النسيب سلالة الأشراف صدر الجلالة والسيادة المبجل السيد الشريف عبد الله صاحب الفضيلة والمقام الأسمى والاحترام والوقار الكلي.

بعد فائق التحيات والقيام بواجب شكركم، نعرض أننا قد وقفنا على ما أبديتموه من الأسباب ونحن إزاء ذلك نعترف بأنكم وزنتم كامل مطالبكم بقسطاس العدل والإنصاف .فبناء عليه قد أحطنا صاحب الفخامة والإبهة جناب اللورد كتشنر علماً بفحوى نميقتكم الغراء وكان جوابه عليها كالآتي :

سلامي وتحيتي على حضرة الحسيب النسيب الشريف ابن الشريف سليل البيت المكرم الذي أشرق نوره من أفق البطحاء السيد الشريف عبد الله شرف الله الديار الإسلامية به وبكامل أفراد عائلته الموقرة حفظه الله .([154])وبعد فإن الذي رأيناه أصبح صحيحاً وتم ألا وهو أن ألمانيا قد اشترت الحكومة التركية بالمال غير ملتفتة إلى الاتحاد الإنجليزي الفرنسي الروسي المتكفل بإبقاء المملكة العثمانية على ما كانت عليه من عدم التجزئة لو داومت تركيا على الحياد إبان هذه الحرب .إن الحكومة التركية قد اكتسبت يداها أعمالاً حربية ضد إرادة مولانا السلطان لغزو الديار المصرية بدون أن يحملها أحد على العداء وكان كل ذلك بضغط ألمانيا عليها .وهي اليوم حاشدة فرقاً مسلحة متبوعة بعساكر من الأتراك في العقبة لغزو الديار المصرية .ومع كل هذا فإن الغاية الوحيدة التي يتطلبها العرب ألا وهي الحرية قد أصبحت اليوم نفس ما تسعى وراءه دولة بريطانيا العظمى أيضاً .فلو أن سيادتكم وكافة العربان تساعد إنجلترة في مثل هذه المحاربة والنزاع الذي اضطرتنا تركيا بنفسها إليه .فإن إنكلترة تعدكم وعداً صريحاً بأن لا تتداخل في الأمور الدينية وما عداها بأي صفة كانت.

ثم إن دولة بريطانيا العظمى لمناسبة وضعها تجلة واحترام قدسية مقام صاحب الشرف والسيادة والدكم الأمير حسن الشريف المحفوظ بالعناية الإلهية، تضمن استقلال وكافة حقوق وامتيازات وسلطة وإشراف سيادة الشريف ضد كل عداء وتجاوز خارجي، وعلى الأخص فيما يقوم به العثمانيون من العداء ضد سيادته .وإننا لغاية يومنا هذا قد حمينا الإسلام وصادقناه في

شخص الأتراك ولكننا من الآن فصاعداً ستكون حمايتنا للإسلام ومصادقتنا له باسم العرب الأشراف.

وعسى الله أن يمن على المؤمنين بخليفة عربي الأصل والحسب والنسب ويشرف على البقعتين المباركتين بيت الله الحرام والمدينة المنورة وبذلك يبدل يومئذ ربك الشر بالخير .فلو استحسن شريف سيادتكم توصيل بشائر شروق شمس حرية العرب المطلقة لكافة أتباعكم ومحاسيبكم في جميع الأقطار والبلدان أو بالحري في جميع أنحاء المعمورة، كان ذلك هو المستحسن لدينا .

وتقبلوا في الختام فائق الاحترام اللائق بالمقام الشريف .انتهى.([155])

بكل مودة قلبية وصداقة أخوية محضة أخوكم المخلص على الدوام:

المستر أستورز

12ذو الحجة سنة 1332 هـ

1تشرين الثاني 1914 م

بما تقدم انتهت المرحلة الأولى من المراسلات.

مرحلة جديدة من المراسلات:

مذكرة الشريف حسين الأولى إلى السير هنري مكماهون

)مترجم (مكة 2 :رمضان1333 هـ

14)تموز1915 م([156])(

لما كان العرب بأجمعهم دون استثناء قد قرروا في الأعوام الأخيرة أن يعيشوا وأن يفوزوا بحريتهم المطلقة، وأن يتسلموا مقاليد الحكم نظرياً وعملياً بأيديهم، ولما كان هؤلاء قد شعروا وتأكدوا أنه من مصلحة حكومة بريطانيا العظمى أن تساعدهم وتعاونهم للوصول إلى أمانيهم المشروعة، وهي الأماني المؤسسة على بقاء شرفهم وكرامتهم وحياتهم دون أية مقاصد أخرى من أي نوعٍ كان لا علاقة لها بهذا الهدف.

ولما كان من مصلحة العرب أن يفضلوا مساعدة حكومة بريطانيا عن أية حكومة أخرى بالنظر لمركزهم الجغرافي ومصالحهم الاقتصادية، وكذلك بالنسبة لموقف الحكومة المذكورة والمعروف لدى الأمتين، مما لا حاجة لتأكيده.

إنه بالنظر لهذه الأسباب كلها ترى الأمة العربية أن يقتصر، بالنظر لضيق الوقت، على الطلب من الحكومة البريطانية إذا كانت ترى من المناسب أن تصادق بواسطة مندوبها أو ممثلها على الاقتراحات الأساسية الآتية، تاركين كل المسائل التي تعتبر ثانوية بالنسبة لهذه الاقتراحات إلى أن يحين الوقت الملائمة لإجراء المفاوضات الفعلية، حتى تتمكن) الأمة العربية (من إعداد الوسائل اللازمة لتحقيق هذا الغرض السامي :

-1تعترف إنكلترا باستقلال البلاد العربية التي يحدها :شمالاً :خط مرسين– أضنة الموازي لخط 37شمالاً الذي تقع عليه برجيك –أورفة – ماردين – مديات – جزيرة ابن عمرو ([157])

–عمادية حتى حدود فارس، وشرقاً :حدود فارس إلى خليج البصرة، وجنوباً :المحيط الهندي)باستثناء عدن التي ستحتفظ بوضعها الحالي(، وغرباً :البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط حتى مرسين .وعلى إنجلترا أن توافق على إعلان خلافة عربية على المسلمين.([158])

–2تعترف حكومة الشريف العربية بأفضلية إنكلترا في جميع المشاريع الاقتصادية في البلاد العربية، إذا كانت شروط تلك المشاريع متساوية.

–3حفظاً لاستقلال البلاد العربية وتأميناً لأفضلية إنكلترا في المشاريع الاقتصادية، يتعاون الفيريقان الساميان المتعاقدان في تقديم العون لبعضهما البعض، إلى أقصى حد تستطيعه قواهما الحربية والبحرية لمجابهة أية قوة أجنبية يمكن أن تهاجم أحد الفريقين .ولا يعقد الصلح دون موافقة الفريقين.

–4إذا دخل أحد الفريقين في نزاع مسلح، فعلى الفريق الآخر أن يقف على الحياد .وإذا رغب الفريق الأول أن يشرك الفريق الثاني معه في النزاع، فعلى الفريقين أن يجتمعا ويبحثا الشروط بينهما.

–5تعترف إنكلترا بإلغاء الامتيازات الأجنبية في البلاد العربية، وعيها أن تساعد حكومة الشريف على دعوة مؤتمر دولي للمصادقة على ذلك الإلغاء.

–6مدة الاتفاق في المدتين الثالثة والرابعة من هذه المعاهدة خمس عشرة سنة .

وإذا شاء أحد الفريقين تجديدها عليه أن يطلع الفريق الآخر على رغبته قبل انتهاء مدة الاتفاقية بعام.

هذا ولما كان الشعب العربي بأجمعه قد اتفق واتحد، والحمد لله، على بلوغ الغاية وتحقيق الفكرة مهما كلفه الأمر، فهو يرجو الحكومة البريطانية أن تجيبه سلباً أو إيجاباً في خلال ثلاثين يوماً من وصول هذا الاقتراح .وإذا انقضت هذه المدة ولم يتلق من الحكومة جواباً فإنه يحفظ لنفسه حرية العمل كما يشاء.

وفوق هذا فإننا نحن عائلة الشريف نعتبر أنفسنا– إذا لم يصل الجواب –أحراراً في القول والعمل من كل التصريحات والوعود السابقة التي قدمناها بواسطة علي أفندي.

من السير هنري مكماهون إلى الشريف حسين

القاهرة 19 شوال سنة1333 هـ

30آب سنة1915 م

إلى السيد الحسيب النسيب سلالة الأشراف وتاج الفخار وفرع الشجرة المحمدية والدوحة القرشية الأحمدية، صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية السيد ابن السيد والشريف ابن الشريف السيد الجليل المبجل دولتلو الشريف حسين، سيد الجميع، أمير مكة المكرمة قبلة العالمين ومحط رحال المؤمنين الطائعين عمت بركه الناس أجمعين.

بعد رفع رسوم وافر التحيات العاطرة والتسليمات القلبية الخالصة من كل شائبة، نعرض أن لنا الشرف بتقديم واجب الشكر لإظهاركم عاطفة الإخلاص وشرف الشعور والإحساسات نحو الإنكليز .وقد يسرنا علاوة على ذلك أن نعلم أن سيادتكم ورجالكم على رأي واحد، وأن

مصالح العرب هي نفس مصالح الإنكليز والعكس بالعكس .ولهذه النسبة فنحن نؤكد لكم أقوال فخامة اللورد كتشنر التي وصلت إلى سيادتكم عن يد علي أفندي، وهي التي كان موضحاً بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها مع استصوابنا للخلافة العربية عند إعلانها.

وإنا نصرح هنا مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة إلى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة.

وأما بخصوص مسألة الحدود والتخوم فالمفاوضة فيها تظهر أنها سابقة لأوانها، وتصرفات الأوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة أن الحرب دائرة رحاها، ولأن الأتراك أيضاً لا يزالون محلتين لأغلب تلك الجهات احتلالاً فعلياً، وعلى الأخص ما علمناه، وهو مما يدهش ويحزن، أن فريقاً من العرب القاطنين في تلك الجهات نفسها قد أغفل وأهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس أعظم منها، وبدل إقدام ذلك الفريق على مساعدتنا نراه قد مد يد المساعدة إلى الألمان والأتراك، نعم مد يد المساعدة لذلك السلاب النهاب الجديد وهو الألمان وذلك الظالم العسوف وهو الأتراك.

ومع ذلك فإنا على كمال الاستعداد لأن نرسل إلى ساحة دولة السيد الجليل وللبلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية، وستصل بمجرد إشارة من سيادتكم وفي المكان الذي تعينونه .وقد عملنا الترتيبات اللازمة لمساعدة رسولكم في جميع سفراته إلينا .ونحن على الدوام معكم قلباً وقالباً مستنشقين رائحة مودتكم الزكية ومستوثقين بعرى محبتكم الخالصة سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا.

وفي الختام أرفع إلى تلك السدة العليا كامل تحياتي وسلامي وفائق احترامي.

المخلص

نائب جلال الملك

)السير آرثر مكماهون(

تحريراً في 19 شوال سنة – 1333 الموافق 30 أغسطس سنة1915

من الشريف حسين إلى مكماهون

مكة في 29 شوال سنة1333

9أيلول سنة([159])1915

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى معالم ([160])الشهم الهمام ذي الأصالة حضرة الوزير الكبير.

إنا بكل إيناس تلقينا مرسومكم الكريم في 19 شوال وأحليته محل التبجيل والتجليل رغماً عما حسيناه في مؤداه من الغموض وآثار الفتور والتردد في مادتنا الجوهرية .فلا بد لنا م التصريح لشهامة أصالتكم مخالصتنا للدولة الفخيمة البريطانية واعترافنا بأرجحيتهما في عموم الكيفيات الشؤون في أي حالة وصورة كانت وهذا مما توجبه علينا مصالح أبناء ديننا .ومع هذا فمدارك كمالات حضرة الوزير الخطير يعني أولاً عفوها، ثم تسمح لي بالإيضاح بأن القصد

بالفتور والتردد ما أوردتموه على مسألة الحدود والتخوم بأن البحث والحالة هذه فيها سدى وأن لا طائلة تحته إلا إضافة الوقت وأنها تحت إشغال حكومتها السائدة عليها إلى آخر ما أشرتم إليه، مما هو حري أن أحمله على الجفوة وما هو في معناها، لما هو متيقن أن تلك الحدود والتخوم المطلوبة ليست لشخص متعلق إرضاءه والبحث معه فيها عندما تضع الحرب أوزارها، بل أقوامنا رأوا أن حياة تشكلاتهم الجديدة الضرورية القائمين في أمرها مربوطة على تلك الحدود والتخوم، وعقدوا الكلمة عليها، ولذلك رأوا البحث فيها أولاً مع محل ثقتهم واعتمادهم محور النقض والإبرام ألا وهي الدولة الفخيمة البريطانية .ووسيلتهم في تلك الرابطة والثقة اتحاد المصالح وضرورة التشكيلات الإقليمية وحياة سكانها، ليعلموا كيفية تأسيس مستقبلهم وحياتهم حتى لا يصادفوها أو يصادفوا أحد حلفائها أمام تشبثاتهم وينعكس الأمر لا سمح الله .لأن القصد يا حضرة الوزير الموقر الحقيقة التي تشيَّد على أساس يضمن الأسباب الضرورية للحياة في المستقبل .على أنهم لم يخرجوا في التخطيط عن من لم يسكنها غير العنصر لا زخارف الأقوال والألقاب .والله يرحم الخلافة ويحسن عزاء المسلمين فيها .وإني على ثقة بأن شهامة الجناب لا يشتبه في أن شخص ([161])مجرد عن المطالبة بتلك الحدود والتخوم المشكلة فقط على العنصر وأنها من مقترحات القوم، وزعمهم بالاختصار أنها من الضروريات الحياتية والاقتصادية .أليس هذا يا حضرة الوزير حقاً .والخلاصة يا حضرة الشهم المبجل أنا على أكيد الإخلاص معترفين بأرجحية ولائكم رضيتم عنا كما أشير أم سخطتم . نأبى أن نجعل في إشارتكم في رقيمك بادي الذكر بأن لا يزال بعض أقوامنا في أقصى درجات الاسترسال في ترويج طلب العثماني حجة على آثار الفتور والتردد في رغائبنا التي أُنزه شهامة أصالتكم على أن تقول بأنها ليست من قوام حياتنا، لا بل هي حياتنا المادية والمعنوية والأدبية .لأني إلى هذه الساعة قائم بذاتي وبجميع حواسي في إنفاذ ما كان موافق الشرع الإسلامي في بلادي من الأوامر وفي كافة ما له تعلق به مما يكن عائد إلى باقي المملكة إلى أن يأتي الله بأمر غير ذلك.

ومن أجل طمأنة فخامتكم أستطيع أن أصرح أن جميع أهل البلاد، ومن الجملة أولئك الذين تقولون إنهم وضعوا أنفسهم تحت الأوامر التركية الألمانية، كلهم ينتظرون نتيجة هذه المباحثات التي تتوقف فقط على رفضكم أو قبولكم بقضية الحدود، وعلى تصريحاتكم بحماية ديانتهم أولاً ثم بقية حقوقهم من أي أذى أو خطر.

وكل ما تجده الحكمة البريطانية موافقاً لسياستها، في هذا الموضوع، فما عليها إلا أن تلمنا به وأن تدلنا على الطريق التي يجب أن نسلكها.

وفي جميع الأحوال فلن يتم شيء إلا بإرادة الله، الذي هو العامل الحقيقي في كل شيء.

أما بشأن طلبنا الحبوب للأهلين والصرر) النقود (العائدة لوزارة الأوقاف وكل المواد الأخرى التي جرت العادة على إرسالها مع قوافل الحجاج، فإن قصدي في هذا الأمر يا صاحب السعادة أن إرسالها يمكن أن يكون وسيلة لتوكيد فحوى تصريحاتكم إلى العالم، وبخاصة العالم الإسلامي، تلك التصريحات التي ذكرتم فيها أن عداءكم موجه بصورة كلية إلى الحزب الذي اغتصب حقوق الخلافة واغتصب معها حقوق جميع المسلمين.

هذا بالإضافة إلى أن الحبوب المذكورة هي من الأوقاف الخاصة ولا علاقة لها بالسياسة.

وفي حالة عزمكم إرسالها، فلتبعث الهبة المقررة عن السنتين الماضيتين في باخرة خاصة إلى جدة، باسم الشعب كالعادة .وليقم ربان الباخرة، أو المأمور المكلف في العادة بمهمة تسليم الهبة سنة بعد أخرى بالاتصال بالسلطات في جدة عند الوصول إلى الميناء، وليسأل عن المأمور الذي سوف يتسلم القمح لقاء وصل موقع من قبل المأمور المستلم.

كما أود أن تلاحظوا أن توقيع ذلك المأمور فقط يمكن أن يقل، وأن ربان الباخرة أو الموظف الخاص، يجب أن يعطي التعليمات بأنه إذا ما اعترضه أي حاجز فعليه أن يهدد بالعودة بشحنته إلى الميناء الذي أقلع منه.

وتبعاً لذلك فإن المأمور واللجنة الخاصة المعنية معه والمعروفة اسم لجنة القمح للأهلين، سوف يتسلمون القمح بالطريقة المعتادة.

راجياً قبول احتراماتي وتسليماتي .وإذا أردتم الإجابة على رسالتنا، فليكن ذلك بواسطة حاملها.

من مكماهون إلى الشريف حسين

القاهرة في 15 ذي الحجة سنة1333

24تشرين الأول سنة([162])1915

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى فرع الدوحة المحمدية وسلالة النسل النبوي الحسيب النسيب دولة صاحب المقام الرفيع الأمير المعظم السيد الشريف ابن الشريف أمير مكة المكرمة صاحب السدة العلياء، جعله الله حرزاً منيعاً للإسلام والمسلمين بعونه تعالى آمين، وهو دولة الأمير الجليل الشريف حسين بن علي أعلى الله مقامه.

قد تلقيت بيد الاحتفاء والسرور رقيمكم الكريم المؤرخ بتاريخ 29 شوال سنة1333) هـ (وبه من عباراتكم الودية المحضة وإخلاصكم ما أورثني رضاء وسروراً.

إني متأسف أنكم استنتجتم من عبارة كتابي السابق أني قابلت مسألة الحدود والتخوم بالتردد والفتور، فإن ذلك لم يكن القصد من كتابي قط، ولكني رأيت حينئذ أن الفرصة لم تكن قد حانت بعد للحبث في ذلك الموضوع بصورة نهائية.

ومع ذلك فقد أدركت من كتابكم الأخير أنكم تعتبرون هذه المسألة من المسائل الهامة الحيوية المستعجلة، فلذا فإني قد أسرعت في إبلاغ حكومة بريطانيا العظمى مضمون كتابكم، وإني بكمال السرور أبلغكم بالنيابة عنها التصريحات الآتية التي لا أشك في أنكم تنزلونها منزلة الرضى والقبول:

إن ولايتي مرسين وإسكندرونة وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماة وحلب لا يمكن أن يقال إنها عربية محضة .وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة.

مع هذا التعديل وبدون تعرض للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب نحن نقبل تلك الحدود.

أما من خصوص الأقاليم التي تضمنها تلك الحدود حيث بريطانيا العظمى مطلقة التصرف بدون أن تمس مصالح حليفتها فرنسا، فإني مفوض من قبل حكومة بريطانيا العظمى أن أقدم المواثيق الآتية وأجيب على كتابكم بما يأتي :

1- إنه مع مراعاة التعديلات المذكورة أعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بأن تعترف باستقلال العرب وتؤيد ذلك الاستقلال في جميع الأقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة.

2- إن بريطانيا العظمى تضمن الأماكن المقدسة من كل اعتداء خارجي وتعترف بوجوب منع التعدي عليها.

3- وعندما تسمح الظروف تمد بريطانيا العظمى العرب بنصائحها وتساعدهم على إيجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الأقاليم المختلفة.

4- هذا وإن المفهوم أن العرب قد قرروا طلب نصائح وإرشادات بريطانيا العظمى وحدها، وإن المستشارين والموظفين الأوروباويين اللازمين لتشكيل هيئة إدارية قويمة يكونون من الإنكليز.

5- أما من خصوص ولايتي بغداد والبصرة فإن العرب تعترف أن مركز ومصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير إدارية مخصوصة لوقاية هذه الأقاليم من الاعتداء الأجنبي وزيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة.

وإني متيقن أن هذا التصريح يؤكد لدولتكم بدون أقل ارتياب ميل بريطانيا العظمى نحو رغائب أصحابه العرب، وتنتهي بعقد محالفة دائمة ثابتة معهم ويكون من نتائجها المستعجلة طرد الأتراك من بلاد العرب وتحرير الشعوب العربية من نير الأتراك الذي أثقل كاهلهم السنين الطوال.

ولقد اقتصرت في كتابي هذا على المسائل الحيوية ذات الأهمية الكبرى وإن كان هناك مسائل في خطاباتكم لم تذكر هنا فسنعود إلى البحث فيها في وقت مناسب في المستقبل.

ولقد تلقيت بمزيد السرور والرضى خبر وصول الكسوة الشريفة وما معها من الصدقات بالسلامة، وإنها بفضل إرشاداتكم السامية وتدابيركم المحكمة قد أنزلت إلى البر بلا تعب ولا ضرر رغماً عن الأخطار والمصاعب التي سببتها هذه الحرب المحزنة، ونرجو الحق سبحانه وتعالى أن يعجل بالصلح الدائم والحرية لأهل العالم.

إني مرسل خطابي هذا مع رسولكم النبيل الأمين الشيخ محمد بن عارف بن عريفان، وسيعرض على مسامعكم بعض المسائل المفيدة التي هي من الدرجة الثانية من الأهمية لم أذكرها في كتابي هذا.

وفي الختام أبث دولة الشريف ذا الحسب المنيف والأمير الجليل كامل تحيتي وخالص مودتي وأعرب عن محبتي له ولجميع أفراد أسرته الكريمة راجياً من ذي الجلال أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير العالم وصالح الشعوب.

إن بيده مفاتيح الأمر والغيب يحركها كيف يشاء ونسأله تعالى حسن الختام والسلام.

تحريراً في يوم الاثنين 15 ذي الحجة سنة1333) هـ([163]) (

نائب جلال الملك

السير آرثر مكماهون

من الشريف حسين إلى مكماهون

مكة في 27 ذي الحجة سنة1333

5تشرين الثاني سنة([164])1915

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى معالم الشهم الهمام ذو الأصالة والرياسة الوزير الخطير وفقه الله لمرضاته.

بملء الإيناس تلقينا مرسومكم الموقر الصادر 15 ذو الحجة1333) هـ (وأحليناه ([165])محل التبجيل .وعلى مؤداه نجيب الشهامة:

أولاً :تسهيلاً للوفاق وخدمة للإسلامية فراراً مما يكلفها المشاق والإحن، ولما لحكومة بريطانيا العظمى من الصفات والمزايا الممتازة لدينا، نترك الإلحاح في إدخال ولايات مرسين وأطنة في أقسام المملكة العربية .وأما ولايتي حلب وبيروت وسواحلهما فهي ولايات عربية محضة، ولا فرق بين العربي والمسيحي والمسلم فإنهما ابنا جد واحد، وستقوم فيهم منا معاشر المسلمين ما سلكه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من أحكام الدين الإسلامي ومن تبعه من الخلفاء بأن يعاملوا المسيحيين كمعاملاتهم لأنفسهم بقوله» :لهم ما لنا وعليهم ما علينا «علاوة على امتيازاتهم المذهبية وبما تراه المصلحة العامة وتحكم به.

ثانياً :حيث إن الولايات العراقية هي من أجزاء الولايات العربية المحضة، بل هي مقر حكوماتها على عهد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثم على عهد عموم الخلفاء من بعده، وبها قامت مدينة العرب وأول ما اختطوه من المدن والأمصار واستفحلت دولهم، فلها لدى العرب أقصاهم وأدناهم القيمة الثمينة والآثار التي لا تنسى، فلا يمكنا إرضاء الأمة العربية وإرضاخها لترك ذلك الشرف .ولكن تسهيلاً للوفاق سيما والمحاذير التي أشرتم إليها في المادة الخامسة من رقيمكم آنف الذكر محفوظيتها وصيانتها من طبقة وضرورة ما نحن فيه وحيازة ما نريد التوصل إليه، فإن أهم ما في هذا هي صيانة تلك الحقوق الممزوجة بحقوقنا بصورة كأنها الجوهر الفرد، يمكننا الرضا بترك الجهات التي هي الآن تحت الإشغال البريطاني إلى مدة يسيرة، البحث فيما يقبل عن قدرها دون أن يلحق حقوق الجانبين مضرة أو خلل، سيما العربية بالنسبة لأمر مرافقها ومنابعها الاقتصادية الحياتية، وأن يدفع للملكة العربية في مدة الإشغال المقدار المناسب من المال لضرورة ترتكبه كل مملكة حديثة الوجود.

وللرسالة بقية في مصدرها.

وهكذا تظل هذه المراسلات مضنية، ويتعمّد الإنجليز كثيراً من الغموض والضغط الدائمين المتكررين، بين الإغراء، والتلميح بكذا وكذا، ولم يعد أمام العرب خيار، فالعودة إلى الترك معناه السحق، وذهاب الكيان، كتتريك العرب وسومهم الخسف، وعلمنة الدولة ...الخ.

وهذه رسالة مطولة من زعيم من أبرز زعماء السودان آنذاك، وللعبرة، ترى هذا الزعيم الديني يؤرخ بالتأريخ المسيحي، بينما يؤرخ الإنجليزي بالهجري.!

من السيد علي الميرغني إلى الشريف حسين

الخرطوم([166])17/11/1915 :

رسالة) مترجم(

...بريطانيا العظمى ...عقدت العزم أن تساعد العرب على استعادة حكمهم المغتصب وسلطانهم وعلى استرداد استقلالهم المفقود .لقد أضاع العرب هذا منذ عدة قرون بسبب عسف الأتراك ومساوئ حكمهم، وها قد سنحت الفرصة الآن لاستعادة كل ما ضاع .إني فقط أقرر حقائق يعرفها العرب أنفسهم أكثر مني .والوقت الراهن هو أنسب الأوقات للعرب كي يطرحوا عن أعناقهم النير الثقيل للحكم التركي، وكي يحققوا أمانيهم القومية ومطامحهم الاستقلالية ويجددوا أمجاد أسلافهم العظماء ...وليس عليهم الآن إلا أن يغتنموا الفرصة السانحة في هذا الظرف الملائم جداً، ويثوروا كما يثور العربي حقاً، ويهتبلوا الفرصة التي تتاح لهم بعد مضي هذه القرون العديدة .وكيف يمكن للعرب أن يثوروا إذا لم يحركهم ويتولى قيادتهم الرجل المناسب، المتحدر من أشرف وأنبل سلالة مقدسة من قريش، الذي يستطيعون أن يجتمعوا حول رايته ويستردوا حقوقهم المغصوبة..

إنه لأمر صحيح أن بريطانيا العظمى بالتعاون مع حلفائها الكبار، ترغب في قيام حكومة عربية قرشية، وأن تحل محل هذا العرش التركي المتداعي الذي طفح كيل مظالمه وعسفه .وهم يرغبون أن تنهض هذه الحكومة القرشية وتؤسس مثلما كانت قبل عدة قرون، وأن تسير يداً بيد مع الحضارة الحديثة وتنهض بالعرب الكرام إلى قمة الرقي والرخاء، وأن بريطانيا العظمى على استعداد لأن تكون أصدق الأصدقاء للعرب، ولأن تعاضدهم في جميع الأحوال .ولكن على العرب أيضاً أن يستفيقوا ويأخذوا المبادرة، فيبرهنوا بذلك للعالم أجمع أن الدم العربي الشريف وروح الحرية وحب الاستقلال، ما تزال تجري في عروقهم..

...والآن فإن بريطانيا العظمى على استعداد لأن تفعل أكثر بكثير من هذا .إنها تحاول أن تمد يد العون والمساعدة إلى أعظم زعيم عربي، من أجل الحصول على الاستقلال التام ولنزع النير الثقيل للحكم العثماني، حتى ينقذ بذلك الأمة العربية الكريمة من مخالب الظالمين وأنياب اللص الألماني المتسلط .وكما تعلمون، فإن المشروع كله ذو طبيعة دقيقة ومعقدة إلى أقصى حد، خاصة لكون بريطانيا العظمى–على الرغم من أنها تريد الخير للمسلمين وللأمة العربية – حريصة جداً على احترام مشاعرهم القبلية والدينية، وهذا هو السبب الذي حدا بها إلى العمل من وراء الستار من أجل تحقيق مطامحهم في تحرير أنفسهم من عبودية الأتراك وليحرزوا استقلال بلادهم التام .وبما أن الأمير الشريف هو في نظر العرب أقوى وأشرف الأمراء، فإن بريطانيا مستعدة لتقديم كل مساعدة ممكنة له .وهذا هو السبب الذي دفعني لمحاولة المراسلة معكم، ولكي أستوضح منكم عن أسلم الطرق لتأمين ما تريدون .ولا حاجة أبي الفتوح للقول إن الغاية الأولى من هذه المحاولات تستهدف أولاً راحة المسلمين وحمايتهم، وترمي ثانياً للمحافظة على شرف الخلافة الإسلامية وقوتها، وثالثاً لمعاضدة العرب من أجل المحافظة على وحدة بلادهم وصفائها .وانطلاقاً من ثقتنا بأنك الرجل الوحيد الذي تملك المقدرة على النهوض بالقضية العربية وإنجاحها، فإننا أوضحنا تماماً للمسؤولين هنا كل ما نعرفه.

...إننا مع عرب ومسلمين كثيرين لا نستطيع أن نرى رجلاً آخر يملك الصفات والمزايا اللازمة لنيل هذا الشرف أكثر من شخصكم الشريف :في المعرفة والخبرة وشرف المحتد والمقدرة .ولا يستطيع رجل عاقل القول إن العمل يمثل عصياناً يضر بمصالح المسلمين، على العكس، فإن المسلمين سيعتبرونه أقدس واجب لخدمة مصالح الدين .إنك لن تعمل سوى المدافعة عن حقوقك المشروعة التي اغتصبت وحقوق أمتك وجميع المسلمين..

...لقد أُعطيت لي أقوى التأكيدات بأن بريطانيا العظمى لن تتدخل في الشؤون الداخلية لبلاد العربية أو الخلافة العربية، ولكنها ستبذل كل ما في وسعها– كما أسلفت –لمساعد

الدولة العربية معنوياً ومادياً حتى تنهض وتأخذ مكانها اللائق بها بين الدول الأخرى، ولم يبق إلا أن تقوم الأمة كلها قومة رجل واحد، وأن يتحد الزعماء العرب جميعاً بحيث يضحي كل واحد منهم بمطامعه الشخصية من أجل معاضدة الرجل الأول في الأمة بالنسبة لشرف محتده الخ الخ .وإن بريطانيا العظمى ستكون أول دولة مع حلفائها، تعترف باستقلال الحكومة العربية، وسوف تدافع عن هذا الاستقلال ضد أي عدوان أجنبي، حتى تتمكن من النهوض وتصبح عزيزة الجناب وتأخذ مكانها الصحيح بين الدول وتكسب احترامها .كل هذه الحقائق أكدها لي المسؤولون، وتبادر لذهني أن أبلغكم بمضمونها، حتى تستطيعوا تقدير الموقف كله تقديراً واضحاً، ولكي تعرفوا الأسباب المهمة التي دفعتني للكتابة إليكم بشان هذه المسألة ذات الأهمية الكبرى..

...وأما بشأن الحدود التي أشرتم إليها في رسالتكم، فقد أكدوا لي أنهم بصورة عامة يوافقون على وجهه نظركم فيما يتعلق بمستقبل المملكة العربية .ولكنني فهمت أنهم وضعوا تحفظات معينة بشأن بعض الأماكن التي لهم فغيها مصالح مهمة جداً وحيوية يريدون المحافظة عليها . إنهم يخشون أن لا تتمكن هذه الحكومة العربية الناشئة في بداية الأمر من الدفاع عن نفسها ضد أية سفن حربية معادية، لأنها لا تملك قوة بحرية كافية للدفاع عن الساحل السوري .إن بريطانيا العظمى مستعدة أن تفعل ذلك بواسطة أساطيلها الجبارة وأن تعقد اتفاقية خاصة بشأن هذه الجهات..

عندما قالوا لك قبلاً إن بحث مسائل الحدود سابق لأوانه، كانوا يعنون أن هذه الحكومة العربية لم تبرز إلى عالم الوجود حتى الآن، وأن المشكلة الأكثر إلحاحاً هي أولاً بعث الحياة فيها، وأن أية مسألة أخرى مسألة ثانوية.

لقد أرادوا أن يقولوا إنه حتى يأتي اليوم الذي تؤسس فيه الحكومة العربية، فإن أية مسألة أخرى تعتبر في الدرجة الثانية من الأهمية .وعندما تؤسس الحكومة العربية، فيكون من السهل عند ذاك الاتصال برئيسها والتوصل إلى اتفاق يضمن مصالح الفريقين ,.هذا معنى ما قالوه لكم سابقا بشأن تأجيل بحث هذه المسائل .لقد أوضحوا كل هذا لي .أجل، إنه لصحيح جداً أن إنشاء دولة عربية جديدة أمر صعب في بادئ الأمر، ولكنه لن يكون صعباً أكثر من اللازم بالنسبة لرجل حكيم ومقتدر مثلكم أن يوحد كلمة الزعماء والأمراء وكبار الشيوخ بين العرب، مثل الإمام يحيى والإدريسي وأمراء نجد وتهامة والمناطق الأخرى.

وبعد أن حصلنا على كل هذه التأكيدات المهمة من الدولة الوحيدة القادرة على مساعدتنا في الوقت الحاضر وفي المستقبل، تعلمون ولا شك أن الضرورة تقضي بتحقيق الوحدة بين العرب في سبيل قضية عظيمة ومهمة كهذه...

وهكذا تسير هذه الوسائل، كل يريد أن يحتجن لنفسه ما يستطيع، غير أن القوة هي الغانم الأول، ونرى مما تقدم :

1- إن الإنجليز وعدوا باستقلال العرب ووحدتهم مع التصريح باختلاس ولايات كثيرة جلها صغيرة ولكنها جوهرية، مثل عدن والبصرة، وغيرها.

2- أن الإنجليز وعدوا بمباركة خلافة عربية.

3- أن الإنجليز أخفوا عن العرب كثيراً من المؤامرة، أو هم أحدثوه بعد هذه الوعود والعهود مثل وعد بلفور، واتفاقية) سايكس بيكو (وماذا بقي بعدهم .فقد خانت الحليفة حلفاءها العرب، بينما أوفت لحلفائها الفرنسيين واليهود .فهل نحن معتبرون اليوم بماضينا؟.!

أليست أميركا بنت بريطانيا؟ !وأليس اليهود هم الذين وعدتهم بريطانيا وأوفت لهم، وورثت أميركا بريطانيا، وحمت اليهود؟.

أرجو أن يكون هذا الجيل قد استوعب الدرس، وإلاّ سيتكرر الماضي.؟

بعض المخابرات بين العرب أنفسهم

من نسيب البكري إلى الشريف حسين

المدينة 5 جمادى الأولى134

9آذار1916

حضرة سيدنا ومولانا ولي النعم صاحب السيادة والدولة المعظم أدام الله تعالى حياته بالعز والنعيم.

بعد لثم الأيدي الطاهرة الزكية والتماس الرضا العالي والتوجهات الهاشمية، أعرض :تشرفت بالأعتاب النبوية بمعية سيدي الأخ عطوفة الشريف فيصل بك وتأخرت بالمدينة بعد تشريفه الشام لكي أتشرف بمقابلة سيدي الأخ الشريف علي بك .ولدى التشريف بمقابلته تذاكرنا ملياً بشأن البرنامج للخلافة وتأسيس دعائمها، فأنست من سيدي المشار إليه ميلاً إلى الإسراع بحل المسائل المختلف عليها فيما بين الإمارة والحكومة الحاضرة، وكأنه يريد أن يعطيها مهلة مناسبة لذلك ليتحقق صدقها من كذبها، وأن تحقق الشق الثاني مراده الإيعاز إلى حضرة

الشريف فيصل بك بالعودة إلى هنا مع حاشيته .ثم أمرني أن أعرض للجناب العالي ما تذاكرنا به وما أبديته .فامتثالاً للأمر أعرض :إن الحكومة بالنظر لطلبات الإمارة لا تخلوا من إحدى ثلاث حالات :إما أن توافق وإما أن تماطل وتسوف أو لم توافق .فإن وافقت تأخذ الدراهم والسلاح منهم وترسلون القوة مضاعفة، أي يزاد لكل هجان مردوف مسلح .وبعد وصولها الشام ننتظر سنوح الفرصة اللازمة ونشعر بذلك للقيام بسورية والحجاز، وطبعاً قبيل قيامنا هذا تكون مخابرتنا معكم جارية بكل هدوء وسكون، وبالنسبة لاتفاقكم مع الحكومة ظاهراً، وبذلك نكون استفدنا وجود فيصل بك بسورية لكونه رئيساً للحركة ونائباً عن سيادتكم .وإن سبب خروجنا على الحكومة أمام العالم الإسلامي هو ضياع بلاد الإسلام .وإن اتبعت خطة المماطلة والتسويف يجب أن لا نكترث بذلك ولا نلح عليها كل الإلحاح، بل يلزم الجري حسب سياستها لنستفيد من ضعفها يوماً عن يوم وازدياد قوتنا بنسبة ضعفها وتوثيق عروتنا وتتميم أمورنا وشؤوننا، وبذلك أيضاً تكون مخابرتنا معكم على أحسن حال لعدم وجود خلاف بينكم وبلين الحكومة، ومتى تم لنا ذلك ننتهز الفرصة المناسبة ونخرج على الحكومة يداً واحدة بداعي عدم إصغائها لحقوق الحجاز وتفريق كلمة الإسلام وبلدانها .وإن لم توافق على المطالبات، وهذا بعيد على ما أظن، فعندها لا يتسنى القعود لحضرة فيصل بك بسوريا ويضطر إلى العودة إليكم تاركاً قوى متعددة لا سايس لسياستها ولا مدبراً لشؤونها، تهمل بلا نظام ولا انتظام ويخرب لا سمح الله ما بني منذ عدة سنين، لأن اليوم محور الحركة السورية هو سيادة فيصل بك، ونحن بفضلكم وباسمكم الكريم نساعد على ذلك قدر وسعنا، فقط حيث إن جمعتنا التي ربطت قبلاً كل من الشيخ نوري الشعلان ([167])وولده النواف ورجال جبل الدروز وعدد غير قليل من الأمراء العسكريين الذين كانت مأموريتهم بسوريا والآن تحول القسم الأعظم منهم إلى جهة إستانبول وسواها من البلدان الأخرى، رغماً عن تشتت بعض رجالها، هي باقية إلى الآن .ولكن بالنظر للأحوال الحاضرة عندنا التي هي معلومة لدى سيادتكم لم نقدر على إتيان عمل ما أو مواجهة أحد من الزعماء أو الرؤساء .لذلك رأينا من الواجب نحن وسيادة فصل بك أن نجدد كل رابطة قديمة مع أي زعيم أو شخص

كان، فاستفدنا من وجود زعماء الدروز بدمشق الشام ودعوناهم ليلاً لدارنا مرتين واجتمعنا مع فيصل بك معهم وجددوا رابطتهم وأقسموا الأيمان المغلظة على أنهم حاضرون منتظرون أقل إشعار من سيادتكم أو من البك، واشترطوا عليه أن يدخل جميع العرب في حركتنا هذه، وأن يرسل خبراً إلى النوري الشعلان وأن يصلح للدروز ليكونوا يداً واحدة عند القيام، وأنهم مستعدون لقبول الصلح مع العربان المجاورة لهم على أي حالة كانت .ثم قبل أن نخرج من الشام إلى المدينة مع فيصل بك بيوم واحد أتى النوري إلى الشام بناء على طلب جمال بك ليقابله مع أنور .فأرسل البك للسلام عليه وفداً يرأسه الشريف علي بن عريض لكي يرد الزيارة وبهذه الوسيلة يتكلمون ويتفاوضون بما يشاؤون، وثاني يوم وصوله كان موعد سفر فيصل بك إلى المدينة، مع ذلك أرسل النوري إلى المشار إليه شخصاً من قبله ليرد السلام عليه، وبلغه عن لسان النوري بأنه لم يزل ثابتاً على خطته وكلامه ووعده، ولكن حيث إن الحكومة الآن قوية الجانب يجب أن لا نتواجه لئلا تحس أو تشعر بشيء فيذهب سعينا أدراج الرياح، فالأوفق الانتظار مقدار ثلاثون أو أربعون يوماً لنتبين الأمر ونرى ماذا يجري بالحكومة . ومن هذه الإفادة التي أفادها النوري يتبين لنا حقيقة جهله بسياسة الحكومة الآن وقوتها أو ضعفها .ونحن إن شاء الله نقنعه ونقفه على حقائق وأسرار الدولة، وعند فهمه الحقائق بواسطة فيصل بك يتم كل أمر نتوخاه حسب المرغوب .أما من جهة العسكر النظامي فإنه رجع أغلبه إلى الأناضول بناء على توالي إنكسار عسكر الدولة في تلك الأنحاء، ولم يبق على ما أظن سوى فرقة واحدة منتشرة من دمشق إلى العريش وكلها من أولاد العرب فلا نخاف شرهم أصلاً .فهذه خلاصة سياسة بلادنا الآن للحركة العربية .ومن هنا يظهر محور الحركة اليوم بسوريا وعودته الآن إلى الحجاز مضرة جداً بصوالحنا جميعاً .فالأمل بالله تعالى بعد مدة يسيرة تتم أمورنا حسب المطلوب وتكون القوى جميعها بدويها ودرزيها وحضريها وعسكريها متفقة يداً واحدة لإعلاء كلمة الخلافة العربية .وظهر أيضاً لدولتكم أن عدم قيام جمعيتنا بشيء وتشتت البعض منهم وبقاء الآخرين لم يؤثر أقل تأثير على برنامجنا، بل كان ذلك زادنا نشاطاً وإقداماً على العمل المنوي إجراؤه، وهذا كله ببركة دعوات سيادتكم الصالحة وبهمة

سيدنا الأخ فيصل بك ليس إلا .فبناء عليه إن رأيتم حسناً ورأيكم هو الحسن إبقاء فيصل بك عندنا، وإن سوَّفوا المطالبات وأجّلوها أو عدلوا قسماً منها لكي نتمكن منهم ونستفيد من ضعفهم المتواصل كما عرضت آنفاً .ثم إننا قد اعتمدنا على إشارة مخصوصة مع سيادة الشريف علي بك لأجل قطع الأرزاق عن المدينة وسورية قبل الحركة بشهر واحد على الأقل، وتذاكرنا على أن يكون التجاوز من قبل الإنكليز على ساحل من سواحل سوريا وقطع خط الرجعة من ساحل إسكندرونة بآن واحد .وهذا ما لزم عرضه لسيدنا، وبكل الأحوال الرأي والأمر لمولانا أطال الله تعال بقائه آمين.

خادمكم

محمد نسيب البكري

وكانت بين الحسين وجمال باشا ([168])مراسلات، ترى كل منهما يعد الآخر محذراً إياه، بينما يعمل لما يريد حدوثه.

من مكماهون إلى الشريف حسين

21أيار1916

19رجب1334

بعد خالص التحيات أعرض أننا سلمنا حامليه عبد الله فلاح وحميد حميدان ما يأتي:

عـدد

1500بندق) بندقية(

0300كيس أرز

0027كيس قهوة

0050كيس دقيق

0400كيس دخن وذرة

0400معابر

2677

مع إحاطة شريف علمكم أن عرة ومارتين هانري والرصاص الذي أرسلتم منهم عينة وما يصنع فيس سنت آتين، لم يمكن بالمرة الحصول عليها، وتخبركم الحكومة بذلك مع أسفها الشديد .وفي الختام أقدم ما يليق بدولة الأمير الجليل من الاحترام والتجلة.

تحرر حسب الأمر

نائب جلالة الملك بمصر

من الشريف حسين إلى مكماهون

رسالة) مترجم(

23شعبان1334

24/6/1916

بعون الله، لقد ثار الشعب في جميع أنحاء البلاد وحصلنا على استقلالنا بفضل الانتصارات التي أحرزناها، باستثناء بعض الحاميات في قلعة ([169])ومخفر في مكة، وحامية الطائف .([170])وتفادياً لسفك الدماء فقد تركنا هؤلاء كي يعلنوا الاستسلام لأنهم محاصرين تماماً.

وبناء عليه، وبسبب العلاقات القائمة بين العالم الإسلامي والحكومة البريطانية، نرج أن ترفعوا الحصار عن سواحل الحجاز كلها، وأن تحافظا على جميع الزوارق التي ترفع علمنا ذا اللون البني الغامق، ريثما نبلغ الدلو الأخرى عن علمنا الذي سنرفعه قريباً بإذن الله.

شريف مكة وأميرها) حسين(

من الحسين إلى ستورس

برقية) مترجم 15 (شوال سنة 1334 هـ

)21/8/1916)م

فيما يتعلق بابني عبد الله فهو ما يزال في الطائف يحاصر الأتراك هناك .إنه يفضل محاصرتهم على سفك دمائهم، بينما هم كالضبّ الذي كسر ظهره .وعلي في الجنوب الشرقي من المدينة، على مسافة 15 ميلاً تقريباً .وفيصل في الجنوب الغربي من المدينة على الطريق إلى بواط، ويبعد عنها ذات المسافة التي يبعدها أخوه .وهو ينوي مهاجمة العدو عندما تصبح قواته قادرة على ذلك بواسطة الأسلحة الضرورية .أما زيد أصغر أبنائي هو معي يساعدني في أعمال هنا([171]) ...

المؤلف :نأتي هنا بنماذج من أهم الرسائل المتبادلة بين الثورة وقائدها، وبين المتعاونين معه، ولو أردنا حصرها لاتسع البحث كثيراً.

وقد أرجأنا الرسائل المتبادلة بين الحسين وبينه لتنشر في ترجماتهم.([172])

من الحسين إلى المعتمد البريطاني

مكة 7 :محرم 1335 هـ

)4/11/1916)م

إفصاحاً وتأكيداً لبياناتنا بالتلفون على استفهام سعادتكم لابني عبد الله وطلبكم بعده إيضاح فكري الخصوصي بشأن إعلان الملكية، أفيد جنابكم الموقر بأنها كيفية بسيطة لكونها المقصودة بالقيام والحركة على متغلبة الأتراك .وكان من الطبيعي إعلانها في يوم الحركة، وإنما وفقاً ومراعاة للاعتراض بعدم اقتدارنا ولياقتنا إذ ذاك .وعلاوة عليه، إن حكومة جلالة الملك نادتني باسم الخلافة التي هي أرفع من الملكية شأناً، يجعلني أن أعتقد بأن إعلاني لها غير متوقف ولا محتاج إلى استمزاج رسمي أو خصوصي .وعليه ولزوال محذور اعتراض الاقتداتر واللياقة بإذن الله تعالى، ورغبة وجوه وأعيان البلاد في دفع ما في تأخير إعلام الشعب بشكله ومكا اكتسبته البلاد جرى إعلانها .هذا بالنظر لكنه الإعلان .أما عن شكل تلقيه في نظر من يقتضي من رؤساء العرب، فجناب سيادة الأجل السيد الإدريسي نواياه وحسياته نحونا مما لا تخفى على سعادتك، ولا حاجة لذكر ارتباط وداده ووفاقه لنا .ولا حاجة لذكر سعود فترون من طيه تحريرات نجابته التي تصادف ورودها لنا في هذا اليوم المرسلة عينها تعلم رابطته معنا . وابن رشيد فمن مقتضى اتفاقنا مع الأمير ابن سعود يجب محوه وإزالة اسمه .بقي الإمام صاحب اليمن علاوة على ما لا يخفى من بعد المسافة التي نسبتها تكون بنسبة رابطة.

ومن مآل الكتابين المرسل عينها طيه تعلم لدرايتكم حسيات باقي رؤساء اليمن متى تحققتم عن أهمية أصحابها .ولا بقي ممن يجب ذكره ما عدا من ذكر .أما عدم تعرضي لأمر الخلافة فلأمرين كلاهما أهم من الآخر .أولهما دحض حجة المفسدين الذين ينسبونا جميعاً إلى ما لا يخفى على كمالاتكم من الترهات وتكذيبهم بهذه الصورة الواضحة، هذا من جهة .والثانية إعلان عدم وجودها وإيضاح ذلك للبسطاء الذين استرسلوا لكل نداء وكل خديعة، وقطع هذه الرابطة التي لا حقيقة لها بين المسلمين وبين الترك بأن لا رجل في الإسلام الآن يُسمَّى خليفة .هذا مبلغ اجتهادي في الأمر .وبهذه الوسيلة يحسن أبي الفتوح استطراد البحث بأنه عندما ذاكرتني حكومة جلالة الملك من حيث هم وما هُم فيه من المتاعب والمشاق وألزمتني بما يجب على كل من له استطاعة في إزالة عنائهم، وكلفتني بالمناصرة على هذه الغاية النزيهة،

وعلمي بأن جلالة الملك ورجال حكومته، وأمته النجيبة المؤسسة سياستهم على ما يستلزم راحة العالم عموماً والمسلمين خصوصاً، وأن التخلي عن هذه المأثرة الجليلة مما يستدعي الإثم العظيم، عرضت عليها الأسباب والوسائل التي تمكني من حصول ذلك الأرب وتلك الرغبة الجليلة .وعليه وعلى ما أعهده واشتهر عن حكومة جلالة الملك من الثبات في القول وقبولها لمطالبي المشروعة، شرعت أعمل في دائرته ومحيطه بكل حرية قول وعمل، ولا أزال ولن أزل على هذا العزم والعمل، حتى إذا رأيت ما يخلّ بهذا الأساس سيما الأمن والاعتماد، فلاشك أنني أتخلى عن العمل لأول ساعة نظراً للقصد الأساسي، ألا وهو الحصول على تلك الغاية المقدسة المستجلبة لرضى الباري ورحمته بخدمة عباده.

هذه هي الغاية التي أرجوكم أن تعلموها حق العلم .ولا بأس يا حضرة المعتمد تسمح لي أن أسألك عن أسباب الدهشة التي ذكرتوها من إعلان الملكية ما سببها؟ نعم إن حكومة جلالة الملك أخرت إجراء ركنين من العهد، وهما قطع السكة وسوق القوة المقتضية، ولكن واجبات الحلف تقضي بمساهلة الحليف عند الضرورة لحليفه، وخصوصاً أن نتيجة هذا كما أنها أوجبت علينا المشاق ومعاناة طول مدة الحرب كذلك ألزمتها بالنفقات الزائدة .مع هذا مبقين مطالبتها بهذا بوجه آخر.

مؤلف المراسلات قال :احتج الإنكليز وأعلنوا استغرابهم لإعلان الملكية دون استشارتهم .وفي هذه الرسالة إيضاح وجهة نظر الحسين.

من الشيخ رشيد رضا ([173])إلى الملك حسين

القاهرة 8 :المحرم 1335 هـ

)5/1/1916م(

سيدنا وسيد الجميع أيده الله بروح منه.

السلام ([174])ورحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد، وإني أحمد إليكم الله عز وجل وأشكر لكم وأدعو بلسان البريد ما شكرت ودعوت بلسان البرق .كما أشكر وأدعو بلساني القلب والنطق .فقد أقرّ الله تعالى بكم عيني وحقّق رجائي، فأسأله تعالى أن يتم فضله باستجابة دعائي لكم في الترحال والمقام وبين الركن والمقام، وفي جميع المشاعر العظام، بأن يقرّ عين الأمة كلها بكم ويتم نعمته عليكم وعلى أنجالكم كما أتمها من قبل على آبائكم الأولين عليهم الصلاة والتسليم.

هذا وإن ما نقله أذكياء الحجاج للناس من أخبار الحجاز من حيث الأمن والراحة وعدم العدوان والمغارم، ومن سيرة سيدنا في هديه وشمائله، وفي مسألة الاستقلال وجعله إياها مقتصرة على فضح تخريب الفئة الباغية المتغلبة، وعدم ذكره الدولة والترك إلا بخير، وذكر اسم السلطان محمد رشاد في الخطبة، كل ذلك مما أيد الحق الذي قام به سيدنا لخدمة الإسلام بالعرب، وأظهر لكل من سمع ذلك من الحجاج حسن نيتكم .وما ذكرت لأحد من الزائرين الكثيرين ما رأيته بعيني وسمعته بأُذني مما يؤيد أقوالي السابقة وملخص خطبة مني وإقرار سيدنا لها، إلا وأذعن للحق أي إذعان .وسيكون لنشر الخطبة إن شاء الله تعالى تأثير عظيم كتأثير المحاورة التي نشرت في جزء المنار الثالث أو أشد .وسيعاد طبع الجزء الثالث الذي نشرت فيه المحاورة ويعاد طبعها هي أيضاً على حدة لتعميم نشرها، بعدما علم من حسن تأثيرها في الأقطار الإسلامية كلها.

ألا وإن أعظم المبشرات لنا بالنجاح هو ما رأيته من سيدنا وإمامنا من الإخلاص والتقوى في كل مقام بحسبه والروية وبعد النظر، والقاعدة التي بنى عليها سياسته الحكيمة وهي عدم ثقته بشيء إلا بعد حصوله، وعدّه كل ما لم يقع في حيز الاحتمال لا يبنى عليه حكم ولا يترتب عليه عمل.

كان سيدنا قد أمر خادمه بزيارة المدرسة المشمولة برعايته في مكة لإبداء رأيه فيها، وقد تعارض الوقت الذي خصص لزيارتي لها مع الوقت الذي تشرفت فيه بالمقابلة الخاصة الأخيرة، فإذا أرسل إلي مدير المدرسة تقريراً مفصلاً عنها يمكنني حينئذ أن أبدي الرأي المطلوب من زيارتي لها .وإنني واقف نفسي لكل خدمة أستطيعها إذا أمر بها سيدنا أيده الله تعالى.

خادمه المطيع

محمد رشيد رضا

وهذا رشيدٌ شهيدٌ لَهُ

أليس بعدلٍ شهادَةْ رشيدْ؟([175]) !

من الحكومة البريطانية إلى الملك حسين

)بواسطة الكولونيل ولسون(

رسالة) مترجم10/12/1916 (م([176])

...إن حكومة جلالته ومعها حكومتا فرنسا وروسيا، مع أنهما تعتبران سموكم الرأس الأسمى للشعوب العربية في ثورتها ضد مساوئ الحكم التركي، ومع سرورها بالاعتراف اعترافاً واقعياً بأن سموكم الحاكم الشرعي والمستقل للحجاز، إلا أنها لا تستطيع الاعتراف باللقب) الذي أعلنتموه (والذي يمكن أن يثير التفرقة بين العرب في الوقت الحاضر، ومن ثم يعيق التسوية السياسية النهائية لقضايا الجزيرة العربية على أسس مرضية ...ذلك أن التسوية النهائية يجب أن تتم بموافقة الزعماء العرب الآخرين، وهي موافقة لا دليل عليها في الوقت الراهن، وهي تسوية يجب أن تتبع لا أن تسبق النصر في ميدان الحرب.

وترغب حكومة جلالته أن تلفت انتباه سموكم إلى النقاط التالية :

تلاحظ الحكومة البريطانية أن اللقب الذي اتخذتموه سيادتكم يقوم على أساس قومي وليس على أساس الأقطار، وهي تسجل ما صدر عنكم من أن ابن سعود والإدريسي الإدريسي يحكمان بلاديهما، وأنه لا رغبة لسموكم في التدخل في شؤونهما.

وتلاحظ حكومة جلالته أنكم تركتم قضية الخلافة للعالم الإسلامي، ليقر فيما بعد من الذي يحتل هذا المنصب الخطر .وهي تتفق مع هذه الخطة الحكيمة .ولا تستطيع الدول المسيحية التي لها رعايا يعدون بالملايين من المسلمين، أن تضع نفسها في موضع المتهم أمام هؤلاء الرعايا، إذا بدا لهم أنها تعاضد هذا الخليفة ضد الخليفة الآخر، بل إن معاضدة كهذه ستلحق الضرر بكم في أنظار العالم الإسلامي.

)خلاصة(

مؤلف المراسلات التأريخية قال :في 28/10/1916 م 1) المحرم1335 هـ (نودي بالشريف حسين ملكاً على البلاد العربية، وتمت البيعة يوم 6/11/1916 م، وتشاور الإنجليز مع حليفتهم فرنسا التي عارضت بشدة في الاعتراف باللقب، كما كانت هناك معارضة من وزارة الهند .وكان الأمير عبد الله قد وجه في29/10/1916 م ([177])رسالة إلى الحكومات المعنية طلب فيها الاعتراف لوالده باللقب .وعندما تسلم الشريف جواب الحكومتين بالاعتراف به ملكاً على الحجاز فقط، قال لولسون وبريمون إنه لا يعلق أهمية على الألقاب.

ومن رسالة في 18 صفر1335 هـ 13/12/1916 /م من الملك حسين إلى ونجت، ختمها بقوله :

وفي الختام أسأل الباري تعالى أن يرشدنا جميعاً لما فيه مرضاته، وأن يمنح فخامتكم استمرار الرفعة والرخاء الدائم، إنه مجيب الدعاء.

ملك البلاد العربية

وشريك مكة وأميرها

)حسين (

وفي كتاب) المراسلات التأريخية (تقرير مطول من ولسون، حول سفر الوزيرين سايكس بيكو إلى جدة، ذكر أنه باء بالفشل .راجعه إن شئت.([178])

من الملك حسين إلى المعتمد في جدة

مكة 8 ربيع الأول 1336 هـ

)21/12/1917م(

ألتمس هممكم إسراع تبليغ فيصل البرقية الآتية تبتدئ :من الحسين بن علي إلى الولد فيصل . برقيتك الثانية بمضمون ما وردك من جمال وصلت، ومهما كانت أهميتها تجيبه بأن لا حكم بيننا وبين تركيا إلا السيف، وإذا أردتنا بذاتك فإن شخصك سيلقى لدينا ما لا تلقاه عند قومك من الرعاية والحرمة .والحذر تقبل بدر الدين أو غيره أو تبحث في الموضوع بأي صورة كانت .ولا تؤخر العمل وتفتر عنه دقيقة من الزمن، إن كنت ابني ويهمك أمري .أهل العيص يباركون لنا عن نسف قطار ابن رفادة وهلاكه .انتهى.

علم الأتراك بمؤامرة سايكس بيكو، ونقلوا ذلك إلى فيصل، قائد جيش الشمال، ثم راسلهم كبار وزراء الترك رجاء نقض ما أبرموه، وكأن بعض أبناء الحسين تأثر بهذا المكر البريطاني، ومال بعض الشيء إلى الصلح مع الترك، ولكن أباهم حذرهم من ذلك، وكأنه يقول :

وإنك والكتاب إلى علي

كدابغة وقد حلم الأديم

فإن المعاودة إلى الترك بعد الذي حدث، تشبه الانتحار، ولا بد من السير في هذا الطريق مهما كانت وعورته، حتى يقضي الله أمره، وإلاّ فإن المستجير بالترك في هذه اللحظة كقول الشاعر:

المستجير بعمر عند كربته

كالمستجير من الرمضاء بالنار

من ونجت إلى الملك حسين

القاهرة([179])12/1/1918 :

صاحب الجلالة الهاشمية الحسين ابن علي ملك الحجاز وشريف مكة المكرمة أيده الله.

تحية وداد خالص وسلام طيب ذكي إلى الملك المعظم والشريف الأكبر.

أما بعد فقد تشرفت برسالة جلالتكم رقم 29 ديسمبر ومعها صور التلغرافات والتحارير التي تشير إلى مخاطبات ولدكم الشريف سمو الأمير فيصل من قبل جمال باشا .ولقد سررت إذ وجدت أن هذه الصور تطابق في جوهرها الرسالات التي كانت قد وصلتني قبلاً، والتي وقفت منها على رغبة جلالتكم ونواياكم الطيبة الشريفة.

ثم إن تعليمات جلالتكم التي بلغت إلى الأمير فيصل، دلتني على سرعة خاطر جلالتكم وإدراككم لحقيقة الحالة، وجاءت تعليماتكم مطابقة لمقتضيات الحالة تماماً وسررت بها سروراً عظيماً وهي نفس رأيي أنا في الأمر.

لي الأمل أن تكون حالة التلغراف اللاسلكي قد تحسنت الآن .ولقد ساءني جداً تأخير باخرة الجمال المرسلة إلى العقبة .ولا بد أن يكون الكولونل بست أوضح لجلالتكم كيف حصل ذلك.

أهنئ جلالتكم من صميم فؤادي لانتصارات الجيوش العربية تحت قيادة أصحاب السمو الأمراء الأشراف، وأتمنى استمرار هذه الانتصارات، وأنه بهمة الأمراء وسعيهم مع مساعدة الباري يتم فتح المدينة قريباً.

الخطب والتصريحات التي فاه بها بعض كبار الساسة من الحلفاء، تدل بأجلى وضوح على شدة رغبة الحلفاء بترقي وتقدم وإحياء الأمة العربية، التي كانت نهضة جلالتكم باعثاً عظيماً لها على ذلك ومشجعاً كبيراً في هذا السبيل.

لا بدّ أن تسروا يا صاحب الجلالة بخبر تقدم الكولونل ولسون إلى الصحة، وهو موجود في مستشفى السويس .ولقد أخبرني الماجور كورنوالس عن زيارتهما مؤخراً إلى سمو الأمير عبد الله وعن شديد احتفائه وحسن ضيافته لهما.

أختم تحريري هذا ببث شعائر الوداد الصادق والسلام الطيب وأيد الله جلالتكم.

نائب الملك بمصر

من ونجت إلى وزارة الخارجية في لندن

برقية) مترجم (سري رقم154

القاهرة22/1/1918 :م([180])

هناك دلائل تشير إلى أن الدعاية التركية، القائمة على ما كشفت الصحافة الروسية النقاب عنه مؤخراً، تحدث قلقاً متزايداً في نفوس العرب حول مقاصد الحلفاء تجاه الأقطار العربية . ويبرز هذا القلق بروزاًَ واضحاً في الحجاز حيث يحتمل وجود نشاط للدعاية التي يبثها الخديوي السابق من سورية .وآخر مثال على ذلك مناشدة عاجلة أرسلها لي الأمير عبد الله مطالباً بإصدار تكذيب قطعي لمزاعم جامل باشا القائلة بأن فلسطين والعراق سوف تخضعان للبريطانيين وأن سورية ستخضع للفرنسيين.

وفي الوضع الدقيق الراهن للمشاعر العربية، يتوافر لدى الاقتناع بأن التأكيدات الغامضة أو ذات الطابع التعميمي، حول مستقبل العرب، ليست عديمة الجدوى فحسب، بل تنطوي على ضرر، وأنه لمن الضرورة بمكان إصدار تكذيبات واضحة لمزاعم العدو، من أجل إعادة الثقة بمقاصد الحلفاء الطيبة.([181])

هل يمكن أن تخولوني بإبلاغ الملك حسين رسمياً الرسالة التالية:

-1»إن حكومة جلالته ما تزال مصممة على تحقيق استقلال العرب، والوفاء بالوعد الذي قطه عن طريقه] الملك حسين [للعرب في بداية ثورة الحجاز.

-2إن حكومة جلالته لن توافق على احتلال دائم- أجنبي أو أوروبي -لفلسطين والعراق)باستثناء ولاية البصرة (أو سورية، بعد الحرب.

3-إن هذه المناطق سوف تكون في أيدي أبنائها املحليين، وإن التدخل الأجنبي في الأقطار العربية سوف يتقصر على المساعدة والحماية.«

إن هذه المسألة عاجلة، إذا ما أريد إيقاف دعاية العدو عند حدها، وإذا ما أريد منع انفصال كثيرين من العرب وانحيازهم إلى صفوف العدو، عندما تتقدم التعزيزات إليه من الشمال.

ومن الضروري جداً أن تصدر الحكومة الفرنسية أيضاً تصريحاً مماثلاً، كما اقترحت في برقيتي رقم.1281

ملاحظة :اقتضت أمانة التأريخ أن أنقل ما أنقل من هذه الرسائل حرفياً، وبدون أدنى تصرف، إلاّ إن وجد مكان للاختصار، مع التنويه، واعتقد أن مؤلف مصدرنا هذا كان نقل هذه الرسائل بأمان من مصادرها، ولذا قصدت وإياه أن تصل هذه المراسلات إلى القارئ الكريم كما كتبها أصحابها، وتبقى مؤمنة من التزوير والتكذيب، حقائق على ما فيها بلا تدخل ولا تحريف.

من الملك جورج إلى الملك حسين

برقية) النص العربي (لندن30/1/1918 م([182])

إنني أسرع بإعرابي عن سروري العظيم لمظفريات وانتصارات ولدكم المقدام على العدو في أرض الصوّان .وإن جلالتكم الملوكية بصفتكم القائد للنهضة الشريفة لأجل تحرير العنصر العربي، وبصفتكم الوالد للأربعة أنجال المظفرين، فتكون أسباب افتخاركم ورضاكم مضاعفة .وأنا على

حد سواء مع جلالتكم الملوكية، أبتهج لنجاح ومظفريات الجيوش العربية المستمرين، وكذلك لمشاهدتي اتساع نطاق منطقة تحرير العرب.

من باست إلى الملك حسين

جدة 8/2/1918 :م

26ربيع الثاني 1336 هـ

صاحب السيادة العظمى جلالة ملك الحجاز وشريف مكة وأميرها المعظم.

سيدي وعزيزي.

بعد إبداء جزيل التحية وعظيم الاحترام، أتشرف بإحاطة جلالتكم أنه قد وردني خطابكم المؤرخ 24 ربيع الثاني سنة1336) هـ ...(إن جميع الأخبار من سيدي فيصل وسيدي زيد سارة جداً .([183])وإني لا أقدر أن أعبّر لجلالتكم عن مقدار سروري بالانتصارات الباهرة التي حازتها الأمراء الكرام .وإن فقدان الأعداء لمركزهم على بحر الميت ([184])في المزرعة سيكون ضربة شديدة عليهم وتؤثر جداً بنوع خاص على مركزهم بالكرك .وفي الختام تفضلوا بقبول أخلص احتراماتي وعظيم تمنياتي.

مخلصكم

الكولونيل باست

من وزارة خارجية بريطانيا إلى الملك حسين

)بواسطة المعتمد(

رسالة) مترجم (جدة16/6/1918 :م

لي الشرف أن أحيط جلالتكم علماً أنني تلقيت البرقية التالية، التي أرسلتها وزارة الخارجية من لندن إلى فخامة المندوب السامي، بقصد إبلاغها إلى جلالتكم:

»إن حكومة جلالة الملك أُعجبت كثيراً بما أبداه الملك حسين من شجاعة وتصميم في رفض المقترحات الاحتيالية التي ابتدعتها جمعية الاتحاد والترقي.

إن حكومة جلال الملك سُرّت سروراً بالغاً على مبادرته الفورية لإبلاغها عن مؤامرات العدو الدبلوماسية .وإن السبب الواضح لهذا هو الانتصارات التي أحرزتها القوات العربية في ميدان القتال .وتغتنم حكومة جلالته هذه الفرصة لتقدم التهنئة إلى القائدة الأعلى لهذه القوات.«

قال مؤلف كتاب المراسلات التأريخية:

وفي هذا اليوم أيضاً بعث ونجت إلى الملك حسين البرقية التي أنكر فيها وجود اتفاقية مكتوبة بين بريطانيا وفرنسا بشأن سورية والتي استهلها بقوله» :إن البلشفيك لم يجدوا« ..، وقد طلب ونجت في اليوم نفسه موافقة وزارة الخارجية البريطانية على تأكيده هذا، فأبرقت إليه في 21 حزيران بالموافقة.

تجد النصين في الملف CAB27/27 والملفCAM27/28 ، كما تجد مناقشات اللجنة الشرقية حول هذا التأكيد في الملف.CAB27/24

أي أنهم يكذبون علينا، وبينما كان أجدادنا يقدمون أرواحهم وأبناءهم كانت المؤامرة مستمرة، ونفذت كما ترى بعد نهاية الحرب.

صورة ما تقرر مع بريطانيا العظمى بشأن النهضة

21ذي القعدة 1336 هـ

28آب1918 م([185])

1-تتعهد بريطانيا العظمى بتشكيل حكومة عربية مستقلة بكل معاني الاستقلال في داخليتها وخارجيتها، وتكون حدودها شرقاً من بحر فارس، ومن الغرب بحر القلزم ([186])والحدود المصرية والبحر الأبيض، وشمالاً ولاية حلب والموصل الشمالية إلى نهر الفرات ومجتمعة مع الدجلة إلى مصبها في بحر فارس([187])، ما عدا مستعمرة عدن، فإنها خارجة عن هذا الحدود، وتتعهد هذه الحكومة برعاية المعاهدات والمقاولات التي أجرتها بريطانيا العظمى مع أي شخص كان من العرب في داخل هذه الحدود، بأنها تحل محلها في رعاية وصيانة تلك الحقوق وتلك الاتفاقيات مع أربابها، أميراً كان أو من الأفراد.

2-تتعهد بريطانيا العظمى بالمحافظة على هذه الحكومة وصيانتها من أي مداخلة كانت بأي صورة كانت في داخليتها، وسلامة حدودها البرية والبحرية من أي تعد، بأي شكل يكون،

حتى ولو وقع قيام داخلي من دسائس الأعداء أو من حسد بعض الأمراء، فيه تساعد الحكومة المذكورة مادة ومعنى على دفع ذلك القيام لحين اندفاعه .وهذه المساعدة في القيامات والثورات الداخلية تكون مدتها محدودة أي لحين يتم للحومة العربية المذكورة تشكيلاتها المادية.

3-تكون البصرة تحت أشغال العظمة البريطانية لحينما يتم للحكومة الجديدة المذكورة تشكيلاتها المادية .ويعين من جانب تلك العظمة مبلغ من النقود يراعى فيه حال احتياج الحكومة العربية التي هي في حكمها قاصرة في حضن بريطانيا .وتلك المبالغ تكون في مقابلة ذلك الإشغال.

4-تتعهد بريطانيا العظمى بالقيام بكل ما تحتاجه ربيبتها الحكومة العربية من الأسلحة ومهماتها والذخائر والنقود مدة الحرب.

5-تتعهد بريطانيا العظمى بقطع الخط من) مرسين (أو ما هو مناسب من النقاط في تلك المنطقة لتخفيف وطأة الحرب عن البلاد لعدم استعدادها.

وعلق مؤلف كتاب المراسلات التأريخية، على هذا التقرير، قائلاً :

هذه مواد الاتفاق المعقود بين بريطانيا والشريف حسين كما فهمه الشريف من مراسلاته المكتوبة والشفهية مع مكماهون وذلك قبل إعلان الثورة .وقد نشرت الحكومة البريطانية في وثائق سياستها الخارجية ترجمة النص العربي هذا الذي بعث به الحسين إلى السير ريجنالد ونجت مع رسالته المؤرخة 21 ذي القعدة 1336 هـ 28) آب1918 م (وذلك في المجلد 13 ص 405-407والمجلد الرابع ص .418-419 وقد نشرت رسالة الحسين هذه لأول مرة في جريدة) القبلة (العدد 391 بتاريخ 10 حزيران .1920 أما النص العربي المنشور أعلاه، فقد

ظهر لأول مرة في جريدة) المفيد (الدمشقية بتاريخ 15 شباط 1920 في سياق حديث أجراه صاحبها يوسف حيدر مع الأمير فيصل .والترجمة أيضاً في الملف F.O.882/13 أما رسالة 21ذي القعدة فقد نشرت في كتاب) وثائق وأسانيد.(

)ومن هنا يتضح أن الملك حسين كان يعتقد اعتقاداً جازماً أن فلسطين داخلة ضمن المملكة العربية المستقلة.(

من الجنرال اللنبي إلى الملك حسين

جدة 26 :الحجة 1336 هـ

2)تشرين الأول1918 م(

جلالة الملك الأعظم

البرقية الآتية من جناب الجنرال اللنبي باسم جلالتكم بتاريخ أمس يبتدي:

»يسرني أن أبلغ جلالتكم أن جنودنا المشتركة قد دخلوا مدينة دمشق الساعة السادسة من صباح اليوم .والأسرى أكثر من سبعة آلاف .«انتهى.

وإني أرفع لجلالتكم تهاني القلبية بالانتصارات بالأصالة عن نفسي وبالنيابة عن جميع الموظفين البريطانيين بالحجاز مع فائق الاحتشامات.

نائب المعتمد البريطاني بجدة

الكولونيل باست

والتعليق من السيد سليمان موسى:

1- هذه البرقية تدحض المزاعم التي جاء بها الكاتب اليهودي إيلي خضوري من أن الاستراليين دخلوا دمشق قبل العرب، واللنبي يعين ساعة الدخول تعييناً دقيقاً .وقد جاءت اتهامات خضوري في كتاب» إنجلترا والشرق الأوسط.««

من اللنبي إلى وزارة الحربية

برقية) مترجم 6/10/1918 م)

أعلن العرب تأسيس حكومة عربية برئاسة الملك حسين ورفعوا العلم العربي مباشرة عند بدء إخلاء دمشق من قبل الأتراك وقبل أن تغادر القوات التركية المدينة .وقد عيّن حاكم عربي لدمشق .لذلك عندما دخلت قواتي المدينة كانت هناك إدارة عربية في المدينة وكان العلم العربي يرتفع فوق الأبنية الرسمية.

وفي يوم 3 تشرين الأول زرت دمشق.

وفي اليوم نفسه دخل الشريف فيصل أيضاً بين ترحيب الأهلين وهتافاتهم.

وقد اجتمعت بالشريف فيصل في حضور مرافقي ومرافقيه، وأبلغته أنني على استعداد للاعتراف بإدارة عربية في المناطق المحتلة إلى الشرق من نهر الأردن من دمشق إلى معان، بوصفها إدارة عسكرية تحت قيادتي معان، وأبلغته أيضاً أنني سوف أعيّن ضابطي ارتباط بيني وبين الإدارة العربية وسيكون أحدهما بريطانياً والثاني فرنسياً، وإن هذين الضابطين سوف يتخابران معي عن طريق رئيس ضباطي السياسيين.

وللرسالة بقية.

تقطيع البلاد العربية بعد أن أدت الجيوش العربية ما كان يراد منها:

التسوية في أراضي تركيا وشبه الجزيرة العربية

)مترجم (لندن :تشرين الثاني1918 م

دائرة الاستخبارات السياسية

وزارة الخارجية

خاص رقم1

بموجب اتفاقي 29/7/1913 و 1914 /9/3 م بين بريطانيا والحكومة العثمانية، فقد تمّ الاعتراف بأن تكون محمية عدن وأراضي شبه الجزيرة الساحلية في الجنوب والشرق حتى خط العرض 20 ومن هناك حتى جنوب جزيرة البحرين في الخليج- منطقة نفوذ بريطانية .وقد دخل جميع الحكام العرب المستقلين، تقريباً، في هذه المنطقة، قبل ذلك، في علاقات دائمية مع الحكومة البريطانية، والباقون دخلوا في علاقات مع بريطانيا، بعد ذلك.

لقد أصبحت اتفاقاتنا مع تركيا بحكم الملغاة منذ إعلان الحرب، وكذلك اتفاقاتنا مع روسيا منذ عقد الحكومة البلشفية الصلح مع ألمانيا .وهذا يترك الاتفاقات التي ما يزال العمل جارياً بها، ومنها :

-التأكيد المعطى لشيخ الكويت في 3/11/1914 م.

-المعاهدة مع إيطاليا بتاريخ 26/4/1915 م.

-المعاهدة مع السيد الإدريسي) وقعت في 30/4/1915 م وصودق عليها في 6/11/1915م.(

-التفاهم مع الملك حسين الذي لم ينظّم في معاهدة.

-المعاهدة مع عبد العيز السعود) وقعت في 26/12/1915 م وصوقد عليها في 18/7/1916م.(

-الاتفاقية مع فرنسا بتاريخ 16/5/1916 م) سايكس- بيكو.(

-الاتفاقية مع إيطاليا بتاريخ18/8/1917 م.

-رسالة بلفور بتاريخ 2/11/1917 م إلى اللورد روتشيلد حول المطامح اليهودية الصهيونية.

-التصريح البريطاني - الفرنسي المشترك بتاريخ 9/11/1918 م حول مستقبل سورية والعراق.

إن حكومة جلالة الملك لم تلتزم بأية تنازلات عن حقوقها وامتيازاتها السابقة، في هذه المنطقة، ولكنها أعلنت بصفة عامة أن السكان غير الأتراك سيحررون من مساوئ الحكم التركي وستمنح لهم فرصة الحياة القومية والتطور الاقتصادي...([188])

إن التزاماتنا في البلاد العربية تنبع من اشتراكنا في التوقيع على النظام الخاص بلبنان سنة 1861)م (وسنة1864) م (ومن المعاهدات والاتفاقيات التي عقدناها مع سلطاني المكلاّ ومسقط وزعماء عمان، وشيخي الكويت وقطر، وابن سعود والإدريسي والحكام العرب الآخرين، ومع شيخ المحمّرة.

وشريطة المحافظة عل الالتزامات والحقوق المذكورة آنفاً، وعلى أساس عدم إلحاق الضرر بمصالح فرنسا، فإن الحكومة البريطانية تعهدت للملك حسين) بموجب كتاب مكماهون المؤرخ 24/10/1915م (بأن يكون الحجاز والمنطقتان الحمراء والسمراء وجيب عكا- حيفا، والمنطقتان) أ (و) ب» (عربية «و» مستقلة «باستثناء محمية عدن.

إننا غير ملتزمين بتأسيس دولة موحدة، أو دولة اتحادية، في هذه المنطقة، ولم نلتزم بمعاضدة سيادة الملك حسين خارج حدود الحجاز .لقد طالب الملك حسين بحدود الاستقلال العربي ونحن وافقنا عليها، ليس باسمه الشخصي بل بصفته ناطقاً باسم أهل البلاد .وقد أعطينا عهدنا له بهذه الصفة فقط.

ونتيجة لاتفاقياتنا مع الملك حسين والحكام المستقلين الآخرين، ومع حلفائنا، فقد اكتسبنا مركزاً خاصاً لأنفسنا في شبه جزيرة العرب لا تتمتع بمثله الدول الأجنبية الأخرى.

لا توجد اتفاقيات بيننا وبين الإمام يحيى) اليمن (أو ابن رشيد أمير جبل شمر .ومن المحتمل أن اعتراف ابن رشيد مؤخراً بسيادة الملك حسين سيحول دون إنشاء علاقات مباشرة بينه وبين الحكومة البريطانية.

لقد قطعنا عهداً للملك حسين بأن جميع أراضي شبه جزيرة العربية– باستثناء محمية عدن – ستكون» مستقلة «و» عربية «وبكلمة أخرى فقد تعهدنا بإخراج الأتراك، ثم إبقاء الوضع على ما كان عليه .وعلاوة على هذا فقد أعلنا بموجب تصريح 11 حزيران1918 م الذي أصدرته وزارة الخارجية جواباً على مذكرة السوريين المقيمين في مصر» بأن حكومة جلالته تعترف بالاستقلال والسيادة التامين للعرب القاطنين في المناطق التي حرروها بجهودهم من السيطرة التركية أثناء هذه الحرب، وتتعهد بمعاضدتهم في جهادهم لنيل الحرية.«

وقد اعترفت فرنسا في مباحثات لاحقة بان لبريطانيا» مصالح سياسية خاصة «في شبه الجزيرة العربية.

ولقد اعترفنا بالشريف حسين حاكماً مستقلاً مع لقب» سيادة ملك الحجاز .«ولكن الحسين من جانبه لم يقبل هذا اللقب، وهو يعتبر نفسه» جلالة ملك العرب «وأن تفاهمنا معه بصفته حاكماً محلياً لا يزيد عن كونه اعتراف باستقلال الحجاز، وهو بمثابة ترتيب مؤقت للسير في الحرب معاً.

وقد قبلت الحكومة الفرنسية بأن تتم المفاوضات مع العرب عن طريق بريطانيا.

وأثناء المباحثات المتعلقة بلقب الملك حسين، التزمت فرنسا بهذا الترتيب .وقد أرسلت فرنسا بعثة عسكرية إلى جدة ومندوباً فرنسياً مسلماً إلى مكة.

وفيما يتعلق بالعراق :فإن الحكومة البريطانية قد قطعت عهداً للملك حسين بأن يكون »مستقلاً «و» عربياً .«ولكن الملك حسين وافق على أن تتخذ بريطانيا إجراءات إدارية خاصة في ولايتي البصرة وبغداد .واقترح الملك حسين أن يكون هذا الترتيب قصير المدى، وأن يتم التعويض عنه بمبلغ من المال من إيرادات العراق .ولكن الحكومة البريطانية لم تلتزم بدفع أية مبالغ، ولم توافق على أي تحديد لسيطرتها، سواء من ناحية طول المدة أو من ناحية الصلاحيات.

أما بشأن الجزيرة) ولاية الموصل (فإننا لم نطلب من الملك حسين أن يوافق على أية تحفظات بشأن استقلالها.

وبموجب التصريح للسوريين المقيمين في مصر، وبموجب التصريح البريطاني- الفرنسي، فقد التزمت بريطانيا بمبدأ تقرير المصير، وترك الحرية للأهلين كي يختاروا نوع الحكم الذي يريدونه.

وبشأن سورية :لقد قطعنا عهداً للملك حسين بأنه سورية، والجزيرة السورية، سوف تكون »مستقلة «و» عربية «ما دام أن ذلك لا يلحق ضرراً بمصالح فرنسا .وقد وافقنا على أن تنشئ فرنسا في المنطقة الزرقاء إدارة مباشرة أو غير مباشرة، حسبما ترغب، وأن تكون له الأولوية في منطقة) أ .(بينما تعهدت فرنسا لنا بأن تعترف بدولة عربية مستقلة في المنطقة) أ (وأن تعاضدها.

هذا وإن منطقة شرق الأردن، وجزءاً من المنطقة البدوية التي تعتمد على سورية) المناطق المحاذية لسكة حديد الحجاز من درعا إلى معان ووادي السرحان (هي من ضمن المنطقة) ب (حيث ستون لنا الأولوية السياسية والاقتصادية.

إن تصريحنا للسوريين وتصريحنا المشترك مع فرنسا، يشملان مستقبل سورية، ومستقبل العراق أيضاً.

وبشان فلسطين) غربي نهر الأردن :(لقد قطعنا عهداً للملك حسين بأن تكون هذه المنطقة »عربية «و» مستقلة.«

وقد وافقت فرنسا وإيطاليا على أن تخضع عكا وحيفا لبريطانيا العظمى.

وفي المنطقة السمراء) أي فلسطين باستثناء الخليل (وافقت بريطانيا وفرنسا وإيطاليا على إنشاء إدارة دولية، بالتشاور مع دول الحلفاء الأخرى وممثلي الملك حسين.

وهكذا صار القوم يقطع بعضهم بعضاً أرضنا وديارنا، كل ذنبنا أننا هبنا معهم ووثقنا بوعدهم، فاحتجنوا كل الغنائم، والنصر، والأمر .وكان على قومنا السكوت والانتظار.

وعلى التسليم بأن ما حصل خير مما كان، وأن بلاد العرب على الأمد الطويل تخلصت من ذلك الاستعمار واستقلت، ولكن ظلت آثاره ظاهرة فيها، مقطعة كرقعة الشطرنج، ليس لها من التوحد إلاّ الحلم .أما اقتطاع فلسطين قهراً، فشأنه أليم .وأريد أن أنوه هنا أن من أراد الاستقصاء في هذه الرسائل التي هي لب تاريخ الحقبة، عليه مراجعة الأصل الذي صدرنا عنه، بل مراجعة كل الأصول التي سترفق بهذا البحث، فهناك الكثير الذي يصعب علينا استفراغه هنا.

إعلان الثورة

وبعد أن أخذ الحسين من الإنجليز المواثيق– كما تقدم –على تحرير العرب واستقلالهم، أخذ يجيش الجيوش، ويضعها على أهبة الاستعداد.

وجعل بينه وبين بنيه وجميع المتعاونين معه وخاصة القادة في مكة علامة أن يطلق طلقة من مسدسه علامة البدء .وفي فجر يوم 9) شعبان سنة1334 ه10/6/1916 /م (أطلق طلقته المشهورة، ونادى) :أيها العرب تحرروا واتحدوا.(

انطلاق الجيوش :فانطلقت ثلاثة جيوش بقيادة أبناء الحسين:

الأول :بقيادة الأمير عبد الله) الملك عبد الله (باتجاه الطائف، فحاصرها حتى استلم المدينة، ثم اتجه إلى المدينة المنورة، فجاءها من الشرق، وكانت حاميتها بقيادة فخري باشا قوية، فقرر حصارها وقطع المدد عنها من الشمال، ثم نزل وادي) العيص (شمال غرب المدينة المنورة، فظل يحاصر فخري حتى استسلم .وهذا الجيش الشرقي.

الجيش الثاني :كان بقيادة الأمير علي) الملك علي (فتقدم إلى المدينة من الجنوب، ونزل العقيق، وبئر درويش ([189])وما حولها .كان والد مؤلف هذا الكتاب ضمن هذا الفيلق . وظل هذا الجيش– جيش الوسط –في كر وفر حتى استسلمت المدينة .فعرضت القائل في مكة، وهم يقولون:

)يا سيدّي جانا الخبر

إن المديـنـة سـلمت(

الثالث :بقيادة الأمير فيصل، وسمي جيش الشمال، فسار إلى ينبع، وقارع فخري من الغرب، ثم تقدم شمالاً حتى وصل إلى حلب.

ملك العرب :بينما القوات العربية تشدد حصارها على المدينة وقد سلمت كل مدن الحجاز الأخرى، بويع الحسين بن علي ملكاً على العرب.

يقول عبد الله بن الحسين– في مذكراته :–وقد أجمع الرأي على إعلان الاستقلال العربي، وعلى مبايعة المنقذ الأعظم ملكاً على كافة العرب .ولكنه تأبَّى، ولكن الأمير يقول :فدخلت عليه وقلت له :إذا لم تقبل فسوف نترك كلنا العمل، وكان قد انضم على الأمير عبد الله)الملك فيما بعد (عدد من وجوه العرب في هذا الطلب .فقبل الحسين هذا على مضض، وتمت البيعة.

ملك الحجاز :ولكن الدول الأجنبية التي كانت قد فرغت من تقسيم البلاد العربية، ساءها ذلك .واعترف بهذا الوضع الروس، وسيام) الدولة الآسيوية .(أما الحلفاء فقد اعترفوا– بعد تردد –باستقلال الدولة العربية في الحجاز، وبالملك حسين ملكاً على الحجاز، هكذا كان، وشكلت الحكومة، واختير مجلس الأمة) المجلس النيابي (فصار للعرب دولة وفق المسمى الحديث للأمم المتقدمة.

أمير المؤمنين :وضعت الحرب أوزارها، وصار ابناه عبد الله وفيصل يحكمان الأردن والعراق، واستولى الفرنسيين على سورية ولبنان .وفي 11/6/1342) رهـ18/1/1924 /م (زار الحسين ابنه عبد الله في عمّان، وفي 11) آذار1924 م5/8/1342/ ([190])هـ (بويع الحسين بن علي خليفة على من أطاع من العرب والمسلمين، وبعد تسعة أيام غادر أمير المؤمنين عمان عائداً إلى مكة.

ولكن هذه الوظيفة ذهبت أدراج الرياح، كيف وقد نعلم أن ما بين بحر العرب وحدود تركيا صار فيه اثنتان وعشرون دولة وإمارة([191])، كلها ذات ارتباط وثيق مع بريطانيا، عدا المملكة المتوكلية اليمنية، وصارت الأمة كما تقول أمثالنا) مثل جرابيع ابن ثواب.(!

وعد بلفور :الوعد الذي قطعه الوزير البريطاني) بلفور (لليهود أثناء الحرب العالمية الأولى، كل العالم يعرفه، ولسنا هنا في تفاصيله، ولكن يبدو أن بريطانيا وقد ثبتت انتدابها في فلسطين أرادت أن تحصل على صيغة فيها بعض الشرعية، لدرء ماء الوجه، فلما انتهت الحرب قدمت معاهدة بينها وبين الحسين وبنيه معرضة عليهم التعاون والحماية من كل معتد، ومن ضمن هذه الاتفاقية) وعد بلفور(، وعرض بصيغة أنه مجرد وطن لا يمس حقوق العرب، لا من الناحية السيادية ولا من الناحية الدينية.

القشة التي قصمت ظهر البعير :ولكن الحسين الذي خبر الإنكليز بمكرهم وخداعهم، عرف أن وراء الأكمة ما وراءها، فأصر أن يلغي وعد بلفور وأن يحذف من المعاهدة .ولكن يبدو أن المعاهدة ما كان الإنكليز ليعرضوها لولا الوعد المشؤوم ومحاولة الحصول على مشجب يعلق عليه.

وهكذا توقفت المعاهدة، ورأى الإنكليز أنهم في حل من أمر الحسين والحجاز، فليتدبر أمره.

القتال مع السعوديين :كان الأمير عبد الله بن الحسين يقود جيشاً سنة1337) هـ (([192])لتحرر الخرمة ورنية وما والاهما، غير أن الإخوان فاجؤوا ذلك الجيش بليل فدمروه، واحتلوا تربة وما والاها، بعد إحداث مذبحة مهولة، سميت هذه) وقعة تربة .(ويقول الملك عبد الله إن تشرشل هدده في لقائهما في القدس ([193])بأن ابن سعود يستطيع أن يدخل مكة بعد ثلاثة أيام .يقول، قلت :إن ابن سعود بيت من بيوت العرب فإذا أعطته الأمة هذا الاختيار.

وفي عام1343) هـ1925/م (هاجم الإخوان الطائف، وأحدثوا فيه ما لا يوصف، وتقدمت قواتهم إلى مكة، وأغمض البريطانيون أعينهم، وتركوا الحسين يدفع الثمن رفضه وعد بلفور.

التنازل :فلما أطالت القوات السعودية أو الإخوان– كما يقال –على مكة، أجفل أهل مكة ومعهم كبار وجهائهم، إلى جدة، وعقدوا اجتماعاً قر فيه رأيهم أن يطلبوا من الحسين التنازل لولي عهده ابنه علي، ظناً منهم أن ذلك سيحول دون الاستيلاء على المملكة، ويتم الصلح مع ابن سعود، وما زالوا بالأمير علي) الملك علي (حتى قبل مشترطاً قبول أبيه، فأبرقوا بقرارهم ([194])للملك حسين :إن مطلب الأمة تنازلكم لولي عهدكم، لنحل ما بينكم وبين ابن سعود !فيسأل الملك :مطلب من هذا؟ فيقول له المفوض :مطلب مجلس الأمة !فيرد

الملك :مرحباً مرحباً، ولكن أرسلوا الآن من تكون البلاد في عهدته .وفي 5/3/1343)هـ1924/3/10/م (تنال الملك حسين.

في العقبة :وما هي إلاّ عشية أو ضحاها، حتى تنازل ملك وبويع ملك، بينما كانت القوات النجدية تملأ الأبطح وكل الأباطح، ثم تندفع إلى الرغامة، على مرمى المدفع من ميناء جدة، ولبث الحسين الأربعة أيام في جدة ريثما ينظم شؤون سفره، وبعد 15 عشر يوماً يصل الحسين إلى العقبة، وتصل التقارير بالبرق، فيأخذ في جمع قبائل دائرة العقبة من فلسطين وشرق الأردن وسيناء وشمال الحجاز، ينفق عليهم ما تبقى معه، ويبعث بهم إلى جدة المحاصرة، فتقوى بهم الملك علي، وجدَّد هجماته على القوة المعادية .وهنا يتدخل الإنكليز مرة أخرى، فقد اشتكى الملك عبد العزيز) السلطان آنذاك (بأن عمل الحسين هذا يطيل عمر حصار جدة، وإن لم يوقف عند حده فسوف يتخذ ما يراه مناسباً.

المنفى :ومرة أخرى رأى الإنكليز أن هذا من الفرص المتتالية التي يمكن بها قطع يد حليف الأمس، وإخراجه من كل البلاد العربية، فيموت آخر من له الحق في المطالبة بحقوق العرب حسب المواثيق المبرمة معه- كما قدمنا -وأهم ما كان يشغل الإنكليز بعد الانتصار في الحرب هو تنفيذ التزاماتهم، ومنها وعد بلفور، وأية عقبة في هذا السبيل مثل الحسين بن علي.

وهكذا، بما لهم على الأردن آنذاك، ضغطوا على ابنه الأوسط عبد الله بن الحسين ليخلصهم من، فما زال به حتى رضي بمغادرة البلاد العربية كلها، فاختار الإنكليز قبرص منفى له، وإنه لمنفى، فهي جزيرة مستعمرة لبريطانيا، لا يزورها زعيم، ولا يرى فيها عربي، وركب الباخرة من العقبة، ولسان حاله يقول:

ولست أُبالي حين أُقتل مسلماً

على أي جنبٍ كان في الله مضجعي

نفي الحسين بن علي :وفي 26 ذي القعدة1343 هـ 17 /حزيران 1925 م نفي إلى قبرص وظل بها حتى اشتد عليه المرض، فنقله ابناه عبد الله وفيصل إلى عمان، كما سيأتي.

فلما انقطعت هذه التعزيزات، ونفد كل ما عند الملك علي، وافق على التنازل، وذهب إلى العراق.([195])

المرض :ظل سيّد العرب– في تلك الحقبة –بلا منازع، منفياً في قبرص، وكان قد بلغ الثمانين من عمره المثمر، فاشتد به الوجع، وقيل إن البلاد المنفى فيها، وهي بلاد إنكليزية، كانت كثيرة الإهمال له فتأثر نفسياً، وانسحب ذلك على الجسم الذي أضني منذ الطفولة بالسعي وراء المجد، فطلب أن يذهب إلى ابنه عبد الله في مملكته .وبعد نحو ست سنوات ونيف قضاها في قبرص، عاد لا ليعمل ولكن ليموت في أرض العرب، وبين بنيه وأحفاده، ولعمر الحق إنها لآخر أماني مثله.

في عمّان :حضر إلى قبرص والداه الملكان عبد الله وفيصل، فاصطحباه، وكان معه، طيلة سني المنفى، ابنه الأصغر زيد، وهكذا بعد أن مضت عليه ست سنوات منفياً، وجد نفسه في عمان) قلب العرب.(

وكأنه قال :

وألقت عصاها واستقر بها النوى

كما قر عين بالإياب المسافر

الوفاة والدفن :لبث في عمان نحو ستة أشهر، ثم توفي في18/1/1350) ه4/6/1931 /م (ونقل إلى بيت المقدس فووري جثمانه في إحدى الغرف المطلة على صحن المسجد الأقصى، وقبره معلوم هناك.

أسرة الحسين

أبوه :علي بن محمد بن عبد المعين، وتقدم محمد بن عبد المعين، وأم الحسين) بزمجهام (كذا ذكرها الملك عبد الله في مذكراته، ولم أر من تعرض لها .ومات أبوه الشريف علي، والحسين يافعاً في نحو (16) سنة، إذ مات أبوه سنة1286) ه1870/م(، ويبدو أن جدة الحسين تكفلت برعايتهم، هو وأخوه ناصر وأختهما رحمة .واسم جدته :صالحة بنت غرم الشهري العسبلي، والعسابلة رؤوس بني شهر، وظلت جدة الحسين هذا حتى ربت بعض بنيه، كما ذكر الملك عبد الله في نشأته.

الزوجات :تزوج الحسين ثلاث مرات:

الأولى :الشريفة عابدية بنت عبد الله بن محمد بن عبد المعين، وقد تقدموا جميعاً، فأنجبت له بنيه الملوك :علي وعبد الله وفيصل، ولكنها توفيت في وقت مبكر، إذ كان ثاني أبنائها في نحو الرابعة، فتولت تنشئة الأنجال تلك الجدة العربية،) صالحة (المتقدم الحديث عنها.

الثانية :قالوا :فتاة شركسية، تزوجها في إسلامبول، فأنجبت له ابنته صالحة، ثم توفيت.

الثالثة :عادلة هانم، تركية، أنجبت له ابنه زيد، وهو رابع بنيه، وبنتين، هما :سارة ([196]) وفاطمة.

مما تقدم ترى :أن للحسين أخاً وأختاً، وتزوج ثلاث مرات، وكان له أربعة بنين، كلهم ملوك ما عدا زيد، وثلاث بنات، وله اليوم العديد من الأحفاد والحفيدات، كلهم صاروا ملوكاً وأمراء .والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

أثر الثورة العربية الكبرى

-1إيقاظ العرب من سبات ظل يلازمهم، وخمول ظل يعاودهم طيلة قرون عديدة، فجددوا الثورات ضد الغاصبين، وعمروا الأرض، وبنوا المدارس والجامعات، وصارت لهم محافل دولية، وتقدم الفكر، ونبشوا عن تأريخهم، ونهض علماؤهم، وبثوا الدعوات، ونادوا بالعودة إلى المنابع الأصيلة.

-2امتلاك العرب حريتهم وتمتعهم بخيرات بلادهم، فقد قال أحد مؤرخي الحسين- فيما بعد الاستقلال :-أصبح للعرب في الحجاز وجه آخر للمعاش، وهي الوظائف الحكومية، والمنافع المتعلقة بالدولة، فقد كان في عهد الأتراك لا تكون الوظيفة إلا لتركي أو من يجيد أحد معروضاً أو طلباً لوال أو قاض، إلاّ باللغة التركية، فصار حتى كتاب العرائض من الأتراك أو الساعين إلى تعلم التركية للارتزاق.

فلما أعلن الحسين الاستقلال، شكل الحكومة، فكانت وزارات ومديريات، وجيش وشرطة وبلديات، ومدارس، وكل من يعمل في هذا هم العرب، وارتفعت معنويات العرب وأظلهم رفاه ما كانوا يعرفونه.

3- أما السلبيات التي حصلت، وأهمها تقطيع بلاد العرب إلى دويلات، وتفرق كلمتهم، وتناحرهم، واتخذ بعضهم بعضاً عدواً ..الخ، فليس إلا من صنع الإنكليز أولاً، ومن صنع من أغاروا في الظلام، فمكِّون دولة وفاقد دولة، ولكنها هذه المرة صارت تنتقل من يد عربية إلى ي عربية أخرى، فهان وقعها على سوئه.

مصادر ترجمة الحسين بن علي

مرتبة حسب الترتيبات الأبجدي، ما عدا القرآن الكريم :

1- القرآن الكريم.

2- الأعلام :خير الدين الزركلي، ج2 ، ط /4سنة1399) هـ1979 /م(، نشر دار العلم للملايين، بيروت.

3-تأريخ مكة :أحمد بن محمد السباعي، ط4، بإشراف دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة.

4-تأريخ نجد الحديث :أمين الريحاني، ج5 ، من المجموعة ط1، سنة1400) ه1980 /م(، نشر المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

5-الثورة العربية الكبرى :أمين سعيد، ط :لم تذكر، سنة :لم تذكر، نشر مكتبة مدبولي.

6-الحرب العالمية الأولى :ط1 ، ج3 ، نشر المكتب التجاري، على عدة سنوات، من 1914-1918)م.(

7-الرحلة الحجازية :محمد لبيب البتنوني، ط2، سنة1329) ه1911/م(، مطبعة الجمالية، مصر.

8-الرحلة اليمانية :ط2 ، سنة1380) ه(، الشريف شريف البركاتي .الناشر :محمد نصيف.

9-شفاء الغرام :محمد بن أحمد الفاسي المكي، ط1 ، سنة1376) ه1956 /م(، نشر مكتبة النهضة بمكة.

10-مكة في القرن الرابع عشر :محمد عمر رفيع، ط1 ، إشراف دار مكة للنشر والتوزيع، نشر نادي مكة الثقافي، سنة1401) ه1981/م.(

11- مذكرات الأمير زيد بن الحسين :تأليف :سليمان موسى، ط1 ، سنة1396) هـ / 1976م(، الناشر لم يذكر.

12- مذكرات الملك عبد الله) :المجموعة الكاملة(، ط1 ، الناشر الدار المتحدة، بيروت، سنة 1399)هـ1979 /م.(

13- المراسلات التأريخية :سليمان موسى، ط1، سنة1393) هـ1973 /م(، الناشر لم يسم.

14- الملوك الهاشميون :جيمس موريس، ط1، سنة لم تذكر، نشر المكتب العالمي، بيروت.

الحسين بن علي في مراحل:

مع عون الرفيق.

في مجلس الشورى) المبعوثان.(

أمير الحجاز.

الحملة على عسير.

التمهيد للثورة.

المراسلات التأريخية.

إعلان الثورة.

تجييش الجيوش.

ملك العرب.

أمير المومنين.

ملك الحجاز.

الإصلاح .التعليم .الزراعة، الجيش، الأمن.

قتال السعوديين.

التنازل.

في العقبة.

المنفى.

المرض.

العودة إلى عمان.

الوفاة والدفن.

الزوجات.

الأبناء والبنات.

أثر الثورة العربية الكبرى :حركة علمية .عشق الاستقلال، تعريب العرب.

-118الشريف الملك علي بن الحسين1353-1298) هـ1935-1881 /م:(

الملك الشريف علي بن الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون، وعون هذا هو الذي تنتسب إليه أسرة الأشراف العبادلة ذوو عون، وباقي النسب إليه رسول الله ، تقدم في ترجمة عم أبيه :الحسين الشهيد.

علي بن الحسين الهاشمي

ولد في مكة لأبوين شريفين، وهو أكبر أنجال الحسين بن علي، وبه كان يكنى، أمه عابدية بنت عبد الله، عم أبيه، ورحل مع أبيه إلى العاصمة العثمانية، ثم عاد معه عند توليه إمارة

مكة سنة1326) هـ ([197]) (ثم تولى حصار المدينة عندما أعلن أبوه الثورة على الترك، وقاد جيش الوسط، الذي هاجم المدينة من الجهة اليمانية، وكان والد مؤلف هذا الكتاب أحد المحاربين في هذا الجيش .وعندما سلّم القائد التركي فخري باشا، تسلّم الأمير علي منه المدينة، وسافر فخري وجيشه إلى ينبع ثم إلى تركيا في البحر، وعاد علي منتصراً إلى مكة، ولما أُعلن الاستقلال– كما تقدم في ترجمة أبيه –عين رئيساً للوكلاء، ثم ولياً للعهد، وصار يرأس حكومة الحجاز إلى أن بويع ملكاً على الحجاز، في إثر تنازل أبيه عن عرش الحجاز، في 5/3/1343)هـ1924/3/10 /م .(وتقدمت الجيوش السعودية) عام1343 هـ1925 /م (واستولت على الطائف، وفعلت ما فعلت، تقدم الأمير على للدفاع عن مكة وحشد جيشاً في الهدأة، ودافع، غير أن المهاجمين كانوا كالحصى عدداً، فاحتلوا الهدأة، فانسحب الأمير علي إلى مكة، وعندما كانت الجيوش الغازية على مشارف مكة اجتمع لفيف من وجهاء الحجاز فقرروا أن يتنازل الملك حسين لابنه علي، باعتباره ولي عهده وأكبر أنجاله، ورغم ممانعة الأمير وطلب الملك أن يكون هذا الأمير لغير ابنه، إلا أنه تم الأمر وبويع علي ملكاً دستورياً على الحجاز، كما تقدم.

وتنازل الحسين– كما تقدم في ترجمته –واتخذ علي مقره في جدة .ورغم فله المال، والعتاد والرجال، فقد دافع سنة كاملة، ثم تنازل عن الملك للسلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن، سلطان نجد، آنذاك.

ثم ذهب إلى بغداد، فعاش هناك إلى أن تفي يوم 11/12/1355/21 شباط1937 م (ودفن في المقبرة الملكية في بغداد .([198])ولقد اجتهد معاصروه في تدوين الأحداث، ولكنهم لم يسلموا من حذف المقفي بالحجارة، سنة الله في كل عصر، وديدن أهل الهوى في كل زمان، وإليك بعض ما تيسر لنا من أقوالهم.

لخص له صاحب الأعلام ترجمة موجزة، لعل فيها كثيراً من الحيادية، والله اعلم .قال :

آخر من سمي ملكاً في الحجاز من الهاشميين .كان أكبر أبناء الملك حسين صاحب النهضة . ولد بمكة وأقام زمناً مع أبيه في إستانبول .وعين أبوه شريفاً لمكة سنة1326) هـ(، فعاد إليها .وبرز نشاطه في ثورة أبيه على الترك1918–1916) م (وكان يوم إعلان الثورة، نازلاً بالمدينة، وللترك) العثمانيين (حامية قوية فيها، فأقام في خارجها محاصراً لها، إلى أن انتهت الحرب العامة) الأولى (فتسلمها إلى أن انتهت الحرب فخري باشا، ثم جعله والده رئيساً لمجلس الوكلاء بمكة، وعهد إليه بشؤون القبائل .ولما أغار رجال الملك ابن سعود على الطائف سنة1924) م (وخلع الملك حسين نفسه من الملك) في 3 أكتوبر1924 م (انتقل ابنه صاحب الترجمة إلى جدة، فبويع فيها بعده) في 4 أكتوبر (وعبأ جيشاً انفق عليه أموال أبيه وأمواله .،واشتد ابن سعود في حصار جدة، فنزل علي عن عرشها في 17) ديسمبر 1925 م21/4/1344 /هـ (وانصرف إلى بغداد، فاستقر في ضيافة أخيه الملك فيصل بن الحسين ثم ابنه غازي بن فيصل، إلى أن وافته منيته .وكان وديعاً حليماً، محباً للخير، طيب القلب.

أما أمين الريحاني الذي عاصر هذه الأحداث وكان صديقاً لابن سعود، وغير مود للأشراف، فقد كتب يقول:([199])

مشى الأمير علي على رأس هذا الجيش إلى الهدى([200])، وكان الإخوان قد علموا بذلك، فحمل نحو ألفين منهم على الحجازيين، واشتبكوا وإياهم في 26 صفر 26) ([201])أيلول (في معركة استمرت من نصف الليل إلى الساعة العاشرة صباحاً.

كان الأمير علي يدير هذه المعركة من قصر يبعد ألف وخمسمائة متر عن ساحة القتال .وفي هذا القصر هاتف يصله، بواسطة مركز الارتباط في سفح جبل كرا([202])، بقصر جلالة والده.

» –هجم المتدينة ([203])علينا فرددناهم خاسرين.«

» –أعاد المتدينة الكرة فأمطرتهم مدافعنا وابلاً من الرصاص فعادوا مدحورين.«

ولكنهم في الهجمة الثالثة، وعلى رأسهم سلطان الدين نفسه([204])، ضربوا الجبهة ضربة ثلتها، وكان في وسطها سرية من الفرسان من عرب عتيبة، فتقهقروا، فدخل الإخوان من تلك الثلة، وأول من انهزم من بدو الحجاز هذيل وسفيان، ثم أهل مكة، ثم جنود النظام.

وفي تلك الساعة، عند الفجر، سكتت بنادق الإخوان، فهتف موظف الهاتف يخاطب ضابط الارتباط في الكر بسفح جبل كرا وهذا يخاطب الديوان الهاشمي بمكة»– :انهزم المتدينة !سكتت بنادقهم!««

ولكن السبب في سكوت تلك البنادق هو أن أصحابها توقفوا عن القتال ليصلُّوا صلاة الفجر !ثم عادوا مستبسلين، فتقهقر الأمير علي بشرذمة من الجيش إلى الكر .وعند وصوله إلى سفح الجبل، الساعة الثامنة صباحاً، أمره جلالة الملك باهلاتف أن يرجع إلى الهدى– : »الطاعة ولو ذبحت .«قال هذا وعاد ورجاله أدراجهم، فما كادوا يصلون إلى منتصف الطريق حتى انهال عليهم رصاص الإخوان كالمطر .وكان ضابط الارتباط في الكر قد ألحقهم بنجاب يقول» :قد انقطع التلفون بيننا وبين الهدى.«

قفل الأمير ورجاله راجعين، وتوقف الإخوان بعد هذا النصر في الهدى، فلم يتعقبوا فلول الجيش الهاشمي، ولا هاجموا مكة يومذاك اجتناباً للقتال في ظلام الحرم.

ثم يقول الريحاني :بعد أسبوع من وقعة الهدى، وباسم الأمة، اجتمع أعيانها في جدة، ومنهم من فبروا من الطائف ومكة، من تجار وعلماء وأشراف، فأرسلوا إلى الحسين في اليوم الرابع من ربيع الأول 3 :تشرين الأول، البرقية الآتية:

نص البرقية التي عنون لها الريحاني بيوم الانقلاب:

»بسم الله الرحمن الرحيم.

صاحب الجلالة الملك المعظم بمكة:

بما أن الشعب الحجازي بأجمعه الواقع الآن في الفوضى العامة، بعد فناء الجيش المدافع وعجز الحكومة عن صون الأرواح والأموال، وبما أن الحرمين الشريفين خاصة وعموم البلاد مستهدفة لكارثة قريبة ساحقة، وبما أن الحجاز بلد مقدس يعني أمره جميع المسلمين، لذلك قررت الأمة نهائياً طلب تنازل الشريف حسين وتنصيب ابنه الأمير على ملكاً على الحجاز فقط، مقيداً بدستور وبمجلسين وطنيين الخ .والله الموفق لما فيه الصلاح.«

قد وقع هذه البرقية التي أرسلت بعد الظهر مئة وأربعون من الأعيان والعلماء والتجار الحجازيين.

الرد الملكي الهاشمي:

»إدارة برقيات الحكومة الهاشمية.

في 4 ربيع الأول سنة1343) هـ (بواسطة قائم مقام جدة إلى الهيئة الموقرة.

مع الممنونية والشكر .وهذا أساس رغبتنا التي أصرح بها منذ النهضة وإلى تاريخه .وقد صرحت قبله ببضع دقائق إني مستعد لذلك بكل ارتياح إذا عينتم غير علي .وإني منتظر هذا بكل سرعة وارتياح.«

الامضاء» :حسين«

لم يرض المجلس بهذا الجواب، فعمد إلى الهاتف وأناب أحد أعضائه ليكلم الملك، فرفض جلالته الكلام» :أنت من رجال حكومتي فليكلمني غيرك .«ورفض كذلك أن يكلم الثاني .ثم تناول الشيخ طاهر الدباغ الهاتف فكان مسموعاً.

الدباغ» :مولاي، بناء على المركز الحرج الذي وصلت إليه البلاد، قررت الأمة طلب تنازل جلالتكم لسمو الأمير علي.«

الملك) مقاطعاً» :(وأنا وابني واحد، وإذا كنت أنا قد صرت عندكم بطال فلا بأس ولكني لا أفهم ما القصد من هذا .لا يهمني أمر الملك في أي شخص كان .ولكني لا أتنازل لولدي علي أبداً .لأني إذا كنت أنا بطال فولدي بطال.«

الدباغ» :كلا يا مولاي .لا ننسب لجلالتكم شيئاً من ذلك .وإنما نريد أن نسلك سياسة غير السياسة التي سرتم عليها، عسى أن نتمكن من تخليص البلاد من مأزقها الحرج .والأمة قد أجمعت على طلب ذلك من جلالتكم، ونرجو إجابة رغبتها.«

الملك» :يا بني لكم أن تفعلوا ما تشاؤون .أما أنا فلا أتنازل لولدي علي أبداً .عندكم الشريف علي أمير مكة السابق، وأخي ناصر، وعندكم خديوي مصر عباس حلمي، وعندكم الأشراف كثيرون اختاروا أي واحد تشاؤون، وأنا مستعد للتنازل له .أما ولدي فلا يمكن لأني أنا وهو شيء واحد .خيره وشره عائدان لي.«

الدباغ» :قد أجمعت الأمة يا مولاي على اختيار الأمير علي ولا ترغب.«

الملك» :لا يمكن أن أتنازل لولدي .أقول لا يمكن قطعياً.«

الدباغ» :سأخبر الهيئة ثم نعلم جلالتكم.«

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الهيئة الشرقية التي التأمت طيلة ذاك النهار والليل، كانت في مناقشاتها وأعمالها– وإجماع رأيها –غير شرقية، بل كانت في سرعة تقاريرها، ومضاء عزمها، من أعجب ما دوِّن في تاريخ الشرق والشرقيين، حتى إنها أقفلت أبواب المدينة أثناء هذه المفاوضات ليبقى الأمير علي في جدة ويقبل البيعة.

بعد المحادثة بالهاتف أرسلت البرقية التالية وفيها البلاغ النهائي، وفيها التهديد:

»صاحب الجلالة الملك المعظم بمكة:

الحالة حرجة جداً، وليس الوقت وقت مفاوضات .فإذا كنتم لا تتنازلون للأمير علي فنسترحم بلسان الإنسانية أن تتنازلوا جلالتكم لتتمكن الأمة من تشكيل حكومة مؤقتة .وإذا تأخرتم عن إجابة هذا الطلب فدماء المسلمين ملقاة على عاتقكم.«

أعاد صاحب الجلالة النظر في الأمر فتحول بعد حديث الهاتف، أو بعد وصول هذه البرقية، عن فكرته الأولى.

»مكة في 4 ربيع الأول الساعة الرابعة 10) ليلاً.(

لا بأس .قد قبلنا التنازل بكل ارتياح، إذ ليس لنا رغبة إلا في سكينة البلاد وراحتها وسعادتها .فالآن عينوا لنا مأمورين هنا يستلمون البلاد بكل سرعة، ونحن نتوجه في الحال .إذا تأخرتم ووقع حادث فأنتم المسؤولون .والأشراف عندكم كثيرون أرسلوا واحداً منهم أو من سواهم .وعلاوة على هذا إذا قبل منكم علي الأمر عينوه رأساً.«

الامضاء» :حسين«

وفي اليوم التالي أرسل برقية أخرى إلى» الهيئة الموقرة «بواسطة قائمقام جدة، أشد لهجة من الأخيرة، فيها يكرر أنه مصمم على الاعتزال، ويطلب تعيين من يستلم البلاد بكل سرعة .
»فإن الفوضى التي ذكرتموها وقعت بداعي إشهاركم رغبة تنازلي .وإني لا أقبل أية مسؤولية تقع إذا لم تسرعوا اليوم في تعيين من يتولى الأمر، لأتوجه في الحال إلى الجهة التي يختارها الباري عن طريق جدة .وهذا ليس هرباً من أي شيء تتصورونه بل دفعاً للظنون والشبهات.«

أما الهيئة فقد أسرعت في العمل كما يظهر من تاريخ الجواب وعنوانه:

صاحب الشرف الأسمى الشريف حسين المعظم.

جواب برقيتكم رقم– 17 بحمد الله ومساعي مولاي قد تمت البيعة لجلالة نجلكم المعم، وقد فاوض جلالته من يلزم في استلام البلاد وإدارة شؤونها .فالمنتظر من مولاي مبارحتها بكل احترام تهدئة للأحوال.

عن الرئيس

محمد طاهر الدباغ

ولسنا بصدد جميع النصوص التي ذكر المؤرخون، ولكن الخلاصة ونماذج مما كان يجري، تضويراً للأحداث، وتنويراًَ لهذا الجيل الذي أصبح يجهل المهم من تأريخه.

ويضيف الريحاني :

...وكان الإخوان قد وصلوا في 15 ربيع الأول 14/تشرين الأول إلى قرية الزيمة التي تبعد ست ساعات عن مكة([205])، وهم مصممون على الحصار، فانسحب الملك علي ليلة ذاك اليوم بنحو مئتين من الجنود ومئتين من الشرطة، ووصلوا في صباح اليوم التالي، الأربعاء، إلى سهل جدة، يوم كان الشريف حسين يتأهب للرحيل .ولكن عليّاً ظل خارج المدينة فلم يجتمع بوالده، ولا كان من المودعين.

كذا قال أمين الريحاني، وكثيراً ما يبهم في كتابه هذا، ولكن لا ينبغي أن يحمل القارئ مثل هذا النص على أن هناك أي جفاء بين الأب وابنه.([206])

وفي مكان آخر نقرأ.([207])

عندما بويع الأمير علي بالملك، بعد تنازل الملك حسين، أرسلت الحكومة الهاشمية إلى الأمير عبد الله في عمّان أربعين ألف ذهباً ليبذلها في التجنيد، وفي شراء العدد الحربية من أوروبا، خصوصاً الطائرات والسيارات المصفحة.

باشر الأمر التجنيد بمساعدة بعض الزعماء بفلسطين، فجاءت فرقة المتطوعين الأولى في ربيع الأول من هذا العام، وتلتها فرق أخرى حتى بلغ الجند النظامي نحو ألف جندي يوم كنت هناك .ثم جاء في شهر رجب فرقة عددها مئتان وثلاثون رجلاً، وفي رمضان فرقة أخرى عددها خمسمائة.

ولكن هذا الجيش كان معرضاً لعاملين مستمرين في تنقيص عدده، الملاريا والدزنتاريا، ثم الوفيات والإصابات في المناجزات .والذي يقال في النظام يصح في البدو وعددهم في أعلى درجة لم يتجاوز الألف والخمسمائة مقاتل.

أما المال فلم يكن للحكومة، بعد أن نفدت خزينتها، غير مصدر واحد هو الحسين في العقبة .فقد جاءت» الرقمتين «فلي شهر رجب تحمل صندوقين فيهما خمسة عشر ألف ذهباً، وجاءت في رمضان بخمسة آلاف أخرى، ثم في شوال أبحرت الباخرة رضوى من العقبة وهي تحمل لمساعدة الجيش عشرين ألفاً من الذهب.

حالة المعركة ...:أما المدفعية فكان في الاستحكامات، يوم كنت في جدة([208])، اثنا عشر مدفعاً صغيراً وكبيراً، وعشرة رشاشات كلها صالحة للعمل .ثم جاء من ينبع ومن العقبة مدافع أخرى صحراوية وجبلية واثنا عشر رشاشاً، وجاء من ألمانيا مع المصفحتين عشر رشاشات وألف وخمسمائة بندقية مع حرابها، فأصبح على الخط نحو عشرين مدفعاً وأكثر من ثلاثين رشاشاً.

وقد كان لدى الجيش الهاشمي القنابل الكشافة التي تنير المكان الذي تنفجر فيه، كما أنه استخدم الأنوار الكشافة لكشف حركات العدو في الليل .أضف إلى ذلك كله ما وضع عند أبواب خط الدفاع أمام الأسلاك الشائكة من الألغام، ثم الأسلاك نفسها.

وقد مدت هذه الأسلاك على عمد من خشب طولها متر واحد في خط مفرد من البحر شمالاً إلى الكندرة شرقاً بجنوب، ومنها جنوباً ثم غرباًَ بجنوب إلى البحر، فبلغ طوله في هذا الشكل، شكل الهلال، نحو ستة أميال .ثم حفرت وراء أسلاك الخنادق، وأقيمت الاستحكامات بين الخنادق ووراءها ربى ومكامن استخدمت للكشف والدفاع.

وقد قسم هذا الخط إلى مراكز ستة، مرتبطة كلها بواسطة الهاتف بالقيادة العامة في القشلة . وهذه المراكز هي أبو بصيلة، والشرفية، والكندرة، والمشاط، والعقم، والطابية اليمانية .فالطابية هي جناح الجيش الأيمن وأبو بصيلة جناحه الأيسر.

وهناك خارج الخط النزلة اليمانية، وهي قرية مهجورة على مسافة ميلين من جدة ([209])إلى الشرق الجنوبي، وفيها حامية من البدو صغيرة، مئة جندي لا غير، ونزلة بني مالك على مسافة ميلين من جدة إلى الشمال الشرقي، وفيها حامية أخرى صغيرة من البدو، ثم الرويس وهي أقرب القرى إلى جدة من الشمال.

هذه هي قوات الجيش الهاشمي، وعدده في الدفاع .أما عدد الجيش النجدي فقد كانت محصورة بالمدفعية والبنادق والرشاشات .إن في القصر بالرياض مدافع كثيرة من أنواع مختلفة، ولكن السلطان عبد العزيز لم يأمر بجلب شيء منها إلى الحجاز .أما المدافع التي استخدمها في هذه الحرب فقد غنم جيشه بعضها في الطائف والهدى، ووجد أكثرها في مكة، وكلها صالحة للعمل .وهي من المدافع الصحراوية والجبلية من عيار 6 و7 ، وعددها لا يقل عن العشرين مدفعاً، كانت تظهر تدريجياً، أو بقدر ما يمكن الاستعمال منها ي وقت واحد .وكان لدى الجيش النجدي رشاشات كثيرة وكمية وافرة من الذخيرة وجدوا أكثرها في قلعة جياد بمكة.

أما الجنود فقد كانت القوة في المعسكر يوم الزحف الأول أربعة آلاف، والقوة الزاحفة مثلها، وفيها من الإخوان الغطغط، وأهل ساجر، وأهل دخنة([210])، وقحطان، والداهنة، وركبة، وغيرهم وفيها من الحضر ألوية من أهل القصيم، وأهل العارض.

ثم جاء في رمضان فيصل الدويش أمير الأرطاوية بجيش من مطير، وتلاه أهل سبيع والسهول . وبعد هؤلاء وصل الأمير فيصل عائداً من نجد بنجدة كبيرة، فبلغ عدد الجيش في الجبهة وورائها، نحو عشرة آلاف، أضف إلى ذلك الجنود الذين كانوا محاصرين المدينة والسراي التي كانت مرابطة حول ينبع والوجه والعلاء، فيدنو مجموع الجيوش النجدية في الحجاز من الاثنين عشر ألف مقاتل.

وقد كان توزيع الجيوش في جبهة جدة على الشكل الآتي :عسكرت فرقة الغطغط في الجناح الأيمن) جناح الحجاز الأيبسر (وأهل دهنة في الجناح الأيسر) جناح الحجاز الأيمن(، وأهل ساجر في جبهة معاونة للجناح الأيسر .وعسكر في القلب لواء قحطان من الهياثيم، ووراء

هؤلاء كلهم سرية من الخيالة .ثم التحق بهم الجيش الذي كان في اليمن من أهل الداهنة وركبة، فأصبح في الجبهة نحو أربعة آلاف مقاتل.

مشى هذا الجيش من مكة ومعه الأوامر بأن يحيط بجدة ويهاجم خط الدفاع فيناوش الجنود هناك .أما الهجوم بقصد اختراق الخط والدخول إلى المدينة فلم يكن ليقدم عليه بدون إذن من القيادة العليا، مشى بموجب أوامره، فاحتل في أواخر جمادى الثانية النزلة اليمانية ونزلة بني مالك، والرويس، ولكن الإخوان الذين احتلوا النزلة اليمانية أخلوها مرتين بعد وقعات مع جنود الحجاز، ثم عادوا فاستولوا عليها .وبعد أن خرجت– ضربها تحسين باشا بالمدافع وحرق الإخوان قسماً منها –أخلاها الفريقان.

على أن الإخوان ظلوا مرابطين في الجبهة الجنوبية أمام الجناح الأيمن من خط الدفاع، وقد اصطدموا مراراً بمفرزات من الجيش الهاشمي كانت تخرج تارة للكشف وطوراً لاحتلال آبار الماء في تلك الناحية.

وبعد أن استولى الإخوان على هذه المراكز خارج خط الدفاع تقدموا في الفلاة وباشروا حفر الخنادق، ثم أقاموا عندها استحكامات حصَّنوها بأكياس من الرمل، فصاروا يحاربون الجنود النظامية بالرشاشات والبنادق معاص .هي أول مرة على ما نعلم حارب الإخوان بطريقة منظمة حرب الخنادق .وكانت قد بدأت في آخر جمادى الثانية1344) هـ (حرب المدفعية أيضاً، فلم يتفرد فريق من الفريقين بالمفاجآت.

رسم خط الدفاع وما دونه من مراكز الجيش النجدي

وقد نقل قسم من المدفعية بعدئذٍ إلى نزلة بني مالك والرويس

ولكن الحكومة الهاشمية في هذا الشهر خسرت في ما سيرت للدهشة والإرهاب خسارة تعد في البلاد العربية جسيمة .ففي أصيل اليوم الثالث والعشرين من جمادى الثانية طارت الطائرة التي كان يسوقها الطيار الروسي تشاريكوف وفيها المراقب الضابط اللاذقي، والكاتب عمر شاكر الذي دخل إلى المطار خلسة، كما قالت القيادة العامة، فحشر نفسه مع الضابط السوري في مجلس واحد .وقد نزا بشاكر قلبه إلى ضرب الإخوان من عل ولو بقنبلة واحدة .فعندما دنوا من المعسكر في الرغامة انفجرت القنبلة في الطائرة وهي تعلو نحو ألفي قدم عن الأرض فتحطمت في الجو، وقد شاهدناها من القشلة تطيح ومن فيها بين يدي الموت والفناء .ذهب هؤلاء الثلاثة ضحية الإهمال في تنفيذ الأوامر العسكرية .وكان تشاريكوف الفظيعة في الحجاز، أما الأول فهو الذي طار إلى الطائف عندما دخلها الإخوان فسقطت طائرته بينهم، فكانت خاتمة الوجود له ولها محزنة مرعبة.

الملك علي يغادر جدة :وبعد حصار دام عشرة أشهر سلمت المدينة المنورة في 19 جمادى الأولى سنة1344) هـ 5 /كانون الأول ديسمبر1925 م .(وقبل تسليم جدة هناك قصية ينبغي أن تروى، رويناها في كتاب) نسب حرب:(

إن خزنة كانت مرسلة للحسين بن علي من المدينة، فتنافس في حملها البلادية والحوازم) من بطون حرب (فرست على الحوازم، فحملوها على سبع من الركاب، فتغيَّظ البلاديون، وسبقوها

إلى رابغ، وتشكوا على حسين بن مبيريك صاحب رابغ، وكان كثير الحمية، والبلادية أقرب إليه من الحوازم، فتآمر معهم، وعندما وصلت تلك الحملة، كان من الطبيعي أن تنزل على ابن مبيريك بصفته ممثل أمير الحجاز في رابغ، فأخّر غداء الحوازم- أهل الحملة -حتى خلي الطريق إلى مكة، وعندما خرجوا أدركهم المساء، فخرج عليهم كمين البلادية، وغنم الحملة، وهي سبع ركاب محملة بالذهب، فأرسلوا واحدة منها لابن مبيريك، ونقلوا البقية إلى النويبع، وصار شيخهم يوزع الذهب كيلاً بالطاقية .([211])فلما قامت الثورة كان حسين بن مبيريك قد لجأ إلى حجر- شرق رابغ على 100 كيل-، فنأوا الثورة خوفاً من انتقام الشريف، فتدخل بعض من شيوخ حرب، وطلبوا من الشريف ([212])العفو عنه، فعفا عنه مشترطاً نزوله في مكة، فنزل في قصره الذي في جرول، وأناب أخاه إسماعيل على رابغ، وكان يبكر كل يوم ليصلي في المسجد الحرام، على حمار له يقوده عبد من عبيده.

فحدث ما لم يكن في الحسبان :استأجر شيوخ الحميمة بيتاً في حارة الباب على طريق الشيخ الذي عرفوا خروجه كل ليلة قبل الفجر، فكان ديدناً له لا يخلفه، فصوبوا عليه إحدى بنادقهم فأردوه قتيلاً.

فاتهم الناس وخاصة حرب، وبالأخص آل مبيريك، اتهموا جميعاً بلا استثناء الشريف الحسين بتدبير ذلك، ونفى الحسين وحلف لشيوخ حرب أنه ما علم ولا أشار ولا رضي شيئاً من ذلك، ولكن من يصدق، ونشأنا ونحن نسمع من قومنا) :حسين قتله سميه الشريف حسين.(

فكانت حقيقة مسلمة لا جدال فيها ولا يختلف فيها اثنان.

دور إسماعيل :فلما جاء ابن سعود وصار حصار الرغامة، وطال، وقلت الأرزاق على المتحاربين، حدثني أحد أرحامي سبيع- لعله عبد الرحمن بن غثيث المشعبي أو غيره لأن هذا

قبل نحو 35 سنة ([213])–قال :كانت الليلة التي أسفرت عن يوم الصلح ليلة مجهدة لابن سعود حتى أن العشِّي لم يجد في مطبخه إلا فدرة تمرة) عجوة (فقدمها للسلطان عشاء، وإنهم سمعوا السلطان يقول، إذا لم يأت الله بالفرج سرحنا وتركنا جدة، ولكن الناس أيقظهم من النوم خبط ورغاء ونخنخة !فإذا بقافلة مرسلة من إسماعيل ابن مبيريك إلى عبد العزيز، ليثبت في الحصار نكاية في الشريف حسين وأولاده .فقال السلطان :أقمنا وما جاء الصباح إلاّ ورسل السلام يفدون على السلطان.

لماذا قتل الشيوخ حسين صاحب رابغ:

حدثني عبد الرحيم الدويش) من دوشان الحميمة (قال :كانت قافلة للشيوخ أهل الحميمة في رابغ، واعتدى حربي على أحد هؤلاء فقتله، فتقدموا بشكوى إلى حسين صاحب رابغ باعتباره أمير المحطة، فوضع المشتكين في السجن حتى تفرقت القوافل، ثم أطلقهم، وهكذا غدا دم رجلهم مطلولاً .فدارت الأيام حتى جاءهم من قال :إن ابن مبيريك في قصره في جرول، يصلي كل فجر في المسجد الحرام، فدبروا تدبيرهم الذي ظل عشرات السنين سراًَ مغلقاً . كان عبد الرحيم يحدثني في سنة1393) هـ (في مكة المكرمة.

تسليم جدة وشروط التسليم

وفي 6) جمادى الثانية سنة1344 هـ 22 /ديسمبر1925 م (سلمت جدة، بعد مفاوضات، وشروط، كانت كالآتي:([214])

1-بالنظر لتنازل الملك علي، ومبارحته للحجاز، وتسليم بلدة جدة، يضمن السلطان عبد العزيز لكل الموظفين المكيين ([215])والحربيين والأشراف وأهالي جدة عموماً والعرب والسكان والقبائل سلامتهم الشخصية وسلامة أموالهم.

2-يتعهد الملك علي أن يسلم في الحال أسرى الحرب الموجودين بجدة إن وجد.

3-يتعهد السلطان عبد العزيز بأن يمنح العفو العام لكل المذكورين أعلاه.

4-يجب على جميع الضباط والعساكر أن يسلموا في الحال إلى السلطان عبد العزيز بجميع أسلحتهم من بنادق ورشاشات ومدافع وطيارات وخلافه وجميع المهمات الحربة.

5-يتعهد الملك علي وجميع الضباط والعساكر بأن لا يخربوا أي شيء من الأسلحة والمهمات الحربية جميعها أو يتصرفوا بها.

6-يتعهد السلطان عبد العزيز بأن يرحل كافة الضباط والعساكر الذين يرغبون في العودة إلى أوطانهم ويتعهد بإعطائهم المصاريف اللازمة لسفرهم.

7-يتعهد السلطان عبد العزيز أن يوزع بنسبة معتدله على كافة الضباط والعساكر الموجودين بجدة مبلغ خمسة آلاف جنيه.

8-يتعهد السلطان عبد العزيز أن يبقي جميع موظفي الحكومة المكيين الذين يجد فيهم الكفاية في تأدية واجباتهم بأمانة في مراكزهم.

9-يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح الملك علي الحق أن يأخذ معه الأمتعة الشخصية التي في حوزته بما في ذلك سيارته وسجاجيده وخيوله.

10-يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح عائلة آل الحسين جميع ممتلكاتهم الشخصية في الحجاز بشرط أن تكون هذه الممتلكات من الموروثة فعلاً، ولا تشتمل على الأملاك الثابتة المحولة من الأوقاف بمعرفة الحسين إلى شخصه، ولا على المباني التي يكون الحسين قد بناها في أثناء ملكه لما كان ملكاً على الحجاز.

11-يتعهد الملك علي أن يبارح الحجاز قبل يوم الثلاثاء المقبل مساء.

12-جميع البواخر التي في ملك الحجاز وهي) الطويل ورشدي والرقمتين ورضوى (تصير ملكاً للسلطان عبد العزيز، ولكن السلطان يسمح إن لزم الأمر للباخرة رقمتين أن تستعمل لنقل الأمتعة الشخصية التابعة للملك علي المتنازل ثم ترجع.

13-يتعهد الملك علي ورجاله وسكان جدة بأن لا يبيعوا أو يخرجوا أي شيء من أملاك الحكومة مثل اللنشات والسنابيك وخلافه.

14-يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح جميع السكان والضباط والعساكر الموجودين في ينبع الحقوق والامتيازات المذكورة سابقاً إلا فيما يختص بتوزيع النقود.

15-يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح العفو للأشخاص المذكورة أسماؤهم أدناه أيضاً ضمن العفو العام وهم :عبد الوهاب ومحسن وبكري أبناء يحيى قزاز، وعبد الحي بن عابد قزاز، وأحمد وصالح أبناء عبد الرحمن قزاز، وإسماعيل ابن يحيى قزاز، والشيخ محمد علي صالح

بتاوي وإخوانه إبراهيم وعبد الرحمن بتاوي أبناء محمد صالح بتاوي وأبنائهم وأبناء عمهم حسن وزين بتاوي وأبناء محمد نور الشيخ يوسف خشيرم والشيخ عباس بن يوسف خشيرم والشيخ ياسين بسيوني والسيد أحمد السقاف وعائلات وأموال جميع المذكورين آنفاً.

16– إن كان الملك علي أو رجاله في حال من الأحوال يخالفون أو يقصرون في تنفيذ أي مادة من المواد التي تقدم ذكرها فإن السلطان عبد العزيز لا يعتبر نفسه في تلك الحالة مسؤولاً عن تأدية ما عليه من هذه الاتفاقية.

17– يتعهد الطرفان للسلطان عبد العزيز والملك علي أن يكفا عن أي حركة عدائية أثناء سير هذه المفاوضات.

الخميس في 1 جمادى الثانية سنة 1344) هـ (الموافق 17 كانون أول 1925) م) .(ديسمبر.(

التواقيع

نماذج من رسائل الملك علي ابن الحسين من علي إلى أبيه الحسين([216])

رسالة) مترجم(

17 جمادى الأولى 1334 هـ

23 آذار 1916 م

ما فهمته من ملحق رسالة أخي) فيصل (أنه لم يبق له أمل في الحكومة واستمرارها، وإن مقصده أن تكون عنده قوة هناك، حتى عندما يبدأ انهيار الحكومة([217])، يقوم هو بتولي زمام شؤون البلاد بيديه.

كما فهمت أن الحكومة طلبت منا أن نرسل قوة ووعدت أن ترسل لنا مالاً وسلاحاً ولا أرى مانعاً من الاستجابة لرغباتها بقصد أخذ السلاح والمال وإرسال القوة إلى تلك الجهات . ولا بد أن تبدأ حركتنا في أواسط فصل الصيف، لأن حرارة الطقس تصبح عند ذاك عنصراً مساعداً لنا ضدهم.

وفيما يتعلق بعرب هذه النواحي، أرجو أن لا يخامر سيدنا أي شك بشأنهم، وخاصة العوالي ...ومن الضروري أن تبدأ الحركات في خلال شهر ونصف أو شهرين، وأثناء هذه الفترة سوف يصبح الآخرون أكثر ضعفاً.

وعلى أية حال، فنحن خدامك، ننتظر التعليمات السامية :إما بالموافقة على إرسال القوة والعمل بحسب هذه الخطة، أو استدعاء فيصل إلى هنا والبدء بالعمليات بواسطة قبائلنا، أي عنيزة وهنا .وإذا لم يساعدنا السوريون فإنهم لن يساعدوا الأعداء ضدنا .وهذا خلاصة رأيي...

واضح أن علياً أرسل هذه الرسالة وهو في المدينة يعد العدة للقيام بأولى الحركات.

من علي بن الحسين إلى أبيه الشريف حسين

)مترجم(

المدينة 24 رجب1334

26/5/1916

بعد تقبيل ثرى مواطئ الأقدام والسؤال من البارئ تعالى أن يطيل عمركم .كما أرسلنا إلى ولي النعم في السابق رسالة لا نرى ضرورة لتكرار ما جاء فيها .وكنا سابقاً أبلغنا سيدنا إننا سنجعل يوم البدء بالثورة يوم الجمعة .والآن سنشرح أحوالنا وما ننوي عمله متكلين على الله الذي نعتمد عليه.

أولاً :سيكون بدء الأعمال يوم الاثنين المقبل 5 شعبان /5/ حزيران.

ثانياً :وضعنا الخطط على الوجه التالي.

-1أرسلنا ما يلزم إلى القبائل البعيدة، مثل جهينة ولهب، وسنرسل مثل ذلك إلى القائل القريبة والبعيدة حتى يحتشد الجميع هنا في يوم واحد، فيقوم البعض بالهجوم على خط السكة ويقوم البعض الآخر بمنازلة الجنود في المدينة.

-2سوف يكون معسكرنا العام في العوالي.

-3القوة التي ستهاجم خط سكة الحديد ستكون بقيادة خادمكم كاتب هذه الرسالة.

4-هذه القوة سوف تزحف إلى أبعد نقطة نستطيع تخريبها ونزع قضبان السكة.

5-هذه القوات الزاحفة ستكون من المشاة والخيالة.

6-نأمل أن تشترك القبائل الشمالية، ثمل بلي والحويطات وبني علي ([218])وغيرها، في هذه الحركة.

7-ستكون مداين صالح أول المناطق التي تستولي عليها، وستعمل القوات حسب الظروف، فإما تزحف أو تبقى في مواضعها .وقد أرسلنا إلى حسين بن مبيريك أن يرسل الإمدادات وقواته معها .وطلبنا إليه أن يأتي بنفسه معها إذا أمكن وأن يعين شخصاً آخر مكانه ليقوم بإرسال الإمدادات فيما بعد .إن حضوره سيترك تأثيراً طيباً في القوات هنا، وقد تركنا الخيار لرأيه .وغداً سوف نرسل إلى مطير وحرب في الحرة.

القوة التي طلبنا من سيدنا أن يرسلها بقيادة أحد الإخوان يجب أن لا تتأخر .وإذا أمكن، بعد الفراغ من مهمتكم أن ترسلوا لنا جميع القوات المتوافرة لديكم، لأن المدينة كما يظن سوف تعمد إلى المقاومة بسبب ضخامة القوات فيها ومناعة أسوارها.

وصل مكتوب ابن رفادة، وفتحناه لاعتقادنا بضرورة الإطلاع عليه .إذا سدينا يرى من الملائم إرسال الإمدادات إليه عن طريق البحر فلا بأس .وبعد الثورة سنرسل له رسولاً مع التعليمات اللازمة.

نرجو من سيدنا أن لا ينسى الإسكندرونة وبيروت وتلك المناطق .الجماعة] الأتراك [تشككوا في الأمر، خاصة بعد وصول الأنباء من جهاتكم .الإمدادات يلزم إرسالها إلى ينبع باسم سلامة محمد علي عبد القادر.

نسينا أن نذكر لسيدنا أن فرحان الأيدا ([219])قد اتصل بالقبائل الشمالية حتى الحويطات والقبائل الأخرى، وسوف ينضمون جميعهم إلينا بإذن الله في الثورة.

هذا بالاختصار ما تم العزم عليه .إننا سنستعين بالله وسوف نعلن للقبائل كلها أن العطايا والحبوب والصرر) النقود (سوف تبقى على حالها ولن تنقص بل بالأخرى ستزداد .وإذا رأى سيدنا أن يرسل الإمدادات الخاصة بنا إلى الوجه عن طريق ابن رفادة، حيث يسهل نقلها في المستقبل عندما نصل إلى مداين صالح، وهو ما نتوقعه بعد خمسة عشر يوماً من قيامنا 20] حزيران.([220]) [1916

ونسترحم ولي النعم أن يدعو لنا بالنجاح، وليكن الله في عوننا.

التوقيع :المملوك علي

حاشية :حالما تبدأ عملياتنا فإننا بإذن الله سنعلن استقلال العرب باسم سيدنا.

ويعلق السيد سليمان موسى، مؤلف كتاب المراسلات التأريخية الذي نقلنا عنه هذه الرسائل:

هذا النص مترجم عن اللغة الإنكليزية، كما ورد في وثائق وزارة الخارجية البريطانية .وهذه الرسالة لها أهمية خاصة، إذ يظهر منها أن قادة الثورة كانوا على ثقة كبيرة من إحراز انتصارات سريعة ومهمة في وقت قصير.

في بغداد :هذا وما أن وقّع ملك الحجاز تنازله في 6 جمادى الثانية سنة1344) هـ (حتى وجد نفسه يختار اللحاق بأخيه فيصل ملك العراق، فهناك النزل الطيب والحفاوة والتكريم التي تمتع بها حتى انتقل إلى الدار الآخرة.

جاء في كتاب) الملوك الهاشميون :([221]) (كان للملك حسين أربعة من الأنجال أدى تفوقهم إلى إكساب الثورة العربية ما أسماه لورنس» إجماعها المؤثر ولكن الواهن .«وأراد علي، وعبد الله، وفيصل، أن يكونوا جميعاً ملوكاً، أما زيد، النجل الرابع، فقد كان عزوفاً عن الملك، وقد أصبح الثلاثة الأولون ملوكاً، واقتضى منطق الزمن، وجود سلطة موحدة جديدة تحل محل الأتراك الزائلين، كأسرة حاكمة، أو إمبراطورية، أو قضية مشتركة، يمكن أن تشيد وحدة سياسية، أساس ثقافة مشتركة .لكن هذا لم يحدث مع الأسف، فقد أقامت الحرب حدوداً مصطنعة في الشرق الأوسط، كالحدود مثلاً بين العراق، الذي حررته القوات القادمة من الخليج الفارسي، وبين المناطق الغربية التي احتلها اللنبي .وقد أدت المنافسات والمطامع عند الدول الغربية، تدعمها الميول المتنابذة بين العرب أنفسهم، إلى الحيلولة دون خلق مملكة عربية متحدة .وعملت أنظمة الاحتلال المختلفة، على إضعاف وحدة سوريا .ثم جاءت مقررات سان ريمو، فجزأت المنطقة إلى انتدابات .وأخيراص، وفي عام1921) م([222]) (، جاء ونستون تشرشل، فأخذ لوحة الشرق الأوسط بين يديه، فقرعها بمطرقة الفراهة السياسية، وقطّع أوصالها من جديد.

ولقد بدأ الانتداب بداية فيها الكثير من الرجّات والهزات .وقد تكون فكرة الانتداب مشروعاً متحرراً بالنسبة لمفكري السياسة في أوروبا وأمريكا، ولكنها لم يكن لها عبير الورد بالنسبة للعرب .فقد عرفهم الحفاء أنفسهم على فكر الحرية والديمقراطية، وتقرير المصير، فتبلتها نفوسهم بسرعة، كما سبق للاتحاديين أن لقنوهم درساً في الحكم الدستوري، وقد انتظروا الاستقلال الكامل، ولكنهم شعروا، بخيانة العهود والوعود.

وكان علي أكثر الأشقاء الملوك الثلاثة هدوءاص، وأقلهم ذكراً، لا سيما وقد اختار البقاء في الحجاز، كمساعد لأبيه وولي لعهده، دون أن يولي مشاكل الشمال، الكثير من الاهتمام والعناية .وكان علي رجلاً ضعيف الإرادة، وصفه لورنس بالكياسة، كما صوره إيريك كينيغتون، بأنه» رجل قلق، نحيل الوجه، عبوس، له عينان حزينتان، وشارب أسود مبدد .(وذكر بريطاني اجتمع به مرة، أن القدر ضل طريقه في علي، إذ لم يخلق للملك، بل للقداسة .واعتقد بعضهم أنه كان معرضاً للإصابة بالسل، ووصفوه بالمرض وبرودة الطباع .([223])وهكذا تمضي صورته شاحبة في ذكريات المستعربين، الذين لا يذكرونه إلا قليلاً وبدون وضوح.

وعندما أبحر الحسين إلى العقبة في تشرين الأول من عام1924) م(، أصبح هذا الرجل الرقيق ملكاً على الحجاز، والحامي الهاشمي للأماكن المقدسة، وكان عرشه ووضعه مما لا يحسد عليهما . فمملكته مجزأة، والأسوأ من هذا كله، أن ابن السعود، قد وسع فتوحاته في الحجاز بنجاح، ولم يحل عام1925) م(، حتى كان نصف البلاد قد غدا في قبضته القوية .وأخذ علي، بعد أن تسلم الملك من أبيه، يدافع عن الأجزاء الباقية من مملكته، بكآبة ولكن ببسالة .ففواته ما زالت تحتفظ بالمدينة وينبع والوجه وجدة، وحافظت القبائل، المقيمة حول هذه المدن، لوقوعها في مدى نيران المدفعية الشريفية على ولائها للملك .([224])وتركز أمل علي، في أن المتطوعين سيتوافدون إليه، من الدول الشقيقة في الشمال، وفي أن تدريب جنوده النظامي سيضني حماس العدو وروحه الحربية القائمة على الهواية .وكان يأمر قواته بالقيام بغارات صاخبة

من وقت إلى آخر .وأرسل إحدى طائراته للتحليق في سماء مكة، في نفس اليوم الذي دخلها فيه ابن سعود، لأداء فريضة الحج .وقد رفض وساطة الكثيرين من الحذرين، كما رفض إنذاراً بالاستسلام غير المشروط .وكان لا يزال يأمل في عون بريطانيا له، كما اعتقد، أن الأحوال إذا ساءت للغاية وجاء الوهابيون زاحفين إلى جدة، فإن القناصل الأجانب فيها سيحمونه.

لكن أحلامه أخذت في الانهيار، فلم يصل المتطوعون قط، ولم يبد على الوهابيين الملتهبين أي مظهر من مظاهر الوهن والتعب، ولم تتقدم دولة أجنبية لمساعدة علي .وسرعان ما أخذت مدفعية ابن السعود، تدك جدة نفسها، وبدأت القبائل الموالية تنقض ولاءها، وأخذت حصون الهاشميين تتساقط واحد إثر آخر، أولها المدينة، ومن ثم ينبغ فالوجه .وفي جدة نفسها التي أصبحت محاصرة الآن، شحّت المواد الغذائية، وانتشرت الدوسنطاريا، وبدأ الأهلون يضجون طالبين الصلح .واتجه الرأي العام في لندن، إلى تأييد ابن السعود الذي لا يُقاوَم .وأدرك علي أخيراً، كما أدرك والده من قبل، أو قبل سنة على الأصح، أن جميع الأوراق قد انقلبت عليه، فاستدعى في الثاني والعشرين من كانون الأول عام1925) م(، المعتمد السياسي لبريطانيا في جدة، وطلب إليه العمل على وضع شروط التسليم، ولم تمض ساعات، حتى كان علي قد تنازل عن العرش، وسلم السلطة في المدينة، وأبحر إلى البصرة على ظهر بارجة بريطانية .وأعلن ابن سعود، سلطان نجد، بعد ثلاثة أسابيع، نفسه ملكاً على الحجاز.([225])

وعاش علي بقية أيامه في ضيافة أخيه فيصل، ملك العراق وقد مضى هذه السنوات، مغمور الذكر، يكتنفه النسيان، إلا عندما يلمع اسمه بصورة مؤقتة فينوب عن أخيه في حكم العراق . عند سفره إلى الخارج .وسرعان، ما نسيه العالم، كما نسي أباه من قبل، وندر أن قام بزيارة والده الشيخ، أثناء إقامته في قبرص .وكان علي، يحب فيصل جم الحب،) وربما لم يتفق عبد الله مع طبيعته الهادئة(، وعندما توفي الحسين في18/1/1350) هـ4/6/1931 /م(، أصبح علي

رأس العائلة، وترتبت على ذلك، له بعض الحقوق، من الإجلال، بموجب العرف العائلي العربي، وقد خلّف علي ولداً أسماه عبد الإله، وبنتاً، هي عالية الذكية.

وتوفي علي عام1354) هـ1935 /م([226]) (، وكان وجهه آنذاك، قد فقد طابع العبوس، ليحل محله تعبير عن الهدوء الذي لا هدف له، وتغضن جبينه، أما عيناه فقد ظلتا على صفائهما .ويبدو أن طابع التردد، الذي ساد حياته، قد ساد وفاته أيضاً .فقد تقرر أن ينقل جثمانه عن ريق نهر دجلة إلى المقبرة الملكية في ضواحي بغداد .واصطفت قافلة من القوارب المجللة بالسواد في عرض النهر، ووقف الجنود على الشاطئ، وقد نكسوا بنادقهم، بينما اكتظ الألوف من أهل العاصمة، ليودعوا الملك الراحل وداعه الأخير .وكان أخو عبد الله، قد اجتاز الصحراء، في سيارته ليشترك في تشييع الجثمان .وجللت البيوت جميعها في اللحظة الأخيرة، اكفهرّت السماء، وساد الظلام، فقد ذهبت ريح رملية عاصفة، لم تشهد بغداد مثيلاً لها في الحقبة الأخيرة، وغطت الرمال الكثيفة الأرض والسماء.

وعدّل البرنامج على التو، وذهب الملك علي المسكين([227])، إلى قبره في موكب صغير أعد بسرعة بطريق السيارات، وارتفع عويل نساء بغداد مشيعاً جثمان الراحل، ووقف السفير البريطاني بقبعته السوداء العالية بين المشيعين .ويؤكد محمد حسين الزبيدي مؤلف كتاب) الملك غاز ومرافقوه (إن الملك علي بن الحسين دفن إلى جوار أخيه الملك فيصل بن الحسين في المقبرة الملكية ببغداد في11/12/1355) هـ 21 /شباط1937 م.(

وهكذا طويت صفحة هاشمية تحمل اسم ملك الحجاز :علي بن الحسين، بعد عشر سنوات عاشها في بغداد، وبعد وفاة أبيه بأربع سنوات، وبعد وفاة أخيه فيصل بسنتين([228])، فسبحان المحيي المميت،

أسرة الملك علي الخاصة

هو كما تقدم أكبر أنجال الحسين، وبه كان يكنّى.

وزوجه أبوه نفيسة بنت الشريف عبد الإله بن محمد بن عبد المعين، وتقدمت ترجمته، وأمه عابدية بنت الشريف عبد الله بن محمد بن عبد المعين، وكلاهما تقدمت ترجمته .فهو ابن شريفين .وكان له من الولد.([229])

1-عبد الإله، ولي عهد العراق والوصي على العرش، المقتول في انقلاب عبد الكريم قاسم في27/12/1377) هـ14/7/1958 /م.(

2-أربع بنات، هن :عالية) زوجة الملك غازي، وأم الملك فيصل الثاني(، وجليلة زوجه الشريف حازم، وبديعة زوجة الشريف حسين بن علي، وعابدية، باسم أمه .وكل بنيه من زوجته نفيسة.

مصادر ترجمة الملك علي

1-مذكرات الملك عبد الله، سبق شرحها في مصادر ترجمة أبيه.

2-مذكرات الأمير زيد، سبق شرحها في مصادر ترجمة أبيه.

3-تاريخ نجد الحديث، سبق شرحها في مصادر ترجمة أبيه.

4-الثورة العربية الكبرى، سبق شرحها في مصادر ترجمة أبيه.

5-الملوك الهاشميون :جيمس موريس، ط1 ، منشورات المكتب العالمي للتأليف، بيروت.

6-المراسلات التأريخية :سبق شرحها في مصادر ترجمة أبيه.

7-الأعلام للزركلي :سبق شرحها في مصادر ترجمة أبيه.

8-نسب حرب :عاتق البلادي، ط3 ، سنة1404) هـ(، دار مكة للنشر والتوزيع.

9-معجم معالم الحجاز :عاتق بن غيث البلادي، ط1 ، دار مكة.

إيضاحات) تتبع الشجرة:(

الملك حسين بن علي :تزوج عابدية كريمة عمه عبد الله، فأنجبت له علي وعبد الله وفيصل . وبعد وفاتها تزوج في إستانبول فتاة شركية فأنجبت له ابنته صالحة) تزوجت الشريف عبد الله بن محمد(، ثم توفيت فتزوج عادلة هانم التي أنجبت له ابنة الرابع زيد وبنتين هما فاطمة وسارة.

الشريف ناصر باشا :بالإضافة إلى أبنائه، أنجب ثلاثة بنات :مصباح أم الملك طلال، وحزيمة أم الملك غازي، وفاطمة .ولابنه جميل :الملكة زين الشريف أم الحسين ابن طلال.

الملك علي :تزوج نفسية ابنة الشريف عبد الإله فأنجبت له أربع بنات :عالية) زوجة الملك غازي (وجليلة) زوجة الشريف حازم (وبديعة) زوجة الشريف حسين بن علي ([230]) (وعابدية.

الملك عبد الله :أنجب ثلاث بنات :هيا) زوجة الشريف عبد الكريم بن جعفر بن ذوي زيد (ومنيرة، ومقبولة) زوجة الشريف حسين بن ناصر.(

الملك فيصل :أنجب ثلاث بنات :عزّة وراجحة ورفيعة.

الملك حسين الأول :أخته رحمة تزوجت الشريف علي بن عبد الله، الذي تولى إمارة مكة ثم عزل بعد إعلان الدستور وذهب إلى مصر للإقامة فيها.

الملك حسين بن طلال :بناته :عالية وعائشة وزينب وهيا.

بحمده تعالى تم الفراغ منه

في الثاني من شهر صفر 1421 هـ

الموافق 6 :أيار /مايو سنة 2000 م

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

([1])كان له ابن اسمه إبراهيم، ولكنه لا يظهر على مشجرات الأشراف، وهو دليل انقطاع النسل، والله أعلم.

([2])أي عبد الله.

([3])ولاحظ آل لؤي فيما بعد.

([4])انظر كتابي) بين مكة وبرك الغماد.(

([5])ولعبد المعين ابن اسمه هَزَّاع، انظر الشجرة آخر الكتاب.

([6])ملحقة بآخر هذا الجزء.

([7])أي ابن عون بن محسن.

([8])منهم ذوو سلطان وذوو شرف أبناء راجح بن فواز، ومن أبناء سلطان أصدقاؤنا فوزان ومحمد وأخوهما.

([9])هو الشريف بن شنبر بن مبارك المنعمي، وقد تقدم خبره في ترجمة الشريف يحيى بن سرور.

([10])اقتباساً من الآية (26) من سورة آل عمران.

([11])أحمد بن زيني دحلان .خلاصة الكلام، ط1305) :هـ (، ص .(300)

([12])خلاصة الكلام :ص .(304)

([13])سنة1824) م.(

([14])سنة 1827) م.(

([15])الهجالية :بتخفيف الجيم، تعرف اليوم بالسرورية في حي السلامة بطرق جدة القديم، وقد تقدم الحديث عنها.

([16])يعرضون :يهزجون، ويغنون.

([17])خلاصة الكلام :ص.(308)

([18])والد الحسين بن علي قائد الثورة العربية الكبرى، وأمه صالحة بنت غُرْم العسبلي، شيخ مشايخ بني شهر.

([19])سيتحدث– بعد صفحات –شاهد عيان عن هذه الجملة.

([20])هو جد آل عائض، الأسرة التي اشتهرت فيما بعد، وتردد اسمها في التاريخ.

([21])هو جد آل عبده شيوخ برك الغماد، وقبيلته تدعى بني هلال، من داعية عسير.

([22])يعرف بالشهيد، وستأتي ترجمته.

([23])صوابها) الغاربة (براءة مهملة، وباء موحدة.

([24])خلاصة الكلام :ص (313) ط1305) هـ .(

([25])أي (1282) هـ1865 = م.(

([26])هنا نصان بالوفاة بينهما نحو تسعة أشهر، والله أعلم.

([27])هو صاحب الثورة على الترك، توفي سنة1350) هـ (، وترجمته في هذا الجزء.

([28])تقدمت أخباره.

([29])العرضي :المخيّم.

([30])انظر :معجم معالم الحجاز.

([31])ص (319) ، مرجع سابق.

([32])بنو سفيان :فرع من ثقيف.

([33])ترجمناه باسم عبد الإله.

([34])ابن بشر :عثمان بن عبد الله بن بشر، من أهل شقراء، مؤلف) عنوان المجد في تأريخ نجد .(توفي سنة 1288) هـ1871/م .(

([35])عنوان المجد ص (114) وما بعدها، مكتبة الرياض الحديثة، ط) ؟.(

([36])من قحطان.

([37])رحلة في بلاد العرب، ترجمة :محمد بن عبد الله آل زلفة.

([38])ص (336) ، وذيلها للمترجم.

([39])ص (340) ، فهؤلاء ثلاث زوجات خلال هذه الحملة، ولا شك أن هذه الزواجات للتأليف .هذا بالإضافة إلى أم علي صالحة بنت غُرْم العسبلي التي تزوجها أثناء إمارته على عسير، وكانت معه في تركيا هي وولدها علي، وظلت حية حتى حدثت حفيد ابنها عبد الله بن الحسين، ملك الأردن .

([40])كان سنة إذ ذاك (45) سنة.

([41])يسميها أهل الحجاز) صمادة.(

([42])لعلها مخططة، وهو نوع من العمائم كان مألوفاً عند علية القوم في الحجاز، مثل الشماغ اليوم.

([43])تسمى اليوم) زبون.(

([44])تسمى باكور، وهي من الخيزران :الرحلة المشار إليها.(124)

([45])ص.(250)

([46])هو الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى النجدي، المتوفى سنة1343) هـ.(

([47])عقد الدرر، ط1319) هـ (ص.(26)

([48])تأريخ مكة ط (4) ، ص (518) بإشراف دار مكة للشر والتوزيع سنة 1399)هـ.(

([49]) (529).

([50])لعله) الصُّغَيّر (، فمثل هذا الاسم شائع عند عرب الجزيرة .

([51])اعتقد أنه أثناء حملته على نجد .

([52])والأشراف يقولون إنه ما عرف اسم) عَبْد الإله (إلاّ بابن محمد هذا، والله أعلم.

([53])خلاصة الكلام :ص (321) ، وما بعدها.

([54])أي وفاة أبيه.

([55])لو كان حدث اليوم لعلم الناس به خلال ساعة واحدة، فانظر كيف تطور العالم خلال نحو قرن ونصف.

([56])جمع لك، و) اللّك (أربعون ألفاً.

([57])خلاصة الكلام، ط1305) هـ (ص.(324)

([58])سنة1863) م.(

([59])انظر) بين مكة واليمن.(

([60])خلاصة الكلام :ص (325) مصدر سابق.

([61])سنة1865) م .(

([62])هديل الحمام في تأريخ البلد الحرام، ط (1) ، سنة1416) هـ (ص.(527)

([63])سنة1282) هـ (، نفس المرجع.

([64])خلاصة الكلام، مصدر سابق، ص.(329)

([65])الدحلان، مرجع سابق، ص.(326)

([66])إحداهن :عابدية، زوجة الحين بن علي وأم الملوك :علي وعبد الله وفيصل.

([67])الشجرة المرفقة بآخر هذا الكتاب.

([68])أحمد بن محمد الحضراوي المكي .ترجمته في نشر الرياحين .مادة أحمد، وفيه تسلسل نسبه .

([69])قائد عسكر الحجاز.

([70])في كتابه نزهة الفكر تحقيق) محمد المصري (إن المذكور ولد سنة1252) هـ (وتوفي سنة1273) هـ (، وعمره إذاك (75) سنة وهذا غلط، راجع ترجمته في نشر الرياحين، مادة)أحمد.(

([71])نزهة الفكر، للحضراوي القسم الأمل) حسين.(

([72])خلاصة الكلام :ص (327) مصدر سابق.

([73])تاريخ مكة للسباعي ط (4) بإشراف دار مكة، وتعليق مؤلف هذا الكتاب، ص (541)وما بعد.

([74])هي الشجرة الملحقة بآخر هذا الكتاب.

([75])خلاصة الكلام :ص (327) مصدر سابق.

([76])خلاصة الكلام :ص (329) مصدر سابق.

([77])انظر عبد الإله بعده .

([78])ترجمناه باسم) عبد الإله (دراً للاشتباه بأخيه عبد الله المتقدم.

([79])لعل هذا في عهد دولة ذوي عون، وإلا فإن المراسيم كان تقرأ في المسجد الحرام.

([80])مرآة الحرمين (2/275) :، ط مصورة عن الأولى، وإبراهيم) مترجم في نشر الرياحين (مادة إبراهيم.

([81])وكل هذا العويل والصياح والرسائل والقصائد لم تحرك نعل عون الرفيق، فأين الحقيقة؟.!

([82])مترجم ف نشر الرياحين) محمد لبيب.(

([83])ص.(79)

([84])سنة1882) م.(

([85])إن الذي خدم نبيه هو الله، ومن أين للطبيعة المخلوقة أن تقدم خدمة؟.!

([86])أتوموبيل :سيارة .وهذه أول سيارة وردت إلى الحجاز، بل كل الجزيرة العربية.

([87])ظلت بعض تلك الأشجار قائمة إلى سنة1375) هـ (حين اشترى الأرض الأمير متعب بن عبد العزيز وحولها إلى حلقة للخضار، وهي اليوم سوق للفواكه والتمور ونحوها، بعد أن نقلت الحلقة إلى السرجة.

([88])قام البتنوني برحلته سنة1327) هـ (، حاجاً مع الملك فؤاد ملك مصر.

([89])مترجم في نشر الرياحين.

([90])محمد عمر بن رفيع .مكة في القرن الرابع عشر، ط (1) ، بإشراف مؤلف هذا الكتاب، ص (235) وما بعدها.

([91])محمد بن عبد المعين بن عون، والد المترجم هنا، تقدمت أخباره.

([92])ابن أخ المترجم، وهو قائد الثورة على الترك فيما بعد .تأتي أخباره.

([93])هذا قول عمر رفيع، المرجع السابق، (236) ، ولعله أبو الهُدَى.

([94])ابنة المشار إليه اسمه :محمد عبد العزيز.

([95])هي الملكة دينة بنت عبد الحميد بن محمد عبد العزيز، زوجة جلالة الملك الحسين بن طلال الأولى، ولها منه ابنتهما البكر عالية بنت الحسين.

([96])أفضتُ في خبر البستان في كتابي) الميضاح.(

([97])ولكن البستان عاد، في عهد الحسين، إلى وزارة الزراعة وكان بستاناً ناضراً إلى عهد قريب .خبره في كتابي) الميضاح .(الغريب أن المؤلف، وهو المعاصر لم يعقب على ذلك لغيظه على عون الرفيق، والتأريخ أمانة المؤرخين.

([98])لكن ما يتوارثه أهل الحجاز أن عهد عون عهد أمن ورخاء، ولم تعرف أرض الحجاز المحل زمان حكمه.

([99])المرجع السابق.(126) :

([100])كذا في المطبوعة.

([101])أمثال الشعر العربي للمؤلف، ط (1) ص .(204) دار مكة للشر والتوزيع، سنة 1409)هـ.(

([102])أحمد السباعي، تأريخ مكة، ط (4) بإشراف دار مكة، ص.(505)

([103])تأتي ترجمته باسم) عبد الإله (وقد سبق التعليل، وسوف نعيده، فيما يتبع.

([104])انظر :معجم قبائل الحجاز.

([105])الهدأة :هدأة الطائف .

([106])لعله فأعادها إلى الخليفة، وما كان عبد الحميد يرحمه الله خليفة شرعياً، إنما كان سلطاناً.

([107])ليس اسمه علي بو، إنما أطلق ذلك عليه أهل مكة، وانظر تعليقنا عليه بعده.

([108])ترجمته في نشر الرياحين.

([109])أمثال الشعر العربي :ص (94) ، دار مكة للشر والتوزيع، ط (1) سنة 1409)هـ.(

([110])هديل الحمام.(2/414) :

([111])هديل الحمام في تأريخ البلد الحرام.(2/414) :

([112])أضربنا عن ذكر القصة، لما فيها من المجون الذي لا يخل بمقام العظماء، ولكن ذكره قد يستهجنه الذين لم ينشأوا نشأة العرب المتقدمين.

([113])السباعي، تأريخ مكة ط () ، ص.(557)

([114])عن إفادة الأنام .عبد الله الغازي، مخطوط .والغازي مترجم في) نشر الرياحين.(

([115])السباعي، تأريخ مكة.(559) :

([116])سنة1908) م.(

([117])نزهة الفكر :القسم الأول، ترجمة علي.

([118])كذا قال الحضراوي، والصواب :ابن الشريف عبد الله باشا.

([119])تورية إلى سيف علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

([120]**)**مكة في القرن الرابع عشر، ط.(170) : (1)

([121]**)**نفس المرجع .(245) :

([122]**)**توفي علي بن محمد، وادل الحسين بن علي قائد ثورة العرب، سنة 1287/1870)م.(

([123]**)**هديل الحمام عن إعلام الحجاز، عن نزهة الفكر.

([124]**)**هو عبد الإله، لأن أخاه عبد الله كان قد توفي سنة1294) ه.(

([125]**)**هديل الحمام :ترجمة أحمد بن حمدي.

([126]**)**خلاصة الكلام، مرجع سابق، :ص 330) و.(331

([127]**)**السباعي، تأريخ مكة.(550) :

([128]**)**عبد الإله، أو عبد إلّه .

([129]**)**مكة في القرن الرابع عشر .(247) :

([130]**)**موسيقى تعزف للمشاة.

([131])توفي والده :علي بن محمد في) إسلام بول (سنة1287) هـ.(

([132])جاء في كتاب الأعلام للزركلي :إن عوناً عمه الثاني، والواقع أنه عمه الثالث، إذ أن الثاني هو الحسين الشهيد .

([133])فصّل أخبار هذه الحملة الشريف شرف البركات، الذي كان أحد أفرادها، في كتاب سماه) الرحلة اليمانية (وقام مؤلف هذا الكتاب بتحقيقه والتعليق عليه، وفرغ من ذلك في7/10/1420) هـ (ولعله يطبع قبل هذا الكتاب، بل تأخر لعدم الفسح.

([134])كذا رُسمت في الأصل.

([135])نرى فيما يتبع من رسائل الحسين والإنجليز، أنه طالب بهذه المساحة كدولة عربية واحدة.

3 ([136])ربيع الأول1334) هـ.(

2/5/1334) ([137])هـ.(

8/9/1343) ([138])هـ .(

([139])ناصر بن علي بن محمد بن عبد المعين، المتقدم .انظر الشجرة الملحقة .

([140])فبراير .

([141])حاكم عام .

([142])كان الشريف ناصر بن علي يومذاك في مجلس الأعيان العثماني، ويلاحظ من الرسالة حماسة الشريف في نصرة الدولة العثمانية .

1331) ([143])هـ.(

([144])تلاحظ أني بدأت هذه المراسلات من أولها بين الأشراف أنفسهم، كي يتضح سياق التأريخ وانعطافاته، ومن غمض عليه شيء، مما نقلنا، يراجع الأصل) :المراسلات التأريخية (سليمان موسى، ط.(1)

([145])فبراير11/3/1332) هـ.(

1322) ([146])هـ.(

([147])فبراير11/3/1332) هـ .(

([148])هو وراثي لعموم الأشراف آل أبي نمي .

([149])أي مضيفاً .

20/3/1332) ([150])هـ.(

([151])برقية.

([152])مظهار الوادي :الخروج إلى الوادي، وادي مر الظهران.

([153])إبريل1/6/1332) هـ.(

([154])هذا نوع من مقدمات الرسائل كان سائداً إلى عهد قريب .

([155])هذه الرسالة بنيت على برقية من اللورد كتشنر وزير الحربية البريطانية حينئذاك، بتاريخ 31/10/1914 وتجد نصها في الملف .FO 6237/371 وقد حمل البزار الرسالة إلى مكة وعاد يحمل الجواب في .10/12/1914

([156])يوليو .

([157])اسمها جزيرة ابن عُمر .

([158])هذا ن فرط ثقة العرب آنذاك ببريطانيا، وإلا من يصدق أن الغرب سيوافق على قيام الخلافة العربية؟!

([159])سبتمبر.

([160])كذا في المصدر، ولعله) معالي.(

([161])لعله) :شخصي.(

([162])أكتوبر.

23/10/1915) **([163])**م .(

([164])نوفمبر.

([165])كذا، والوجه) :أحللناه.(

8/1/1334) **([166])**هـ.(

([167])نوري الشعلان :شيخ مشايخ الرُّوالَة، عمر طويلاً، وقاتل الفرنسيين، وأدرك الاستقلال، وسكن بلدة عذراء خارج دمشق، وتوفي فيها سنة **1361**) هـ**1942**/م) (الأعلام للزركلي.(

([168])جمال باشا **1340-1289**) هـ**1922-1872**/م (القائد العام للجيش العثماني الرابع إبان الحرب العالمية الأولى، اشتهر في سورية ولبنان وفلسطين بإعدام الوطنيين العرب . قُتل في تفليس بالقوقاز) المنجد /جمال .(

([169])قلعة أجياد .

([170])في قشلاق الطائف) قشلة الطائف.(

([171])التحق الأمير زيد فيما بعد بأخيه فيصل، فسار معه حتى ناب عنه في سورية وصار سفيراً للعراق في بريطانيا .ولد زيد لأم تركية سنة 1316-1390) هـ-1898 / 1970م (وولده رعد في الأردن اليوم، وأنجب أبناء أربعة، راجع الشجرة المرفقة بالكتاب .

([172])كان هذا الجزء يضم تراجم الملك عبد الله والملك فيصل ومن جاء بعدهم، ثم عُدل عن ذلك، إلى حين .

([173])محمد رشيد بن علي رضا بن محمد 1282-1354) هـ1865-1935 /م (صاحب مجلة المنار وبها اشتهر، كان من زعماء الإصلاح العاملين على رفعة العرب والإسلام.

([174])لعل الصيغة كانت) السلام عليكم (فهو رجل إسلامي، وهذه صيغة السلام في الإسلام .

([175])أخذناه من قول ابن أبي ربيعة) :أليس بعدل شهادة جوان؟.(!

15/2/1335) ([176])هـ .(

2) ([177])محرم1335 هـ.(

([178])سليمان موسى :المراسلات التأريخية ط (1) ،.(1/108)

([179])هـ.(9/4/1336)

([180])هـ .(9/4/1336)

([181])أي تكذيبات كاذبة .!

([182])هـ .(17/4/136)

([183])كانا يقاتلان في معارك الأردن.

([184])البحر الميت :في الغور الأردني، وقد يسمى» بحر لوط .«

([185])أغسطس .

([186])البحر الأحمر.

([187])يسمى بحر فارس، وخليج البصرة، وفي العهد الناصري سمي الخليج العربي، وسماه الخميني) الخليج الإسلامي (وهذا حسن .

([188])إذا لم يكن هذا هو المكر، فما هو؟.!

([189])مثل هذه المعالم، يراجع فيها) معجم معالم لحجاز .(

([190])مارس .

([191])وقد تصل إلى أكثر من ذلك .

1919) ([192])م .(

([193])مذكرات الملك عبد الله .

([194])اختصرنا هذه الحقبة، فإن شئت راجع» الثورة العربية الكبرى «لأمين سعيد .

([195])ترجمة الملك علي تتبع.

([196])يرد اسمها) سَرَة (والشائع في أسماء العربيات) سارة .(

([197])تقدم في أخبار أبيه .

([198])جيمس موريس /الملوك الهاشميون .(94) :

([199])تأريخ نجد الحديث (334) :، وما بعدها.

([200])الهدأة.

1343) ([201])هـ25/9/1924 = م.(

([202])كان المركز في) شدّاد.(

([203])كانوا يسمون :المدينة، لقولهم للناس :دينو دينوا .

([204])سلطان بن بجاد :شيخ مشايخ برقا من عتيبة، يلقبه الإخوان سلطان الدين .

([205])بقدم الماش .

([206])رغم أن الريحاني كان موجوداً في جدة، إلاّ أنه لا يمكن أن يطلع على هذه المعلومات بلا واسطة، ومع هذا لم يسند إلى أحد، ولا يرجع إلى مرجع.

([207])تأريخ نجد الحديث.400 :

([208])نص قول الريحاني.

([209])إنما هجرت وقت الحرب، ثم عادت عامرة.

([210])من قرى نجد .

([211])سليمان موسى، أحد مؤرخي الأردن، نفي هذه الحادثة، ولكن ليس من رأى كمن سمع، فقد قصها لي أناس من البلادية رأوا ذلك بأعينهم.

([212])الحسين بن علي .

([213])مثل هذه الروايات الشفيهة يتناقلها الناس، ولا يركن إليها كثيراً، ولن الملابسات تقويها أو تضعفها، والله أعلم .

([214])الريحاني، تأريخ نجد الحديث .

([215])المدنيين.

([216])المراسلات التأريخية /سليمان موسى.

([217])العثمانية.

([218])في الرسالة التي قبل هذي :عنيزة، وصوابها) عَنَزَة (ولهب، وهي غير معروفة، وهنا بني علي هم فرع من حرب، بل لعلهم ولد علي من عَنَزَة .

([219])شيخ ولد علي من عنزة.

(19/8/1334) = ([220])هـ .)

([221])ص (87) ط (1) ، ومؤلف هذا الكتاب يورد نصوصاً لا نتفق معه عليها، فمنها ما هو رأيه البحث ومنها ما لا سند له.

(1339) ([222])هـ.)

([223])هذه آراء بحد ذاتها باردة سامجة.

([224])ليست هناك قبائل تذكر على مدى المدفعية، كما ذكر.

([225])نقلاً عن جيمس موريس، الملوك الهاشميون (94) :وما قبلها .

([226])نفس المرجع بتصرف .

([227])هذا في نظر يمس الذي لا يعلم أن لله من الألطاف ما لا يعلمه إلا هو .

([228])هذا حسب التقويم الميلادي بالسنين لا بالشهور والأيام.

([229])عن مذكرات الأمي زيد، عمل سليمان موسى شجرة ملحقة مع إضافات.

([230])هذا غير الحسين بن علي قائد الثورة العربية الكبرى.